التصوف الإسلامي

خصائصه ومذاهبه

مع دراسة تحليلية وميدانية للطرق الصوفية

دكتور

محمد محمود عبد الحميد أبو قحف

أستاذ الفلسفة المساعد

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

١٩٩٢م

الناشر

المكتبة القومية الحديثة

طنطا - ش القاضي - ت ٣٤٩٠٦٩



﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا * إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد * ومكر أولئك هو يبور »

صدق الله العظيم

سورة فاطر : أية (١٠)

الإهــــداء

- إلى الصابرين .... المرابطين .
- إلى القلوب الصافية .... والأيدى الحانية .
- إلى كل محب للحقيقة .... متوحد معها .
- إلى كل ذى عقل راجح ... وبصيرة نافذة .
- إلى الإنسان فى كل مكان ....
- إلى العلامة البارز والضوء اللامع والإيمان العميق أستاذى الأستاذ الدكتور / ***أبو الوفا التفتازانى*** شيخ مشايخ الطرق الصوفية وعميد أسرتهم . حباً خالصاً، وقلباً صافياً .
- إلى العقل الراجح والبصيرة النافذة - الذى توحد بالحقيقة فقام بها وجاهد من أجلها أستاذى الأستاذ الدكتور / ***عاطف العراقى*** - حباً خالصاً واحتراماً وتقديراً لأستاذيته .
- إلى أبنائى : ***مـــى*** - ***أحمــد*** - ***محمــد*** : فهم ندائى فى الحاضر - وأملى فى مستقبل مشرق وسعيد .

محمد محمود عبد الحميد ابو قحف

٢٥ محـــرم سنة ١٤١٢ هـ

٦ أغسطس سنة ١٩٩١ م

﴿ بســـم الله الرحمن الرحيـم ﴾

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين..

قال تعالى "يؤتى الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً" سورة البقرة آية (٢٦٩) .

« وبعـــد »

فقد تناولت بحوث كثيرة دراسة التصوف الإسلامى كظاهرة دينية، وتجربة ذاتية، من حيث أصوله ونشأته وتطوره فى المحيط الإسلامى، وانقسم الباحثون إلى مذاهب شتى، فظهرت لهم مواقف متباينة من التصوف، قادحين، أو مادحين، واهتم المستشرقون بدراسة التصوف الإسلامى. لكن لم نجد من بينهم من أنصف التصوف إنصافاً كاملاً، إذ ذهب كثير من الباحثين إلى إرجاع التصوف إلى مصادر أجنبية، وبصفة خاصة الجانب النظرى الفلسفى، وأغفلوا الجانب الأصيل من التصوف، والذى يتمثل فى طرق ومناهج كبار الزهاد والعباد الأوائل، وتطورها لدى طوائف الصوفية فى القرون التالية وحتى العصور المتأخرة .

ونحن فى مجال دراستنا أصول التصوف وتطوره فى مذاهبه الفلسفية لانعتبر المعانى والمصطلحات الفلسفية التى مزجها فلاسفة التصوف بالمعانى الإسلامية أو

النصوص الإلهية، تمثل جوهر الفكر الدينى أو الإسلامى بحق بقدر مانعتبرها مصادر وافدة على الفكر الصوفى الإسلامى إذ أن جوهر التصوف الأصيل هو مايستند إلى أصول من الكتاب والسنة الشريفة، فالتصوف الإسلامى فى جوهره، معان روحية، وأذواق وجدانية وتجربة ذاتية، تقوم على أصول من الكتاب والسنة، والتصوف تربية أخلاقية، وتهذيب للسلوك ومجاهدة النفس .

التصوف الحقيقى فى الإسلام، يقوم على التقوى، والإيمان العميق بالله تعالى والتسليم لإرادته، وأداء الفروض والتعاليم الدينية، هكذا عرف التصوف منذ نشأته الأولى .

كان الزهاد الأوائل فقهاء الأمة ، وعلماؤها ، سيطرت على قلوبهم محبة الله ورسوله الكريم .

وكان للحسن البصرى / ١١٠هـ / وللتابعين أثر كبير فى وضع أصول التصوف فجمع فى قلبه نازعى المحبة له تعالى، والخوف الشديد من عذابه، فوضع بذلك أول مقامات التصوف الإسلامى، ثم درج القوم من جماعات الصوفية على هذا الإتجاه فى العباده والمراقبة لله تعالى .

لقد شهد القرن الأول والثانى، وضع البذور الأولى للتصوف ثم تكونت مدارس التصوف بعد المائتين، كتعبير عن التيار الروحى فى العالم الإسلامى فى مقابل تيارات التأويل العقلى والنظر الفلسفى، وتكونت جماعات الصوفية بظهور شخصيات كبيرة، كالسرى السقطى / ٢٥٧ / هـ والحارث المحاسبى ٢٤٣ /هـ والجنيد المتوفى عام ٢٩٧/ هـ ... ألخ .

وظهر كل من الإمام القشيرى / ٤٦٥ / هـ والغزالى / ٥٠٥ / هـ كتعبير

أصيل عن تطور اتجاهات التصوف السنى، واستمراره حتى بداية العصور المتأخرة، إذ يعتبر الغزالى حلقة وصل وتأصيل بين الصوفية المتقدمين، وجماعات الطرق الصوفية المتأخرين .

نشأت الطرق الصوفية، بعد وفاة الإمام الغزالى، منذ القرن السادس الهجرى، يترسم أصحابها وشيوخها الكبار، طرق الصوفية الأوائل فظهر عبد القادر الجيلانى ت عام / ٥٦١ / هـ ، وأحمد بن الحسين الرفاعى / ٥٧٨ / هـ فوضع كل منهما أصول طريقتين كبيرتين - الجبلانيه والرفاعية، ثم توالى ظهور أعلام آخرين فى القرن السابع الهجرى - تابعين لهذا الطريق السنى فكان منهم ابن الصباغ القوصى / ٦١٢ / هـ والسهروردى (أبو حفص) / ٦٣٢ / هـ ، ثم أمام الصوفية أبو الحسن الشاذلى / ٦٥٦ / هـ ، الذى عاصر كبار أئمة وفقهاء عصره، وشهدوا له بالطريق الحسن والاحترام الكامل، فقد شهد العز بن عبد السلام / ٦٦١ / هـ لأبى الحسن الشاذلى بالتقوى والصلاح، عندما حضر أحد مجالسه العلمية .

وفى القرن السابع ظهر علمين كبيرين، ذاعت شهرتهما فى أرجاء العالم الإسلامى، ووجدت طرقهما القبول لدى العامة والخاصة وهما : السيد أحمد البدوى شيخ الطريقة البدوية السطوحية المتوفى عام / ٦٧٥ / هـ ، والسيد إبراهيم الدسوقى القرشى، صاحب وشيخ الطريقة البرهامية الدسوقية المتوفى عام / ٦٧٦/هـ ، ولقد أسس هؤلاء الأعلام من كبار مشايخ الصوفية مدارس تضم عدداً من الشخصيات أثرت تأثيراً عميقاً فى الحياة الروحية فى الإسلام، منذ القرن السادس والسابع الهجريين، ومازال لهذه الطرق الصدا الواسع فى العصر الحديث.

ولذلك لفتت إنتباه كبار الباحثين فى التراث الصوفى فى العصور المتأخرة فخصص المستشرق الإنجليزى "سبنسر ترمنجهام" كتاباً كاملاً عن مشايخ الطرق الصوفية، وكان ذلك من أهم مصادر هذا البحث .

وإذا كانت لتعاليم وآراء كبار مشايخ الطرق الصوفية فى هذين القرنين تمثل جوهر التصوف السنى الأصيل، غير أن بعض أدعياء الطرق المتأخرين شوهوا معالم هذه الطرق، بما نسبوه إلى مشايخهم من كرامات وخوارق تعد من قبيل الخيالات والأساطير، وقد امتلئت كتب الطبقات الصوفية فى هذه العصور بالكثير من هذه الخوارق. الأمر الذى جعلنا نتناولها بالتحليل والنقد فى سباق هذا البحث، مبرزين الجوانب السيئة والأصيلة، منكرين على مدعيها والغالين فيها .

ومن الجدير بالذكر، أن فى هذه الفترة التى نشأت فيها الطرق الصوفية - ظهرت بعض التيارات الفلسفية متمثلة فى السهروردى (شهاب الدين المقتول / ٥٨٧ / هـ) ، وعبد الحق بن سبعين / ٦٦٧ / هـ ، وأبى الحسن الششترى / ٦٦٩ / هـ وفريد الدين العطار / ٥٨٦ / هـ ثم محى الدين بن عربى / ٦٣٨/ هـ وأصبح لكل من هؤلاء المتفلسفة مدارس كبيرة - تضم عدداً من الشراح والتابعين لهم فى العصور التالية ولعل من أهم السمات المميزة لهذه التيارات فى التصوف مزج العناصر الفلسفية، والمصطلحات الغنوصية الشرقية بالمعانى الذوقية والمواجيد الروحية. وعلى ذلك فقد اختلطت المصطلحات الفلسفية والعناصر الغنوصيه بالمبادىء والمعانى الدينية، فأصبح الاتجاه الصوفى إتجاهاً فلسفياً نظرياً. وتميز أصحابه عن غيرهم من أصحاب الإتجاهات السنية الأصيلة الأخرى، فظهر التصوف الإشراقى، عند السهروردى - متأثر بالأنظار والمصادر اليونانية والغنوصية

الشرقية، ثم تصوف وحدة الشهود المطلق عند ابن سبعين ثم وحدة الوجود عند الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى، وظل هذا سائداً فى العالم الإسلامى فيما بعد، متمثلاً عند شراح هذه المذاهب، حتى العصر الحديث .

ولاشك أن هذا الإتجاه الفلسفى الممتزج بالعناصر الغنوصية والمعانى الدينية، لايمثل الجوانب الأصيلة من التصوف الإسلامى لما، فيه من مصادر وعناصر وآراء غربية دخيلة على المبادىء الإسلامية والحياة الروحية الخالصة .

وإن كان ذلك كذلك، فإن التيار الفلسفى الصوفى يعبر من ناحية أخرى عن بعض جوانب الثقافة الإسلامية فى هذه العصور، وعلى قدرة العقلية الإسلامية والعربية على استيعاب آثار الثقافات اليونانية والشرقية، وهضمها وتطويعها للمعانى الإسلامية، وقد حاول الفلاسفة الإسلاميون من قبل احتواء عناصر الثقافات اليونانية والشرقية، وتطويعها للمعانى والآثار الإسلامية، وهذا مانجده عند فلاسفة التصوف فى القرنين السادس والسابع، فالسهروردى وابن سبعين ومحى الدين بن عربى وغيرهم من فلاسفة التصوف حاولوا هذه المحاولة لاستيعاب الأثار الفلسفية والغنوصية ومزجها بالمعانى والأذواق الإسلامية فى ثوب التصوف الإسلامى .

ومن الواضح أن شعبة التصوف الفلسفى ظلت تواكب شعبة التصوف السنى المعتدل منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين، وظل كل من هذين الجانبين يقاوم كل منهما الآخر بشده حتى تغلب تيار التصوف السنى، وأصبحت له السياده المطلقة فى العالم الإسلامى، حتى عصرنا الحاضر .

هذا مااستطعنا توضيحه خلال هذا البحث، بالإضافة إلى إبراز الجوانب

الأصيلة فى التصوف الإسلامى، وبصفة خاصة عند أصحاب الطرق الصوفية، ونقد بعض الإتجاهات المنحرفة عند أدعياء التصوف ودراويش الطرق الصوفية .

ولما كان موضوع هذا البحث يقوم على دراسة أصول التصوف الإسلامى ومذاهبه منذ نشأته وتطوره حتى العصور المتأخرة، مع دراسة ميدانية للطرق الصوفية، فإن من بين أهداف هذه الدراسة، تحليل العناصر الفلسفية، والدينية التى أثرت فى نشأة وتطور الطرق والجماعات الصوفية، منذ عصر النشأة حتى العصر الحديث، وكذلك، إبراز الدور الكبير لأهم الشخصيات الصوفية الكبيرة في قيام مدارس وطرق صوفيه لها أثرها فى التوجيه العلمى والإخلاقى فى العصر الحديث، ثم الكشف عن بعض الطرق والشخصيات الصوفية التى لم يتناولها الباحثون بالدراسة من قبل .

وقد اتبعنا فى هذه الدراسة المنهج التحليلى التركيبى سواء فى تحليل نشأة الطرق والمذاهب الصوفية، أو تكوينها وتطورها عبر العصور وتصنيفها بالإضافة إلى المعايشة الكاملة لبعض أصحاب الطرق الصوفية فى العصر الحديث والمشاهدة الفعلية لمظاهر الذكر وإحياء ليالى الحضرات والموالد ببعض القرى المصرية، وهذا مايتضح خلال الصور الوصفية لهذه المشاهد فى سياق هذا البحث، وقد استندنا فى الدراسة على المصادر الأساسية، الخاصة بأصحاب الطرق والمذاهب الفلسفية الصوفية بالإضافة إلى مصادر أجنبية، فيما قام به بعض الباحثين الغربيين من دراسات على نماذج الطرق والمذاهب الصوفية فى العصور المتأخرة .

وهذا البحث يتكون من خمسة أبواب تضم عشرين فصلاً وخاتمه هى نتائج البحث بالإضافة إلى قائمة كاملة بأسماء المصادر والمراجع العربية والأجنبية،

وبعض صور للمخطوطات والمشاهد التى عايشها الباحث ... خلال دراساته الميدانية لمنطقة البحث .

البـــاب الأول :

يتناول دراسة المراحل الأولى للتصوف الإسلامى، من حيث نشأة التصوف كطوائف وجماعات فى القرنين الأول والثانى، ثم تطور هذه الطوائف من مرحلة الزهد والعبادة إلى مرحلة التصوف كفرقة متميزة عن غيرها من المذاهب الأخرى، وتوضيح اتجاهات ومذاهب كبار شخصيات التصوف السنى المعتدل حتى عصر الإمام الغزالى، باعتباره أكبر شخصية صوفية فى القرن الخامس، جمعت بين الفقه والتصوف فيما يعرف بعلم فقه الباطن. وماكان له من تأثير فى تنقيح مصادر التصوف، والتمييز بين الجانب الصحيح المعتدل وبين الجوانب الفاسدة، لدى الغلاه من ذوى الشطحات وباعتبار الغزالى أيضاً حلقة وصل بين السابقين والمتأخرين .

ثم تناولنا فى الفصل الثانى، التصوف الفلسفى، وتحليل العناصر الفلسفية الدخيلة على الفكر الإسلامى ونقدها، موضحين خصائص ومميزات بعض شخصيات التصوف الفلسفى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين. ولعل أهم الشخصيات التى وضعت أصول التصوف الفلسفى فى هذه الفترة والتى يشملها البحث ذى النون المصرى / ٢٤٥ / هـ، والبسطامى / ٢٦١ / هـ والحلاج / ٣٠٩/ هـ والترمذى/ ٣٢٠ / هـ والشبلى / ٣٣٤ / هـ ، والنفرى / ٣٥٤ / هـ. ثم الإمام الغزالى فى القرن الخامس كناقد لتيارات التصوف الفلسفى .

الباب الثانى : "الخصائص العملية والمذاهب الفلسفية فى التصوف عند المتأخرين مع توضيح التيار السلفى المعارض"

وقد أردنا من هذه الدراسة تحليل مظاهر التصوف وبيان خصائصه العملية فى العصور المتأخرة، وإظهار أثر البيئة المحيطة بالتصوف العملى إلى جانب التصوف الفلسفى النظرى وموقف تيار أهل السلف المعاصر لهذه التيارات الصوفية بجانبيها العملية (عند أصحاب الطرق) والنظرية عند أصحاب المذاهب الفلسفية المختلفة، وذلك من خلال خمسة فصول : -

الفصـــل الأول :

خصائص التصوف ومظاهره العملية عند أصحاب الطرق الصوفية التى نشأت فى القرنين السادس والسابع الهجريين، إذ ظلت آثارهم فى العصور التالية بصفة خاصة فى العصر العثمانى .

فتحدثنا عن الخصائص الجوهرية للتصرف ومظاهره، ثم المظاهر الأساسية للتصوف وتأثره بالبيئة المحيطة السلبية والإيجابية، فى العبادات. سواء فى الذكر، والخلوه وتلاوة الأوراد ثم الفوارق الشكلية والمظهرية بين الطوائف الصوفية .

وفى الفصل الثانى :

"من مذاهب التصوف الفلسفى" تناولنا بالتحليل والنقد مذاهب التصوف الإشراقى، وإتجاهات فلاسفة التصوف فى القرنين السادس والسابع الهجريين، متمثلاً ذلك فى شخصيات كبيرة، كالسهروردى المقتول / ٥٨٧ / هـ ، وعبد الحق بن سبعين / ٦٦٨ / هـ ، وأبو الحسن الششترى / ٦٦٩ / هـ . موضحين الإتجاهات والعناصر الفلسفية والغنوصية والمعانى الرمزية، فيما أنتجوه من أشعار ورسائل ومؤلفات .

وفى الفصل الثالث :

"فلسفة ابن عربى وطريقته الصوفية" ناقشنا فلسفة ابن عربى ومنهجه فى التصوف، وتناولنا بالتحليل نظريات ابن عربى الصوفية فى وحدة الوجود - والحقيقة المحمدية - والإنسان الكامل - والولاية - وخاتم الولاية، ومذهبه فى وحدة الأديان، ثم عللنا مصادر نظريات ونقدنا أقواله فيما خالف فيها الشرع .

ومن ناحية أخرى أردنا الكشف عن طريقة ابن عربى العملية، شأنه فى ذلك شأن أصحاب الطرق، حيث جمع بين الناحيتين الفلسفية النظرية، والعملية من حيث المزج بين العناصر الفلسفية والمواجيد والأذواق القلبية، خلال تجربته الصوفية الذاتية فوضحنا - معنى الطريقة ومرادها عنده، ثم أصولها وقواعدها والتطبيق العملى لهذه الطريقة (التى عرفت باسم الطريقة الأكبرية)، من حيث كيفية الخلوه، وأنواعها، والدخول فيها وآداب الأكل والرياضة، وعلاقة الشيخ بالمريد، والخرقه وسندها .

وقد رجعنا فى ذلك إلى مصادر أصيلة لابن عربى ظهرت ونشرت أخيراً كذلك وضحنا تأثير طريقة ابن عربى ومذهبه الفلسفى لدى المتأخرين .

وفى الفصل الرابع :

"نصوص مختاره" من أثار فلاسفة التصوف المتأخرين، أردنا بهذا تحليل بعض النصوص الفلسفية التى تتعلق بقضايا صوفية ودينية، وكيف استطاع المتصوفه معالجتها على أسس وتجارب ذوقية وذاتية، وكذلك، لتوضيح مدى تأثير النزعة الفلسفية لدى ابن عربى عند الشراح المتأخرين، لذلك تم اختيار نماذج من النصوص التى تتعلق بالقضايا الإسلامية فى شبه نصوص مختاره .

النص الأول : مراتب الوجود لصدر الدين القونوى / ت عام ٦٧١ هـ .

النص الثانى : الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم - لعبد الكريم الجيلى / ٨٠٥ / هـ .

النص الثالث : الإنسان الكامل - لعبد الكريم الجيلى / ٨٠٥ / هـ .

النص الرابع : شرح على التجليات الإلهية (عند ابن عربى) لابن سود وكين / ٦٤٦ / هـ .

النص الخامس : شرح على مسألة الذات والصفات والأسماء والولاية لابن عربى - شرح عبد الوهاب الشعرانى / ٩٧٣ / هـ .

الفصل السادس : نصوص من كتاب المواقف الإلهية - لابن قضيب البان / ١٠٤٠/ هـ وفى هذا النص حاولنا مقارنة ماورد عند ابن قضيب البان، وبماسبق من شرح لنصوص فى المواقف والمخاطبات للنفرى المتوفى عام / ٣٥٤ هـ / .

الفصل الخامس :

التيار السلفى المعارض للتصوف فى العصور المتأخرة حيث وضحنا موقف أئمة علماء السلف المعاصرين لتيارات التصوف العملى المتمثل عند أصحاب الطرق، وتيارات التصوف الفلسفى عند فلاسفة التصوف النظريين ومن ناحية أخرى كشفنا عن موقف إمام السلف المتأخر تقى الدين ابن تيمية / ٧٢٧ / هـ ، ونقده لهذه المذاهب وبصفة خاصة فى قولهم فى الولاية، والنبوة، والكرامات وخوارق العادات، ونقده الشديد لغلاة التصوف وأدعياء الطريق ودراويشه ثم بيّنا طريق التصوف الإسلامى وجوهره الصحيح كما يراه علماء السلف وبصفة خاصة الإمام ابن تيمية .

الباب الثالث : "أصحاب الطرق الصوفية وشيوخها وأثارها التربوية والعملية فى القرن السادس الهجرى" .

وقد أردنا بهذه الدراسة تحليل الآثار التربوية والعملية وتوضيحها لدى مشايخ الطرق الصوفية، التى نشأت فى القرن السادس الهجرى، ومعاصرة شيوخها لأكبر تيارات التصوف الفلسفى، مبرزين أصولهم، وإتجاهاتهم فى تفسير القضايا الدينية، تلك التى عالجها علماء الكلام والفلاسفة بالمنهج العقلى وذلك من خلال أربع فصول كالآتى : -

الفصل الأول : الشيخ عبد القادر الجيلانى وطريقته الجيلانية وأهم فروعها، فتناولنا بالدراسة والتحليل - سيرته وحياته، ثم أصول طريقته، وآرائه فى التصوف الصحيح ومنهجه والكرامات والموارد الإلهية، ومجاهداته وأحواله، ثم أداب السلوك فى الطريق وتحليل لمعانى القضاء والقدر، والصفات الإلهية وآثار ذلك فى أتباعه ومريديه .

الفصل الثانى : ضياء الدين أبو النجيب السهروردى، وطريقته وفروعها - حيث ركزنا على أهم الجوانب السنية الأصيلة فى طريقته، ومقامات الطريقة وفروعها وآثارها عند حفيده أبو حفص عمر السهروردى / ٦٣٢ / هـ وأثر هذه الطريقة فى سلطان العاشقين عمر بن الفارض ٦٣٢ / هـ وكيف أن هذه الطريقة امتداد حقيقى لمدارس الجنيد والمحاسبى والقشيرى، والغزالى .

الفصل الثالث : أحمد بن أبى الحسين الرفاعى وطريقته الرفاعية وفروعها، ولعل مصدر إهتمامنا بهذه الطريقة وشيخها يرجع إلى إنتشارها الواسع بين طوائف الشعوب العربية والإسلامية وفى مصر بصفة خاصة، فتناولنا بالتحليل أصول الطريقة وآدابها وحياة الرفاعى وسيرته وأثاره وتدرجه الروحانى فى أحواله ومقاماته ومكانته فى حكومة أهل الباطن الروحية، فى القطبانية والغوثية، ثم بينا مكانة العقل وأهميته عند الإمام الرفاعى، ووضحنا نظريته الذوقية فى الحقيقة المحمدية، والخلوه وشروطها والولاية وشروطها. ثم تتبعنا طبقات الرفاعية وتسلسلها فى بلدان العالم الإسلامى حتى العصر الحديث .

الفصل الرابع : أين الصباغ القوصى، فقد شغل دوائر كثيرة من دوائر الفكر الإسلامى فى القرن السادس والسابع الهجريين وكانت له مكانة ممتازة بين صوفية عصره إذ ترك آثاراً تربوية وأخلاقية وفكرية عند غيره من الصوفية، كما وضحنا فى سياق البحث بالإضافة إلى مذهبه فى الصفات والتشريع الإلهى .

الباب الرابع : **أصحاب الطرق الصوفية في القرن السابع الهجرى شيوخها وأثارهم التربوية والفلسفية :**

وتشمل هذه الدراسة مجموعة من كبار الشخصيات الصوفية، الذى أثروا فى إتجاه الحياة الروحية الإسلامية فى القرن السابع الهجرى ومابعده مع إبراز الأصول التربوية والأنظار الفلسفية عند بعضهم فيما تركوه من قصائد وأشعار ورموز وإشارات وذلك من خلال خمسة فصول هى : -

الفصل الأول : القطب الكبير عبد السلام ابن مشيش وطريقته، وهذا الصوفى يعتبر ممن وضعوا أصول طريقة جديدة تقوم على الجمع بين العلم والعمل، وكانت له مناظرات دافع فيها عن الأصول الإسلامية، وتصدى لبعض الملاحدة وأدعياء الولاية والنبوة فى عصره من أمثال "ابن أبى الطواجين" وقد ضحى بحياته في سبيل نصرة الحق ولقب فيما بعد بالقطب الشهيد. وكان لابن مشيش أثر واضح فى تربية المريدين وسالكى الطريق إلى الله تعالى، وخرج من مدرسته القطب الكبير أبو الحسن الشاذلى فيما بعد. ونظرا لأهميته فى مجال التصوف السنى

تناولنا بالتحليل حياته وسيرته وآثار، وأصول طريقته ومقاماته وأحواله، بالإضافة إلى أحزابه وصلواته ورموزها ومعانيها . ووصاياه لمريديه . وتحليل رموزه وإشاراته فى ألفاظه وعباراته .

الفصل الثانى : الإمام أبو الحسن الشاذلى وطريقته الشاذلية حيث سار فى طريقته على منهج أستاذه إبن مشيش فجمع بين العلم والعمل، والطهارة والعمل الصالح، ونبذ دعاوى التواكل والولاية، فتحدثنا عن سيرته وحياته وأصول طريقته والطريق القصد إلى الله تعالى كما وضحه لتلاميذه ومريديه، ثم آرائه فى الولاية وأداب المجالس وصفات وشروط القطبانية الحقيقة وشرح أحزابه وأوراده ورموزه. وقد كان للشاذلى أثار واضحة في توجيه التصوف إلى طريق السلف، فهو امتداد حقيقى لمدرسة القشيرى والغزالى فى التصوف .

الفصل الثانى : ابن الفارض والعشق الإلهى - إذ يعتبر ابن الفارض وعشقه الإلهى ميراثاً حقيقياً لشهيدة العشق الإلهى السيدة رابعة العدوية ١٨٥/هـ فهام حباً وشوقاً فى محبوبته، وعبر عن ذلك فى صور رمزية وفى معان ذوقية وأشواق ومواجيد، فكان يخاطب محبوبته ويصورها فى قوالب حسيه كرمز إلى كثرة الشوق والوحدة المطلقة فى الشهود والتجلى الإلهى فى الأشياء والصور. وقد اعتبرناه من أصحاب وحدة الشهود لامن أصحاب وحدة الوجود كما زعم ذلك بعض الباحثين، ولذلك تناولنا أشعاره ورموزه بالتحليل والشرح من خلال ديوانه،

وتائيته الكبرى فى السلوك. ووضحنا سيرته وحياته وأصول مذاهبه وطريقته الصوفية، وأحوال ومواجيده، وصلته بصوفية عصره والسابقين عليه .

الفصل الرابع : السيد أحمد البدوى وطريقته وفروعها :

إذ يعتبر السيد البدوى من كبار أقطاب الطرق الصوفية فى عصره وأصبح لطريقته الإنتشار الواسع فى أرجاء العالم العربى والإسلامى، وكتب عنه الباحثون والمستشرقون العديد من البحوث والمقالات، غير أن بعض هذه البحوث كان ينقصها كثير من الوضوح والرؤية الحقيقية لأصول طريقته، فقد جمع فى طريقته بين العلم والعمل، أو بين الشريعة والحقيقة، كذلك تقوم طريقته على التربية وجذب المريدين إليه بمجرد النظر إليه، وقد شهد له علماء عصره وإن كان قد اعترض عليه بعضهم، ونظراً لمكانته وشخصيته القوية، والتزامه الصارم بأصول الشريعة أعجب به كثير من كتاب التصوف ومريديه فيما بعد فنسجوا حوله الأساطير والخيالات الكثيرة والتى تناولناها بالتحليل والنقد فى سياق هذا البحث .

ونظراً لأهمية السيد البدوى وطريقته، وإظهاراً لحقيقة مذهبه تحدثنا عن حياته وسيرته بما يفيد مجال البحث مستبعدين كل تلك الخيالات الأسطورية التي حكاها مؤرخوا الطبقات المتأخرين عنه ثم بينا أصول طريقته وعناصرها، والخرقة وسندها وأداب الطريقة وسندها، وأخذ العهود وحلقات الذكر، بالإضافة إلى أحزابه وأوراده وتحليلها وشرح رموزها. ثم وضحنا مقصوده بالفقير أو الصوفى كما شرحها، ونقلها عنه تلامذته، وفى نهاية هذا الفصل تحدثنا عن خلفاء السيد البدوى، وفروع طريقته حتى العصر الحديث .

الفصل الخامس : الطريقة البرهامية وشيخها السيد إبراهيم الدسوقى وفلسفته الصوفيه :

وللسيد إبراهيم الدسوقى أهمية فى تدعيم أصول التصوف السنى من حيث الجمع بين الحقيقة والشريعة، وتربية المريدين على الأخلاق الحميدة، وطهارة الباطن وتهذيب السلوك فقد عاصر الدسوقى تيارات التصوف الفلسفى، وتحدث بلسان القوم فى الحقيقة والشريعه، وظهرت لديه رموز تحمل معان وأنظار فلسفية، وربما نزعات تذكرنا بأصحاب نظريات وحدة الشهود، والحقيقة المحمدية والإنسان الكامل قطب الوجود أو الإتحاد بالذات، وغير ذلك مما ظهر فى أشعاره من رموز وإشارات، مما دفعنا لتخصيص جزء كبير من دراستنا لإبراز الجوانب الفلسفية والرمزية فى طريقته. وقد غالى المؤرخون فى وصف أحواله وكراماته، فأغرقوه فى جملة من الأساطير التى لاحد لها .

ومن الجدير بالذكر أن البحث انصب هنا على مناقشة الجوانب المميزة لطريقته عن سائر الطرق التى عاصرها، من حيث منهجه فى التربية الأخلاقية وتنظيم السلوك، وتهذيب النفس وطهارة الباطن من الآثام والخبائث، ثم أبرزنا أهم مقومات الطريق لديه، والخرقة وسندها وأخذ العهود والمواثيق ثم إشارته وأحزابه وأوراده وصلته بالطريقة الشاذلية والرفاعية ثم النزعة الفلسفية والرمزية فى أشعاره وإشاراته. ومن الجدير بالذكر أنه لم يسبق أحد إلى دراسة هذه الجوانب عند الدسوقى فيما نعتقد .

الباب الخامس : دراسة ميدانية للطرق الصوفية من العصور المتأخرة حتى العصر الحديث : ولهذا الباب فى مجال الدراسة الميدانية للطرق الصوفية - أهمية خاصة فى هذا البحث، حيث أنه يكشف لأول مرة عن طرق ومذاهب جديدة ظهرت فى محيط التصوف الإسلامى فى العصور المتأخرة وفى العصر الحديث، بالإضافة إلى قيام الباحث بدراسات ميدانية متمثاة فى زيارات لأصحاب ومشايخ هذه الطرق، والمشاهدة الفعلية لمظاهر وأشكال وفروع الطرق الصوفية، والتمييز العملى بين هذه الفروع وإبراز الجوانب الأصلية فيها، وتحليل ونقد بعض المظاهر السلبية وأمور الدروشة والإدعاءات الكاذبة من جانب ومريدى الطرق أو الدخلاء عليها، وكذلك وضع صورة حقيقية عن الحكومة الباطنية - أو حكومة الباطن فى مقابل حكومة الظاهر، وتتبع آثار حكومة الباطن فى دوائرها الداخلية أو الخارجية فى منطقة البحث « بوسط الدلتا » والإستعانة برسوم توضيحة وصور فوتوغرافية لمشاهد كثيرة بالإضافة إلى مخطوطات وجدها الباحث بأضرحة الأولياء بالمنطقة. وقد تمكن الباحث من عقد مقابلات شخصية بينه وبين مشايخ الطرق الصوفية وبصفة خاصة شيخ مشايخ الطرق الصوفية الان الأستاذ الدكتور أبو الوفا "التفتازانى" وأحاديثه بالإذاعات المصرية عن أصول الطريق الصوفى ومعانيه .. ألخ .

وقد رجع الباحث بالإضافة إلى المخطوطات إلى كتب طبقات الصوفية المتأخرين كالشاذلية والأحمدية البدوية، والرفاعية والبرهامية، حيث استوضح من خلالها تتابع سلسلة الطرق منذ نشأتها حتى العصر الحديث، ثم مكانة أولياء المنطقة فى حكومة الباطن، واختصاص كل ولى ممن وقع عليهم الاختيار كنماذج

لهذه الدراسة، بمرتبة فى هذه الحكومة، كرتبه القطبانية والغوثية، أو مراتب الاوتداد والإبدال والنجباء والنقباء.. وهكذا وقد صنفت كل ولى فى مرينته الخاصة به كما اتضح من خلال الزيارات والدراسات الميدانية بالإستعانة بكتب الطبقات والمخطوطات .

وعلى ذلك فقد رتبنا هذا الباب ، لكى يشمل كل هذه الدراسات على النحو الآتى : -

الفصل الأول : الإطار النظرى والتحديد المنهجى للدراسة حيث وضحنا نظرية حكومة الباطن عند الصوفية - مفهومها ومعناها وأهميتها فى دوائر التصوف وعناصرها وخصائصها. ثم وضحنا خطة البحث ومنهج الدراسة، ووسائلها وأهدافها .

وفى الفصل الثانى : دراسة تطبيقية على نماذج من الطريقة الجيلانية والرفاعية، فقمنا بتحديد منطقة البحث وتناولنا عدة شخصيات من متأخرى الجيلانية ومكانة كل شخصية فى حكومة الباطن، ثم قمنا بتطبيق ذلك أيضاً على نماذج من الرفاعية، بمنطقة البحث. وقد وضعنا فى إعتبارنا أيضاً، وصف لمظاهر الاحتفالات وإقامة الحضرات والذكر ... ألخ .

وفى الفصل الثالث : الطريقة الشاذلية دراسة لشخصياتها وتراثها فى العصر الحديث، حيث تكشف لأول مرة عن عناصر وشخصيات جديدة لهذه الطريقة فى العصر الحاضر، فتناولنا بالتحليل والتركيب الميدانى أهم مظاهر الطريقة الشاذلية الان، وفروعها وتراثها فأشرنا

باختصار إلى أبى العباس المرسى / ٦٨٦ / هـ ، وأثره فى قيادة الطريقة، ثم ابن عطاء الله السكندرى / ٧٠٩ / هـ ، ثم الإمام أحمد زروق، ٨٩٩ / هـ ثم عبد السلام الأسمر الفيتورى / ٩٧٣/ هـ وعبد الرءوف المناوى / ١٠٣١ / هـ ثم أحمد بن عجيبه الحسنى / ١٢٢٤ /هـ ، والشيخ محمد القواقجى الحسنى/ صاحب القرن الثالث عشر الهجرى / والسيد حسين حسنين الحصافى/ الطريقة الحصافيه المتوفى عام ١٩١٠/ م ثم سيدى سلامه الراضى والعارف بالله تعالى عبد الواحد يحيى/١٩٥١ هـ/ والشيخ عبد الفتاح القاض ١٩٦٤م .

وربما تحدث الدكتور عبد الحليم محمود عن شخصيتين من هذه الشخصيات غير أنه لم يتتبع سائر الشخصيات وطرقها وفروعها كذلك أغفل كثيراً من المصادر الأساسية فى هذا المجال .

وفى الفصل الرابع : الطريقة الأحمدية والطريقة البرهامية دراسة تطبيقية مع إبراز أهم الفروع فى العصر الحديث حيث تناولنا بالتحليل والتركيب دراسة أهم النماذج كإمتداد لسلسلة الطريقتين فى العصر الحديث، وأبرزنا افتراءات المؤرخين وأصحاب الطرق والطبقات فى كرامات السيد البدوى ثم نماذج تطبيقية من كبار مشايخ وأولياء المنطقة منهم الشناويه التى تنسب لخليفة الطريقة الأحمدية البدوية فى القرن العاشر السيد محمد الشناوى / ٩٣٢/ هـ ، ثم البيومية وشيخها على البيومى / ١١٨٣هـ/

وتراثه وأثاره، ثم الطريقة الخليلية وشيخها السيد محمد أبو خليل/ ١٩٢٠م/ وأصول طريقته ومكانته فى عصره، ثم سند هذه الطريقة ومظاهرها فى الذكر والسماع، ومقامات السالكين فى الطريقة، ثم وضحنا فيما بعد نماذج بسيطة من سلسلة الطريقة البرهامية، ومكانتهم فى حكومة الباطن الصوفية .

ولعلنا بهذه الدراسة التحليلية التركيبية لأصول الطرق والمذاهب الصوفية، نكون قد أضفنا منهجاً جديداً فى مجال الدراسات الفلسفية والأخلاقية والذوقية، وتوضيح جوانب أخرى للأصول الثقافية والحضارية العربية والإسلامية .

فلم يألو الباحث جهداً منذ أكثر من أربع سنوات قضاها فى سبيل جمع المصادر الأساسية، وعمل الدراسات الميدانية وتتبع سلسلة وأسانيد الطرق الصوفية، وترتيبها وإعدادها بما يلائم طريقة البحث ومنهجة وأهدافه ولاأدعى أننى وصلت بذلك حد الكمال، فإنما الكمال لله وحده وإنما هى محاولة من جانب الباحث عسى أن تنير الطريق أمام شباب الباحثين فى هذا المجال الخصب من الدراسات الفلسفية والصوفية الأصيلة .

وفى ختام هذا البحث، فإننى أتوجه بالشكر العميق والعرفان بالجميل إلى كل من ساهم بالفكر والنظر والعمل وإلى كل من ساهم بالتوجيه والإرشاد الصحيح فى سبيل إنجاز هذا البحث، وخروجه إلى حيز الوجود حتى يضيف لبنة جديدة فى مجال الدراسات والبحوث الإسلامية والعربية وأخص بالذكر هنا :

أساتذتى الأجـــلاء :

الأستاذ الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى، شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى العصر الحاضر، لما يحمل لطلابه وتلاميذه من حب وتقدير، وحسن توجيه وإرشاد .

كما أجدنى مدان بالفضل لأستاذ كبير، يحمل على أكتافه وفى وجدانه مشاعل الحضارة والثقافة العربية والإسلامية، فى سبيل بعث جديد، ينهل من نبعها العذب الفياض الأستاذ الدكتور / عاطف العراقى - أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة إذ أسدى لسيادته خالص شكرى وتقديرى العميق. لما أجد لديه من رحابة الصدر، والمودة الصادقة، الخالصة لوجه الله تعالى .

كما أتذكر بهذه المناسبة شيخ جليل، كان له فضل كبير فى بعض المعانى الروحية، فى نفسى، وبثها فى وجدانى منذ عهد الصغر، ولما كان يلقى علينا فى جلساته من فيوضات نورانية، ونفحات روحية، وتخريج لمعانى النصوص على منهج الذوق والوجدان والمشاهده، هو المرحوم الشيخ محمد محمود السنباطى، رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته، ورضى الله تعالى عنه، إذ كان مثالاً للتقوى والعمل الصالح ونبعاً صافيا لمعانى الخير والحق والجمال .

كما أتوجه بالشكر العميق للسادة مشايخ الطرق الصوفية من السادة الرفاعية، والأحمدية والبرهامية، ممن كان لهم فضل إمداد الباحث بما يحتاجه من عون وسند فى مجال البحث - وإلى السادة الأحباب "الخليلية" بالإسكندرية والشرقية بمصر أسدى إليهم آيات الشكر والثناء، وأسمى معانى الوفاء والتقدير

والاحترام لما لمسه الباحث لديهم من تعاون صادق فى سبيل الحق والخير والمحبة الصادقة فى الله تعالى ورسوله الكريم .

ونسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل العلمى خالصاً لوجهه الكريم ونسأله تعالى حسناته فى الدنيا والأخره، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وعلى الله تعالـى قصـــد السبيل

والحمــد للـــــه رب العالميـــــن

✍

دكتـــور

محمد محمود ابو قحف

أستاذ الفلسفة المساعد

كلية الآداب - جامعة الزقازيق

(برما - محافظة الغربية)

الخميس الموافق ٢٧/٦/١٩٩١م

الباب الأول

تطـــور التصـوف الإســـلامى



﴿ الفصل الأول ﴾

« المراحل الأولى للتصوف الإسلامى »

تمهيد :

التصوف ظاهرة روحية وجدانية تتمثل فى الإيمان العميق بأصول الكتاب والسنة المطهرة والتأسى بسيرة النبى ﷺ وحياة كبار الصحابة والتابعين والصالحين- وذلك فى صورته الأولى وهى حياة الزهد والعبادة التى يمثلها عدد كبير من طوائف المسلمين فى القرنين الأول والثانى الهجريين. ولعل دلالة هذا اللفظ - كما سنبينه فيما بعد، يدل دلالة قاطعة على حياة الزهد والعبادة التى تمثلها العباد والزهاد الأوائل، والتى استمرت خلال القرون التالية عند ماأصبح لهؤلاء منهج خاص بهم . منهج ذاتى ذوقى يعبر عن المعانى والإلهامات الداخلية لهذه الأمة الإسلامية .

ولاشك أن الجانب الذوقى والروحى الأصيل، نستطيع أن نلتمسه من حياة هؤلاء الزهاد والعباد والذين استنبطوا علومهم الروحية مما أفاض الله عليهم من أحوال ومكاشفات قلبية. وماصدر عنهم من أقوال وتعبيرات تتفق مع أصول الكتاب والسنة المطهرة بغض النظر عما صدر عن بعض المتسبين إلى هؤلاء القوم ممن عرفوا بفلاسفة التصوف الذين مزجوا المعانى الوجدانية بالأنظار الفلسفية، الغريبة على الإسلام .

وقد استمر هذا المدد الروحى منذ القرون الأولى حتى ظهر الإمام الغزالى ٤٥٠ هـ/ ٥٠٥/ هـ الذى أصل طريق القوم بين الظاهر والباطن وأثر تأثيراً عميقاً فى أصحاب الطرق من الصوفية المتأخرين. وهو يحق وكذلك الإمام القشيرى ٤٣٤هـ من الإعلام الذين أصلوا الطريق وأخذ عنهم متأخرى الصوفية جوهر التصوف السنى الأصيل .

ونريد هنا أن نبين أصول التصوف السنى وتطوره حتى العصور المتأخرة .

أولاً : مرحلة الزهد والعبادة : -

مر التصوف الإسلامى بمراحل وتطورات مختلفة منذ نشأته الطائفية بين الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى. وقد أمتازت هذه المراحل التى مر بها التصوف بألوان وأشكال مختلفة، واتخذ

طابعاً يتفق مع التيارات الثقافية والدينية أو يختلف معها عبر العصور التى مر بها حتى العصور المتأخرة .

وإن كانت بعض الدراسات المتخصصة فى مجال التصوف تركزت أساساً على إبراز عوامل ونشأة التصوف فى الإسلام، وكذلك الإتجاهات المضادة لطوائف الصوفية. [١] فإن هذا المنهج ليس مجالنا إذ أننا نهتم هنا بإبراز أهم خصائص ومميزات التصوف فى مراحله المختلفة حتى العصور المتأخرة .

فنرى أن المرحلة الأولى : لم تكن كلمة التصوف قد ظهرت أى فى غضون القرنين الأول وبداية الثانى الهجرى ولم تطلق هذه الكلمة على - العباد والزهاد الأوائل - إذ أن حياتهم كانت تصطبغ بألوان من العباده والزهد والتقوى والإخلاص لله سبحانه وتعالى فى السر والعلن مقتدين فى ذلك بالآيات القرآنية وحياة النبى ﷺ الروحية وكبار صحابته، وهذا ماكان يميزهم عن غيرهم من سائر الخلق .

إذن فالمرحلة الأولى : هى مرحلة الزهد والعبادة، إذ أن إطلاق لفظ الصوفية على هؤلاء لم يكن قط ظهر [٢] وكان من هؤلاء شخصيات كبيرة لها أثر كبير فى تطور الحياة الروحية

---

(١) لمزيد من الدراسات فى هذا المجال نذكر :

(أ) الدكتور على سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام - جـ٣ (التصوف...) ط دار المعارف ١٩٦٩م .

(ب) دكتور - عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ط دار الفكر العربى - ١٩٦٧م - كذلك - نيكلسون - فى التصوف الإسلامى وتاريخه. ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى - ط القاهرة - ١٩٥٦م. كذلك دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحيادة الروحية فى الإسلام - ط الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٤م . دكتور مصطفى حلمى - الإمام ابن تيمية والتصوف ط دار الدعوة - ١٩٨٣م .

(٢) التصوف : مصدر الفعل الخماسى المصوغ من صوف للدلالة على لبس الصوف، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى فى الإسلام "صوفيا" وينبغى رفض ماعدا ذلك من الأخوال التى قال بها القدماء والمحدثون فى أصل الكلمة كقولهم أن الصوفية نسبة إلى "أهل الصفة" بمسجد الرسول ﷺ ، أو أنهم من الصف الأول من صفوف المسلمين فى الصلاة، أو أنهم من بنى ==

فى الإسلام. بل امتد أثرها الروحى العلمى والعملى حتى هذه العصور المتأخرة، إذ نجد أن أصول الطرق الصوفية وقواعدها ومعارجها الروحية من مقامات وأحوال تمتد من هؤلاء حتى المتأخرين من شيوخ الطرق الحقيقيين وليس أدعيائهم .

لقد شهد القرن الأول والثانى من الهجرة، أعلام كبار من الزهاد والعباد ، الذين اشتهروا بين كبار الصحابة والتابعين بكثرة العبادة والزهد في متاع الحياة الدنيا. وصدرت عنهم أقوال وأفعال تعبر بصدق وإخلاص عن منهجهم العلمى والعملى، فاتخذ المخلصون من صوفيه القرون

= "صوفه" وهى قبيلة بدوية .. ألخ وكذلك نسبت الكلمة لجابر بن حيان ١٩٠ هـ وهو صاحب كيمياء شيعى من أهل الكوفة له فى الزهد مذهب خاص، كذلك نسبت لأبى هاشم الكوفى المتصوف المشهور ..

نظرنا : دائرة المعارف الإسلامية - جـ٩ - ص٣٢٨ . إعداد زكى خورشيد وآخرون - ط الشعب بدون تاريخ .

ويشير القشيرى (أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيرى النيسابورى الشافعى ٣٧٦هـ / ٤٦٥هـ). إلى كلمة التصوف، أو القوم الذين أطلق عليهم هذا اللقب إلى أنهم كانوا فى مرحلة متأخرة من عهد الصحابة والتابعين واتباع التابعين والزهاد والعباد، فيقول "اعلموا أن المسلمين بعد الرسول ﷺ لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله ﷺ ، إذ لافضيلة فوقها، فقيل لهم الصحابة، ولما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين، ورأوا فى ذلك شرف سمة، ثم قيل لمن بعدهم : إتباع التابعين ثم اختلف الناس، وتباينت المراتب . فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين : الزهاد والعباد. ثم ظهرت البدع وحصل التداعى (أى التنازع بين الفرق) فكل فريق أدعى أن فيهم زهاداً، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم "التصوف"، واشتهر هذا الإسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة. نظرنا : الرسالة القشيريه - جـ١ - ص٥٢ ص٥٣ - تحقيق دكتور عبد الحليم محمود، د . محمود بن الشريف . ط دار الكتب الحديثة بدون تاريخ . كذلك يشير ابن خلدون إلى هذا الرأى ويقره أيضاص - راجع - المقدمة ص ٤٦٧ - ط - دار القلم - بيروت ١٩٨٤م وقد درج على هذا الإتجاه الباحثون فى مجال التصوف - تاريخه ونشأته ..

التالية ذلك المنهج عن الأوائل مسلكاً فى حياتهم، ومعراجاً روحياً إلى رحاب الحضرة الإلهية. ونذكر من هؤلاء، على سبيل المثال كبار الصحابة وعلى رأسهم سيدنا أبو بكر رضى الله عنه / ١٣هـ = ٦٣٤م / وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه / ٢٤ هـ = ٦٤٤ م / وسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه والملقب بذى النورين / ٣٥ هـ = ٦٥٥م/ والإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه / ٤٠ هـ = ٦٦٠م / وهم خلفاء رسول الله ﷺ إذ اشتهروا بالزهد والتقوى والعباده والخوف الشديد من الله تعالى وسلكوا مسلك الرسول ﷺ علماً وعملاً، وانفقوا من أموالهم فى سبيل الله تعالى، ولم يملكوا من حطام الدنيا شيئاً، فلم يستأثروا بشىء من متاع الدنيا، وقد تابع سيرتهم كثير من الزهاد والعباد من التابعين. ولانريد الاستفاضه فى هذا المجال. فقد كثرت فيها الكتابات والبحوث التى تتسم بالإفاضة والعمق والشمول (١).

ثم تتابع الزهاد وأهل التقوى من الصحابة والتابعين أيضاً من أمثال أبى الدرداء رضى الله عنه المتوفى عام/٣٢ هـ = ٦٥٢م/ فقد كان من كبار الصحابة، إتجه إلى الحث على طلب العلم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنظر فى ملكوت الله تعالى للعظة والعبرة. فالتفكير ساعة عنده خير من قيام ليلة، والعمل المفضل لديه هو التفكير والاعتبار. وصدرت عنه أقوال اعتقد أنها أصول وبدايات لمذاهب النقاء من الصوفية فيما بعد مثل قوله "اذكر الله عز وجل فى السراء يذكرك فى الضراء. فإذا أشرفت على شىء من الدنيا فأنظر إلى ماذا يصير" .

والمشهور عن أبى الدرداء أنه وقف فى مواجهة تيارات الثراء والترف التى فشت بين الناس فى دمشق حيث توفى هناك محذراً المسلمين من الإنغماس فيه قائلاً فى الدنيا أنها "دار كدر لانجو منها إلا أهل الحذر" والتزم هو بتطبيق ذلك على حياته .. كذلك كان يكثر من ذكر الموت يستمد منه الموعظة ويستشعر الخوف من يوم الحساب فيضاف إلى ذلك أنه كان يبغض جمع المال والثراء، ويشير بضرورة الاعتكاف لأنه يكف الجوارح عن الفتن أو التلهى عن العبادة وذكر الله تعالى ..

---

(١) للمزيد فى ذلك راجع : دكتور مصطفى حلمى - الزهاد الأوائل (دراسة فى الحياة الروحية الخالصة فى القرون الأولى) ص٣٠ - ص٤٩ - ط دار الدعوة - ١٩٧٩م .

وقد كان لأبى ذر الغفارى / ٣٢ هـ = ٦٥٢م / أثر كبير فى مجال الزهد والعبادة، فقد عارض بشدة ترف خلفاء بنى أميه منذ البداية، وحرص رضى الله عنه أن يلقى رسول الله ﷺ على نفس الحال التى فارقه عليها، أى زاهداً فى متاع الدنيا، كارهاً لكنز المال أو الفائض من الثروة، ويؤثر عنه هذا القول ناصحاً المسلمين "ياأيها الناس أنى لكم ناصح، أنى عليكم شفيق، صلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور وصوموا الدنيا لحر يوم النشر، وتصدقوا مخافة يوم عسير". (١)

ومن هؤلاء المتقين العابدين الزاهدين فى القرن الأول أيضاً، عبد الله بن عمر رضى الله عنه، فقد عاش بالمدينة وكان أحد زهادها وعبادها فقد ظهرت عليه علامات الخشوع والتواضع ومعارضة حكام بنى أمية وأشد ماكان عليه خشوعاً إذا قرأ القرآن الكريم .. كذلك فإن سعيد بن المسيب ... كان من كبار التابعين بالمدينة وصفه الإمام أحمد بن حنبل / ٢٤٢ هـ / بأنه أفضل التابعين، فقد كان ينفق المال فى سبيل الله تعالى، ويكثر من قيام الليل ملازماً للمسجد شديد النقد للحكام، كان يرى أن العبادة الحقيقية ليست فى القيام بالصلاة والصيام فقط بل "العبادة بالتفكير فى أمر الله والورع عن محارم الله تعالى "ورأى كذلك "أن العزة الحقيقية فى العبودية لله تعالى" .

وقد تتابعت مجموعة أخرى من الزهاد والعباد فى هذه الفترة منهم مجاهد بن جبير ١٠٣ هـ = ٧٢١م /. ويؤثر عنه علمه بالتفسير القرآنى وإدراكه للمعانى الروحية، ووضعه لأمور نعتقد أنها من المآثر التى يستقى منها الزهاد والصوفية علومهم وفهمهم للنصوص القرآنية مثال ذلك تفسيره لقوله تعالى "واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة" سورة لقمان (٢٠) إن معنى النعمة الظاهرة الإسلام والقرآن والرسول والرزق - وأن المقصود بالنعمة بالباطنة هى ماستر من العيوب والذنوب". (٢)

كذلك صدرت عنه نظريات فى "المراقبة لله تعالى - والخوف من الله تعالى والنفس المطمئنة - والحزن الشديد والبكاء والهم ... الخ(٣)

---

(١) للمزيد - راجع - المصدر السابق - ص٤٩ - ٦١ .

(٢) المصدر السابق - ص٦٥ - ٧٦ - كدلس ابن كثير - البداية والنهاية جـ٩ - ص٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) نفس المصدر - ص٧٧ .

وكان لسعيد بن جبير / ٩٤ هـ = ٧١٢م / أثر كبير في حياة الزهد والعباده - وتطور الحياة الروحية فى الإسلام مستمداً أصوله من معين الكتاب والسنة وسيرة سلفة من الصحابة والتابعين .

فلم يخشى فى سبيل الحق سيف الحاكم. وقد ضمه الإمام أحمد بن حنبل ضمن الزهاد فى كتابه "الزهد" وأورد له آراء عميقة فى الحياة الروحية، وشهد له الحسن البصرى المتوفى عام / ١١٠ / هـ أمام أهل السنة بالبصرة بالتقوى والورع وعدم خشيته الحاكم فى سبيل إظهار كلمة الحق، ولم يأخذ بالتقية كما أشار عليه الحسن البصرى بل رأى عدم التقية فى الإسلام وأعتقد أن هذا الرأى من جانب سعيد بن جبير يعنى فى سبيل إظهار كلمة الحق فى وجه السلطان الظالم .

أما سفيان الثورى / ١٦١ هـ = ٧٧٧م / فقد كان يلقب بأمير المؤمنين فى الحديث(١) وكان يشتهر بالعلم والورع والتقوى، وهذا ماكان يتميز به أهل السنة والسلف المتقدمين. إذ كانوا يطلبون العلم والعمل به، فلم يكن الزهاد والعباد، يقفون عند حد السلوك فقط، بل والعلم أيضاً. ليجعلوا من أنفسهم قدوة للمسلمين، ولكن مانهتم به هنا دون أن نسترسل: هو مكانته فى الزهد... فقد كان له رأى سديد فى ذلك قد يختلف عن إتجاه البعض الذين كانوا يتخذون الزهد تطهراً للتقشف فى الملبس والمأكل، ويتضح لنا ذلك من خلال تعريفه "للزهد" فيقول "أن الزهد فى الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولالبس الغليظ. (٢)

ويعتبر سفيان الثورى من الرجال الأوائل الذين وضعوا أصول طريقة الزهد فى التصوف الإسلامى فيما بعد، كذلك كانت له آراء فى الخوف والرجاء والنية والتقوى .. واتسمت آراؤه فى هذا المجال بالأصالة إذ أعطى للزهد كمذهب فى الحياة صيغته المشروعة فى الحياة الإسلامية. (٣)

---

(١) دكتور - عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف - (سفيان الثورى) - ص٤ - ص٥ . ط دار المعارف - ١٩٨١م .

(٢) دكتور مصطفى حلمى - الزهاد الأوائل - ص٩٩ .

(٣) للمزيد فى ذالك - راجع - دكتور على سامى النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام (التصوف) جـ٣ - ص٣٤٠ - ط - دار المعارف ١٩٦٩م كذلك - الدكتور - عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف سفيان الثورى ص٥ ، ص٧ - وما بعدها .

كانت لسفيان الثورى آراء فى طلب العلم - إلى جانب السلوك والتزام التقوى والزهد - مما يدل على خصائص العصر الأول للإسلام ومن ذلك قوله: «الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز، ويطلب العلم وحفظه ثم العمل به، ثم نشره.. وطلب العلم عند الثورى ليس من أجل الشهرة أو الغرور- بل للتقوى والخشية من الله عز وجل، كذلك طلب العلم للعمل به، يقول أيضاً « زينوا العلم بأنفسكم ولا تتزينوا بالعلم، فالأعمال السيئة داء، والعلم دواء ..» (١)

وجدير بالذكر أن لسفيان الثورى آراء فى النية، والخوف والرجاء والفقه وتقويم السلوك الأخلاقى فضلاً عن الزهد والتقوى وخشية الله تعالى والعلم .. (٢) مما يدل على سيرته وحياته العلمية ويشهد لهؤلاء الأوائل من الزهاد بالإلتزام بمنهج الإسلام وعقيدة أهل السنة والسلف .

وإذا أردنا أن نذكر من هؤلاء الزهاد والعباد، ممن كان لهم أثر كبير بسلوكهم وعلمهم فى وضع أصول وقواعد الطرق الصوفية فى القرون التالية،فإننا نقف قليلاً عند الفضيل بن عياض (أبو على) المتوفى عام /١٨٧هـ = ٧٩٣ /م كان إماماً ربانياً، عابداً شديد الخوف دائم الفكر، من أقواله « قلوب العارفين الهموم عمرانها والأحزان أوطانها، جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها، ومن خاف الله لم يضره شيئ ومن خاف غيره لم ينفعه شيئ، يهابك الخلق على قدر هيبتك لله» (٣) ويذكر عنه الإمام القشيرى /٣٧٦ -٤٦٥ هـ/ . أقوال تدل على مبلغه فى مقامات الزهد والخوف والحزن والخشية لله تعالى والندم والتوبة على مااقترفه من ذنوب. حيث كان فى مقتبل عمره قاطعاً للطريق ثم تاب الله تعالى عن الذنوب والمعاصى، وإنطوى على الحزن الشديد والندم فمن أقواله «لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على ولا أحاسب بها لكنت أتقزز بها كما يتقزز أحدكم من الجيفة إذا مربها أن تصيب ثوبه» وقوله «إن الله أحب أمراً فأحببت ذلك» قال هذه العبارة عندما توفى ابنه «على» إذا رآه الناس فى هذا اليوم ضاحكاً مبتسماً. كذلك له أقوال فى نبذ المرأة. (٤)

---

(١) دكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف - سفيان الثورى - ص٢١ ص٢٢ .

(٢) للمزيد فى ذلك - راجع المصدر السابق - أماكن متفرقة .

(٣) الدكتور - عبد الحليم محمود - الرسالة القشيرية (الحاشية) جـ١ . ص٦٢ .

(٤) راجع - القشيرى . الرسالة القشيرية - جـ١ - ص٦٢ - ص٦٤ .

وقد كان لسيرة إمام البصرة. الحسن البصرى / ١١٠هـ = ٧٢٨م أهمية فى بنـاء أصـول الطرق الصوفيـة فى القـرون التالية. علماً وعملاً، وإن كان ذلك سمة للزهـاد الأوائــل/ حيث جمعوا بين جانبى العلـم والعمل فإن الحسـن البصـرى يرجع إليه الفضل الكبير فى تدعيم هذه الطريقة، بل فى رأى أنه قد وضع الأصول الهامة فى منهج صوفية أهل السنة فيما بعد. إذ يتضح أن آراء الحسن البصرى تصل بين تيار الزهد وبين التصوف السنى فى مراحله المتعقبة حتى العصور المتأخرة فى نطاق الطرق الصوفية التى إصطبغت بالصبغة العملية أكثرمن الجانب الفكرى النظرى. إذا علمنا أن الزهد تطور بعد الرعيل الأول إلى التصوف الذى إتسع مجاله كتعبير عن مظاهرالحياة الروحية الإسلامية .

وإذا كانت حياة الزهاد الأوائل قد إمتازت بطابع التقشف وكان يغلب عليهم طابع الحزن والبكاء والخوف من الله تعالى، ومن إرتكاب المعاصى كبرت، أو صغرت، والطمع فى محبة الله تعالى لذاته والفوز برضائه والبعد عن النار.. إلخ فإن الحسن البصرى خير معبر عن هذا المسلك فى طريق القوم فقد طبع الزهد بطابع الحزن مع الخوف .

فمن الأقوال المأثورة عن الحسن البصرى قوله «يصبح المؤمن حزيناً ويمسى حزيناً ولا يسعه غير ذلك. لإنه بين مخافتين، بين ذنب قد مضى لايدرى ما الله فاعل فيه، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما يصيبه فيه من المهالك ..» وفى قول آخر يقول «لمن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده وأن القيامة بين يدى الله تعالى مشهده أن يطول حزنه». (١)

لقد كان الحسن البصرى يطبق هذا السلوك في حياته العملية، ويبدو هذا فيما يروى عنه " فقد كان حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوثن" .

يقول عنه أبو طالب المكي ت عام /٣٨٦ هـ /كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حمية، وأذا جلس فكأنه أسير قد امر بضـرب عنقه وكان إذا ذكـرت النار فكأنها لم تخلق إلا لـه" (٢)

---

(١) الأصفهانى أبو نعيم / / حلية الأولياء - حـ٢- ص١٣١ - ط - السعادة - القاهرة - ١٩٢٢ .

(٢) أبو طالب المكى - قوت القلوب حـ١ - ص٣٣١ وما بعدها - ط١ القاهرة سنة ١٣١٠هـ كذلك دكتور- عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص١٥٣ .

ويشير القشيرى ٤٦٥ هـ/ إلى طابع الحزن الشديد فى تصوف الحسن البصرى بقوله " كان الحسن البصرى لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة "[١] ويؤرخ لطريقته فى الزهد وطابع الخوف والحزن كل من الشعرانى[٢] والكلاباذى[٣] حيث يدرجه الكلاباذى/ ٣٨٠ هـ /ضمن رجال الصوفية - فى الصدرالأول للإسلام الذين يمثلون الحياة الروحية الإسلامية. فيقول "إن ممن نطق بعلومهم، وعبر عن مواجيدهم. ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً بعد الصحابة رضوان الله عليهم - على بن الحسين زين العابدين/٩٩/هـ وابنه محمد إبن على الباقر/ ١١٧/هـ وإبنه جعفر الصادق/ ٢٢٨هـ / ثم الحسن بن أبى الحسن البصرى/ ١١٠/هـ وهو سيد التابعين من أهل البصرة. كان آية فى الزهد والمعرفة والبيان والإرشاد، وقد غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلق إلا له .. [٤].

لقد إستقى الحسن البصرى منابع زهده الصوفى من أصول الحكمة عند أئمة آل البيت النبوى الشريف، فأخذ عن الإمام على زين العابدين مقام "الغربة الأحزوية" واتضح ذلك فى مقام الحزن الشديد والخوف من الله تعالى كما أشرنا فيما سبق.

ولاشك أن الحسن البصرى الذى يمثل الطبقة الأولى فى الحياة الروحية فى تاريخ التصوف الإسلامى كان يقتدى بأئمة آل البيت الشريف،، وهو يضع أصول الطرق الروحية التى تبنى على العلم الصحيح المؤكد لحقيقة الإيمان. ومعنى ذلك أنه قد أكد على أن العلم والإيمان لا يفترقان فالعلم : علم الأمراء وهوعلم القضايا، وعلم المتقين وهوعلم اليقين والمعرفة - قال تعالى فى وصف علم المؤمنين "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" سورة المجادلة آيه (٥٨). فجعل الله تعالى للمؤمنين علماً، فدل ذلك على أن العلم والإيمان لايفترقان

---

(١) الإمام القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص٣٧ .

(٢) الإمام عبد الوهاب الشعرانى - إمام التصوف فى مصر -/ ٨٩٨ - ٩٧٣/هـ -/١٥٦٥م - راجع - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص٢٥ - ص٢٦- ط - دار الفكر العربى بدون تاريخ .

(٣) أبو بكر محمد بن إسحاق البخارى الكلاباذى / ٣٨٠/هـ كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف- ص٣٧.

(٤) راجع - الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف - /ص٣٦ - ص٣٧ كذلك الهامش- ص٣٧.

قال تعالى "والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايتذكر إلا أولوا الإلباب " سورة آل عمران آية (٧) (١)

ويضاف إلى ذلك أن الحسن البصرى كان يؤكد على ضرورة التفقه فى الدين والزهد فى الدنيا - وحين سئل عن الزهد فى الدنيا قال "أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها" (٢) وذلك يشير عنده إلى أن كمال العلم فى إكتمال الإيمان، وإكتمال الإيمان لا يأتى إلا إذا كان المؤمن متفقهاً فى دينه وعقيدته فكمال المعرفة فى كمال الإيمان أيضاً، ولما كانت التقوى هى روح الزهد وحقيقته الكبرى فإن العبادة مقام للوصول إلى اليقين. قوله تعال "وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين" سورة الحجر آية (٩٩). ولا شك أننا إذا تابعنا طريقة الحسن البصرى / ١١٠هـ / نجده يتدرج فى وضع مقامات التصوف. وهى درجات الوصول عند الصوفية إلى رحاب الحضرة الإلهية والفوز بالرضا الإلهى والحصول على المعرفة اليقينية..

فالحسن البصرى يرى أن طريق اليقين مؤسس على العبادة العلم الصحيح أو التفقه فى الدين. وهذا يؤدى بالضرورة إلى نبذ الحياه الدنيوية أو الزهد فيها. وهو مقام يجب على السالك خوضه، كذلك دوام مراقبة النفس تأميناً للوصول إلى اليقين، ويستلزم ذلك أيضاً خوض مقامات أخرى .. وهى مجال لتربية النفس وتقويم السلوك والأخلاق وكبح جماح الشهوات والملذات ومداومة الإخلاص والتوبة إلى الله عز وجل من ذلك.. التوبة - الصبر - والشكر والخوف والرجاء، والرضا - والتوكل - والمحبة - والخشية من الله عز وجل .. وهكذا.

ومن الجدير بالذكرأن الحسن البصرى جعل من الخشية مقاماً فى العلم والخوف حقيقة للتقوى، والتقوى معنى للعبادة - بدليل قوله تعالى "إنما يخشى الله من عباده العلماء" سورة فاطرآية (٢٨) وقوله تعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" سورة الحجرات آية (١٣). وهكذا - نجد أن الحسن البصرى وضع الأصول الأولى لمقامات التصوف- ووضح الطريق الصحيح أمام الصوفيـــة.(٣) بالإقتداء بالنصوص القرآنية وأحاديث الرسـول ﷺ .. ويرجع الفضـــل إليـه فـى

---

(١) دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص١٥٤ .

(٢) القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص٣٧٩.

(٣) راجع - دكتور عبد القدر محمود - الفلسفة الصفية - ص١٥٤ وما بعدها .

تأسيس طريقة التصوف العملى- القائم على أصول الإيمان العميق والتفقه فى الدين وسائل العلم والمعرفة النابع من كمال الإيمان - والتقوى والعمل الصالح .

ومن الجدير بالذكر أن الحسن البصرى - كما أنه مزج الزهد بطابع الخوف والحزن والخشية... فإنه حدث عن القلوب ورقتها ونواياها وحياتها وموتها .. وربما أدى ذلك بالصوفية من بعده أن يجعلونه من أئمة شيوخهم، وإذا إلتقطنا بعض العبارات التى صدرت عنه قد نجده يشير إلى ضرورة الإهتمام بتنقية القلب وتحليته. فقد نجده فى بعض المواقف - يتسائل متعجباً من ابن آدم بقوله "كيف يرقد قلبك وهمك فى آخر" فالقلوب إذا رقت وصلحت إستنارت البصيرة، فعرفت ماينتظر أصحابها يوم الهول العظيم.. لو أن بالقلوب حياة؟ لو أن بالقلوب صلاحاً؟ لأبكتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة ".

ولكن يبدو لنا أن طريقة الحسن البصرى فى هذا المجال نابعة من تذوقه لمعانى النصوص القرآنية، مسترشداً بتوجيهاتها، وأراد بذلك أن يلفت الأنظار إلى آيـات اللـه تعالى التى تتنـاول الجوانب الذوقية والروحيـة ..[1] فلم يكن أمام البصرة مقلداً فى زهده أو أحزانه وبكائه أو خوفه أحداً من غيرالمسلمين، إذ لم يكن زهد الرهبان مثلاً، ولم يؤد به الحزن إلى تسليمه إلى العزلة والترهب، لكنه كان متيقظاً لدوره كأمام من أئمة المسلمين، وتقع عليه مسؤلية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قائماً بحفظ السنن والآثار[2] آخذاً بأصول الكتاب والسنة الشريفة. ولانريد أن نسترسل أكثر من ذلك، وحسبنا أن وضحنا أصول طريقة إمام البصرة الحسن البصرى. فى الحياة الروحية الأولى - والتى يمتد أثرها فى طبقات الصوفية فى العصور التالية .

وجدير بالذكر أن بعض الباحثين فى التصوف والحياة الروحية فى الإسلام تناول سيرة عدد كبير من الزهـاد والعبـاد الأوائل،[3] وليس المجال هنا يتسع لذلك حتى لانخرج عن نطـاق بحثنا سوى أن نشير إلى بعض هؤلاء الأعلام والشيوخ الكبار الذين امتد أثرهم الروحى والتربوى

---

(١) دكتور مصطفى حلمى - الزهاد الأوائل - ص١١١ - ص١١٢.

(٢) راجع - المصدر السابق - ص١١٢ - وما بعدها .

(٣) لمزيد من الدراسة - راجع - دكتور مصطفى حلمى - الزهاد الأوائل - جـ٣ (نشأة التصوف).

السلوكى فى المتأخرين وطرقهم فنذكر من هؤلاء أيضاً: ابو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى ت عام / ٢٠٠/هـ كان من كبار مشايخ القوم ومجاب الدعوات. وكان ببغداد. وهو من موالى على بن موسى الرضا [١] رضى الله عنه، وقد كان نصرانياً ثم أسلم. من أهم ما ورد فى طريقته الروحية "أنه إشتهر بالزهد والعزوف عن الدنيا، يغشاه الصالحون، ويثيرك بلقائه العارفون، وكان يوصف بأنه مجاب الدعوات وحكى عنه كرامات" ولعل أهم خصائص سيرته في الزهد - كثرة العمل الذى يحض عليه الكتاب والسنة، كان يقول "طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وإنتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وإرتجاء رحمة الله تعالى دون طاعة جهل وحمق" [٢] ويذكر القشيرى/٤٦٥/هـ . أن معروفاً الكرخى سئل عن العمل قال: دوام طاعة ربك، وخدمة المسلمين والنصيحة لهم" [٣].

وعبارة الكرخى واضحة الدلالة فى الحث على العمل، والتعلق بالأسباب وهذا المبدأ هو ما حرص عليه زهاد السلف، عملاً بالإقتدا... وفى نص آخر نجد معروفاً الكرخى يذم الجدل وأصحابه بقوله "إذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل" وعندما تحدث فى "التوكل" فقد إستمد أصوله من دعاء مأثورعن النبى ﷺ، وكان دعاؤه "اللهم إن قلوبنا ونواصبنا بيدك لم تملكنا منها شيئا، فإذا فعات بها فكن أنت وليها وأهدها إلى سواء السبيل" [٤] كذلك يؤكد المسؤلية الفردية فى غفلة القلب .. إذ رأى أن أداء سجدتى السهو هو لعقاب القلب لأنه إشتغل عن الصلاة " [٥].

---

(١) هو على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق . أجله المأمون وعهد إليه بالخلافة من بعده، ومات قبل أن يمكنه بنو العباس منها - ولد بالمدينة عام ١٤٨هـ وتوفى بطوس عام/٢٠٣هـ. راجع البيهقى ط الأنجلو المصرية .

(٢) دكتور - مصطفى حلمى- الزهاد الأوائل - ص٦٦ - ص٦٧ .

(٣) القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص٦٦ - ص٦٧ .

(٤) دكتور - مصطفى حلمى - الزهاد الأوائل - ص١٧٤ .

(٥) المصدر السلبق - ص١٧٤ .

والذى يتضح لنا أن الكرخى كان يقدم العمل، ويذم الجدل مقتدياً فى ذلك بسيرة النبى ﷺ وكبار الصحابة والتابعين. وهذا من أهم خصائص القوم وشيوخهم فى الصدر الأول للإسلام. ويضاف لهؤلاء أيضاً أعلام القوم وأئمتهم علماً وعملاً، وحباً وعشقاً لله تعالى وقد كان للسرى السقطى(١) طريقة روحية قلبية تأثر فيها بالإمام أحمد بن حنبل /٢٤١/هـ رضى الله عنه - وبصفة خاصة نظريته فى الحلال ووجوب التحرى الدقيق فى ذلك - وقد إشتهر بخصائص ثلاثة - طيب الغذاء - وتصفية القوت - وشدة الورع - ويذكر عنه أقوال فى هذا المجال قوله "التصوف إسم لثلاث معان... هو الذى لا يطفئ نورمعرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله ". وإشتهر عنه قوله فى المحبة، وكثرة الإستغفار من قوله الحمد لله - حيث أن أحد الأشخاص قابله ببغداد وأبلغه أن حانوته قد نجا من حريق - فحمد الله تعالى. لكنه استغفر من ذلك لأنه بذلك أراد لنفسه خيراً دون المسلمين ". وكان لا يؤثر نفسه بشيئ دون سائر الناس.(٢) وهذا يشير إلى أنه كان يؤثر الزهد فى الدنيا كذلك كان حريصاً على أداء صلاة الجمعة والجماعة متمسكاً بأصول الكتاب والسنة ومنهج السلف(٣) ويعترض السقطى على تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن - كما ذكرنا. حيث صرح أن من إدعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غلط- وستمد السرى السقطى/٢٥٧/ هـ مذهبه وطريقته الصوفية الأخلاقية من أسس ومصادر إسلامية دون التأثر بمصادر أو نظريات غريبة عن الإسلام. فيذكر أن الخصال الأربعة التى تقع على العبد هى العلم والأدب والعفة والأمانة. ولعل الجنيد /٢٩٧/ هـ وهو شيخ الطائفة ببغداد كان متأثراً فى طريقته بتعاليم خاله السرى السقطى/٢٥٧/ هـ كما يذكر القشيرى(٤) ويبدو أن التصوف فى عصره كان قد إقترب من المرحلة التى أصبح فيها منهجاً للمعرفة، وظهر بعض

---

(١) هو أبو الحسن سرى المفلس السقطى - بغدادى المولد والوفاة أخذ عن معروف الكرخى وسمع الحديث عن الفضيل وروى عنه الجنيد - توفى عام /٢٥٧هـ .

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع - القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص٢٠ - ص٢١ ص٢٣.

(٣) دكتور - مصطفى حلمى - الزهاد الأوائل - ص١٧٦ .

(٤) المصدر السابق - ص١٧٨.

أدعياء التصوف الذين يدعون الكشف وسقوط التكاليف، ولكن الجنيد تصدى لهؤلاء بشدة وأكد على ضرورة التمسك بأصول الدين - الكتاب والسنة - وما يتبع ذلك من القيام بالعمل والتكاليف والتفقه فى الدين ....إلخ.

ويمثل الجنيد أحد المراحل التى ظهر فيها بداية تأثر الزهاد بالتصوف أى أن مرحلة الزهد والعبادة تطورت فى غضون هذا العصر الذى نشأ فيه الجنيد وإمتزجت بالآراء والنظريات التى ظهرت عند طوائف الصوفية مثل نظرية الكشف والمحبة والعشق والمعرفة والفناء والبقاء - والوجد والمحو والسكر... وغير ذلك من أحوال الصوفية فقد كان الزهاد فى القرنين الأول والثانى وبداية الثالث الهجرى يسلكون الطريق الروحى الذى يغلب عليه إسم الزهد والورع والتقوى والخشية والتذكير بأمور الحياة الآخرة - والمجاهدة وترك الشهوات وتقوية النفس وكفها عن الإنغماس فى ملذات الدنيا - وهكذا...

ولكن منذ القرن الثالث الهجرى - بدأت تمتزج طريقة الزهاد بأنظار الصوفية، وبدأت تتسرب إلى طرفهم الروحية القلبية بعضاً من التعاليم والآراء الفلسفية.

ولكن ما هو موقف أئمة وشيوخ التصوف الذين يمثلون مرحلة الزهاد والعباد من التيارات الثقافية الفلسفية التى حاول المتصوف مزجها بالخطرات القلبية والمواجيد الروحية والأذواق المعانى الداخلية فى النفوس الصافية الصادقة؟

لاشك أننا نجد أن أئمة القوم من الزهاد والأتقياء لا يعيرون إهتماماً بهذه التيارات، بل نجدهم يقاومون ذلك فى معظم الأحيان.

فالإمام الجنيد/٢٩٨/ هـ سيد الطائفة على الرغم من أنه أضطر فى بعض الأحيان لإستعمال بعض ألفاظ المتكلمين أو الفلاسفة (كلفظ المحدث والقديم). إلا أنه وقف موقف الخصومة من هؤلاء ومذاهبهم. إذ يقول "إن أقل ما فى الكلام سقوط الهيبة (أى هيبة الله تعالى) من القلب، والقلب إذا عرى عن الهيبة لله تعالى عرى عن الإيمان". [1]

ويخبرنا صاحب - حلية الأولياء - أن الجنيد على الرغم من مصاحبته للحارث المحاسب/٢٤٣/ هـ وتأثره ببعض المصطلحات الكلامية. إلا أنه أشتغل بالعبادة[2].

---

(١) راجع - دكتور - مصطفى حلمى - الزهاد الأوائل - ص١٧٩.

(٢) راجع - أبو نعيم الأصفهانى - حلية الأولياء حـ١ ص٢٥٥.

ويتضح لنا من خلال نصائحه التى تحدث فيها عن ضرورة العمل والإقتداء بالكتاب والسنة - ومقاومة دعاوى الجهلة المتفلسفين من المتصوفة القائلين بسقوط التكاليف - كذلك رفضه لنظرية الكشف الصوفية التى كانت تحيط به وبالمريدين من حله وكانوا دائماً ما يسألونه عن ذلك، فيعارضها أشد معارضة...

ومن النصوص التى تبين تمسكه بطريقة الأوائل من الزهاد فى التصوف قوله"ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات المستحسنات" (١).

ويشير الجنيد إلى ضرورة اقتفاء أثر الرسول ﷺ "بأن الطرق كلها مسدودة على الخلق الأعلى من اقتفى أثر الرسول عليه السلام" (٢). ويقول كذلك "من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر (أيى طريق التصوف) لأن هذا مقيد بالكتاب والسنة".

ويعترض أبو القاسم الجنيد بشدة على نظرية الكشف الصوفية - التى كانت قد ظهرت وإنتشرت بين طوائف الصوفية، فسأله أحد المحيطين به عنها (هل عاينت أو شاهدت) - فيجيب "لو عاينت تزندقت ولو شاهدت تحيرت" (٣).

وإذا كانت هذه النظرية تتعلق بنظرية المعرة الصوفية وتمت بصلة قوية إلى قول الجهلة من الصوفية الذين يدعون سقوط التكاليف إذا ما وصل إلى درجة المعرفة أو اليقين، فالجنيد يرفض ذلك. يتضح هذا من خلال محاورة بينه وبين أحد المحيطين به إذ قال "إن أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات (أى الأعمال) من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل".

فقال الجنيد "إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندى عظيمة (أى آثم) والذى يسرق ويزنى أحسن حالاً من الذى يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، ورجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بى دونها" (٤).

---

(١) القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص١١٧.

(٢) المصدر السابق - ص١١٧

(٣) دكتور- مصطفى حلمى - الزهاد الأوائل - ص١٨٠.

(٤) القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص١١٧.

ومن الجدير بالذكر أن الجنيد قاوم آراء الحلاج[1] الغنوصية. ودحض نظريته فى الحلول والإتحاد. إذ أعلن أن "مذهبنا إفراد القديم عن المحدث" وبذلك يفصل بين الله تعالى ومخلوقاته" [2].

ولاشك أن الإمام الجنيد تنبه إلى الأخطار التى كانت تحدق بمذهب السلف من هذه التيارات الثقافية الممتزجة بالآثار الغنوصية والفلسفية،، تلك التى حاول أصحابها المزج بينها وبين التعاليم الإسلامية. فكان يؤكد دائماً على ضرورة العمل بالتكليف والإقتداء بالكتاب والسنة. واتباع طريقة الأوائل فى الزهد والتقوى والعبادة. وهذا مما جعل علماء السلف والمتأخرين يضعونه فى مصاف الشيوخ الذين دافعوا عن العقيدة فى أحد مراحلها التى كانت معرضه فيها لمخاطر الأراء والنظريات الغنوصية والفلسفية.

وإذا كان الإمام الجنيد وهو شيخ الطائفة - خير ممثل لطريقة القوم فى عصره - فإن هناك شخصيات أخرى كان لها دور فعال فى هذا المجال - تحدث عنها كل من القشيرى[3] والكلاباذى[4] وصاحبة حلية الأوليا ء[5] وأصحاب الطبقات والمؤرخين والقدماء والمحدثين[6].

ولانريد أن نسترسل فى ذلك وحسبنا هؤلاء الذين عبروا بصدق وإخلاص عن طريقة القوم التى تواكب مذاهب السلف وأهل السنة فى الحفاظ على حرمة العقيدة وسلامتها ضد تيارات الإلحاد والتشويش على العقيدة فى عصورهم.

---

(١) هو أبو الحسين بن منصور الحلاج ولد عام ٢٤٤هـ/ وكان فارسى الأصل. ونشأ ببلدة واسط بالعراق - وصفه ابن النديم أنه كان رجلاً محتالاً مشعوذاً يتعاطى مذاهب الصوفية - ليفتن العامه من الناس - وقتل عام/٣٠٩هـ/ راجع ابن النديم - الفهرست ط ليبسك - بدون تاريخ.

(٢) راجع - دكتور- مصطفى حلمى - الزهاد - ص.١٨٠.

(٣) للمزيد فى ذلك راجع: القشيرى - الرسالة القشيرية ، حـ١ ، حـ٢.

(٤) الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف - ص٣٦ وما بعدها .

(٥) أبو نعيم - حلية الأولياء - حـ١، حـ٢.

(٦) من المحدثين - دكتور النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام حـ٣ - (نشأة التصوف).

ولكن منذ القرن الثالث - ظهرت طوائف الصوفية الذين يحاولون المزج بين التيارات الثقافية المختلفة وبين مواجيدهم وظهرت بالتالى نظريات فلسفية وغنصوية بعيدة عن نطاق مذاهب الأوائل والسلف.

وقد أشار إلى ذلك إبن خلدون/ ٨٠٨/ ١٤٠٦م فقال "وصار علم التصوف فى الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط، وكنت أحكامها أنما تتلقى من صدور الرجال" (١).

ولكن على الرغم من ظهور تيارات التصوف الفلسفى الممتزج بأثار أجنبية وغريبة عن المعانى والمصطلحات والنصوص الإسلامية. فإن تيار التصوف الإسلامى المعتدل بعد أن أصبح يعبر عن "طوائف وجماعات" ظل قائماً تقوده وتعبر عنه شخصيات كبيرة تدعم أصوله السنية وأركانه العلمية والأخلاقية.

وعندما أصبح لهؤلاء الزهاد والعباد، حياتهم الروحية الخالصة، ظهرت تلك الشخصيات الإسلامية الكبيرة التى كانت تعبر عن جوهرالحياة الروحية علماً وعملاً بدأت هذه الحياة تتخذ شكل جماعات وطوائف لها منهج يعبر عنها تقوم عليه أصولهم، ثم تطورت هذه الحياة، وانتقلت من حياة الزهد الخالص إلى شكل جماعات صوفية تنهل من معين الكتاب والسنة وتقيم علوماً ذوقية. فظهرت جماعات الصوفية من أهل السنة منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهو مايمكن أن تطلق عليه مرحلة التصوف السنى الخالص.

ثانياً: تطور مرحلة الزهد إلى التصوف السنى الخالص :

ظهرت شخصيات صوفية كبيرة، طبعت الحياة الروحية الإسلامية بطابع جديد لايختلف فى مضمونه عما كان عليه الزهاد والعباد الأوائل ولكنه أتخذ شكلاً جديداً كطائفة لها حياتها ومنهجها وموضوعاتها وعلومها العملية .

وقد كان من أهم خصائص هذه المرحلة التالية من الحياة الروحية الإسلامية هو الجمع بين "العلم والعمل". ويعتبر أبو القاسم الجنيد الملقب بشيخ الطائفه ببغداد المتوفى عام ٢٤٣ هـ وكذلك أبو سعيد الخراز المتوفى عام/٢٧٩ هـ. من الممثلين الحقيقيين لطبيعة هذه المرحلة .

---

(١) ابن خلدون - المقدمة - ص٤٦٩.

يضاف إلى ذلك أن التصوف الإسلامى فى هذه الفترة اختص بمظاهر وعلوم إنفرد بها عن سائر العلوم الشرعية مثل : "المقامات والأحوال". والمقام هو مايجاهد منه السالك بغية الوصول إلى رحاب الحضرة الإلهية، كمقام المجاهدة. والصبر، والشكر، والتوكل، والمحبة، والعشق.. ألخ.

وكل هذه الأمور من خصائص ومظاهر التصوف فى هذه المرحلة، ظلت حتى العصور المتأخرة عند أصحاب الطرق المتأخرين، ومن بين خصائص التصوف الإسلامى فى هذه المرحلة أيضاً وربما أثرت تأثيراً عميقاً لدى المتأخرين هو إشتغال الصوفية بالعلوم الشرعية والفقهية والأصولية، وليس ذلك من قبيل الجدل أو الإغراق فى الكلام، لكن بهدف الجمع بين العلم والعمل أيضاً، والجمع بين طريقة السلف وأوائل الزهاد والعباد والرد على المبتدعه من الفلاسفة والمتكلمين كالمعتزلة وغيرهم .

وإذا أضفنا إلى ذلك خصائص أخرى، فإن الطابع الأخلاقى وتنمية السلوك الإسلامى القائم على أصول من الكتاب والسنة خير دليل على ذلك، فتحليل النفس الإنسانية وبيان الأحوال التى تعرض لها وترتيب المقامات وتمثل الغاية القصوى على أنها فناء العبد عن نفسه وبقاؤه بربه يدل أيضاً على أن التصوف فى هذه المرحلة لم يكن علماً للأخلاق الدينية فحسب بل كان كذلك علماً لدراسة وتحليل النفس الإنسانية. ولكن فناء العبد عن نفسه وعن شهواته عند صوفية أهل السنة ليس كما يقصده فلاسفة التصوف الذين ظهروا فى هذه الفترة كالبسطامى / ٢٦١/ هـ أو الحلاج قتل عام ٣٠٩ هـ .

وكذلك فإن المحبة . كانت طابعاً للتصوف فى القرنين الثالث والرابع منذ أن اتضحت معالم الحب الإلهى عنه السيدة رابعة العدوية / ١٨٥ هـ/ [١] واستمر هذا الطابع عند طوائف

---

(١) رابعة العدوية : عرفت الزهد والحزن وعاشت حياة الزهاد وأضافت الحب لذات الله تعالى، وقد اختلفت الروايات بشأن حياتها ولم يتحدد أصلها هل هى فارسية الأصل أم عربية، وقد أشار الدكتور عبد الرحمن بدوى لحياتها الأولى حيث تعرضت للتشريد وبيعت فى سوق الرقيق وعاشت حياة ماجنة ثم ثابت إلى الله تعالى حين هبطت عليها الهداية الروحية - وقد اخلصت فى عبادتها وتوبتها إلى الله تعالى توفيت عام ١٨٥هـ / لمزيد من التفاصيل - راجع - دكتور عبد الرحمن بدوى - رابعة العدوية - (شهيدة العشق الإلهى) - ط القاهرة كذلك دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإلام - ص١٦٢. كذلك دكتور - عبد الوهاب الشعرانى - الطقات الكبرى - حـ١ ص٣٦.

ومتفلسفة الصوفية حتى العصور المتأخرة وتظهر معالمه عند الجنيد / ٢٩٨ / هـ. وهو ماأشرنا إليه فيما سبق كذلك "فإن المحاسبى ت / ٢٤٣ هـ / قد وضع فى المحبة فصلاً كاملاً أشبه مايكون برسالة تحدث فيها عن أصل حب العبد للرب، وأن هذا الحب منة الهية أودع الله تعالى بذرتها فى قلوب محبيه" (١).

وهكذا .. فإننا نجد أن طابع التصوف بعد آن أصبح علماً قائماً فى دوائر الفكر الدينى الإسلامى سوف يستمر مع مزيد من الإضافة والتلوين والتعميق عبر القرون التالية حتى العصور المتأخرة". (٢)

ويمكن أن نتناول بعض الشخصيات الصوفية الكبيرة والتى تمثل تيار التصوف المعتدل فى هذه المرحلة الثانية ولعل وأهم شخصياتها الصوفية الكبيرة أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى ت/٢٤٣هـ. (٣) إذ عرض لنا فى صورة رائعة الأطوار التى تختلف على نفس الصوفى فى طريق الحياة الروحية، وما ينكشف لها من حقائق أو يتجلى عليها من معارف، وقد إمتدح القشيرى المحاسبى وأثنى على مذهبه الصوفى فقال عنه "عديم النظير فى زمانه علماً وورعاً ومعاملة وحالاً"(٤) وقد وضعه القشيرى ضمن خمسة من كبار مشايخ التصوف السنى فى القرن الثالث الهجرى الذين جمعوا بين العلم والحقائق. والعمل. ورأى أنه يمكن للسالكين لطريق القوم أن يقتدوا بهؤلاء. وأشار إلى ذلك أيضاً أبو عبد الله بن خفيف/ ت عام/ ٣٧١م وهو من كبار مشايخهم .. فقال "اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلموا لهم حالهم: الحارث بن أسد المحاسبى/ ٢٤٣/ هـ - والجنيد بن محمد ت عام/ ٢٩٨/ هـ. وأبو محمد رويم ت عام

---

(١) دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٢٣ ط الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٤م.

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع - دكتور - عبد الخالق محمود - اصطلاحات الصوفية (عبد الرازق الكاشانى/ ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م/ المقدمة - ص٩ - ص١٠ - ط دار المعارف - ١٩٨٤م.

(٣) قال عنه القشيرى: بصرى الأصل مات ببغداد سنة ثلاثة وأربعين ومائتين وقال عنه الغزالى/ ٥٠٥/ هـ "المحاسبى خير الامة فى علم المعاملة وله سبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال راجع الرسالة القشيرية حـ١ص٧٨.

(٤) القشيرى - الرسالة - حـ١ - ص٧٨.

/٣٠٣هـ/ وأبو العباس بن عطاء ت عام/ ٣٠٩/ هـ. وعمر بن عثمان المكى ت عام/ ٢٩١هـ/ لأنهم جمعوا بين العلم الحقائق" (١).

وإذا تتبعنا طريقة الحارث المحاسبى نجدها تقوم على الإخلاص والتقوى والمراقبة ومحاسبة النفس - فضلاً عن الزهد الشديد ومجاهدة النفس، والتحرى فى قبول شئ كالطعام خوفاً من وقوع شبهة فيه (٢) ومن أقواله فى طريق التصوف "من صحح باطنه بالمواقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة وإتباع السنة (٣).

وقد تناولت بعض البحوث طريقة المحاسبى الصوفية وأشار الباحثون إلى مذهبه فى علم الكلام وإعتراض الإمام أحمد بن حنبل/ ٢٤١هـ/ عليه فى جوانب كلامية وصوفية. (٤) غير أن الإمام الغزالى/ ٥٠٥/ هـ دافع عن المحاسبى وأعتبره إماماً فى التصوف. بل نجده قد إستنبط ما ورد فى كتابه "الرعاية لحقوق الله عز وجل" من معالجته لآفات النفس ومقاومته لملذاتها. فى كتابه إحياء علوم الدين، واعترف الغزالى بذلك. إذا إعتبر المحاسبى إمامه فى التصوف. (٥) وإن كان المحاسبى قد عالج مسائل فى علم الكلام فقد كان يقصد الردعلى دعاوى المعتزلة وغيرهم، أما مايهمنا هنا هو ماعبر به فى مذهبه الصوفى عن أحوال النفس وآفاتها. وهو ماتعتبره طريقاً صوفياً علمياً تظهر آثاره الإيجابية فى الصوفية وأصحاب الطرق فى العصور التالية، وذلك عند أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين.

---

(١) المصدر السابق - ص٧٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع المصدر السابق - ص٧٨ - ص٨٠.

(٣) المصدر السابق - ص٧٩.

(٤) لمزيد من التفاصيل راجع المصادرالآتية:

أ - دكتور عبد الحليم محمود - أستاذ السائرين - الحارث المحاسبى ط دار الكتب الحديثة- ١٩٧٣م.

ب - دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص١٧٣ وما بعدها.

(٥) راجع - الإمام الغزالى - المنقذ من الضلالة. ط الجندى ١٩٧٣م.

ويمكن أن نشير لذلك بإختصار.. فقد صنف كتاب "الرعاية لحقوق الله عز وجل" وهو من أهم كتبه ورسائله الصوفية على الإطلاق. بل يمثل هذا الكتاب بالنسبة للمحاسبى - الإحياء عند الإمام الغزالى. [١] وتناول خلال هذا الكتاب الحديث عن النفس وأحوالها وآفاتها وتحدث عن التقوى "بأنها للحذر بالمجانية لما كره الله عز وجل" [٢].وكذلك تحدث عن الرياء بأنه "أن لا تعمل بطاعة الله تعالى تريد وجه الناس" وإستند فى ذلك لحديث النبى ﷺ حين سأله أحد الصحابة فيما النجاة يا رسول الله قال "ألا تعمل بما أمرك الله عز وجل به تريد به الناس" أى ترك الرياء. [٣]

كذلك تناول المحاسبى بالتحليل معرفة النفس والتحذير من سوء أفعالها وأهوائها - ثم تحدث كذلك عن العجب والإدلال بالعمل والدين العجب بالدنيا وبالحسب والعد والمال، كذلك تناول بالتحليل الكبر وشعبه وشرح وجوهه. والعزة أو الغرور. [٤] والحسد وأنواعه وأشار إلى ما منه حسن وما منه قبيح ..فالحسد الحســن الذى لايكـون محرمـاً هو المنافسـة فى فعـل الخيـر أو الطاعـات لقولـه تعالى "وفى ذلك فليتنافس المتنافسون" سورة المطففين آية (٢٦). وقوله تعالى "وسارعـوا إلى مغفرة من ربكم" سورة آل عمران آيه (١٣٣) أما الحسـد المحـرم - والذى ذمه الله تعالى ورسوله ﷺ فهو على أنواع منه حسد الحقد. وحسد حب الدنيا - وحسد العجب [٥] وهكذا. ولاشك أن المحاسبى/٢٤٣/ هـ تناول المقامات الصوفية وتدرج فيها مثل التوكل والورع والزهد والرضا والمحبة. والمجاهدة والتوبة وغير ذلك [٦].

---

(١) راجع دكتور عبد الحليم محمود - الرعاية لحقوق الله عز وجل (المقدمة) ص١٤.

(٢) المحاسبى - الرعاية لحقوق الله عز وجل - ص٤٣ - تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود - ط دار المعارف - ١٩٨٤م.

(٣) حديث: رواه ابن ماجه - مسلم - وله أسانيد كثيرة.

(٤) لمزيد من التفاصيل - راجع - المحاسبى - الرعاية لحقوق الله عز وجل أماكن متفرقة.

(٥) لمزيد من التفاصيل أيضاً - راجع المصدر السابق - ص٣٨٧ - ص٤٠٩.

(٦) لمزيد من الدراسة - راجع - دكتور عبد الحليم محمود - أستاذ السائرين الحارث المحاسبى - ص٢٧٩ - ص٣١٤.

ويمكن أن نجلى رأيه فى "المحبة" إذ أنها نظرية هامة فى تاريخ الفلسفة الصوفية فى الإسلام، وتطورت حتى عصر المتأخرين وأصحاب الطرق الصوفية، كالشاذلى/ ٦٥٦/ هـ وإبراهيم الدسوقى/ ٦٧٦هـ/.

فنجد المحاسبى لم يخرج بها عن نطاق الكتاب والسنة - بل يزيد فى تعميق جوانبها الروحية - يقول "إن أول المحبة الطاعة وهى منتزعة من حب السيد عز وجل .." وذلك أنه تعالى عرفهم نفسه ودلهم على طاعته وتحبب إليهم على غناه عنهم، فجعل المحبة له ودائع فى قلوب محبيه، ثم ألبسهم النور الساطع فى ألفاظهم من شدة نور محبته فى قلوبهم... ثم أودع قلوبهم خزائن الغيوب فهى معلقة بمواصلة المحبوب فلما أراد أن يحييهم ويحيى الخليقة بهم أسلم لهم هممهم ثم أجلسهم على كراسى أهل المعرفة فاستخرجوا من المعرفة المعرفة بالأدواء، ونظروا بنور معرفته إلى منابت الدواء ثم عرفه من أين يهج الداء وبم يستعينون على علاج قلوبهم ثم أمرهم بإصلاح الأوجاع... وضمن لهم إجابة دعائهم عند طلب الحاجات. نادى بخطرات التلبية من عقولهم فى إسماع قلوبهم إنه تبارك وتعالى يقول: يامعشر الأدلاء من أتاكم عليلاً من فقدى فداؤه، وقاراً من خدمتى فردوه، وقاسياً لأيادى ونعمائى فذكروه، لكم خاطبت لأنى حليم، والحليم لايستخدم إلا الحلماء ولا يبيح المحبة للباطلين.. (١)

ويفسر المحاسبى نظريته فى المحبة - بما يوافق مضمون الكتاب والسنة وأصول الشريعة. دون الإخلال بأركان الإعتقاد والتوحيد الإلهى الخالص إذ أن المحبة لله تعالى.. فى دوام الذكر بالقلب واللسان لله، وشدة الإنس بالله، وقطع كل شاغل يشغله عن الله تعالى. والمحبة لله تعالى كذلك فى تذكر النعم الإلهية يقول المحاسبى مفسراً ما هيه المحبة:

"فالحب لله فى نفسه إستنارة للقلب بالفرح إستلذ الخلوة بذكر حبيبه. فالحب هائج غالب، وخوف القلب لازم لاهائج إلا أنه قد ماتت شهوة كل معصية، وهدى لأركان شدة الخوف وحل الأنس بقلبه لله تعالى. فعلامة الإنس إستثقال كل أحد سوى الله تعالى. فإذا ألف الخلوة بمناجاته حبيبه إستغرقت حلاوة المناجاة كله حتى لا يقدر أن يعقل الدنيا وما فيها "ويقول

---

(١) راجع - أبو نعيم الأصفهانى - حلية الأولياء (فصل المحبة) - حـ١ ص٧٨ كذلك - دكتور عبد الحليم محمود - أستاذ السائرين - المحاسبى - ص٣١٤ - ص٣١٥.

أيضاً" الشوق عيدى سراج نور من نـور غير أنه زائد على نور المحبة الأصلية عنده هى حب الإيمان". (١)

ويبدو أن مقام المحبة قد يستغرق جوانب المعرفة القلبية عند المحاسبى إذ نجد أقوالاً كثيرة له فى المحبة وصلتها بالأخلاق والعبادة وكثرة الذكر لله تعالي والإخلاص فى عبادته.. (٢)وهكذا.

وإذا كان المحاسبى يعد نموذجا عظيماً من صوفية أهل السنة فى القرن الثالث فإن هناك نماذج أخرى على قدر كبير من الإخلاص والصدق والمحبة والإيمان وشدة التقوى والورع فى عصره والعصور التالية، نذكر من هؤلاء.. أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز/ ت عام ٢٧٧/ هـ. كان يقول "كل باطل يخالفه باطل فهو باطل" وهو بذلك يؤكد منهج صوفية أهل السنة ويتابع طريقة المحاسبى. (٣)

والخراز من صوفية القرن الثالث يؤكد على أن العلم دليل للتعرف والعلم يدرك بتعريف الخلق. والمعرفة تقع بتعريف الحق يقول فى هذا المنهج الذوقى "إن الله تعالى جعل دليلاً عليه ليعرفه وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلفه فالعلم دليل إلى الله تعالى والمعرفة دالة على الله تعالى، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعروفات، والعلم بالتعليم والمعرفة بالتعرف" (٤) وكذلك تحدث عن "المحبة" بالذوق الصوفى فأشار إلى معنى المحبة. أنها "المراد" وعلى ذلك يفسر محبة موسى عليه السـلام لله تعالى أنها محبة المراد "لولا أن اللـه تعالى أدخل موسى عليه السلام فى كنفه لأصابه مثل ما أصاب الجبل من نتائج الصعق" وإذا ذكر الخزار/٢٧٧هـ/ تحدث عن فكرة "الفنا" فقد كان يعنى ذلك فناء ذكر الأشياء عن قلب المؤمن. قال الخراز "إن أول مقـام

---

(١) راجع المصدر السابق - ص٣١٦.

(٢) نفس المصدر - ص٣١٦ - وما بعدها. كذلك راجع - أبو نعيم الأصفهانى - حلية الأولياء - حـ١ - ص٧٩ - وما بعدها.

(٣) راجع - القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص١١٠.

(٤) الدكتور - عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية - ص١٨٥ - ص١٨٦.

لمن وجد علم التوحيد مقام فناء ذكر الأشياء عن قلبه" وهذا يعنى الإرتباط بذكر الله تعالى دون سائر الأشياء الأخرى. (١)

وكان الخراز من الذين أكدوا على ضرورة أن يجمع المريد بين العلم والعمل وهو التطبيق للشريعة وأركانها يقول فى المعرفة "أنها من عين الجود وبذل المجهود" ويشير بذلك إلى العمل، إذ أن أول فهم لكتاب الله تعالى العمل به، لأن فيه (أى العمل به) العلم والفهم الإستنباط. وفى ذلك كشف ومشاهدة.. (٢)

وإذا أردنا أن نستعرض كبار مشايخ التصوف السنى فى القرنين الثالث والرابع بالإضافة إلى من سبق ذكرهم. فحسبنا كتب مؤرخى الصوفية ولكن يحق لنا ذكر بعض أقوالهم لكى تدلل على مدى تمسكهم بأصول الشرع وضرورة الجمع بين العلم والعمل. إذ لا يكون علم ولا معرفة دون العمل وهو التطبيق الكامل لما ورد به الشرع ومجاهدة النفس نبذ الدنيا وشهواتها أو العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسولـه ﷺ. فأبو نصر بشر بن الحـارث الحافى/ ت عام ٢٢٧/ هـ قال رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى: يا بشر. أتدرى لم رفعك الله تعالى من بين أقرانك؟ قلت لا يارسول الله قال "بإتباعك لسنتى، وخدمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك، ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى.. وقد إشتهر بالزهد الشديد فى ملذات الدنيا مثل الطعام أو الإقبال على الشهوات.

وكان منهم أيضاً أبو محمد سهل بن عبد الله التسترى ت عام/ ٢٨٣هـ/ قال "دخلت الفتنة على الناس من الرخص والتأويلات وعلى العارفين من تأخير الحق والواجب إلى وقت آخر.. وقال أيضاً، طريقنا التمسك بالكتاب الإقتداء بالنسبة، وأكل الحلال، وكف الأذى، تجنب المعاصى، والتوبة، وأداء الحقوق".

---

(١) المصدر السابق - ص١٨٦ كذلس . الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ ص٧٨.

(٢) المصدر السابق - ص١٨٢. وللمزيد فى أحوال الخراز ومقاماته ومعانيه الذوقية - راجع الشعرانى- الطبقات - حـ١ - ص٧٨ - ٧٩.
كذلك أشار إليه الكلاباذى / ٣٨٠/ هـ - حيث ضمن فيه الصوفية الذين نشروا علوم الإشارة. ويقال له: لسان التصوف "راجع التعرف لمذهب أهل التصوف - ص٤٢، ص٤٣.

ويقول أبو الحسين بن أبى الحوارى ت عام/ ٢٣٠هـ/ "من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه ومن عمل عملاً بلا إتباع سنة رسول الله ﷺ فباطل عمله".

وقال أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد/ ت عام/ ٢٦٢/ حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن - ومن لم يزن أفعاله أحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره، فلا تعده فى ديوان الرجال".

وكان منهم كذلك على هذه الطريقة أبو تراب النخشى ت عام ٢٤٥/ هـ وأبو حمدون بن أحمد عمارة القصار ت عام/ ٢٧١/هـ وقد كان من الملامتيه بنيسابور[1] قال "إن إستطعت أن لاتغضب لشئ من الدنيا فافعل"[2].

وكان منهم أبو الحسين أحمد بن محمد النورى /٢٩٥/ هـ كان يقول "من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربن منه".

ولعل أهم الشخصيات الصوفية فى القرن الرابع الهجرى.. أبو رويم بن أحمد عام/ ٣٠٣هـ/ وقد أشتهر بالزهد والتقوى والورع وشدة الإخلاص. واستمد أصوله من الكتاب والسنة. ويؤثر عنه القول: "إن كل الخلق قعدوا على الرسوم (أى الأعمال الظاهرية) وقعدت هذه الطائفة (أى الصوفية) على الحقائق،طالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وطالب هؤلاء أنفسهم بحقيقة الورع، ومداومة الصدق، فمن قعد مع الصوفية وخالفهم فى شىء مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه.."[3]

وكان أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخى ت عام / ٣١٩ / هـ من رجال القرن الرابع الهجرى يؤكد على ضرورة العلم والعمل به.. فقد فسر معنى الشقاوة وعلامتها فى الدنيا بثلاثة

---

(١) الملامتية : هم الذين يسترون صلاحهم بأمور تتداولها العوام ليست بمخالفات ولامعاص مبالغة فى الخفاء عن الشهرة. "لمزيد راجع فى ذلك أبو حفص عمر السهرودى / ٦٣٢هـ/ عوارف المعارف . بهامش - إحياء علوم الدين للغزالى - ط - الشعب بدون تاريخ .

(٢) راجع - القشيرى - الرسالة جـ١ - أماكن متفرقة .

(٣) للمزيد فى ذلك : راجع القشيرى - المصدر السابق - ص١٢٧ .

أشياء هى : أن يرزق العبد العلم ويحرم العمل، ويرزق العمل ويحرم الإخلاص، ويرزق صحبة الصالحين ولايحترم لهم" (١) .

أما أبو محمد بن الحسين الجريرى ت عام ٣١١ / هـ فقد كان من كبار أصحاب الجنيد / ٢٩٨ / هـ وتابع طريقته الصوفية فى الجمع بين العلم والعمل والزهد والتقوى والورع وإذلال النفس كان يقول "رؤية الأصول باستعمال الفروع وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول (أى عرض الفروع عليها ولاسبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ماعظم الله تعالى من الوسائط والفروع". (٢)

وكان أبو بكر الواسطى ت عام / ٣٢٠ هـ / من أصحاب الجنيد / ٢٩٨ هـ/ وعالم كبير الشأن - وله باع كبير فى مقامات الخوف والرجاء إذ قال : "الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد من سوء الأدب" (٣) .

وربما كان أبو العباس أحمد بن محمد الديثورى ت عام / ٣٤٠ هـ / من أكثر صوفية القرن الرابع علماً وتقوى وورعاً ومعرفة، وذوقاً وحالاً، فالباطن عنده لايختلف عن الظاهر .. "لأن لسان الظاهر لايغير حكم الباطن. (٤) ومن أقواله أيضاً فى الذكر وهو مفتاح الذوق والحال بالنسبة للصوفى المخلص .. "الذكر أن تنسى مادونه، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر فى الذكر عن الذكر" .

وقد حاول أبو العباس الدينورى كذلك أن يفرق بين التصوف الحقيقى وبين أدعياء التصوف والمتشبهين بطريقتهم، فينتقد كل ماصدر عن هؤلاء الأدعياء أو الذين يشتهرون بآراء وكلمات وشطحات تخالف أصول الكتاب والسنة وطريقة القوم..

---

(١) المصدر السابق - ص١٢٩ .

(٢) نفس المصدر ص١٤٤ . ص ١٤٥ - ص١٥١ - كذلك الشعرانى الطبقات الكبرى - جـ١ - أماكن متفرقة .

(٣) المصدر السابق جـ١ .

(٤) المقصود أن الشريعة والحقيقة واحدة، وإنما الاختلاف فى التعبير، فلاشريعة بلا حقيقة، ولاحقيقة إلا بشريعة. القشيرى - الرسالة القشيرية - جـ١ (بالهامش . ص١٨٩ - الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ - ص١٠٤ .

يقول "نقضوا أركان التصوف، وهدموا سبلها، وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها : سموا الطمع (زيادة) وسؤ الأدب (إخلاصاً) والخروج عن الحق (شطحا) والتلذذ بالمذموم (طيبة) واتباع الهوى (ابتلاء) والرجوع إلى الدنيا (وصلا) وسوء الخلق (صولة) والبخل (جلادة) والسؤال (عملاً) وبذاءة اللسان (ملامة) وماهذا كان طريق القوم[1] وقبل هؤلاء الذين يشير إليهم الدينورى يظهرون فى كل عصر من عصور الإضمحلال الثقافى والاجتماعى وينتسبون خطأ إلى الصوفية ويدعون طريقتهم وهذا مانراه أكثر وضوحاً فى عصور التصرف فى مراحله المتأخرة.

وكما رأينا أن ظاهرة التصرف انتشرت فى البيئة الإسلامية وكان الزهد والتقوى والخشية ومجاهدة النفس من أهم مظاهرها منذ القرنين الأول والثانى وحتى القرنين الثالث والرابع، وبذلك تدرج التصوف. فانتقل من زهد بسيط لاقواعد له ولاأصول غير قواعد الدين وأصوله إلى حياة روحية منظمة ومؤسسة على قواعد مرسومة وعلى أساليب من الرياضيات والمجاهدات مقررة وعلى دراسة لأحوال النفس لمعرفة أمراضها وعللها، ثم معالجة هذه الأمراض والعلل .

وجدير بالذكر أيضاً - أن التصوف دخل بعد ذلك فى دور فى دور جديد هو دور المواجيد والكشف والأذواق خلال القرنين الثالث والرابع الهجرين، فقد أصبح التصوف يشكل ظاهرة معروفة بين الأوساط الثقافية الإسلامية، وكذلك ظهر الكثير من أئمته وشيوخه ومريديه، وتكونت طوائفه ومناهج أئمته .

ويضاف إلى ذلك أن التصرف أصبح طريقاً لتصفية النفس وتحصيل المعرفة فى مقابل طريقه أهل النظر من المتكلمين، ولم يقف الأمر عند مجرد القيام بالرياضات والمجاهدات يقصد

---

(١) المصدر السابق - ص١٨٩ - ص١٩٠ - وفى رأينا أن الدينورى يقصد بهؤلاد المتشبهين بالصوفية بعض المتصوفة والمتفلسفة وطوائف اطلقوا على أنفسهم إسم "الملامتية" وسبق التعريف بهم. وإن كان مثل هؤلاء الأدعياء يظهرون فى كل عصر من عصور التصرف وبصفة خاصة فى عصور الإضمحلال الفكرى والثقافى والإجتماعى والاقتصادى والسياسى وذلك ماسوف نشاهده بصورة أكثر وضوحاً فى العصور المتأخرة .

تحصيل الأحوال والمقامات، بل أتخذ الصوفية من طريقهم وسيلة للكشف عن معانى الغيب وأداة لتحصيل المعرفة الذوقية التى لاوسيلة لغيرهم إلى إدراكها. [1]

وعندما صار التصوف علماً من ضمن العلوم الإسلامية فى هذه الفترة فإن الصوفية أطلقوا على التصوف أسماء تشير إلى معانيه وأهدافه ومنهجه - فنجد فى كتبهم مايشير إلى علم الأسرار - وعلم الأحوال وعلم المكاشفات - وعلم المقامات - والأذواق - وعلم القلوب وعلم الباطن فى مقابل الظواهر - وعلم الحقيقة .

ثالثاً : الإمام الغزالى حلقة إتصال وتأصيل بين الصوفية المتقدمين والمتأخرين:

أخذ التصوف السنى الخالص فى الظهور والتطور فى دوائر الفكر الإسلامى عبر القرون التالية جنباً إلى جنب شأنه فى ذلك شأن المذاهب الفكرية أو العقائدية الإسلامية الأخرى. كعلم الكلام، والفقه والتشيع والتفلسف. ولكنه تميز عن سائر هذه المذاهب بأنه طريق لتهذيب السلوك. وترويض النفس، واستلهام المعانى الذوقية والانغماس فى الذات الباطنة للنفس للوصول لأدق الأمور القلبية، والمعارف اليقينية وانعدام الثقة المطلقة فى الإدارك الحسى والعقلى، لذلك أصبح التصوف علم للأخلاق والمعرفة الذوقية الخالصة. ولاشك أن التصوف فى هذا التطور اختلف عن غيره من العلوم والمذاهب الأخرى منهجاً وغاية، فلم يكن التصوف مخالفاً لعلم الفقه فحسب، بل هو مخالف أيضاً لعلم الكلام. "فيقدر ماكانت تتسع أنظار الباحثين فى الأصول والمسائل الدينية بحثاً عقلياً يستند إلى الدليل والبرهان، كانت أذواق الصوفية الباحثين فى حركات القلوب والأخذين بتصفية النفوس، تدق وتنضبط، وتتضح معالمها، وتتبين مسالكها، وتتعين غايتها القصوى التى لم تصبح عبادة الله تعالى خوفاً من ناره ولاطمعاً فى جنته، أو حب الله تعالى ابتغاء لوجهه الكريم كما كان شأنها عند الزهاد فى القرنين الأول والثانى للهجرة، ولاتصفحاً لبواطن القلوب والتماساً لأثار القيادة فى الأرواح كما كان ذلك هو الشأن فى القرنين الثالث والرابع للهجرة أيضاً. وإنما أصبحت تلك الغاية شيئاً آخر أكثر دقة وأسمى غاية فأصبحت

---

(١) دكتور - عبد الخالق محمود - إصطلاحات الصوفية - المقدمة ص٩ .

معرفة ذوقية للذات الإلهية وإقرار من جانب القلب بتوحيد هذه الذات، وتحققاً بالسعادة من طريق الايمان القلبى والمعرفة الذوقية" [١] وهذا هو التطور الثالث للتصوف الإسلامى السنى الخالص، فقد كانت طريقة التصوف منذ القرنين الأول والثانى طريقة للعبادة والنسك والزهد والفقر، والخوف والخشية والحب لله تعالى والاقتداء بسيرة النبى ﷺ وكبار الصحابة والتابعين وأئمة آل البيت الطاهر، أما فى القرنين الثالث والرابع للهجرة فكان التصوف وطريقته علماً لأحوال القلوب والبواطن، والنظر فى الأحكام والشرائع الإلهية والعبادات من ناحية آثارها فى القلوب واستلهام مافيها من معان ومصارف يقينية، وروحانية فتميزت طريقة التصوف بأنها علم للباطن فى مقابل علم الظاهر عند الفقهاء الذين وقفوا عند ظواهر العبادات ورسومها وعلى ذلك فقد اهتم الصوفية منذ البداية بالجانب الروحى والباطن القلبى والوجدانى والذوق المعرفى، إلى جانب إقرارهم بالظواهر وأخذهم بتعاليم الشريعة والأحكام، والعبادات ونستطيع أن نلتمس ذلك بصورة دقيقة وواضحة فى القرن الخامس الهجرى بل يمكن أن نقول أنه على الرغم من الاختلاف الذى حدث بين التصوف طريقاً ومنهجاً وغاية وبين الفقه، إلا أنه حدث اقتراب بين الجانبين وذلك بفضل شخصية صوفية كبيرة وهو الإمام أبو حامد الغزالى / ٤٥٠هـ / ٥٠٥ / هـ .

وعلى الرغم من أن القرنين الخامس والسادس الهجريين يحفلان بشخصيات صوفية كثيرة، إلا أننا لانريد أن نعرض لها جميعاً حتى لانخرج عن مقصودنا، بل نتناول طريقة التصوف السنى المعتدل عند الغزالى بإيجاز حتى نستطيع تحقيق الإتصال بين حلقات التصوف السنى وتتابعها حتى العصور المتأخرة فالإمام الغزالى فى تصورى يعتبر علامة مميزة وحلقة إتصال وسطى بين متصوفه أهل السنة المتقدمين وأصحاب الطرق الصوفية المتأخرين. [٢]

---

(١) دكتور : محمد مصطفى حلمى . الحياة الروحية فى الإسلام . ص١٤٩ .

(٢) يذكر ماكدونالد "أنه يتأثر من الغزالى تبؤ الصوفية مكانة وطيدة معرف بها فى الإسلام .

Macdonald. The development of Muslim theology jurispudence and Constitulional theory, London, 1903, P, 239.

فقد احتوت طريقة الغزالى الصوفية خلاصة مافى الطرق الصوفية عند السابقين عليه، وقد صرح بذلك فى ترجمته الذاتية لحياته العلمية والفكرية فيقول "ثم إنى لما فرغت من هذه العلوم أقبلت برمتى على طريق الصوفية ، وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقهما المذمومة، وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله تعالى، وكان العلم أيسر على من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب، لأبى طالب المكى عام ٣٨٦هـ رحمه الله وكتب الحارث المحاسبى عام ٢٤٣هـ والمتفرقات المأثورة عن الجنيد عام ٢٩٨هـ والشبلى عام ٣٣٤هـ وأبى يزيد البسطامى عام ٢٦١هـ قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى أطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقتهم بالتعليم والسماع فظهر لى أن أخص خواصهم مالايمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات"(١).

إن مااستطاع الغزالى تحصيله من علوم الصوفية وطرقهم إختمر فى ذاته وأثر تأثيراً عميقاً فى نفسه، فاتجه لطلب المعرفة بالذوق والحال فجاهد النفس، وتغلب عليها، وصار فى هذا الطريق منتهياً إليه فأثر تأثيراً عميقاً فيمن جاء من بعده من الصوفية المعتدلين من أهل السنة كالشاذلية(٢). بفروعها المختلفة وقد نجد المتأخرين يستشهدون بطريقة الغزالى، كما أن لنظرياته صداً عميقاً عندهم ولسنا بصدد كتابة بحث متسع وشامل فى جوانب التصوف عند الإمام الغزالى، غير أننا نود إستجلاء المسائل الهامة والعناصر الأساسية فى طريقة الغزالى الصوفية بما يحقق فائدة هذا البحث، وبما يوضح أثره وخطره وأهميته فى تعميق طريقة التصوف عند المتأخرين ولاعتباره حلقة وصل وتأصيل فى حركات التصوف وطرائقه.

---

(١) الغزالى: المنقذ من الضلال. صـ٦٨ الجندى ١٩٧٣.

(٢) الشاذلية : تنسب هذه الطريقة الصوفية فى العصور المتأخرة إلى مؤسسها الإمام أبو الحسن الشاذلى ٥٩٣/ هـ ٦٥٦/ هـ. وسوف نتناولها بالدراسة والبحث فيما بعد.

فعندما إكتشف الغزالى قصور العقل عن إدراك الحقيقة وكشف اليقين بعد طول بحث

ونظر فى علوم الفلاسفة والمتكلمين والباطنية من الشيعة وغيرهم، فإنه إتجه للتصوف بقلب خالص ونية صادقة تشوقاً للمعرفة وإستلهاماً لليقين الذى إفتقده فى مناهج الآخرين(١) ومنذ البداية إتضح إن طريقة التصوف تقوم على الذوق والحال وتبدل الصفات وهذا يعنى الوقوف على المقامات التى عرفها الصوفية وهى تمثل معارجهم الروحية إلى مجال المعرفة الروحية الصافية بمجاهدة النفس وترويضها وتعليمها وطاعتها هذه هى أول الدرجات التى بدأ بها الغزالى طريقة الصوفى، فعكف على العبادة والتأمل القلبى الباطن وصار على طريقة القوم من الزهد والتقشف والتوبة والصبر والإستغراق الكامل فى تأمل المعانى الإلهية فى الكون والموجودات ولعل أهم ما نجده فى طريقة التصوف عند الغزالى التقريب بين جانبى الظاهر والباطن. أو التوفيق بين الشريعة والحقيقة إذ نجده عندما يتناول مسألة إيمانية بالتفسير والتحليل يعبر عن ذلك على طريقة علماء السنة مقرراً ظواهر الشريعة، ثم يعقب على ذلك بإبراز امعانى الوجدانية والروحانية الباطنية. وهذا ماتلاحظه خلال كتابه العظيم "إحياء علوم الدين" وهذا الإتجاه أصبح سائد عند صوفية أهل السنة وأصحاب الطرق فى العصور المتأخرة .

ولعل الفكرة السائدة فى العالم الإسلامى الأن تشير إلى الفضل الكبير الذى يرجع إلى الإمام الغزالى وطريقته فى حل مشكلة الظاهر والباطن، ومما يؤكد ذلك نظريته فى إستواء السر والعلن، وتحقيق الحقيقة فى الشريعة وهو بذلك يناقض آراء فلاسفة التصوف كالحلاج/ قتل عام ٣٠٩هـ / وغيره ممن فصلوا بين الشريعة والحقيقة، حيث إعتبروا الشريعة مجرد رسوم، ولكن الإمام الغزالى وموقفه السنى كان أكثر دقه وتعبيراً عن طريقة المعتلين من الصرفية ..إذ قرر أن

---

(١) " لقد كرس الإمام الغزالى جهد طاقته لدراسة مناهجم فى البحث عن الحقيقة وقسم هؤلاء إلى طوائف وهم :

المتكلمون، ثم الباطنية أصحاب التعاليم الذين يستمدون معرفة الحقيقة من الإمام، ثم الفلاسفة الذين جهدوا أنفسهم متعمقين فى علم المنطق، ثم الفلاسفة الدين ينسبون لأنفسهم معرفة الله تعالى وفهمه، وقد تأكد للغزالى أن المعرفة للحقيقة لا تخرج عن نطاق هؤلاء الذين حاولوا تعميق السؤال عن الحقيقة" ولا شك أن الغزالى يقصد بهؤلاء الصوفية ...

Ali issa - othman, the concept of man in islam (in writting of al gahzali, dar elmaaref, cairo.1960, p.12 .

الإيمان عن طريق الكشف لاعن طريق التفلسف هو الطريق إلى معرفة الله تعالى وهو طريق الرياضة والمجاهدة والزهد والبعد عن متع الحياة الدنيا وأعراضها الزائفة.

وإذا كان ذلك كذلك، فقد صالح الغزالى بين الفقهاء والصوفية إذ كانت هناك خصومة شديدة بين الجانبين، ولا شك أن الفقهاء كانوا يعتمدون على ظواهر الشعائر من وضوء، وصلاة، وعدد من الركعات، وشعائر الحج وغير ذلك من أركان الشريعة، فإن الغزالى بث فيها الروح وجعلها كما كانت فى الحال الأول فى صدر الإسلام، إهم أركانها فالصلاة مثلاً ليست مجرد أقوال وأفعال تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم وما فى ذلك من حركات الركوع والسجود فقط بل بالإضافة إلى ذلك خشوع القلب(١).

لقد وضح الإمام الغزالى التعاليم والطرق التى يجب على السالك لطريق التصوف إثباتها. وهى الإيمان الكامل بالعقيدة والإقتداء بسنة النبىﷺ والصحابة والتابعين وصوفية أهل السنة. وأوضح أهم معالم الطريق كالزهد والتقشف وتخلية القلب من أدران الجسد وتحليته بذكر الله تعالى والعمل بالفرائض والتكاليف. ويتضح لنا من خلال ماورد فى مؤلفاته التى إتجه فيها إتجاهاً صوفياً أخلاقياً(٢)

وهذا يشير أيضاً إلى أن الرمام الغزالى/ ٥٠٥/ هـ خاض التجربة الصوفية وهو على إيمان كامل بالعقيدة وأركانها وفرائضها بل وتعرف على جميع المذاهب الفكرية والدينية والفلسفية والتيارات الثقافية التى كانت سائدة فى عصره وكذلك مناهج المعرفة وشك فى إمكان وصول المريد إلى معرفة يقينية وهو على مذاهب هؤلاء فشك فى المعرفة الحسية والعقلية

---

(١) راجع فى ذلك – الغزالى – الأحياء – العبادات.
كذلك – الغزالى – الأدب فى الدين. ص١٦٥. الجندى ١٩٧٣م .

(٢) تظهر النزعة الصوفية فى مؤلفات الغزالى فى مرحله الفكرية المتأخرة مثل: كتابه إحياء علوم الدين الأربعين فى أصول الدين، ميزان العمل، الرسالة الوعظية، الأدب فى الدين، المنقذ من الضلال، وإن كانت تظهر بعض النماذج والألفاظ الفلسفية الصوفية فى بعض رسائله ومؤلفاته التى مزج فيها بين المعانى الدينية والنماذج الفلسفية مثل فكرة "العقل الكلى، النفس الكلية فى مقابل كلمتى القلم الإلهى واللوح المحفوظ ..إلخ.فى: الرسالة اللدنية، معراج السالكين، معارج القدسى، المضنون به على غير أهله كيمياء السعادة – مشكأة الأنوار..وهكذا.

وتبين أن المعرفــة التى تأتى عن طريــق مدارك العقل وبراهينه لا يمكن أن تصل إلى ما تحققه التجربة الصوفية من معانى روحية وجدانية وإلهاملت كشفية نورانية(١).

ومما يوضح مدى تأثير تجربة الغزالى الصوفية فى رجال الطزيق فى عصره ثم العصور التالية المتأخرة، ما عبر عنه فى أصول الطريق الصحيح إلى الله تعالى وإستلهام أنواره القدسية وعلومه الروحانية والكشفية بقوله بضرورة التمسك بالتكاليف وعدم التواكل، إن المتصوفة إرتكنوا إلى المحبة الإلهية " فسكنوا واطمأنوا، ولم يلتزم بعضهم إلتزاماً دقيقاً بالواجبات الدينية، فجاء الغزالى وأعاد إلى النفوس الخوف الشديد من الله تعالى على طريقة الحسن البصرى.

وعلى الرغم من القدرة الفائقة التى تميز بها الإمام الغزالى فى التعبير الصادق والصحيح عن طريق التصوف الأمر الذى أدى إلى تقريبه من نفوس الناس كمنهج ووسيلة لتهذيب السلوك والأخلاق من ناحيه، وكسيلة تصل بالمريد إلى المعرفة اليقينية التى لا تتحقق إلا بالكشف وهو

---

(١) يقول الغزالى بعد أن تحدث عن الأزمة النفسية التى واجهته عندما عزم خوض هذه التجربة الصوفية أنه بعد أن شفى من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصحة ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن لم يكن ذلك ينظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة، ولما سئل رسول الله عليه السلام عن "الشرح" ومعناه فى قوله تعالى "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام" سورة الأنعام آية (١٢٥) قال: هو نور يقذفه الله تعالى فى القلب فقيل وما علامته؟ فقال: التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، وهو الذى قال عليه السلام فيه "إن الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره" هذا الحديث رواه أحمد والترمزى وابن جرير والطبرانى والحاكم.." فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود الإلهى فى بعض الأحايين ويجب الترصد له كما قال عليه السلام "فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها" رواه ابن النجار عن ابن عمرو رواه البيهقى عن أبى هريرة والحليم عن أنس بن مالك – للمزيد فى ذلك، راجع الغزالى، المنقذ من الضلال. ص٣١، ص٣٢.

مما لايمكن التعبير عنها باللغة مما أدى إلى الإيمان بالكرامات التى تصدر عن الأولياء والصالحين، فإنه لم يتسامح مع بعض دعاة التصوف الذين يؤلون النصوص القرآنية على غير معانيها الصحيحة والتى توافق الظواهر والتكاليف، ولم يكف عن نقد آراء وتعبيرات بعض الصوفية فى قولهم بالحلول أو الإتحاد وتعبيراته الإلهية ورأى أن أمثال هؤلاء الحلولين والإتحاديين ينظرون بالعين العوراء وقتلهم فى الدين خير من قتل عشرة من الكفار كذلك رأى ضرورة مقاومة هؤلاء وأمثالهم من الباطنية(١).

ومما يلفت النظر فى سيرة الغزالى الصوفية أنه لم يكن من المبالغين أو المنحرفين عن الطريق الصحيح، فعندما تحدث فى كتابه "المنقذ من الضلال" عمن طريقة التصوف وسيرة الصوفية وأخلاقهم وعلومهم وحركاتهم وسكناتهم، فأنه ذكر ذلك بما ينتفع الناس به من حيث الحث على طهارة القلوب عما سوى الله تعالى، وإستغراقها بالكلية فى ذكر اللـه تعالى، ثم يشير إلى أمور تبدوا للصوفيـة لايجب الكشف عنها أو التعبير بها عن أحوالهم لمايؤدى بهم إلى الخطأ "فيقول" ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا إشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكن الإحتراز عنه وعلى الجملة ينتهى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الإتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك خطأ ثم يقول لا ينبغى أن يزيد على أن يقول(١) :

وكان ما كان مما لست أذكره.. فظن خيراً ولاتسأل عن الخبر وجدير بالذكر أن تأثير الغزالى الفكرى والصوفى لم يكن قاصراً على صوفية المسلمين وأصحاب الطرق المتأخرة فحسب بل إمتد ذلك أيضاً إلى غيرهم من المفكرين الغربيين فى العالم المسيحى أيضاً، وقد إنبرى بعض المستشرقين لإبراز هذا التأثير الفكرى والصوفى للغزالى فى المفكرين الغربيين المسيحين فنجدول ديورانت يقارن بين طريقة الغزالى فى الجمع بين الدين والفلسفة كأعظم مفكر عند المسلمين وبين

---

(١) راجع فى ذلك – الغزالى – الأحياء – ط – ص٣٥ – ص٣٦ و جدير بالذكر أن الغزالى هاجم بشدة الباطنية ودعاة الحلول والإتحاد ووصفهم بالخروج عن مذاهب أهل السنة خلال مؤلفاته مثل: كتابة فضائح الباطنية تحقيق دكتور عبد الرحمن بدوى – ط المكتبة العربية ١٩٦٤. كذلك مشكاة الأنوار – ص٣٢ – الجندى عام ١٩٧٠م .

(٢) راجع الغزالى – المنقذ من الضلال – ص٧٦.

طريقة القديس "أوغسطين" فى الفلسفة الصوفية المسيحية عند الأوربيين مع إبراز أهمية الغزالى وعمقه الفلسفى فى المعرفة اليقينية التى توصل إليها عن طريق التأمل الباطنى.

يقول "ول ديورانت" وأحس الغزالى بأنه قد عثر على هذا النوع من المعرفة فى تأمل الصوفية الباطنى، فالصوفى يقترب من سر الحقيقة المكنون أكثر مما يقترب منه الفيلسوف، وأرقى أنواع المعرفة هوالتأميل فى معجزة العقل حتى يظهر الله للمتأمل من داخل نفسه وحتى تختفى النفس ذاتها فى رؤية الواحد"(١). بل يؤكدو ول يورانت أهمية منهج الغزالى الصوفى المعرفى وتفوقه على منهج العقل ويبين تقدمه فى إثبات قصور العقل عن الإدراك النهائى للمعرفة على كل من كانط knat وهيوم Haume فيقول "بأن الفلسفة والمنطق والعلوم لا تستطيع قط أن تثبت وجود الله تعالى أو خلود الروح بل الإلهام المباشر هو وحده الذى يؤكد لنا هاتين العقيدتين اللتين لا قيام بغيرهما لأى نظام أخلاقى وهو النظام الذى لا قيام لأى حضارة إلا به" (٢).

ومما لاشك فيه أن طريقة الغزالى الصوفية القائمة على الذوق القلبى والوجدان الباطنى والمشاهدات الكشفية المعرفية أثرت تأثيراً عميقاً فى طرق الصوفية المتأخرين فيما بعد القرن السادس الهجرى، وقد أثار ابن خلدون عام /٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م/ لمفهوم ذلك وهو يتحدث عن طرق المتصوفة المتأخرين فيقول "ثم إن قوماً من المتأخرين إنصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والمدارك التى وراءه واختلفت طرق الرياضة عنهم فى ذلك باختلاف تعليمهم فى إماتة القوى الحسية، وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس إدراكها الذى لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها، فإذا حصل ذلك، زعموا أن الوجود قد انحصر فى مداركهم حينئذ،

---

(١) ول ديورانت - قصة الحضارة - حـ١٣ (عصر الإيمان)ص٣٦٣ ترجمة محمد بدران - ط لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٧٤م (حـ٢ - مجلد ٤).

(٢) المصدر السابق - ص٣٦٤ - كذلك ص٣٦٢ جدير بالذكر أن هذا النظام الأخلاقى الذى يشير إليه ديورانت يقوم عند متصوفة الإسلام على أصول من الكتاب والسنة وسيرة كبار الصحابة والتابعين والتقاه من الصدر الأول للإسلام. ويعرف التصوف السنى الخالص بأنه نظام أخلاقى وتدعيم السلوك وتهذيب لها .

وأنهم كشفوا ذوات الوجود، وتصوروا حقائقها من العرش إلى الطش هكذا قال الغزالى رحمه الله فى كتاب الأحياء بعد أن ذكر صور الرياضة" [١] .

وإذا كان لشخصية الغزالى من الجلال والقوة ولمذهبه من العمق والدقة بحيث استوعب عصره وسيطر على قلوب معاصريه وأثر فيمن جاء بعده من أهل السنة حتى أصبح للتصرف خطره العظيم فى الحياة الروحية الإسلامية [٢] . فإنه بالإضافة إلى ذلك [٣] كان شديد النقد والتجريح للنزعات والتيارات الصوفية والفلسفية التى خرجت تبشر بمذاهب خارجه تخالف أصول العقيدة .

وحتى لانخرج عن نطاق بحثنا المراد، فإننا نود أن نصل بين الغزالى والمتأخرين من الصوفية فى إشارات عاجله على أن نتناول ذلك بالتفصيل فيما بعد باعتبار التصوف عند الغزالى حلقه وسطى بين القدماء والمتأخرين تصل بين التصوف السنى ومدارس العباد والزاهاد الأوائل وبين الطرق الصوفية عند المتأخرين فيما بعد القرن السادس الهجرى نقول: أنه إذا كان الغزالى استطاع إحياء التصوف السنى بعد نكبة التصوف لدى مدرسة- البسطامى عام/ ٢٦١هـ

---

(١) ابن خلدون - المقدمة ص ٤٧٠ - ط دار القلم ببيروت ١٩٨٤م .

(٢) الدكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام ص ١٥٠ ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤م .

(٣) يذهب أوليرا Oleary بأنه لم يكن حتى عصر الغزالى قد بدأ التصوف يأخذ مكانته بين أوساط أهل السنة فى الإسلام، ويعتبر الغزالى مصدراً مؤثراً فى المدارس الإسلامية فى عصره، استطاع أن يجعل التصوف فى صميم الاعتقاد منذ أن دخل فيه، ومنذ ذلك الوقت فقد صبغ الغزالى التصوف بالصبغة العلمية بالإضافة إلى شذرات من المصطلحات الفلسفية الأفلاطونية ومثل هذا ربما أثر فى اعتقادات الصوفية المسلمين وربما أثر هذا التحول فى التصوف إلى الإتجاه السنى المعتدل فى الإسلام فأخذ مكانته منذ القرن السادس. ولاشك أن أوليرا يقصد بذلك أثره فى الطرق الصوفية التى ظهرت فى المحيط الإسلامى منذ القرن السادس الهجرى .

Oleary, Arabic thought and its place in history, London, 1963, P. 204 .

والحلاج قتل عام ٣٠٩ هـ / وماأثارته آراء هذه المدارس من فتن ضد التصوف وأصحابه، فإن طريقة الغزالى أثرت فى المحيط العربى والإسلامى فى عصره ومابعد عصره أيضاً[1] .

لقد أثمرت التجربة الصوفية الغزالية مع عبد القادر الجيلانى /٥٦١/ هـ وأبى نجيب السهروردى ٥٦٤ هـ/ وأبى خفض السهروردى /٦٣٢/هـ وتلاميذهم، ثم المدرسة الشاذلية كصورة ممتازة للمدرسة الصوفية الغزالية وصاحبها الإمام أبو الحسن الشاذلى /٦٥٦/ هـ وتلميذه أبو العباس المرسى /٦٨٦/ هـ وابن عطاء الله السكندرى / ٧٠٩/ هـ وأحمد الرفاعى ومدرسته عام /٥٧٨ هـ وعبد الرحيم القنائى /٥٩٢/ هـ وعز الدين بن عبد السلام /٦٦١/ هـ والسيد أحمد البدوى / ٦٧٥ / هـ وإبراهيم الدسوقى القرشى الهاشمى / ٦٧٦ / هـ.[2]

---

(١) الدكتور - عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام (مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة). ص٢٨٢ ط - دار الفكر العربى ١٩٦٧م. كذلك دائرة المعارف الإسلامية - إذ يشير إلى الإمام الغزالى بأعمال الصوفية السابقين كالقشيرى وغيره وأثره فى التصوف السنى.
Encyclopeadia of I slam. N. ll. London, 1927, P, 146. ect.

(٢) راجع - المصدر السابق - ص٢٨٣ - ص٢٨٦ .



﴿ الفصـل الثانى ﴾

« التصـوف الفلسفـى »

أولاً : تحليل نقدى للعناصر الفلسفية :

يبـدو أن التصوف فى هذه الفترة اتخذ إتجاهين. **الأول** وهو الإتجاه المعتدل : السنى الذى تقيد أصحابه بأصول الكتـاب والسنـة، والاقتداء بسيرة كبار الصحـابة وآل البيت والتابعين وربطوا بين أحوالهم ومقاماتهـم وبين الأصول الدينيـة[1]. أما الإتجـاه الثانـى: فهـو فلسفى نظرى إذ نجد أن المنزعمين له مـن المتصوفـه يمزجـون بين المواجيـد والأذواق وبيـن الأنظـار الفلسفيـة وقـد يستعينـون فى تعبيراتهـم بالأراء والمصطلحـات الفلسفيـة ماهو منتشـر فى الثقافـات الأجنبيـة الأخرى. مثـل الأفلاطونيـة المحدثـة[2]

---

(١) راجع فى ذلك : الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف - كذلك القشيرى الرسالة القشيرية جـ١ ، جـ٢، كذلك - الشعرانى - الطبقات الكبرى جـ١ ، جـ٢ ، كذلك السلمى أبو عبد الرحمن عام ٤٤٢هـ طبقات الصوفية - تحقيق نور الدين شربيه ط الخانجى بمصر ١٩٥٣م دكتور - النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ٢ (التصوف) طـ دار المعارف ١٩٦٤م .

(٢) الأفلاطونية المحدثة : مذهب فلسفى دينى ظهر فى العصور الأولى للمسيح فى الاسكندرية وقد سمى بهذا الإسم لأنه وليد تعاليم أفلاطون" ولكنه وليد غير شرعى لأنه لم يحافظ على تعاليم أفلاطون ت عام / ٣٤٧ / ق . م إذ تمثل عناصر من جميع المذاهب فلسفية ودينية، يونانية وشرقية بما فى ذلك السحر والتنجيم والعرافة - والأفلاطونية الحديثة سورية اسكندرانية أثينية وبصفة عام هى مذهب تتخلله عناصر دينية وصوفية ومزيج من ثقافة الشرقيين ومن أشهر روادها: تومنيوس من أشهر الأفلاطونيين السوريين فى القرن الثانى الميلادى - وأمنيوس- ساكاس / ١٧٥ / ٢٥٠ / م وأفلوطين ٢٠٥ / ٢٧٠ / م والمنهج السائد فى هذه الفلسفة الأفلاطونية الجديدة منهج التخيير والتوفيق - وقد أثرت تعاليمها الغنوصيه الفلسفية فى كثير مـن المتصوفة الإشراقيين كالسهروردى المقتـول عام / ٥٨٧ / هـ والاتحاديين وفى الشيـعة ==

أو الغنوصيه[1]. وكذلك تنتشر فى مذاهب الصوفية أنظار فلسفية كثيرة مما ينتج عن ذلك نظريات مخالفه لأصول الدين الإسلامى وتخالف كذلك تعاليم الطرق الصوفية التى عرفت بين أوساط المعتدلين من صوفية أهل السنة.. مثل نظريات "الفناء" [2]

= وفلاسفتهم أمثال أخوان الصفاء/ راجع رسائل - أخوان الصفاء تحقيق جير الدين الزركلى - ط اقاهرة ١٩٢٧ - نظرنا فى ذلك : يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية - ص٢٨٥ - ط دار القلم بيروت، دكتور زكى نجيب محمود - أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - ٣٣١ - ط القاهرة ١٩٤٩م دكتور عبد الرحمن بدوى - خريف الفكر اليونانى - ص١١٤ - ط دار القلم بيروت ١٩٧٩ - كذلك دكتور محمد على أبو ريان - أحوال الفلسفة الإشراقية عند السهروردى - ط الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٩م .

(١) الغنوصية : كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة وأخذت معنى إصطلاحياً هو التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا أو هو تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً بأن تلقى فى النفس القاء فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقلية وقد تغلغلت الغنوصية فى مذاهب فلسفية ودينية مختلفة وامتزجت ببعض التعاليم والثقافات الشرقية الصوفية الهندية والفارسية. لمزيد من الإيضاح فى ذلك راجع : يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٤٤، الشهرستانى تعانى الملل والنحل - جـ١ - دكتور - على النشار - نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ١ ص١٨٦ - ط دار المعارف ١٩٨١م .

(٢) الفناء : ورد هذا اللفظ عند المتصوفة بمعانى متعدده. فقد أشار القوم بالفناء سقوط الأوصاف المذمومة، كذلك فناء العبد عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم للمزيد - راجع القشيرى - الرسالة القشيرية - ط - ص٢٢٨، ٢٢٩ ولكن البسطامى (أو يزيد عام ٢٦١/هـ أخذ هذا اللفظ فى نطاق فلسفته الصوفية من جذوره الهندية فى عقيدة الواجدية، وصاغ نظريته فى الفناء - بالصعود - من المراقبه إلى الاستغراق إلى أن أصبح المراقب والمراقب عنده واحداً - دكتور عبد القادر محمود الفلسفة الصوفية - ص٣٠٩ ، ٣١٠ .

والإتحاد[1] ووحدة الوجود وقد استمر هذا التيار الفلسفى الصوفى مواكباً لطرق الصوفية المعتدلين حتى القرنين السادس والسابع الهجريين. ففى هذه الفترة المتأخرة إتجه أصحاب هذا الإتجاه إلى مزج أذواقهم بأنظارهم العقلية مستخدمين فى التعبير عنه مصطلحاً فلسفياً أستمدوه من مصادره المتعدده، وتميزت طريقة هؤلاء المتصوفه المتأخرين فى التعبير عن نظرياتهم بالرمز والألغاز والإشارة دون التصريح والإشارة عن العبارة، فأتت ألفاظهم غامضة لايدركها إلا الصوفية أنفسهم وابهمت وغمضت عمن سواهم. [2]

كذلك نجدهم قد تكلموا فى أمور غريبة وحقائق روحانية مما نتج عنه نظريات صوفية بقولهم عن حقيقة الحقائق[3] والروح المحمدى، أو الحقيقة المحمدية[4] والإنسان الكامل[5] والتجلى الشهودى[6] ووحدة الوجود والشهود[7] وغير ذلك مما تزدحم به مؤلفاتهم من تعبيرات ومصطلحات تتبلور فى صورة نظريات فلسفية صوفية تتعلق بمباحث الكون والمعرفة والأخلاق والنفس، وبواطن الغيب أو ماوراء الوجود الشهودى الحسى .

---

(١) الإتحاد : أحد الاصطلاحات عند المتصوفة وعدم إدراك المراد به عندهم إدراكاً صحيحاً يوقع فى اللبس الذى يؤدى إلى الخطاء فى الحكم. ومعناه عندهم شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذى الكل به موجود بالحق فيتحد به الكل من حيث كون كل شىء موجوداً به معدوماً بنفسه لامن حيث أن له وجوداً خاصاً اتحد به فإنه محال - راجع عبد الرازق الكاشانى / ٧٣٠ / هـ إصطلاحات الصوفية - ص٤٩ .

(٢) دكتور عبد الخالق محمود - إصطلاحات الصوفية المقدمة - ص١٠ .

(٣) حقيقة الحقائق : هى الذات الأحدية الجامعة لجميع الحقائق وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود - الكاشانى - إصطلاحات الصوفية .

(٤) الروح المحمدى أو الحقيقة المحمدية: هى الذات مع التعين الأول، فله الأسماء الحسنى كلها وهو الإسم الأعظم هكذا فى كتاب الكاشانى إصطلاحات الصوفية - ص٨٠ أما عند ابن عربى/ عام ٦٣٨هـ/ فالحقيقة المحمدية - والمسماه بالعقل أول ظاهر فى الوجود وكان وجوده من النور الإلهى ومن الهباء الذى هو أول موجود فى العالم (الهيولى) ومن الحقيقة الكلية وفى الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه نظرنا - الفتوحات الملكيه - السفر الثانى - ص٣٢٦ ، ٧٢٧ تحقيق دكتور عثمان يحيى - إبراهيم مدكور - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٢م .

(٥) الإنسان الكامل: من أهم النظريات الفلسفية الصوفية التى تتعلق بباحث الصوفية فى الوجود والمعرفة - ويشير صدر الدين القونوى عام /٦٧١/ هـ إلى المقصود بالإنسان الكامل: أنه الجامع للحقائق الخَفية والحقائق الخلقية جملة وتفصيلاً حكماً ووجوداً بالذات والصفات... وربما يقصد بذلك أنه الذى حوى كل ما فى الوجود من حقائق أو صفات - للمزيد من ذلك راجع كتابه مراتب الوجود - ص١٤٧ (ضمن كتاب الإنسان الكامل) تحقيق د/ عبد الرحمن بدوى - ط الكويت ١٩٧٦م.

(٦) التجلى الشهدودى: هو ظهور الوجود المسمى بإسم النور. وهو ظهور الحق بصور أسمائه فى الأكوان التى هى صورها وذلك الظهور هو نفس الرحمانى الذى يوجد به الكل - الكاشانى - إصطلاحات الصوفية ص١٦٤.

(٧) وحدة الوجود ووحدة الشهود: سوف نوضح المراد بذلك فى فصل عن إبن عربى وفلسفته الصوفية فيما بعد.

ومن الجدير بالذكر أننا نجد هذه المصطلحات أو النظريات الفلسفية الصوفية تتردد فى شروح وتعليقات المأخرين فيما بعد القرن السابع وفى غضون القرنين الثامن والتاسع الهجريين. إذ نجد شخصية صوفية كبيرة مثل "عبد الكريم الجيلى" عام/ ٨٠٥ هـ / يضع مؤلفه (الإنسان الكامل) يلخص من خلاله الفلسفة الصوفية عند المتقدمين فى الوجود والمعرفة والأخلاق والتقيم وعالم الغيب والشهادة والحقيقة المحمدية أو الروح المحمدى[1] ونظرية الغيض والإشراق والعقول مما كان منتشراً لدى الأفلاطونية ربما كان الشعرانى/ ٩٧٣/ هـ من أكبر شراح نظريات ابن عربى المتوفى عام/ ٦٣٨/ هـ وآرائه الفلسفية الصوفية [2] إذ أنه أوّل كثيراً من مصطلحات الفلسفة كالعقل والنفس والغيض .. إلخ ولكن يبدو لنا أن المتأخرين لم يضيفوا جديداً لما أحدثه المتقدمون من نظريات صوفية وفلسفية سوى ما قاموا به من شروح وتعليقات، وهذا يدل على موافقتهم لمذاهب أساتذتهم الفلسفية الصوفية.

ولاشك أن تيارات التفلسف الصوفى كانت منتشرة فى البيئة الإسلامية بالإضافة إلى تيارات التصوف السنى وأصحاب الطرق الصوفية المتأخرين أيضاً.ولكن هل تأثر أصحاب الطرق الصوفية ببعض النزعات أو المصطلحات والمعانى التى وردت عند فلاسفة التصوف؟ أم أنهم استنبطوا علومهم ومعارفهم الكشفية بما عانوه من مواجيد ولدت فى نفوسهم المعانى الروحية من أحوالهم ومقاماتهم مقتفين فى ذلك أثار الأوائل المعتدلين من صوفية أهل السنة؟ هذا ماسوف نبحثه فى الفصول القادمة .

ولكن هذه الافتراضات مسبقاً تدفعنا إلى محاولة إيضاح المسار الفلسفى للتصوف الإسلامى منذ بدايته وعند فلاسفته إذ حدد مؤرخوا الفكر الإسلامى مسار التصوف الإسلامى وتطوره فى قسمين رئيسيين **القسم الأول** وهو التصوف السنى ويستند على القرآن والسنة، وقد أقام هذا القسم السنى من التصوف علم الأخلاق فى الإسلام ويسمى أصحاب هذه المحاولة بصوفية الإسلام وقد أشرنا فيما سبق إلى بدايته الأولى منذ الصدر الأول للإسلام عند الزهاد والعباد. **أما القسم الثانى** : فهو القسم الفلسفة وهو يشمل مجموعة مختلطة من التفكير

---

(١) عبد الكريم الجيلى - الأنسان الكامل - حـ١، حـ٢ ط الحلبى عام ١٩٧٠م.

(٢) الشعرانى - اليواقيت والجواهر - ط ١٣٥١ هـ كذلك : الكبريت الأحمر فى شرح عقائد الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى - ديهامش كتاب اليواقيت والجواهر . ط عبد السلام بن شقروك بمصر ١٣٥١ هـ .

اليونانى وبخاصة الأفلاطونية المحدثة والمجموعة الهرمسية ثم بالتفكير الشرقى الغنوصى من هندى وفارس ثم أمشاج من اليهودية والمسيحية والإسلام. (١)

وعلى ذلك فإنه قد تغلغلت فى التصوف عناصر فلسفية ومصطلحات أخذت من عقائد وديانات شرقية مختلفة، ولعل امتزاج مباحث التصوف الإسلامى بمثل هذه العناصر المختلفة انتج فلسفة صوفية عميقة كان لها خطرها على أصول العقيدة الإسلامية الواضحة والصحيحة والبسيطة، وأدت بأصحاب هذه المذاهب الفلسفية الصوفية إلى تناول قضايا ميتافيزيقية غريبة على روح الإسلام. فكما حاول فلاسفة الإسلام أن يدخلوا عقائد اليونان الميتافيزيقية فى عقول المسلمين بالتوفيق بين الدين والفلسفة، كذلك ترى بعض صوفية الإسلام يلجأون فى التصوف إلى بحث ميتافيزيقى تأثر بكل ماحوله من فلسفات يونانية أفلاطونية (الفيض الأفلوطينى) وفارسية وهندية ثم انتهوا إلى عقائد مختلفة أهمها عقيدة الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود (٢) أو غير ذلك من نظريات فلسفية صوفية يرفضها الإسلام وتعارض عقائد أهل السنة وصوفيتهم المعتدلين(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون /٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م/ قد انتقد بشدة هذه التيارات الفلسفية الصوفية ونظريات التصوف الفلسفى فى الحلول أو الإتحاد، والوحده الوجودية أو الشهودية. كذلك أصحاب نظريات الفيض المعرفى أو الصدور الروحانى، من الصوفية والإشراقيين ووصف أقوال هؤلاء الصوفية فى الوجود والصور والتجلى وغير ذلك بأنها أقوال فى غاية السقوط(٤). إذن فقد تسربت النظريات والمصطلحات الفلسفية إلى التصوف بعد

---

(١) دكتور - النشار - نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام جـ١ - ص٤٧ .

(٢) المصدر السابق - ص٥٣ .

(٣) عقيدة الحلول والإتحاد : لايوافق الإسلام على حلول الخالق فى المخلوق أو استغراق المخلوق فى الخالق فالإسلام يميز طبيعة كل منهما وقد أنكر الإسلام عقيدة الحلول فى المسيحية، كذلك لايوافق الإسلام على عقيدة الوحدة الوجودية لأن فيها إنتقالاً من عقيدته الأصلية "لاإله إلا الله إلى عقيدة التصوف الفلسفى "لاموجود فى الحقيقة إلا الله" وسياق كلٌ منهما ينتهى إلى نتائج تخالف الأخرى - راجع نفسى المصدر السابق ص٥٣ .

(٤) راجع إبن خلدون - المقدمة - ص٤٧٣ - ص٤٧٤.

القرنين الأول والثانى الهجريين وإمتزجت بتعاليمه، كذلك إقترنت بعض الآراء العقلية الدقيقة التى كانت متداولة فى نطاق علم الكلام بالبحوث والدراسات الصوفية .

ولاشك أن المتصوفة تأثروا بالدراسات الكلامية والفلسفية المحيطة بهم فأخذوا عن السلف كما أخذوا عن المعتزله (١) والأشاعرة (٢) وإستمدوا بعض المصطلحات التى شاعت لدى المتكلمين والفلاسفة كالمعنى والمبنى والجوهر والعرض، والوحدة والكثرة، والذات والصفات والتجسيم والتجريد، كذلك شاركوا الشيعة فى بعض إستعمالاتهم، كعالم الظاهر وعالم الباطن والأقطاب والأوتاد (٣) إن الباحثين فى مجال التصوف يعرفون مدى إستعمال المتصوفة لهده المصطلحات والبحث فى تلك القضايا التى شغلت دوائر الفكر الكلامى والشيعى.

ولكن مايميز طريقة الصوفية فى دراسة القضايا الإلهية والشرعية عن غيرهم من المذاهب الكلامية والفقهية هو أن طريقتهم لم تخلو من الغموض والألغاز فى أحيان كثيرة "إذ يلجئون إلى الرمز تارة وإلى الإهام تارة أخرى ويؤثرون الجمل القصيرة الدقيقة التى تتلاءم مع لغة الجذب والشطحات (٤) فأصحاب الإتجاه الرمزى الإشارى من الصوفية عندما يتحدثون عن الصفات والذات الإلهية يلجئون إلى مثل هذه التعبيرات الدقيقة والقصيرة، يقول سهل بن عبد الله التسترى ت عام/٢٨٣هـ/ "ذات الله تعالى موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولامرئية بالإبصار فى دار الدنيا، وهى موجودة بحقائق من غير حد ولاإحاطة" (٥).

ولكن إذا كان الصوفية عالجوا قضايا علم الكلام وتداولوا آراء ومصطلحات علم الكلام، إلا أنهم كانوا مختلفين فى ذلك إذ أن الصوفية المعتدلين عالجوا هذه القضايا على طريقة علماء

---

(١) المعتزلة: من أكبر الفرق الكلامية الإسلامية - مؤسسها الحقيقى هو واصل إبن عطاء/ ٨١هـ / ١٣٠هـ/ وقد كان من كبارتلامذة الحسن البصرى ت عام / ١١٠هـ / وقد ساد المنهج العقلى فى هذه الفرقة .

(٢) الأشاعرة: من أهم الفرق الكلامية أيضاً وإنحاز أصحابها إلى مناصرة مذاهب أهل السنة بين جانبى العقل والنقل ومؤسسها الحقيقى هو إمام الهدى أبو الحسن الأشعرى ت عام ٣٢٤هـ .

(٣) دكتور: إبراهيم مدكور - فى الفلسفة الإسلامية - حـ٢ - ص٧١ ط دار المعارف ١٩٨٣م.

(٤) المصدر السابق ص٧١.

(٥) نفس المصدر - ص٧١.

الكلام، ثم ينظرون فيها لإستجلاء جوانبها ومعانيها الروحية القلبية، فالحسن البصرى/ ١١٠هـ/ هو إمام أهل السنة بالبصرة ويعد الجد الأول للدراسات الكلامية والصوفية ويعتبر الحارث إبن أسد المحاسبى٢٤٣هـ/ مغزلياً ثم إنتصر لأهل السنة قد عارضه ذلك الحنابلة إذ نظر للمسائل الكلامية نظرة ذوقية صوفية، أما أبوالقاسم القشيرى ٣٧٦ - ٤٦٥هـ/ فقد كان على مذهب الأشاعرة الأصولى الكلامى والغزالى ٥٠٥هـ/ كان إمام التصوف والكلام معاً"[١] ولاشك أن الشاذلية وغيرهم من أصحاب الطرق المعتدلة المتأخرين ساروا على منهج الأشاعرة فى الكلام والأصول.

أما أصحاب المذاهب الفلسفية والإشارية من الصوفية فعلى الرغم من إنتسابهم للمذاهب الكلامية وبصفة خاصة "الأشاعرة" إلا أنهم جنحوا بآرائهم إلى ماأحدثوه من نظريات ومصطلحات غريبة عن أهل السنة والسلف، ولا تمثل آرائهم ونظرياتهم فى العقائد والشرائع الإلهية، منهج صوفية أهل السنة المعتدلين ولمزيد من الإيضاح، نجد أن "نظرية الخلق الإلهى" فى الوجود أو للموجودات غير واضحة وضوحاً صريحاً عند فلاسفة التصوف وهى واضحة تماماً فى عقيدة أهل السنة، وكما صورها القرآن الكريم بقوله تعالى "ألا له الخلق والأمر" سورة الأعراف(٥٤) .

فابن عربى/ ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م/ صاحب نظرية وحدة الوجود فى نطاق التصوف الفلسفى يصور نظرية الخلق ليس على طريقة المتكلمين أو الأصوليين بل يصورها على أنها مجرد فيض وتجل، فالموجودات كلها تجليات إلهية وتعبير عن صفات قدسية فما وصفنا البارى بوصف إلا كما ذلك الوصف، وماسمينا شيئاً باسم إلا كان هو المسمى، ومادام الأمر تجلياً فلا محل لمادة أو صورة، ولا لعلة أو غاية وإنما يسير العالم وفق ضرورة مطلقة ويخضع لحتمية لاتخلف فيها.[٢] ولذلك نجد هذه التعبيرات الفلسفية عند إبن عربى "وقد ثبت عند المحققين أنه ما فى الوجود إلا الله ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به" وتحليل هذه العبارة يشير إلى أن وجوده تعالى فى غنى عن الدليل فكيف يصح التدليل على من هو عين الدليل، وليس ثمة فرق بين الحق والخلق إلا بالإعتبار والجهة فالله تعالى حق فى ذاته وخلق من حيث صفاته وهذه الصفات نفسها

---

(١) راجع نفس المصدر - ٧١.

(٢) نظرنا: المصدر السابق - ص٧٣ ابن عربى- الفتوحات المكية حـ١ ص٣٦٣ ط القاهرة ١٨٧٦م.

عين الذات يقول إبن عربى "سبحان من أظهر الأشياء وهو عينهـا" [١] وفى هذا السياق والمعنى يقول إبن عربى بعد حديثه عن "وجود الحق ووجود العالم" فلم يبق لنا أن نقول إلا أن الحق تعالى موجود بذاته لذاته مطلق الوجود غير مقيد بغيره ولا معلول عن شيئ ولاعلة بل هو جل وعلا خالق المعلولات والعلل والملك القدوس الذى لم يزل العالم موجود بالله تعالى لابنفسه ولالنفسه، مقيد الوجود بوجود الحق فى ذاته، فلا يصح وجود العالم أليته إلا بوجود الحق وإذا إنتفى الزمان عن وجود الحق وعن وجود مبدأ العالم فقد وجد العالم فى غير زمان [٢] .

وهكذا نجد أن فكرة وحدة الوجود عند إبن عربى تنسحب على التصوير الفلسفى لمسألة الصفات والذات الإلهية، فليس للوجود وجود إلا بالحق تعالى بل يتلاشى هذا الوجود فى وجود الحق سبحانـه وتعالى، فلا موجود إلا الله تعالى فهو الوجود الحق، والرجود كله ولاوجـود سواه.

ومثل هذه الأراء والتعبيرات الفلسفية الصوفية لاتتفق مع عقائد أهل السنة وعلماء الأصول، ولكن ما هى الروافد الأولية لهذا التيار الفلسفى الصوفى والذى أعقب تيار الزهد والعبادة حتى العصور المتأخرة؟ إذا كان الباحثون فى التصوف ومدارسه قد ذكروا ماداخله من عناصر فلسفية يونانية أفلاطونية وأفلوطينية وعناصر شرقية غنصوية بروافدها المختلفة فإن ذلك إتضحت آثاره الخطيرة فيما بعد، لقد كان هناك بذور أولية بدأت بامتزاج معانى فكرية وفلسفية وتأويل لمصطلحات وتعبيرات فلسفية مختلفة، بمعان وتعبيرات وجداتية وذوقية وخطرات قلبية صوفية، فإن كان الطابع الأخلاقى هو الذى كان غالباً على التصوف فى أول تكونه العملى أو العلمى، فإننا نلاحظ من ناحية أخرى أن الطابع النفسى لم يكن أقل شأناً من الطابع الأخلاقى، كما كان كثيراً من المعانى الميتافيزيقية التى ظهرت بـادئ ذى بدء ساذجـة أخذت تتضح وتدق رويداً رويـداً حتى تهيـأ لها من عوامل النمو ماأعانها على أن تظهر بعد ذلك ظهوراً قوياً عند من جاء من الصوفية المتفلسفين فى القرنين السادس والسابع للهجرة [٣].

---

(١) نفس المصدر أيضاً - ص٧٣.

(٢) إبن عربى - الفتحات المكية - السفر الثانى ص٧٦ . ٧٧ تحقيق الدكتور عثمان يحيى إبراهيم مدكور - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٢م.

(٣) دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٢٢.

ومعنى ذلك أن المسائل التى كانت تعتبر عناصر أخلاقية دقيقة تتصل بتربية السلوك الإنسانى وترويض النفس الإنسانية وتهذيبها كادت تصبح أموراً تتصل بالتحليل النفسى، ودراسة لأعماق النفس الإنسانية، وللمنازع الميتافيزيقية التى تنزع إليها هذه النفس وترمى من خلالها إلى التحقق بالفناء عن وجودها، والإتحاد بالذات الإلهية، على نحو مايظهر عند أبى اليزيد البسطامى٢٦١/ هـ/ ٨٧٤م وذى النون المصرى ٢٤٤هـ/ ٨٥٩م/ وعند الحسين إبن منصور الحلاج ٣٠٩هـ/ ٩٣٢م وأمثالهم من أصحاب الأذواق وأرباب الأحوال(١) فأذا تتبعنا هذه الروافد الفلسفية والمنازع الميتافيزيقية التى إمتزجت بالمعانى والأذواق الصوفية، نجدها تمتد بذورها الأولى منذ أن إتجهت أنظار الصوفية المتفلسفة إلى المزج بين الجانبين.

وإذا أردنا أن نضرب لذلك بأمثاة، كثيرة فخير مانجده لدينا من مثال واضح هو فيما يتعلق "بمقام الحب الإلهى" أو"المحبة" وهو مقام عند الصوفية مستندين فيه إلى النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة قال تعالى "ياأيها الذين آمنو من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه" سورة المائدة آية (٥٤). وفى حديث شريف عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه(٢) وفى حديث آخر نذكر منه قول النبى ﷺ "ولايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن إستنصرنى لأنصرنه ولئن إستعاذنى لأعيذنه...إلخ"(٣) إتخذت كلمة المحبة أو مقام المحبة - معان ودلالات مختلفة عند القوم من الصوفية طبقاً لتدرج أحوالهم ودرجات وصولهم.

فقال قوم "محبته تعالى للعبد من صفات فعله، فهو إحسان مخصوص يلقى الله العبد به، وحاله مخصوصة يرقيه إليها" وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة - زى يدق التعبير عنها(٤) ومن أقوال شيوخ القوم من الصوفية فى المحبة، قول الإمام

---

(١) المصدر السابق - ص١٢٢.

(٢) هذا الحديث أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى ومسلس فى صحيحيهما والترمذى والنسائى عن عائشة وقال الترمذى حديث صحيح.

(٣) روى هذا الحديث البخارى فى الصحيح باب "التواضع".

(٤) القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ٢ - ص٦١٠ - ٦١٢ .

الجنيد شيخ الطائفة ببغداد/ ٢٩٧/ عندما سئل عن المحبة فقال "دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب ويفسر ذلك القشيرى/ ٤٦٥هـ/ باستيلاء ذكر المحبوب حتى لايكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها "سميت المحبة محبة، لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب". ويقول المحاسبى /٢٤٢هـ/ المحبة ميلك إلى الشئ بكليتيك، ثم إثبات له على نقسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك فى حبه[1] وإذا كانت "المحبة" مقام عرف فى دائرة التصوف الإسلامى منذ أن خاضت السيدة رابعة العدوية/ ١٨٥هـ التجربة وتعمقت فيها إذ أنها إستعملت فى غير تهييب كلمة الحب فى العشق الإلهى معتمدة على ما جاء فى القرآن الكريم"[2] فقد تطورت هذه الكلمة عند الصوفية وإزدادت عمقاً وإستغراقاً ممتزجة ببعض الأساليب أو المعانى الفلسفية الميتافيزيقية فيما بعد عند صوفية آخرين إلى أن بلغت درجة عالية من التفلسف عند المتأخرين.

ولعل هذا المنزع نشهد القرن الثالث والرابع الهجريين "فقد روى أن أول من تكلم فى إصطلاحات الصوفية من صفاء الذكر والهمة والمحبة والعشق والقرب والإنس هو أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفى البغدادى ت عام ٢٦٩هـ كذلك معروف الكرخى ت عام/ ٢٠١هـ/ فقد كان سكر معروف بحب الله تعالى سكراً كان يرى أنه لن يفيق منه إلا بلقاء ربه، وأن فناء الأتقياء بقاء وموتهم حياه، ثم كان أبو سليمان الدارانى ت عام/ ٢١٥هـ/ ممن تحدث عن الحب المتبادل بين الله تعالى وأوليائه.[3] أما أبو الغيض ذو النون المصرى ت عام ٢٤٥هـ/ فقد أدخل الخصائص الثيوزفية فى التصوف، وظهر عنده لأول مرة فى صورها الأولية فى تاريخ الحياة الروحية فى الإسلام فقد تكلم عن المحبة وعن المعرفة مستفيضاً فيهما، ولكن فى المحبة كان يرى "أن ثمة حباً متبادلاً بين العبد المحبوب والرب المحبوب وأن هذا الحب من شأنه أن يوصل الإنسان إلى الإتحاد بربه إتحاداً يشعر فيه بإستغراق ذاته فى ذات الله تعالى. وهذا هو الحب الإلهى الذى كان يرى ذو النون المصرى أنه يجب على من تحقق به ألا يتحدث عنه أو يبوح بشئ

---

(١) المصدر السابق - جـ٢ ص٦١٢ - ٦١٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - جـ٢ ص٣٥٧.

(٣) دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٢٥.

من أسراره لمن لا يعرفون من الحب غير معناه المادى الحسى [١] ولاشك أن آراء ذو النون المصرى فى هذا الصدد كان لها تأثير خطير على الصوفية المتأخرين واللاحقين عليه ويضاف إلى هولاء شخصيات صوفية لها خطرها وأثرها الكبير فى مجال التصوف الفلسفى ممن صبغوا إصطلاحات فلسفية وذوقية أمثال أبو اليزيد البسطامى ٢٦١هـ/ والذى إنتهى فى أذواقه أو حبه الإلهى إلى الفناء عن نفسه والإستغراق فى ربه والإتحاد به، كذلك يحيى بن معاذ الرازى ٢٥٨هـ/ كان كأبى اليزيد البسطامى من الآخذين أنفسهم بالعناء الخاضعين لسلطان الوجد والسكر، قال أبى يزيد ذات مرة "أنه سكر لكثرة ماشرب من كأس المحبة" فرد عليه أبو اليزيد بقوله "إن غيرك قد شرب بحار السموات والأرض، ولكنه مايزال يخرج لسانه ويصيح طالباً المزيد" [٢] .

وقد تتابعت هذه الطريقة الصوفية عند غير هؤلاء ممن زخر بهم القرنين الثانى والرابع الهجريين، وربما كان أكثرهم خطراً على أصول التصوف السنى المعتدل الحسين إبن منصور الحلاج قتل عام ٣٠٩هـ/ وعلى الرغم مما صدر عنه من أمور غريبه وطرق منحرفة عجيبهة قد خرج به من دائرة الإيمان الخالص إلى الزندقة ومما دار حوله من آراء تستنكر ما صدر عنه من إدانته بعقيدته الحلوليه الإتحاديه [٣] فأنه إستطاع أن يفلسف المحبة الإلهية خلال مذهبه الحلولى إذ أنه يقوم على أساس فكرة "حلول اللاهوت فى الناسوت، أوحلول المحبوب فى المحب أو الرب فى العبد" ومما يدل على هذا المنهج قول الحلاج :-

مزجت روحك فى روحى كما	تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شئ مسنى	فإذا أنت أنا فى كل حال

فالحلاج هنا يصور حلول روح محبوبة فى روحه فى صورة الإمتزاج الذى يحصل بين الخمر والماء على وجه يصيران معه شيئاً واحداً. [٤]

---

(١) المصدر السابق - ص١٢٦ - ١٢٧ "لا شك أن ذا النون المصرى قريب فى ذلك من آثار أفلوطين ونظريته فى الجذب والإتحاد بالواحد .

(٢) المصدر السابق - ص١٣٩ كذلك القشيرى- الرسالة القشيرية حـ٢ ص٦١٢ وما بعدها.

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع الحسين بن منصور الحلاج (أبو المغيث) طاسين الأزل - أماكن متفرقة- ط دار النديم للطباعة والنشر ١٩٨٨م كذلك - دكتور عبد الرحمن بدوى - شخصيات فلسفة فى الإسلام ط دار المعارف١٩٤٩م.

(٤) دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام صـ١٤٠، ١٤١.

وتتابع هذا التصوير الفلسفى فى المحبة عند المتأخرين من أصحاب وحدة الوجــود ووحـــدة الشهـــود من أمثـــال إبن عرى ٦٣٨هـ/ وإبـن القـــارض ٦٣٢هـ/ وعبد الحق بن سبعين ت عام ٦٦٧هـ/ وعفيف الدين التلمسانى ٦٩٠هـ/ وصدر الدين القونوى ٦٦٧هـ/ وعبد الكريم الجيلى ٨٠٥هـ/.

ونوضح ذلك تفصيلاً عندما نتناول أهم شخصيات التصوف الإسلامى فى العصور المتأخرة إذ كان هؤلاء معاصرين لأهم الطرق الصوفية العملية وشيوخها الكبار.

وجدير بالذكر أن لهذه النزعة فى التصوير الفسفى للمحبة الإلهية عند الصوفية المتأخرين أثر كبير فى الأدب الصوفى، إذ أصبح الأدب الصوفى غنى فى شعره وفلسفته[1].

---

(١) أحمد أمين - ظهر الإسلام - حـ٤، صـ١٧٣. دار النهضة المصرية ١٩٧٣م.

ثانياً: شخصيات التصوف الفلسفى وعناصرها:

رأينا فيما سبق، أهم عناصر التصوف الفلسفى. والمصطلحات التى شاعت بين أوساط الصوفية فى القرنين الثالث والرابع وحتى القرن السابع الهجرى. وكيف مزج هؤلاء الصوفية بين المواجيد والأذواق، وبين التعبيرات المصطلحات الفلسفية. كالشوق والجذب والإتحاد بالواحد...إلخ. ونود هنا أن نتناول أهم الشخصيات الصوفية، التى كان لها دور فعال فى مزج التصوف وخطراته وأذواقه بالمصطلحات والآثار الفلسفية من القرن الثالث والرابع حتى بداية العصور المتأخرة.

١ - ذو النون المصرى/ ٢٤٥/ هـ .[١]

نستطيع أن نقول أن تيار التصوف الفلسفى ظهرت بداياته بوضوح فى غضون القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأن ماتردد عند الصوفية السابقين من مصطلحات أو تعبيرات عن العشق أو الفناء، أو الإغراق فى المحبة..إلخ ماهى إلا إرهاصات أولية لما ظهر من دمج لها فى أنساق فلسفية صوفية فيما بعد، وعلى ذلك فإننا نعتبر ذا النون المصرى. من أوائل هؤلاء المتصوفة الذين مزجوا بين الوجدانات القلبية والأذواق وبين الأنظار والمصطلحات الفلسفية وتذكر المصادر أن ذا النون المصرى إتهم بالذندقة وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ت عام ٢٤٧هـ

---

(١) إسمه ثوبان بن إبراهيم وقيل أو الفيض بن إبراهيموأبوه كان نوبياً وهو مصرى الأصل من أخميم، وتد أقواله أنه كان مثقفاً ثافة واسعة، وإشتهر بصناعة الكيمياء، ولكنها كانت صناعة مشوبة بالسحر والشعوذة. وروى أنه كان شغوفاً بالتجوال فى البرابى (المعابد والمبانى) المصرية القديمة وتأويل النقوش والرسومات التى وجدت بها أو تفسيرها، وإدعى أنه يقرأ خطوطها الهيروغليفية، ولكن يبدو أنه لم يقرأها إلا من خياله وأوهامه، وقد نسبت إليه بعض المصنفات ولكن معظمها منسوب إليه بعد تحقيق كثير من الباحثين المحدثين. ومن الثابت أيضاً أنه سلك طريقة التصوف ممزوجة بالعناصر الفلسفية. وقد توفى لليلتين خلتا من ذى القعدة عام ٢٤٥هـ/ ١ر ٢٤٦هـ = ٨٦١م.

نظرنا فى ذلك: القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص٥٨، كذلك بروكلمان - تاريخ الأدب العربى - حـ٤ - ص٥٣. ط - دار المعارف ١٩٨٣م.

كذلك: أحمد زمين - ظهر الإسام. حـ٤ - ص١٥٩ - ط - مكتبة النهضة. ١٩٨٢م.

الخليفة العباسى ببغداد. إلا أنه بعد محاورة بينهما رجع إلى مصر مكرماً. ولكن لابد أن هناك أسباباً أدت به إلى ذلك فى رأى علماء عصره وفقهائه، على الرغم مما إشتهر عنه من "الزهد والتقوى والورع" وماصدر عنه من أقوال فى الأحوال والأذواق والمقامات والمحبة تجعلنا نجزم أنه كان فى بداية تصوفه معتدلاً أقرب إلى تصوف أهل السنة منه إلى التفلسف. فالقشيرى/ ٤٦٥هـ يذكر عنه هذه العبارة عندما سئل عن علامات المحب لله تعالى "متابعة حبيب الله ﷺ فى أخلاقه وأفعاله، وأوامره، وسننه". وقال فى مدار الكلام أنه على أربع حب الجليل، وبغض القليل، وإتباع التنزيل وخوف التحويل[١]وقد تحدث الشعرانى ٩٧٣هـ/ عن ذى النون المصرى حديث المحبين التقاه والزهاد العباد، ذوى الأحوال والمقامات[٢] ولكن المصادر الأخرى تشير إلى أن ذاالنون المصرى أدخل العناصر الثيوذوقية[٣] فى التصوف الإسلامى فى عصوره المبكرة[٤] فكيف كان ذلك.

تذكر المصادر أن ذا النون المصرى كان حكيماً، وأنه إتخذ فى الدين سيرة خاصة على جسر من كيمياء البرابى ررموزها السحرية وهذا قد يصل به إلى التيار الغنوصى، ومن ناحية أخرى فأن له نظرية خاصة فى المعرفة "إذأنه كان أول من خطا بالمعرفة الصوفية خطوة جديدة حين فرق بين معرفة الصوفى بالله تعالى وبين المعرفة بالعقل وحده وحين ذكر أن المعرفة الحقيقية هى المعرفة الأسمى عن طريق المشاهدة القلبية، وقد يؤكد أن المعرفة فطرية فى قلوبنا منذ الأزل وهى الصلة التى يخلقها الله تعالى من النور الباطن فى قلوبنا، يقول فى ذلك "أن المعرفة الحقيقية بالله تعالى ليست العلم بوحدانيته التى يؤمن بها المؤمنون جميعاً، كما أنها ليست من علوم البرهان والنظر التى هى علوم الحكماء والمتكلمين والبلغاء، ولكنها معرفة صفات الوحدانية التى هى لأولياء الله خاصة لأنهم هم الذين يشاهدون الله بقلوبهم فتكشف لهم مالا يكشفه لغيرهم من عبادة "كذلك صدرت عن ذى النونالمصرى آراء فى الفناء بقوله "فلا يزال العبد يتقرب من الحق حتى يفنى فيه والعارفون بالله تعالى فانون عن أنفسهم لا قوام لهم بذواتهم، وإنما قواهم

(١) القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ص٥٩ .

(٢) راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص٥٩ وما بعدها .

(٣) الثيوزوفية: الغنوصية الشرقية والغربية اليونانية المتصلة بالأثار الأفلوطينية المحدثة .

(٤) دكتور - محمد مصطفى حلمى - احياة الروحية فى الإسلام ص١٢٦.

من حيث ذواتهم بالله تعالى، فهم يتحركون بحركة الله تعالى وينطقون عن الله تعالى بما جريه على ألسنتهم وينظرون بنور الله فى أبصارهم" [١] .

وإذا صح نسبة هذه الآراء لذى النون المصرى [٢] فإنه يقترب من الثقافات الأفلاطونيـة المحدثه، وكما تعرف أنهـا فلسفـة صوفيـة معرفيـة فى المقام الأول، وأفلوطين ٢٠٥/ ٢٠٧/م حدثت له حالات جذب للواحد الأول،ولكن ذلك لم يحدث بالحدث العقلى، لكن بالإعتماد على قوة النفس ذاتها [٣] فالتعمق الذاتى والحدس الباطنى موصلان إلى معرفة الواحد الحق الأول عند الصوفية، ربما هذا ما تشير إليه نظرية ذى النون المصرى فى المعرفة والفناء فى الحق عز وجل، وربما صدر عنه قول آخر عبر الطريق لنظرية البسطامى فى الفناء والإتحاد بقوله "عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى" [٤].

ومن الجدير بالذكر أن مؤرخى التصوف، وكتاب الطبقات والباحثين إهتموا إهتماماً كبيراً بما صدر عن ذى النون المصرى من نظريات، وتعبيرات فى المحبة والمعرفة، لما لذلك من تأثير واضح فى آراء المدارس والطرق الصوفية فيما بعد "فقد صدرت عنه أقوال كثيرة فى المعرفة وكذلك تعبيرات أخذت فى التعبيرات الصوفية، ككأس المحبة، وهو أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفى، وبلاء التصوف حكماً من نوع خاص، ذكرها فريد الدين العطار/ ٥٨٦هـ/ "فى تذكرة الأولياء". القشيرى "فى رسالته" [٥]

وقد نرى تردد مثل هذه التعبيرات والمصطلحات عند الصوفية وأصحاب الطرق المتأخرين.

---

(١) نظرنا فى ذلك: الدكتور: عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الأسلام - ص٣٠٦، ص٣٠٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: السراج اطوسى -اللمع. ١٤٥ -٤٩٨- ٥٠٣، ابن النديم- الفهرست - ص٣٠٨.

(٣) يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية - ص٢٩٠ - ص٢٩١.

(٤) دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية ص٣٠٧.

(٥) راجع أحمد أمين. ظهر الإسلام - حـ٢ - ص٦٨ - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٧م.

٢- أبو اليزيد البسطامى: فى عام ٢٦١/هـ[١].

تناول الباحثون الطريقة الصوفية عند البسطامى بالتحليل والدراسة وإختلفت حوله الآراء، فقد أثنى على طريقته شراح التصوف المتأخرون فالشعرانى إمام التصوف فى القرن العاشر الهجرى لم يذكر كلمة نقد واحدة فى حقه، إذ نلاحظ أنه يسرد أقوال البسطامى فى العلم والذوق والحال، والفناء، والغيبة عن الحس متجنباً ما تردد حوله من أقوال، كانت فى رأى كثير من الفقهاء وعلماء الشريعة خروجاً عن حدود الشرع[٢] إذ نجد أن أهل بسطام أنكروا عليه ما صدر عنه من أقواله فى المعراج الروحى كما كان للنبى ﷺ معراج[٣].

وكما أنكر الإمام الجنيد ٢٩٧هـ طريقة السكر التى كان يفضلها البسطامى على الصحو وعده سوء نهاية، فإن الإمام الغزالى ٥٠٥هـ حجة الإسلام لم يألوا جهداً فى تحليل ونقد نظرية الحلول والإتحاد التى أسفرت عنها طريقة الإستغراق الباطنى، والفناء الذاتى فى مشاهدة الحق سبحانه وتعالى بغية الوصول إليه والفناء به، ولم يوافق البسطامى أو غيره من غلاة التصوف فيما ذهبوا إليه فى أحوالهم وسكرهم، وحاول بقدر كبير تأويل آرائهم أو ما صدر عنهم بإستيلاء أحوالهم عليهم وغلبة شوقهم على صحوهم، قد صدرت عنهم أقوال "بترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا إشتمل لفظه على خطأ صريح لايمكنه الإحتزاز عنه وعلى الجملة ينتهى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الإتحاد وطائفة الحلول وكل ذلك خطأ، بل الذى لابسته تلك الحالة لا ينبغى أن يزيد على أن يقول :

---

(١) هو أبو يزيد بن طيفور بن عيسى التسطامى ت عام ٢٦١هـ/ كان جده مجوسياً وأسلم وكان له أخوة آدم وعلى وكلهم زهاداً عباداً وأبو يزيبد كان أكملهم حالاً. وكان من أهل بسطام محله كبيرة على جاده الطريق إلى نيسابور ذكره الكلاباذى فى كتابه التعرف لذهب أهل التصوف - ص٤١. كذلك القشيرى الرسالة القشيرية ص٨٨، والشعرانى -الطبقات الكبرى- حـ١ ص٦٥.

(٢) راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى - ط - ص٦٥ - ص٦٦ .

(٣) راجع الإمام جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى - تلبيس إبليس - ص١٦٧ - ط مكتبة المتنبى بالقاهرة. بدون تاريخ.

وكـان ما كان مما لست أذكـره   فظن خيراً ولا تسـأل عن الخبر [١]

وللغزالى تحليلات وتعليقات فى مؤلفاته ورسائله الأخرى [٢] وسوف نتبينها فيما بعد.

كذلك كان العالم السلفى المتأخر إبن تيمية/ ٧٢٧هـ / أشد نكالاً على البسطامى وغيره من الصوفية المتفلسفة [٣]

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت لطريقة التصوف الفلسفى عند البسطامى تأثير عميق فى توجيه الطرق الصوفية فى عصره وفى العصور المتأخرة، إذ صبغ التصوف بالصبغة الفلسفية الميتافيزيقية، بنظريته فى الفناء وهو لفظ مستحدث وغريب وليس من أصول العقيدة والشريعة بل مستمد من أصول هندية أو بوذية مرادف لكلمتى: (الدنيا يعنى التأمل والمراقبة، والسيماذى، وتعنى الإستغراق) .

فالتأمل والمراقبة والأستغراق معان تشمل ماتعنيه كلمة الفناء عند البسطامى. وجوهر هذه النظرية عنده يشير إلى معانى الصعود من المراقبه إلى الاستغراق الكامل فى الذات الإلهية ليسن إلى أن يصبح المبدأ الصوفى المراقب والمراقب عنده واحداً [٤].

وجدير بالذكر أن البسطامى كان يكثر من الكلام فى الإتصال بالله تعالى والتفكير فيه، واتخذ من فكرة الفناء أصلاً وقاعدة لذلك، ولا شك أن هذه الفكرة أو النظرية، كثيرة الشيوع فى كلام الصوفية وهى على درجات وذات مظاهر، فالمظهر الأول تغير أخلاقى فى الروح إذ تنحل معه الرغبات والشهوات، والمظهر الثانى إنصراف الذهن عن كل الموجودات إلى التفكير فى الله تعالى، فالمظهر الأول نفسى، الثانى عقلى، ثم إنعدام كل تفكير إرادى والتفكير فى الله تعالى من غير وعى وآخر درجاته إنعدام النفس بالبقاء مع الله تعالى [٥] أو الوصول إليه والإتصال به

---

(١) نظرنا: الإمام الغزالى. المنقذ من الضلال. ص٧٦.

(٢) من هذه الرسائل والمؤلفات راجع: الغزالى. المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى.ص١٤٥ - ص١٥١. الجندى ١٩٦٨. كذلك . إحياء علوم الدين - حـ١ - ص٣٥ وما بعدها.

(٣) لمزيد من التفاصيل. راجع - ابن تيميه - مجموعة الرسائل والمسائل حـ١ - وأماكن متفرقة.

(٤) دكتور - عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام ص ٣٠٩، ص ٣١٠.

(٥) أحمد أمين - ظهر الإسلام - جـ٤ - ص١٥٥ - .

تعالى. مما يوحى بمعنى الإتحاد. وهو ما يؤخذ على الصوفية فى هذا المجال. وفنده الإمام الغزالى فى كتابه المقصد الأسنى [١] وحكم على القائلين به بالقتل فى الأحياء [٢] .

ولاشك أن فكرة الفناء أو التأمل والمراقبة والإستغراق الباطنى الذوقى هى سلم الوصول فى معراج البسطامى الروحى للإتصال، ويوضح ذلك ماصدر عنه من عبارات فى حالة السكر وهو غائب عن الوعى مستغرقاً فى الذات، فيذكر عبد الوهاب الشعرانى ت عام/٩٧٣هـ بعض هذه العبارات، على الرغم من الحذر الشديد الذى يلتزمه فى إذاعة هذه العبارات، أو الشطحات عند الصوفية فيقول فيقول "كان أبو اليزيد يقول: رأيت رب العزة فى النوم فقلت يا رب كيف أجدك فقال فارق نفسك وتعال إلىّ" [٣] وقد ذكر مؤرخوا الطبقات آراء كثيرة فى هذا المجال نذكر من بعضها قول البسطامى "كنت إثنتى عشرة سنة حداد نفسى، وخمس سنين كنت مرآة قلبى، وسنة أنظر فيما بينهما فإذا فى وسطى زنار [٤] فعملت على قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه، فكشف لى فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات..." وهذا يشير إلى مقام المجاهدة وهو ماذكره القشيرى ٤٦٥هـ [٥] وفى عبارة أخرى يقول البسطامى معبراً عن حال الوصل والإتصال "منذ ثلاثين سنه كان الحق مرآتى، فصرت اليوم مرآة نفسى، لأنى لست الآن من كنته، وفى قولى "أنا" إنكار لتوحيد الحق لإنى عدم محض فالحق تعالى مرآة نفسه، بل أنظر أن الحق مرآة نفس لأنه هو الذى يتكلم بلسانى، أما أنا فقد فنيت" [٦] وبهذه العبارة عبر البسطامى عن حال فناء هويته فى هوية الحق سبحانه وتعالى. ومما يوضح ذلك ماذكره الشعرانى من عبارة عن البسطامى عندما سئل عن المعرفة فقال "للخلق أحوال ولاحال

---

(١) راجع الغزالى - المقصد الإسنى - ص١٤٦ ومابعدها .

(٢) راجع الغزالى - إحياء علوم الدين - جـ١ - ص٣٦ ومابعدها .

(٣) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص٦٥.

(٤) زنار هو: مايشرط به الوسط.، ربما يريد بذلك كدورات السنوات والحظوظ .. راجع هامش - الرسالة القشيرية - حـ١ ص٩٠ .

(٥) الرسالة القشيرية. ص٨٨.

(٦) دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية ص٣١٠.

لعارف لأنه محيت رسومه وفنيت هويته لهوية غيره، وغيبت آثاره لآثار غيره، فالعارف طيار والزاهد سيار" (١).

وقد صدرت عن البسطامى عبارات فى حالة غيبته عن الوعى فى حالة سكر بإستغراقه الكامل وحال فنائه، تعد من قبيل الشطح (٢) مثل قوله "سبحانى سبحانى ماأعظم شأنى" وقوله عندما دق رجل بابه يسأل عنه فرد عليه قائلاً "ليس فى الدار غير الله، أو مافى الجبه غير الله.....، ولعل هذه العبارات أو غيرها مما هو مستغرب وغير مفهوم بظاهره، لها من الخطورة على عقول العوام والجمهور الشئ الكثير، فهى غير مقبولة فى دوائر الفكر الإسلامى الأخرى، الأمر الذى جعل علماء السنة والسلف المتأخرين يرمون قائلها بالكفر تارة وبالزندقة تارة أخرى، وإن حاول الغزالى/ ٥٠٥هـ/ كما أشرنا من قبل تأويلها أو التخفيف من حدتها لكن موقفه العام يرفض ذلك خوفاً وحرصاً على حرمة العقيدة لدى جمهور وعامة الناس. (٣)

ونود أن نذكر أن البسطامى بهذه النزعة الميتافيزيقية الصوفية بضع البذور الجديدة لنظرية الحلاج/ ٣٠٩هـ فى الحلول والإتحاد، وينتج عنها تفريعات كثيرة أخرى لها صداها العميق فى طرق التصوف الفلسفى فى العصور المتأخرة، وتذكر المصادر أنه كانت تصدر منه عبارات وأقوال معتلة فى حالة الصحو، تختلف عما كان يصدر منه فى حالة الوجد وغيبة الحس والشوق (٤) .

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ ص٦٦.

(٢) الشطح: معناه عبارة مستغربة فى وصف وجد فاض بقوته وهاج بشدة غليانه وغلبته. راجع الطوس ت عام ٣٧٨هـ اللمع. ص٤٥٤. ط القاهرة ١٩٥٧م.

(٣) راجع الغزالى - المقصد الأسنى - ص١٤٧، كذلك علوم إحياء علوم الدين - حـ١ ص٣٦.

(٤) ومن قبيل هذا يذكر القشيرى بعض الأحاديث عن بعض طريقة البسطامى فى الزهد وترك أسباب الحياة الدنيا وحفظ حدود الشريعة.. قال أبو يزيد "لق هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفينى مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لى أن أسأل هذا ولم يسأله رسول الله ﷺ إياه؟ فلم أسأله، ثم إن الله سبحانه وتعالى كفانى مؤنة النساء، حتى لا أبالى إستقبلتنى إمرأة أم حائط، وفى موضع من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا عغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى، وحفظ الحدود وأداء الشريعة، راجع الرسالة القشيرية - حـ١ - ص٨٩، ص٩٠ وللمزيد راجع - الشعرانى - الطبقات الكبرى - ط١ - ص٦٦.

٣ - الحسين بن منصور الحلاج قتل عام ٣٠٩هـ/ وفلسفته الصوفية :-

الحلاج[١] شخصية صوفية محيرة تعرضت لمزالق خطيرة، فهو صوفى غلب عليه حاله عند الصوفية. وهو زنديق خرج عن آداب الشريعة وغلط فيها عند المعتدلين وفقهاء السنة وعلماء السلف فحق عليه القتل. وإختلف بشأنه مؤرخوا الفرق وكتاب الطبقات، بينما تحرج بعضهم فى مجرد ذكره، أو إدراجه ضمن رجال التصوف، كالكلاباذى ٣٨٠هـ وهو من قدماء مؤرخى التصوف[٢] كذلك الإمام عبد الكريم القشيرى ٤٦٥ هـ فى رسالته[٣] وهو مؤرخ سنى أشعرى، بينما نجد البعض الآخر من قدماء مؤرخى الطبقات لم يغفل ذكر الحلاج وطريقته الفلسفية الصوفية.

فالطوسى/ ٣٧٨هـ/ وهو مؤلف صوفى تحدث عن الحلاج فى عدة مواضع من كتابه "اللمع" منها قوله "وسئل الحسين بن منصور رحمه الله عن الفقير الصادق فقال: الفقير الصادق الذى لايختار بصحة الرضا مايرو عليه من الأسباب" وفى موضع آخر يذكر عنه قوله حين خرج من السجن ليقتل أن آخر كلامه أن قال : حسب الواحد أفراد الواحد له، وهذه كلمة التوحيد الإسلامية.. إلخ.

يبدو أن الطوسى تحرج من ذكر العبارات والآراء الأخرى التى كانت تدين الحلاج وسببها لقى حتفه.[٤]

---

(١) هو أبو المغيث: الحسين بن منصور الحلاج. أصله من البيضا إحدى بلاد فارس، وقد نشأ بواسط بالعراق، وصحب أبا القاسم الجنيد شيخ الطائفة ببغداد والناس فى أمره مختلفون بين تعظيمه وتكفيره وقد أمر اخليفة المقتدر العباس ٣٢٩/ هـ ضرب عنقه بعد فتوى الفقهاء بقتله عام ٣٠٩ هـ للمزيد راجع ...إبن خلكان. وفيات الأعيان، صـ١٨١.. الشعرانى.الطبقات الكبرى. حـ١. ص٨٩١.

(٢) انظر: أبو بكر الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف ص٣٦ وما بعدها .

(٣) القشيرى - الرسالة القشيرية - ط١، حـ٢ .

(٤) راجع - الطوسى - اللمع. ص١٥١.

أما الخطيب البغدادى/ ٤٦٣ هـ صاحب تاريخ بغداد كمؤرخ لم يألو جهداً فى التعريف بحياة الحلاج وسيرته وفلسفته وعقائده الغنوجية. ونزعته السياسية، وصلتـه بالقرامطـة[١] لكن عبد الرحمن السلمى/ ٤١٢هـ/ كان أكثر المؤرخيـن الصوفيين إهتماماً بطبقات الصوفية وبالحلاج أيضاً. فهو يذكر مآخذ الحلاج وماله دون أن يعطى رأياً خاصاً به، فيذكر رأى المشايخ فيه، فيرى أن المشايخ فى أمره مختلفون، ورده أكثرهم ونفوه وأبوا أن يكون له قدم فى التصوف[٢] وقد قبله بعضهم كأبى القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذى/ ٣٦٧/ هـ وأبو القاسم عطاء البغدادى/ ٣٠٩هـ/ أثناء محاكمة الحلاج وابن خفيف ٣٧١/ هـ وصححوا له حالة، حتى قال محمد بن خفيف، الحسين بن منصور عالم ربانى، بينما يذكر السلمى عن الحلاج قوله. أما إن ينشغل العارف بملاحظة الأعمال والعبادات فيحجب عن الله تعالى فلا يلاحظ شيئاً غيره "والحلاج فى روايات السلمى كالبسطامى مؤثر للسكر على حالة الصحو، وهو بهذا يرى أن التوحيد الذى نعرفه يمنع من الوصول إلى مقام التجريد وإذن من الصعود إلى مقام التجريد ليمكن الوصول إلى حقائق التوحيد الخالص، لأن السكران هوالذى ينطق بما خفى أما الغارض فهو محجوب، وهو فى إيمانه كمن يطلب الشمس ينور الكواكب..[٣] ومع مايشوب هذه الآراء من نقد وشبهات لاتتفق مع حقائق الإيمان الواضح، فلسنا بحاجة إلى التوضيح هنا أكثر من الإشارة، لأن مثل هذه الأمور حسمت منذ زمن بعيد، ودار حول قائليها شبهات من جانب علماء السلف والمؤرخين، فابن النديم/ ٣٣٥هـ/ صاحب كتاب "الفهرس نظر إلى الحلاج على أنه كان رجلاً محتالاً مشعوذاً يتعاطى مذاهب الصوفية ويتحلى بألفاظهم، وكان يدعى الكرامات ليفتن بذلك العامة، وأنه كان يرتكب العظائم يروم إنقلاب الدول، ويدعى أصحابه

---

(١) لمزيد من التفاصيل : الدكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام.ص٣٢٧ ص٣٣٤.

(٢) نفس المصدر السابق، كذلك . الغدادى الفرق بين الفرق ص٢٩٣ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. ط مكتبة دار التراث القاهرة - بدون تاريخ .

(٣) راجع المصدر السابق - ص٣٣٩ - وما بعدها .

الألوهية ويقول بالحلول"[1] ويصفه إبن الجوزى / ٥٩٧ هـ/ بأنه كان محتالاً خبيثاً كافراً ثم روى كثيراً من آراء الصوفية وعلماء السنة وإعتراضهم على مذهبه[2].

أما أهل السنة ومنهم عبد القاهر البغدادى ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ويوافقه أبو المظفر الإسقرانى ٤٧١ هـ/ فقد تحدثا عن "الحلاجية" كطائفة من طوائف دعاة الحلول والإتحاد والتى تنسب إلى طوائف الصوفية فقالا "وأماالحلاجية فمنسوبون إلى أبى المغيث الحسين بن منصور (الحلاج قتل عام ٣٠٩هـ) وكان من أرض فارس من مدينة يقال لها البيضاء، وكان فى بدأ أمره مشغولاً بكلام الصوفية، وكانت عباراته من الجنس الذى تسميه الصوفية الشطح، وهو الذى يحتمل معنيين أحدهما:

محمود، والآخر مذموم، وكان يدعى أنواع العلوم على الخصوص والعموم، وإفتتن به قوم من أهل بغداد وقوم من أهل خراسان، وقد إختلف فيه المتكلمون والفقهاء والصوفية، وأما المتكلمون[3] فأكثرهم على تكفيره وأنه كان على مذهب الحلولية، وقبله قوم من السالمية بالبصرة[4] ونسبوه إلى حقائق معانى الصوفية، وإختلف الفقهاء أيضاً فى شأن الحلاج، فتوقف فيه أبو العباس بن سريج ت عام/ ٣٠٦هـ ، لما إستفتى فى دمه، وأفتى أبو بكر محمد بن داود بجواز قتله/ ٢٩٧/ هـ .[5]

---

(١) لمزيد من التفاصيل - ابن النديم - الفهرست - (فصل الحلاج) ط- بسبك بدون تاريخ .

(٢) للمزيد - راجع. جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجويزى -تلبيس إبليس. ص١٧١ - ص١٧٢ .

(٣) منهم القاضى أبو بكر محمد بن الطبيب الباقلانى، يصرى متكلم على مذهب الإمام أبو الحسن الأشعرى إذ أيد إعتقاد الأشعرى المتكلم السنى، ونصر مذهبه. وتوفى عام ٤٠٣ هـ راجع - بن خلكان وفيات الأعيان ص ٥٨٠.

(٤) السالمية قوم من الحشوية المندسين بين الحنابلة ينسبون إلى الحسن محمد بن أحمد أبى سالم البصرى ت عام/ ٣٥٠هـ/ وبهم ذاع بين الصوفية القول بالتجلى فى الصور، ومن معتقداتهم أن الله تعالى يتلو على لسان كل قارئ، وأنه تعالى يرى يوم القيامة فى صورة آدمى محمدى.. وهذا مخالف للشرع .

(٥) انظر فى ذلك : البغدادى. الفرق بين الفرق. ٢٦٠، ص٢٦١ كذلك : أبو المظفر الإسفراينى - التبصير فى الدين ص٧٧، ص٧٨ - تحقيق محمد بن زاهد الكوثرى. مطبعة الأنوار ١٩٤٠م .

وإختلف فيه مشايخ الصوفية، كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق، فبرئ منه عمرو بن عثمان المكى ت عام/ ٢٩٧/ هـ[(١)] وكذلك يعقوب الأقطع، ت عام / ٣٣٠ هـ/ وروى أن الحلاج مر يوماً على الجنيد/ ٢٩٧هـ/ فقال: أنت بالحق آية خشية تقصد "فتحقق فيه ماقال الجنيد، لأنه صلب بعد ذلك" (٢) .

ومهما أثار حول الحلاج من ضجة عنيفة، وإختلاف حول شخصيته وأثره العميق فى الحياة الروحية فى الإسلام سواء فى عصره أو فيما تلاه من عصور أخرى، فإنه من وجهة نظرنا قتل لأسباب عقائدية لقوله "أنا الحق - أو أنا الله" ولأسباب سياسية أيضاً، لما حامت حوله الشبهات لصلته بالقرامطه أو الباطنية من الشيعة أعداء الخلافة العباسية .

ونود هنا، معرفة جوهر المذهب الصوفى عند الحلاج وتأثيره فى بعض الشخصيات أو المذاهب الصوفية الأخرى، وعلى ذلك فإن تحليلنا لمذهبه يدور حول أربع قضايا أساسية: -

القضية الأولى : - نظريته فى الحلول والإتحاد، وهى من أخطر وأعمق النظريات الصوفية، وامتد تأثيرها حتى المدارس الصوفية فى العصور المتأخرة، وكانت أساساً قوياً وتمهيداً لنظرية وحدة الوجود عند إبن عربى ٦٣٨هـ ومدرسته كما سنرى فيما بعد .

---

(١) تذكر المصادر أن عمرو بن عثمان المكى ٢٩٧هـ شيخ الصوفية تبرأ من الحلاج وروى "كنت أماشيه يوماً فقرأت شيئاً من القرآن، فقال: يمكننى أن أقول مثل هذا. وعن أبى عبد الرحمن السلمى ٤١٢هـ قال حكى عن عمرو المكى أنه قال: كنت أماشى الحسين بن منصور فى بعض أزقة مكة ركنت أقرأ القرآن فسمع قرائتى فقال يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته. نظرنا فى ذلك: البغدادى - الفرق بين الفرق وص٢١٢. إبن الجوزى - تلبيس إبليس - ص١٧١ كذلك لمزيد راجع - السلمى - طبقات الصوفية - ص٣١١ وما بعدها - ط القاهرة ١٩٥٣ .

(٢) المصدر الساق - الغدادى - الفرق بين الفرق ص٢٦١ - والإسفرانى التبصير فى الدين - ص٧٨ - "تذكر المصادر أن الحلاج ضرب بالسياط. وقطعت يداه ورجلاه وفصل رأسه، ثم حرقت وألقيت بعد ذلك فى نهر دجلة - راجع البغدادى - الفرق بين الفرق ص٢٦٣.

ويدور جوهر هذه النظرية عند الحلاج. كما فى كتب التراث وماتناقلته أقلام المؤرخين وكتاب الطبقات[١] ومنهم الإصطخرى وهو أجد معاصريه المتأخرين حيث نقل أقوال الحلاج من هذا المجال فقال "أن الحلاج كان رجلاً ينتحل النسك فما زال يرتقى به طبقاً عن طبق حتى إنتهى به الحال إلى أن زعم أن من هذب فى الطاعة نفسه، وإشتغل بالأعمال الصالحة قلبه، وصبر على مفارقة اللذات، وملك نفسه فى منع الشهوات إرتقى به إلى مقام المقربين، ثم لايزال يتنزل فى درج المصافاة حتى يصفو عن البشرية طبعه، فإذا لم يق فيه من البشرية نصيب حل فيه روح الله الذى كان منه عيسى ابن مريم، فيصبر مطاعاً فلا يريد شيئاً إلا كان من كل ماينفذ فيه أمر الله، وأن جميع فعله حينئذ فعل الله، وجميع أمره أمر الله" .

وهذا يعنى أن الحلاج إعتنق عقيدة حلول الله تعالى فى الإنسان وإستحالة الإرادة الإنسانية إلى إرادة الهية بحيث يصبح كل مايصدر عن الإنسان من فعل فعلاً لله تعالى. [٢]

وجدير بالذكر أن هذه العقيدة الحلولية وجدت عند الشيعة، وربما إستند إليها الحلاج فى عقيدته الحلولية .

وقد ترددت فى بطون المكتب بعض هذه الآراء الحلولية، بل وصيغت فى أبيات الشعر مثل قوله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا	نحـــن روحان حللنـــا بدنـــا
فإذا أبصرتـنى أبصرتـــه	وإذا أبصرتـــه أبصرتنـــا

بل يصور الحلاج مدى إمتزاج روحه فى روح محبوبه وهو الله سبحانه وتعالى تصويراً شعرياً، لاشك أن ظواهرها تدين قائلها بالزندقة أو الكفر، كما وصفه بذلك خصومه فقال :

مزجت روحك فى روحى كما	تمـزج الخـمرة بالمـاء الـزلال

(١) جدير بالذكر أن معظم آراء احلاج مبثوثة فى كتب التواريخ والطبقات ولم يبق فى مؤلفاته ورسائله الصوفية إلا اليسير. وقد أشار إلى ذلك إبن النديم فى كتابه الفهرس. ولم يتداول بين أيدى الباحثين فى التصوف الإسلامى من كتب الحلاج سوى كتابه المسمى "بالطواسين" حققه وصححه بولس نويا اليسوعى ونشرته جامعة القديس يوسف فى بيروت عام ١٩٧٢، وهناك نسخة أخرى حققها ونشرها المستشرق الفرنسى لويس ينسيون ط ١.

(٢) نظرنا : الدكتور محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام ص١٤٠ - ١٤١

فـإذا مسـك شئ مسـنى   فإذا أنت أنـا فى كـل حـال

وقد ذهب البعض من الباحثين أن الحلاج ردد بعض الأبيات من الشعر حيث فرق بين المحب والمحبوب ونفى هذا الإمتزاج من ذلك قوله :

أنا عبد الله فى الأشياء فهل   ظاهـر فـى الكون إلا عبسا

أنا سـر الحـق ماالحق أنـا   بـل أنـا حق ففـرق بيننا

ومما لاشك فيه أن الحلاج حلولى صريح فى أغلب نواحى مذهبه، وهذا يتوقف على قوله أن اللاهوت يمكن أن يحل فى الناسوت إذا تهيأ لهذا الأخير حظ من الفناء فى النفس، والصفاء الروحى. فالروح الإلهى يحل فى البدن الإنسانى. ويصدر أفعال الإنسان عن إرادة إلهية، دون أن يترتب على ذلك أن يكون الإنسان من حيث حقيقته إلهى، فالله تعالى خلق آدم على صورته[(١)] وقد أمر الملائكة بالسجود لهذا الآدمى، قال تعالى "وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين" سورة البقرة آية (٣٤)[(٢)] .

ولاشك أن هذا التصور الفلسفى للعلاقة بين العبد والرب فى نظرية الحلاج الحلولية الإتحادية جعلته يذهب إلى إعتبار نفسه مرآة للحق تعالى، إذ أن تأويله للحديث القدسى "أن الله خلق آدم على صورته" تأويلاً غنوصياً يشير عنده إلى أن الإنسان بما هو إنسان يعيش فى جسد، فإنه يجد حقيقة الله تعالى فى ذاته[(٣)] وقد إنتهى به الأمر إلى أن ينطق بمقولته الخاصة به "أنا الحق" وهذه العبارة المشهورة أعلن بها إتحاده الصوفى بالله وحبه الوجدانى الذى فيه إمتزج بالله[(٤)].

---

(١) هذا الحديث/ عن أبى عاصم فى السنة ٢٢٩/١ ح٥١٨ - قال الإبنابى حديث صحيح - إسناده ضعيف/ الدراقطنى الصفات .

(٢) المصدر السابق - ص١٤٢ .

(٣) للمزيد من التفاصيل راجع. دكتور عبد القالر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام . ص٣٥٨ .

(٤) كارل هنترش بكر : تراث الأوائل فى الشرق والغرب (بحث ملحق بكتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، ص٩ ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ط دار القلم ببيروت ١٩٧٠م .

هذه الفكرة الصوفية الأولى عند الحلاج أحدثت ضجة فى أوساط التصوف الإسلامى وهزت كيانه عند الفقهاء وعلماء الكلام من أهل السنة بل كان لها تأثير سلبى على إعتقادات المتصوفة، إذ أدت إلى إعتقاد بعض أصحابه بعد مقتله إلى الإعتقاد فى ألوهيته، ويذكر البغدادى ٤٣٩ هـ بعض رسائله يدعى فيها الإلوهية فيقول "وزعموا أن الحلاج إدعى لنفسه هذه الرتبة، وذكروا أنهم ظفروا بكتب له إلى أتباعه عنوانها" من الهو الذى هو رب الأرباب المتصور فى كل صورة إلى عبده فلان" وظفروا بكتب أتباعه إليه وفيها "ياذات الذات ومنتهى غاية الشهوات، نشهد إنك المتصور فى كل زمان بصورة وفى زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ونحن نستجيرك ونرجو رحمتك ياعلام الغيوب"[١] . **أما القضية الثانية: فهى** نظريته فى الحقيقة المحمدية، أو النور المحمدى، وهذه النظرية لعبت دوراً هاماً فى دوائر الفكر الفلسفى الصوفى وعند أصحاب الطرق العملية وبصفة خاصة فى العصور المتأخرة[٢] وضعت تحت مسميات أخرى مثل الإنسان الكامل أو الحكيم أمثاله عند الصوفية الإشراقيين، وما تمخض عنها من معان ومدلولات أخرى عند أصحاب الطرق مثل خاتم الأولياء أو القطبانية والقطب الغوث - وقطب الزمان.. وهكذا، بل وربما كان لذلك صلة قوية بنظريات الشيعة فى الإمامة وإن كنا نرجئ مناقشة هذه المسائل المتفرعة عن هذه النظرية لحين تناول مذاهب أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين فإننا نود هنا أن نتعرف على جذورها الفلسفية الصوفية عند الحلاج ومدرسته.

وتتضح هذه النظريات عند الحلاج/ ٣٠٩هـ من خلال ماورد فى كتابه "الطواسين" إذ يكتب فصلاً كاملاً فى هذا المجال يسمى "طس السراج" أو "طاسين السراج" فيقول : "سراج من نور الغيب بدأ وعاد وجاوزوا السرج وساد قمر تجلى من بين الأقمار كوكب رجه فى فلك الأسرار، سماه الحق "أميا" لجمع همته، وحرمياً لعظم نعمته ومكياً لتمكينه عند قربته"[٣].

---

(١) البغدادى الفرق بين الفرق صـ٢٦٣ راجع الإسفراينى التبصير فى الدين صـ٧٨ .

(٢) نجد لهذه النظرية عند فلاسفة التصوف أمثال محى الدين بن عربى ٦٣٨هـ، ومدرسته وعبد الكريم الجيلى ٨٠٥ هـ، عمر بن الفارض ٧٣٢هـ وعبد الحق بن سبعين ٦٦٨هـ وهكذا .

(٣) الحلاج (أبو المغيث الحسين بن منصور قتل عام ٣٠٩ هـ/ طواسين الأزل (الطواسين) صـ٣ تحقيق وتصحيح بولس نويا اليسوعى . ط جامعة القديس يوسف. بيروت ١٩٧٢م .

وبعد أن يشير إلى ظهور النبى محمد ﷺ ومكانه ومكانته بين جملة الأقمار أو الأنوار يتحدث عن هذا النور المحمدى وفضله وقدمه وإن جملة الأنوار الأخرى منبثقة منه ﷺ.

ويصور ذلك بقوله "أنوار النبوة من نوره برزت، وأنواره من نوره ظهرت، وليس فى الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم فى القدم سوى نور صاحب الحرم[1] وهذا يشير إلى قدم النور المحمدى أو الحقيقة المحمدية، ويزيد فى ذلك توضيحاً بقوله.. "همته سبقت الهمم. ووجوده سبق العدم. وإسمه سبق القلم لأنه قبل الأمم والشيم، ماكان فى الآفاق ووراء الآفاق، ودون الآفاق، أظرف وأشرف وأعرف وأنصف، وأرأف وأخوف وأعطف من صاحب هذه القصة، وهو سيد أهل البرية الذى إسمه أحمد، ونعته أوحد، وأمره أوكد، وذاته أجود، وصفاته أمجد، وهمته أفرد[2] ويوضح قدم الحقيقة المحمدية - ونوره الأزلى قبل خلق الأكوان وظهور الحوادث والأحداث.. فقال:

"لم يزل كان مشهوراً قبل الحوادث والكوائن والأكوان، ولم يترك كان مذكوراً قبل القبل، وبعد البعد، والجواهر والألوان "وبعد ذلك يبين كيف أن الحقيقة المحمدية هى جوهر العلوم، ومعدن المعارف وأن العلوم والحقائق كلها مستمدة من أنواره فقال "فوقه غمامة برقت، لمعت وشرقت، وأمطرت وأثمرت، العلوم كلها قطرة من بحره، الحكم كلها غرفة من نهره، الأزمان كلها ساعة من من دهره"[3] ثم يتحدث عن صلة النبى ﷺ وقربه من الله عز وجل فبين أن "الحق به، وبه الحقيقة، والصدق به، والرفق به، والفتق به، والرتق به، فهو الأول فى الوصلة، والآخر فى النبوة، والظاهر بالمعرفة، والباطن بالحقيقة"[4] ثم يقول "ماخرج خارج من ميم "محمد" ومادخل فى حائه أحد، حاء وميم ثانية، والدال وميم أوله، داله دوائه، ميمه محله، حائه حاله، ميم ثانية مقاله أظهر إعلانه، أبرز برهانه، أنزل فرقانه، أنطق لسانه، أشرق جنانه، أعجز أقرانه، أتيت بنيانه، رفع شأنه"[5].

---

(١) المصدر السابق ص٤ .

(٢) نفس المصدر ص٤ .

(٣) المصدر السابق ص٥ .

(٤) المصدر السابق ص٥ .

(٥) الطواسين. نفس المصدر السابق ص٥ .

وماورد من طواسين أخرى فيما بعد فإن حديث الحلاج وتحليله يدور حول هذه النظرية فى الحقيقة أو النور المحمدى .

والقضية الثالثة : فهى من الأمور الغريبة حقاً، والخطيرة أيضاً فيما ورد من طواسين الأزل، ومادار حديث الحلاج حول إبليس وفرعون، وموقفهما من الأمر الإلهى بالسجود بالنسبة لإبليس، والتوحيد بالنسبة لفرعون، وقد تندهش من تحليلات الحلاج الأزلية ودفاعه عن موقف كل منهما مما لاداعى للخوض فيه، لأن أقوال الحلاج فى هذا المجال تخرج به عن أصول العقيدة وما نطقت به الشريعة[1] وأما **القضية الرابعة** : تتضح فيما يضاف إلى ماظهر من أقوال للحلاج تحدث فيها عن توحيد الأديان وأن هذه الأديان إن هى إلا أسماء لحقيقة واحدة، وفروع الأصل واحد وأنها كلها لله تعالى شغل بكل دين طائفة لاإختيار منهم بل إختياراً عليهم.. [2]

وللحلاج أقوال خطيرة كثيرة فى تأويل قواعد وأركان الشريعة والفرائض مثل الصلاة والحج والصوم وغير ذلك يخالف فيها الإسلام ولاداعى للخوض فيها [3] حتى لاتخرج عن مقصودنا من البحث. ومما لاشك فيه أن نظرية الحلاج فى الحقيقة المحمدية، ووحدة الأديان، كان لها شأن كبير فى الصوفية المتأخرين، فقد أخذت صوراً روحية وإصطبغت بألوان فلسفية زاهية عند كل من محى الدين بن عربى ٦٣٨هـ وعمر بن الفارض ٦٣٢هـ ، وجلال الدين الرومى/ ٦٧٢ وعبد الكريم الجبلى/ ٨٠٥ هـ وقد كان لآراء الحلاج تأثير كبير فى تلامذته، إذ أصبح له مدرسة فلسفية صوفية بعد قتله عام ٣٠٩ هـ .

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع الطواسين. ص١٦ "طس الأزل والإلتباس "فى فهم الفهم فى صحة الدعاوى بعكس المعانى" ص١٦ - ص٢٢ .

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع دكتور، محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٤٤ .

(٣) لمزيد من التفاصيل - راجع المصدر السابق، كذلك دكتور عبد القادر محمود الفلسفة الصوفية فى الإسلام .

٤ - الحكيم الترمذى/ ٣٢٠ هـ/ [(١)] :-

وهو معروف معرفة تامة بين أوساط الصوفية المتقدمة وكذلك المتأخرة، فقد وضعه الكلاباذى / ٣٨٠ هـ/ ضمن الصوفية فى المعاملات[(٢)] وتحدث عنه القشيرى ٤٦٥هـ فقال "من كبار الشيوخ وله تصانيف فى علوم القوم"[(٣)] كذلك ذكره بن عطاء الله/ ٧٠٩هـ/ هو أحد الأوتاد الأربعة[(٤)] يضاف إلى ذلك ماتحدث به الإمام عبد الوهاب الشعرانى ٩٧٣هـ / فذكر ماقاله من أثر كبير فى علوم الصوفية[(٥)] .

وتناولته أقلام الباحثين والمؤرخين بالبحث فذكروا عنه : "أنه متكلم سنى من أهل خرسان ومحدث ومتصوف وفقيه حنفى. ويذكرون أن الحكيم الترمذى حاول شرح بعض مسائل غنوصية شرحاً صوفياً على مذهب أهل السنة. ومنها "سبق وجود النور المحمدى. والحقيقة الآدمية، وكان أول من بحث فى قيمة الحروف الهجائية الثمانية والعشرين، وعلم الملائكة ودرجات الولاية بحثاً علمياً، واستعار لذلك إصطلاح الشيعة ألا وهو الولاية - كتابية "نوادر الأصول" "ختم الولاية"[(٦)] وتؤكد مصادر البحث أثر الترمذى الفكرى والفلسفى الصوفى فى أصحاب الطرق

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى ت عام ٣٢٠هـ / ٩٣٢م ولد فى ترمذ من بلاد ماوراء النهر كما يتضح ذلك من نسبته ولا يعرف على وجه التحقيق مولده وإن روى أنه عاش حتى بلغ الثمانين أو التسعين من عمره وإختلفت آراء المؤرخين وأصحاب الطبقات حوله. راجع فى ذلك : السلمى طبقات الصوفية - ص١٧٦ - ١٧٩ ، دائرة المعارف الإسلامية - حـ٩ - ص٢٩٠/ الدكتور نقولاهير. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب (للترمذى) المقدمة . ص٣،ص١١ - ط١ مكتبة الكليات الأزهرية - بدون تاريخ .

(٢) الكلاباذى - التعرف لمذهب أهل التصوف. ص٤٥ - ص٤٦.

(٣) القشيرى - الرسالة القشيرية ط١ ص١٣٨ .

(٤) نفس المصدر السابق . الهامش . ص١٣٨ .

(٥) الشعرانى - الطبقات الكبرى - ط١ - ٧٨ .

(٦) راجع دائرة المعارف الإسلامية - حـ٩ - ص٢٩٠ - ص٢٩١ كذلك لمزيد من التفاصيل راجع الدكتور نقولاهير - بيان الفرق بين القلب والصدر والفؤاد.. للترمذى - المقدمة ص٦ ومابعدها .

الفلسفية عند الصوفية المتأخرين، فقد أراد الترمذى أن يخرج تخريجاً عقلياً الفرائض الشرعية فى كتبه "علل العبودية، وشرح الصلاة، والحج وأسراره، وله كتاب آخر هو "الفروق" وكان يقول بالكشف، ويدعو إلى الأخلاق الشريفة ويعد بحق رائد أبن عربى الذى جاء بعده بثلاثة قرون فيمن كتب وأعجب به [1].

ولاشك أن الترمذى حاول على طريقة محمد أبن كرام/ ٢٥٥/ هـ أقامه علم الكلام على أساس من الفلسفة فأتى بذلك إلى طريق التصوف، وقد إهتم إبن عربى ٦٣٨هـ بدراسة كتبه وماورد فيها من تعريفات وتفسيرات جديدة للأفكار الغنوصية التى نشرها الشيعة، فيما زعم من كتابه "ختم الولاية" إن للأولياء خاتماً، كما أن للأنبياء خاتماً وأن الولى أعلى مرتبة من النبى [2].

فجوهر طريقته الصوفية والتى إستمد أصولها من نظريات الحلاج الغنوصية، يتضح بصوره فيما نذكر المصادر بأن الترمذى/ ٣٢٠هـ عندما بلغ السابعة والعشرين إعتزم الحج فمر بالعراق فى طريقه طلباً للحديث [3] ولما وصل مكة وقع فى قلبه كما يقول "تصحيح التوبة والخروج مما دق وجل" وسأله الله تعالى أن يصلحه ويزهده فى الدنيا" ثم ألقى عليه وهو عائد إلى وطنه حرص حفظ القرآن الكريم، فبدأ ذلك فى طريقه، ثم نشد له شيخاً يدله على طريق التقوى ولكنه لم يهتد إليـه حتى سمع كلام أهل المعرفة. ووقع إليه كتاب الأنطاكى [4] وتعلـم

---

(١) المصدر السابق ص٢٩١ .

(٢) بروكلمان - تاريخ الأدب العربى - حـ٤ - ص٦٩ .

(٣) تذكر بعض المصادر أن الترمذى لم يكن من أهل الحديث وإنما كان فيه الكلام على إشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق حتى خرج فى ذلك عن قاعدة الفقهاء وإستحق الطعن عليه بذلك، إذ ملأ كتبه بالأحاديث الموضوعة ، وحشاها بالأخبار التى ليست بمروية ولا "مسموعة" .

إنظر فى ذلك - دكتور نقولاهير - مقمة كتاب الفروق - للترمذى - بتحقيقه - ص٩ .

(٤) ذكر السلمى شخصيتين بهذه التسمية هما: أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكى. وعبد الله بن خبيق الأنطاكى راجع - طبقات الصوفية - ص١٣٧ - ص١٤٥ تحقيق نور الدين شريبة - القاهرة ١٩٥٣م .

منه شيئاً من رياضة النفس وكان في أثناء ذلك يقضي الساعات الطوال وحيداً في الصحراء، فكشف له عن كثير من المعاني والتجليات لقد وقعت له محنة حيث أتهم زوراً بالهوى والبدعة وإدعاء النبوة والتكلم في الحب..ألخ[1] .

ولكن الأمر الهام من خلال ذلك هو مارواه الذهبي ت عام/ ٧٢٨هـ في كتابه "تذكرة الحفاظ" عن السلمي، إن الترمذي نفي من ترمذ بسبب كتابين ألفهما "ختم الولاية"و "علل الشريعة" إذ كان يذهب إلى أن للأولياء خاتماً كما أن للأنبياء خاتماً، فقالوا أنه فضل الولاية على النبوة وإحتج لذلك بقول الرسول ﷺ "يغبطهم النبيون .

والشهداء"[2] وقوله "لو لم يكونوا أفضل لما غبطوهم"[3] ولعل هذا المنهج لدى الترمذي يدل على أتجاهه الحلاجي في إستعارته المصطلح الشيعي المتطرف الخاص بحلول النور الإلهي وتسلسله عبر الأئمة عن أنور المحمدي، وفيما سبق أشرنا إلى أن مثله الأعلى هو السيد المسيح عليه السلام وهو نفس إتجاه الحلاج من قبل[4].

٥ - الشبلي ٣٣٤هـ/[5] :

كان صاحب الحلاج وتلميذه وتأثر تأثراً عميقاً بنظرياته وكذلك بآراء البسطامي من قبله، وغيرأن الشبلي كان يكتم أمره ولايصرح بشئ قد يعرضه لنقمة الفقهاء، وذلك بعدما شاهد بنفسه مصرع الحلاج وهو مصلوب ببغداد عام ٣٠٩ هـ .

ونلتقط بعض التعبيرات التى وردت عن الشبلي والتى تؤكد الصلة الوثيقة بينه وبين آراء سلفة الحلاج، وإن كان فيها تقية أو مداراة. إذ يؤكد ديمومته فيقول "أنتم أوقاتكم مقطوعة

---

(١) دكتور - نقولاهير - مقدمة كتاب الفروق.. للترمذي ص٣- ص٤ .

(٢) الحديث. رواه البخاري - مسلم - إبن ماجه .

(٣) راجع المصدر السابق - ص٨ .

(٤) دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية في الإسلام. ص٣٨٦ .

(٥) هو أبو بكر بن جحدر الشبلي - بغدادي المولد والمنشأ، صحب الإمام الجنيد/ ٢٩٨هـ/ ومن في عصره من الصوفية - مالكي المذهب عاش سبعاً وثمانين سنة ومات سنة ٣٣٤هـ ببغداد - راجع القشيري - الرسالة حـ١ - ص١٥٩ ذكره الكلاباذي التعرف - ص٤٤، وذكره الشعراني - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص٨٩ - كذلك بركلمان - تاريخ الأدب العربي - حـ٤ ص٧٤ .

ووقت ليس له طرفان" "أنا الوقت وليس فى الوقت غيرى وأنا محق" كذلك كان يرى أن الملائكة أفضل من الأنبياء لأن هؤلاء بشر وأولئك عقول وأرواح نورانية، فهو إذن يرتفع بالملائكة فوق مستوى الأنبياء ليصل من ذلك إلى الإرتفاع بدرجة الولاية على درجة النبوة، بدليل توكيده أن الناسوت لايزال مقيداً باللاهوت لدى النبوة. أما الولاية التى تبلغ درجة الملائكية النورانية فإن الناسوت قد إرتفع فلا يبقى غير اللاهوت، وللشبلى تجربة ذوقية تصل به إلى درجة الإتحاد لكن دون تصريح بها ومن أقواله: أن السوية فى كل شئ "فاللا وراء هو الوراء" وقال "ياقوم أمر إلى ماوراء فلا أرى إلا وراء، وأمر يميناً وشمالاً إلى ماوراء فلا أرى إلا وراء، ثم أرجع وهذا كله شعرة من خنصرى" ثم يصدر عنه قول آخر يقربه من القول بوحدة الوجود بقوله "إن قلت كذا فالله وإنما أنا منه ذرة" .. ثم صدر عنه قول يقربه من آراء البسطامى/ ٢٦٢هـ/ عندما قال "أنه لو يزق على جهنم بزقه لأطفأها" ثم يتحدث عن الشفاعة وفداد البشرية، وهو منهج الحلاج الذى تشبه به السيد المسيح عليه السلام فى فدائه لخطايا البشرية "قال الشبلى" البسطامى الحلاجى المذهب "أن محمد يشفع لأمته، وأنا أشفع بعده حتى لايبقى فى جهنم أحد، أن لله عباداً لو يزقوا على جهنم لأطفأوها. "ولو إلتفت سرى إلى العرش والكرسى لاحترق" (١) وإن كان فى مثل ذلك القول غلو كبير، غير أن من كتبوا عن الشبلى وتصوفه، يؤكدون تمسكه بالشريعة، وأوامر الله تعالى ونواهيه، هذا من شعار الصوفية (٢) .

---

(١) نظرنا فى ذلك : الدكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٣٨٨ - ص٣٨٩. كذلك ورد كثير من هذه الآراء والتحليلات فى المصادر الآتية :
السلمى - طبقات الصوفية - ٣٣٧ - ص٣٤٨ .
كذلك : الطوس. اللمع. صـ٣٦٥، صـ٤٠٣ . ص٤٠٦ .
،، : البغدادى تاريخ بغداد - حـ١٤ - صـ٣٨٩. ص٣٩٧ .

(٢) الدكتور عبد الحليم محمود - أبو بكر الشبلى - صـ٨٩ ، ص٩٠. ط الدار المصرية للطباعة والنشر - القاهرة . ١٩٧٨م .

٦ - محمد بن عبد الجبار النفرى/ ٣٥٤/ هـ[١] :

إختلفت الآراء حول هذا الصوفى الكبير صاحب "كتاب المواقف والمخاطبات"[٢] بينما رأى نيكلسون Ncholson أن النفرى درويش أفاق مغمر فى أقطار الأرض، توفى فى القاهرة مع مستهل النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى كذلك فإننا نجده يوضح لنا هذا المفهوم ويضيف إن النفرى شخصية غامضة فى تاريخ التصوف الرسلامى وأنه ظهر فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى[٣] .

ولكن يبدو أن حياة النفرى لم تكن مستقرة فى مكان واحد، بل كان كثير السياحة فى الأرض والتنقل من مكان لآخر. ومما يوضح ذلك ماذكره آثر أربرى Athar Arbery أنه نقل عن عفيف الدين التلمسانى ٦٩٠هـ/ رواية تقول "أن الذى أعد المواقف هو ابن الشيخ النفرى وليس الشيخ نفسه، وهذا معناه، أن النفرى لم يكتب شيئاً بقلمه، وأنه أملى ذلك على ولده أو غير ولده، كذلك يذكر عن التلمسانى، أن النفرى كان يدون هذه الإيحاءات أو هذه الخطرات على

---

(١) هو الإمام أحمد بن عبد الجبار بن أحمد النفرى الصوفى البصرى، المتوفى عام ٣٥٤هـ صاحب كتاب المواقف والمخاطبات، هكذا فى مطلع مخطوط "المواقف والمخاطبات" والذى كتبه مصطفى بن سليمان القرافى المتوفى عام/ - ١١١٦هـ - إنظر -مقدمة الكتاب محققة أثر أربرى، وتقديم الدكتور - عبد القادر محمود - (صورة فوتوغرافية ص٦٢ - ص٦٥ - ط الهيئة العامة للكتاب. ١٩٨٥ م. ويرى الباحثون المحدثون أنه لا توجد زية معلومات لها قيمة تاريخية كبيرة عن النفرى سوى ماذكره الشارح الأول والأخير للمواقف والمخاطبات وهو عفيف الدين التلمسانى ت عام/ ٦٩٠/ هـ - المصدر السابق - ص١٩ ، ص٦٠ وذكره إمام التصوف فى القرن العاشر الهجرى عبد الوهاب الشعرانى ٩٧٣هـ فقال "كان له رضى الله عنه كلام عال فى طريق القوم وهو صاحب "المواقف" نقل عنه الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله عنه، وكان إماماً بارعاً فى كل العلوم" ثم ذكر مختصرات من اراء النفرى فى المواقف . لمزيد من التفاصيل. راجع الطبقات الكبرى - ط١ - ص١٧٥ .

(٢) قام بتحقق هذا الكتاب أربرى. وقام بوضع مقمة للكتاب الدكتور عبد القادر محمود - وطبع بالهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٨٥م .

(٣) راجع المصدر السابق. ص١٨.

قصاصات من الورق، نقلت بعد موته فقد كان هائماً فى الصحارى ولم يقم بأرض معينة محدودة إقامة إستقرار، كما لم يتح لأحد أن يعرف شيئاً عنه وأنه مات فى قرية مصرية ولكن الله وحده يعرف الحقيقة" (١) هذه فكرة موجزة حول هذا الصوفى العميق، ولكن ماهو جوهر طريقته الفلسفية الصوفية؟ .

يتبلور جوهر مذهبه الصوفى من خلال ماورد فى كتابه الفريد "المواقف والمخاطبات" ويشير فى ذلك إلى مخاطباته لله عز وجل وموافقة الذاتية القلبية أمام الله تعالى وهو يعبر خلال ذلك أيضاً عن سياحته الوجدانية وآفاقه المعرفية القلبية بغية الوصول إلى اليقين القلبى الذى لايشوبه تناقض، وقد نلاحظ أن هذه السياحات الوجدانية والتى عاشها فى تأملات باطنية يغلب عليها الطابع الرمزى، وهذا شأن الصوفية المتعمقين فى تجارتهم الصوية أو الذاتية، وأن هذه التجربة الذاتية الباطنية عند النفرى إمتداد لطريقة الحلاج، ولكن دون أن يجهر أو يصرح بأنه الحق ذاته أو الله تعالى على صورة مذهب الحلول الإلهى الحلاجى (٢) لكن النفرى عندما يقدم لنا رغم رمزينه تطوره فى مقاماته من التحول إلى التبدل إلى التجوهر فى جوهرة وحدة الشهود، فإنه يقدم ذلك دون إلتزام بحلول أو إمتزاج بين الطبيعة الإلهية والبشرية كما زعم الحلاج من قبله (٣) .

إذن يمكن أن نقول أن ماورد فى "المواقف والمخاطبات" هو تعبير عن حالة التدرج فى المقامات عند النفرى، يتخللها أشياء من الكشوفات والمعارف الذوقية. وهى أحوال تحدث للصوفى حين ترقيه من مقام لآخر. ومن ناحية أخرى تبدو نظريته فى رحدة الشهود من خلال هذه المواقف ومخاطباته للحق تعالى، إذ نجد أن هذه المواقف تتحدث عن موقف الشهود لجلال الحق سبحانه وتعالى، وأن ماسوى ذلك فهى حجب، وربما تعبر فلسفته الصوفية فى هذه المواقف عن دعوته الى ضرورة تخلى العبد عن كل مايدور حوله من أمور أو عدم التعلق بأى شئ من

---

(١) المصدر السابق. ص١٩ .

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع : دكتور عبد القادر محمود . مقدمة تحقيق كتاب المواقف والمخاطبات - للنفرى - ص٢١ ومابعدها . كذلك : الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٣٧٩ .

(٣) المصدر السابق - ص٢٢ .

أمور الدنيا أو الآخرة، فهى دعوة إلى الخروج عن الظاهر والهروب الى الباطن أو الذات وتأملها، فهى ناطقة بكلام الحق تعالى، يقول النفرى فى موقف "الكشف والبهوت"... "أو قفنى فى الكشف والبهوت وقال لى أنظر الى الحجب فنظرت الى الحجب، فإذا هى مايدا، وكل مابدا فيما بدأ، .... وقال لى: الحجب خمسة: حجاب أعيان، حجـاب علوم، حجاب حروف وحجـاب أسماء، وحجاب جهـل. وقال لى: الدنيا والآخرة وما فيهما من خلق هو حجاب أعيان، وقال لى: العلوم كلها حجب، كل علم منها حجاب نفسه وحجاب غيره...." [1] وهذا يدل على أن قلب العبد يجب أن يكون فارغاً من كل شئ سوى الله تعالى .. يقول "وقال لى: عبدى كل عبدى هو عبدى الفارغ من سواى، ولن يكون فارغاً من سواى حتى أوتيه من كل شئ فإذا أتيته من كل شئ آخذ إليه باليد التى أمرته أن يأخذ بها ورد إلى باليد التى أمرته أن يرد "ثم يقول" وإنما عبدى الفارغ الاهنى فهو عبدى الذى آتيته من كل شئ سببا، وآتيته منه علما، وآتيته منه حكما..." .

وقال لى : لاتبدو الولاية لعبد إلا بعد الفراغ "

وقال لى : أتدرى ماقلب عبدى الفارغ، قلبه بينى وبين الأسماء وذلك هو مقامه الأول، الذى هو مهربه وفيه آيته، فأنقله منه الى رؤيتى، فيرانى ويرى الإسم، والأسماء بين يدى كما يرى كل شئ بين يدى " [2]

فالنفرى فى سياحته الوجدانيه، وأذواقه الباطنية القلبية يرى كل شئ، وكل علم، وكل معرفة سوى الله تعالى، حجب وأستار، وأن التلقى والمعرفة هو مايحضر العبد مباشرة من الله تعالى وفى حضرته وفى وقفته بين يدى الله عز وجل والنفرى يؤمن بالمعرفة المباشرة لاعن طريق الوسائل فيدعو بذلك الى التوجه للحضرة الإلهية دون اكتساب معارف أو علوم "لان لكل علم بيت ، وبيته حجاب [3] .

---

(١) محمد بن عبد الجبار النفرى - المواقف والمخاطبات -= صـ ١٦٩ - صـ ١٧٠ - تحقيق أثر أربرى -

(٢) النفرى - المواقف . صـ ١٧٠- ١٧١.

(٣) المصدر السابق .صـ١٧١.

ففى "موقف الكشف" يقول: "أوقفنى فى الكشف وقال لى سلم الى وأنصرف، وقال لى أتدرى كيف تسلم إلى لاإلى الوسائط، قلت ماالوسائط قال العلم وكل معلوم فيه، وقال لى: كيف نسلم إلى لاإلى الوسائط، قلت كيف، قال تسلم إلى بقلبك وتسلم إلى الوسائط ببدنك(١) .

ثم نجد أن النفرى/٣٥٤ هـ/ يفرق فى هذا الموقف بين أنواع المقامات، مقام القوه، ومقام الصديقيه، ثم مقام النبوه، بما يفيد موقفه فى مقام الولاية، يقول: "وقال لى تسلم إلى وتتصرف وهو مقام القوه، والقوه التى هى مقام قوة.. وقال لى قوة القوى أن يسلم ولا يتصرف، وضعف القوى أن يسلم وينصرف .

وقال لى: الحقيقة أن تسلم ولاتنصرف، وأن لايتأس ولاتفرح ولا تنحجب عنى ولاتنظر الى نعمتى الى نعمتى ولاتستكين لابتلائى، ولاتستقرك المستقرات من دونى .

وقال لى: مقام الصديقيه أن تسلم الى وتنصرف ومقام النبوة أن تسلم إلى وتقف." (٢)

والنفرى ليس بصديق وليس فى مقام النبوه، فهو اذن فى مقام الولاية، وهو كما يرى ويقول بصيغه رمزية ذوقية "دخل الى رحاب الحضرة الإلهية متجرداً من كل شئ ولا معه أى شئ، حتى يجرد من أعماله... وحتى لا يحتجب بحجاب من هذه الحجب ..

ولهذه المعانى والإشارات الرمزية فى مقام الولاية، تأثير كبير عند ابن عربى/ ٦٣٨هـ/ وتلامذته فى العصور المتأخرة، فى مسألة "القطبانية، وخاتم الأوليا ء" وهكذا .

وكما ذكرنا منذ البدايه أن مايصدر عن النفرى ٣٥٤ هـ/ فى مواقفه من اشارات وتعبيرات رمزيه ليس فيها تصريح واضح ينظريه الحلول أو الإتحاد الإلهى، كما رأينا ذلك عند كل من البسطامى /٢٦٢ هـ أو الحلاج ٣٠٩ هـ، ولكن قد نجد بعض التعبيرات الرمزيه، بمايفيد تأثره بآراء البسطامى وتعبيرات الحلاج، على الرغم من أن النفرى لم يجرؤ على القول "سبحانى ما أعظم شأنى" كما قال البسطامى ولم يجرؤ كذلك على القول "أنا الحق" أو أنا الله" كما قال الحلاج فى شطحاتهما من قبل .

---

(١) النفرى - المواقف - صـ٢٠١ - ٢٠٢

(٢) المصدر السابق . صـ ٢٠٢.

يقول النفرى فى موقف "بين يديه": أوقفنى بين يديه وقال لى: مارضيتك بشئ ولارضيت لك شيئا "سبحانك أنا أسبحك فلا تسبحنى" وأنا أفعلك وأفعلك فكيف تفعلنى؟ فرأيت الأنوار ظلمة والاستغفار مناوأة والطريق كله لاينفذ، فقال لى : سبحك وقدسك وعظمك، وغطك عنى ولا تبرزك فإنك إن برزت لى أحرقتك وتغطيت عنك[1] .

ولاشك أن النفرى يحاول من خلال تعبيراته ورموزه فى المواقف التأكيد على الصلة بين المعرفة والكشف فالمعرفة عنده كشفيه، والعارف هو مايكون على وفاق مع المشاهده دون حجاب أو ستار يحول بينهما ، وفلسفتـه المعرفيـة تصل بنا إلى أن الدين يرى الأشياء فى التعداد ، وأما المعرفة الحقه لاتعتبر إلا التوحد الذى تضم فيه الجميع فالمعرفة توجد فى فلسفة النفرى، يقول قال لى "وأعلم أنى إذا تعرفت اليك لم أقبل من السنة إلا ماجاء به تعرفى لأنك من أهل مخاطبتى تسع منى، وتعلم أنك تسع منى وترى الأشياء كلها منى"[2]. وإذا استقر أنا معظم المواقف والمخاطبات وماورد فى ذلك من تعبيرات ورموز وإشارات يتضح أن هذه المواقف والأحاديث الواردة فى المخاطبات عباره عن سياحة وجدانية وإستشراقات لعالم مابعد العالم الطبيعى الحسى، ومحاولات كشفية ومعرفيه، وإشراقات روحانية قلبية مباشرة لم تحجبها أشياء أو موجودات أو معارف علميه مكتسبه، هي محاولات فلسفيه أشراقيه صوفيه للدخول فى الحضرة الإلهية مباشرة دون وسائط ويذكرنا بذلك بطريقة أفلوطين /٢٠٥هـ/ وحالته فى الجذب الإشراقى النورانى الى الواحد[3] وربما نجد لهذه الأشراقات المعرفية صداً كبير لدى صوفيه الإشراق المتأخرين، كما نجد صداً عميقا لرمزيات النفرى لدى ابن عرى ٦٣٨هـ [4] إذ أشار الشعرانى إلى ذلك وقام بشرح مواقفه ومخاطباته تلميذ من أهم تلامذة مدرسـة ابن عرى وهو

---

(١) النفرى - المواقف - صـ١٣٥.

(٢) نفس المصدر السابق - صـ ٢٢.

(٣) أفلوطين / ٢٠٥م/ يعتبر هو المؤسس الحقيقى لمدرسة الأفلاطونية المحدثه في العصر المتأخر من التفكير الفسلفى اليونانى، وكان أراؤه تعبيرات صوفية فلسفية اشراقية وهى أقرب ماتعرف بالفلسفة الصوفية الدينية ونظرياته مزيج من تعاليم الدين وروافد التفكير الفلسفى اليونانى راجع يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية .

(٤) راجع دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام صـ٣٩٢، صـ٣٩٣ .

عفيف الدين التلمسانـــى ٦٩٠ هـ/ كذلك نجد أن الترميز الصوفى والتصوير الشعرى عندالنفرى، له أمثال واضحة لدى جلال الدين الرومى ٦٧٠ هـ/ ونهاية المطاف وكما وضح التلمسانى فى شرحه على "المواقف والمخاطبات" أن تدرج المراحل الصوفية عند النفرى تبدأ بالمعرفة وتنتهي بالفناء الكامل ثم يخلف الفناء البقاء، ثم بعد ذلك ينتهى إلى المرحلة الثالثة الوقفة الكامله. (١)

---

(١) المصدر السابق. صـ٣٩٤ .

ثالثاً:-الإمام الغزالى/٥٠٥هـ/ وموقفه من التصوف الفلسفى:-

إذا تطرقنا إلى منتصف القرن الخامس وبداية السادس الهجرى صادفتنا شخصية صوفية كبيرة وهو الإمام أبو حامد الغزالى،(حجة الإسلام) فقد لعب دوراً كبيراً وهاماً كما أشرنا من قبل فى التوفيق بين الفقه والتصوف والتقريب بين الصوفية والفقهاء، وبفضل هذه الشخصية القوية أصبح طريق التصوف محبباً لكثير من الناس وأتخذ التصوف مكانته التى كان عليها كطريقة لمعالجة السلوك وتأسيس علم الأخلاق الإسلامى، وهو إنبعاث للحياة الروحية الإسلامية من جديد بعد ماتعرض الطريق الصوفى للنكبات العديدة لما أحدثه غلاة التصوف من دعاوى الحلول والإتحاد ومزج للعناصر الفلسفية والغنوصية بالتعاليم الإسلامية مماشكل عناصر أجنبية تغلغلت فى نطاق العقيدة الإسلامية الصافية، وأصبح لها مريدون كثيرون. ولكن يبدوا أن الغزالى المتكلم السنى الأشعرى، والذى دخل فى نطاق التصوف وهو على المذهب الشافعى[١] كان متعدد الإتجاهات غزير المعرفة، فلم يترك علماً من العلوم، ولافناً من الفنون إلا تناوله بالبحث والدراسة فقد كان يطلب الحق أنى وجده، ولم يكن متعصباً لرأى ولامجافياً لمذهب يشعر فيه بشئ من الحق أو إدراك للحقيقة. فقد كان حراً فى تفكيره لايرى فى القلة إمارة على خطئها، ولافى الكثرة إمارة على صوابها يعرف الرجال بالحق ولايعرف الحق بالرجال إلا أن الغزالى الفقيه الشافعى – المتكلم الأشعرى – الصوفى السنى. قد ساير المتصوفة فى بعض مذاهبهم وطرقهم فظهرت عنده المصطلحات والتعبيرات الفلسفية فى بعض رسائله الصوفية فكما إنتقد الفلاسفة وكفرهم فى بعض ماذهبوا إليه[٢] إلا أنه لم يحرم دواسة الفلسفة ومعارفها كذلك على الرغم من نقده الشديد لأصحاب المذاهب الغالبة فى التصوف "القائلين بالحلول أو الإتحاد" فإنه لم يحرم خـوض التجربة الصوفية وذلك فقد أحـدث الغزالى تطوراً كبيراً، فى مجال التجربـة الصوفيـة

---

(١) المذهب الشافعى : ثالث المذاهب الفقهية المعروفة فى علم أصول الفقه الإسلامى ومؤسس هذا المذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعى ت عام/٢٠٤هـ/ .

(٢) ذهب الغزالى ٥٠٥هـ/ فى كتابه (تهافت الفلاسفة) إلى تكفير أصحاب المذاهب الفلسفية فى ثلاث مسائل: قولهم بقدم العالم، وقولهم بأن الله تعالى يعلم الأشياء علماً كلياً فقط كذلك إنكارهم لمسألة الحشر والنشر الجسمانى. ثم يدعهم فى سبع عشرة مسألة، لمزيد راجع التهافت الفلاسفة تحقيق دكتور سليمان دمياط دار المعارف ١٩٨١م .

ويصورذلك بن خلدون/ ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م/ فيقول "كتب رجال من أهل هذه الطريقة (الصوفية) فى طريقهم فمنهم من كتب فى الورع ومحاسبة النفس على الإقتداء فى الأخذ والترك كما فعله القشيرى/٤٦٥ هـ/ فى كتابه الرسالة القشيرية، والسهروردى ٦٣٢ هـ[1] فى كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع الغزالى رحمه الله بين الأمرين فى الأحياء، فدون فيه أحكام الورع والإقتداء ثم بين أداب القوم وسنتهم وشرح إصطلاحاتهم فى عباراتهم وصار علم التصوف فى الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط، وكانت أحكامها إنما تتلقى صدور الرجال[2] ولكن الغزالى سمح بتسرب بعض العناصر الفلسفية الأفلاطونية[3] المحدثة ودلالتها الإشراقية فى التصوف يتضح ذلك عندما تناول بعض رسائله الصوفية بالتحليل والنقد. كذلك ذهب كثير من الباحثين الذين إهتموا بالكشف عن بعض مصادره الفلسفية الصوفية أو الإتجاهات الإشراقية فى رسائله التى إتجه فيها أتجاهاً ذوقياً كشفياً.

إذ نجد أن جولد تسيهر يذهب إلى "أن الغزالى لم يستطع مطلقاً أن يتحلل من ماضيه الفلسفى على الرغم مما له من أقوال تناقض ذلك نقول أنهم (يقصد العوام من الناس أو الرأى العام) يرجعون هذه الأقوال إلى تأثره بمذهب الأوائل"[4]

وربما كان النقد الشديد الذى وجهه أليه عبد الحق إبن سبعين ت عام ٦٦٨هـ/ من هذا الجانب أيضاً[5].

وجدير بالذكر أن الغزالى كان واسع المعرفة "ملماً بكتب أصحاب الديانات السماوية، وكان أكثر ما تأثر به، الفلسفة الأفلاطونية فى الرسالة اللدنية، وفى مشكاة الأنوار ومعارج القدس، وكثيراً مانجد لتعبيراته فى هذه الرسائل نظيراً فى المصادر المختلفة وبصفة خاصة اليونانية

---

(١) هو عمرو بن حفص السهروردى المتوفى عام ٦٣٢هـ/ صاحب كتاب عوارف المعارف راجع كتاب إحياء علوم الدين للغزالى .

(٢) راجع إبن خلدون المقدمة – صـ٤٦٩ .

(٣) الغزالى – راجع – الرسالة اللدنية – معارج القدس – معراج السالكين ط الجندى ١٩٧٢م .

(٤) جولد تسهير – موقف أهل السنة إزاء علوم الأوائل(ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية)صـ١٣٣ .

(٥) دكتور – عاطف العراقى الميتافيزيقا فى فلسفة إبن طفيل ص٥٢ ط دار المعارف ١٩٨٣م .

منهـا"[1] وفـوق كل ذلك فإن الإمـام السلفى تقى الدين بن تيمية / ٧٢٧هـ/ الحنبلى المتأخر، لم يترك فرصة يتعرض فيها لنقد مذاهب الفلاسفة والمتصوفة، إلا ونحا باللائمة على الإمام الغزالى، لما ورد فى بعض رسائله الصوفية من معانى ومصطلحات تنسب إلى هؤلاء فيقول "وفى كتاب أبى حامد الغزالى فى الكتب المضنون بها على غير أهلها وغير ذلك من معانى هؤلاء، (بقصد أخوان الصفاء والفلاسفة والمتصوفة) قطعة كبيرة ويعبر عن مذاهبهم بلفظ الملك والملكوت والجبروت، ومراه بذلك الجسم والنفس والعقل، فيأخذ هؤلاء تلك العبارات الإسلامية ويودعونها معانى هؤلاء، وتلك العبارات مقبولة عند المسلمين، فإذا سمعوها قبلوها ثم إذا عرفوا المعانى التى قصدها هؤلاء ضل بها من لم يعرف حقيقة دين الإسلام، وهذه المعانى ليست هى التى عناها سيدنا محمد ﷺ والأنبياء.[2].

وعلى الرغم من بعض هذه الملاحظات والإنتقادات التى وجهها علماء السنة والسلف للمتأخرين للمنهج الصوفى عند الغزالى، إلا أن الرجل لم ينزلق إلى مخاطر القول بنظريات فلسفية أو باطنية تخالف ظواهر الشرع، أو تخل بأركانه وأصوله العقائدية فقد إنتقد بشدة أصحاب الحلول والإتحاد وغيرهم من أصحاب الدعاوى الباطنية الخارجين عن أصول الشريعة. ولكن يبدو أن الغزالى مع إيمانه الشديد بالظواهر وتأكيده على ضـرورة إجـراء النصـوص والألفـاظ الشرعية على ظواهرها والأخذ بها إذ أنه الأساس فى صدق الإعتقاد[3] فإنه يؤمـن

---

(١) دكتور - فتح الله - فلاسفة الإسلام - الغرابى إبن سينا والغزالى صـ٢١٥ - ٢١٧ ط دار الجامعات المصرية ١٩٧٦م - نظرنا الرسالة اللدنية مشكاة الأنوار - معارج القدس - معراج السالكين - للغزالى ط الجندى .

(٢) الإمام إبن تيمية - تفسير سورة الإخلاص صـ٢١ ط مكتبة أنصار السنة المحمدية بدون تاريخ كذلك الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان صـ٩١ - ص٩٢ تحقيق محمود عبد الوهاب فايد ط صبيح ١٩٥٥م .

(٣) مثال ذلك ماذهب إليه الغزالى بقوله "ولاتظن من هذا إلا نموذج وطريقة ضرب الأمثال رخصة منى فى رفع الظواهر وإعتقاداً فإن ذلك من رأى الباطنية "راجع مشكاة الأنوار صـ٣٢ ، ط ==

أيضاً بأن لكل حق حقيقة، ولكل ظاهر باطنا (١) وإن لكل بشر لُب، فأراد أن يوازن بينهما ويجلو وجه الحقيقة فى حدود الإعتدال ومايقرره الشرع، وهوفى نفس الوقت يبين مدى اتساع العقيدة لذوى الفهم وأرباب القلوب وأصحاب البصائر النقية، والأذواق الوجدانية والكشوفات النورانية.

وعلى ذلك فقد قرر الغزالي " أن التقليد لظواهر معانى القرآن والجمود عليها حجاب عظيم عن الفهم، والجامد على الظاهر كيف يتصور أن نكشف له الأسرار(٢) فالغزالى لايمنع من بعض التفاسير المبنية على المكاشافات كالرأى فى الصراط والشفاعة ونحوهما (٣) فى محاولة بيان المضمون الروحى للنص الإلهى أو التشريع السماوى .كذلك فان الفكرة التى اقتنع بها الإمام الغزالى خلال تطوره ونموه الروحى الصوفى هى "الإقتناع بأن مايمكن أن يجلو وجه الحقيقة النهائيـة، ليـس هو التعمـق الفلسفى، وإنما هو الإستغراق الروحى الباطنى والهام"(٤) فالعاقـل

== الجندى ١٩٧٠م . والباطنية هم الذين يؤلون النصوص والشرائع الإلهية على غير ظواهرها . أى على معان ودلالات رمزية وباطنية تخدم أغراضهم المذهبية وهم الشيعة الإسماعيلية بصفة خاصة. وطبقاً لمذاهبهم فى الإمامة .

لمزيد من التفاصيل راجع رسالتى للدكتوراه - مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية - "دراسة تحليلية نقدية" - مخطوط - كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٨٤م .

(١) جدير بالذكر أن الغزالى مثل غيره من الصوفية يستشهد فى هذا المجال بحديث عن النبى ﷺ "أن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً" راجع الأربعين فى أصول الدين صـ٥٧ .حديث صحيح - رواه أبن جبان فى صحيح، من حديث إبن مسعود وبنحوه - أبو الفضل العراقى - تخريج مافى الأحياء من أخبار - هامش كتاب أحياء علوم الدين - حـ١ (فصل تفسير القرآن بالرأى).

(٢) الغزالى - الأربعين - فى أصول الدين ص٥٧ تحقيق محمد مصطفى أبو العلا - طه الجندى.١٩٧م .

(٣) دكتور إبراهيم بسيونى البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة صـ٨٥ . لمزيد من التفاصيل فيما يتعلق بطريقة الغزالى الروحية فى تفسير الصراط والشفاعة - راجع كتابه المضنون به على غير أهله صـ١٥١ ط الجندى ١٩٧٠.

(٤) جولد تسيهر - مذاهب التفسير الإسلامى صـ٢٢٩ط دار الكتب المصريه ١٩٥٥.

عنده هو من ينظر الى أرواح الأشياء وحقائقها ولايغتر بصورهما أو ظواهرها.[1] اذن يتضح لنا من خلال ذلك أن الإمام الغزالى سلك منهجا مذدوجا ففى كتبه العامه والتى يخاطب فيها المتكلمين وأرباب الظواهر لايفصح عن المعانى الروحية والإشراقيه التى تكمن وراء الظواهر والأخبار، ويغفل الحديث عن المجردات[2] بينما نجده يسلك منهجا أخر فى كتبه ورسائله المتخصصه. يكون فيه أكثر تعمقاً وغوصاً وراء المعانى والدلالات الروحية والإشرافيه بالإضافة إلى استخدامه لبعض المصطلحات والألفاظ الفلسفية تلك التى كانت شائعة بين أوساط فلاسفة التصوف بحذر شديد. وهنا يبدو لنا من خلال تطوره الفكرى أو المنهجى والصوفى فى فترة حياته التى عاشها .

وفى اعتقادى أن ظهور بعض المصطلحات والتعبيرات الفلسفية فى شروح الغزالى وتفسيراته الصوفية للنصوص الإلهية. إنما كان ذلك بدافع محاولته بيان مدى احتواء الشريعة لعلوم والأفكار الفلسفية - دون أن يجزم بأن ذلك هو المقصود بالفعل، بل محاولة لتوسيع نطاق التفكير الإسلامى والتذوق الروحى الصوفى لمعانى النصوص الإلهية. ولمزيد من التوضيح فى هذا الصدد. نعطى أمثلة بسيطة بمايفيد في الكشف عن مكانه الغزالى فى مجال التصوف الفلسفى قبل أن نشرع فى توضيح موقفه النهائى والصريح من نـظريات دعاوى الحلول والإتحاد فى التصوف الإسلامى .

المثال الأول على ذلك :-

ماذهب إليه الغزالى فى رسالته"مشكاة الأنوار" من تصورات صوفية ممتزجة ببعض الأنظار الفلسفية الإشرافية التى يريد منها بيان أسرار الأنوار الإلهية مقرونة بتأويل مانشير اليه ظواهر الآيـات والأخبار، فتظهر لديـه نظرية فلسفيـة إشرافيـة يحاول من خلالها تأويل أية النور[3]

---

(١) راجع الغزالى - التبر المسبول فى نصيحة الملوك- صـ٢٠ مطبعة الآداب ١٣١٧هـ.

(٢) راجع - دكتور- سليمان دينا - الحقيقة فى نظر الغزالى صـ١١٤- ط دار المعارف .

(٣) قوله تعالى "الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نورعلى نور" سورة النور آية (٣٠).

وحديث الحجب[1] بالإضافة إلى وجود نظرية فى حقيقة الوجود كما يتصوره. ويتجلى ذلك فى رسالته مشكاة الأنوار كما ذكرنا.

ونقتبس من هذه الرسالة مضمون نظرية الغزالى الإشرافية فقد ذهب" إلى أن ماسوى الله تعالى فهو فى ذاته عدم محض والوجود الحق هو الله تعالى كما أنه هو النور الحق، وليس هذا ضربا من المجاز أو نتيجة لمقدمات نظرية وضعها العقل بل هو حقيقة يشاهدها العارفون مشاهدة عيانية عندما يرقون فى معراجهم الروحى من حضيض المجاز إلى بقاع الحقيقة، فيدركون ذوقا معنى قوله تعالى "كل شئ هالك إلا وجهه "سورة القصص(٨٨) بمعنى أن كل شئ وماسوى الله تعالى هالك أزلا وأبدا فى هذه الدنيا وفى الآخرة[2]. وإذا أخذنا نظرية الغزالى وتعبيراته الصوفية الإشرافية على ظواهرها دون تحليل أو محاولة لفهم مقصودة الحقيقى، فقد نرى أن الغزالى يقترب من نظرية أشبه ماتكون لنظرية "وحدة الوجود" عندما يقول "أن العالم بأسره مشحوناً بالأنوار ثم ترقى جملتها إلى نور الأنوار ومعدنها ومنبعها الأول، وأن ذلك هو الله تعالى وحده لاشريك له وأن سائر الأنوار مستعارة وإنما الحقيقى نوره فقط، وأن الكل نوره، بل هوالكل، بل لاهو به لغيره إلا بالمجاز..بل كما أنه لاإله إلا هو فلا هو إلا هو، لأن هو عبارة عما إليه إشارة كيفما كان ولا إشارة إلا إليه[3].

وإذا كان بعض الباحثين المستشرقين قد حاول أن يوجد صلة بين ماورد عند الغزالى من مصطلحات أو تعبيرات فلسفية وبين فلاسفة التصوف الإشرافى، وأصحاب أوحدة الوجود أمثال إبن عربى ت عام ٦٣٨ هـ/ ومدرسته[4] فإننا لانستطيع أن نجزم أن تعبيرات الغزالى ونظرياته

---

(١) حديث "الحجب "ورد فى مشكاة الأنوار للغزالى صـ ٤٢ ويؤوله الغزالى من خلاف طوائف المحجوبين " قوله ﷺ : ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره" وفى بعض الروايات سبعمائة وفى بعضها سبعين ألفا" يقول عبد الوهاب السبكى ٧٠٧ هـ/ لم أجد لهذا الحديث سندا. راجع طبقات الشافعية الكبرى حـ٤ ص ١٤٦.

(٢) الغزالى - مشكاة الأنوار - صـ ١٧ - ١٨.

(٣) نظرنا - الغزالى - مشكاة الأنواز - صـ٢١ ط الجندى ١٩٧٠ م .

(٤) راجع - جولد تسهير - مذاهب التفسير الإسلامى - صـ ٢٥٩ ترجمة دكتور عبد الحليم النجار- ط دار الكتب المصرية ١٩٥٥م .

النورانيه الأشرافيه تؤدى من قريب أو من بعيد إلى القول بوحدة الوجود أو التمهيد لهذه النظرية عند ابن عربى ٦٣٨هـ/ والمتأخرين . فالغزالى لم يقل صراحة "بوحدة الوجود" فلم يصدر عنه قول بأن الحق هو الخلق أو أنهما وجهان لحقيقة واحدة ولافرق بينهما إلا بالاعتبار كما ذهب الى فلاسفة الصوفية في العصور المتأخرة ابتداء من ابن عربى وتلامذته، لكنه يريد أن يقول "أنه لاموجود على الحقيقة إلا الله تعالى وأن العالم لاوجود له إلا من حيث إنعكاس وجود الحق تعالى فيه كانعكاس ضوء القمر على صفحة المرايا المتعددة وهذه فى نظر الغزالى حقيقة يؤيدها الكشف ويقرها العقل" [١]. وكذلك فما ذهب اليه "بأن الله تعالى مع كل شئ كالنور مع الأشياء يبعد عنه شبهة القول بوحدة الوجود حيث يقرر أنه مع كل شئ بمعنى أنه قبل كل شئ وفوق كل شئ ومظهر لكل شئ . وقوله قبل كل شئ، إقرار بقدم الله تعالى. وقوله فوق كل شئ معناه تنزيه لله تعالى والتنزيه الحقيقى لايتفق مع القول بوحدة الوجود [٢] وجدير بالذكر أن الغزالى صرح فى الأحياء "بأنه ليس فى الوجود إلا الله تعالى والكون كله من أثاره" [٣] بل يمكن أن نعتبر الغزالى من أصحاب وحدة الشهور العيانية إذا جعل من نظرية وتأويلة لأية النور (٣٥) قاعدة أساسية يشرح ويوضح من خلالها طريقته فى اثبات وجود الله تعالى ووحدانيته وتنزيهه عن كل شئ وأثره فى العالم وتأثيره المباشر فى الموجودات .

وقد توهم بعض الباحثين [٤] إمكان إيجاد صلة بين نظرية "المطاع"عند الإمام الغزالى من خلال تأويله الصوفى الإشراقى لحديث "الحجب"وماتردد من تعبيرات أخرى وردت فى رسائله

---

(١) لمزيد من التفضيل راجع - دكتور أبوالعلا عفيفى (مقدمة مشكاة الأنوار للغزالى ص١٤-١٥- ط الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤م.

(٢) المصدر السابق صـ ١٦.

(٣) نفس المصدر صـ١٦ كذلك الغزالى إحياء علوم الدين حـ١.

(٤) من هؤلاء الباحثين ا لمستشرق الإنجليزى "نيكلسون Nicohlson اذا نجده قد حاول أن يربط بين المعنى الذى يقصده الغزالى بالمطاع وبين نظريات الصوفية المتأخرين فى الحقيقة المحمدية، فقال أن المطاع يمثل الصورة المثالية التى يسمونها الحقيقة المحمدية أو الروح المحمدى الإنسان السماوى الذى خلق الله على صورته ويعتبرونه قوة كونية يتوقف عليها نظام العالم وحفظه، ويسير القرآن الكريم الى أن الروح من أمر الله راجع سورة الإسرا،(٥٨)ويؤكد نيكلسون ==

الأخرى تتعلق بهذه النظرية[1] وبين ماورد عند فلاسفة الصوفية المتأخرين من أراء تتعلق بنظرية الروح المحمدى - أو الحقيقة المحمدية أو بين ماورد عند الشيعة الباطنية من تعبيرات ومبادئ تتعلق بنظرية "الأمامه أو أزلية النور المحمدى، أو نظرية القطبانية عند متأخرى الصوفية .

ولكن من خلال بحثنا لنظرية "المطاع" عند الغزالى وتحليلنا الدقيقة لجوانبها الجوهرية أتضح أن هناك فرق كبير بين مقصود الإمام الغزالى "بالمطاع" وبين ماورد من نظريات وتعبيرات عند الشيعة أو متأخرى الصوفية . فالغزالى كره الشيعه والتشيع ونقد نظريات الشيعة وآرائهم وبصفة خاصة ما يتعلق بالإمامة والإمام المعصوم فى كل مناسبة يتعرض فيها لهؤلاء خلال رسائله ومؤلفاته الخاصة بذلك[2] بما يطول بنا المقام إذا تعرضنا لذلك[3] كذلك لم

== هذا الرأى حين يشير أن عبد الكريم الجيلى ٨٠٥هـ/ذكر أن أمر الله اسم من أسماء الروح الألهى الذى تجلى فى أكمل صورة فى سيدنا محمد ﷺ، فكان محمد عليه السلام هو الأمر الإلهى أو الكلمة الإلهية لمزيد من الدراسة راجع- ينكلسون التصوف الإسلامى وتاريخة- صـ١٣٩- ١٤٠ ترجمة د. أبوالعلا عفيفى ط ١٩٦٥م.كذلك ذهب الدكتور أحمد محمود صبحى الى اعتبار نظرية المطاع عند الغزالى صورة أخرى من نظرية النور المحمدى، إلا أن الصوفية ومنهم الغزالى ابتعدوا تماماً عن المجال السياسى والباطنى الذى كان يقصد الشيعة، وأهتموا بالناحية الوجودية لذاتها، وأقاموا عليها نظريتهم فى المعرفة، وأن أوضح مثال على ذلك نظرية الغزالى "المطاع". راجع - نظرية الأمامه عند الشيعة الإثنى عشرية صـ٤٢٧ ط دار المعارف ١٩٦٩م.

(١) وردت الإشاره الى كلمة أو نظرية المطاع فى رسائل أخرى للإمام الغزالى بالإضافة ال ى مشكاة الأنوار صـ٩٢ ومنها: معارج القدس .صـ١٤٩- ١٥١ ط الجندى .

(٢) انتقد الغزالى مذاهب الشيعة الباطنيه (الإسماعيلية) فى مواضع كثيرة من رسائله منها: فضائح الباطنية- تحقيق د. عبد الرحمن بدوى - ط دار المعارف القسطاس المستقيم - ط الجندى إحياء علوم الدين حـ ص٣٢. ص٣٥ المنقذمن الضلال. ط الجندى .

(٣) جدير بالذكر أن الباحث تناول هذه النظرية "المطاع" عند الغزالى بالتحليل والدراسة - خلال رسالته للماجستير "قضية التأويل عند الإمام الغزالى - مخطوط - كلية الأداب جامعة الإسكندرية ١٩٧٩.

يهتم بما ورد عند غلاه الصوفية من نظريات متطرفة، كنظرية القطبانية، ولكن نظرية المطاع عند الغزالى تتعلق بمسألة "الأمر الإلهى"وأثره السارى والفعال في الكون والوجود .

فقد ورد فى كتاب "معارج القدس" لفظ أو كلمة "المطاع" يفسر من خلالها الأمر الإلهى وأثره فى الكون والوجود وذلك عندما تحدث عن إثبات الأمر لله عز وجل (وهو الطريق الثالث لإثبات النبوة) فذكر: أن من لم يعترف بأمره لم يعترف بالنبوة قط. فالنبى متوسط الأمر، كما أن الملك متوسط الخلق والأمر.. وكما أن أمر التدبير جارعلى العموم فى الخلق لنظام وجود العالم الكبير فى قوله تعالى "والشمس والقمر النجوم مسخرات بأمره، إلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " سورة الأعراف أية(٥٤). كذلك أمر التكليف جار على خصوص الخلق لنظام وجود العالم الصغير وذلك قوله تعالى "ياأيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم" سورة البقرة آية (٢١) وكما أوحى فى كل سماء أمرها فى قوله تعالى "وأوحى فى كل سماء أمرها" سورة فصلت آية (١٢)، بواسطة ملك، كذلك أوحى فى كل زمان أمره بواسطة نبى فذلك هو التقدير والتكليف فهل يمكن أن نستنتج من ذلك : أن الغزالى نسب الأمر الإلهى : التدبير والتقدير فى العالمين : الأكبر والأصغر؟ .

ويزيد الغزالى هذه المسألة توضيحا عندما تحدث عن الطريق الثانى فى إثبات الأمر الأول : فذكر "أنه ثبت وتحقق بالبراهين أن الأول المبدع "ملك مطاع" فله الخلق كله ملكا وملكا، ولكل ملك فى سلطانه أمر ونهى وترغيب وترهيب ووعد ووعيد، ولايجوز أن يكون أمره محدثا مخلوقا فان المخلوق من حيث هو مخلوق لايدل إلا على خالق ... ومن لم يثبت لله تعالى "أمراً يطاع" فقد أحال كل هذه الأوامر والنواهى على من ادعى النبوة مقصورة عليه [١].

كما نجد الغزالى فى موضع أخر يضيف معنا أخر للأمر الإلهى، هو "القوة الإلهية "السارية فى الوجود، وهو مصدر التدبير والتكوين والإبداع كما أنه مصدر التكليف والكمال للموجودات[٢] .

---

(١) الغزالى - معارج القدس - ص١٤٩ - ١٥١ ط . الجندى ١٩٦٤.

(٢) وللمزيد من التفاصيل راجع نفس المصدر ص١٩١- ٢٠٠.

وإذا اتجهنا إلى رسالة الغزالى الصوفية "مشكاة الأنوار" نجده يؤول آية النور (٣٥) وحديث الحجب، بما يؤكد أويشير إلى وجود نظرية صوفية إشراقية فى مذهبه الصوفى، "إذ أن أساس منهجه الصوفى يقوم على أساس لايأخذ الآية على ظواهرها بل يبحث عن الأسرار الإلهية التى تنطوى عليها، كما أن الجانب الفلسفى الصوفى يمكن أن نستخلصه عند الإمام الغزالى من خلال الشروح والتأويلات الباطنية التى وضعها على الأية أو الحديث، وماحتويا من رموز وإشارات وماخرج منهما وفرع عنهما من تخريجات وتفريعات[1] وعلى ذلك : فان الغزالى بعد أن تحدث عن طوائف المحجوبين وأصنافهم وهم ثلاثة أنواع[2] يصل الى طائفة الواصلين الذين يدركون الصفات الإلهية غير إدراك المحجوبين، اذا يدركونه مقدساً منزهاً عن جميع ماوصفه به المحجوبون، عندما يتجلى لهم الحق بذاته، فتحرق سبحان وجهه الأعلى كل ماأدركه بصر الناظرين وبصيرتهم[3].

ونعتقد أن هذه منزلة فى التصوف، أقرب الى ماسماه ابن عربى فيما بعد، بمنزلة"تنزيه التوحيد" وهى منزلة يتعالى فيها الحق عن أن يوصف بآية صفة، حتى صفة التوحيد، لان الوصف حتى بالتوحيد تقييد، والتقييد مناف للتنزيه المطلق[4] ويصل الغزالى بعد كل هذا الغوص فى المعانى والإشراقات النورانية إلى أن "الواصلين" وهم الصف الرابع -تجلى لهم أن

(١) دكتور أبو العلا عفيفى - مقدمة (مشكاة الأنوار)ص١١).

(٢) هؤلاء المحجوبين هم: طائفة حجبت بمجر الظلمة وهو الملاحدة والدهرية والماديون- طائفة محجوبون بنور مقرون بظلمة وهم أصحاب النزعة الحسية فى الدين مثل عبدة الأوثان والكواكب والمجسمة والكراميه . من أتباع محمد بن كرام المتوفى عام ٢٥٥هـ /وهم الذين يثبتون لله تعالى جهة أو جلوسا على العرش . - وطائفة المحجوبون بالنور المحض وهم المحجوبون بالأنوار الإلهية مقرونة بمقايسات وأدلة عقلية فاسدة مثل الصفاتية الذين يقيسون صفات الله تعالى بصفات الإنسان ، ... لمذيد من التفاصيل راجع الغزالى . مشكاة الأنوار صـ٨٤- صـ ٩١ - صـ٩٢.

(٣) انظر : الغزالى - مشكاة الأنوار - صـ ٩٢ - كذلك دكتور / أبو العلا عفيفى - مقدمة مشكاة الأنوار- ص٢٧.

(٤) راجع ابن عربى - الفتوحات المكية - حـ ٢ - صـ ٧٦٣ ط بولاق القاهرة ١٨٨١.

هذا "المطاع" موصوفًا بصفة تنافى الواحدانية المحضة والكمال البالغ، وأن نسبة هذا المطاع نسبة الشمس فى الأنوار، فتوجهوا من الذى يحرك السموات ومن الذى أمر بتحريكها إلى الذى فطر السموات وفطر الجرم الأقصى وفطر الأمر بتحريكها، فوصلوا الى موجود منزه عن كل ماأدركه بصر منقبلهم، فأحرقت سبحان وجهه الأول الاعلى جميع ماأدركه بصر الناظرين وبصيرتهم، فإذن وجدوه مقدسا منزها عما وصفناه من قبل(١).

ومانستطيع أن نصل إليه من خلال هذه النظرية الصوفية الإشرافية عند الغـزالى إن المقصـود بالمطاع هنا ليس هو العقل الأول، وليسـب ملكاً من الملائكة بالمعنى الدينى، أو الذى قال به فلاسفة الأفلاطونية المحدثة ولاهو الله تعالى نفسه، ولاهو من العالم، بل هو واسطة بين الله تعالى وبين العالم تعمل الارادة الإلهية عن طريقه ونسبته إلى الله تعالى، نسبة الشمس الى الأنوار المحضة.

إذا جاز لنا ذلك يمكن أن نقول أن المقصود بالمطاع عند الغزالي هو"الأمر الإلهى" الوارد ذكره فى قوله تعالى "ومن أياته أن تقوم السماء والأرض بأمره" سورة الروم(٢٥)، وقوله تعالى "والشمس والقمر مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر سورة الأعراف آية (٥٤) وقوله تعالى "لله الأمر من قبل ومن بعد"سورة الروم آية (٤).

وبذلك استطاع الغزالى أن يقدم نظريه صوفية اشرافيه خلال تأويله لحديث "الحجب" ويتخرجه للمعانى والأسرار الكشفيه بما يضمن للحقيقة الإلهية الوحدة المطلقة وخصائص التنزيه المطلق أيضا، كذلك كانت محاولة لحل مشكلة الصفات الإلهية بمنهج صوفى إشراقى بعدما بحثها من قبل على طريقة علما الكلام والأصوليين كالأشاعرة، فهو بذلك لم ينكر الصفات الإلهية، وانما انكر كيفية اطلاقها وتفسيرها كما ذهب الى ذلك علماء الكلام أو الفلاسفة، كذلك أثبت لله تعالى أمرا مطلقا فى الوجود به تحريك السموات والأرض وخلق الموجودات منزها عن كل صفات المخلوقين .

ولكن هل يمكن أن تعتبر مثل هذه النظرية النورانية الأشراقية فى التصوف عند الغزالى إرهاصا أوليا لما سيظهر فيما بعد من نظريات اشراقية ونورانية عند فلاسفة التصوف الإسلامى من المتأخرين .

---

(١) الغزالى - المشكاه - صـ٩٢ وما بعدها.

لاتستطيع ان نجزم بذلك الان وسوف يظهر ذلك فى سياق البحث فيما بعد.

ونريد أخيرا أن نوضح موقف الغزالى من شطحات الصوفية ونظرياتهم الخارجه عن مفاهم العقيدة الإسلامية الصحيحية .

فإذا تعرضنا لذلك، فانه يتضح أن الإمام الغزالى ٥٠٥/هـ يبدوا ومتأرجحا ومتحيراً فى الحكم على ماصدر من غلاة الصوفية من تعبيرات ومصطلحات غريبة علي العقيدة والتفكر الإسلامى السنى المعتدل .

فإن كان قد تعرض لهؤلاء بالنقد الصريح الذى قد يصل فى بعض الأحيان إلى حد تكفيرهم فيما ذهبوا إليه من دعاوى الحلول والإتحاد فى بعض رسائله ومؤلفاته.(١) غير أنه يتردد مرة أخرى فى أن يجزم بكفرهم أو خروجهم عن حد الشريعة فى رسائله الأخرى، إذ نجد أنه يحاول تأويل تعبيراتهم ومصطلحاتهم تأويلا مجازيا، بقدر مايخفف من غلوائهم وشطحاتهم والمثال على ذلك ماذهب إليه عندما حاول تحليل دعاوى الحلول والإتحاد لدى الصوفية بإسلوب مجازى فيقول "فأصل الإتحاد إذن باطل وحيث يطلق الإتحاد ويقال هو لايكون إلا بطريقة التوسع والتجوز اللائق بعادة الصوفية، والشعراء، فإنهم لأجل تحسين موقع الكلام من الإفهام يسلكون سبيل الأستعارة كما يقول الشاعر :

---

(١) من هذه المؤلفات كتابة : المنقذ من الضلال - ص ٧٦، كذلك احياء علوم الدين حـ١- ص ٣٦ - ص ٣٧ إذ ذكر فيما يتعلق بالكلام على التنجيم والشعر وشطح الصوفية " أن الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالي والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الإتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب .. ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج / قتل عام ٣٠٩، الذى صلب لأجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله "أنا الحق" وبما حكى عن أبى يزيد البسطامى/٢٦٢/هـ أنه قال "سبحانى سبحانى فهذا فن من الكلام غظيم ضرورة فى العوام .. وهكذا الى أن يقول : وهذا الكلام ومثله قد استطار فى البلاد شرروه وعظم فى العوام ضرره حتي من نطق بشئ منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة.. وكذلك يربط الغزالى بين أصحاب الشطحات وبين أقوال أهل الطامات الكبرى من الباطنية. الذين يصرفون الألفاظ عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لايسبق منه إلى الإفهام فائده.. فهذا أيضا حرام وضرره عظيم.. راجع - الأحياء- ط ص ٣٦.

أنـــا من أهــــوى ومــن أهــوى أنــــا

وذلك مؤول عند الشاعر، فإنه لايعنى به أنه هو تحقيقا، بل كأنه هو، فانه مستغرق الهم به، كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه.

فيعبر عن هذه الحالة بالإتحاد على سبيل التجوز وعليه ينبغى أن يحمل قول البسطامى /٢٦٢/هـ حيث قال "انسلخت عن نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها، فنظرت فإذا أنا هو، ويكون معناه أن من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها، فلا يبغى فيه متسع لغير الله تعالى، ولايكون له هم سوى الله تعالى، فاذن لم يحل فى القلب لإجلال الله تعالى ، وجماله حتى صار مستغرقا به بصيراً كأنه هو لاأنه تحقيقا" (١).

ولكن الغزالى يحذر من مزلة القدم لمن ليس له قدم راسخ فى المعقولات، اذ ربما لم يستطع أن يميز بين هو هو، وبين كأنه هو، فقد ينظر إلى كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق فيظن أنه هو، فيقول"أنا الحق"وهو غالط غلط النصارى،حيث رأوا ذلك فى عيسى عليه السلام فقالوا هو الإله .

وقول من قال منهم أنا الحق فاما أن يكون معناه معنى قول الشاعر .

أنا مــن أهــوى ومن أهــوى أنــــا

وإما أن يكون قد غلط فى ذلك كما غلطت النصارى فى ظنهم أتحاد اللآهوت بالناسوت. (٢)

ويحاول الغزالى أن يتلمس العذر لأبى يزيد البسطامى عندما صدر عنه قوله"سبحانى ماأعظم شأنى" فقال "إن صح عنه هذا القول، إما أن يكون ذلك جاريا على لسانه فى معرض الحكاية عن الله تعالى كما لو سمع وهو يقول "لاإله إلا أنا فأعبدونى" سورة طه (آيه ١٤) لكان يحمل على الحكاية، وإما أن يكون قد شاهد كما لاحظه ضد صفة القدس على ماذكرناه فى الترقى بالمعرفة عن الموهومات والمحسوسات والشهوات... فأخبر عن قدس نفسه فقال سبحانــه ورأى عظـم شأنه بالإضافة الى شأن عموم الخلق وهو مع ذلك يعلم أن قدسه وعظم شأنــه

---

(١) الإمام الغزالى - المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى -ص ١٤٧ تحقيق محمد مصطفى أبوالعلا - ط - الجندى ١٩٦٨.

(٢) نفس المصدر السابق- ص ١٤٨.

بالإضافة إلى الخلق ولانسبه إلى قدس الرب تعالى وعظم شأنه ويكون قد جرى اللفظ على لسانه فى سكر وغلبة الحال، فإن الرجوع إلى الصحو واعتدال الحال يوجب حفظ اللسان، عن الألفاظ الموهمة، فإذا جاوزت هذين التأويلين إلى الإتحاد فذلك محال قطعا" (١).

ويريد الغزالى كذلك توضيح طريقة الحكم علي دعاوى وأقوال غلاة المتصوفة فى تعبيراتهم أو شطحاتهم فيذكر أنه يجب التفرقه بين معنيين: معنى السلوك، ومعنى الوصول .. فأعلم أن السلوك هو تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف بعمارة الظاهر والباطن، إستعداد للوصول .

أما الوصول هو أن ينكشف له حقيقة الحق ويصير مستغرقا به فإن نظر إلى معرفته، فلا يعرف إلا الله تعالى وإن نظر إلى همته فلاهمة له سواه، فيكون كله مشغولاً بكلمة مشاهدة.. إلى أن ينسلخ من نفسه بالكليه، ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول. وكلمات الصوفية تنبئ عن مشاهدات إنفتحت لهم فى طور الولاية، والعقل يقصر عن إدراك الولاية (٢).

ويفرق الغزالى هنا بين: مايقضى العقل باستحالته، وبين مايقصر عن ادراكه.

فيقول "أعلم أنه لايجوز أن يظهر فى طور الولاية مايقضى العقل باستحالته، نعم يجوز أن يظهر فيها مايقصر العقل عنه، بمعنى أنه لايدركه بمجرد العقل، مثال ذلك: أنه يجوز أن يكاشف الولى بأن فلاناً سيموت غداً، ولايدرك ببضاعة العقل، بل يقصر العقل عنه ولا يجوز أن يكاشف بأن الله غدا سيخلق مثل نفسه، فإن ذلك يحيله العقل لأنه يقصر عنه. (٣)

ومايريد الغزالى أن ينتهى اليه فى هذه المسألة هو أنه لايجب أن تؤخذ الفاظ وتعبيرات الصوفية على ظواهرها بل يجب تأويلـه، وهناك أمور قد يقضى العقـل باستحالتهـا وأمور أخرى يقصر عن إدراكهـا ، فيجب التفرقة بين هذا وذاك .

ولكن من خلال هذه التحليلات هل تستطيع أن تقول أن الغزالى كان بعقله وظاهره مع أهل السنة وصار بباطنه فى صفوف الصوفية ؟ .

---

(١) المصدر السابق - ص ١٤٩.

(٢) نفس المصدر - ص. ١٥ - ص١٥١ .

(٣) الغزالى نفس المصدر السابق .

أم أن باطنه يميل الى الصوفية متعاطفاً معهم ومدافعاً عن نظرياتهم أو مؤلا لتعبيراتهم، بما يوافق ظواهر الشريعة ونصوصها؟

أعتقد أن الأمام الغزالى صار فى طريق القوم من الصوفية وجاهد مجاهداتهم وخاصة مقاماتهم وتذوق أحوالهم، فرأى مارأوه، وكاشف ماكاشفوه، وتكشفت له حقائق ومعارف يقينيه، الا أنه كان صافيا.

واضحاً واعياً لما يصدر عنه من تعبيرات وأقوال، فلم يغلب عليه حاله فكان متوازناً ظاهراً وباطناً، مدركاً لحقائق اليقين والجواز العقلى، منتهيا عن كشف الأسرار أو التصريح بالحقائق والمعارف التى يقصر العقل عن ادراكها أو تستحيل علية إقرارها ، وواضعاً نصب عينيه ظواهر الشريعة ونصوصها متمسكا بأصول الكتاب العظيم والسنة الشريفة المطهرة، ولذلك كان دائما عندما يتعرض لمسألة كشفية ينتهى عن التصريح فيها ويقول: "لأن هذا يحرك عندى خطيا عظيما، ويجر إلى علوم المكاشفة" (١) وكذلك يقول :

وكـان ماكان مما لسـت أذكـره   فظن خيراً ولا تسأل عن السبب (٢)

والغزالى كثيرا ما يحذر من التصريح بعبارات وأشياء تنغلق على أفهام عوام الناس ..

ولكن الغزالى وهو المدافع عن حرمة العقيدة الإسلامية، وحجة الإسلام فى عصره، ورافع لواء التوفيق بين الظاهر والباطن ، والمصالحة بين الصوفية والفقهاء أراد بشتى الطرق للتخفيف من غلواء نظرياتهم أو تفسير آرائهم وشطحاتهم بقدر ما يمكن إنقاذهم من حرمة التكفير .

---

(١) الغزالى - إحياء علوم الدين - جـ١ ص١٣٠ .

(٢) الغزالى - المنقذ من الضلال - ص٧٦ .

الباب الثانى

«خصائص التصوف العملية ومذاهبه الفلسفية فى العصور المتأخرة مع بيان الموقف السلفى المعارض»

الفصل الأول

خصائص التصوف ومظاهره العملية

تمهيـــد :

ظل تيار التصوف السنى متأصلاً فى حلقات التفكير الإسلامى منذ القرون الخمسة الأولى حتى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجرى بفضل شخصيتين كبيرتيـن هما الإمام أبو القاسم القشيرى المتوفى عام ٤٦٥ هـ والإمام أبو حامد الغزالى المتوفى عام ٥٠٥هـ، فقد أصل كل منهما طريقة التصوف القائم على أصول من الكتاب والسنة والتأسى بسيرة السلف الصالح، وأصحاب الطرق من الزهاد والعباد، الذين انتشرت طرقهم بين المسلمين، ووجدت قبولاً لدى الجمهور وأئمة الفقهاء والأصوليين، وإذا كانت الطرق الصوفية المعتدلة، ظلت تقاوم شعبة التصوف الفلسفى ونظرياته التى تخالف أصول الإسلام وتعاليمه وأركانه، فإن هذه المقاومة ظلت قائمة أيضا بين الإتجاهين السنى المعتدل والفلسفى المغالى، فى العصور المتأخرة أى فى غضون القرنين السادس والسابع الهجريين، حتى انطفأت جذوة التصوف الفلسفى وأنضوت نظرياته وتعاليمه فى بطون الرسائل والكتب التى وضعها شراحه المتأخرين، كما ويتضح لنا ذلك إذا مانظرنا فيما كتبه صدر الدين القونوى ٦٧١هـ/ وعفيفى الدين التلمسانى/ ٦٩٠هـ وعبدالرازق الكاشانى/ ٧٣٠م وعبد الكريم الجيلى ٨٠٥ م / وعبدالوهاب الشعرانى /٩٧٣م / فى شروح وتعليقات على نظريات وعلوم الشيخ الأكبر محى الدين ابن عربى /٦٣٨م/ ومحاولة تبرير نظرياته فى وحدة الوجود - والحقيقة المحمدية والإنسان الكامل وفى مقابل ذلك فان شخصيات صوفية إسلامية كبيرة فى هذه الفترة المتأخرة، لعبت دوراً فعالا فى تأصيل أصول الطرق الصوفية السنية،التى تقوم تعاليمها وعلومها على تعاليم من الكتاب والسنة بالإضافة إلى إتباع تقاليد الصوفية والزهاد فأتخذت طرقهم فى جوهرها إتجاها.علمياً وعملياً، مع قلة الإهتمام بالنظر الفلسفى والعقلى، فأصبح التصوف يؤسس على الوجدان والعواطف القلبية، فاذا كانت طريقة المتفلسفة تمزج بين النظر العقلى والوجدانى القلبى، فان أصحاب الطرق العملية تخلو تماما من هذا النظر إذا اشتغلوا بتحلية القلوب بذكر الله تعالى، وتخليتها مما علق بها من شوائب

دنيويه فعرفوا مناهج السلوك عند الأوائل وتقلدوا معارجهم الروحية ابتغاء مرضاة الله تعالى، وللوصول إلى رحابه الطاهرة، وهى بلاشك المقامات التي وضع أصولها الأوائل من أمثل الحسن البصرى ت عام/ ١١٠ هـ/ والسيدة رابعة العدوية ت عام /١٨٥/ وأبو سعيد الخراز والحارث المحاسبى /٢٤٣ هـ / وسيفان الثورى /١٦١هـ/ وماصار عليه القوم وشيوخهم كالجنيد / ٢٩٧/هـ والإمام الغزالى /٥٠٥/م وغيرهم ونود هنا أن نتحدث عن أهم خصائص التصوف الإسلامى وطرق ومظاهره فى العصور المتأخرة.

أولا: الخصائص الجوهرية للتصوف ومظاهره فى العصور المتأخرة : -

ذكرنا فيما سبق أن شعبتى التصوف النظرى الفلسفى، والعملى المعتدل ظلتا قائمتين يقاوم كل منهما الأخر حتى أصبحت السيادة الكبرى لأصحاب الطرق العملية المعتدلة فجوهر تعاليمها تستند إلى أصول من الكتاب والسنة وتقاليد الأوائل، ولذلك فقد ذاع صيت أصحابها وأئمتها وشيوخها وشاعت طرقهم بين جمهور المسلمين ووجدت قبولاً واسع الإنتشار بين كثير من العلماء والفقهاء فى عصورها. وربما فى العصر الحديث ... ومنذ القرنين السادس والسابع ظهر نوعان من تيارات التصوف كل منهما له خصائص ومميزات ومظاهر واضحة وربما كانت هذه الخصائص متشابهة بين الجانبين ، بل ربما تكون مختلفة أيضا بين الجانبين .

فمن الخصائص الهامة التى أصطبغ بها التصوف الإسلامى فى ناحيته النظرية والعملية، وهو ماذكره ابن خلدون /٨٠٨هـ/ ١٤٠٦ م فى "المقدمة" فقد كان ابن خلدون، من أكثر العلماء والمؤرخين دراية بأحوال التيارات الثقافية ومظاهرها. وبأصحاب الفرق والطرق والمذاهب الدينية والفقهية والصوفية فى هذه الفتزة المتأخرة.

لذلك وجدناه يصف أحوالهم ومظاهرهم وخصائص طرقهم فيقول" ثم أن قوماً من المتأخرين إنصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التى وراءه، وأختلفت طرق الرياضة عنهم فى ذلك بأختلاف تعليمهم فى إماتة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذى لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها، فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد أنحصر فى مداركها حينئذ، وأنهم كشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقه كلها" [١].

---

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون)- المقدمة - ص ٤٧٠ .

ومعنى ذلك أن من خطائص التصوف ومظاهره عند هؤلاء المتأخرين عنايتهم بكشف حجاب الحس عن طريق إماتة قوى النفس الحسية والشهوانية، والإنغماس فى الذات الباطن لاستلهام الغيب والنظر فيما وراءه من غوامض على النفس الإنسانية، وسلكوا فى سبيل ذلك طرق من الرياضات الروحية والمعارج الوجدانية والسبحات الروحية وترديد لذكر الله تعالى الدائم، متواجدين. مع نور الإشراقات الإلهية على صفحات قلوبهم...

وقد حدثت بعض التجاوزات، من جانب الفلاسفة الصوفيين، فصدرت عنهم آراء ونظريات باعدت بينهم وبين أصول الإسلام مثل مااشتهر عن متأخريهم من القول "بفكره وحدة الوجود" عند ابن عربى/ ٦٣٨ هـ/ وما صاحبها من تفسيرات وشروح من جانب الشراح، فالشعرانى / ٩٧٣/هـ يعتبر من أكبر شراح الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى، ومن الذين اهتموا بتفسير نظرياته وتبسيط رموزه لتبرير نظرياته وتقريبها من نفوس الجمهور والفقهاء من المسلمين فى القرن العاشر الهجرى(١).

وكذلك نشاهد فى الجانب العملى، مغالاة من جانب اتباع ومريدى أصحاب الطرق الصوفيه العمليه فى ذكر كرامات شيوخهم والمعجزات التي جاءت على أيديهم، وما فى سلوكهم وعاداتهم، مثلما يروى عن الشيخ أحمد الرفاعى المتوفى عام ٥٧٨/هـ من كرامات، وفيما ورد عن السيد أحمد البدوى ت عام ٦٧٥/هـ والشيخ إبراهيم الدسوقى ت عام ٦٧٦ هـ من كرامات ومعجزات أيضا - ذكرها مريدوا الطرق الصوفية وهى شائعة فى شروحهم ، وماذكره الشعرانى فى كتابه الطبقات الكبرى(٢) .

ومن ذلك أيضا ظهور كثير من الألغاز واستعمال الرموز، فأصحاب الطرق العمليه وكذلك المتفلسفة منهم، لايفصحون عن بعض المسائل التى يشعرون بها، أو يشاهدونها فى كشوفاتهم الروحيه وسياحتهم الباطنية القلبية، أو يعبرون عنها بألفاظ غامضه فيها الغاز وتورية، وربما

---

(١) لمزيد من التفاصيل - راجع - الشعرانى : اليواقيت والجواهر أماكن متفرقة- ط ١٣٥١م - كذلك كتابة الكبريت الأحمر فى بيان علوم الشيخ الأكبر بهامش - اليواقيت والجواهر - ط الفجالين بمصر ١٣٥١ هـ.

(٢) لمزيد من التفاصيل : راجع - الشعرانى - الطبقات الكبرى جـ ١ ص ١٢١ ص ١٤٣ - ص ١٥٨ - دار الفكر العربى - بدون تاريخ .

حاول شراحهم المتأخرين إماطة اللثام عنها وتوضيحها إلا أنهم كانوا فى معظم الأحيان يزيدونها غموضا، وهذا مايشير اليه ابن خلدون، عندما يتناول طرقهم والفاظهم بالتحليل والنقد.

فيقول فى المقدمه "وربما قصد بعض المصنفين بيان مذاهبهم فى كشف الوجود، وترتيب حقائقه، فأتى بالأغمض فالأغمض بالنسبة لأهل النظر والإصلاحات والعلوم كما فعل الفرغانى وحافظ الشيرازى /٧٩١/هـ.

شارح قصيدة ابن الفارض (عمر بن الفارض ت عام ٦٣٢) فى الديباجة التى كتبها فى صدر ذلك الشرح"[١] .

وعلى ذلك فان لغة الرمز والإشارة، وغموض العبارة، من أهم الخصائص التى تميز بها أو اصطبغ بها التصوف الإسلامى فى عصورة المتأخرة، بل وربما تسربت الكثير من العناصر الغريبة علي أصوله الأولي (أى الأصول "السنية" سواء كانت هذه العناصر مستمدة من نظريات الشيعة الباطنية الإسماعيلية، أو عناصر غير إسلامية مستمدة من الأفلاطونيه المحدثه، وبصفة خاصة عند المتفلسفة من الصوفيه المتأخرين.

ويوضح ابن خلدون بمنهجه التحليلى النقدى هذه العناصر والخصائص فيقول "إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفه المتكلمين فى الكشف وفيما وراء الحسى توغلوا فى ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول، وملؤا الصحف منه، مثل الهروى المتوفى عام (٤٨١هـ/ [٢] فى كتابه "المقامات" له وغيره، وتبعهم ابن عربى ت عام ٦٣٨هـ وابن سبعين ت عام ٦٦٧ هـ وتلميذ هما ابن العفيفى ت عام ٦٩٠هـ.[٣] وابن الفارض ت عام ٦٣٢هـ، فى قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيليه المتأخرين من الرافضة"[٤].

---

(١) ابن خلدون - المقدمه - ص ٤٧٠ - ص ٤٧١.

(٢) هو ابو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى ولد بهراء من أعمال خرسان عام ٣٦٩ هـ وتوفى عام ٤٨١ هـ.

(٣) هو عفيفى الدين سليمان بن على بن عبد الله بن على بن يسين كوفى الأصل ولد فى تلمسان عام ٦١٦ هـ = ١٢١٩ م وتوفى بدمشق عام ٦٩٠هـ =١٢٩١ وكان تلميذا لابن عربى .

(٤) نظرنا - ابن خلدون - المقرمة - صـ ٤٧٢.

ويشير ابن خلدون إلى هؤلاء المتأخرين من الإسماعيلية الرافضة بأنهم من الدائنين بالقول بالحلول وألوهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم، وقد أختلطت كلماتهم وتشابهت عقائدهم وظهر ذلك فى كلام المتصوفة في قولهم (بالقطب) ومعناه عندهم رأس العارفين، ويزعمون أنه لايمكن أن يساويه أحد فى مقامه فى المعرفة ، حتى يقبضه الله تعالى، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان" (١).

وينتقد ابن خلدون /٨٠٨/هـ أقوال الصوفية المتأخرين حول نظرية "القطب"، حيث رأى أن كلامهم حول "القطب" لاتقوم عليه حجة عقليه، ولادليل شرعى، وإنما هو من نوع الخطابه، وهو بعينه ماتقوله الرافضة، ودانوايه، ثم قالوا بترتيب وجود "الإبدال" بعد هذا القطب، كما قاله الشيعة فى"النقباء".

وجدير بالذكر أن الصوفية وأصحاب الطرق المتأخرين كثيرا مايسندون لباس الخرقة الي الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ويرجع ابن خلدون أسباب ذلك أنه يرجع إلى تأثير الشيعة الرافضة ونظرياتهم وكلامهم فى كتبهم (٢) الجوهرية.

---

(١) ابن خلدون - المصدر السابق - ص ٤٧٣ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص ٤٧٣. ص ٤٧٤. كذلك يذهب الى هذا الرأى كثير من الباحثين فى أصول التصوف الإسلامى. ولمزيد من التفاصيل راجع: دكتور على زيغور فى كتابه "التفسير الصوفى للقرآن عند الصادق - ط دار الأندلس - ١٩٧٩م .- ص ٤٢- ص ٤٣ حيث ذكر "أن الصوفيين يعتبرون علياً أساس للعلم اللدنى- فابن خلدون يقول " ان الصوفيين جعلوا مستند طريقتهم فى لبس الخرقة أن علياً رضى الله عنه ألبسها الحسن البصرى، كما يكثر مؤرخوا التصوف من تبيان علاقة التصوف بالتشيع. ومن المعروف أيضا أن أكثر أكابر الصوفية فى طرقهم ينتسبون قصداً أو روحاً للأمام على رضى الله عنه". ويمكن ان نشير إلى هؤلاء بإشارات عابره. أمثال: الإمام الجنيد /٢٩٨ هـ/ ابن عربى /٦٣٨هـ/وابن الفارض /٦٣٢هـ/ وعبد القادر الجيلى /٥٦١/هـ وأحمد الرفاعى /٥٧٨هـ/ السيد أحمد البدوى/٦٧٥/ هـ .. الخ ومعظم المتأخرين والشراح من أصحاب الطرق الصوفية .

كذلك راجع : دكتور على سامى النشار - نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام - جـ٢ "التصوف" ط دار المعارف ١٩٦٩م.

كذلك : الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ ١ - حـ ٢ .

ويمكن أن نستخلص مماسبق أن من الخصائص الجوهرية للتصوف ومظاهره عند المتأخرين .فى طرقهم هو الكلام على المجاهدات ومايحصل من الأذواق والمواجيد ومحاسبة النفس علي الأعمال لتحصيل تلك الأذواق التى تصير مقاماً والترقى منه إلى غيره، يضاف إلى ذلك كثرة الكلام حول الكشف والحقائق المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانيه والعرش، والكرسى، والملائكة، والوحى، والنبوة، والروح وحقائق كل موجود، غائب أو شاهد، وتركيب الأكوان فى صدورها عن موجودها وتكونها.

كذلك فإن من الخصائص والمظاهر الجوهرية فى مجال الطرق الصوفية المتأخره شيوع التصرفات في العوالم والأكوان بأنواع الكرمات، التى أشتهر بها أقطاب الصوفية وزاعت عنهم وتناقلها المريدون فى أنحاء البلدان المختلفة، واختصاص كل قطب أو صاحب طريقة بنوع من الكرامه يتميز بها عن غيره وهذا ماسوف نتحدث عنه في الفصول القادمة. عندما نتناول هذه المسائل عند أصحاب الطرق المتأخرين .

ويمكن أن نضيف إلى ذلك تلك الألفاظ الموهمة الظاهر، التى صدرت عن الكثير من أئمة يعبرون عنها فى إصطلاحهم بشطحات تُستَشكل ظواهرها [١].

ولاشك أن جمهور الناس والعلماء ينقسمون فى شأن هؤلاء بين منكر عليهم أو مستحسن لأعمالهم أو متأول لألفاظهم وكراماتهم وشطحاتهم، وهو مانجده فى بطون الكتب الصوفية التى وضعها المريدون وأتباع الطرق الصوفية الكبرى.

وإذا كان حظ التصوف فى القرنين السادس والسابع من الناحية العملية، لم يكن أقل من حظه من الناحية النظرية (الفلسفية) فإن أهم خصائصه ومظاهرة الإقتباس من الأحوال والمظاهر التي كان عليها التصوف فى القرنين الثانى والثالث الهجريين .

فقد كان قوام التصوف فى تلك الفترة طائفة من المريدين يلتفون حول شيخ مرشد، وكما أشرنا من قبل، إذ نجد أيضا أنه قد ظهر كثير منها في القرنين السادس والسابع، وكثر عدد المنتسبين إليها، وتعددت أساليب الرياضة بتعدد هذا الطرق فى العصور المتأخره، كذلك أختلفت أسماؤها باختلاف أسماء من تنسب إليهم.

---

(١) راجع ابن خلدون – المقدمة – ص ٤٧٣– ص ٤٧٤.

وحسبنا أن نشير إلى عدد كبير من أمثال هذه الطرق العلمية، وهى الطريقة القادرية، التى تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلى (أو الجيلانى)/٥٦١هـ/ومحور السلوك والعبادة فى هذه الطريقة، هو الترديد الدائم والذكر المتصل لاسم الله تعالى، والطريقة الرفاعية، التى تنسب إلى الشيخ أحمد بن أبى الحسين الرفاعى /٥٧٨هـ/ والذى كان قد انتهت إليه الرياسة فى علوم الطريق، وشرح أحوال القوم، وكشف مشكلات منازلاتهم ، واليه كان أمر تربية المريدين بالبطائح وقد تتلمذ له وتخرج عليه طائفة صالحة من المريدين، ولهذه الطريقة مظاهر مختلفة ومشهورة مثل أكل النار وازدراد الأفاعى وغيرها مما سوف تبرزه فيما بعد، وتوضيح ماوراء ذلك من دلالات تعنى بصورة مبسطة، أن النفس عندما يستولى عليها ذكر الله تعالى، تصبح فى حالة غيبة تفارق فيها البدن، وتصعد إلى الملاء الأعلى، حيث تتصل ببارئها ويصير البدن كأنه خالى من الحياة، فلايحس بما يولده أكل النار وازدراد الأفاعى والطعن بالمدى من الألام، ومن مظاهر الطرق العملية أيضاً مانجده فى الطريقة السهرودية التى تنسب إلى أبى حفص عمر السهرودى صاحب كتاب (عوارف المعارف) المتوفى عام/٦٣٨هـ/ وهى تتبنى على أصول من الكتاب والسنة وتقليد طرق الأوائل من زهاد الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم .

كذلك الطريقة الشاذلية التى تنسب إلى أبى الحسن على بن عبد الله إبن عبد الجبار الشاذلى/٦٥٦هـ/ وهو حجة الصوفية فى عصره وعلم المهتدين. وكانت طريقته أيضاً من منابع الكتاب والسنة وتقليد طريقة السابقين. وقد كان له مريدون كثيرون أجل من أخذ عن طريقته العلمية والعملية، أبو العباس أحمد المرسى/٦٨٦هـ/ وتلميذه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى /٧٠٩هـ/ وكذلك كان طريقتين البدوية التى تنسب للشيخ أحمد البدوى٦٧٥هـ والطريقة البرهامية التى تنسب للشيخ إبراهيم الدسوقى/٦٧٦هـ/ أثر كبير فى تربية المريدين وتكوينهم علمياً وعملياً .

ومن الجدير بالذكر أنه كان لكل طريقة نوع من الأفكار والأوراد والأحزاب، يرددها المريدون فى مجالسهم أو فيما بينهم وبين أنفسهم، وأن من وسائل التهذيب والتعليم فيها مايشبه الدروس الخاصة التى يقدم فيها النصح والإرشاد والوعظ إلى أبناء كل طريقة، وأن من هذه

الدروس مايكون فى بعض الكتب والرسائل والقصائد التى يضعها شيخ الطريقة نفسه، أو تكون قد وضعت قبله ووجد أن فى إقبال مريديه، وإستماعهم إليها، مايحقق لهم كمال العلم والعمل[1].

وإذا كان قد أصاب التصوف فيما بعد شئ من الفتور والقصور فى ناحيته النظرية الفلسفية والعملية، وإقتصرت الطرق العملية وكذلك النظرية على مجرد شرح أصول ومبادئ شيوخهم والتعليق عليها، فإن المظاهر ربما تكون قد تأثرت بالمظاهر العامة للبيئة الإسلامية والعربية فيما بعد القرن السابع وفى غضون القرون التالية إبتداء من القرن الثامن والتاسع حتى بداية القرن الحالى .

ومن ثم فإن ذلك يستوجب علينا دراسة البيئة ومظاهرها العامة ومايموج فيها من تيارات مختلفة. كان لها تأثير كبير على ما أصاب المسلمين والمدارس الإسلامية من خمول .

ثانياً : المظاهر الأساسية فى التصوف وتأثره بالبيئة المحيطة به :

١ - المظاهر السلبية فى الطرق الصوفية : -

إذا كان التصوف قد شهد عصوراً مزدهرة فى القرون الثلاثة الأولى، بفضل شخصيات كبيرة إستطاعت تأصيل جوهره وأصوله الإسلامية المستمدة من الكتاب السنة وسيرة السلف الصالح، فإن هذا الإزدهار ظل ممتداً خلال القرنين الرابع والخامس على الرغم من الهجوم الشديد الذى قام به الفقهاء ضد أصحاب الطرق والمذاهب الصوفية الغالبة التى أحدثت نظريات ومبادئ غريبة على الإسلام. وبسبب مالاقاه رواده من محاكمات كذلك فإن تيار التصوف السنى والمعتدل ظل ممتداً خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين لما أسداه الإمام الغزالى من خدمات جليلة، وتقريب بين متابعة وأصول طريقته وبين مذاهب الفقهاء فيما يسمى عنده "بعلم فقه الباطن" .

إلا أنه بعد القرن السابع ومع بداية القرن الثامن والتاسع شهد التصوف دور الإنحطاط فى ناحيته العلمية والنظرية .

---

(١) نظرنا : الدكتور محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام ص١٩٣ ، ص١٩٤ .

وكأن التصوف الإسلامى منذ نشأته وتكونه قد مر بثلاث مراحل وهى دور النشأة والتكوين الذى يبدأ من القرن الأول الهجرى وحتى القرن الثالث، ودور التكوين والكمال الذى إمتد إلى نهاية القرون الأربعة التالية، ثم دور الإنحطاط والتدهور منذ القرن الثامن حتى اليوم(١) .

فقد جمد التصوف ولم يزد من جاء من الصوفية بعد ذلك الوقت على مافعله المتقدمين، وإنما رددوا أقوالهم وإكتفوا بشرحها والتعليق عليها أو تلخيصها (٢)

إذن فإن التدهور الأخير منذ القرن الثامن الهجرى، أصاب بناحيتيه النظرية والفلسفية والعملية الكثير من القصور والإنحطاط الفكرى العلمى والعملى. وظهرت أمور أدت إلى تشويه معالم هه الطرق الصوفية وأضاعت جوهرها من جانب الأدعياء، والجهال الذين إنتسبوا خطأ إلى التصوف فى العصور المتأخرة .

أن الدور الأخير للتصوف أصابه الكثير من التدهور والإنحطاط، وإمتزجت فيه كثير من عناصر الغرور وحب الظهور، والميل إلى السيطرة على عقول السذج من العامة، والجرى وراء الزلفى عند أصحاب النفوذ والسلطان .

هذا إلى ماتسرب إليه من ضروب المخرفة، وألوان الشعبذة حتى لقد خالف كثير من المنتسبين إلى بعض الطرق الصوفية ماسار عليه السلف من سنن الزهد والعبادة وأصول المجاهدة والرياضة، الأمر الذى ترتب عليه أن خرجت الحياة الروحية عن معناها الذى ينبغى أن تدل عليه، وإنحرفت عن غايتها التى ينبغى أن تسعى إليها (٣).

وإذا كان الأصل فى التصوف وفى جوهره كما يرى إبن خلدون/ ٨٠٨هـ/ هو العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وحياة، والإنفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة(٤) إلا أن فساد الجـو،

---

(١) دكتور إبراهيم بيومى مدكور - دروس فى تاريخ الفلسفة - ص٦٧ ط- لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٣م .

(٢) دكتور عبد الخالق محمود - إصطلاحات الصوفية صـ١٠ .

(٣) دكتور . محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٩٩ .

(٤) إبن خلدون - المقدمة - ص٤٦٧ التصوف .

وضنك العيش، وشيوع الجهل، قد أغرى الكثيرين من الأدعياء باحتراف التصوف، وإتخاذه أداة للكسب، ووسيلة لإتقاء المظالم وطريقاً إلى إقتناص السمعة الطيبة، والمركز الملحوظ، والجاه العريض[1].

ولاشك أن البيئة والعصر الذى شهد فيه التصوف هذا التدهور والإنحطاط قد ياعد على ذلك. فالعصور المتأخرة، كان يغلب عليها الفساد السياسى وإزدادت فيها أطماع الحكام والسلاطين، وتغلبت عليهم شهوة جمع المال، وإرهاق كاهل الشعب بكثرة الضرائب، وإزدادت أيضاً نواحى النهب والسلب، بالإضافة إلى براعة المؤمرات ضد بعضهم البعض، طمعاً فى الحكم أو شهوة الإمتلاك وكثرة النهب، والإستيلاء على أقوات الشعب[2] أما من الناحية الإجتماعية والإقتصادية، فلم تكن أحسن أحوالاً فازداد الناس فقراً، وضنكاً، وتفشى الجهل بين جمهور الناس والعامة، فانتشرت الخرافات ممتزجة بالأمانى التى كانت تراود الناس من أجل الخلاص مما يعانون من صعوبات، ومما يقع عليهم من ظلم وقهر. الأمر الذى شجع كثير من الأدعياء وأصحاب الحيل إلى زخرف القول والفعل، وتصنع التقوى، لإيقاع الناس فى حيلهم ودجلهم كأولياء مقربين من الله تعالى، تستجاب دعواتهم، لنصرة الناس والمظلومين.

ومن الناحية العلمية، فعلى الرغم من إنتشار المدارس فى مساجد مصر وبلاد الشرق، ووجود الأزهر الشريف، والذى يعتبر منارة العلم فى مصر وبلاد الشرق فى العصور الوسطى، وحتى هذه العصور المتأخرة إلا أن هذا الجو المضطرب سياسياً[3] وإجتماعياً وإقتصادياً سواء فى عصر سلاطين المماليك أو فى العصر العثمانى، لم يكن يسمح بالوقت الوفير والمتسع لشحذ قرائح العلماء والمفكرين، وتطوير علومهم، بالإضافة. إلى ماكان يعانيه العلماد والمفكرين من

(١) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى حـ٢ (إمام التصوف فى مصر - الشعرانى). ص٩ - ط الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٨ .

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع الدكتور-توفيق الطويل- التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى- حـ١ - صـ ١٧ - صـ ٣٢.

(٣) لمزيد من التفصيل راجع عبد الحفيظ علي قرنى - عبد الوهاب الشعرانى - صـ ١٢ - صـ ١٧ ط- الهيئة العامة لكتاب - القاهرة ١٩٨٥م.

شظف العيش ونقص الأموال وأجهزة البحث العلمى. ويتضح لنا ذلك من خلال مثال ذكره عبد الرحمن الجبرتى / المتوفى عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥م من تصوير لحالة التعليم فى الأزهر الشريف فيقول "أن عبد الرحمن كتخدا القازد على ت عام ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠ م/ عندما أقام فى ولاية مصر، كان من أرباب الفضائل، وله رغبة فى العلوم الرياضية، وعندما قابله صدور العلماء فى ذلك الوقت وهم الشيخ عبد الله الشيراوى/ ت عام ١١٧٢ هـ شيخ الجامع الأزهر، والشيخ سالم النفراوى/ [١].والشيخ سليمان المنصورى[٢]. تكلم معهم وناقشهم وباحثهم ثم تكلم معهم فى الرياضيات فأحجموا، وقالوا لاتعرف هذه العلوم فتعجب وسكت، وعندما قال الباشا للشيخ عبد الله الشيراوى/ ١١٧٢ هـ المسموع عندنا بالديار الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم، ... فقال الشيخ هى يامولانا كما سمعتم، معدن العلوم والمعارف، فقال، وأين هى؟ وقد سألتكم عن مطلوبى من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئا، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل، والمقاصد، فقال الشيخ عبد الله الشيراوى نحن لسنا أعظم علمائها وإنما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم عند أرباب الدولة والحكام، وغالب أهل الأزهر لايشتغلون بشئ من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة الموصلة إلى علم القرائض والمواريث فقال له الباشا: وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية ..كالعلم بدخول الوقت، واستقبال القبلة، وأوقات الصوم والأهلة .. فقال الشيخ .. نعم معرفة ذلك من فروض الكفاية .. إذا قام به البعض سقط عن الباقين ..وهذه العلوم تحتاج الى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية، كرقة الطبيعة، وحسن الوضع، والخط الرسم والتشكيل، والأمور الأخرى، وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم فقراء، وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق ، فيندر فيهم القابليه لذلك، [٣].

---

(١) هو أحد علماء الأزهر فى القرن الثانى عشر الهجرى .

(٢) هو أحد علماء الأزهر فى القرن الثانى عشر الهجرى .

(٣) عبد الرحمن الجبرتى - تاريخ الجبرتى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) جـ١- كتاب الشعب ص ٦٧ - ط مطابع الشعب ١٩٥٨م .

وإن كان الجبرتى /١٢٤١هـ/١٨٢٥م / قد أشار الى والده الشيخ حسن الجبرتى، ومالديه من إهتمام يمثل هذه العلوم[1] غير أن ذلك لا ينهض للإستدلال على مدى اهتمام الدارسين وعلماء الأزهر والقائمين على أمر الأمة الإسلامية فى هذه العصور المتأخرة بالعلوم الطبيعيه أو الفلكية أوالأشياء الكيميائية أو الرياضيات أو الفلسفة وغير ذلك من أسباب التقدم والتطور والتجديد. فقد كان المثل الأعلى للعلم لايكاد يتجاور الدين وعلومه الثقليه من فقه وتفسير وحديث، أو علوم إضافيه أخرى من نحو وبيان ولغة، وجمدت الدراسات حتى تحول التأليف إلى شروح على متون ، أو تعليقات على شروح، فركدت العلوم العقلية، حتى أضحى طلبها فرض كفاية، متى قام به البعض سقط عن الآخرين، وأنحصرت مراكز الثقافة فى الأزهر. ومجالس الوعظ فى المساجد، وزوايا الصوفية.

وفى هذا الجو المعتم، الذى صاحبه انحطاط التفكير العقلى الخالص، وإهمال دراسة العلوم، الإنسانية والطبيعية، والانغلاق الفكرى وخمول العقول عن الإبتكار، فى عصور المماليك وإبان العصر العثمانى، بسبب الفساد السياسى والتدهور والإضطراب وعدم الإستقرار، نجد أن الناس استجابوا لهذا الفساد بالتصوف. فحين فقد الناس الحاكم القوى الذى يؤمنهم علي نفوسهم، ومايمتلكون، فانه من المؤكد اتجاههم إلى الله عز وجل يلتمسون منه العون ، وينشدون العدالة فيما وراء هذه الحياة الدنيوية ، حيث لاظلم ولا فساد. فتكلف الناس بالتصوف. وأقبلوا على أهله، وأختلطت فى أنفسهم المسائل والأمور دون تمييز بين الغث منه من الثمين، أى الصحيح من الفاسد ، فكثر أوعياؤه وسلكوا مسالك غير نقية نقاءً خالصاً يختلف عما كان عليه حال التصوف فى عصوره الأولى .

---

(١) دكتور - توفيق الطويل- التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى - حـ٢ - صـ٦. وللمزيد فى إيضاح هذا الجانب يمكن للباحثين والرجوع إلى دائرة المعارف الإسلامية - ح ١ (الأزهر) - ط الشعب ١٩٣٦م كذلك دكتور - محمد محمود أبو قحف - دراسة تحليلية للأصول الكلامية وعلم المنطق عند العلماء المتأخرين -ط - مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٠

وربما كان من الأسباب الهامة فى هذا الإتجاه عند الناس فى تزوعهم إلى التصوف، هو ماخضعت له مصر من الدعوات السريه، التى فشت فى أزمانها منذ أيام الدولة الفاطمية الشيعية."[1]

ومن الجدير بالذكر، أنه إذا كان دور التصوف النظرى الفلسفى قد انتهى بعد القرن السابع الهجرى، شأنه فى ذلك شأن سائر العلوم الإبتكارية أو الفلسفية. فإن ذلك دليل قاطع على الصبغة العامة التى أصطبغت بها هذه العصور المتأخرة من تدهور وانحطاط فكرى، وبصفة خاصة مانجد من كثرة الشروح والتعليقات التى وضعها رواد المذاهب الفلسفية الصوفية على نظريات شيوخهم، ولعل معظم ماكتبه الشعرانى/٩٧٣ هـ/ وما وضعه من شروح وتعليقات على مذاهب ونظريات الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى/٦٣٨هـ/ خير دليل على ذلك .

وإذا كان ذلك كذلك، فقد أتسع المجال للتصوف الذى يساير التعاليم الدينيه، ويتمشى مع روح السنة، وسرعان ماغلب هذا النوع من التصوف المساير لمبادئ السنة (فى جوهره الأصيل) على التصوف القائم علي النظريات الفلسفية الدقيقة. وانتهى الأمر الى إيثار العمل علي النظر، وتغليب التعبد على التأمل، ورجح الإهتمام بالسلوك، ومايقتضيه من وجود الطاعة وتربية النفس والزهد والتقشف والحرمان والزلفى إلى الله تعالى، وكاد ينطفى الجانب النظرى فى العالم الإسلامى، ومن المظاهر السيئة، والعيوب الشائنة التى كادت أن تشوه معالم الطريق الصوفى ماتناقله مؤرخوا الطبقات الصوفية فى هذه الفترة الأخيرة، من إقبال أهل الغفلة من الناس، وماكان أكثرهم، على الأدعياء، فإختلط الدجالون بالصادقين من أهل الطريق[2] وكانت هذه الظاهرة منذ أواخر عصر السلاطين، وإمتدت إلى العصر العثمانى، وإزداد تيارها قوة، حتى كادت أن تخفى من التصوف الصادق صفحته المشرقة الوضاءة وإذا كان الصادقون من أهل التصوف، أخذوا يزاولون مايقتضيه الطريق من شعائر الدين، ومايستلزمه من التفقه بأحكامه، ومايتطلبه من التجرد كذكر الله تعالى ومواصلة العبادة، فإن الأدعياء. (وكان صوتهم عالياً) إستغلوا سذاجة الناس، وعملوا على التمكين لنفوذهم، حتى إذا تم لهم ماأرادوا، جهروا

---

(١) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر - جـ ٢ - صـ ٧ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٩ .

بالتمرد على أبسط قواعد الدين وأوضاع العرف، مدعين سقوط التكاليف الدينية عن كل "واصل" وكانوا بعد كل هذا فى أمان (١).

ويتضح لنا ذلك، من خلال ماذكره مؤرخوا الطبقات الصوفية والباحثون فى التصوف الإسلامى فى العصور المتأخرة، والدليل على ذلك ماذهب إليه الشعرانى/٩٧٣هـ/ وأكبر شخصية صوفية، فى القرن العاشر الهجرى، فى كتابه الطبقات الكبرى .

وأعتقد أن الشعرانى قد ساهم بقسط وافر فى رواج ما تناقله الناس فى تلك العصور، من روايات، وأقاصيص، عن أدعياء التصوف، والدخلاء عليه، وما كان يكتنف هذه الروايات من خيالات وضروب من الخزعبلات، التى أعتقد فيها الناس جازماً أنها من قبيل الكرامات، التى يظهرها الله تعالى على أيدى الصوفية أو المدعين لسلوك الطريق .

ونحن إذا ماتصفحنا مؤلفات الشعرانى المختلفة، نعثر بين الحين والآخر على مثل ذلك، بما لايتفق مع أصول الشرع وأركان العقيدة ومايخرج عن مصداقية الحق، فضلاً ان أن مثل هذه الخزعبلات والخيالات والأساطير الفلكلورية، ليس لها من نصيب عند الصادقين من الصوفية، وأصحاب الطرق الأصيلة سواء الأوائل منهم أو المتأخرين. وتمشياً مع منهجنا الموضوعى فى هذا البحث نستشهد ببعض الأمثلة، من خلال ماذكره الشعرانى عن هؤلاء الأدعياء، دون قصد منه أو سوء نية، ولكن ربما كان هذا هو حال الطرق الصوفية وسمات العصر الذى نشأت فيه .

إذ ذكر فى ترجمة بعض الشخصيات الصوفية، ومدعى الولاية أمور شائنة، يمجها العقل، وتعافه النفس، فضلاً عن أضرارها بأركان الشريعة والعبادات وعدم الإلتزام بالتكاليف الشرعية..

فقال "ومنهم سيدى على وحيش،من مجاذيب النحارية رضى الله عنه المتوفى عام/ ٩١٧ هـ/ .وهو من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال، وكان له كرامات وخوارق وإجتمعت به يوماً فى خط بين القصرين.. ودعا لى.. ثم يذكر الشعرانى أن الشيخ على وحيش كان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على حمارته هو يقول له أمسك رأسها حتى أفعل بها، فإن أبى شيخ البلد تسمر فى مكانه فى الأرض لايستطيع أن يمشى خطوة، وإن سمع حصل له خجل عظيم، والناس

---

(١) نفس المصدر - ص٩ .

يمرون عليه، وكان له أحوال غريبة. وقد أخبرت سيدى محمد بن عنان رضى الله عنه فقال يخيلون للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة" [١] .

ويذكر الشعرانى رواية أخرى، فيها الكثير من الشطط والإنحراف عند مدعى الولاية وسقوط الطريق..

فيقول عن "الشريف المجذوب ٩١٧هـ/ أنه كان يأكل فى نهار رمضان ويقول لنا. معتوق أعتقنى ربى، وكان كل من أنكر عليه يعطيه فى الحال ويذكر ماله من مكشفات ثم يذكر أنه كان يتظاهر ببيع الحشيش، فيجدها الناس حلوى، ويفسر الشعرانى ذلك بأن الله تعالى قد أعطاه التمييز بين الأشقياء والسعداء فى هذه الدار، وقد كان أصله جمالاً عند بعض الأمراء [٢].

ومن دلائل تمرد هؤلاء المدعين للطريق الصوفى على الدين، وعدم إكتراثهم بحفظ حرمة العقيدة والإلتزام بتكاليفها، مايذكره الشعرانى أيضاً عن أحد الصوفية - المجاذيب - ويدعى الشيخ شعبان المجذوب المتوفى عام/ ٩٠١هـ تسعمائة ونيف بأنه كان من أهل التصوف بمصر المحروسة فكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل.. وكان إذا إطلع على موت البهائم كان يلبس صبيحة ذلك اليوم جلد البهائم، والبقر والغنم.. إلخ، ثم يذكر الشعرانى عنه، أنه كان يقرأ سور غير سور القرآن على كراسى المساجد يوم الجمعة، وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العامة يظنون أنها قرآن، لشبهها بالأيات فى الفواصل، وقد سمعته يوماً يقرأ على باب داره على طريقة الفقهاء الذين يقرأون فى البيوت، فصغيت إلى مايقول، فسمعته يقول "وماأنتم فى تصديق هود بصادقين، ولقد أرسل الله لنا قوماً بالمؤتفكات يضربوننا ويأخذون أموالنا ومالنا من ناصرين، ثم قال الشيخ شعبان المجذوب، اللهم إجعل ثواب ماقرأناه من الكلام العزيز صحائف فلان وفلان..إلخ .

وكان عرياناً لايلبس إلا قطعة جلداً وحصيراً ومطاط [٣] وقد بلغ الإستخفاف بأمر الدين، والتهـاون فى الفرائض شأن كبيـر عند هؤلاء،، وفى ذلك مايذكره الشعرانى أيضاً.. أن الشيـخ

---

(١) راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ ص١٣٥ .

(٢) المصدر السابق جـ٢ - ص١٣٥ .

(٣) نفس المصدر - حـ٢ - ص١٦٧ .

تاج الدين الذاكر ٩٢٦هـ/ كان يمكث بوضوء واحد سبعة أيام إمتدت أواخر عمره إلى أحد عشر يوماً[(١)] .

كذلك كان الشيخ أبو السعود الجارحى يتوضأ أول رمضان فلا يعيد الوضوء إلا بعد العيد بستة أيام[(٢)]وتوفى عام نيف وثلاثين وتسعمائة/ ويتعقب أبو خودة/٩٢٤هـ/ وغيره من أدعياء الطريق حسان العلمان والنساء، آمنين شر الإتكار من سوء مايفعلون[(٣)]

ومما يلفت النظر، ويثير الدهشة والغرابة، أن لهؤلاء الأدعياء والدجالين، أضرحة بمصر تزار، حتى الأن، وتلتمس عندها البركات، ويستحب عندهم الدعاء، والتضرع وغير ذلك من نواحى التوسل، من جانب جمهور الناس، إعتقاداً فى بركاتهم، ودفع البلاء عنهم .

ويبدو لنا، أن التصوف، قد شهد جولات خطيرة، وإنزلقت بأصحابه دعاوى الشهرة والتواكل، والغرور، والتزلف إلى ذوى الجاه والسلطان إلى مهاوى وبدع لامأمن منها.. وذلك فيما بعد القرن السابع، وخلال القرون الثلاثة التالية، وإن كان الشعرانى ٩٧٣هـ/ يشير إلى التصوف فى العصر المملوكى على أنه أتسم بالصدق فى عبادة الله تعالى، والتجرد لذكره، والزهد فى طلب الدنيا، والإعراض عن مباهجها، إما التصوف فى التصوف فى العصر العثمانى، فإنه يتصف بالدجل والخداع والشعوذة[(٤)] ويكاد يجزم الشعرانى، بأن آخر المتصوفين المخلصين للطريق الصوفى ومراعاة أصوله، كانوا من أهل القرن العاشر الهجرى ومن أمثال الشيخ نور الدين المرصفى المتوفى عام نيف وثلاثين وتسعمائة / ٩٣١هـ/ وكذلك أبو العباس الحريثى/ ٩٤٥هـ/.[(٥)]

---

(١) نفس المصدر - راجع ص١١٧ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ ص١١٧ .

(٣) نفس المصدر السابق حـ٢ - ص١٢٢١. كذلك راجع الشعرانى الطبقات الصغرى - مكتبة القاهرة - ١٩٧٠م .

(٤) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى عهد مصر أيام العصر العثمانى حـ٢ - ص٥٢ .

(٥) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص١١٦ - ص١١٧ - كذلك دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر - صـ٢ - ص٥٣ .

إلا أننا نرى، عكس هذا الرأى، بصفة عامة، إذ إن أستقراء تاريخ التيارات الصوفية فى هذين العصرين المملوكى،[1] والعثمانى[2] فى ظواهرها. وممارسات أصحابها، وسلركهم مايؤكد دخول كثير من البدع، والشعوذة، والإنصراف التام عن مراعاة أصول الطريق من زهد وعبادة وأخلاص، ومراعاة حقوق الله عز وجل. بالإضافة إلى إرتكاب الدخلاء لأعمال منفرة لاتستقيم وأصول التصوف وجوهره السنى الإسلامى الأصيل، أن التصوف ومظاهره فى العصر المملوكى لايختلف عن العصر العثمانى نوعاً ما وإن فارق قليل الخطر فى قوة التيار أو ضعفه .

المثال على ذلك نجد أن بعض المتصوفة تحرروا من أوامر الدين. فى كلا العصرين، ففى عصر المماليك نجد إبراهيم المتبولى المتوفى عام نيف وثمانين وثمانمائة / ٨٨١هـ/ فيما يذكر عنه الشعرانى أنه رضى الله عنه لايراه أحد يصلى الظهر فى مصر أبدا، وكان بعض الفقهاء ينكر عليه، فسافر إلى الشام فوجد سيدى إبراهيم المتبولى فى الجامع الأبيض برمله يصلى، فسلم عليه، وسأل قيم الجامع عنه فقال سيدى إبراهيم دائماً يصلى الظهر عندكم فقال نعم، فرجع عن إنكاره"، ومع مافى هذه القصة من مبالغة وتطرف، بالإضافة إلى ماذكره الشعرانى عن كرامات هذا الشيخ ممايعوق الشرع والعقل فان ذلك ليدل على مدى التهاون فى أمر الدين، كذلك كان

---

(١) بدأ عصر المماليك فى مصر عندما تولى سلطنة مصر عز الدين أيبك التركمانى الصالحى عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م/ وذلك بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب إبن الكامل عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م ثم اخفت زوجته شجرة الدر نبأ وفاته إلى أيناء الحرب مع الأفرنجة، وتولت إدارة شئون البلاد إلى أن حضر إبنه توران شاه من حصن كيفا ثم مالبث أن تآمر عليه المماليك وقتلوه. وأسندوا سلطنة البلاد للمملوك عز الدين أيبك سالف الذكر، وقد إنتهى عصر المماليك بالفتح العثمانى لمصر بقيادة سليم الأول عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م/ وبمقتل طومان باى آخر سلاطين المماليك عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م.

(٢) بدأ الحكم العثمانى بمصر منذ فتح السلطان العثمانى سليم الأول لمصر والقضاء على حكم المماليك عام٩٢٣هـ/ ١٥١٧م . الجبرتى - تاريخ الجبرتى (عجائب الأثار فى التراجم والأخبار - حـ١ - ص٨ - حـ١٠ ط - الشعب ١٩٥٨م .

هناك شيوخ آخرون يمثل هذه الطريقة كالشيخ عبد القادر الدشطوطى المتوفى عام نيف وثلاثين وتسعمائه٩٣١هـ وكان له أحوال غريبه[١] .

ولم يكن حظ التصوف فى العصر العثمانى من التدهور بأقل منه في عصر المماليك، إذ أن فرق الأحمدية والبرهامية، والقادرية، وماإليها كانت لاتلتزم بأوامر الدين ونواهيه، فتهمل الصلاة، وترتكب الفاحشة.. ألخ[٢] .

غير أن الكتاب فى هذه الفترة، من أمثال الشعرانى/٩٧٣هـ/ كثيرا مايلتمسون لهؤلاء المبررات "ويؤولن أحوالهم. على أنها جزء من كرامات يظهرونها لمريديهم، أو المنكرين عليهم، فيقرر أن هؤلاء المتصوفة، كانوا يقومون بالصلاة خفاء عن الناس فى الاماكن المقدسة البعيدة، وعلى الأرض فى لمح البصر كان جزءاً من كرماتهم، وأنهم كانوا يوهمون الناس بأنهم يرتكبون الفاحشة دون أن يقدموا على فعلها.[٣]

وإذا أردنا أن نقيم الجوانب السلبية، والمزالق الخطيرة التى وقع فيها المتصوفة وأدعياء الطرق، نجد أن التصوف فى هذه العصور لم يكاد يعدو الأغراض العملية التى أدت الي وجوده. وهى العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والزهد في طلب الدنيا.. وهكذا فهو سلوك عملى لانظرى عقلى، وقلما نجد المخلصين لهذا الطريق الذين ينتهون إلى أحوال الجذب والمحو والفناء، على نحو ماكان عليه أمر التصوف من قبل ومن هنا كان الطريق فى هذه العصور أقرب إلى الدروشة منه إلى التصوف الصحيح، لأن هذه العصور المتأخرة لم تكن تلائم وجود مفكرين يحسنون النظر ويجيدون الفهم بالحس والذوق، إذا كانت هذه العصور تستعيدها الجهالة، ويسيطر الإضمحلال على شتى نواحى الحياة، فيها وبصفة خاصة فى العصر العثمانى. ولئن كانت عصور الإضمحلال عند الشعوب لاتخلو من أفذاذ يسبقون زمانهم ،فان متصوفة العصر العثمانى، قد وضعوا أدابا ألزموا بها كل من سلك على يدهم ، وكان بعضها يقضى بمحبة الجهل

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ ٢ - صـ ٧٨، صـ ١٢٤- صـ١٣٥- صـ١٥٣.

(٢) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى حـ٢ - صـ٥٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل - راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى حـ٢صـ٧٨. صـ١٢٤- صـ١٣٥- وأماكن كثيرة متفرقة تتعلق بمن أرخ لحياتهم من هؤلاء المتصوفة فى عصره والعصور السالفة أيضا .

وعدم التعلم على يد مدرس أو كتاب، وتجنب التفكير فيما يعرض له من ظواهر، أو يساور رأسه من خواطر وآراء، فقضوا بذلك على الحياة العلميه عند أهل الطريق، وقتلوا حيوية التفكير فى أذهانهم .وادعوا الزهد فى طلب الدنيا والإستهانة بملاذها والإعراض عن شهواتها، إذا صحبه الإنقطاع للعبادة والتجرد للذكر والتهجد والعمل بما يرضى الله، تكفل بأن يسلم صاحبه إلى حضرته، ومتى إتصل الفقير بربه أخذ عنه العلم والحكمة والدين والثراء وكافة مايشاء من مطالب الدنيا رأسا من غير وساطة، واستمد منه تعالى القوة التي ترفعه عن كافة البشر، وتجعل فى مقدوره اتيان الخوارق والكرامات.[1] لقد كثر مدعوا الطريق فى هذه الفترة المتأخرة من حياة التصوف الإسلامى، وتهيأ لهم سلطان واسع النطاق، وتغلغل نفوذهم فى شتى الطبقات، ومختلف الهيئات، وأصبح لهم من المريدين والأتباع كثرة يستعيدها سلطان الشيخ استعبادا فادحا، وكلهم يدعون القدرة علي فعل الكرامات، واتيان خوارق العادات والناس من العامة يستسلمون لهذه المظاهر سراعا، والجدير بالذكر أن كثير من الحكام الأثرياء. انخدعوا بهؤلاء الأدعياء والدجالين. مما حملهم على مساعدتهم بالمال الذى يكفل لهم العيش الهنئ المترف. وقد وجد هؤلاء المتصوف الأدعياء أن سذاجة الناس قد أغنتهم عن التزود بدراسة العلوم، والإهتمام

---

(١) مما يدل على ذلك، ماذكره الشعرانى ٩٧٣/ هـ فى ترجمته للشخصيات الصوفية فى هذا العصر، وأحوالها وكراماتها.. نذكر من ذلك نماذج من هذه الروايات التى يذكرها عن سيرتهم .. فيقول "أن الغلاء وقع أيام السلطان قايتباى(تولى السلطنة من المماليك الشراكسه بمصر عام ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧م). فأجتمع الناس عند الشيخ ابراهيم المتبولى / ٨٨١/ هـ / فى الزاوية نحو من خمسمائة نفس فكان كل يوم يعجن لهم ثلاثة أرادب، ويطعمها لهم من غير ادام، فطلب الناس منه أدما، فقال للخادم أذهب الى الخص الذى فى النخل فأرفع الحصير وخذ حاجتك، فذهب ورفع الحصير فوجد قناة تجرى ذهبا وفضة من علو نازلة فى السفل، فأخذ منها قبضة، فأشترى بها ذلك اليوم أدما.."

راجع الطبقات الكبرى – حـ٢ – صـ ٧٧.

بحرمة الدين، والسعى لإكتساب القوت وتحمل المشاق فى ميادين العمل، بل أغنتهم عن التزام الصدق فى عبادة الله تعالى، والزهد فى طلب الدنيا. (١)

وبهذا كاد الدجل أن يطمس أية التصوف الإسلامى الصادق ويطفئ نوره (٢).

على أن هذا لايعنى أن الحياة الروحية الإسلامية. أضحت فى جملتها وتفاصيلها ماإنتهى اليه أمر التصوف فى عهده الأخير، بل هو يعنى أن الذى غلب على هذه الحياة، هو ذلك الإنحراف عن السنة القويمة التى وضع حجرها الأساسى الزهـاد والعباد الأوائل وأقام صرحهـا من جاء بعدهـم من شيوخ وأئمة الصوفيـة المخلصين كذلك فان الحياة الروحية والصوفية الإسلامية، لم تعدم بعض النفوس الصافية، ولقلوب الطاهرة، والبصائر المشرفة، التى كانت وماتزال تظهر بين الحين والحين، حتى فى العهود المتأخرة. (٣)

لقد ظهرت شخصيات صوفية عميقة الأثر، وأصيلة المنبع، وجرى أساس الحياة الروحية على أيديهم فى مجراه السليم والصحيح، على نحو ماسنبين فى الفصول القادمة.

٢- مظاهر العبادات وأحوالها عند الصوفية المتأخرين:

كان المتصوفة يقيمون جماعات تحت إدارة شيوخهم، فى معابد أطلقوا عليها إسم الزوايا، طاعمين كاسين، على نفقة المحسنين من الأثرياء والأمراء، متجردين لعبادة الله تعالى، منقطعين

---

(١) وحسبنا ماتندر به الباحثون وكتاب الطبقات الصوفية فى عهود المتأخره وما أصابه من إنحراف عن جوهره الأصيل، وغايته التى يجب على الصوفى الصادق أن يسعى اليها، والجد فى طلبها فقد صور بعضهم التصوف فى صورتين من ناحية ما أصابه فى عهوده الأولى من نمو وازدهار، وتسطير ومن ناحية أخرى ماأصابه فى عهود الأخيرة من تدهور وإنحلال، فقالوا "كان التصوف حالا، فصار كارا، وكان احتسابا فصار اكتسابا، وكان استتار فصار إشتهارا، وكان اتباعا للسلف فصار اتباعا للعلف، وكان عمارة للصدور فصار عمارة للغرور، وكان تقشفا فصار تكلفا، وكان تخلقا فصار تملقا، وكان سقما فصار لقا"

"محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - صـ ١٩٩. صـ ٢٠٠.

(٢) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى حـ ١- صـ ٥٤- ص ٥٥ - ص٥٦.

(٣) المصدر السابق - ص ٢٠٠.

لذكره زاهدين فى طلب الدنيا، معرضين عن لذاتها، قانعين فى بعض الأحيان بإدعاء هذا السلوك، مهملين فى السعى فى طلب القوت محتقرين العمل على إكتساب العلم والدين (١).

لقد كان التصوف قبل ذلك ظاهرة فردية، حالة خاصة به، يعانى المتصوف فيها مجاهداته، ورياضته الروحية، سالكاً لطريقة القوم، ومعارجهم من مقامات إلى أحوال. لكن فى هذه الفترات المتأخرة، تحول التصوف إلى ظاهرة إجتماعية، فأصبح الصوفى شديد الحرص على الإجتماع بمريديه وأتباعه، والإتصال بسائر الناس، فقراء كانوا أم أغنياء، رعايا أو حكاماً، يؤثر فى بيئته، ويتأثر بها وبمظاهرها ولذلك فقد تأثرت العبادات بهذه المظاهر المختلفة فقد أنشأت كثير من الربط والزوايا، والنكايا، فى هذه العصور، لكى يقيم فيها هؤلاء الصوفية، أو من يلوذ بهم من أدعياء التصوف، والهاربين من ظلم الحكام، وجباية الضرائب التى كانت تثقل كاهل الشعب، وعرفت مصر هذه الأنواع المتعددة من أماكن العبادات، والتى كانت توهب لها الأموال، وتوقف عليها الأوقاف، من جانب الأمراء أو المتيسرين من علية الناس وقد ذكر المقريزى /٨٣٤/ هـ/ ١٤٤٢م الكثير من أنواع الزوايا، والخوانق والربط، التى كانت منتشرة فى عصر السلاطين المماليك(٢) ويذكر كل من صاحب"عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" (٣)والخطط التوفيقية (٤) الكثير من هذه الزوايا والنكايا والربط فى مصر فى عصر العثمانين، والتى كان يلجأ إليها المتصوفة، وغيرهم ممن دخل فى طريقتهم .

ويصور كل من المقريزى، والسهرودى (أبو حفص عمرو) /٦٣٢هـ هذه المظاهر والعبادات فى هذه الزوايا والربط بما يعطى صورة صادقة عما أصاب أنواع العبادات من متغيرات لم تكن معهودة عند أصحاب الطرق الصوفية الأوائل، والمخلصين من المتأخرين، لقد أخذت الزوايا مكان الخوانق، والربط، فى عصر الأيوبين وسلاطين المماليك فى مصر، وتلاشت هذه المعابد حين نزلت عصر المحن، قبـل بدء العصر العثمانى. وكـان أهلها يقيمون على طاعة الله ويدفعون بدعائهـم البلاء عن العباد والبـلاد، وشرائطهـم قطع المعاملـة مع الخلق، ووصلهـا بالحق، وتـرك

---

(١) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى حـ١ص٣٧ .

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع - المقريزى - الخطط والآثار حـ٤ ط بولاق سنة ١٢٧٠هـ .

(٣) راجع عبد الرحمن الجبرتى - عجائب الثار فى التراجم والأخبار. حـ١ ص٣٣٥ .

(٤) على مبارك - الخطط التوفيقية - حـ١ - ٨٩ وما بعدها.

الإكتساب، إكتفاء بكفالة مسبب الأسباب. وحبس النفس عن المخالطات، وإجتناب التبعات، وإنتظار الصلوات، وإتقاء الغفلات.[1]

وقد أغرى ذلك الكثير من الأدعياء بإختراق التصوف، وإتخاذه أداة للكسب، وإقتناص السمعة الطيبة، كذلك فإن هؤلاء الأدعياء إستغلوا سذاجة الناس، وجهروا بالتمرد على أبسط قواعد الدين مدعين سقوط التكاليف الدينية عن كل واصل[2] ومن الأمور المحيرة والغريبة أن هؤلاء كانوا لايخجلون من ذلك بين جموع الناس دون أن يمسهم أذى، من الحكام أو الولاة، ولعل ذلك يرجع أيضاً إلى شيوع الجهل وفساد الجو العام فى هذه العصور.

وقد بلغ الإستخفاف بأمور العبادات وفرائضها مبلغاً عظيماً عند جهلة القوم من أدعياء الولاية والتصوف، نذكر فى ذلك حالة واحدة ظهرت عند بعضهم، وهو مما ذكره الشعرانى/ ٩٧٣هـ فى طبقاته، إذ يذكر أن الشيخ إبراهيم العريان المتوفى عام نيف وثلاثين وتسعمائة/ ٩٣١/ هـ أنه كان يصعد المنبر ويخطب فى الناس عريانا، فيقول السلطان ودمياط، باب اللوق وبين القصرين وجامع طولون، الحمد لله رب العالمين، فيحصل للناس بسط عظيم، ثم يذكر الشعرانى أيضاً أن إبراهيم العريان كان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول: هذه خرطة فلان، ويحلف على ذلك فيخجل ذلك الكثير منهم"[2] ولاشك أن هذا السلوك يخرج بهؤلاء الأدعياء من المتصوفة عن تعاليم الإسلام التى تفترض فى المسلم الإلتزام بالطهارة، والعفة ستر العورة.. إلخ .

ولعل أهم مظاهر العبادات عند هؤلاء الصوفية، مانجده فى رحاب الزوايا، التى كان يقطن فيها هؤلاء، ولاشك أن مثل هذه المظاهر مازالت قائمة ويزاولها الصوفية فى العصر الحديث، وقد لاحظنا كثيراً من تلك الأمور المشينة عند جهلة القوم خلال دراستنا الميدانية كما يحدث فى الموالد التى تقام للأولياء. إن أكبر ماكان يشغلهم من أمر هذه العبادات، الإنقطاع للتهجد وذكر الله وإقامة الصلاة وقراءة الأوراد، وتلاوة القرآن والإطلاع على كتب التصوف

---

(١) السهرودى (أبو حفص عمرو) عوارف المعارف.ص٥٧ - ص٥٨. ط الشعب بدون تاريخ .

(٢) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر - حـ٢ - (الشعرانى إمام التصوف فى مصر)- ص٨ - ص٩- كذلك راجع حـ١ - ص٤٦ .

(٣) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص١٢٩ .

والعلوم الدينية إجمالاً، وربما كان إقامة حلقات الذكر أكبر هذه العبادات. بل فى تصورى أن الذكر عند هؤلاء المتصوفة، يعتبر أمراً مقدساً، الغرض منه كثرة ترديد ذكر الله تعالى، بأصوات مرتفعة يصاحبها التصفيق أحيانا كثيرة من مشايخ الطريقة، ويشملها لون من التمايل والرقص يميناً وشمالاً، مع طأطأة الرأس لأسفل ولأعلى، يصاحب ذلك أيضاً ترديد أناشيد، وألوان من النظم المسجوع فى صورة مديح، بالإضافة إلى إستعمال المرسيقى أو الدق على الطبل والنفخ فى مزامير مصنوعة من الغاب وكثيراً ماينضم إلى هذه الحلقات أو ينضوى تحت هذه الأذكار، العامة والغوغاء، الأمر الذى قد يفسدها روحياً ومعنوياً.. وكثيراً مايبدو على المتصوفة، أو المدروشين بعض المظاهر التى لايلتزم أصحابها بحرمة الدين، وهيبته، كالملابس الممزقة والقذرة. والأقدام الحافية. والسيقان العارية ..إلخ. وكلها مظاهر مشينة تسئ للتصوف وتضر به.

وقد إستفاض مؤرخوا التصوف والباحثون فى مظاهره ونظمه فى وصف ذلك، وربما أحسن الدكتور توفيق الطويل، صنعاً فى وصفه العلمى الدقيق، لهذه المظاهر فى كتابه عن مظاهر التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى.

فالعبادات عند متأخرى التصوف إذن الذكر - الخلوة - ومايشمل ذلك من آداب وسلوك يعبر عنه، وتلاوة الأوراد والأركان الشرعية.

أ - **الذكر** : أشار إليه القرآن الكريم فى أكثر من آية شريفة فى قوله تعالى "واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار" سورة آل عمران. آية(٤١) وفى قوله تعالى "واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين" سورة الأعراف- آية (٢٠٥).

وهذه الآيات الكريمة تشير أنه على المؤمن، المخلص فى عبادته لله سبحانه وتعالى أن يصل أوائل النهار بأوله، وفى ذكر الله تعالى، الطاعة له تعالى وأن يكون ذلك سراً، تذللاً وخوفاً منه دون الجهر من القول أى قصداً فذكر الله تعالى من قراءة القرآن، والدعاء، التسبيح، التهليل، وغير ذلك، يكون بأن يسمع الإنسان نفسه، ولأن الإخفاء وعدم الجهر به أدخل فى الإخلاص، وأقرب إلى حسن التفكر.[١]

---

(١) الشيخ سليمان الجمل - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - حـ١ ص٢٨٥ (سورة آل عمران) آية (٤١). كذلك حـ٢ - ص٢٣٤. (سورة الأعراف) - آية (٢٠٥) ط- المطبعة العامرية الشرقية - بمصر عام ١٣٠٣هـ .

وذكر الله تعالى يكون على أية حالة فيها الفرد، سواء كان قائماً، أو جالساً، أو نائماً. بقوله تعالى "فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم" سورة النساء - آية (١٠٣).

ويراد بذكر الله تعالى فى عرف الصوفية، أن يشهد الذاكر ليلاً ونهاراً أنه بين يديه تعالى وأن الله تعالى يرانا، ويطلع على قلوبنا وللذكر آداب، وسلوك، وثرات، فمن هذه الآداب - التوبة، والتطهر، والصلاة ونحوها، وتحدد له طريقة للجلوس والجو الذى يختار لذلك، وإختيار صيغة الذكر والتهيؤ لإستقبال الوارد مع العزوف عنه[١].

ومن ثمرات الذكر عند الصوفية - إلتزام الطاعات، وتجنب المعاصى وتسليم النفس إلى حضرة الله تعالى، فيصبح الحق سمعه، وبصره، وكل قواه، فينبثق العلم فى نفسه، ويصبح الصوفى بعد ذلك قوياً بعد ضعف، آمناً بعد خوف.

بل يتوهم بعض هؤلاء، أن قدرته تتسع حتى تتجاوز قوانين الكون، ونواميس الطبيعة، ومنطق العقل[٢] .

غير أن طريقة الذكر ومجالسه. قد ينتابها كثير من البدع، وتصطبغ بألوان من المخرقة، إذ يأتى هؤلاء بحركات أقرب إلى الرقص الشعبى، لتهييج النفوس، طرباً لقرع الطبول، والنفخ فى المزامير وأكثر الأدعياء من رواد الطريق، وجهلة القوم على هذا المنوال وينبه الغزالى / ٥٠٥هـ/ إلى مثل هؤلاء، ولهذا أريد بالإكثار من الذكر حصول الإنس للمريد حتى لايغفل قلبه ويشهد الله دوماً فيراه بقلبه، أو يرى نفسه فى حضرته تعالى، وكلا الحالين إذا دام منع صاحبه من الوقوع فى المعاصى وكفاه مواطن الذلل[٣] .

ومجالس الذكر محببة عند السادة الصوفية، قدماء ومتأخرين، فقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله/ ٢٥٨/ هـ يقول "حادثوا القلوب بذكر الله تعالى، فإنها سريعة الغفلة" وذكر الشعرانى/٩٧٣هـ/ كثير من أقوال الصوفية فى أهمية الذكر، ومجالسه، وقال إن ذلك من أخلاقهم وهو عدم غفلتهم عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة على رسول الله ﷺ ،فى كل مجلس

---

(١) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر - حـ١ - ص٦٦ .

(٢) المصدر السابق - ص٦٦ - ص٦٧ .

(٣) دكتور توفيق الطويل - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى حـ١. ص٦١ - ص٦٢ .

جلسوه" (١) ويشير الإمام الغزالى /٥٠٥هـ/ إلى أن فضل مجالس الذكر أنما تحصل لكونها مرغبة فى الخير. فإن لم تهيج الرغبة فلا خير فيها (٢).

إن عوام الناس وأرباب الأحوال والفقراء أعتبروا بحضور مجالس الذكر، وإعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم، فإتخذوا دلك عادة، ويظنون أن لهم أجراً على مجرد سماع الوعظ دون العمل، ودون الإتعاظ". (٣) ويبين الإمام الغزالى أفضل الطرق فى الذكر وهى التى تقوم على تلاوة القرآن (كتاب الله تعالى) فليس بعدها عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى. ورفع الحاجات بالأدعية الخاصة إليه تعالى" (٤)

ولكن النزاع فى العصر العثمانى بين الصوفية، على مختلف فروعهم، قد حدث بسبب المفاضلة بين ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز قال بعضهم "إن الذكر أثر للمريد، أما تلاوة القرآن فأفضل للكامل الذى عرف عظمة ربه، ولاعبرة بما يراه البعض الآخر من إيثار تلاوة القرآن لأهل التصوف جميعاً، وإتفقوا على أن ذكر الله تعالى والإشتغال برياضة النفس أفضل من الإشتغال بالعلم (٥).

---

(١) الشعرانى – تنبيه المغترين – أواخر القرن العاشر على ماخالفوا فيه من سلفهم الطاهر – ص٦٦ ط مصطفى البابى الحلبى بمصر عام ١٩٨٧م .

(٢) الإمام أبو حامد الغزالى – الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين ملحق بكتاب (تنبيه المغترين للشعرانى، ص٢٢١ – ط الحلبى ١٩٨٧.

(٣) الإمام الغزالى – الكشف والتبين فى غرور الخلق أجمعين ص٢٢١ .

(٤) راجع – الغزالى – إيحاء علوم الدين – حـ١ – ص٢٩٥ – ط دار إحياء الكتب العربية (الحلبى وشركاه) ١٩٥٨م .

(٥) مما يدل على ذلك، ماأشار إليه عبد الرؤف المناوى/ ١٠٣١هـ/ بأن عبد الوهاب الشعرانى/ ٩٧٣هـ/ سأل كريم الدين الخلوتى... عن مسألة فى الوضوء، فأعلن الشيخ الخلوتى جهله بها على الرغم مما أصاب من شهرة بين الناس والأمراء، فقال له الشعرانى إنك لاتصير فقيراً (صوفياً) بغير علم، فقال الخلوتى، علمنى، فشرع الشعرانى فى تعليمه ثم زاره مرة ثانية ليواصل تعليمه، فأغلق هذا باب زاويته فى وجهه، ثم أساء الخلوتى بعد ذلك إستقبال الشعرانى، وقال لمريديه ساخراً إن الشعرانى طلب أن يجعلنى فقيهاً وأنا صوفى ثم أخذ ==

لقد رأى الصوفية.. أن الذكر منشور الولاية، أى أنه مرسوم يصدره الله تعالى لعبده بالولاية فى الوظائف الشاغرة ومصادر التصوف فى هذه الفترة المتأخرة حافلة ببيان قيمة الذكر، واللجاجة فى تقديره وتقديسه. (١)

ومن الجدير بالذكر أن حلقات الذكر ومجالسه. نالت إهتمام الصوفية الأمر الذى جعلهم يشتدون فى حساب من يتغيب عن هذه المجالس، حتى ولو إنصرف البعض إلى دراسة الدين والإشتغال به، ومن ارتكب ذلك، وجب أن يؤنب نفسه أمام إخوانه وترك الإعتذار إستهانة بمجالس الله تعالى. (٢)

وللذكر عند المتصوفة المتأخرين أساليب مختلفة، قد تختلف من طائفة، لطائفة أخرى، وبعض هذه الأساليب ممجوج، يمجه الشرع والعقل، وبعضها الآخر صحيح، يؤيده الشرع، ويستحنه العقل، ومفيد لطهارة القلب وسلامة النفس وروحانيتها، وأفاضت كتب المتصوفة فى وصف هذه الأساليب، وتوضيح مضمونها.

ومن ذلك، مانشره الشعرانى فى كتبه المتعددة فى هذا المجال، فى "العهود المحمدية، والبحر المورود، والطبقات الكبرى، وتنبيه المغترين..إلخ كذلك ماكتب فى قواعد الصوفية، من أن طريقة الذكر كان يميل فيها السواد الأعظم من الصوفية إلى الجهر ماوسع الذاكر ذلك.

وقد حدد البعض طريقة الإهتزاز أثناء الذكر والجهة التى يميل فيها عند نطق كل كلمة، وصرح بعضهم أن هز الرأس والذقن فى الذكر ليست كل شئ، فأهم منها إحتراس القلب من الإسترسال فى خواطره، ومزيد مراقبته للحق فى باطنه وظاهره. (٣)

== الخلوتى ومريدوه يهزأون بالشعرانى ويقولون أنه يريد أن يجعلنا فقهاء مثله "نظرنا: عبد الرؤف المناوى - الكواكب الدرية فى مناقب الصوفية - حـ٢ - ص٢٥٩ - المكتبة الأزهرية سنة ١٩٣٨. وقد هاجم الشعرانى بعض مشايخ الأحمدية والبرهامية فى عصره الذين يجهلون قواعد الدين والإيمان، وبين لهؤلاء أن تصحيح العبادات لم يفرق بين الواجب والمندوب ولابين الحلال والحرام والمكروه، فهو جاهل. لمزيد من التفاصيل راجع الشعرانى - تنبيه المغترين - ص١٠.

(١) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى - حـ١ ص٦٣.

(٢) المصدر السابق - ص٦٣.

(٣) المصدر السابق - ص٦٣ - ص٦٤ .

وإذا كان مقصود الذكر عند الصوفية، إحتراس القلب من الإسترسال فى الخواطر، وأعمال المراقبة للحق باطناً وظاهراً، وجمع أشتات القلب والخواطر عن أمور الدنيا، أو الإشتغال بها، وتأكيد الحضور فى رحاب حضرة الله تعالى وذكره، فإن ذلك لامراءة فيه، غير أن مايحدث من مغالاة البعض منهم فى الجهر بالأصوات، بما يدخل فى ذلك من مرآة، وخداع ومظهرية وخلاف ذلك، من أمور قد تفسد على الذاكرين حضورهم أو التشويش لأمور العبادة وأركانها فإن هذا مالايصح، ولاتقره الشريعة.

وقد تلاحظ كثيراً من المغالاة، والمظهرية والتصنع، عند بعض مشايخ ودعاة الطرق الصوفية فى العصر الحديث.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض المؤرخين، وكتاب الطبقات الصوفية المتأخرين، نبهوا إلى ذلك وإعترضوا على أساليب الذاكرين يقول عبد الغنى النابلسى/ ٦٩٠هـ/ "إن الصفق والزعق والصياح والإضطراب، والتواجد عند سماع المغنين فى مجالس الذكر جهل من أصحابها، إلا إذا قام الذاكر المتواجد قومه المضطر الذى استفزته المعانى الإلهيه الواردة على قلبه وخاطره فى ذلك الوقت، والكمال دوماً فى السكون" .

والظاهر أن هذا الرأى لم يكن شائعاً بين الذاكرين فى مصر وقد وصف النابلسى فى كتاب آخر "مجالس الذكر" فى جامع عمر بن الفارض فذكر الصعق، والوجد، والبكاء والنحيب، وإلقاء العمائم، ونزع الثياب، والزحام. (١) ألخ .

ومن الجدير بالذكر أيضا أن مجالس الذكر عند الصوفية المتأخرين لم تكن خالية من المنشدين، الذين ينشدون الأشعار ليلهبوا بها حماس الذاكرين، وكان يملأ الكثير من هذه المجالس (ومازال الى الآن) الطبول والنايات، والأعلام والرايات، وقد رأى النابلسى، أن ذلك لهو وجهل لاينبغى للشيخ المرشد أن يقر عليها أصحابه. (٢).

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٦٩ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص ٦٨ - كذلك يمكن الرجوع الى كتاب قواعد الصوفية "مخطوط بالمسجد الأحمدى - بطنطا تحت / رقم ٥٥٧ / بقلم محمد بن عمر العمرى - فيما يتعلق بالذكر- وشروطه وأدآبه وسلوكه... كذلك عبد الغنى النابلسى دفع الإيهام ورفع الإبهام - مخطوط. بالمسجد الأحمدى- بطنطا - برقم /٥٨٣ / ..

ويبدو أن الجهر بالذكر وشدة رفع الأصوات، مع مايتناسب مع ذلك من حركات، وسكنات، وأساليب، كانت طرقا محببة عند مشايخ الطرق الصوفية المتأخرة، ويذكر الشعرانى كثير من هذه المظاهر فى الطبقات الكبرى، من أمثال ذلك أن شمس الدين الحنفى / ٨٤٧ هـ كان يأمر أصحابه برفع أصواتهم بالذكر فى الأسواق والشوارع .. [(١)]

ولكن العلماء" وكبار فقهاء الشريعة فى العصور المتأخرة، أنكروا على المتصوفة، طرقهم، ومسالكهم فى الذكر، والجهر بأصوات عالية ومافيها من تصنع، وتكلف وعدم احترام الدين .

ويتضح لنا ذلك، من خلال الكتب التى وضعها علماء هذه العصور ونقدهم الشديد للمتصوفة وجهلة الطرق الصوفية، حيث انهم وجدوا أن فى ذلك السلوك. والجهر بالذكر عبث باسم الله تعالى، ويذكر الجبرتى (عبد الرحمن) / ١٢٤١ هـ /١٨٢٥ م / فى حوادث هذه العصور - أن العلماء، وفقهاء الشريعة، أحدثوا ضجة شديدة على طريقة الشيخ على البيومى/ ١١٠٨ هـ /١١٨٣ هـ) ١٧٦٩م/ وعلى جماعته لأسباب كثيرة وكان من بينها جهرهم بالذكر ورفع أصواتهم، بالمشهد الحسينى، ورفعوا الأمر الى الأمراء، لولا تدخل الشيخ عبد الله الشبراوى لنصرة الشيخ على البيومى عند الباشا. لأمكن العلماء منع الصوفية البيومية من إقامة ذكرهم بالمشهد الحسينى[(٢)] .

ويبدو أن الشعرانى على الرغم من مسايرته لطرق الصوفية المتأخرين غير أنه كان ينكر الجهر بالذكر. وارتفاع الأصوات، لأن فى ذلك اقلاق لراحته النائمين، فضلا عن التشويش علي الدارسين والفقهاء، والمصلين بالمساجد، أو الطالبين للعلم والدرس.

ب - الخلـــوة :

كان من أهم مظاهر التصوف الإسلامى سواء عند الأوائل أو المتأخرين التزامهم العزلة، أو الخلوة على اعتبار أن الخلوة من الأســس الجوهرية والهامة بالنسبة لسالكى الطريق من أئمة

---

(١) راجع - الشعرانى - الطبقات الكبرى- حـ ٢ - ص٨١ ومابعدها - وأماكن كثيرة متفرقة فى هذا الصدد.

(٢) راجع الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار -حـ ١- صـ ٣٣٧ ص ٣٣٨ هـ - ط - بولاق.

القوم والمريدين، اذ أن التزام الصوفة بالخلوة، لما فيها من ترويض للنفس للتغلب على النوازع الشهوانية، وزيادة فى المجاهدة وكثرة العبادة، وصفاء الروح وتحللها من بدنها، وزيادة فى ترقب المشاهدات، والفيوضات النورانية الإلهية، وفيها تأكيد لصدق المريد واخلاصه فى تصوفه، وصفاء نفسه وقلبه وروحه، وابتغاء لمرضاة الله تعالى. فأشار إلى هذا النوع من عبادات الصوفية. معظم المؤرخين وكتاب التصوف مثل أبوحفص عمرو السهروردى/ إذ ٦٣٨ هـ يشير إلى ذلك فى الفصل الرابع عشر من كتابه "عوارف المعارف" عندما تحدث عن مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة، وأمتدح طريقة هؤلاء القوم فيقول "إنهم رجال يحبون أن يتطهرو والله يحب المتطهرين وأن أهل الربط متقابلون بظواهرهم وبواطنهم مجتمعون على الألفة والمودة.. وهم من العباد والزهاد الذين طلبوا الإنفراد لدخول الأفات عليهم بالإجتماع، وكون أنفسهم تنغلق للأهويه والخوض فيما لايعنى، قرأوا السلامة فى الوحدة.. والصوفية لقوة عملهم وصحة حالهم نزع عنهم ذلك. قرأوا الاجتماع فى بيوت الجماعة على السجادة، فسجادة كل واحد زاويته، وهم كل واحد مهمة ولعل الواحد منهم لايتخطى همة مسجادته، ولهم فى أتخاذ السجادة وجه من السنة، وهو أن النبى ﷺ كان يصلى على حصير من الليف - كما روت ذلك السيدة عائشة رضى الله عنها، والرباط يحتوى على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة، وأرباب خلوة"(١) .

والشعرانى /٩٧٣/هـ يشير إلى ما للخلوة من تأثير على نفوس المريدين، والطالبين للمشيخة، المغرورين من دعاة التصوف وطريق القوم . (٢)

ويشير الإمام الغزالى /٥٠٥/هـ ويحذر كثير من المتصوفة المغرورين، الذين يؤثرون الخلوة والعزلة، وهم عن شروطها غافلون(٣) وعلى ذلك. فإن الغزالى يتحدث بالتفصيل عن التزام القوم العزلة عن الناس والخلوة، وشروطها وآدابها فى أحياء علوم الدين، والغزالى كما نعلم

---

(١) السهروردى (عمر بن حفص) - عوارف المعارف - ملحق بكتاب احياء علوم الدين للغزالى - حـ٢ - ص٧٢- ص ٧٣ - ص٧٤ .

(٢) راجع - الشعرانى- الأنوار القدسية فى بيان أداب العبودية بهامش كتاب الطبقات الكبرى - حـ ٢- ص٤٥، ص ٤٦.

(٣) راجع - الإمام الغزالى - الكشف والتبين فى غرور الخلق أجمعين (ملحق بكتاب تنبيه المغترين للشعرانى) ص ٢١٩.

يجمع فى كتابه "الأحياء" بين التصوف والفقه، أو بين الظاهر والباطن فيما يعرف بعلم فقه الباطن، وهو كذلك يتأدب بآداب الصوفية المعتدلين من أهل السنة الذين تستمد أصولهم من أصول أوائل العباد والزهاد، وسيرة السلف الصالح، فضلاً عن التزامه بأصول الكتاب والسنة. وعلى ذلك نجد الأمام الغزالى يقول "إن الله تعالى صر ف خيرة خلقه الى مؤنسته، وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسراره بمناجاته وملاطفته، وحقر فى قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى أغتبط بعزلتها كل من طويت الحجب عن مجارى فكرته، فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى فى خلوته وأستوحسن بذلك عن الأنس بالأنس، وان كان من أخص خاصه"(١) .

ويوضح الغزالى آداب الخلوة أو العزلة، وحجج المنكرين لهما أو المائلين الى تفضيلها، موضحاً ذلك بأدلة وأسانيد من سيرة حياة كبار الصوفية من الزهاد والعباد وأهل التقوى والورع والأوائل .

فيذكر من القائلين بتفضيل الخلوة والعزلة على المخالطة، سفيان الثورى/١٦١/ هـ وفضيل بن عباض/١٨٧ هـ/ وبشر الحافى/ ٢٢٧ هـ وغيرهم ويؤثر عن الفضيل بن عياض قوله "كفى بالله محباً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً "وقيل "أتخذ الله صاحباً، ودع الناس جانبا" وقيل لداود الطائى/١٦٦ هـ/صم عن الدنيا، واجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد "وقال سيفان الثورى /١٦١/ هـ هذا وقت السكوت وملازمة البيوت"..وهكذا(٢) أما المنكرون للعزلة والخلوة ، فيذكر الغزالى مجموعة من الأحاديث والروايات عن النبىﷺ فى تحريم هجران المؤمن لأخيه فوق ثلاث ليالى(٣) وكذلك أقوال بعض كبار الصحابة والتابعين إذ قالوا "والعزلة هجرة بالكلية" هذا فى رأى الغزالى ضعيف، والذى يتضح لنا من خلال مناقشة الغزالى لهذا الأقوال، أنه لايؤيد آراء المنكرين للخلوة والعزلة، إلا إذا أدى ذلك إلى مايخالف

(١) الغزالى - إحياء علوم الدين - حـ ٢ - ص ٢٢١ .

(٢) راجع الإمام الغزالى "المصدر السابق. ص ٢٢٢، ص ٢٢٣.

(٣) روى عن النبى ﷺ فى ذلك قوله "من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار" رواه أبوداود من حديث أبى هريرة باستاذ صحيح - راجعنا. أبوالفضل العراقى .المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الأحياء من أخبار هامش الأحياء - ح ٢ ص ٢٢٣.

أصول الشرع، ولكن الخلوة محببة إذا أصبحت وسيلة للإشتغال بالنفس، والتزام الطاعات والعبادات وطلباً للسلامة من مخالطة ضعاف النفوس من الخلق، وسوء الخلق. (١)

ولما كان الإمام الغزالى يفضل الخلوة، فانه يتحدث بالتفضيل عن فوائدها إذ يقول "من فوائد العزلة - أو الخلوة - كثيره فوائد دينية، وفوائد دنيوية، والفوائد الدينية تنقسم الى مايمكن من تحصيل الطاعات فى الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى مايمكن التخلص أيضا من إرتكاب المناهى التى يتعرض الإنسان لها بالمخالطة، كالرياء، والغيبة، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومغارقة الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء.

وأما الدينويه : فتنقسم إلى مايمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المعكوف فى خلوته إلى مايخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا، وإقبال الخلق عليها، وطمعه فى الناس، وطمع الناس فيه، وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة، والتأذى بسوء خلق الجليس فى مرآته أوسوء ظنه أو نميمته أو محاسدته، أو التأذى بثقله وتشويه خلقته. ويجمع هذه الفوائد فى ستة أمور هى:

الفائدة الأولى : التفرغ للعبادة والفكر والإستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق، والإشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى فى أمر الدنيا والآخرة، وملكوت السموات والأرض فإن ذلك يستدعى فراغاً، ولافراغ من المخالطة. فالعزلة أو الخلوة وسيلة إليه .

الفائدة الثانية : التخلص بالعزلة عن المعاص التي يتعرض الإنسان لها غالباً بالمخالطة ويسلم منها فى الخلوة وهى : الغيبة، والنميمة، والرياء، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومفارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التى يوجبها الحرص على الدنيا.

الفائدة الثالثة : الخلاص من الفتن والخصومات، وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها، والتعرض لإخطارها .

الفائدة الرابعة : الخلاص من شر الناس .

---

(١) المصدر السابق - ص ٢٢٣ - ومابعدها.

الفائدة الخامسة : أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس.

الفائدة السادسة : الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم وأخلاقهم.(١)

ومن الجدير بالذكر أن المتأخرين من الصوفية. الذين يمثلون جوهر التصوف السنى الأصيل، يأخذون بهذه الطريقة، وهى فى رأينا إمتداد أصيل لما وضعه أوائل الصوفية من أصول ومبادئ صحيحة لطريق القوم، وامتدادا لطريقة الغزالى وتأثيره الروحى والأخلاقى فى طوائف الصوفية من الشاذلية، وغيرهم .

لذلك تجد هذه الأصول متواترة عن المتأخرين الذين يمثلون الطريق الصحيح دون ابتذال أو ابتداع ..

لذلك وجدنا آراء الشاذلية فى آداب العزلة وشروطها وفوائدها تطابق تماماً ماذهب إليه الغزالى / ٥٠٥ هـ .

فيذكرون عن الشيخ أبو الحسن (الشاذلى) رضى الله عنه /٦٥٦ هـ / قوله فى ثمار العزلة: الظفر بمواهب المنه وهى أربعة، كشف الغطاء، وتنزل الرحمة وتحقق المحبة، ولسان الصدق فى الكلمة، وفوائد الخلوة قالو: أن فوائدها عشرة هى:

الأولى : السلامة من آفات اللسان .

الثانية : حفظ البصر والسلامة من آفات النظر .

الثالثة : حفظ القلب وصونة عن الرياء والمداهنة .

الرابعة : حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها.

الخامسة : السلامة من صحبة الأشرار، ومخالطة الأرذال .

السادسة : التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر .

السابعة : وجدان حلاوة الطاعات، وتمكن لذيد المناجاة لفراغ سره.

الثامنه : راحة القلب والبدن .

التاسعة : صيانة النفس والدين من التعرض للشرور والخصومات التى تواجبها المخاطة .

---

(١) الإمام الغزالى - إحياء علوم الدين حـ ٢ - ص ٢٢٦ - ص - ٢٣٥

العاشرة : التمكن من عبادة التفكر والإعتبار، وهو المقصود الأعظم من الخلوة.[1]

وإذا كان ذلك كذلك، فان المتأخرين من صوفية العصرين المملوكى والعثمانى، أكثروا من الدعوة إلى الخلوة واعتزال الناس والكف عن المخالطة من أجل التفرغ لذكر الله تعالى، والإنقطاع لعبادته.

وقد إتخذت هذه الطريقة عند متأخرى الصوفية ألواناً مختلفة من الخلوات والإعتزال، وكثيراً مانسمع عن مغالاة من جانب هؤلاء فى الإلتزام بحدودها وشروطها، يصل فى كثير من الأحوال الى التكلف سواء بالنسبة للمريدين أو مشايخهم، كمظهر من مظاهر المداولة والمداهنة، أو المراءاة. إما لإكتساب عطف السلاطين والحكام، أو لجذب أنظار عامة الشعب إليهم لاقناعهم بولايتهم والثقة فيهم، والتماس البركات منهم، وربما كان ذلك المظهر من الآثار السيئة التى اصطبغت بها هذه العصور وأساءت للمظاهر الفكرية والروحية والحضارية، فكما نعلم أن هذه العصور كانت مليئة بالدسائس والمؤامرات وطمع الحكام واثارة القلاقل فى المجتمع .

ولعل أهم هذه المظاهر، مانجده من كثرة الخلوات بين جدران الزوايا، وخارج جدرانها، وقد روى عبد الغنى النابلسى ت عام ١١٤٣ هـ فى رحلته الى مصر، أنه لماذا زار زاوية الدمرداش (الشيخ دمرداش المجدى المتوفى عام نيف وثلاثين وتسعمائة ٩٣١هـ)[2] رأى خارج ضريحه نحو خمسين أو ستين خلوة ذات أسوار وأنوار، وهى التى تسمى بمساجد الأنوار، يختلى بها المريدون، ولعل ذلك يدل على كثرة الخلوات التى عرفها الصوفية فى عصر العثمانين، وقد أقام بعض هؤلاء المتصوفة مغاور كثيرة، يختلون بها للذكر والتعبد،[3] والإنقطاع عن الناس، وللمتصوفة التزامات وشروط صارمة، فيمن يريد الدخول الى الخلوة من المريدين، وسالكى الطريق، لاتستقيم الخلوة بدونها من ذلك "أن يقود المريد نفسه قبل دخول الخلوة قلة الكلام، وقلة الأكل، حتى يتيسر له بعد ذلك أن يصوم فى خلوته، لأن الجوع والعطش يحلل من الجسم

---

(١) أحمد بن محمد بن عجيبه الحسنى - إيقاظ الهمم فى شرح الحكم - حـ ١- ص ٣١ - ص ٣٢.

(٢) راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ ٢ - ص١٣٣

(٣) دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى - حـ ١ - ص ٦٧ - ص٦٨.

الأجزاء الترابية والمائية..يضاف إلى ذلك، تيقظ القلب فى حضرة الله تعالي، وصفاء النية، وانقطاع المريد عن زوجه وولده وعشيرته وسائر الناس . وادامه تفكيره فى شيخه، مع اعتقاد المريد بأن خلوته مقربته التى لن يبرحها إلى يوم الدين.[1]

ومن مظاهر الغلو عند مريدى الطرق الصوفية فى هذه العصور المتأخرة، أنه بالإضافة إلى انقطاع المريد عن زوجته ورعاية أولاده وعشيرته والاجتماع بالخلق، ومباشرة شئون الحياة والمعاش، وتفكيره فى شيخه، أن مايتراءى للمريد فى أثناء خلوته من أشباح وصور مختلفة يجب أن لا يكتمها عن شيخه، وكذلك ماتثمر عنه الخلوة من روءى فوق ما يتصوره العقل كأن ينكشف للمريد عالم الغيب المحجوب، ويدرك أسرار الحيوانات والحشرات، ويعطى القدرة علي فعل الكرامات واتيان الخوارق، والتصرف فى الكون بالهمة، فيمشى على الماء ويطير فى الهواء ويقتحم النيران ويفعل كل ما لايقوى عليه سائر البشر، وقد تحدث الشعرانى/٩٧٣ هـ / عن كثير من هذه الخوارق والمعجزات فى الطبقات الكبرى، ومن ذلك على سبيل المثال : ماذكره عن الشيخ على الدويب المتوفى عام ٩٣٧/هـ فقد كان يمشى على الماء فى البحر "وكذلك ماذكره عن الشيخ أحمد السطيحة المتوفى عام / ٩٤٢/ هـ «يشير بناحية الغربية» من أنه كان يتكلم فى خواطر وقعت له كثير من الكرامات "مثل أن أم زوجته شاهدته ليلة قرأته قد أنتصب قائما سليما من الكساح، فلما شعر بها زجرها فخرست وتكسحت وعميت إلى أن ماتت، وكان على زاويته وارد من الناس كثير يأكلون أو يطعمون.."[2] وروى عن الشيخ محمد العدل المتوفى عام /٩٦٥هـ/ أنه كان فى خلوته لا يحضر جمعة ولاجماعة..[3]

هذه بعض الأشارات القليلة، التى وردت عن أحوال ومظاهر الطرق الصوفية عند المتأخرين، وما نجده من غلو فى نواحيها المختلفة.

---

(١) المصدر السابق - ص ٦٨.

(٢) المزيد من التفاصيل - راجع، الشعرانى- الطبقات الكبرى - جـ ٢ - ص ١٢٣.

(٣) نفس المصدر السابق - ص ١٤٤.

جـ - إقامة الأركان الشرعية وتلاوة الأوراد:

لعل من أهم مظاهر العبادات عند الصوفية المتأخرين كثرة الإهتمام بأركان العقيدة الشرعية كالصلاة والصيام الدائم، والإنفاق والتجرد من متاع الحياة الدنيوية، والسياحة فى أرجاء الأرض وشوقهم الدائم وتعلق قلوبهم بالأرض المقدسة، بغرض الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول ﷺ .. والأولياء والصالحين.

ويضاف إلى ذلك كثرة تلاوة الأوراد، فلكل طريقة وشيخ ورد يردده أصحابه ومريدوه، مقصور عليهم دون غيرهم من أصحاب الطرق الأخرى، ويحذر علي أصحاب وشيوخ كل طر يق ترديد ماسواها من أوراد تنسب لطرق مخالفة لها، حتى ولو كانت هذه الطرق متجاورة أو فى عصر واحد وبلد واحد، ومن يفعل غير ذلك يعتبر خارجا عن طريقة شيخه، ويتعرض أحيانا للملامة، علماً بأن هذه الأوراد مستنبطة من القرآن الكريم والسنة وتوسلات لله وكثيرا مانجد من هذه المظاهر ماهو مبثوث فى بطون الكتب ومؤلفات الصوفية المتأخرين .

فالشعرانى/٩٧٣هـ إمام التصوف فى مصر فى القرن العاشر، أفاض فى مؤلفاته المتعددة عن هذه المظاهر فى عبادات المتصوفة المتأخرين.

فالصلاة كما نعلم ركن أساس من أركان العقيدة، وهى عماد الدين، من أقامها أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين وهى التى تفرق بين حد الإسلام والإيمان وبين الكفر، وقد حددها الإسلام بخمس صلوات فى اليوم والليلة كفريضة، بالإضافة إلى ركعات السنة بعد إو قبل كل صلاة والنوافل منها أيضاً، لكل عبد وطاقته، إبتغاء مرضاة الله تعالى وطمعاً فى ثوابه وجناته، أو حباً لذاته العلية.

والمأثور عن النبى ﷺ أنه كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، وكان يقول عليه السلام "أفلا أكون عبداً شكورا" حديث صحيح - البخارى - مسلم إبن ماجه.

وقد بالغ الصوفية، وبصفه خاصة المتأخرين فى قيام الليل كله، حتى لقب الكثير منهم بفرسان الليل .

يقول الشعرانى "وكان آخر من أدركت من فرسان الليل الشيخ محمد بن عنان المتوفى عام ٩٢٢هـ/.

وكان ورده الليل خمسمائة ركعة، وهى ورد المهدى على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وكان لايتهجد ليالى الشتاء إلا فوق السطح رضى الله عنه" (١) ولاشك أن المتأخرين يشبهون إلى حد كبير أوائل الصوفية من الزهاد والعباد الأوائل. فيذكر أن عبد الواحد بن زيد لم يكن(٢) ينام من الليل شيئاً، وكان يقول لأهل الدار كل ساعة مضيت من الليل ياأهل الدار إنتبهوا فما هذه دار نوم عن قريب يأكلكم الدود "ويذكر عن إبراهيم بن أدهم ت عام/ ١١٧هـ/ أنه نام ليلة فى بيت المقدس فسمع صوتاً من جانب الصخرة يقول: قيام الليل يطفئ لهب النار، ويثبت الأقدام على الصراط" (٣) كذلك يذكر الشعرانى فى ترجمته للشخصيات الصوفية المتأخرة أن منهم من كان يصلى الصبح بوضوء العشاء لمدة أربعين سنة فيقول "أن الشيخ تاج الدين الذاكر المتوفى عام نيف وعشرين وتسعمائة/ ٩٢١هـ/ مكث أربعين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء "وكذلك ذكر عن أبو السعود الجارحى المتوفى عام ٩٣١هـ أنه كان ينزل فى سرداب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان فلا يخرج إلا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوء واحد من غير أكل"(٤). كذلك فيما يتعلق بالصيام، فقد بلغ بالصوفية المتأخرين شأن كبير فى صيام الدهر كله، ومصاحبة الجوع، طلباً لمزيد من النورانية وعلو الهمة، يذكر الشعرانى كثيراً منهم فيقول "وقد كان سيدى على الشهاوى المشهور بالذويب المتوفى عام ٩٣٧هـ يأمر كل من لقيه بالجوع ويقول أنه سلاح المؤمن وصاحب الجوع إن لم يطع الله تعالى لم يعصه لعدم وجود داعية تدعوه إلى المعاصى، وأن ممن صام الدهر كله أخى الشيخ عمر النبتيتى المتوفى عام نيف وتسعمائة ٩٠١هـ وقد صار فى غاية النورانة

---

(١) الشعرانى - تنبيه المغترين - ص٥١ - كذلك راجع الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص١٧٠ .

(٢) عبد الواحد بن زيد ت عام ١٧٧ هـ كان ممن أدركوا إمام التابعين الحسن البصرى المتوفى عام ١١٠هـ وقالوا أنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة. راجع الكلاباذى التصرف لمذهب أهل التصوف - الهامش - ص٣٧ .

(٣) الشعرانى - تنبيه الغترين - ص٥٤ .

(٤) راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص١١٧ .

وعلو الهمة"[1] وجدير بالذكر أن هؤلاء المتصوفة كانوا فقراء لايملكون شيئاً ولايملكهم شيئ، كثيروا السياحة فى بقاع الأرض[2]

ومايلفت النظر فى سيرة هؤلاء المتأخرين كثرة تلاوة الأوراد، وكل مريد يمتاز فى علو همته، ومكانته عند شيخه بشدة تمسكه بورده وترديده بعد أو قبل كل صلاة، وكثرة مداومته على مجالسته فى حلقته وجماعته، وهذه الأوراد ماهى إلا عبارات وأدعية مستمدة من الأيات القرآنية، ممتزجة بأحاديث عن النبى ﷺ ودعوات وتوسلات إلى الله تعالى، فيها كثير من البركات والقرب من الله تعالى وطمعاً فى شفاعة رسوله ﷺ.

وقد تحدث المؤرخون، وكتاب التصوف عن هذه الأوراد، وإعتبروا أن أهم مايميز طوئف الصوفية بعضهم عن البعض الآخر هذه الأوراد "فلكل طائفة ورد أو حزب، أنشأه شيخها، وحرص عليه أتباعه فى حياته أو بعد مماته، يرددونه فى الأوقات التى حددها لهم ويتلونه جماعة دون أن يتغيب عن تلاوته أحد منهم لأن مدد الشيخ فى ورده كما يقول الشعراني / ٩٧٣/ هـ، ولهذا كان من أعظم ما يقع فيه المريد من سوء الأدب مع شيخه تغيبه عن تلاوة الورد الذى رتبه صباحاً ومساءً، ومن الأمور الغريبة حقاً أن المريد إذا تغيب عن حضور مجالس الورد يؤنب نفسه أو يكون ذلك سببا يبرر طرد الشيخ للمريد الذى يقدم عليه، ويضاف الى ذلك أن شيخ الطريقة يعتز لورده، ولا يأذن لأحد ممن يسلكون على يديه أن يقرأ ورد غيره[3] ومن الجدير بالذكر أن الأحزاب، لايميزها إلا الاختلاف بين واضعيها، فى كما ذكرنا أدعية يتوجهون فيها إلى الله تعالى. وصيغ مختلفة للصلاة على النبىﷺ ، وهى بالجملة حافلة بأيات القرآن الكريم، وكثير من فقراتها يتكرر مرات، يختلف عددها حتى ليبلغ الثمانين .

كما ترى فى حزب الشيخ محمد الشناوى المتوفى عام ٩٣٢ هـ ، أو الثلاثين كما فى حزب الشعرانى ٩٧٣/ هـ أو الثلاث مرات كما فى حزب أبو السعود الجارجى ٩٣١ هـ ، وهكذا[4] .

---

(١) راجع - الشعرانى - تنبيه المغترين. ص٥٥.

(٢) المزيد من التفاصيل - المصدر السابق - أماكن متفرقة.

(٣) لمزيد من الدراسة- راجع دكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى - ط١ حـ ص ٨٠ - ص ٨١.

(٤) لمزيد من التفاصيل - راجع المصدر السابق - ص ٨١ -الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص١٢٠.

٣ - الفوارق الشكلية والمظهرية بين طوائف الصوفية المتأخرين :

اصطبغت طوائف الصوفية المتأخرين بمظاهر شكلية تميزها بعضها عن البعض الآخر، بحيث أصبحت هذه المظاهر سمة مميزة لمشايخ الطرق والمريدين للطريقة، وتتضح هذه المظاهر فى الملابس التى يرتديها كل فريق من هؤلاء، والأشاير والعلامات المرسومة على هذه الأعلام أو الملابس، كذلك تتضح فى طريقة الذكر وتلاوة الأوراد، والدعوات .

وكثيراً مانشاهد ذلك، عند أصحاب الطرق وروادها، فى مناسبات الموالد، والإحتفالات الدينية التى يقيمها السادة الصوفية، سواء فى ليالى إحياء مولد الأولياء والصالحين، أو فى ليالى الإحتفال بالمولد النبوى الشريف فى كل عام، أو غيرها، وقام الباحث بدراسة ميدانية للتعرف على أنواع هذه المظاهر ونستطيع أن نشير إلى بعضها عند هذه الطوائف والتى ظلت حتى العصر الحديث.

وفيما يختص، فقد عرفت طوائف الصوفية من الأحمدية والتى تنسب إلى طريقة الصوفى الكبير سيدى أحمد البدوى المتوفى فى ٦٧٥هـ "بالزى الأحمر" وعرفت طوائف البرهامية التى تنسب الى العارف بالله تعالى سيدى إبراهيم الدسوقى المتوفى عام ٦٧٦ هـ "بالزى الأخضر" وعرفت الرفاعية التى تنتسب إلى العارف بالله تعالى سيدى أحمد بن الحسين الرفاعى المتوفى عام /٥٧٨هـ/ بالزى الأسمر" [١] .

وعرفت الطريقة القادرية، التى تنسب إلى العارف بالله تعالى الصوفى الكبير سيدى عبد القادر الجيلانى المتوفى عام ٥٦١ هـ بالزى "الأخضر"، وتتميز أيضا بالبيارق والعمائم البيضاء، وكذلك عرفت طوائف السادة الصوفية السعدية[٢] بالزى الأخضر، وقد جمعت السادة الصوفية الرفاعية بين الزى الأسمر والأخضر، ويقول على مبارك، أن علام الشاذلية من الصوفية الذين ينتسبون لطريق العارف الصوفى الكبير أبو الحسن بن عبد الجبار الشاذلى المتوفى عام

---

(١) دكتور توفيق الطويل. التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى حـ ١ ص ٧٩ .

(٢) السعدية : تتشبه بالطريقة الرفاعية فى خصائص كثيرة.

٦٥٦ هـ ، مختلفة الألوان وليس للخلوتية[١] علم، وزيهم الذى يميزهم هو الفاروق كما أن الأوليا ء الذين تنسب اليهم الأحزاب المعتاد قرائتها ليس لها علم وزيهم الخاص هو التاج، وإن كان التاج من مميزات الطريقة الصوفية الخلوتية[٢] ووجدنا لها أعلام بيضاء وخضراء. وحمراء مما يعنى قربها من البرهامية والأحمدية .

ولكن حدث فى الآونة الأخيرة وفى بعض الأحيان أن تشابهت بعض الأزياء بين طوائف الصوفية، فالزى الأخضر تتفق فيه الطريقة القادرية والسعدية والبرهامية بفرعيها، وكذلك تقول فى طوائف الأحمدية والشاذلية وغيرها من الطوائف المتعددة، وربما كان بعضهم يرتدون طراطير من القمة خُصل من الخرق ذات الألوان المختلفة، ويتقلدون سيوفا من الخشب، ويمسكون سوطاً يطلقون عليه إسم "الفرقلة"[٣] .

وأعتقد أن ذلك مرجعه إلى ناحيتين هما، تفرع كل طائفة من الطوائف الصوفية الكبيرة الى عدة طوائف مختلفة ومختلطة وكذلك إعتقادهم أن مشاربهم ومآربهم واحدة، ومتقاربة، وهو الكتاب والسنة، وسيرة سلفهم الصالح، وأن مايبدو من أختلافات بسيطة بينهم أنما هو فى المظهر دون المخبر، أو فى الظاهر دون الباطن .

---

(١) تنسب هذه الطريقة الى الشيخ محمد الخلوتى وترجع بالسند الى جنيد، وهى طريقة تركية اذدهرت بمصر ابان القرن الثانى عشر والثالث عشر الهجريين، وتنتهى فى مصر إلى الشيخ مصطفى بن كمال الدين البكرى المتوفى عام ١١٦٢ هـ .
لهذه الطريقة فروع كثيرة فى مصر هى: الطريقة السمانية والظيفية والغتمية والسباعية والحدادية والحبيبية والمروانيتوالسهراوية والمسليمية وأخيرا الطريقة المصيلحية الخلوتية .
ويضيف الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى أيضا الطريقة الدمرداشية والمغازية واليهوتية والعلوانية والشيراوية والبكرية والجنيدية والجودية والقايانية راجع الدكتور:أبو الوفا التفتازانى - الطرق الصوفية فى مصر ص٧٣ - ص ٧٤. كذلك دكتور .مقداد بالجن فلسلة الحياة الروحية، ونشأة التصوف والطرق الصوفية ص ١١٢- ط دارالشروق ١٩٨٥ م.

(٢) راجع . على مبارك - الخطط التوفيقية - حـ ٣ - ص ١٣٠.

(٣) دكتور توفيق الطويل - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى حـ ١ ص ٨٠.

وربما نجد بعض الفوارق المظهرية بين هذه الطوائف بفرعها المختلفة فى نواحى أخرى، فضلا عن تلاوة الأحزاب والأوراد، ومن ذلك ماذكره عبد الرحمن الجبرتى عند الكلام على أهل البدع، اذ قال "أن لهم طريقة خاصة بهم فى ذكر الله تعالى، فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرمها وينشد له المنشدون القصائد والمزالات، ومنهم من يقول أبياتا من بردة المديح للبوصيرى/ ٦٩٥/ هـ ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة الصلاة على النبى ﷺ ويذكر أن هناك جماعة من المغاربة، ومن دخل فيهم من أهل الأهواء، يجلسون قبال بعضهم صفين ويقولون كلاماً معوجاً بلغتهم وطريقة مشوا عليها، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على النغم ضربا شديداً مع ارتفاع أصواتهم، وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضمون أكتافهم فى أكتاف بعض لايخرج عن الأخر، ويتلوون. وينتصبون ويرتفعون وينخفضون، ويضربون بأرجلهم كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة، بحيث لايقوم هذا المقام إلا كل من عرف بالقوه، وهذه الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف فيقع بالمسجد دوى عظيم وضجات من هؤلاء، ومن غيرهم من جماعة الفقراء كل أحد له طريقة تباين الأخرى .

كذلك فإن فقراء الخلوتية فى ذكرها وأورادهم عرفوا بكثرة الإستغفار والتسبيح والصلاة على النبى ﷺ(١) .

وأما طريقة تلقينهم للذكر فإن ما يميزها ترديدهم للأسماء السبعة علي نمط مخصوص، وفى فترات متقطعة، والأسماء الستة الأولى فى الأذن اليسرى وهى: "لا إله إلا الله" وتردد ثلاث مرات مع إغماض العينين بقولهم "الله - هو- حق - حى- قيوم" ثم الإسم السابع فى الأذن اليمنى بقولهم "قهار" .

ويضاف إلى ذلك أن السادات الدمرداشيه والخلوتيه(٢) والشناوية(٣) طريقه في ذكر الله تعالى، وقد ذكرها عبد الغنى النابلسى ت عام /١١٤٣هـ فقال "أنهم كانوا يقدمون للذكر

---

(١) نفس المصدر السابق - ص ٨٢- ص ٨٣.

(٢) سبق التعرف بهم .

(٣) الشناوية: جماعة الصوفية المتأخرين ينتسبون فى طريقهم للشيخ محمد الشناوى المنوفى عام ٩٣٢ هـ وله قبر يزار الي الآن بمحلة روح أحدى قرى محافظة الغربية. ذكره الشعرانى فى طبقاته الكبرى - جـ٢ .

محلقين، ثم يدورون وقد وضعوا أيديهم بعضها فى بعض، ويذكرون الله تعالي فى قصة يسمونها "الهوية" قائلين ..."هو. هو. هو"- وكان بعضهم يركبون أيديهم الى الوراء أمام رؤسهم ويحركونها بالتصعيد والتسفيل والتلوى ... ألخ.

ولعل الطريقة السعدية "تشبه فى كثير من نواحى الطريقة الرفاعية، بحوادثهم مع الثعابين، وقد اشتهرت الرفاعية بأعمال يحسبونها من قبيل الكرامات، كازدراد الأفاعى، وطعن أنفسهم بالمدى أو بما يسمونه "الشيش" فى حالة الغيبية، بالإضافة إلى أكل الزجاج، والقبض على الحديد ودخول النار وغير ذلك مما اشتهر عنهم ومازال قائما الى الآن الى حد ما، وجدير بالذكر أن لائحة المشيخة قد جرمت مثل هذه الأمور الآن .

ويشير الجبرتى أيضا الى أن الأحمدية والرفاعية والبرهامية والقادرية، أشتهروا بأنهم من أصحاب الأشاير والمراد بالأشاير هنا جموع كثيرة من أهل الطرق يسيرون من منازلهم ليلاً وبأيديهم الشموع وهم رافعوا الأصوات بالذكر والتهليل والصلاة والسلام على سيد المرسلين عليه السلام، ولايزالون كذلك حتى يصلوا إلى الضريح، أو محل الإحتفال بالمولد.

كذلك فإن لبعضهم عادات مثل توزيع الحلوى (أو مايسمونه النفحة) أو الشموع، قد تكون مقرر من قبل مشايخ الطرق، أو مشايخ خدمة الأضرحة [1].

ويبدوا أن هناك بعض العبارات التى يرددها أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين، تكون كافية للتمييز بينهم والدليل على ذلك ماذكره الشعرانى/٩٧٣هـ/ فى ترجمة خليل المجذوب المتوفى عام نيف وتسعمائة/٩٣١هـ/ فى شبين فقال "ورأيته مرة من بعيد وهو صاعد كوم ببلده، فقلت فى سرى باترى هل هو أحمدى أم برهامى، فصاح يادائم، يادائم، يشير إلى أنه برهامى" [2] .

ويبين السهروردى (أبو حفص عمرو المتوفى عام ٦٣٨ هـ) الفوارق الظاهرية والجوهرية أيضا بين طائفتين من الصوفية المتأخرين،.. وهما طائفتى الملامنيه والقلندرية.

---

(١) انظر فى ذلك : دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص ١٩٢، دكتور توفيق الطويل - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى - حـ ١ ص ٨٥.
ولمزيد من التفاصيل راجع على مبارك - الخطط التوفيقية حـ ٣ ص ١٣١.

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ ٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ .

فيقول "فى الباب التاسع فى ذكر من أنتمى إلى الصوفية وليس منهم أن من الصوفية قوم يسمون نفوسهم قلنديه تارة وملامنية تارة أخرى والملامتيه لهم حال شريف ومقام عزيز، وتمسك بالسنن والآثار، وتحقق بالإخلاص والصدق، أما القلندرية فهو إشارة الى قوم ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات، وطرحوا التقييد بآداب المجالسات والمخالطات، وساحوا فى ميادين طيبة قلوبهم، فقلت أعمالهم من الصوم والصلاة ، إلا الفرائض، ولم يبالوا بشئ من الذات الدنيا من كل ماكان مباحاً يرخصه الشرع، وربما اقتصروا على رعاية الرخصة، ولم يطلبوا حقائق العزيمة، كذلك لايترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين، وقتعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالى، وأقتصروا على ذلك، والفرق بين الملامتى والقلندرى، أن الملامتى يعمل فى كتم العبادات، والقلندرى يعمل فى تخريب العادات، العادات، والملامتى يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه، ولكن يخفى الأعمال والأحوال، ويوقف نفســه موقف العوام، فى هيئتـه، وملبوسه وحركاته، وأموره ستراً للحال لئلا يقطن له، والقلندرى لايتقيد بهيئة ولايبالى بما يعرف من حاله وما لايعرف، ولا يتمطف إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله[1].

ولاشك أن تأثير الملامنيه فى مجال التصوف الإسلامى ظل ممتدا منذ القرون الأولى. وحتى القرون المتأخرة، لما نشاهد عند المتأخرين من تشابه بين طرقهم فى العبادات والأحوال وبين أولئك[2] أو كما يرى الدكتور أبو العلا عفيفى بأن الملامنية لم يكن لهم طريقة منظمة وقواعد ثابته مقررة وأتباع ينتمون المشايخ، إنتماء أهل الطرق المتأخرين ولكن كانت لهم صفات وآداب وسلوك تكفى فى التمييز بينهم وبين غيرهم من أصحاب الطوائف الأخرى سواء الذين عاصروهم أو الذين أتو بعدهن[3].

---

(١) السهروردى (أبوحفص عمر المتوفى عام ٦٣٢هـ/) عوارف المعارف - هامش إحياء علوم الدين للغزالى - حـ٢ - ص ٣، ص٤، ص ٥.

(٢) يتضح لنا من ذلك إذا ماعقدنا مقارنات بين الملامنيه وأحوالهم وبين طرق وأحوال المتأخرين راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى، حـ١، حـ٢.

(٣) الدكتور أبو العلا عفيفى - الملامنيه والصوفية وأهل الفتوه - ص ٤-.

كذلك : د / توفيق الطويل - التصوف فى مصر أبمان العصر العثمانى - حـ٢ - ص٨٤، ص٨٥.

ولعلنا نلاحظ هذه الفوارق الشكلية والمظهرية منتشرة بين طوائف الصوفية المتأخرين، وأدعيائهم، وقد يبالغ البعض منهم فى اضفاء صبغة مميزة، بحيث تفرق بينهم فى المظهر والمخبر معاً مما يثير العجب والدهشة من هذه المسالك المتعددة .

لقد أصبح صفة مظهرية وشكلية، أكثر من صفته الداخلية الجوهرية ، والتى تتعلق فى المقام الأول بتحلية الباطن، وطهارة القلب وعفة اللسان ونظافة اليد والفؤاد ، وشدة محاسبة النفس ومراقبتها وغير ذلك من ألوان الرياضات الروحية الصافية والتى ألفناها عند أئمة التصوف فى العصور الأولى أو عند المخلصين من أئمة التصوف المتأخرين. والتى سوف نشهد نماذج شهيرة وناصعة منها فيما بعد، ومما يثير الدهشة والعجب، فيما يذكره مؤرخوا التصوف فى العصر الحديث، أن فقراء المطاوعة[1] كانوا يجتمعون فى حلقات الذكر، ويتخذون لهم مغنين من الرجال ومساعدين يدقون الطبول ويضربون الكورس، وأولادا يجلسون وراء الذاكرين، حتى إذا اشتد حماسة الذكر هجم عليهم الأولاد واحتضنوهم من الخلف تيمناً وبركه، وكانوا إذا ساروا وضعوا فوق رؤسهم أوعلى جنوبهم ملاحف وسراويل، فإذا انطلق الفقراء فى الطرقات نشروا راياتهم ودقوا طبولهم وضربوا على كؤوسهم وكان لموكبهم ضجة عظيمة، وقد كانوا يتخذون أباريق يملؤنها بالماء ويحملونها فى أيديهم كلما ساروا ليتطهروا منها بين الحين والحين، ومسبحات من الخشب ومزاريق من الحديد وطواقى من السعف وطراطير يضعون عليها الودع والريش والخرق الحمراء وغير ذلك[2] .

(١) المصدر السابق ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق – ص٨٥ .

وجدير بالذكر أن أمثال هذه الطرق المتأخرة، لم تجد رواجاً كبير إلا بين عامة الناس. أو بين جهلاء الغوم، ممن لايحسنون العمل بأصول الشرع وأركان العقيدة، الأمر الذى دفع ببعض العلماء والفقهاء المتأخرين إلى تسديد الهجمات والسخط عليهم ووصفهم بالزيغ والبطلان (١).

---

(١) راجع فتوى الشيخ على الصعيدى، بشأن هذه الطرق الصوفية (فقراء المطاوعة) المتأخرين - راجع (المصدر السابق) ص١٧٥ - ص١٧٦ كذلك راجع موقف الشعرانى من فقراء المطاوعة وغيرهم من أدعياء الطرق الصوفية والجهلاء فى عصره - ص١٨٨، ص١٨٩.. حيث رماهم بالكفر. الضلال كذلك هاجم فقراء الأحمدية والرفاعية والدسوقية والمسلمية والبسطامية ، والأدهيمية وقال أنهم خارجون على الشريعة راجع ص١٨٩. كذلك كتابه "تنبيه المغترين" أماكن متفرقة .

﴿ الفصـل الثانى ﴾

من مذاهب التصوف الفلسفى

« التصوف الإشراقى »

تمهـيد :

لانريد أن نسير فى هذا الموضوع سيرة الباحثين السابقين، أذ أن مثل هذه الموضوعات نالت قدراً كبيراً من إهتمامهم، بصفة خاصة فيما يتعلق بالنظريات الفلسفية الصوفية عند الحلاج/ ٣٠٩هـ والسهروردى المقتول/ ٥٨٧هـ/ ومحى الدين بن عربى/ ٦٣٨هـ/ .

ولكن نريد أن نبحث بمنهج تحليلى نقدى عن مظاهر التصوف الفلسفى، فى هذه العصور المتأخرة، والتى تزامنت مع تيار التصوف العملى.

فإذا كان تيار التصوف الفلسفى، شهد عصر إزدهار وتطور باطنى وفلسفى منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين فى مقدماته الأولى عند ذى النون المصرى/ ٢٤٥هـ/ وأبو يزيد البسطامى/٢٦١هـ/ فى نظريتهما عن الفناء، وإنسلاخ النفس والجسـد وفنائها باللـه تعالى وبقائها بالـذات الإلهيـة[1] ثم تطـور بعد ذلـك فأصبـح التصـوف الفلسفى يعبر عن نظرية عميقة فى الحلـول والإتحاد فى صرخة تعلق بهـا الحسين بن منصور الحلاج المقتول عام/٣٠٩هـ/ بقوله "أنا الحق" ومانتج عن ذلك من تطورات خطيرة ظهرت آثارها الفلسفية فى تلامذة الحلاج فيما بعد، فإن هذا التيار الفلسفى الصوفى العميق لم يكد تنطفأ جذوته فى غضون القرن الخامس بعد ظهور كل من الإمام القشيرى/٤٦٥هـ/ والإمام أبو حامد الغزالى/ ٥٠٥هـ/ حتى عاد هذا التيار الفلسفى الصوفـى إلى الظهور من جديـد فى غضون القرنين السادس والسابع الهجريين، بفضـل ظهور شخصيات صوفية كبيرة. لعبت دوراً هاماً وحيوياً فى إذكاء هذا الإتجاه

---

(١) يتضح ذلك عندما تتفحص ماصدر عن السطامى من أقوال وشطحات مثل قوله "(مافى الجبة غير الله" وقوله سبحانى ماأعظم شأنى" - راجع القشيرى - الرسالة القشيرية حـ١ - ص٨٨ .

الفلسفى العميق كالسهروردى (شهاب الدين بن حبش) المقتول عام/٥٨٧/ هـ وعبد الحق بن سبعين/ ٦٦٧هـ أو عام ٦٦٩/، ومن عاصرهم أو تابعهم من تلاميذ كثيرين، تحملوا تبعة تعاليمهم ومذاهبهم.

فالتصوف الذى جاء بعد عصر الإمام الغزالى/٥٠٥هـ/، إمتزجت فيه المسائل الكلامية بالمسائل الفلسفية الإلهية حيث مزج الصوفية هذه المسائل بفنهم وأذواقهم وعلومهم، وكانت لهم مذاهب فى الحلول والإتحاد والجلى ووحدة الوجود والحب ووحدة الشهود ووجد الفقهاء والمتأخرون، إن ذلك ينافى تعاليم الإسلام، وجوهره الأصيل، وإنتهوا من ذلك إلى الحكم على القائلين بمثل هذه النظريات والأفكار من فلاسفة التصوف المتأخرين، بالكفر والزندقة والإلحاد، ومن هنا شهد القرن السابع وماتلاه من قرون سلسلة من الخصومات بين الفقهاء والصوفية، ولعل أشد خصوم الصوفية المتأخرين، نعياً عليهم، وإرجافاً بمذاهبهم، الفقيه الحنبلى المتأخر تقى الدين بن تيمية المتوفى عام/ ٧٢٧هـ/ فقد ثار ثورة عنيفة على تعاليم الصوفية وكتب عدة رسائل نقد فيها مذاهبهم[١] وأبان عن مخالفتها للمعقول والمنقول، ففى عام ٧٢٦هـ أصدر فتوى أعلن فيها تحريم زيارة الأضرحة، ومايتوجه به العامة إلى الأولياء من دعاء لهم وتوسل بهم[٢].

لقد أثيرت مسائل دقيقة عند صوفية القرنين السادس والسابع الهجريين، تعبر بصدق عن مظاهر التصوف الفلسفى فى هذين القرنين "فقد إزداد الصوفية عناية بالأبحاث العقلية، وتوجهوا لأن يكونوا فلسفة خاصة بهم، وظهر رجال أشبه مايكونوا فلاسفة، وعلى رأسهم السهروردى (شهاب الدين المقتول عام/٥٨٧هـ) والشيخ الأكبر محى الدين بن عربى/ ٦٣٨هـ/ صاحب نظرية وحدة الوجود وعبد الحق بن سبعين/ ٦٦٩هـ/ القائل بالوحدة المطلق، وتابعهم جماعة من شعراء الفرس أمثال فريد الدين العطار/ ٥٢٧هـ/ وجلال الدين الرومى/ ٦٧١هـ/ وغيرهم ممن تأثر بمذاهبهم فى القرون التالية[٣].

---

(١) دكتور محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٨٨ - ص١٨٩ .

(٢) نظرنا : ابن تيمية. مجموعة الفتاوى. رسالة العبودية فى الإسلام - ط المكتبة السلفية ١٤٠٠هـ كذلك رسالة التدمرية - ضمن مجموعة نفائس - تحقيق محمد حامد الفقى ط مكتبة أنصار السنة بدون تاريخ .

(٣) دكتور - إبراهيم بيومى مدكور - فى الفلسفة الإسلامية - حـ٢ ص٦٩ .

وصبغ هؤلاء جميعاً التصوف بالصبغة الفلسفية، إذ كانت لهؤلاء نظريات فى الوجود، والمعرفة تقترب كل القرب من نظريات الفلاسفة، وإختلط التصوف بالفلسفة إختلاطاً كبيراً[(١)] وإذا كان التصوف فى قمته النظرية يتلاقى كل التلاقى مع الميتافيزيقا [(٢)] فقد شهد القرنين السادس والسابع الهجريين هذا الدور المكتمل للتصوف الفلسفى [(٣)].

وعلى ذلك فقد إتخذ التصوف الفلسفى أشكالاً ومظاهراً فكرية مختلفة، فظهرت إتجاهات ومذاهب تعبر كل منها عن، مظهر فكرى وميتافيزيقى معين، قد تختلف فيما بينها شكلاً وتتفق منهجاً وموضوعاً. أو قد تختلف فى مسمياتها ولكن تتفق فى أصولها الجوهرية، وأهدافها المنهجية وروافدها وآثارها الغربية والشرقية، بالإضافة إلى أمشاج مختلفة من الغنوصيات المشبعة بأنظار وآثار فارسية، وأفلاطونية محدثة، وأرسطية وشروح مختلطة عليها، وآثار فيثاغورثية وهندية ومسيحية وهكذا .

وإذ كان لنا أن نسجل هذه المظاهر فى العصور المختلفة لعناصر التصوف الفلسفى فى عصوره المتأخرة، فيحق لنا أن نقسمها إلى مذاهب حتى يتسنى لنا تناول كل مذهب على حدة.

١ - المقصود بالتصوف الإشراقى : -

ظهر هذا التيار الصوفى فى الفكر الإسلامى فى بداية العصور المتأخرة (أى بعد القرون الخمسة الأولى)، من تاريخ التطور الفكرى والثقافى الإسلامى .

وقد أطلق على أصحاب هذا الإتجاه الصوفى "الإشراقيون" أو "الحكماء"، أتباع المذهب القائل بحكمة الإشراق [(٤)].

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٦٩ .

(٢) دكتور إبراهيم بيومى مدكور - الكتاب التذكارى. محى الدين بن عربى (المقدمة) . ط الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٦٩ .

(٣) دكتور إبراهيم بيومى مدكور . دروس فى تاريخ الفلسفة ص٦٨ - ص٦٩ - ط لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٩٥٣م .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية - حـ٣ - ص٤١٥ .

ويعتبر السهروردى المقتول عام/٥٨٧ هـ ١١٩١م/ [١] رائداً فريداً فى هذا المجال من التصوف، بل أن التصوف الإشراقى يرتبط إرتباطاً وثيقاً باسم هذا الفيلسوف الصوفى المتأخر، فقد وضع أصوله وقوالبه الأساسية، وأصبحت مدرسة الإشراق فى المشرق العربى ترتبط بإسمه دائماً، ولكن هذا المذهب وإسمه شاهدان فى الواقع على حياة وعهد السهروردى/ ٥٨٧/ هـ بزمن طويل، إذ أن الحكمة المشرقية هى مذهب فى الفلسفة اليونانية الذى إنتقل إلى الشرق فى الكتب الأفلاطونية الجديدة[٢] وهرمس وماشابهها، وإمتزج بآراء الفرس وغيرهم وهى فلسفة روحانية لها فى نظرية المعرفة مذهب صوفى، وتعبر عن الله تعالى، وعالم المعقول بالنور، والمعرفة الإنسانية فى هذا المذهب عبارة عن إلهام من العالم الأعلى، يصلنا بوساطة العقول (عقول الأفلاك)، وأكبر أصحاب هذه المذاهب هم:

هرمس[٣] وأجاثوديمن[٤] وأنبادوقليس[٥]وفيثاغورث[٦]وغيرهم ولأفلاطون/ عام

---

(١) هو الحكيم الإشراقى الحلبى أبو الفتوح يحيى بن حيش بن أميرك (أميرك - تصغير كلمة أمير) الملقب بشهاب الدين السهروردى المقتول وقد ولد بين سنوات/ ٥٤٥أو ٥٥٠/ هـ فى بلده سهرود فى إقليم الجبال بالقرب من زنجان بعراق العجم. وقتل عام/ ٥٨٧/ هـ للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى دائرة المعارف الإسلامية (مقالة سهرود). بروكلمان - تاريخ الأداب حـ١- ص٤٣٧، دكتور محمد على أبو ريان - هياكل النور - للسهرودى - تحقيق وقديم - ص٧ ومابعدها ط المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٥٧م .

(٢) تنسب الأفلاطونية الجديد لمؤسسها الحقيقى - أفلوطين/ ٢٠٥هـ .

(٣،٤) هرمس - أجاثود يمن : هو نبى الله تعالى سيدنا إدريس عليه السلام الوارد بالقرآن الكريم فى قوله تعالى "واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً" سورة سريم آية (٥٦)، ثم أن إدريس هو نفس "خانوخ" بالعبرية، وفى اللغة اعربية (أخنوخ) وفى المصرية (حورروس) أو (هورروس) وباليونانية (هرماكيس)، ولكن إدريس هو الإسم الذى سماه الله تعالى به فى كتبه المنزلة .

وقد يسمى (أغثاذى مون) المصرى، ولعل هذا إسمه عند الرومان حينما كان البطالسة فى مصر، وقد أخذ المصريون القدماء دينهم عن نبيهم (هرمس) وكذلك مجموعات من التأليف والعلوم الدينية والرياضية والطبيعية والطبية، والتى أرجعها البعض من المؤرخين إلى ثلاثين ألف ==

/٣٤٧ ق.م، صلة بهذا المذهب أكثر من صلة أرسطو/ ت عام ٣٢٢.ق.م. وهؤلاء الفلاسفة يوصفون غالباً بأنهم أنبياء، أو حكماء ملهمون، وقد تأثرت الفلسفة الإسلامية بهذه المذاهب منذ نشأتها إلى هذه العصور.[٧]

ومن الجدير بالذكر أن كلمة الإشراق "إتخذت مدلولاً لغوياً وآخر إصلاحياً، دارت حوله بحوث كثيرة وتحليلات "فيللوجية" عميقة[٨] .

= سنة قبل الميلاد، أو سبعة آلف سنة قبل الميلاد وإذا كان (هرمس) اتخذ ثلاثة ألفاظ تسمى (بهرمس المثلث) فى مصر باسم هرمس الكبير، وفى اليونان باسم (هيرماكيس) وفى الفرس باسم (هرمز) فالحقيقة أن الجمع شخص واحد بعبارة هرمس واح وهو هرمس المصرى، أو إدريس النبى المثلث الحكمة، لكونه أوى النبوة، والعلم والحكمة). وقد ذكر الباحثون بعضاً من الإشراقات النورانية التى وردت فى تعبيرات كثيرة عن هرمس المصرى "رأى هرمس يوماً وهو فى حالة إنخطاف روحى الكون والعوالم متجلية أمامه والحياة منتشرة فى كل شئ، فصاح به صوت النور الأقدس المالس للكون جميعه وكاشفه بالسر قائلاً: "إن النور الذى رأيته هو الروح الإلهى، الحاوى سر كل شئ والمتضمن رسوم كل الكائنات، زما الظلمة فهى العالم المادى، الفائض فيه بنور الأرض، والضياء المتدفق من الأقاصى هو العقل الإلهى، وباتحادهما تكون الحياة ثم نجد أيضاً هذه التعبيرات قول هرمس" إن انفس الشريرة تبقى فى الأرض بأغلال شهوتها ورغباتها الأرضية، وإنما الأنفس الفاضلة ترقى متطايرة إلى الأفلاك العلوية لتحظى برؤية المعنى الإلهية، بقوة ماامتلكه من الإختبارات والمعارف.. إلخ .

نظرنا فى ذلك - السيد محمود أبو الغيض - وحدة الدين والفلسفة والعلم - حـ١ ص٥٨ - ص٦١، ص٦٤، ص٦٥ ، صدر عن دار العالم الإسلامى - ط القاهرة - ١٩٤٧م .

(٥) انباذ وقليس: فيلسوف طبيعى يونانى عاش فى الفترة من/ ٤٩٠ - ٤٣٠ ق.م.

(٦) فيثاغورث م أشهر الفلاسفة الرياضيين ولد فى ساموس من جنوب ايطاليا، وأنشأ مدرسة عرفت بإسمه عاش فى الفترة مابين ٥٧٢- ٤٩٧ ق.م.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية - حـ٣ - ص٤١٥- ص ٤١٦.

(٨) لمزيد من الدراسة والبحث يرجع إلى البحث الذى تناول مدلول كلمة الإشراق لغويا قام به كرلو الفونسو نلّلينو - محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية - ملحق بكتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى - ص ٢٤٥.

لقد تناول الأستاذ الدكتور محمد على أبو ريان المذهب الإشراقى وأصوله بالدراسة والتحليل، مما يخدم أغراضنا ولانجد مانعاً من الإستعانة بما ذهب إليه من تحليلات، خاصة وأن تحليلاته أقرب إلى الصدق والصواب من غيره ممن تناول هذا الموضوع بالتحليل وبصفة خاصة من بعض الباحثين المستشرقين(١).

وعلى ذلك فإنه ذكر أن قطب الدين الشيرازى ت عام/ ٧١٠هـ ذكر فى مقدمة حكمة الإشراق أنها الحكمة المؤسسة على الإشراق الذى هو الكشف أو حكمة المشارقة الذين هم أهل فارس "لأن حكمتهم كشفية ذوقية فنسبت إلى الإشراق الذى هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالإشراقات على النفوس عند تجردها، وكان اعتماد الفارسين فى الحكم على الذوق والكشف، وكذا قدماء اليونان خلا أرسطو وشيعته، فإن إعتمادها كان على البحث والبرهان لاغير" (٢).

ويمكن أن تخرج من هذا النص بمايشير إلى أن الإشراق هو مصدر الحكمة الإشراقية، وأنه يتضمن ظهور الموجود أى تأسيس وجوده وهذا الظهور هو عملية ادراكية للنفس المستعدة للكشف، وان كان هناك ترادف بين لفظ "إشراقى" ولفظ "مشرقى" فيمكن فهم الإشراق على أنه حكمة المشرقيين، أى الشرقيين الذين يقعون جغرافيا فى الشرق، ويقصد بهذه الإشارة إلى بلاد فارس، بل يمكن ضم هذين المفهومين إلى بعضهما والقول بأن حكماء فارس المشرقيين تقوم فلسفتهم على الكشف او المشاهدة، أى ظهور الأنوار العقلية للنفوس بعد تجردها، وبهذا تقوم الفلسفة الإشراقية فى مقابل المشائية.

فإذا كانت الفلسفة المشائية تقوم على البحث والحجج العقلية المنطقية، فان الفلسفة الإشراقية تقوم على الكشف والترقى الصوفى.

يقول قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى ت عام ٧١٠/هـ = ١٣١١م فى مقدمة حكمةالإشراق "بل الإشراقيين لاينتظم أمرهم دون سوانح نورية، أى لوامع ، نورية عقلية تكون

---

(١) راجع المصدر السابق - ص ٢٤٥. ومابعدها.

(٢) دكتور - محمد على أبور يان - أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردى- ص٥٩- ص ٦٠- ط الأنجلو المصرية ١٩٥٩م.

معنى الأصول الصحيحة التى هى القواعد الإشراقية "وهى كما أشرنا تؤسس على تعاليم الفرس القدماء بالإضافة إلى حكمة اليونان (عدا أرسطو) وحكمة بابل والهند ومصر القديمة. [١]

وهذا بلا شك ماذهب إليه شهاب الدين السهروردى المقتول عام ٥٨٧/ هـ مؤسس الفلسفية الإشراقية الصوفية فى الفكر الإسلامى، فهو يقول فى مقدمة حكمة الإشراق "أن أفلاطون أمام الحكمة ورئيسها" وكذلك يستعمل كلمة إشراقى ليصف بها التابعين له من الحكماء الإشراقيين. [٢]

ويتضح لنا من خلال التحليلات السابقة لمدلول كلمة الإشراق أو الحكمة الإشراقية أمرين هامين هما:

أولاً : أن هناك فرق بين الفلسفة المشائية وهى الفلسفة الخالصة التى تصطنع العقل وتقوم على البحث والنظر فى الفلسفة الأرسطاليسيه "وبين الفلسفة الصوفية الإشراقية.

ثانياً: أن الحكمة الإشراقية الصوفية سوانح قوامها ودعائها الذوق ومشاهدة الروحانيات فى الخلوات والمناولات .

ومن الجدير بالذكرهنا، أن بعض الباحثين فى التيارات الروحية فى الإسلام ذهب إلى رأى يقول "أن حكمة الإشراق ليست تصوفاً خالصاً، ولافلسفة بحته، وإنما هى شئ بين بين" [٣].

وهذا يعنى إن هذه الحكمة الإشراقية إختلطت بالأنظار الفلسفية، فى مزج من الأذواق والمواجيد والمشاهدات النورانية العقلية، وبين الأنظار العقلية الفلسفية أيضاً.

٢- السهروردى الإشراقى / ٥٨٧/ هـ :

ولاشك أن السهروردى (شهاب الدين) يرجع إليه الفضل الأول والكبير فى وضع أصول هذا المذهب إذ إقامة على أصول فلسفية وغنوصية فارسية. [٤]

---

(١) نظرنا فى ذلك : المصدر السابق – ص ٦٠.

(٢) نفس المصدر السابق – ص ٥٨.

(٣) دكتور محمد مصطفى حلمى – الحياه الروحية فى الإسلام – ص ١٧٨.

(٤) على سبيل المثال : دكتور محمد علي ابوريان – أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردى كذلك دكتور – محمد على أبوريان- هياكل النور للسهروردى الإشراقى – تحقيق وتعليقات كذلك – دكتور عبد القادر محمود – الفلسفة الصوفية فى الإسلام ص ٤٠٦.

غير أننا نريد أن نشير إلى دعائم وأصول مذهبه الإشراقى الفلسفى وأشهر تلامذته وشراحه من الصوفية المتأخرين حتى تعبر الطريق إلى صوفية القرون التالية.

وعلى ذلك – فقد اشتهر السهروردى، بأنه مؤسس المذهب الإشراقى، ولا يقصد بلفظ الإشراقى هنا المدلول الشائع فحسب من حيث أنه يعنى الذوق والكشف بل إستعمله السهروردى استعمالاً خاصاً للدلالة على مذهب يقوم على إعتبار النور المبدأ الخالص للوجود بأكمله. وعن هذا المبدأ تصدر سلسلة من الأنوار تؤلف فى مجموعها الموجودات العالمية سواء النورانية منها أو الظلمانية.[١]

لقد أقبل السهروردى على الحكمة القديمة، فوعى حقائقها وقطن إلى دقائقها، وعنى منها بأقوال حكماء الفرس واليونان بصفة خاصة، وليس أدل على سعة ثقافته الفلسفية من مؤلفاته العديدة الحافلة بالأراء القيمه، والتى جمع فيها إلى براعة الأنظار العقلية، وروعة التعاليم الصوفية، ولطافة الأذواق الروحية، وقد عمد فى هذه المؤلفات إلى الرمز والإشاره، والتكلم بلسان الذوق، مما خفيت معه المعانى التى انطوت عليها أقواله وتعاليمه.[٢]

وربما يرجع أهمية هذا المذهب الإشراقى عند السهروردى وكما وردت أصوله وقوالبه الفلسفية الذوقية فى كتابه "حكمة الإشراق" إلى أنه نزع فيه منزعاً وسطا بين التصوف المعتمد على الذوق، والفلسفة المستندة إلى النظر، مما يدل على ذلك قوله" ولم يحصل أولاً بالفكر، بل كان حصوله بأمر آخر، ثم طلبت الحجة عليه حتى لو قطعت النظر عن الحجة مثلاً، ماكان يشككنى فيه مشكك"[٣].

ولما كان هذا النوع من التصوف الإشراقى يقوم علي دعائم فلسفية مستمدة من أصول مختلفة. سواء كانت غنوصيات فارسية شرقية أو افلاطونيه محدثة، فإنها تمزج بين هذه الأصول الفلسفية وماتعنيه من أذواق ومواجيد وبين معانى دينية وأصول شرعية إسلامية. وجدير بالذكر أن هذا اللون من التصوف الفلسفى يربط بين نظريتى المعرفة والوجود، فى إطار من التوفيق

---

(١) دكتور – محمد على أبو ريان – أصول الفلسفة الإشراقية – ص ٢٣.

(٢) دكتور – محمد مصطفى حلمى – الحياة الروحية فى الإسلام ص ١٧٣ – ١٧٤.

(٣) المصدر السابق – ص ١٧٤.

بين الدين والفلسفة فهى نزعة صوفية فلسفية توفيقية كذلك وهذا أيضا يمثل جوهر التصوف النظرى المتأخر ويبدو أن سعة إطلاع السهروردى /٥٨٧/ هـ وخبرته التامة بالغرق والمذاهب الفلسفية التى تأثر بها عامة ورجال مدرسة الأسكندرية وفلاسفة الإسلام السابقين بصفة خاصة، قد ولدت فيه هذه الرغبة للتوفيق بين الفلسفات والفلاسفة المختلفين. (١)

وهذا ماتعتبره من المظاهر والخصائص الهامة التى اصطبغ بها التصوف النظرى فى عصوره المتأخرة، وهو طريقة الجمع والتأليف بين أمشاج مختلفة من فلسفات ونظريات من فلسفات ونظريات كثيرة، وجمع هذا الشتات فى صبغة واحدة أو وحدة، فالفلاسفة عنده رجال أسرة واحدة وفروع شجرة مباركة تمد الإنسانية بما فيها من ثمار وخبرات، فأمباذ وقليس، وفيثاغورث وأفلاطون وأرسطو طاليس ويوذا وهرمس ومزداك ومانى، وإن انتسبوا إلى شعوب مختلفة، هم أبناء الإنسانية أولا وبالذات، ورسل السلام والإصلاح، وعلى الجملة فإن زهاد الهند وفلاسفة الإغريق يسعون الى غاية واحدة، ويعملون على نشر نظرية ثابتة وينطوون تحت فلسفة واحدة هى الفلسفة الإشراقية، ومبدأ هذه الفلسفة وأساسها الأول "إن الله نور الأنوار ومصدر جميع الكائنات، فمن نوره خرجت أنوار أخرى هى أساس العالم الروحى، والعقول المفارقة ليست إلا وحدات من هذه الأنوار، تحرك الأفلاك وتشرف على نظامها. (٢)

إن هذه الفلسفة الصوفية تدور حول مسائل كثيرة، لكن أهمها، المعرفة، والوجود، والنفس والمادة والنبوة والأحلام ..ألخ ومايعنينا هو المعرفة والنفس وأذواقها.

فالمعرفة تأتى إلى النفس بطريق الفيض والإشراق، وتصل بذلك النفس إلى بهجتها، ولكن ذلك يتوقف على تجردنا عن الملذات الجسمية، حتى يتجلى علينا النور الإلهى دون أن ينقطع مدده (٣) يقول السهروردى "ثم نحن اذا تطهرنا من شواغل البدن وتأملنا كبرياء الحق،

---

(١) دكتور إبراهيم بيومى مدكور - فى الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيقه). حـ ١ ص ٥٩ - ط - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة -١٩٤٧م.

(٢) لمزيد راجع فى ذلك : دكتور محمد على أبوريان - اصول الفلسفة الإشراقية. ص٥٨ - ٨٣. كذلك، دكتور إبراهيم بيومى مدكور - فى الفلسفة الإسلاميه حـ ١، ص ٥٩- ص ٦٠.

(٣) راجع المصدر السابق - ص ٦٠.

والنور الفائض من لدنه وجدنا فى أنفسنا بروقا ذات بريق وشروقا ذات تشريق، وشاهدنا أنوارا، وقضينا أوطارا" (١)

وهذا النور المشرق.صادر عن كائن منزلته منا كمنزلة الأب والسيد الأعظم للنوع الإنسانى، وهو الواهب لجميع الصور، ومصدر النفوس على إختلافها، ويسمى الروح المقدسة أو بلغة الفلاسفة العقل الفعال، ومتى ارتبطنا به أدركنا المعلومات المختلفة، وإتصلت أرواحنا بالنفوس السماوية التى تعيننا على كشف الغيب فى حال اليقظة والنوم.(٢)

ولاشك أن السهروردى - متأثر إلى حد كبير بالأراء الفلسفية ومستخدما نظريات الفلاسفة فى تبرير نظريته فى المعرفة الإشراقية.. وإذا مانظرنا إلى الأصول التى تبنى عليها هذه النظرية الإشراقية عند السهروردى يذكرنا بالآراء الفلسفية عند المعلم الثانى "أبو نصر الغارابى /٣٣٩ / هـ/ ٩٥٠م/ فى العقل الفعال، يقول السهروردى "ومن جملة الأنوار القاهرة، أبونا ورب طلم نوعنا ومفيض نفوسنا ويكملها بالكمالات العلمية والعملية، روح القدس المسمى عند الحكماء "بالعقل الفعال"(٣) .

مما لاشك أن نظرية العقل الفعال، كان لها دور خطير ليس فى الفلسفة الإسلامية عند فلاسفة الإسلام، فى بلورة نظريتهم فى المعرفة فقط بل امتد تأثيرها ودورها الى الصوفية المتأخرين أيضا، فإذا كان يقصد به عند الفلاسفة الإسلاميين مصدر الإلهام والوحى للأنبياء والشعراء، وهو روح القدس - ملهم الشعراء والحكماء فى حال اليقظة أو النوم وواهب الصور (٤) فإنه مصدر الفيض المعرفى والإشراقى عند طوائف الصوفية المتأخرين، سواء فى المدرسة الإشراقية، أو فى مدرسة وحدة الوجود عند ابن عربى/٦٣٨ هـ/ وعبد الكريم الجبلى/٨٠٥ هـ/

---

(١) السهروردى - هياكل النور - ص ٧٠

(٢) دكتور - ابراهيم بيومى مدكور - فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه- حـ ١ - ص ٦٠، ص٦١.

(٣) السهروردى - هياكل النور - ص ٦٤ - ص ٦٥.

(٤) لمزيد من التفاصيل : دكتور محمد على أبو ريان - تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام - ص٣٧٨ ط دار المعرفة الجامعية - ١٩٨٠. كذلك دكتو إبراهيم بيومى مدكور- فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه - حـ ١ - صـ ٦١.

فى كتاب الإنسان الكامل.. وأمتد تأثير هذه النظرية الخطيرة فى مدارس غلاة الشيعة وفروعها المختلفة، وشراح الأشواقية أمثال قطب الدين الشيرازى/ ٧١٠هـ.

والتصوف الإشراقى يقوم أولا وقبل كل شئ على نظرية الفيض الفارابية، ونزعة الإتصال بالعالم العلوى مصدر الأنوار والإشراقات الإلهية، وهذا هو منتهى غاية هذا المذهب. بل وربما يذهب أصحابه إلى اكثر من ذلك وهو نزعة الإتصال بالله تعالى مباشرة، والإمتزاج بنور الأنوار.[(١)] وهذا لايتأتى للنفس إلا إذا تم قطع علاقتها بالبدن وتخلصت من سلطان القوى الشهوانية، أى عن طريق الرياضة الروحية بتقليل الطعام وكثرة السهر .

يقول السهروردى "فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية. وغلبتها بتقليل الطعام وتكثير السهر، تتخلص أحيانا إلى عالم القدس، وتتصل بأبيها المقدس وتتلقى منه المعارف، وتتصل بالنفوس الفلكية العالمة بحركاتها، وبلوازم حركاتها، وتتلقى منها المغيبات فى نومها ويقظتها كمرآة تتقشى بمقابلة ذى تقش"[(٢)] .

فالتصوف الإشراقى أقرب إلى الفلسفة، واصطناع المنهج الذوقى الباطنى. فهى إذن فلسفة روحانية تذهب فى المعرفة مذهبا ذوقيا قوامه أن المعرفة الإنسانية الهام من العالم العلوى كما ذكر ذلك السهروردى فى حكمة الإشراق[(٣)] وعندما يتحدث السهروردى عن مراتب الحكمة والحكماء فإنه يذكر "مرتبة الحكيم المتأله المتوغل فى التأله" وهى أرقى مراتب الحكمة الإشراقية وأنه لايخلو زمان من هذا الحكيم، وربما يصل بهذا الحكيم المتوغل فى التأله إلي درجة أرقى من درجة الأولياء وهو مايسميه المتأخرون "القطب" يقول السهروردى " واعلى هذه المراتب من غير شك مرتبة الحكيم الإلهى المتوغل فى لتأله، وذلك لمت لما يمتاز به على غيره من الحكماء من الكمال والشرف والعلم بنوعيه الذوقى والعقلى، وهذا الحكيم إن وجد بصفتيه الإلهية والبحثية، كانت له الرياسة فى وقته. وربما كانت هذه الرياسة باطنية خفية، حيث يذكر ذلك بقوله "ولست

---

(١) نظرنا: السهروردى- هياكل النور - أماكن متفرقة كذلك دكتور محمد على أبو ريان - أصول الفلسفة الإشراقية - أماكن متفرقة.

(١) السهروردى - هياكل النور - ص ٨٥.

(٣) راجع - الدكتور محمد على أبوريان - أصول الفلسفة الإشراقية - (ميتافيزيقا الإشراق) ص١١٣. كذلك دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياء الروحية فى الإسلام - ص ١٧٦.

أعنى بهـذه الرياسـة التقلب بل قد يكون الإمام المتأله مسؤلياً ظاهراً، وقد يكون خفياً، وهو الذى سماه الكافة "القطب" قلة الرياسة، وإن كان فى غاية الخمول(١).

إذاً فهذه المسائل الهامة فى أصول الحكمة الصوفية الإشراقية. فى المعرفة والنفس كانت معالم بارزة وتحدد نطاق هذه الحكمة الصوفية .

ويتضح لنا أنها ليست فلسفة خالصة، بل قوامها سوانح نورية، ودعائمها هى الذوق ومشاهدة الروحانيات فى الخلوات والمنازلات(٢).

ونلاحظ أن هذه الحكمة الإشراقية الصوفية أخذت أصولها من جميع المذاهب الفلسفية والغنوصيات الشرقي،ة، وبصفة خاصة من الأفلاطونية المحدثة، وفيها كثير من المغالاة. وخاصة فيما يتعلق بنظرية "الحكيم المتألية" الذى ذكر عنه السهروردى أمورا خطيرة - وهو الذى لايخلو منه زمان - مما أدى ذلك إلى الظن بأنه يقترب بذلك من آراء وتعاليم الشيعة الباطنية فى نظرية " الإمامه" وقد كان ذلك من الأسباب القوية التى أدت إلى قتله. (٣)

بلى وربما ظن الفقهاء من قوله بهذه النظرية، الدعوة إلى أماكن خلق الله تعالى لنبى آخر بعد سيدنا محمد ﷺ ، خاتم الأنبياء والمرسلين، وهذا يعتبر كفر وخروج عن تعاليم الشريعة. (٤) .

---

(١) راجع - السهروردى - حكمة الإشراق - ص٢٤ . كذلك الدكتور - محمد على أبو ريان - المصدر السابق ص١١٣ - ومابعدها .

(٢) دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية - ص١٧٧ - ١٧٨ .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع - دكتور عبد الرحمن بدوى شخصيات قلة فى الإسلام ص ١٢٠ ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦م. كذلك محمد على أبو ريان - أصول الفلسفة الإشراقية ص ٩ ص٢٢.

(٤) لمزيد راجع المصدر السابق. ص ١٧- ص ٢٠ نذكر المصادر فى قصة قتله (أن السلطان صلاح الدين الأيوبى بعدما افتى الفقهاء بقتله كتب الى إبنه الظاهر سلطان حلب يأمره بقتله فصدع لأمره - وقتل السهروردى عام ٥٨٧ هـ.

راجع كذلك دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام- ص ٤٤٢ ومابعدها.

وجدير بالذكر أن لهذه النزعة الصوفية الإشراقية تأثير خطير فى صوفيه متأخرين، وكذلك فى بعض الفرق والمذاهب الناشزة عن الإسلام، إذ أننا نجد أبرز ممثل لمدرسة السهروردى الإشراقية، فيما بعد هو صدر الدين الشيرازى المتوفى عام/ ١٠٤٠ هـ/ صاحب الأسفار الأربعة، ويعتبر أكثر تلاميذ هذه المدرسة وضوحاً وتطويراً لمذهب كذلك نجد أن الشيرازى مزج بين تصوف السهروردى الإشراقى وبين تصوف ابن عربى /٦٣٨هـ/ فى وحدة الوجود، وربما وكان لهذا المزيج العجيب من التيارات الصوفية الفلسفية المتأخرة أثر كبير فى المذاهب الناشزه والخارجة على تعاليم الإسلام فى عصوره المتأخرة مثل البهائية والبابية، والقاديانية.[1]

وأعتقد أن هذه النزعة الفلسفية الصوفية، لم تخرج كثيراً فى أشكالها ومضامينها وأهدافها عن فلسفة شيخ الأشراق الأول السهروردى المقتول ٥٨٧/ هـ فهى نزعة توفيقية تلفيقية، وأمشاج من تيارات غنوصية أو أفلاطونية مختلفة .

٣- النزعة الفلسفية الصوفية عند ابن سبعين:[2]

لاشك أن هذه النزعة الصوفية كان لها تأثير فى المدارس المتأخرة إذن فنحن هنا أمام نزعة فلسفية صوفية تقترب من نزعة التصوف الفلسفى الإشراقى، وهى فلسفة عقلية صوفية تقوم على نظرية الفيض اليونانى أيضا والإتصال بمراتب العقول النورانية .

---

(١) لمزيد من الدراسة - راجع - دكتور عبد القادر محمود الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص ٤٧٩ - ص ٤٨٦.

(٢) ابن سبعين: هو عبد الحق بن ابراهيم محمد بن نصر - ويكنى بقطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين - صوفى أندلسى عرف فى أوروبا بأجوبته على أسئلة الأمبراطور فريدرك الثانى حاكم صقلية، وهو من أصل عربى ولد حوالى ٦١٤ هـ/ ١٢١٨ م فى وادى رقوطه من أعمال مرسية، وتجمع المصادر على أن ثقافة ابن سبعين كما تبدو من مصنفاته واسعة ومتنوعة، إذ عرف مذاهب فلاسفة اليونان، والفلسفات الشرقية القديمة كالهرمسية والفارسية والهندية، ووقف على مذاهب فلاسفة المشرق كالفارابى / ٣٣٩ هـ/ وابن سينا ٤٢٤ هـ وفلاسفة الغرب، وكان لديه المام واضح بمذاهب اخوان الصفار ومذاهب المتكلمين وبصفة خاصة الأشعرية، وعلمه بمذاهب الصوفية كان دقيقا، وتعتبر فلسفة ابن سبعين الصوفيه امتدادا حقيقيا لمذاهب صوفية ==

ويعتبر ابن سبعين /٦٦٨هـ زعيم هذه النزعة الصوفية التى تقوم على أسس ودعائم فلسفية، على نمط طريقة الفلاسفة الذين يقصرون السعادة على التجرد والإتصال بالعقل الفعال، والإرتباط به ضرورياً لتحقيق هذه السعادة ، ولكن هذا الإرتباط يعتبر روحياً ومعنوياً.

وجدير بالذكر أن معرفة الباحثين بأصول هذه الفلسفة الصوفية النورانية، تعتمد على بعض المصادر من أهمها المراسلات التى دارت بينه وبين فردريك الثانى ملك المانيا المتوفى عام / ١٢٥٠م/ ، وقد بقيت هذه المراسلات مجهولة إلى أن إهتدى اليها المستشرق الإيطالى/ أمرى/ عام ١٨٥٣م / في مخطوط من مخطوطات أكسفورد تحت عنوان "الرسائل الصقلية" .

وهذه المراسلات التى حدثت بين فردريك الثانى وبين ابن سبعين عالم صقلية وفيلسوفها فى ذلك العهد، كانت تدور حول أربعة أسئلة متعلقة: بقدم العالم والمقولات العشر، وماوراء الطبيعة فى غايته ومبادئه، وطبيعة النفس. (١)

ولاشك أن هذه المسائل الفلسفية كانت من أهم المشكلات التى شغلت دوائر التفكير الفلسفى فى ذلك العهد، ولكن مايعنينا هنا هو بلورة نزعته الفلسفية الصوفية فى المعرفة والوجود، وجوهر نزعته الصوفية، في هذه العصور المتأخرة أى أن القرن السابع الهجرى.

فما هو جوهر هذا المذهب الصوفى الفلسفى، كما كان يريده عبد الحق بن سبعين ؟.

= الأندلس المتفلسفين. كأبن مسرة الأندلس/ ٣١٩ هـ وقد أسس ابن سبعين طريقة عرفت بالسبعينية. وقد ألف ابن تيمية الفقهية المتأخر/٧٢٧ هـ/ رسالة فى الرد عليها عنوانها "كتاب المسائل الأسكندرانية فى الرد على الملاحدة الإتحادية السبعينية "وقد اختلفت الأراء حول وفاته، فمن الأقوال ماتردد عن انتحاره بمكه عام ٦٦٨ هـ/ ١٢٧٠م ومنها ماتردد أنه مات مسموما، ولكن أغلب الظن ان ابن سبعين مات موتا طبيعيا: راجع فى ذلك الدكتور أبوالوفا الغينمى التفتازانى - ابن سبعين وفلسفته ص٢٥- ص ٦٦ ط بيروت ١٩٧٣م.

كذلك الدكتور - التفتازانى: مبحث الحد من كتاب بد العارف لابن سبعين- نص منشور بكتاب دراسات فى الفن والفلسفة والفكر القومى فى شرق المغفور له عبد العزيز الأهوانى - ص ٢٨ ص٢٩ ط دار القاهرة للنشر والتوزيع - ١٩٨٣.

(١) نظرنا : دكتور - ابراهيم بيومى مدكور - فى الفلسفة الإسلامية جـ ١ص ٦٢-٦٣.

يعتبر مذهب عبد الحق بن سبعين الفلسفى الصوفى، حلقة اتصال بين مذهبى التصوف الإشراقى الباطنى عند السهروردى ومدرسته وبين مدرسة وحدة الوجود عند محى الدين بن عربى ومدرسته، فهذا المذهب الصوفى تمتزج فيه كل عناصر التصوف المتطرف فى نزعاته المختلفة إلى أراء ونظريات يونانية ارسطوطاليسية وأفلاطونية محدثه وأمشاج من المشائيه الأسلاميه عند فلاسفة الإسلام [1].

وكما ذكرنا، أن هذه الفترة المتأخره من حلقات التصوف الفلسفى فى القرنين السادس والسابع الهجريين، يختلط فيها التصوف بالفلسفة اختلاطا كبيرا، ويقوم التصوف على دعائم فلسفية خالصة ممتزجة بخلاصة الأذواق والمواجيد الروحية، ونلاحظ كذلك، أن نظريات الصوفية فى الوجود والمعرفة والنفس تقترب كل الإقتراب من نظريات الفلاسفة، وبذلك تكتمل دائرة التصوف الفلسفى فى عضون هذين القرنين [2]

وإذا كان مذهب ابن سبعين فى التصوف الفلسفى كما ذكرنا حلقة وسط بين التصوف الإشرافى رمذهب وحده الوجود عند ابن عربى مدرسته، فإنه يقوم على فكرة فلسفية صوفية تعرف "بالوحده المطلقة" فإن سبعين، وكما رأى استاذنا الدكتور التفتازانى يعتبر" صاحب مذهب فى التصوف الفلسفى يعرف بالوحده المطلقة، فإن سبعين ، وكما رأى استاذنا الدكتور التفتازانى يعتبر" صاحب مذهب فى التصوف الفلسفى يعرف بالوحدة المطلقة، والفكرة الأساسية فيه هى أن الوجود واحد وهو وجود الله تعالى فقط، أما سائر الموجودات الأخرى فوجودها عين وجود الواحد، غير زائدة عليه بوجه من الوجوه، والوجود بذلك فى حقيقته قضية واحدة ثابته، ويشبه ابن سبعين الوجود أحيانا بالدائرة ومحيطها هو الوجود المطلق أو الواسع، أما الوجود المقيد أو الضيق فهو داخل الدائرة، والحق أنه لاخلاف بين الوجودين إلا من حيث الوهم لأن ماهيتهما واحدة وعلي ذلك فأنت تبصر المطلق فى المقيد، والوحدة بينهما مطلقة، وفى أحيان أخرى يتصور ابن سبعين وجود الله الواجب والوجود الممكن، بمنزلة المادة والصورة. [3]

---

(١) دكتور - عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص ٥٤٨ - ص ٥٤٩.

(٢) دكتور إبراهيم بيومى مدكور- فى الفلسفة الإسلامية - حـ ٢ - ص ٦٩.

(٣) الدكتور - أبو الوفا الغنيمى التفتازانى - مبحث الحد من كتاب يد العارف لإبن سبعين - (بحث منشور ضمن كتاب دراسات فى الفن والفلسفة والفكر القومى - ص ٢٩.

وعلى الجملة لايثبت ابن سبعين إلا وجوداً واحداً، لاأثنينية معه، ولا كثرة بوجه من الوجوه.

وجدير بالذكر،أن مذهب إبن سبعين فى الوحدة المطلقة،قد أدى إلى هدم المنطق الأرسطى، ويبدو أنه يحاول وضع منطق جديد إشراقى فى رسالته "يد العارف" ليحل محل هذا المنطق الأرسطى الذى يقوم على تصور الكثرة وهو مايسميه منطق "المحقق" الذى لايكتسب بالنظر العقلى، وإنما هو من قبيل النفحات الإلهية، الذى يبصر بها الإنسان مالم يبصر، ويعلم مالم يعلم فهو منطق ذوقى حقائقه فطرية فى النفس الإنسانية. (١)

وبداية نجد أن المصادر الإساسيه تفيد، أن خلاصة مذهبه الصوفى الفلسفى يقول "إن الله حقيقة الأشياء كلها" وهذه الفكرة تلخص مذهبه فى الوحدة المطلقة للوجود كله وبرمته. (٢)

ويوضح مذهبه فى الفيض. بقوله "فالله تعالى هو أصل العقول المتصرفة فى الكون، صدرت عنه بمحض الفيض، والأنعام والعقل الفعال وهو أحدها يدير شئون الأرض ويمد الكائنات بصورها الثابته، فهو مصدر النفوس البشرية على الإطلاق، وإذا كانت النفوس صادرة عنه فهى ميالة دائما إلى الإتصال به، ولايحول دونها وذلك إلا ادران الجسم وشهواته، فإذا ماتفرغ الأنسان للدراسة والنظر، فاز بالمعرفة الكاملة والحقيقة المجردة، وسما إلى درجة العقل الفعال. (٣)

يبدو أننا بصدد نظرية الفيض والصدور فى تفسير صدور الكائنات والأكوان، والعوالم بالإضافة إلى تفسير نظرية المعرفة النورانية الكاملة التى يستطيع الفيلسوف الصوفى الوصول خلالها إلى الحقيقة المجردة التى لايصل اليها إلا من سعت نفسه واتصلت بالعقل الفعال، مصدر الإلهام والوحى، وهو روح القدس وواحب الصور، كما عرفنا ذلك عند الفلاسفة المشائين كالفارابى/٣٣٩ هـ وابن سينا/٤٢٤ هـ وتأثر بهذا كما أسلفنا السهروردى المقتول ٥٨٧ ومدرسته الإشراقية الصوفية.

---

(١) نفس المصدر السابق - ص ٢٩ ومابعدها.

(٢) ابن سبعين - رسائل ابن سبعين - ص ٨٢ ومابعدها - تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى - ط - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٥م.

(٣) نفس المصدر السابق - ص ٥٧- ص ٥٨- ٥٩، كذلك دكتور ابراهيم بيومى مدكور - فى الفلسفة الإسلامية - حـ١ - ص ٦٣.

ولايستطيع من يريد الوصول إلى المعارف الحقيقية إلا من جرد نفسه عن الشهوات والملذات البدنية وجرد الجوهر عن عالم الطبيعة واللذات الطبيعية، وذلك بالرياضة الإنسانية بالأعمال العملية والتشويقية إلى الحقائق بالمباحث العلمية، وتحليته بالتخلقات الربانية، وتغذيته بالملذوذات الروحانية، حتى يتجرد عن الجسم بموت شهواته، ويتصل بالذوات المفارقة بعمله وتخلقه وعمله جوهره فيكون من جملة الذوات المجردة، وذاته مفارقة ليست بجسمه ولا فى جسم، والذوات المفارقة تعلم بغير نظر، وتدرك بغير حواس، وتشهد ربها شهودا غير زمانى ولامكانى، وهى مقيمة فى حضرته إقامة أيذية وتتلذذ بمطالعة جلالة وبمايسرى لها منه من الفضل والشرف والكمالات الذاتية التى لاتفارق الجوهر، فحينئذ يكون الإنسان باقياً لايفنى. (١)

فهذه مقدمات لطريق الوصول والإتصال، كما يريدها الصوفية، فدرجة الوصول إلى الكمال الإنسانى، يكون فى القرب من الله تعالى، والقرب من الله تعالى لايكون إلا بقدر المعرفة والطاعة له، ومعرفته لاتكون إلا بالجوهر الملكى المفارق، إذا الجسم لايعلم لأنه ميت بالطبع والعمل الصالح هو أخلاق الذوات المجردة إذ الخير هو طبيعتها، فتوحيد الله تعالى هو ذاتها والسعادة فى التوحيد، والعمل الصالح والخير المحض، والسعادة والكمال فى الذات المجردة بالذات.

فأفهم الشريعة من هذا الوجه وتكون من السعداء الصوفية الجلد. (٢)

وابن سبعين فى بنائه الصوفى الفلسفى فى المعرفة لايريد أن يقف عند حد الإتصال بالعقول الروحانية وبالعقل الفعال واهب الصور وروح القدس عند الفلاسفة فقط بل يريد أن يصعد بالمعرفة إلى أعلى من ذلك وهى الإتصال بالحق الواحد، مصدر كل الموجودات ومفيض العقول والمعارف النورانية الروحية، وهذا هو مقصود الصوفى الحق وأصل الطريق الصوفى على الحقيقة كما يريده. فيذهب ابن سبعين فى رسائله إلى أن السعادة بالنسبة للإنسان فى القرب من الله تعالى، والعقل أقرب الموجودات إليه فالسعادة فى الإتصال بالعقل، وأن العقل جوهر

---

(١) ابن سبعين – الرسائل – ص٥٧ – ص ٥٨.

(٢) نفس المصدر السابق – ص ٥٨. ومابعدها.

روحانى غير مركب، وماليس بمركب لايفنى، فالعقل لايفنى، والعقل الروحانى لايدخل تحت الزمان ومالايدخل لايتغير، فالعقل لايتغير، وأن النعيم والسعادة والكمال فى الثبوت وعدم التبدل وإدراك الأشياء ومطالعة الأزل، وهذا كله فى العقل من صفة نفسه فالاتصال بالعقل هو الكمال الإنسانى.." (١) .

ولكن ذلك الإتصال بالعقل الكلى والفعال، ليس منتهى الصوفى، وغايته عند إبن سبعين، أذ أن كلمة الله تعالى هى المفيضة على كل جوهر، وهى المقومة والمتممة للكل، موجود، روحانياً كان أو جسمانياً، وأن الله تعالى لاوساطة بينه وبين مفعوله، وأن أمره هو الذى ينزل فى السموات والأرض، فعليك به، وعلى ذلك فإن مبادئ المتصوفة فى التوجه، هى من فوق العقول التى قد تزعم أنها غايتك، فأنك تزعم أن كمالك فى العقل الفعال، وأن لانصيب لك من الكل، إلا العلم به، والصوفى يجعل الكلى والفعال وبالجملة الروحانى والجسمانى من تحت قدمه عند توجهه إلى الحق بالحق، وذلك لإفتقارها. (٢)

وإذا كان ذلك كذلك، فأن أسباب الكمال عند الصوفية من أنحاء أخرى وهى: أن الصوفى يأخذ مقوماته الأولى من الفقيه فى الأعمال الشرعية، ومن الأشعرى فى الإعتقاد العقلى، ويركب على ذلك التوجه والمجاهدة والتوكل والتسليم والتفويض والرضى وهذا من أسباب الكمال عند البعض من الصوفية، وكذل التخلى عن غير الله تعالى، والتجلى ثمرة ذلك كله، كذلك من أسباب الكمال الصوفى الصدة، الإخلاص، وإستصحاب الحال، وثبوت القدم، والتجرد المحض، والتخلق الكلى وإستجلاب الخير وتحصيله عند الوجه بالجملة. (٣)

وقد إختلفت آراء المؤرخين ركتاب التصوف فى مذهب إبن سبعين الصوفى، فقد ذكر عنه عبد الرؤف المناوى/ ١٠٣١/هـ فى طبقاته "أن إبن سبعين إنتحل التصوف على قاعدة زهد الفلاسفة وتصوفهم، وعكف على مطالعة كتبهم، وجد وإجتهد، وجال فى بلاد المغرب، ثم رحل

---

(١) ابن سبعين - الرسائل - ص٥٩ - ص٦٠ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٦٠ - ص٦١ .

(٣) المصدر السابق - ص٦٣. كذلك إبن سبعين - الرسالة الفقيرية - (مجموعة رسائل أبن سبعين - ص١ - ص٢٢ .

وشاع ذكره، وكثرت أتباعه على رأى أهل الوحدة المطلقة، وأملى عليهم كلاماً فى العرفان على رأى الإتحادية، وصنف فى ذلك أوضاعاً كثيرة عنه أثبتوها فى البلاد.[(١)]

ويتفق الباحثون فى مذهب إبن سبعين الصوفى كذلك على أنه من الذين تأثروا بمذهب وحدة الوجود أو أنه كان صوفياً متفلسفاً متزهداً.[(٢)]

ونظراً لإختلاف الباحثين والمؤرخين حول حقيقة مذهب ابن سبعين الصوفى[(٣)] فإننا نكتفى بما ورد فى رسائله من آراء ومذاهب فلسفية، ونحاول أن نتبين حقيقة ماكان يدعو إليه فى قوله بنظرية الوحدة المطلقة أو وحدة الوجود .

فكما رأينا أن مذهب إبن سبعين/ ٦٦٨/هـ/ أو ٦٦٩هـ/ فى المعرفة يتدرج به من الإتصال بالعقل الفعال مصدر الفيض الإشراقى النورانى إلى التوجه الكلى إلى الله تعالى، متخطياً العقول أو الوسائط، لكى يتلقى المعارف من الله تعالى، وفيضه النورانى أو الصعود بالحق إلى الحق. أو التوجه بالحق إلى الحق[(٤)].

وفيما يتعلق بنظرية الوحدة المطلقة ووحدة الوجود، فقد نستطيع أن نستدل على ذلك مما ورد من تفسير له فى مبادئ الشريعة، على طريقة التفلسف الصوفى، فيقول فى تفسير كلمة " لاإله إلا الله" وهى أول وظيفة من وظائف الشريعة. فإنها تتضمن أن لافاعل إلا الله، فكل موجود فى الكون الله أوجده من حيث هو فاعله والفاعل لايفارق مفعوله وهو معه بالإيجاد والإبقاء، ولاوجود للشئ إلا به، فهو الأصل الضرورى فى وجود كل شئ ولكل شئ حقيقة، وهو وجوده الذى هو به ماهو ووجود كل شئ الذى هو به ماهـو به، ومنه وعنه وإليه، هو حقيقة كل شئ وماهيتـه ووجوده، فالله هو الحقيقة الجامعة، فإذا كان هو حقيقة كل شئ، فالأشياء كلها هى به على ماهى عليه، فهو الحقيقة الموجودة فى كل حقيقة، وهو الذات المستحقة بذاتها لكل ذات،

---

(١) راجع عبد الروف المناوى - تراجم السادة الصوفية حـ٢/ ط المكتبة الأزهرية بمصر - ١٩٣٨م .

(٢) دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام ص١٨٧ .

(٣) لمزيد من التفاصيل - راجع - دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٥٤٣ ومابعدها.

(٤) راجع - إبن سبعين - الرسائل - ص٦٢ .

فهو مع كل شئ بوجوده، فلاغيبة ولاحجاب، والغيبة والحجاب هو الجهل بهذا الإتصال والإستحقاق، والغفلة عن شهوده فى كل شئ، بل شهوده ولاشئ معه.[1]

ويوضح شارح "رسالة العهد" قول إبن سبعين فى تفسير "فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به"[2] أنه أذا زال الغلط والجهل شاهد (العبد أو الولى) أن الحق هو سمعه وبصره، وأنه لم يزل كذلك ولايزال كذلك مع كل ممكن، والحق هو حقيقة كل شئ ووجود كل شئ، وإذا إرتفع الجهل ظهر إتفاق الوجود ووجدته، وهذا هو الصلح الذى يرد الإضاد والإغبار شيئاً واحداً، ويزيل الشتات ويعلم بعد زواله أنه لم تكن قط عداوة ولابغض، فصار الصلح زوال الغلط ورفع الإضافة.[3]

وغاية المراد عند إبن سعين، وكما يوضحه شارح رسالته "العهد" هو تحقيق الوحدة المطلقة فى الوجود، والله تعالى هو حقيقة كل شئ، ووجود كل شئ، وهذا مايستطيع أن نصل إليه بعد زوال الغلط والجهل فى معرفة حقائق الموجودات أو الوجود الحق المطلق فى الوجود وعند ذلك يتحقق العبد أنه لاتناقض ولا أغيار ولا أضداد، وأن مثل ذلك فى الوجودمجرد جهل ووهم أمر عرض.

ومما يزيد المذهب وضوحاً ماذكره أبن سعين فى رسالة "الألواح" فى تفسيره لأنواع الموجود، على طريقة مذاهب الفلاسفة المشائين فيقول "والموجود إما واجب الوجود وهو الكل والهوية، وإما ممكن الوجود وهو الجزء والماهية، فالربوبية هى الهوية التى هى الكل، والعبودية هى الماهية التى هى الجزء، فما من حقيقة منسوبة إلى الهوية بالأصالة إلا وإسمها كل، ومامن حقيقة منسوبة إلى الماهية بالأصالة إلا وإسمها جزء، ولاوجود لكل إلا فى جزء ولالجزء إلا فى كل، فإتحد الكل بالجزء فإرتبطا بالأصل وهو الوجود، وإفترقا وإنفصلا بالفرع، وهو نسبة مابه التعدد والتمييز. فالعامة والجهال غل عليهم العارض وهو الكثرة والتعود، والخاصة العلماء غلب عليهم الأصـل وهو وحدة الوجـود، فمـن كان مع الأصل لم ينتقل ولم يتحـول وثبت على علمـه

---

(١) إبن سبعين – رسالة العهد (شرحها) – ص٨٢ .

(٢) حديث صحيح – ورد بصحيح البخارى باب التواضع .

(٣) إبن سبعين – المصدر السابق – ص١٠٢ .

وتحقيقه، ومن كان مع الفرع تحول وإنتقل وكثرت عليه الأمور فنسى وسها وجهل، وإذا إنقسمت الأشياء لم تعلم معاً، وإذا توحدت علمت علمها وعلمها ذاتها" (١).

وجدير بالذكر أنا إذا تتبعنا فلسفة إبن سبعين الصوفية نجده فى المعرفة والوحدة المطلقة ووحدة الوجود مزيج مختلط من أمشاج مختلفة كما ذكرنا من قبل، بالإضافة إلى تدرجه إلى القول بشئ من فكرة الإتحاد والحلول، على الرغم من نقمته الشديدة على القائلين بذلك من متفلسفة الصوفية السابقين عن الحلاج الصوفى الحلولى الإتحادى، أنه لم تحذقه العلوم ولم تؤدبه المعارف. (٢)

ولكن من خلال تناولنا لعناصره الفلسفية الصوفية كما ورد من نصوص فى رسائله، قد نجد شذرات هذه الأفكار، على الرغم من غموض مذهبه الشديد. وتلاعبه بالألفاظ والتراكيب اللفظية.

ونستند على ذلك ببعض النصوص. إذ يقول فى رسالة "الإحاطة" أن الإحاطة شبه مغناطيس، والموجودات كالحديد، والنسبة الجامعية بينهما هوية الوجود، والذى فرق بينهما هو وهم الوجود. (٣)

وفى موضع آخر نجد هذا القول "الوحدة حضرة الواحد وغبطة المتوحد" (٤).

كذلك نجد هذا القول "قالت الإحاطة: أنا آنية الآنيات وهوية الهويات. وماهية الماهيات، وكل ذلك قل أو كثر معنى واحد، وذلك المعنى هو أنا ومن قال معى أنا أوقعته فى العناء، إلا أن قائلها من حيثى ويصرف الشاهد والمشهود إلى جميع الأوهام ويدور بالسلب من أجلى، على حينئذ يكون أنا قال لها: قد كان ذلك، قالت له: فأنت أنا، وأنا أنت، وأنت وأنا معناه، أنا، وهذه كلمات دافعة إذا لم تتصرف إلى الإفتقار ولاتتطور فى مرات الوهم ، والإفتخار، تكون مكانتها من الوهم والكذب، وخير فى خطة غالطة ومكانة باطلة" (٥).

---

(١) إبن سعين – رسالة الألواح – (ضمن رسائل إبن سبعين) – ص١٩٤ .

(٢) دكتور – إبراهيم مدكور – فى الفلسفة الإسلامية – حـ١ – ص٦٣ .

(٣) إبن سبعين – رسالة الإحاطة – (ضمن مجموعة رسائل إبن سبعين) – ص١٤٥ .

(٤) نفس المصدر السابق – ص١٤٨ .

(٥) المصدر السابق – ص١٤٧ – ص١٤٨ .

ولاشك أن فكرة "الإنسان الكامل" كان لها دور كبير فى فلسفة إبن سبعين الصوفيـة، شأنه فى ذلـك شأن فلاسفة التصـوف المتأخرين، وقول أصحـاب الطـرق الصوفية فى نظرية "القطب" فإبن سبعين وهو يريد أن يتحقق حقيقة الحقائق، ويصل بنفسه، ويصعد ذاته إلى مبدع الخلائق أراد أن يؤكد فكرة أو نظرية "الإنسان الكامل" أو من يريد أن تتحقق فيه صفات الكمال الإنسانى وتحصيله.

وقد أشار لهذه النظرية فى أكثر من موضع فى رسائله وإن كان إبن سبعين بحاجة إلى دراسات دقيقة ومتأنية لسبر أغوار نظرياته الصوفية الفلسفية(١) فإننا نعطى تفاصيل بعض هذه النظريات بقدر مايحتمل موضوع هذا البحث، ومالهذا من صلة قوية بإعتقاد أصحاب الطرق المتأخرين فى "القطب" فقد إهتم إبن سبعين/ ٦٦٨/ هـ بنظرية الإنسان الكامل من خلال مايتحدث عنه فى رسائله إذ يبحث عن كيفية الوصول إلى الكمال الإنسانى، ونستطيع أن نستنبط ذلك من خلال عباراته الممتزجة بجوهر مذهبه الفلسفى الصوفى، الذى يقوم على عناصر فلسفية ومعانى ذوقية روحية نورانية.

يقول إبن سبعين فى ذلك "فمن علم الأمر بكماله على الروح والروح هنا شئ ما لمعنى، لأنه فاعل أو منفعل، ومن كان ذلك كان نور الله المظلم، ومن كان نور اللـه المظلم، كان روحـه القائم فى الأشيـاء، وبه قامـت ومن كـان روحـه القائـم فى الأشياء كما قيل كان نور الله الكاشف، ومن كان نور الله الكاشف كان روحه القائم بذاته، ومن كان روحه القائم بذاته كان هو الأشياء ووجه أنقص، ومن كانت الأشياء هو بوجه أنقص، كان الإحاطة الصمدية، ومن كان الإحاطة الصمدية كان هو الأشياء بوجه أكمل ومن كان ذلك بجملته كان "الكامل" المذكور الذى ذكرنا فى قولنا "إن كان تحصيل الكمال الإنسانى" إلى آخره وكان المكمل لما سواه" (٢).

---

(١) لم تتوفر دراسات عميقة ومتأنية عن مذهب إبن سبعين فى التصوف الفلسفى فى هذه الفترة المتأخرة إلا بعض هذه الدراسات والتى أعدها : أستاذنا الكبير، والعلامة البارز التفتازانى- فى رسالته للدكتوراه عن م "إبن سبعين" كذلك مانشره المستشرقون من دراسات عن رسائله المتعددة، وماقام بتحقيقه الدكتور عبد الرحمن بدوى من هذه الرسائل التى ذكرناها من قبل بالإضافة إلى بعض الدراسات المتوارية فى بطون الكتب والمؤلفات لبعض الباحثين فى العصر الحديث .

(٢) أبن سبعين - رسالة الإحاطة - (مجموعة الرسائل) ص١٣٨.

ولكن يبدو أن مرتبة الكمال التى يريد إبن سبعين التنبيه عليها تتوفر فى الإنسان الكامل، الذى فضله الله تعالى على سائر الخلق وهو النبى، سيدنا محمد ﷺ.

ولم يفصح كما رأينا فى رسائله، عن إنسان آخر من خلال ماورد من مواقفه، ومخاطباته المشيعة بالرمز والألغاز، وإذا كان ذلك كذلك، فإن إبن سبعين يذهب فى نهاية "رسالته فى جملة أنوار النبى" ﷺ[1] يقول فى النور الثالث والثلاثون : "وهو المكانة الكبرى، فهو يكشف عن جلاله ﷺ فى التكميل وفى التجديد، وفى التتميم، وعوالم غير هذه ومعنى غير هذا كله، وأيضاً كون بعض أمته يتجلى خاصة وللناس عامة، وهذه مرتبة أعلى مماذكره، وبهذا يكشف له ﷺ، عن أمر ماعند العقول منه ماتفرض مقدمة ولاتضيع قضية ولاتنقل بخاصية صناعية، وهذا يجب الإمساك عليه فاعلم ذلك كله وكيف كشف له حتى أن أموراً قل وجودها فى الملائكة فكيف فى غيرهم، وهذا كشف لنا أنه فى عوالم غير هذه، ويقى فى ذلك "وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين" سورة الأنبياء آية (١٠٧).

فاعلم، ولاتقل يامن هو من أهله إلا أنه هو النور المحض، وله مالا عين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر"[2].

وإبن سبعين بأسلوبه الرمزى ومعانيه الفلسفية يشير فى خفر إلى حقيقة مذهبه القائم على "نظرية الإنسان الكامل" وهو فى عرف الصوفية المتأخرين - الحقيقة الكبرى فى الوجود - وهى الحقيقة المحمدية، وهى الحقيقة النورانية السارية فى أرجاء الكون منذ الخليقة الوجودية، سارية مفعولها فى خواص أهل الحقيقة من الأولياء والحكماء، وأستطيع أن أستنبط من خلال نصوص أبن سبعين الواردة ذكرها من قبل، إنه يعتبر نفسه أحد هؤلاء الخواص من أهل الحق والعرفان بالحقيقة. إذ أنه على صلة بالله تعالى - يقول إبن سبعين لتلميذه المباشر على بن عبد الله النميرى الششترى المتوفى عام/ ٦٦٨هـ/ أنه إذا كان يريد الجنة فعليه بإتباع أبى مدين/ ٥٩٤هـ/ أما إذا كان يريد صاحب الجنة فليتبعه هو، ولذلك فإن إبن سعين يحدد إتجاهه بأنه هو مع الله تعالى[3].

---

(١) إبن سبعين - رسالة فى أنوار النبى (ﷺ) (ضمن رسائل إبن سبعين) - ص٢١٠ - ص٢١١ .

(٢) إبن سبعين - رسالة فى أنوار النبى (ﷺ) (ضمن رسائل أبن سعين) - ص٢١٠ - ص٢١١ .

(٣) دكتور - عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام، ص٥٦٠ - ص٥٦١ .

ومن الجدير بالذكر أن إبن خلدون/٨٠٨/ هـ ندد بنظريات ومذاهب هؤلاء المتصوفة المتأخرين وقولهم "بالوحدة المطلقة" "والقطب" والإنسان "الكامل" و"الحقيقة المحمدية". وهذه الأساليب التى تحتمل معانى ورموز مكتوبة لاتتفق مع الشريعة الإسلامية، بل ويرفض إتجاهات هؤلاء وخروجهم عن الدين، بالإضافة إلى كونهم خالفوا بذلك سنة الرسول عليه السلام[(١)].

٤ - *أبو الحسن الششترى :*

ربما يتتبع الششترى/٦٦٨/ هـ آراء وطريق إبن سبعين ٦٦٩هـ أو/٦٦٨/هـ فى الوحدة المطلقة والحقيقة المحمدية متأثراً فى ذلك أيضاً بنظريات وطريقة الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى/ ٦٣٨هـ/ وقد إهتم الششترى، بصياغة نظرياته فى تعبيرات رمزية وأسلوب تغلب على صياغته اللغة العامية، فقد وصفه المؤرخون بأنه كان ينظم آراءه المختلفة بطريقة الموشحات والأزجال[(٢)].

ولكننا نعطى بعض التحليلات لمجمل مذهبه الصوفى الفلسفى، وخصائصه بإعتباره من رواد مدارس التصوف الفلسفى فى العصور المتأخرة.

لقد ذكر الدكتور النشار فى دراسته العميقة عن فلسفة الششترى الصوفية، ورموزه وأشعاره[(٣)] إن أبن تيمية/ ٧٢٧هـ/ أول من تنبه إلى أهمية الششترى ويشير على أنه واحد من كبار صوفية وحدة الوجود الذين أثروا فى إقامة هذه المذاهب، وكان لهذا الرجل أبلغ الأثر فى العامة أثناء إقامته بمصر، نظراً لرواج أشعاره العامية، كذلك كان لآراءه أبلغ الأثر فى المغرب والأندلس متأثراً بآراء أستاذه عبد الحق بن سبعين[(٤)].

---

(١) لمزيد من الدراسة واتفاصيل راجع - إبن خلدون المقدمة - ص٤٧٠ - ص٤٧٤ .

(٢) لمزيد من الدراسة راجع - دكتور على سامى النشار - ديوان أبو الحسن الششترى - المقدمة - ص٤ - ط - القاهرة ١٩٦٠م كذلك رسالته للدكتوراه (الششتر فلسفته وشعره) لدى جامعة كمبردج عام ١٩٤٨م .

(٣) راجع إبن خلدون - المقدمة - ص٣٣١ - ص٣٣٢ .

(٤) راجع إبن خلدون - المقدمة - ص٣٣١ - ص٣٣٢ .

ويقوم جوهر مذهب الششترى/ ٦٦٨هـ/ على نظرية "وحدة الوجود" . التى تأثر فيها بآراء كل من إبن عربى/ ٦٣٨هـ/ وعبد الحق إبن سبعين ٦٦٩هـ/ ويتضح ذلك من خلال هذه العبارة "وسواء كان هذا الرجل هو الله أو الإنسان، فإنه واحد فى مظهره وفى جوهره وليست ثمت سواه" (١).

وتذكر المصادر أيضاً أن الششترى تأثر فى رحلاته المتعددة بكثير من التيارات بالإضافة إلى أستاذه إبن سبعين فقد تردد أثناء تطوافه على كثير من الأديرة المسيحية وقابل رهبانها. مما أثر فى شعره وزجله وقد روى المقرى/ فى نفح الطيب أن الششترى خلف إبن سبعين فى الإمامة على الفقراء المتجردين من الصوفية. (٢)

ويبدو أن الششترى لم يكن يهتم بالنظر العقلى إذ يعود إلى الدخول مباشرة إلى رحاب النورانية الإلهية، والوصول إلى الوحدة المطلقة والتوحد بها بقوله:

تقيــدت بالأوهــام لمـا تداخـلـت عليك ونور العقل أورثك السجنا

فلا تلتفت فى السير غير وكلمـا سوى الله فإتخذ ذكره حصنـا(٣)

والششترى، مثل شعراء متأخرى الصوفية حيث صاغ أصول مذهبه، فى أشعـار وأزجـال إذ يمزج فيها أصول مذهبـه الفلسفى، ومعانيـه الوجودية بمعانيـه المعرفية الذوقية، ومستخدماً الألفاظ الحسنة مشيراً إلى كل مايحتمله من معانى ذوقية ومفاهيم باطنية وأشواق ومواجيد.

معنى ذلك أن الششترى. كإبن الفارض/ ٦٣٢/هـ وجلال الدين الرومى/٦٧٢هـ/ أسلوباً ومنهجاً فنجده يردد مصطلحاتهم وأفكارهم، وغزلهم فى الذات وهيامهم فى الوحدة المطلقة أو الوجود المطلق. فنجده يهيم حباً وشوقاً بالذات الإلهية. فهى محبوبة بنعتها بأوصاف حسية تحمل معانى ذوقية وأشواق من المحبة بمحبوبته. ويقصد بتلك المعانى الذاتية المجردة.

فما ذهب إليه الششترى فى غاية مذهبه فى الوجود المطلق، أو وحدة الوجود المطلقة الذى لم يكتشفه غيرنـا من الموجودات المفاضة سوى إعتبارات ومجازات، وقد رمز الششترى "بليلى"

---

(١) نظرنا: المقرى - نفح الطيب - حـ٧ - ص ١٦٢. القاهرة - ١٩٢٦م .

(٢) المصدر السابق، ص١٦٢ ومابعدها. جدير بالذكر أن الدكتور عبد القادر محمود إهتم بهذه الدراسة فى كتابه عن الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٥٦٠ .

(٣) المصدر السابق - ص٥٦٣. كذلك الدكتور النشار ديوان الششترى - ص٦٩ .

للوجود المطلق كما رمز له إبن الفارض "بمى وسعاد ولبنى وليلى" ومن هنا لم يكن الكون كله سوى هذا الوجود الذى يطوى كل الموجودات فى الوجه الآخر من وجهى الحقيقة فيما تسميه الخلق. يقول الششترى : -

غيـر ليلى لم يكـن فى الحـىّ حى	سل متى ماإرتبت عنها كل شـئ
كل شئ سرهـــا فيه ســـرى	فلـذا يثنـى علـىّ كـل شــئ
قال من أشهـد معنـى حسنـها	إنه منـتشـر والكــل طــى
هــى كالشمس تلألأ نورهـــا	فمتى مـاإن ترمـه عـاد فــى
هـــى كالمرآة تبـدى صـــوراً	قابلتها وبهـا ماحل شــئ
هــى مثلـــى لالــون لـهـا	وبهـا الألـوان تبــدى كل ذى

وجوهر مقصده فى مذهبه فى وحدة الوجود المطلق هو أن ينظر إلى مرآة نفسه فلا يرى فى المرآة إلا ظلاله، ماذا فى المرآة؟ هل فى المرآة حقيقة؟ إنه بعيد النظر ويدعونا معه إلى ذلك، وهو يعبر عن وحدة الوجود التى لاترى الكون إلا ظلالاً وإعتبارات ومجازات يقول الششترى:-

أيها الناظر فى سطح المـرى	أترى مـن ذا الـذى فيه ترى
هل هو الناظر فيه غيركـم	أم خيال منك فيه قد ســرى
أعـد النـظرة فيـها إنـــها	حـكمـة كامنـة بين الـورى

والحكمة كامنة أيضاً تحتاج إلى كشف النقيض كما فاض، وإنبثق الوجود، وهنا يصل الششترى بالوجود. وكشف المحبوب عن قلب المحب الغطاء وتجلى منه إليه يشاهد غيرة حسنه، ولم يبق فى الدير سوى المحب، ذلك الدير الذى يرمز للكون وماوراءه، وذلك المحبوب الذى هو كل شئ، ولاشئ سواه، وإنجلى الحجاب وزالت الأستار، ولم تكن الحجب والأستار سوى العاشق نفسه يقول الششترى : -[1]

---

(١) نظرنا فى ذلك الدكتور على سامى النشار - ديوان الششترى ص٨١ - ٨٢ - ،ص٦٣ . كذلك الدكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٥٦٦، ص٥٦٧، ص٥٦٨ .

ورأى الأشياء شـــيئا واحــداً	بل رأى الواحد وتراً دون شـئ
الحق قلت ومافى الكون غيركموا	أعذ بالله من علمى ومن عملى
ماللحجاب مكان فى وجودكـموا	إلا بسر حروف أنظر إلى الجبـل
ظهرتموا فخفيتم عن ظهوركـموا	أنتم دللتم عليكم بالدليل ولـى
ألستم دللتم عليكم منكم بكـموا	ديمومة عبرت عن غامـض الأزل

وديوان الششترى ملئ بالأشعار والرموز والألغاز التى تفيض غزلاً وحباً وعشقاً وتصويراً لمذهبه فى الوجود والمعرفة، وكل هذا يدل على ثراء مذاهب التصوف الفلسفى فى القرنين السادس والسابع الهجريين بمقارنة تيارات التصوف فى عصوره المتأخرة التالية، وماأصابه من تدهور وإنغلاق [1].

---

(١) لمزيد من الدراسة - أ نظر المصدر السابق - ص٥٦٨ وما بعدها .

« الفصل الثالث »

« فلسفة إبن عربى وطريقته »

الصوفيـــة

أولاً: التفلسف الصوفى لدى إبن عربى : -

نحن هنا أمام نزعة فلسفية صوفية فى بداية العصور المتأخرة فى القرنين السادس والسابع الهجريين وهذ النزعة تمثل حلقة من حلقات الفكر الصوفى، الذى قام على دعائم أو أصول فلسفية ، تمتزج بالأذواق والمواجيد الصوفية، كما سنرى، فإنها تعبر عن لون من ألوان إزدهار التصوف الإسلامى الذى تشبع بعناصر فلسفية مختلفة وأمشاج من الغنوصية، سواء كانت فارسية أم يونانية، نقصد بذلك أمشاج من غنوصيات الشرق المختلفة أو الأفلاطونية المحدثة. وقد إستمر هذا التيار فى هذه الفترة منذ أن أقام صاحب هذا المذهب وهو محى الدين بن عربى الملقب بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر والمتوفى عام ٦٣٨هـ، مدرسته الصوفية .

وكان لتيار هذا المذهب الفلسفى الصوفى، والذى يدين أصحابه بنظريات "وحدة الوجود" "والإنسان الكامل" "والحقيقة المحمدية".. وغيرها تأثير عميق فى شخصيات صوفية أخرى، مثل عبد الكريم الجبلى/ ٨٠٥هـ/ وعبد الوهاب الشعرانى/ ٩٧٣هـ/ .

لقد كانت شخصية إبن عربى(١) قوية وجبارة، بحيث شغلت دوائر التفكير الفلسفى والصوفى، وجذبت أنظار الباحثين قدماء ومحدثين، رأثر إبن عربى بفكرة رأذواقه فى كثير من دوائر التفكير شرقاً وغرباً .

---

(١) هو الشيخ الإمام المحقق رأس إجلاء العارفين والمقربين، صاحب الإشارات الكونية والنفحات الروحانية والفتح المونق والكشف المشرق، وهو أحد أركان الطريق، وقد وصفه معاصروه بالعرفان والولاية، ولقبه الشيخ أبو مدين سلطان العارفين، وله كتب رسائل مشهورة بأرض الروم، كان زاهداً متعبداً سائحاً دخل مصر والشام والحجاز والروم وله فى كل بلد دخلها مؤلفات، كان شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام يحط من قدره، ولكن عندما صحب أبو الحسن الشاذلى وعرف مقام وأحوال القوم وصفه بالولاية والقطبية توفى عام/ ٦٣٨هـ/ .

ولعل أهم مانجده فى منهج إبن عربى الصوفى، الإصطباغ بالصبغة الفلسفية، وقدرته الفائقة على التأليف بين الذوق الروحى والنظر العقلى، (١) وهذه الطريقة التى جاء بها إبن عربى فى القرنين السادس والسابع الهجريين، بمثابة احياء وتنشيط للنزعة الفلسفية، والنظرة العقلية الممتزجة بالأذواق والمواجيد الصوفية، وهومايعنى التقريب بين التصوف والفلسفة وهو مايذكرنا أيضا بنزعة التوفيق أو التقريب بين الفلسفة وعلم الكلام عند المتأخرين ابتداء من الإمام الغزالى/٥٠٥هـ/ وفخر الدين الرازى/٦٠٦ هـ/. (٢)

ولكن ابن عربى ٦٣٨هـ كان أكثر عمقا فى هذا الجانب، ومثال صادق من الأمثلة التى يصح أن تتخذ دليلا على مبلغ ماوقع بين الفلسفة والتصوف من التزاوج، فهو وإن كان صوفيا من أصحاب الأذواق، يصطنع مايصطنعه هؤلاء من رياضات ومجاهدات، ويؤثر مايؤثرون من ذوق تنكشف فيه الحقيقة، فقد انطوى كثير من مؤلفاته على قدر كبير من المعانى الفلسفية والمنازع الميتافيزيقيه، التى يخيل إلينا ونحن نقرؤها أن كلامه فيها أدنى إلى أن يصدر عن صاحب نظر عقلى واستدلال منطقى منه إلى أن يصدر عن صاحب ذوق ووجد وحال. (٣)

لقد استطاع ابن عربى صبغ التصوف فى مراحلة المتأخرة، بأنظار ميتافيزيقيه، نظرية، وإذا كان التصوف فى قمته النظرية يتلاقى مع الميتافيزيقا، فهذا ماأكد ابن عربى، بأنظاره الفلسفية الصوفية، فيما يعرف عنه بنظرية"وحده الوجود" ولهذا فقد أثر ابن عربى فيمن جاء من بعده من المتصوفة وبصفة خاصة الجانب النظرى الذى يناقش فكرة وحده الوجود. (٤)

وقد اصطنع ابن عربى طريقة الرمز والإشارة فى التعبير عن مقاصده ومافى باطنه من تصورات ومعان وجدانية، وهذه الرموز التى أودعها ابن عربى كثيراً من الكنوز، مماأغرب فيه، وأغرب به، عن كثير مما كشف من الحقائق، وماعرف من الدقائق، وماذاق من الرقائق ولم يكن

---

(١) دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص٧٨ .

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع دكتور فتح الله خليفى فخر الدين الرازى .ط دار المعارف ١٩٦٩م.

(٣) المصدر السابق - ص ١٨٠- ١٨١.

(٤) دكتور ابراهيم بيومى مدكور - الكتاب التذكارى "محى الدين بن عربى فى الذكرى المئوية الثامنة "- المقدمة - ط - الهيئة المصرية للتأليف والنشر - دار الكتاب العربى- ١٩٦٩م.

ابن عربى بأساليبه الرمزيه يدعى بين الصوفيه، وإنما كان مثله كمثلهم وربما كان الغرض الأول من استعمال (لغة الرمز) عند ابن عربى وغيره من المتصوفة هو التستر لإخفاء أسرارهم وعلومهم عمن ليس من أهله. (١)

وقد تحدث ابن عربى فى أكثر من رسالة له عما ينبغى ستره من العلوم التى أودعها فى هذا الكتاب أو الرسالة، ولإبن عربى رسائل كثيرة، منها رسالة "شق الجيب" يلتزم فيها الغموض والألغاز "فهو ينظر الى فحواها على أنه من العلوم التى يجب سترها، ولايجوز كشفها إلا لأربابها(٢) وابن عربى يحاول أن يلتمس مبرراً قرآنيا أو حديثاً نبوياً لطريقته الرمزية(٣) وهذه الطريقة كما ذكرنا ليست بدعا عند ابن عربى وحده فقد درج على هذه الطريقة وهذا الإسلوب كثير من الصوفية، النظريين، وأصحاب الطرق العملية أيضا.

ويؤسس مذهب ابن عربى الصوفى على عدة نظريات لها خطرها فى دوائر الفكر الصوفى المتأخر، مثل نظرية، "وحدة الوجود، ونظرية الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل" وخاتم الأوليا ء... ألخ.

---

(١) دكتور محمد مصطفى حلمى - كنوز فى رموز(ضمن الكتاب التذكارى محى الدين بن عربى) ص٣٧.

ومن الجدير بالذكر أن القشيرى /٤٦٥ هـ /يتحدث عن طائفة الصوفية حيث أنهم يستعملون ألفاظا فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيها لأنفسهم، والأصال والستر على من باينهم فى طريقتهم، لتكون معانى ألفاظهم مستبهمة علي الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع فى غير اهلها.. ألخ نظرنا - القشيرى - الرسالة القشيرية- ص ١٨٧.

(٢) المصدر السابق- ص ٣٨.

(٣) يقول ابن عربى "فهذه الأسرار التى أجرى الله العادة عند أهل الطريق ألا تأمن أحداً على كلامنا. ولذلك قال أبو يزيد رضى الله عنه "لايؤمن على سر من أسرار الله تعالى "وهى من العلوم التى أشار على بن أبى طالب رضى الله عنه وضرب صدره بيده وقال إن هاهنا لعلوما جمة لوجدت لها حمله، لقطعتم منى هذا البلعوم وإليه أشار النبىﷺ بقوله" ان العلم كهينة المكنون، لايعلمه إلا العالمون بالله. ويشير ابن عربى لآيات القرآن الكريم منها قوله تعالى "وتلك الأمثال نضربها للناس "سورة العنكبوت آى (٤٣)- راجع المصدر السابق ص٣٢- ص ٣٩ ابن عربى الفتوحات المكية ج٣- ص ١٩٦.

١- نظرية وحدة الوجود :

ففى نظرية وحدة الوجود - (والتى بسببها ثار عليه الفقهاء ثورة قوية منذ عصره حتى الأن) فيذهب "إلى أن الوجود كله واحد وأن وجود المخلوقات عين وجود الخالق عز وجل، لافرق بينهما من حيث الحقيقة، ويرى ابن عربى أن من يظن وجود فرق بين وجود الخالق ووجود المخلوق، فإن ذلك يقضى به الحس الظاهر والعقل القاصر عن إدراك الحقيقة على ماهى عليه فى ذاتها من وحدة ذاتية تجتمع فيها الأشياء جميعا، ويلخص ابن عربى نظريته فى وحدة الوجود بقول" سبحان من خلق الأشياء وهو عينها" وقوله :

ياخالق الأشياء فى نفسه — أنت لما تخلقه جامع

تخلق مالاينتهى كونه — فيك فأنت الضيق الواسع

ولابن عربى أقوال تؤكد هذه الحقيقة عنده وهذا يتضح فى قوله :

جمع وفرق فإن العين واحدة — وهى الكثرة لاتبقى ولاتذر

ولاشك أن ابن عربى بهذه الآراء يبين لنا أن وحدته الوجودية إنما تعنى إسقاط الأثنينية والكثرة فى الوجود العينى، إذ أن حضرة الجمع قد استوعبت كل شئ، والغت كل تغرقة، بحيث تكون الأشياء من عين واحدة، بل تكون عبارة عن هذه العين الواحدة، إذ الكل من حيث الحقيقة واحد يتكرر علي مظاهر متعددة، مثله فى ذلك كمثل الواحد من بقية الأعداد. إذا يتكرر فيها على أشكال متكثرة. (١)

ويورد ابن عربى نصاً فى الفتوحات المكية، يتحدث فيه عن "وجود الحق ووجود العالم "وليتضح من تحليله مضمون هذه الفكرة الوجودية، تأخذ منه هذه العبارات - يقول "إن الحقائق أعطت لمن وقف عليها أن لايتقيد وجود الحق مع وجود العالم لابقبلية، ولامعية ولابعدية

---

(١) ابن عربى - الفتوحات المكية - حـ ٢ - ص ٦٠٤- كذلك نصوص الحكم - ص ٦٩ تحقيق دكتور أبو العلا عفيفى ط ١٩٦٤م وكذلك نظرنا فى ذلك : دكتور محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام ص ١٨١- ص ١٨٢ - دكتور إبراهيم بيومى مدكور - فى الفلسفة الإسلامية - حـ٢ - ص٦٣.

زمانية، فان التقدم الزمانى والمكانى فى حق الله تعالى ترمى به الحقائق فى وجه القائل به على التحديد اللهم إلا أن قال به من باب التوصيل" (١)

ويوضح ابن عربى فكرته الأساسية بقوله "إن الحق تعالى موجود بذاته لذاته مطلق الوجود، غير مقيد بغيره ولامعلول عن شئ ولاعلة لشئ، بل هو جل وعلا خالق المعلولات والعلل، والملك القدوس الذى لم يزل، وأن العالم موجود بالله تعالى لابنفسه ولالنفسه مقيد الوجود بوجود الحق فى ذاته، فلايصح وجود العالم التيه إلا بوجود الحق. وإذا انتفى الزمان عن وجود الحق، وعن وجود مبدأ العالم، فقد وجد العالم فى غير زمان". (٢)

وفى نص آخر يقول ابن عربى "فلم يبق إلا وجود صرف خالص لاعن عدم وهو وجود الحق تعالى، ووجود عن عدم عين الموجود نفسه وهو وجود العالم، ولابينية بين الوجودين ولاامتداد ، إلا التوهم الذى يحيله العلم ولايبقى منه شيئا، ولكن وجود مطلق ووجود مقيد وجود فاعل ووجود منفعل، وهكذا أعطت الحقائق" (٣) .

وابن عربى بهذه النزعة الميتافيزيقية فى تحليله لمعانى الوجود، ينفى عن الوجود المطلق البينية الزمانيه والمكانية، بل إن الوجود بأكمله وحدة واحدة، فوجود الأشياء هى عن وجود الحق، "فليس ثمة الأكائن واحد موجود حقيقة هو الوجود كله وغير مجاز(٤) هذه الفكرة الوجودية عند ابن عربى، أصبحت فيما بعد عقيدة فكرية صوفية، كان لزاماً على المتأخرين من تلامذته تطويرها وتدعيمها، وهو مانجده عند تلميذه النجيب عبد الكريم الجيلى/٨٠٥/هـ فى كتابه الإنسان الكامل، وسوف يتحتم على الإمام عبد الوهاب الشعرانى /٩٧٣/ هـ ضرورة توضيحها وشرحها بحيث يتمكن من التخفيف من صداها عند الفقهاء ومتأخرى الصوفية

---

(١) ابن عربى - الفتوحات المكية - السفر الثانى- ص- ٧٦. وفى السفر الثالث يتحدث ابن عربى عن "سر المنازل أو تجليات الحق فى الصور"يقول " وأما سر المنزل والمنازل فهو ظهور الحق بالتجلى فى صور كل ماسواه فلولا تجليه لكل شئ، ماظهرت شيئية ذلك الشئ "ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق - ص ٧٧.

(٣) نفس المصدر- ص ٧٨.

(٤) نفس المصدر السابق - ص ٧٨ ومابعدها.

المعتدلين، من خلال كتابيه اليواقيت والجواهر "والكبرت الأحمر في شرح عقيدة الشيخ الأكبر" ولعل الفكرة الجوهرية التى تستطيع استنباطها من مذهب ابن عربى فى الوجود، هو محاولته "لوضع النفسى المنتظم فى تفسير العالم، ويكون هدفه النهائى هو رفع كل تعدد وتكثر فى الحقيقة العقلية إلى الوجود الأول الإلهى الواحد" (١).

٢ - الحقيقة المحمدية - الإنسان الكامل :

ومن النظريات الهامة، التي كان لها تأثير عميق فى متأخرى الصوفية من الجانتب النظرى الميتافيزيقى، نظريته فى "الحقيقة المحمدية أو الإنسان الكامل".

فقد تناول ابن عربى هذه النظرية فأشبعها تحليلا وبحثا الأمر الذى أدى إلى شييوعها بين أوساط الصوفية وأصحاب الطرق، وماصدر عنها من متولدات أخرى كنظرية القطبائية، والولاية، والإنسان الكامل. مانجد له صدا عميقا فى بطون المؤلفات والشروح الصوفية عند المتأخرين .

ونظرية الحقيقة المحمدية، عند ابن عربى والتى يسميها أحيانا بالقطب وبروح الخاتم والإنسان الكامل، "هى المنبع الفياض القديم بأنواع الكمالات العلمية والعملية التى تحققت فى الأنبياء من لدن آدم حتى النبى محمد ﷺ ، تحققت فى أتباعه من الأولياء وأفراد الإنسان الكامل.وقد تذكرنا هذه الفكرة بماسبق عند الحلاج /٣٠٩ هـ/ ونظريته فى النور المحمدى، (٢) بل وكثيرا مانجد ابن عربى يضع فى هذه النظرية أفكاراً قد نمت إلى التشيع بصله، وهو الأمام علـى بن أبى طالب رضى الله عنه.

ومن الجدير بالذكر أن ابن عربى قد درج هذه النظرية ومتولداتها من نظريات متعلقة بها فى كتابه الفتوحات المكية، بالإضافة الى بعض المؤلفات الأخرى. (٣)

---

(١) هانز هنرش شيدر - نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين، ومصدرها وتصويرها الشعرى"(بحث منشور ضمن كتاب الإنسان الكامل) ترجمة وتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى ص ٦٣- حـ ١ وكافة المطبوعات الكويت - ١٩٧٦.

(٢) دكتور محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص ١٨٢- ص ١٨٣.

(٣) على سبيل المثال - رسالة ابن عربى "عنقاء مغرب فى ختم الأولياء وشمس المغرب، كذلك رسالته عن شجرة الكون، من مطبوعات مكتبه أولاد صبيح بالأزهر.

ولنذهب مع ابن عر، ـ خلال الفتوحات المكية ورسائله الأخرى فى إستعراض هذه النظرية، وجمع متفرقاتها فى نسق فلسفى صوفى متكامل.

يقول ابن عربى فى السفر الثانى من الفتوحات المكية "الجزء الحادى عشر الباب السادس" فى معرفة بدء الخلق الروحانى ومن هو أول موجود فيه" فى آخر أبيات نظمها:

فالحمد لله الذى أنا جامـــع لعلومها ولعلم مالم يعلم (١)

وهذا البيت من منظومته الشعرية يلخص نظريةابن عربى بأكملها فى الحقيقة الأولى للوجود - والتى خلق العالم والوجود من باطنها وأصلهاوجوهرها، وعنها فاضت الكمالات العملية وهى الحقيقة المحمدية - الجامعة للعالمين الأكبر والأصغر.

يقول ابن عربى "بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية، ولاأن يحصرها لعدم التحيز، ومما وجد العالم؟ وجد من الحقيقة المعلومة، والتى لاتتصف بالوجود ولابالعدم وفيم وجد؟ وجد فى الهباء، وعلي أى مثال وجد؟ وجد على مثال الصورة المعلومـة فى نفس الحق، ولم وجد؟ وجد لإظهار الحقائـق الإلهية وماغايته؟ غايتـه التخلص من المزجة، فيعرف كل عالـم حظه من منشئه من غير إمتزاج، فغايته أى غايـة العالم إظهار حقائقه، أى حقائق الحق أو حقائق الخلق، ومعرفة أفـلاك الأكبر من العالم وهو ماعدا الإنسان، والعالم الأصغر يعنى الإنسان - روح العالم وعلته وسببه" (٢)

وينتقل بن عربى من تفصيل ذلك المجمل من الحقائق الكلية فى إظهارالمراد بالحقيقة المحمدية والهباء فيقول "كان الله ولاشئ معه، ثم أدرج فيه أى هذا الحديث وهو الآن على ماعليه كان، لم يرجع اليه سبحانه من إيجاده العالم صفة لم يكن عليها، بل كان موصوفاً لنفسه، وسمى قبل خلقه بالأسماء التى يدعوه بها خلقه فلما أراد تعالى وجود العالم وبدأه على حد ماعليه بعلمه بنفسه إنفعل عن تلك الإرادة المقدسة، بضرب تجلى من تجليات التنزيه، إلى الحقيقة الكلية، تقول إنفعل عنها حقيقة تسمى الهباء، هى بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيها ماشاء من الأشكـال والصور، وهذا هو أول موجـود فى العالـم، ثم أنه سبحانـه تجلى بنوره إلى ذلك الهبـاء

---

(١) ابن عربى - الفتوحات المكية - السفر الثانى .

(٢) ابن عربى - الفتوحات المكية. - ص ٢٢٠.

ويسميه أصحاب الأفكار الهيولى الكل، والعالم كله فيه القوة الصلاحية، فقبل منه كل شئ فى ذلك الهباء على حسب قوته وإستعداده، كما تقبل زوايا البيت نور السراج. وعلى قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله قال تعالى "مثل نوره كمشكاة فيها مصباح" سورة النور آية (٣٥)، فلم يكن أقرب إليه تعالى، قبولاً فى ذلك الهباء، إلا حقيقة محمد ﷺ ، المسماه بالعقل، فكان سيد العالم بأسره، وأول ظاهر فى الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الإلهى، ومن الهباء، ومن الحقيقة الكلية، فى الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه، وأقرب الناس إليه كان على بن أبى طالب[١] وأسرار الأنبياء .

والمثال الذى وجد عليه العالم كله، فهو العلم القائم بنفس الحق تعالى، فإنه سبحانه علمنا بعلمه بنفسه، وأوجدنا على حد ماعلمنا، ونحن على هذا الشكل المعين فى علمه[٢].

وبعد ماأوضح إبن عربى جوهر الحقيقة المحمدية وصل العالم بأسره منها وفيضه من كمالاتها النورانية يوضح كذلك روحانية النشأة المحمدية وأوليتها فى الوجود الروحانى .

فيقول "إعلم أيدك الله، أنه ورد فى الخبر أن النبى ﷺ قال "أنا سيد ولد آدم ولا فخر" [٣] وفى صحيح مسلم "أنا سيد الناس يوم القيامة" فيثبت[٤] السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر، وقال عليه السلام "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين" [٥] يريد أنه كان على علم بذلك، فأخبره الله تعالى بمرتبته وهو روح قبل إيجاده الأجسام الإنسانية، كما أخذ الميثاق على بنى آدم قبل إيجاده أجسامهم، وألحقنا الله تعالى بأنبياءه بأن جعلنا شهداء

---

(١) هذه نزعة شيعية واضحة عند إبن عربى، كما أشرنا فيما سق، راجع الفتوحات - الهامش - ص٢٢٧ (على بن أبى طالب رضى الله عنه إمام وسر الأنبياء أجمعين) وهذه النزعة الشيعية تجدها متوفرة عند الصوفية المتأخرين فيما صدر عنهم من روايات وأقاصيص عن الإمام كرم الله وجهه.

(٢) إبن عربى - الفتوحات - ص٢٢٦ - ص٢٢٧ .

(٣) حديث صحيح - رواه بن ماجة فى سننه .

(٤) رواه عبد الله بن عمر وأخرجه مسلم وإبن ماجة والترمذى .

(٥) إبن عربى - الفتوحات السفر الثالث - ص٢٩١ - ص٢٩٢ .

على أممهم معهم، حين يعث من كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وهم الرسل، فكانت الأنبياء في العالم نوابه ﷺ. من آدم إلى آخر الرسل عليهم السلام [1].

فالنبي ﷺ أسبق الأنبياء والناس أجمعين روحانية وعلى ذلك فإن روحانيته ﷺ أصل للروحانيات يقول إبن عربي "فروحانيته ﷺ موجودة، وروحانية كل نبي ورسول، فكان الإمداد يأتي إليهم من تلك الروح الظاهرة بما يظهرون به من الشرائع والعلوم في زمان وجودهم ووجوده ﷺ. وإلياس وخضر عليهما السلام وعيسى عليه السلام في زمان ظهوره في آخر الزمان حاكماً بشرع محمد ﷺ في أمته المقرر في الظاهر، ولكن لما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه ﷺ، أولاً نسب كل شرع إلى من بعث به، وهو في الحقيقة شرع محمد ﷺ وإن كان مفقود العين من حيث لايعلم، ذلك كما هو مقفول العين الآن وفي زمان نزول عيسى عليه السلام والحكم بشرعه. [2]

إذن فالحقيقة النورانية المحمدية موجودة وأولية في الوجود، ومبثوثة في أرجاء الكون والموجودات، وروحانيتها، أصل الروحانيات، والروحانيات كلها تتبعها ومستمدة منها، حتى قيام الساعة.

والروح المحمدية هي الروح المدبرة، ولها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة . وعليه كان استدارة الزمان وميزان الكون والموجودات .

يقول ابن عربي في ذلك "إعلم أيدك الله،أنه لماخلق الله الأرواح المحصورة المديدة للأجسام بالزمان عند وجود وحركة الفلك، لتعيين المدة المعلومة عند الله تعالى، وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح محمد ﷺ ثم صدرت الأرواح عند الحركات فكان لها أي لروح محمد وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة، وأعلمه الله بنبوته ويشره بها وآدم لم يكن إلا كما قال ﷺ "بين الماء والطين" [3] وإنتهى الزمان بالإسم الباطن في حق محمد ﷺ إلى

---

(١) هذا الحديث "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين" ورد في سنين الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب - كذلك ورد بصيغ متعددة : في طبقات ابن سعد جـ١ ص٩٦ وورد في كتب أهل السنة بصفة عامة .

(٢) ابن عربي - الفتوحات - ص ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق - ص ٣٣١.

رجود جسمه وإرتباط الروح به، فعند ذلك إنتقل حكم الزمان فى جريانه إلى الظاهر، فظهر محمد ﷺ بذاته جسماً وروحاً، فكان الحكم له باطناً، ثم صار الحكم له ظاهراً، فنسخ كل شرع أبرزه الإسم الباطن .

فاستدار الزمان، بانتهاء دورته بالإسم الباطن، وابتداء بدورة أخرى بالإسم الظاهر. (١)

والحقيقة المحمدية - الروح المحمدية - سيدنا محمدﷺ كان ظهوره بالميزان، وهو العدل فى الكون، وهو معتدل، لأن طبعه الحرارة والرطوبة، فكان ظهوره عليه السلام من حكم الأخرة، فإن حركة الميزان بالآخرة إلى دخول الجنة والنار، فقد أعط محمدﷺ علم الأولين والآخرين. وقد ثبت للنبىﷺ السيادة فى العلم فى الدنيا وثبت فى الحكم أيضا... (٢)

ولما كانت الحقيقة المحمدية على هذه الصورة من الأولية ومشبعة بالكمالات العلمية والعملية. كما يصورها ابن عربى بأساليبه الرمزية وفلسفته الصوفية، فلاشك أنها تعبر عن الأنسان الكامل الذى تتحقق فيه الكمالات الإنسانية علما وعملا، وهو الروح السارى أثره فى الزمان وعالم الأكوان .

ويشير إلى ذلك إبن عربى فى السفر الثالث من الفتوحات المكية يقول فى مسألة الإنسان الكامل "أنه اكمل نشأه ظهرت فى الموجودات وهى الإنسان، عند الجميع، لأن الإنسان الكامل وجد على الصورة لا الإنسانية الحيوانية والصورة لها الكمال(٣) وأعتقد أن ذلك يشير عند ابن عربى إلى مغزى الحديث القدسى "إن الله خلق آدم على صورته"(٤) فالصورة التى خلق الله تعالى آدم عليها هى أكمل صور الإنسانية فى علمه سبحانه وتعالى، وهى التى خلق على مثالها الإنسان، والنور المحمدى هى الروح الإلهى الذى نفخ الله تعالي منه فى آدم، فالحقيقة المحمدية هى مبدأ الحياة، ومركزها في العالم والإنسان الكامل الذى هو روح محمد ﷺ كائن فى الأنبياء من آدم الى محمد وفى الأولياء والصالحين.

---

(١) المصدر السابق - ص ٣٣١.

(٢) المصدر السابق - ص ٣٣٢- ص ٣٣٣.

(٣) ابن عربى - الفتوحات السفر الثالث - ص ٦٤.

(٤) حديث قدسى "ان الله خلق آدم على صورته " صحيح البخارى استئذان (١)- صحيح بر ١١٥ جنه ٩٨، مسند أحمد ابن حنبل حـ ٢/٢٤٤-٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣، ٤٣٤، ٤٦٣. ، ٥١٩.

فالحقيقة المحمدية هى أكمل الصور الإلهية التى تتحقق فيها أصل معانى الإنسانية، لذلك نجد ابن عربى يذهب فى تصوير ذلك فى رسالته"عنقاء مغرب "فيقول"وأول النشئ نشأة سيدنا محمد ﷺ على أكمل وجه وأبدع نظام بحر اللؤلؤ والمرجان المودع فى العالم الأكبر والإنسان، ولما تعلقت إرادة الحق سبحانه بايجاد خلقه وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية فى الحضرة الأحدية، أو هذه الحقيقة المحمدية سلخ منها العالم، ثم إن الله سبحانه وتعالى لما اقتطع القطعة المذكورة مضاهية للصورة. أنشأ منها محمدا عليه السلام على النشأة التى لاتنجلى أعلامها، ولايظهر من صفاته إلا أحكامها، ثم اقتطع العالم كله تفضيلا على تلك الصورة، وإقامة متفرقا على غير تلك النشأة المذكورة إلا الصورة الأدمية الإنسانية، فإنها كانت ثوباً على تلك الحقيقة المحمدية، النورانية. ثوبا يشبه الماء والهواء فى حكم الدقة والصفا، فتشكل بشكله، فلذلك لم يخرج فى العالم غيره على مثله..

فصار حضرة الأجناس اليه يرجع الجماد والناطق والحساس وكان محمدﷺ نسخة من الحق بالأعلام وكان آدم نسخة منه علي التمام ، وكنا نحن نسخة منهما عليهما السلام. وكان العالم أسفله وأعلاه نسخة منا"(١) .

ومما سبق من تحليلات نصوص محى الدين بن عربى فى هذاالمجال يتضح لنا أن النبى ﷺ يصبح أنموذجا للإنسان الكامل الذى ينظر على أنه الغاية من حوادث العالم ومعناه، وأنه الوسيط بين الكل الواحد الإلهى وبين مظهره الخارجى لقد خطى ابن عربى فى تحليل مستقصى الأطراف خطوة حاسمة حينما فك فكرة الإنسان الكامل من القيد العينى بالنبىﷺ ، وعن هذا الطريق أمكنه أن يضعها فى نظرة عامة على قمة مذهبه حتى يعطيها إنطباعاً وتفسيراً يمتدان إلى كل إتجاهات بنائه المذهبى، مستثمراً فى ذلك كل ماوصله من روايات وأقوال تتعلق بالإنسان الأول، وبالكلمة "للغوس" بوصفها حاملة الوحى الإلهى، بالعالم الأصغر، وبالنبى والولى مفهومين بالمعنى الغنوصى" (٢)

---

(١) ابن عربى - عنقاء مغرب فى ختم الأولياد وشمس المغرب ص ٣٢ ص٣٣ - ص ٣٤- ص ٣٥ - ص٣٦- ص ٣٧ ص ٣٨ ط أولاد صبيح بالأزهر ١٩٥٤م

- راجع كذلك - شجرة الكون- ط أولاد صبيح - الأزهر ١٩٦٧م .

(٢) هانز هينرش شيدر - نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين (ضمن كتاب الإنسان الكامل) ترجمة عبد الرحمن بدوى - ص ٦٦- ص ٦٧.

ومن الجدير بالذكر أن لفظ الإنسان الكامل أو نظرية الإنسان الكامل لاترد فى كتب ابن عربى ورسائله إلا مفصولاً وإنما يتحدث هو عادة عن الأنسان بالمعنى الأسمى- وقد أشار ابن عربى لمضمون هذه النظرية فى رسالة له بعنوان" عقله المستوفز" ولكن نجد هذه النظرية تكون النفخة القوية السائدة فى كتاب لمؤلف متأخر عن عصر ابن عربى بمقدار مائتى عام تقريبا وهو كتاب الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلى المتوفى حوالى عام ٨٠٥ هـ أو عام ٨١٣/ هـ/ = ١٤١٠م.[١]

٣- القطبانيــة:

ومن متعلقات نظرية" الحقيقة المحمدية" نظرية هامة لها تأثير عميق فى جوانب التصوف عند المتأخرين وبصفة خاصة أصحاب الطرق العملية وهي نظرية (القطب)، "القطبانية".

ولكن ماهو مفهوم هذه النظرية (القطبانية)، وكيف وردت عند الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى ؟

نظرية القطب، تتعلق بالحقيقة المحمدية كما ذكرت وهى تعنى عند الصوفية المتأخرين "أن القطب هو أكمل إنسان ممكن فى مقام الفردية أو هو الواحد الذى هو موضع نظر الله تعالى فى كل زمان، عليه تدور أحوال الخلق، وهو يسرى فى الكون وأعيانه الباطنه والظاهرة سريان الروح فى الجسد ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل فهو من الكائنات بمثابة المهيمن عليها، المكلف بحفظها ورعايتها. وأنه ليظل كذلك طول حياته حتي يقبضه الله فيخلفه واحد من الأولياء الثلاثة الذين دونه فى المرتبة وهم الأوتاد الذين كانوا من قبل إبدالا، يبلغ عددهم الأربعين. ويسمى القطب غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وقد يطلق القطب على قطب الأقطاب وهو سابق فى وجوده علي وجود هؤلاء الأقطاب، وعلى وجود كل مافى عالم الغيب والشهادة، وهو بهذا يتلق القطبانية عن قطب آخر سبقه من قبل، واستخلفه من بعد، فصار قطبا

---

(١) المصدر السابق - ص ٦٨ - كذلك فقد تحدث الشيخ الأكبر عن كتاب له نظمته خلاصة هذه النظريات الميتافيزيقية الصوفية اسماه عقلة المستوفر - راجع الفتوحات المكية - السفر الثانى- ص٣٥١.

بعد أن كان وتدا ، ولكنه واحد منذ القدم لم يتقدم عليه آخر ولم يلحقه قطب آخر بهذا المعنى الذى لايدل إلا على حقيقة واحدة هى الحقيقة المحمدية.(١)

وإذا ماتأملنا آراء ابن عربى فى نظرية "القطب" (٢) نجده يؤكد علي أن الروح المحمدية أو الحقيقة المحمدية تظهر فى أكمل مظاهرها فى قطب الزمان، وفى الأفراد، وفى ختم الولاية المحمدية، ومعنى ذلك أن القطب هو المعنى الروح النورانيه التى تسرى آثارها فى الكون والوجود، إذن فالقطب من مظاهر الروح المحمدى، يقول ابن عربى "وأما القطب الواحد فهو روح محمد ﷺ، وهو المعد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حين النشئ الإنسانى إلى يوم القيامه.(٣)

ولهذا الروح المحمدى مظاهر في العالم، أكمل مظهره فى "قطب الزمان" وفى الأفراد، وفى ختم الولاية المحمدية وختم الولاية العامة، الذى هو عيسى عليه السلام. (٤)

وكثيراً مانجد ابن عربى يشير إلى سيدنا عيسى عليه السلام بإعتباره قطباً وخاتماً للولاية العامة المستمدة من روح النبى محمد ﷺ وكذلك سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام، إلا أن ابن عربى يخصص الولاية العامة لعيسى عليه السلام بأعتبار أنه سوف ينزل آخر الزمان ويحكم بشريعة سيدنا محمد ﷺ يقول ابن عربى فى هذا:

"فسيدنا عيسى عليه السلام إذا نزل مايحكم إلا بشريعة محمد ﷺ وهو خاتم الأولياء" (٥).

---

(١) أحمد أمين - ظهر الإسلام - جـ٤ - ص ١٧٠. ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢م - كذلك دكتورمحمد مصطفى حلمى - ابن الفارض والحب الإلهى - ص ٢٦٦. كالجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٦.

(٢) القطب مفرد الجمع (أقطاب) وهو عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله تعالي فى العالم فى كل زمان ويقال له الغوث وهو على قلب اسرافيل - نظرنا- ابن عربى- الفتوحات جـ٢- الهامش ص ٢٤٤.

(٣) راجع ابن عربى - الفتوحات المكيه السفر الثانى - ص ٣٦٣.

(٤) المصدر السابق - ص ٣٦٣.

(٥) ابن عربى - المصدر السابق - ص ٣٥٧.

ومن الجدير بالذكر أن إبن عربى يذكر اسماء عديده لهؤلاء الأقطاب الذين يستمدون أسرارهم ومعانيهم الروحية وعلومهم من روح الحقيقة المحمدية. وابن عربى إذا يذكر أسماء هؤلاء الأقطاب وينعتهم بصفات تدل على معانى وأسرار غيبية منهم "مداوى المكلوم" ثم ظهرت الولاية والقطيانية فيما بعده فى شخص يسمى "المستسلم للقضاء والقدر" ثم انتقل الحكم منه إلى "مظهر بيمى" واضع الحكم وأظنه لقمان والله أعلم .

ثم انتقل هذا السر من واضع الحكم إلى "الكاسب"، ثم انتقل إلى "جامع الحكم". (١) ولهذه الأسماء معانى وأسرار باطنية عند الصوفية بلغتهم.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى يتحدث عن درجات القطبانية وأحوالها وعلومها واختصاص الأقطاب بدرجاتهم وعلامات وصولهم فى الباب الثلاثون من الجزء الثامن عشر فى السفر الثالث من الفتوحات المكية" (٢) يقول الباب الثلاثين فى معرفة الطبقة الأولى والثانية من الأقطاب الركبان "فالطبقة الأولى هو أصحاب الركبان وهم: الأفراد فى هذه الطريقة. فأنهم علي طبقات، فمنهم الأقطاب، ومنهم الأئمة، ومنهم الأوتاد ومنهم الأبدال، ومنهم النقباء، ومنهم النجباء، ومنهم الرجبيون، ومنهم الأفراد، ويذكر ابن عربى أنه قد اجتمع مع هؤلاء وعاشرهم ببلاد المغرب وببلاد الحجاز والشرق. (٣)

وفيما أورد ابن عربى من تعريف لهؤلاء الأقطاب، فإن الأئمة يراد بهم إمامان أحدهما عن يمين القطب ونظره فى عالم الملكوت، وإسمه "عبد الرب" والآخر عن يساره ونظره فى عالم الملك، وإسمه "عبدالملك" وهو يخلف القطب إذا درج .

الأوتاد : عبارة عن أربعة رجال، منازلهم على منازل الجهات الأربعة وبهم يحفظ الله العالم، الابدال: هم سبعة رجال من سافر منهم من موضع ترك على صورته جسدا، أى شبحا يحيا بحياته، ويظهر بأعمال أصله.

النقباء : وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وأشرفوا على الضمائر لتحققهم بالعبودية .

---

(١) ابن عربى - الفتوحات - الغر ٣ ص ٣٦٣- ص ٣٦٤.

(٢) المصدر السابق - السفر - ٣- ص ٢٤٣.

(٣) نفس المصدر السابق - ص ٢٤٥.

النجباء : وهم أربعون شخصاً مشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون فى حق أنفسهم، بل فى حق غيرهم .

الأفـــراد : وهم الخارجون عن دائرة القطب، وهم الذين علي بينة من ربهم، وهم من هذه الأمة بمنزلة الأنبياء فى الأمم الخالية. (١)

أما النموذج الآخر والذى يعتبره ابن عربى، وسائر الصوفية فى مدرسته من بعده، أو الذى يعتبر مظهراً من مظاهر الحقيقة المحمدية والروح المحمدى فهو "الولاية أو الولى وهو رتبة روحانية عليا، تخص من كان متصلا إتصالاً إلهيا روحانيا بالحياة الروحية المستمدة من نور سيدنا محمد ﷺ وقد تحدث ابن عربى وأفاض فى بحوثه الروحانيه عن هذه المرتبة الإلهية العليا. المنبثقه من الإرث المحمدى. أو الإرث الإلهى، ومن الجدير بالذكر أن ابن عربى يقسم رتبة الولاية إلى قسمين :

الأولى : - الولاية العامة، وختم هذه الولاية سيدنا عيسى عليه السلام يقول فى ذلك "ولهذا الروح المحمدى مظاهر فى العالم أكمل مظهره فى قطب الزمان، وفى الأفراد وفى ختم الولاية المحمدية، وفى ختم الولاية العامة الذى هو عيسى عليه السلام (٢).

وأما القسم الثانى : من مراتب الولاية، فهو الولاية الخاصة أو ختم الولاية المحمديـــة الخاصـة. وهى فى الرتبة دون سيدنا عيسى عليه السلام يقول ابن عربى:

"وللولاية المحمدية المخصوصة بهذا الشرع المنزل على محمد ﷺ ختم خاص هو فى الرتبة دون عيسى عليه السلام، لكونه رسولاً وقد ولد فى زماننا ورأيته أيضا، وأجتمعت به ورأيت العلامة الختمية التى فيه، فلا ولى بعده إلا وهو راجع إليه، كما أنه لانبى بعد محمد ﷺ، ألا وهو راجع إليه، كعيسى إذ أنزل، فنسبه كل ولى يكون بعد هذا الختم إلى يوم القيامة

---

(١) نظرنا فى ذلك: ابن عربى - الفتوحات المكية السفر (٣)- ص ٢٤٥ بالهامش - مصادر لإبن عربى أيضا فيها: كتاب اصطلحات الصوفية .ص ٤ ط حيدر أباد (ضمن مجموعة رسائل ابن العربى) الرسالة رقم ٢٩.

- ولمزيد من الدراسة فى هذا الموضوع راجع المصدر السابق ص ٢٤٥، حتى ص ٢٤٨.

(٢) ابن عربى - الفتوحات المكية - السفر الثانى - ص ٣٦٣.

هى نسبة كل شئ يكون بعد محمد ﷺ فى النبوة، كالياس وعيسى والخضر فى هذه الأمة. (١)

ومرتبة الولى قاسم مشترك بين رتبة النبى والرسول في الإرث الإلهى، وقد أشار إبن عربى إلي ذلك في منظومة شعرية ننتقى منها هذه الأبيات :

يقول ابن عربى :

إن لله عبـــاداً ركبـــوا	نجب الأعمال فى الليل البهيم
فأجتباهـــم وتجلى لهـــم	وتلقاهـم بكاسـات النـديـم
إن للـه علومـاً جمـــة	فى رسول ونبى وقسيـــم

وهذه المنظومة الشعرية تحتوى على مايريده ابن عربى من تقسيم فى رتب الأنبياء والرسل والأولياء، فهؤلاء الثلاثة، إجتباهم ربهم، وخصهم بعلومه ورسالاته ونبواته، "والقسيم" هنا يراد به الولى. وسمى بذلك لأنه يقتسم الإرث الإلهى مع النبى والرسول. (٢)

وإذا كان ذلك كذلك ، فإن مرتبة الولاية هى المدد المتصل، والإرث الإلهى الروحانى فيما بعد انتهاء النبوة ودور الرسالة حتى يوم القيامة، بل قد نلاحظ أن ابن عربى يصعد بالولاية إلى أرقى المراتب والدليل على ذلك فيما بصورة ابن عربى، خلال منظومته الشعرية فى هذا المجال، ونقتطف منه هذه الأبيات يقول :

بين النبوة والولاية فـــــارق	لكن لها الشـرف الأتم الأعظـم
يعنو لها الفلك المحيط يســره	وكذلك القلـم العلـى الأفخـم
إن النبوة والرسالة كانتـــا	وقد انتهت ولها السبيـل الأقـوم

---

(١) ابن عربى - راجع - الفتوحات المكية - السفر الثالث، ص ١٧٧.
(عند الشيعة : خاتم الولاية المحمدية العامة الذى هو خاتم الولاية المطلقة على ابن أبى طالب وخاتم الولاية المحمدية الخاصة ، والتالى هنا اختلاف بين النجاة ابن عربى .
راجع المصدر السابق ، الهامش - ص ١٧٧.
لمزيد مراجع ص ١٧٤. ومابعدها .

(٢) المصدر السابق - ص ٢٤٣. وكذلك الهامش (١٥)

وأقام بيتا للولايـــة محكمـــا   فى ذاته فله البقـــاء الأدوام (١)

والذى يتضح من خلال تحليل مضمون هذه الأبيات التى نظمها ابن عربى فى الفتوحات المكية أن ابن عربى يرتفع بمقام الولاية ورتبتها إلى أشرف المراتب العليا، بل قد يفضلها على سائر المقامات الأخرى لبقائها كمدد متصل روحانى الهى فى الكون وسارى فى الوجود بعد انتهاء دور الرسالات والنبوات، وقد شنع الإمام السلفى ابن تيمية عام ٧٢٧ هـ على ابن عربى وأمثاله ممن وصفهم بملاحدة الصوفية المتأخرين اذ يقولون بتفضيل مقام الولاية على مقام النبوة والرسالة وذلك فيما ورد عن هؤلاء الملاحدة من قولهم .

مقـام النبـوة فـى بـرزخ   فويـق الرسول ودون الوالـى (٢)

ولاشك أن ابن عربى، ومن تأثر بنظرياته فيما بعد من فلاسفة التصوف أو أصحاب الطرق الصوفية وغلاتهم المتأخرين، قد غالوا كثيرا فى تمجيد مراتب الولاية، وشرفها، وإدعاء أكثرهم لها لأنفسهم، ولابن تيمية أقوال وأراء صريحة ومفيدة فى هذا المجال وينتقد من خلالها غلاة الصوفية فى هذا المجال (٣) وسوف نتعرض فى الفصول القادمة لموقف السلف المعارض للتصوف .

ولكن إذا مارجعنا إلى تحليلات ابن عربى فى مرتبة الولاية وخصائصها وشرفها وأهميتها وفضلها، نجده يبالغ كثيرا، ومن ذلك فيما ذهب اليه من قوله "فى مسألة الرسالة والنبوة والولاية" ثبت أن رسول الله ﷺ قال إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدى ولانبى الحديث (٤) فهذا الحديث من أشد ماجرعت الأولياء مرارته، فإنه قاطع للوصلة بين الإنسان وبين عبوديته وإذا انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين عبوديته من أكمل الوجوه، إنقطعت الوصلة بين الإنسان وبين الله تعالى، فإن العبد على قدر مايخرج به عن عبوديته ينقصه من تقريبه من سيده لأنـه

---

(١) المصدر السابق - ص ٣٩٠.

(٢) راجع الإمام تقى الدين بن تيميه - العرفان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان- ص ٨٧- يحقق محمود عبد الوهاب فايد ط صبيح - القاهرة - ١٩٥٥م.

(٣) نفس المصدر السابق - ص ٢٤، ص ٢٥ ومابعدها .

(٤) هذا الحديث ورد فى سنن الترمذى كتاب الرؤيا ب ، وصحيح البخارى حـ٦ ب - ٥، صحيح مسلم ك ١٥ حـ٥٠٧.

يزاحمه فى أسمائه وأقل المزاحمة الإسمية، فأبقى علينا إسم "الولى" وهو من أسمائـه سبحانـه، وكان هذا الإسـم قد نزعه من رسولـه، وخلع عليه وسماه بالعبد وبالرسول، ولايليق بالله تعالى أن يسمى بالرسول، فهذا الإسم هو من خصائص العبودية التى لايصح أن تكون للرب، وسبب إطلاق هذا الإسم وجود الرسالة، والرسالة قد إنقطعت، فإرتفع حكم الإسم بإرتفاعها من حيث نسبتها أنها من الله تعالى"(١).

ومعنى ذلك فيما يراه إبن عربى أن الولاية لله تعالى أما الرسالة فهى للمرسلين من الرسل المبلغين لرسالات ربهم تعالى إلى عباده، وأن إسم الولى نزعه الله تعالى عن الرسول عليه السلام لكى يخص عباده الصالحين الذين يتولاهم، أو الذين يمدهم بمدده الإلهى الروحانى..

وهذا هو مضمون آراء إبن عربى ونظريته وخصائصها فيما أعتقد، وفى مسألة الإرث المحمدى الموصول "يقول إبن عربى" فما ورثنا من رسول الله ﷺ من هذا المقام الذى أغلق بابه دوننا (يعنى الرسالة) إلا ماذكرنا من عناية الحق لمن كشف له عن ذلك، وورقة علم النقل الوحى بالرواية من كتاب وسنة، فما أشرف مقام أهل الروية من المقرنين والمحدثين، ثم يشير إبن عربى لأبى يزيد البسطامى المتوفى عام ٢٦١هـ حيث كشف له من هذا المقام بعد السؤال والتضرع قدر خرق الإبرة، فأراد أن يضع قدميه فيه. فإحترق، فعلم أنه لاينال ذوقاً، وهو كمال العبودية"(٢) .

ومضمون هذه العبارة عند إبن عربى أن مقام الولاية لاينال بالذوق والحال بتدل الصفات، بل ينال بالعبودية أو بالإجتباء من الله تعالى وعنايته وهذا هو مضمون مايشير إليه فى العبارات التالية.

يقول ابن عربى "وقد حصل لنا منه ﷺ "شعرة" وهذا كثير لمن عرف، فما عند الخلق منه إلا ظله، ولما أطلعنى الله عليه لم يكن عن سؤال وإنما كان عن عناية من الله تعالى، ثم أيدنى فيه بالأدب، رزقاً من لدنه وعناية من الله تعالى بى، فلم يصدر منى هناك ماصدر عن أبى يزيد، بل إطلعت عليه، وجاء الأمر بالرقى فى سلمه، فعلمت أن ذلك خطاب ابتلاء، وأمر ابتلاء، لخطاب تشريف، على أنه يكون بعض الإ بتلاء تشريفاً، فتوقفت وسألت الحجاب فعلم ماأردت، فوضع الحجاب بينى وبين وشكر لى، فمنحنى منه" شعرة" التى ذكرناها ، إختصاصاً إلهيا!(٣).

---

(١) إبن عربى - الفتوحات المكيه - السفر الثالث - ص٣٩١.

(٢) ابن عربى - الفتوحات - السفر الثالث - ص٣٦٥ - ص٣٦٦ .

(٣) المصدر السابق - ص ٣٦٦.

ويوضح ابن عربى مايقصده "بولى الله" يقول "وللناس فى هذا مراتب، فالذى ينبغى لعبد أن لايزيد على هذا الإسم غيره، فإن أطلق الله تعالى السنة الخلق عليه بأنه ولى الله ورأى أن الله تعالى أطلق عليه إسما أطلقه تعالى على نفسه فلا يسمعنه ممن يسميه به الا على أنه بمعنى "المفعول" لابمعنى "الفاعل" حتى يشم فيه رائحة العبودية.

وإنما قلنا هذا من أجل ماأمرنا الله تعالى أن تتخذه "وكيلا" (١) فيما هو له، مما نحن مستخلفون فيه، فإن فى مثل هذا أمرا خفيــاً، فتحفظ منه ويكفى التنبيه الإلهى العاصم من المكر إن كنت مأمورا بذلك، فأمتثل أمره، واتخذه وكيلا، ولاتدعى الملك فإن الله تعالى تولاك فإنه قال "وهو يتولى الصالحين" (٢).

إذن فالولاية من الله تعالى، وهو عناية منه تعالى واجتباء، جعلها الله تعالى اختصاصها لعباده الصالحين المخلبصين كمدد روحانى بعد انتهاء أدوار الرسالات والنبوات كما وضحها لنا ابن عربى .

وإذا كان لهذه النظريات من تأثير فى تيارات التصوف فى عصور المتأخره، فإنها لاتجد قبولاً عند علماء أهل السنة ورجال السلف المتأخرين(٣) وسوف تتعرض لنقد أئمة السلف المتأخرين لنظرية ابن عربى ومتأخرى المتصوفة.

٤ - وحدة الأديان عند ابن عربى :

وجدير بالذكر أن لإبن عربى نظرية فى وحدة الأديان نستطيع الإستدلال على ذلك من خــلال كثير من النصوص التى وردت خــلال مؤلفاتــه المتعددة، فهذه النزعة لم تقف فى محيط

---

(١) سورة المزمل آية(٩) قوله تعالى "وأتخذه وكيلا".

(٢) سورة الأعراف - آية (١٩٦) قوله تعالى "وهو يتولى الصالحين راجع كذلك ابن عربى الفتوحات السفر الثالث - ص ٣٩٧ حتى ص ٤٠١.

(٣) من الجدير بالذكر أن الإمام السلفى المتأخر تقى الدين بن تيمية ٧٢٧هـ، ينتقد ابن عربى فى نظرياته عن وحدة الوجود والولاية وخاتمها وكذلك من تأثروا بنظراته خلال مؤلفاته المتعددة، وبصفة خاصة فى كتابه القيم الذى وضعه خصيصا لهذا الموضوع، وهو كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان". إذ أن معظم فصول هذا الكتاب تدور حول توضيح مفهوم الولآيه الصحيح كما أراده الله تعالى ورسوله ﷺ .

فلسفة ابن عربى الصوفية فقط، ولكن ربما كان لها إرهاصات عند الفلاسفة والصوفية فى العصور المتقدمة على عصره،[(١)] وعند بعض الطوائف المشيعه بالآثار الغنوصية الفارسية أو اليونانية خاصة عند غلاة التشيع والمتأخرين.[(٢)]

وعلى ذلك، فإن نظرية ابن عربى فى وحدة الأديان تنتهى إلى تصوره الفلسفى الصوفى بأن الدين كله لله تعالى، إذا أن العارف المكمل هو من نظر إلى كل معبود على أنه مجلى للحق بعيد فيه وأنكر ما يعبد من الصور من حيث هى أعيان، وعبد الله فى تلك الصور من حيث هى مجال يتجلى فيها المعبود الواحد الحقيقى، ومن هنا فإن العبادة الباطلة هى التى يقف فيها العبد عند مجلى واحد يقصر عليه عبادته من دون بقية المجالى، ويتخذ من هذه المجالى معبودا يسميه الهاً، كما أن العبادة الصحيحة هى أن ينظر العبد إلى جميع الصور على أنها مجال لحقيقة ذاتية واحدة هى حقيقة إلا له الواحد.

ومما يوضح أصول هذه النظرية فى فلسفة ابن عربى الصوفية قوله:

لقد صار[(٣)] قلبى قابلا كل صورة   فمرعى لغزلان وديراً لرهبانـى

---

(١) من هؤلاء جماعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء فى منتصف القرن الرابع الهجرى، وهم فلاسفة الشيعة الإسماعيلة الباطنية وللمؤلف دراسة تحليلية لمذهب اخوان الصفاء وصلته بالإمام الغزالى - راجع كتابنا "مشكلة الصلة بين الأمام الغزالى ورسائل اخوان الصفاء ط مؤسسة شباب الجماعة الإسكندرية ١٩٨٩م كذلك ذهب الحلاج/ ٣٠٩ هـ/ الى القول بنظرية وحدة الأديان راجع - دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - (فصل الحلاج) كذلك الدكتور محمد مصطفى حلمى - الحياه الروحية فى الإسلام - ص ١٨٣.

(٢) من هؤلاء غلاة الشيعة من الباطنية والإثنا عشرية وفروعهم الناشزين عن أصول العقيدة الإسلامية، مثل طوائف البابية البهائية - راجع فى ذلك رسالتى للدكتوراه، مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية تحليل ونقد، مخطوط - مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهره ١٩٨٤ كذلك - دكتور - عبد القادر محمود الفلسفة الصوفية فى الإسلام .

(٣) لمزيد من الدراسة راجع المصادر الأتية :

أ - ابن عربى - فصوص الحكم - ص ١٤٦- ص ٢٤٨.

ب - ابن عربى - الفتوحات المكية السفر الثالث - ص ١٩٣(فقد تحدث ابن عربى عن سر المنازل وتجليات الله تعالى فى الصور).

جـ - دكتور محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص ١٨٣- ص ١٨٤.

وبيــت لأوثـــان وكعبــة طائــف — وألواح توراة ومصحف قرآن

أديـن بديــن الحـب أنـى توجهـت — ركائبه فالدين دينى وإيمانـى

وجدير بالذكر أن نظرية ابن عربى فى وحدة الأديان نابعة من إيمانه العميق بالحب، الإلهى، وشوقه وهيامه فى حضرة محبوبية المطلق. والذى تتمثل فيه كل معانى الحب والجمال المطلق فإن ابن عرى شأنه في نظرية الحب الإلهى شأن متأخرى الصوفية إذ يقول "بوحدة المحبوب وإن تعددت صورة، وأن الحق (الله تعالى هو المحبوب على الإطلاق ، والمعبود على الإطلاق ينعكس جماله على كل صفحة من صفحات الوجود"[1].

ثانيا : طريقة ابن عربى الصوفية

تمهيــد:

لم يكن لإبن عربى تأثير عميق فى مجال التصوف الفلسفى النظرى المشبع بالعناصر الفلسفية والغنوصية اليونانية الأفلاطونية المحدثة) والفارسية وحسب، بل كان لابن عربى أثر وتأثير كبير فى مجال التصوف العملى، طريقة ومنهجاً وسلوكاً عملياً وفى قواعده التربيوية الصوفية، كما هو متعارف عليه عند أصحاب الطرق من الصوفية المعاصرين له أو السابقين عليه، كالقادرية، والرفاعية والشاذلية والبرهامية وإن كانت طريقته لم تنتشر انتشاراً كبيراً مثل هذه الطرق.

ولاأستطيع أن أتبين ذلك بصدق إلا من خلال ماصنفه ابن عربى من رسائل صوفية تتضح من خلالها أساليبه وقواعده التربوية، بالإضافة إلى ماورد فى مؤلفاته المشهورة الأخرى مثل، الفتوحات المكيه، كذلك ماكتبه عنه كبار الباحثين والعلماء فى العصر الحديث وعن طريقته التى تسمى "بالطريقة الأكبريه"[2] .

---

(١) دكتور – أبو العلا عفيفى – ابن عربى فى دراساتى (بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى لمحى الدين بن عربى فى الذكرى المئوية الثامنة لميلاده – ص ١٩. راجع كذلك لإبن عربى ترجمان الأشواق.

(٢) الطريقة الأكبرية : عرف ابن عربى بالشيخ الأكبر ولقب بهذا اللقب من جانب أتباعه وتلاميذته ونظراً لمكانته الكبيرة فى التصوف الإسلامى فى عصوره المتأخرة راجع – عبد الوهاب الشعرانى – الكبريت الأحمر فى بيان عقائد الشيخ الأكبر، كذلك اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر – ص ٧، ص ١١.

فقد تحدث الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى عن الطريقة "العربية أو الطريقة الأكبرية التى تنسب للشيخ الأكبر محى الدين بن عربى، وأوضح بدقة وتحليل مافى طريقة ابن عربى الصوفيه العملية، من جدة وأصاله علمية وعملية، منهجاً وسلوكاً. (١)

كذلك أشار بعض الباحثين المحدثين لأصول الطريقة الأكبرية وأثارها وتأثيرها عند المتأخرين من الصوفية منذ القرن السابع وحتى القرن الحالى. (٢)

ولمزيد من التوضيح لأصول هذه الطريقة، ومنابعها الروحية عند الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، نقول أن الشيخ الأكبر فى طريقته الروحية لم يكن أقل عمقا وفكراً وذوقاً وحالاً وكشفاً منها فى فلسفته الصوفية. وهذا مما يدل على ماشاهدته الحياة الروحية الإسلامية من أصالة فى غضون القرنين السادس والسابع الهجريين بما يذكرنا بالفلسفة الروحية عند الإمام الغزالى/٥٠٥ هـ/ وتأثيرها فى الطرق الصوفية فى القرون التالية، على الرغم من الإختلاف النظرى والفلسفى

== وتنسب هذه الطريقة إلى الشيخ الأكبر محى الدين عربى ت عام /٦٣٨ هـ / وهذه الطريقة غير الطريقة الكبراوية "المنسوبة إلى نجم الدين الكبرى. فهى منبعثة اصلا عن الجنيد ولها فروع مثل العيدروسية والهمزانية والإنتشائية والنورية - راجع دائرة المعارف الإسلامية (مادة الطريقة) لقد عرف ابن عربى كما ذكرنا بالشيخ الأكبر، ومن هنا سميت طريقته بالأكبرية ، وهذه التسمية شائعة عند المتأخرين من أصحاب الطرق ، مثل الشيخ أحمد الخالدى النقشبندى الطرابلسى، فى رسالته "النور المظهر فى طريقة سيدى الشيخ الأكبر" ، وكذلك شائعة فى كتاب الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوى النقشبندى "جامع الأصول" والشيخ يسن بن ابراهيم السنهوتى الشافعى النقشبندى إحدى صوفية هذا القرن فى كتابه" الأنوار القدسية فى مناقب السادة النقشبندية" وكذلك الشيخ محمد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى كتابه بيت الصديق، وجدير بالذكر أن طريقة إبن عربى عرفت أحيانا باسم "الحاتمية" أو "العربية" لكن التسمية الأكثر شهرة هى "الطريقة الأكبرية" نظرنا الدكتور - أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية " ضمن الكتاب التذكارى لابن عربى - ص ٢٩٨- ص ٢٩٩ .

(١) الدكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية - (بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى لإبن عربى ص ٢٢٥ ومابعدها.

(٢) انظر كذلك - الدكتور مقداد بالجن - فلسفة الحياة الروحية ..ونشأة الطرق الصوفية - ص ١١٦ - ص١١٧ ط - دار الشروق ١٩٨٥م.

بين الإتجاه الصوفى عند الغزالى [1] والشيخ الأكبر محى الدين بن عربى، ولقد بسط ابن عربى أصول طريقته الصوفية، كما ذكرنا فى رسائله التى ألفها خصيصا لهذا المجال وكذلك فى كتابه الكبير الفتوحات المكيه، وذلك لكى يؤكد أن طريقة الذوق والحال لم تنفصل عن طريقة النظر الميتافيزيقى فى الوجود، الإلهى والطبيعى والإنسانى، ولاشك أن الباحث عندما يحاول البحث عن مادة طريقة ابن عربى، أو الذين ينتمون إليها من الشخصيات المعاصرة له أو المتأخرة وفى العصور التالية، وعلاقتها بغيرها من الطرق الأخرى من الصعوبة بمكان، فقد نجد ذلك مبعثرا فى بطون الكتب والرسائل الصوفية التى وضعها صوفية متأخرين.

١ - معنى الطريقة عند ابن عربى ومرادها:

الطريق فى اللغه، يعنى السبيل الذى يطرق بالأرجل، أى يضرب، وعنه استعير كل مسلك يسلكه الإنسان فى فعل محمود كان أو مذموماً، والطريق يذكر فى لغة نجد وبه جاء القرآن الكريم فى قوله تعالى "فأضرب لهم طريقا فى البحر يبساً" سورة طه آية (٧٧).

ويؤنث فى لغة الحجاز، والجمع طُرُق (بضمتين) وجمع الطرق، طرقات، وقد جمع الطريق على لغة التذكير أطرقه ، وأستطرقت إلى الباب سلكت طريقاً، إليـه.

ويقال الطريق والطريقه على سبيل الترادف كما يقال الطريقة بمعنى السيرة والحال والمذاهب. [2]

ولاشك أن التصوف الإسلامى منذ نشأته قبل المائتين للهجرة [3] أو بعدها [4] كامتداد وتطور لمرحلة الزهد والعبادة، أو إستمراراً لحركة الزهد التى نشأت منذ القرن الأول للهجرة، اتخذ

---

(١) الجدير بالذكر أن طريقة الغزالى الصوفية تعبر عن أصول التصوف السنى وإن كان فى فلسفته الصوفيه متأثراً ببعض العناصر الفلسفية .

(٢) أنظر فى ذلك : الأصفهانى – مفردات غريب القرآن – مادة (طرق)

كذلك - المقرى الفيومى (أحمد بن محمد بن على)المصباح المنير حـ ٢ - ص ١١. المطبعة الوهيبة سنة ١٣٠٠ هـ.

كذلك – دكتور أبو الوفا التفتازانى – الطريقة الأكبر يه (ضمن الكتاب التذكارى) ص ٣٠٨.

(٣) راجع القشيرى – الرسالة القشيرية حـ١ . ص ٥٣

(٤) راجع ابن خلدون – المقدمة (باب التصوف).

شكلاً تنظيميا، وإصطلاحياً يدل على أصحاب الطرق الذين يتخذون من الزهد والعبادة طريقا ومذهباً فى حياتهم العملية، فضلا عن رسوخهم وتبجرهم فى العلوم الفقهية والأصولية.

وكما ذكرنا فى الباب الأول من هذا البحث أن طريقة الصوفيه فى العصور الأولى كانت قائمة علي التربية السلوكية والرياضة النفسية، وعرف هؤلاء بأنهم أرباب أحوال لاأصحاب أقوال فإن منهجهم يقوم على الذوق والحال وتبدل الصفات، ومن ثم فقد اختلف هؤلاء عن غيرهم من أرباب المذاهب الأخرى، كأصحاب البرهان العقلى من الأصوليين والفقهاء .

وجدير بالذكر أن كلمة طريقة كانت تطلق أحيانا على منهج الإرشاد النفسى والخلقى الذى يربى به الشيخ مريده.

وقد تحدث القشيرى عن أرباب هذه الطرق من طوائف الصوفية وعن أحوالهم وأخلاقهم وعلومهم بقوله "فقد جعل لله هذه الطائفة صفوة أوليائه ، وفضلهم على الكافة من عباده، بعد رسله وأنبيائه، صلوات الله وسلامه عليهم، وجعل قلوبهم معادن أسراره وأختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره ، فهم العباد للخلق،والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق بالحق صفاهم من كدورات البشريه، ورقاهم إلى مجال المشاهدات بما يجلى لهم من حقائق الأحدية، ووفقهم للقيام بآداب العبودية، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية، فقاموا بأداء ماعليهم من واجبات تكليف وتحققوا بما منه سبحانه لهم من التقليب والتصريف ثم رجعوا الى الله تعالي، بطرق الإفتقار، ونعت الإنكسار، ولم يتكلوا على خصل منهم من الأعمال أو صفا لهم من الأحوال، علما منهم بأنه جل وعلا يفعل مايريد، ويختار من يشاء من العبيد لا يحكم عليه خلق، ولايتوجه عليه مخلوق حق، ثوابه ابتداء فضل، وعذابه حكم بعدل وأمره قضاء فصل [١] .

هذه العبارات تدل على فهم أوائل الصوفية المعتدلين لمعنى الطريق الصوفى أو الطريقة الصوفية. وأتجاهات أصحابها من حيث علومهم وأحوالهم وأذواقهم ومواجيدهم وتربيتهم الأخلاقية، وتقويم النفس الإنسانية واستعمال الرياضات الروحية لتحلية النفس وتخليتها من أدران البدن وشهواته الخبيثه.

---

(١) الإمام القشيرى – الرسالة القشيرية – حـ ١ ص ٢٠، ص ٢١.

وإذا اتجهنا إلى الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى فلاشك أننا سوف نجد تقاربا وإتفاقا واضحاً بين طريقته الصوفية العملية وبين طريقة الصوفية الأوائل وكما وصفها الإمام القشيرى ٤٦٥هـ/ سواء فى أحوالهم أو علومهم .

فابن عربى فى فهمه لمعنى الطريقة بتابع من تقدمه من الصوفية، إذا رأى أن طريقة الصوفية قائمة على أساس الذوق، لاالدليل والبرهان. (١)

وفى ذلك نجد ابن عربى عندما يتحدث في كتابه التدبيرات الإلهية ناصحاً مريده يقول "فان يعرض لك أيها الأخ المسترشد من ينفرك عن الطريق، فيقول لك طالبهم بالدليل والبرهان، يعنى أهل هذه الطريقة فيما يتكلمون به من الأسرار الإلهية، فأعرض عنه، وقل له مجاوبا، مالدليل على حلاوة العسل؟ فلابد أن يقول لك، هذا علم لايحصل إلا بالذوق، فلايدخل تحت حد، ولايقوم عليه دليل، فقال له: هذا مثل ذاك (٢).

ويفرق ابن عربى بين طريقة الصوفية فى الذوق والحال وبين طرق غيرهم فى الدليل والبرهان، وذلك من خلال رسالة أرسلها إلى الإمام فخر الدين الرازى المتوفى عام ٦٠٦هـ الأصولى الفقهية، وذكرها الشعرانى فى الطبقات الكبرى يقول فيها "أعلم ياأخى أن الرجل لايكمل عندنا فى مقام العلم حتي يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ، فان من كان علمه مستفاداً من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات، وذلك معلمه عند أهل الله عز وجل، ومن قطع عمره فى معرفة المحدثات وتفاصيلها فانه خطة من الله عز وجل، لأن العلوم المتعلقة بالمحدثات يفنى الرجل عمره ولايبلغ إلى حقيقتها، ولو أنك ياأخى سلكت على يد شيخ من أهل الله عز وجل لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى، فتأخذ عنه العلم بالأمور عن طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولانصيب ولاسهر كما أخذه الخضر عليه السلام فلا علم إلا ماكان عن كشف وشهود لاعن نظر وفكر وظن وتخمين" (٣) .

والطريق عند ابن عربى، هو مايسلكه العبد فى سبيل الوصول إلى حضرة الحق سبحانه وتعالى، وهذا السبيل يتطلب مزيداً من الجهد والجد فى طلب الوصول، والإيمان والتقوى، لذلك

---

(١) الدكتور - أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبر به . ص ٣٠٩

(٢) المصدر السابق - ص ٣٠٩.

(٣) عبد الوهاب الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ ١ - ص ٥.

يقول فى الفتوحات المكية وغيرها "إن طريق الوصول إلى علم القوم (وهم الصوفية) الإيمان والتقوى قال تعالى ولوأن أهل القرى آمنوا وأتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض "سورة الأعراف (آية ٢٩٦)" أى أطلعناهم على العلوم المتعلقة بالعلويات والسفليات وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت، وقال تعالى "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب" سورة الطلاق آية (٢) .

والرزق نوعان روحانى وجسمانى، وقال تعالى "وأتقوا الله ويعلمكم الله "سورة البقره آية(٢٨٢) .

أى يعلمكم مالم تكونوا تعلمونه بالوسائط من العلوم الإلهية ولذلك أضاف التعليم إلى إسم الله تعالى الذى هو دليل على الذات وجامع الأسماء والأفعال والصفات" (١)

والطرق عند ابن عربى.. طريق مفرده، والسالكين له أفراد ويقول ابن عربى: "أعلم أيها الأخ الكريم أن الطرق شتى، وطريق الحق مقررة، والسالكين طريق الحق أفراد" (٢)

ويعرف ابن عربى مواطن الطريق، وهمته، وتوجهاته، ومهماته فيقول "مع أن طريق الحق واحد، فإنه تختلف وجوهه باختلاف أحوال سالكيه ، من اعتدال المزاج وانحرافه وملازمة الباعث ومعانيه، وقوة روحانيته وضعفها، واستقامة همته وميلها وصحة توجهة وسقمة، فمنهم من تجتمع له، ومنهم من يكون له بعض هذه الأوصاف، فقد يكون مطلب الروحانية شريفا رلايساعده المزاج، وكذا مابقى. فأول مايتعين علينا أن نبينه لك، معرفة: المواطن، كم هى، وماتقتضى ماأريد منها هنا.

والمواطن عبارة عن محل أوقات الموارد التي تكون فيه وينبغى لك أن تعرف مايريده الحق منك فى ذلك الوطن، فبادر اليه من غير تثبت، ولاكلفة (٣) والمواطن وإن كثرت فإنها ترجع إلى : سبعة مواطن :

---

(١) المصدر السابق - ص٥.

(٢) ابن عربى - رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من أسرار ص ١٠. تحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود - ط عالم الفكر . ١٩٨٦م.

(٣) من غير تثبت ولا كلفة : أى لاتسأل لم ولا كيف ما دام الأمر صادراً من الله تعالى حقا، ولايكن فعلك تكلفا.نفعله وأنت شاعر بالإكراه ، وإنما تفعله وأنت منشرح الصدر.

الأول : موطن "ألست بربكم"[1] وأنفصلناعنه.

الثانـي : أرحام الأمهات .

الثالـث : مواطن الدنيا الذى نحن فيها الآن .

الرابـع : موطن البرزخ الذى تصير إليه بعد الموت الأصغر والأكبر[2]

الخامـس : موطن الحشر بأرض الساهرة والرد فى الحافرة[3]

السادس : الجنة والنار .

السابـع : موطن الكثيب خارج الجنة" ليس فيه تعيم إلا رؤية الحق. كما فى حديث: إن لله جنة ليس فيها نعيم ولاحور، ولاقصور إلا أن يتجلى الله فيها ضاحكاً" [4]

ولكن ابن عربى وهو يحدد مواطن الطريق الي الحق تعالي يقصر همة المريد السالك على موطن واحد وهو موطن الدنيا الذى هو محل التكليف والإبتلاء والأعمال "إذا أن المواطن الأخرى ليس فى قوة البشر الوفاء بها لكثرتها. [5]

---

(١) قوله تعالى "وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى "سورة الأعراف آية (١٧٢).

(٢) الموت الأصغر، ا لنوم، قوله تعالى "هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار"سورة الأنعام - آية (٦٠)

(٣) الحافره ، الساهرة: من قوله تعالى فى سورة النازعات آية (١٠)، آية (١٤)" قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أإنا لمردودون فى الحافرة، أإذا كنا عظاما نخرة قالو تلك إذا كرة خاسرة فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة " والحافرة هى القبور، والساهرة : أرض بيضاء عقراء خالية - راجع تفسير القرآن - لإبن كثير . "سورة النازعات".

(٤) ابن عربى - رسالة الأنوار - ص ١٠، ص ١١ ، ص ١٢ . "هذا الحديث : رواه مسلم من حديث أبى موسى والطبرانى بمعنى آخر.

(٥) ابن عربى - رسالة الأنوار - ص ١٢.

وينبه ابن عربى الإنسان أو السالك إلى طريق الحق تعالى، إلى أن هناك متاعب ومشاق ومحن وبلايا كثيرة فى طريق المسافر يقول" فالواجب على كل عاقل أن يعلم أن السفر مبنى على المشقة وشظف العيش والمحن، وركوب الأخطار والأهوال والعظام.(١)

ومما لاشك أن ابن عربى يريد من خلال ماورد عنه فى معنى الطريق وتعريفه المواطنة وهمته يؤكد على أن الكلام فى هذا المجال مبنى على الفتح الموهوب اللدنى، لاعلى النظر والبحث والتفتيش، وبقدر صفاء القلوب يحصل الوصول، والصفاء يتفاضل على حسب الطرائق(٢).

وهذا هو المغزى الحقيقى، فى رسالته التى بعث بها إلى الإمام المتكلم الأصولى فخر الدين الرازى، كما أوردها الشعرانى وفيها تفاصل أخرى بخصائص علم القوم من الصوفية، وهى التى يستطيع بها السالك الوصول إلى طريق الحق بقوله " وينبغى لك ياأخى أن لاتطلب من العلوم إلامايكمل به ذاتك وينتقل معك حيث إنتقلت، وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة، فلا ينبغى للعاقل أن يأخذ من العلوم إلا ماينتقل معه إلى البرزخ دون مايفارقه عند إنتقاله إلى عالم الآخرة، وليس المنتقل معه إلا علمان فقط: العلم بالله عز وجل، والعلم بمواطن الآخرة، فيجب الكشف عن هذين العلمين فى هذه الدار لتجنى ثمرة ذلك فى تلك الدار ولاتحمل من علوم هذه الدار إلا ماخص الحاجة إليه فى طريق سيرك إلى الله عز وجل على مصطلح أهل الله تعالى، وليس طريق الكشف عن هذين العلمين إلا بالخلوة والرياضة والمشاهدة والحزب الإلهى"(٣) ويطلب إبن عربى من علماء الأصول وفقهاء الظاهر التصديق والتسليم لهذه الطائفة (القوم من الصوفية) كذلك لايجب على غيرهم الأفكار عليهم فيما يفسرون به من الكتاب والسنة أو يقولون إن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره الآية والحديث بحسب الناس وتفاوتهم فى الفهم(٤).

---

(١) المصدر السابق . ص١٣ .

(٢) دكتور - أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية (ضمن الكتاب التذكارى لابن عربى) ص٣١٠ .

(٣) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ - ص٥ .

(٤) لمزيد من التفاصيل - راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى جـ١ - ص٥ .

وابن عربى فى تفسيره لأصول طريق الصوفية مثل غيره من طوائف الصوفية المؤمنين بأهمية هذا الطريق وغايته الشريفة وهى الحق سبحانه وتعالى والوصول إلى حضرته الإلهية وهو طريق السعادة يقينا، لذلك يقول إبن عربى "واعلم أن هذا الطريق، أعنى طريق الله الذى هو الصراط المستقيم هو أصل الطرق وأستاها، لأن الطرق تتشرف وتتضح بحسب ثمانيها، ولما كان هذا الطريق غايته الحق سبحانه وتعالى، والحق أشرف الموجودات، أعز المعلومات، لاإله إلا هو كان الطريق إليه أشرق الطرق وأفضلها، والدال عليه سيد الأدلاء وأكملهم وأعظمهم، والسالك عليه أسعد السالكين، وأنجاهم، فينبغى على العاقل ألا يسلك من الطريق سواه لإرتباطه بسعادة الأبدية" (١).

وإذا كان كذلك، فما لايدع مجالاً للشك، أن لدى إبن عربى طريقة صوفية عملية وتربوية أخلاقية غايتها تربية المريد على الخلق والطاعة وترسيخ قواعد الإيمان وفضائل التقوى والإخلاص فى نفسه، بغية إخلاص القلب، وتطهير النفس من شوائب البدن وشهواته المتغيرة والمختلفة حتى يخلص إلى طريق الوصول إلى الحق وحضرته الأحدية، والفوز بالسعادة الأبدية فى الآخرة ولكن لهذه الطريقة أصول وقواعد وآداب، نص عليها مذهبة العملى قولاً وفعلاً وسلوكاً، خلال رسائله ومؤلفاته .

٢ - أصول طريقة إبن عربى وقواعدها :

يستمد إبن عربى أصول طريقته الصوفية العملية من الكتاب والسنة الشريفة، وسيرة أئمة التصوف فى العصور الأولى، وذلك فيما أشار إليه فى مؤلفاته ورسائله الخاصة بها، ويتبين للباحث أنه يتمسك بأصول الشريعة، ويؤكد على ذلك فى كتابه الفتوحات المكية، ففى مناسبة حديثه عن "المصلى مسافر من حال إلى حال" يقول فهو أى (المصلى) مسافر من حال إلى حال، فمن كان حاله السفر دائماً كيف لايقال له "أليس نعليك" أى إستعن فى سيرك بالكتاب والسنة وهى زينة كل مسجد؟ (٢)

---

(١) ورد ذلك فى رسالة لابن عربى : الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط (ضمن مجموعة رسائل التحف البهية) ط - القسطنطينية عام ١٣٠٢ هـ ص٢٢٣ أنظر - الدكتور - أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية ص. ٣١ .

(٢) إبن عربى - الفتوحات المكية - السفر الثالث - ص٢١٤ .

وهذه الإشارة من إبن عربى فى تأويله "لباس النعلين فى الصلاة"[١] تعنى أن المصلى وهو مسافر من حال إلى حال قد يواجه كثير من الشرك الوعر الذى يكون بالطريق، ولاسيما طريق التكليف، فأمر المصلى بلباس النعلين ليتقى بهما ماذكر من الأذى لقدمى السالك اللتين هما عبارة عن ظاهره وباطن، وعلى ذلك فإن إبن عربى تأول هذا على المعنى الباطنى الروحانى فجعل المراد بالنعلين هنا: الكتاب والسنة[٢].

وهذه الإشارات، على طريقة التأويل الصوفى لمعانى الشرع وأركانه معروف لدى الصوفية. أو نقول هذا حال من أحوالهم الذوقية .

ولكن مانستطيع أن نخرج به من تلك العبارات المؤولة، أن إبن عربى يتمسك بالكتاب والسنة، ويؤكد إبن عربى فى موضع آخر على الإلتزام بالشريعة بقوله :

"فالزم شريعته تنعم بها سورا   تحلها صور ونزهو على سرر"[٣]

وكثيراً مانجد إبن عربى يؤكد على ضرورة التمسك بميزان الشرع فى طريق السلوك، أو الوصول إلى الحق تعالى، بقول "كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك" وهذا يعنى أنه متقيد بأصول الكتاب والسنة فى طريقته[٤] .

ويقول عنه الشيخ فخرالدين الفيروزابادى/٨١٧هـ/ صاحب كتاب القاموس فى اللغة "لم يبلغنا عن أحد من القوم (أى الصوفية) أنه بلغ فى علم الشريعة والحقيقة مابلغ الشيخ محى الدين بن عربى"[٥] .

كذلك فقد بلغ الشيخ فى طريقته مبلغاً كبيراً "فقد كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً، وإمام التحقيق حقيقة ورسماً، ومحى علوم العرفين فعلاً وإسماً"[٦] وهو أى إبن عربى عند القوم صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى[٧] .

---

(١) راجع نفس المصدر - ص٢١١ .

(٢) المصدر السابق - ص٢١٤ - ص٢١٥ - (حديث لبس النعلين) .

(٣) نفس المصدر السابق - (الفتوحات) - ص٢٩٢ .

(٤) الشعرانى - اليواقيت والجواهر - حـ١ - ص٧ .

(٥) المصدر السابق - حـ١ - ص٧ .

(٦) نفس المصدر السابق - حـ١ - ص٧ .

(٧) نفس المصدر السابق - حـ١ - ص٨ .

إذن، فإن إصول طريقة إبن عربى، والطريق عنده مؤسس على الكتاب والسنة والأخذ بأركان الشريعة.، وتحقيق ذلك ذوقاً وحالاً، فطريقته إذن تجمع بين الشريعة والحقيقة .

ويذكر عنه الشيخ جلال الدين الأسيوطى/ ٩١١هـ/ أنه مربى العارفين كما أن الجنيد (شيخ الطائفة ببغداد المتوفى عام/ ٢٩٧هـ/) مربى المريدين، فإبن عربى روح التنزلات والإمداد وألف الوجود وعين الشهر وهاء المشهود والناهج منهاج النبى العربى ﷺ قدس الله سره، وأعلى فى الوجد ذكره(١).

ويشهد صوفية عصره والعصور التالية من المتأخرين، أن لإبن عربى طريقة تقوم على أصول إسلامية وإيمانية كالزهد والتقشف والنية والصبر والتوكل، والصمت والجوع والسهر، وفى ذلك مجاهدات ورياضات نفسية وروحية، وله كلام كثير فى ذلك، والقواعد التى يقوم عليها أصول هذا الطريق عند السادة الصوفية مثل كلامه عن النية، وتطهير الباطن، ولبس الخرقة(٢).

لقد صنف إبن عربى عدة رسائل صوفية تتضمن أصول طريقته فى كيفية الوصول إلى حضرة الحق سبحانه وتعالى، وآداب هذه الطريقة وأثرها وآثارها. ففى "رسالة الأنوار" يجيب عن سؤال فى كيفية السلوك إلى رب العزة تعالى، والوصول إلى حضرته، والرجوع به إلى خلقه. من غير مفارقة. (٣)

ويضع إبن عربى أصول طريقته وقواعدها العامة والخاصة، ويحددها فى أربعة أمور هى (السهر والجوع والصمت والعزلة) ويقول فى نظمه الشعرى(٤):

بيت الولاية قسمت أركانه	سادتنا فيه من الأبـــدال
مابين صمت وإعتزال دائـم	والجوع السهر النزيه العالى

---

(١) نفس المصدر السابق - حـ١ - ص٨ .

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع الشعرانى - المصدر السابق - ص١٠، كذلك - الكبريت الأحمر فى بيان عقائد الشيخ الأكبر - (بهامش اليواقيت والجواهر) حـ١ - ص١٤، ص٢٨ .

(٣) إبن عربى - رسالة الأنوار - ص١ .

(٤) إبن عربى - الفتوحات المكية - حـ٣ - ص٢٤٠ - كذلك رسالة الأنوار ص١٤، ص١٥ ومابعدها .

وسلوك الطريقة عند إبن عربى وقطع عقباتها من أجل الوصول إلى المشاهدة لايتهيأ للسالك لها إلابأمورمنها (الذل والإنكسار والخوف الشديد لله تعالى، ومحبة الشيخ للمريد، وإتباع سنن الرسول ﷺ والصحابة الأخيار.

ومن سنن هذه الطريقة أمور مروية عن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه "وهى كتمان السر، والمداراة للناس، واحتمال الأذى" .

ولها ثلاثة أعمال هى: من عمل للأخرة كفاه الله تعالى أمر دنياه، ومن أحسن سريرته أحسن الله علانيته ومن أصلح مابينه وبين الله تعالى أصلح الله بينه وبين الناس .

ولها ثلاثة صفات: الصبر على البلاء، والشكر على الرخاء والرضا.

ولها صفات باطنية هى: الطهارة من الحرص والحقد والحسد والكبر. ولها حضور: وهو الحضور مع الله تعالى فى سائر الأعمال(١) ومن خصائص طريقة إبن عربى الصوفية العملية، هى أن يترقى فيها السالك من مقام البدلية إلى مقام القطبية، وقد حصل ذلك لإبن عربى نفسه(٢) ولايصل أحد إلى هذا المقام (القطبانية) إلا إذا قطع عقباتها السبعة وهى: صفات النفس: (الأمارة، اللوامة، والمطمئنة، والراضية(٣) والمرضية، الكاملة، وذلك عن طريق الأذكار السبعة .

وجدير بالذكر أن التابعين لطريقة ابن عربى الصوفية، بحثوا هذه الطريقة فى رسائلهم الصوفية، وتكلموا عن أهميتها، فالشعرانى تحدث عن أصول هذه الطريقة فى "الكبريت الأحمر" إذ نقل عن إبن عربى "أنه يجب على السلك إن لم يكن له شيخ أن يعمل تسعة أمور هى: الجوع والسهر والصمت والعزلة والصدق والصبر والتوكل واليقين "ويؤكد على أول مقام عند إبن عربى وهو الزهد الذى يسبقه الورع فيقول" أجمع أهل العلم (بالله تعالى) على أن الزهد فى الدنيا وترك جميع حطامها والخروج عما يبدو منها أولى عند كل عاقل، وأما الخروج الذى فيه

---

(١) إنظر: الدكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية (ضمن الكتاب التذكارى) ص٣١١، ص٣١٢ .

(٢) تحدثنا فيما سبق عن القطبانية، والقطب عند الصوفية، إبن عربى فى مقام القطبانية. ولمزيد من التفاصيل راجع: الفتوحات المكية - السفر الثانى والثالث.

(٣) الدكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية ص٣١٢، ص٣١٣ .

شبهة تقدر فيه فليس له إمساكه وهذا هو الورع وما هو الزهد" (١) وللشيخ إبن عربى أقوال فى "الخرقة"، المشيخة والخلوة وشروطها والتزاماتها، والإرشادات العملية والتربوية لهذه الأمور التى هى أصول طريقته الصوفية .

٣ - التطبيق العملى لأصول طريقة إبن عربى الصوفية :

لقد كشف إبن عربى عن جوانب التطبيق العملى لأصول طريقته خلال عدة رسائل وضعها. لكى يجيب على تساؤلات فى هذا المجال.. من هذه الرسائل "رسالة الأنوار"، رسالة الخلوة المطلقة، رسالة الأخلاق، ورسالة الموعظة الحسنة (٢).

وعلى ذلك.. فقد ذهب إبن عربى فى تفصيل ذلك من خلال رسائله، فقال :

"إذا أردت الدخول إلى حضرة الحق، والأخذ منه بترك الوسائط والإنس به، أنه لايصح لك ذلك وفى قلبك (ربانية) لغيره، فإنك عن حكم عليك سلطانه .

فلابد من (العزلة) عن الناس، وإيثار الخلوة، على الملأ، فإنه على قدر بعدك من الخلق، يكون قربك من الحق، ظاهراً وباطناً .

* فأول مايجب عليك : طلب العلم الذى تقوم به طهارتك وصلاتك، وصيامك، وتقواك، ومايفرض عليك طلبه خاصة، لاتزيد على ذلك، وهو أول باب السلوك، ثم العمل، ثم الورع، ثم الزهد، ثم التوكل. (٣)

---

(١) راجع الشعرانى - الكبريت الأحمر فى بيان عقائد الشيخ الأكبر (هامش اليواقيت والجواهر) ص٢٨ ، ص٣١ .

(٢) نشرت هذه الرسائل - تحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود - ط مكتبة عالم الفكر - ١٩٨٦م .

(٣) إبن عربى - رسالة الأنوار - ص١٤، ص١٥ (ومن الجدير بالذكر أن إبن عربى فى تنظيمه لأصول طريقته وشروطها وآدابها العامة والخاصة وتطبيقاتها العملية، كما وضحنا يتفق مع من تقدمه من مشايخ اصوفية المعتدلين، وأصحاب الطرق المعاصرين له أو المتأخرين، فقد ذكر أبو حفص عمرو السهروردى البغدادى المتوفى عام ٦٣٢ هـ أن طريقتهم فى التصوف تقوم على أربعة أشياء هى: قلة الطعام وقلة المنام ، وقلة الكلام، والإعتزال عن الناس" . راجع عوارف المعارف - هامش إحياء علوم الدين للغزالى - ط دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ .

ومن ثمار التوكل عند إبن عربى: أحوال التواكل، وهى أن يحصل لك أربع كرامات، هى علامات وأدلة على حصولك فى أول درجة التوكل، وهى: طى الأرض، والمشى على الماء، وإختزال الهوى، والأكل من الكون. وهو الحقيقة فى هذا الباب، ثم بعد ذلك تتوالى المقامات والأخوال والكرامات، والتنزلات إلى الموت .

فبالله، لاتدخل خلوتك حتى تعرف، أين مقامك، وقوتك من سلطان الوهم، فإن كان وهمك حاكماً عليك، فلا سبيل إلى الخلوة إلا على يد شيخ، مميز عارف، وإن كان وهمك سلطانك، فخز الخلوة ولاتبال" (١)

فابن عربى يحذر من دخول الطريق، وطلب الوصول، قبل الإستعداد وتخلية القلب من سلطان الوهم، والطهارة والعمل والروع والزهد.

* **والأمر الثانى** : فى طريق الوصول ودرجات السلوك، "الرياضة" يقول إبن عربى "والرياضة: عبارة عن تهذيب الأخلاق، وترك الرعونة، وتحمل الأذى" (٢).

ويبين إبن عربى، الخصائص اللازمة للرياضة أو تهذيب الأخلاق أو آداب العزلة أو الإعتزال..

يقول "فإذا إعتزلت الخلق فاحذر من وصولهم إليك وإقبالهم عليك، فإنه من إعتزل عن الناس، لم يفتح بابه باية: لقد قصد الناس إليه، فإن المراد من العزلة ترك الناس ومعاشرتهم وليس المراد من ترك الناس ترك صورهم، وإنما المراد: أن لايكون قلبك ولاأذنك وعاءاً لما يأتون به من فضول الكلام فلا يصفو القلب من هذيان العالم، فكل من إعتزل فى بيته وفتح بابه قصد الناس إليه، فأنه طالب رئاسة وجاه، مطرود عن باب الله تعالى فالله، الله، تحفظ من تلبيس النفس فى هذا المقام. (٣)

* **والأمر الثالث** : من آداب الطريق ودخول الخلوة - الإشتغال بالذكر.

يقول إبن عربى "أغلق بابك دون الناس، وكذلك باب بيتك وبين أهلك وأشتغل بالذكر" ذكر الله تعالى".

---

(١) إبن عربى - رسالة الأنوار - ص١٥ - ص١٦ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص١٦.

(٣) إبن عربى - نفس المصدر السابق - ص١٧ .

بأى نوع شئت من الأفكار، "أو الأذكار" "وأعلاها الإسم، وهو قولك "الله، الله" لاتزيد عليها شيئاً. ويحذر إبن عربى من طوارق الخيالات الفاسدة أن تشغل المريد عن الذكر (١).

* **الأمر الرابع** : من أداب الطريق ودخول طريق الوصول، الإلتزام بإعتدال المزاج، وذلك بأن يتحفظ المريد فى الغذاء، يقول إبن عربى.. وتحفظ فى غذائك، وإحذر من الشبع ومن الجوع المفرط، وإلزم إعتدال المزاج، إن المزاج إذا أفرط فيه اليبس أدى إلى خيالات، وهذيان طويل (٢).

ويحذر إبن عربى من الواردات التى ترد على قلب المريد وخيالاته، أثناء رياضته وخلوته، فقد تكون ملكية روحانية، أو واردات شيطانية خبيثة.. ويفرق إبن عربى بين الواردات فيقول "وذلك إن الوارد إذا كان ملكياً فإنه يعقبه برد ولذة ولاتجد ألماً، ولاتتغير لك صورة، ويترك لك علماً. وإن كان شيطانياً، فإنه يعقبه تهويس فى الأعضاء، وألم، وكرب، وحيرة، وذلك بالأفكار الفاسدة، ويترك تخبيطاً فتحفظ، ولاتزال ذاكراً حتى يفزع الله عن قلبك وهو المطلوب. (٣)

***والأمر الخامس:** فى آداب الخلوة وطريق الوصول عدم السؤال عن ماذا؟

يقول إبن عربى .. واحذر أن تقول: ماذا، وليكن عقلك عند دخولك إلى خلوتك، أن الله ليس كمثله شئ فكل مايتجلى لك من الصور فى خلوتك، يقول لك : أنا الله، فقل: سبحان الله، "أنت بالله" وإحفظ صورة مارأيت، وإشتغل بالذكر دائماً (٤)

* **الأمر السادس** : أن لاتطلب منه فى خلوتك سواه (أى الله تعالى)، ولاتعلق الهمة بغيره، ولو عرض عليك كل مافى الكون، فخذه بأدب، ولاتقف عنده، وصمم على طلبك، فإنه يبتليك.

ويبين إبن عربى للمريد بعض مايبتلى الله تعالى المريد به (نوع من الإختبار لصدق نيته، وقوة عزيمته.. يقول "فإعلم أن الله تعالى يبتليك بما يعرضه عليك، فأول مايفتح عليك أن

---

(١) نفس المصدر السابق ص١٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ص١٧ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص١٨ .

(٤) نفس المصدر السابق - ص١٨ .

أعطاك الأمر على ترتيب ماأقوله لك، وهو كشف عالم الحق، والغائب عنك، فلا تحجبك الجدران ولاالظلمات عما يفعله الخلق فى بيوتهم، إلا أنه يجب عليك التحفظ من أن تكشف سر أحد، إذا أطلعك الله عليه فإن بحت به، وقلت "هذا زان، وهذا شارب وهذا يغتاب، فإتهم نفسك" فإن الشيطان قد دخل عليك، فتحقق بالإسم المشار إليه، وإن جاءك ذلك الشخص، فانهه فيما بينك وبينه على الستر، وأوصه أن يستحى من الله تعالى ولايتعد حدود الله تعالى، وإله عن هذا الكشف جهد طاقتك واشتغل بالذكر (١).

ويستطرد إبن عربى خلال رسالة "الأنوار" فى وصف أحوال المريد ومايعرضه له من كشوفات، وتجليات، وأسرار. وهو فى طريق الوصول إلى الحق. وأحوال الولاية. والقطبانية، وخصائصها وتدرج مقاماتها وثبوت أحوالها، وميراثها... وهكذا (٢).

ويوضح إبن عربى فى طريقته العملية آداب وشروط الخلوة، الصادقه والصحيحة، وإستعداداتها لدى المريد، من خلال رسالته "الخلوة المطلقة" يقول منذ البداية "ورأيت أرباب هذه الطريقة قد أقاموا علي استعدادات مخصوصة : أنتجت لها أمورا معينة ، يشار اليها، وتقتصر عليها ..."ثم يتكلم ابن عربى فيما ينبغى أن يكون عليه صاحب الخلوة . إن شاء الله ..يقول " ينبغى أن يكون شجاعا، مقداما، لا يكون جبانا خوارا."(٣)

ويجب أن يكون (أى صاحب الخلوة) حاكما على وهمة وغير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدا فى كل ماسوى مطلوبه، عاشقا لما توجه اليه، على مايقويه من قوة الأمور القواطع التي بين يديه، نافذا الهمة، مصدق الخاطر، ثابتاً عند زعقة، أو وقع جدار، أو مفاجئه أمر مهول غير طائش، كثير السكون، دائم الفكر، غائبا عن أكثر الحالات، ساهيا عن لذة المدح، وألم الذم، صاحب قوت طيب، (أى لايجد فى نفسه عند أكله أثر ريبة من باب الورع).

---

(١) إبن عربى - المصدر الساق - ص١٩ - ص٢٠ .

(٢) لمزيد من الدراسة - نفس المصدر السابق ص٢٠ حتى ص٣٦ .

(٣) ابن عربى- رسالة الخلوة المطلقة - ص ٦ ، ص ١٠ تحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود-ط عالم الفكر . القاهرة ١٩٨٧.

قال بعض أئمة التصوف "مارأيت أسهل من الورع: كلما حسا : فى نفس له شئ: تركته".

وهو قول النبى ﷺ .. دع مايريبك إلى مالايريبك... [١].

ويضيف ابن عربى شروط الخلوة الصادقة، أن لا يتكلف له أحد ذلك [٢] فحينئذ له أن يدخل الخلوة، وإن لم يكن على شئ من هذا، فلاسبيل له إلى الخلوة، لكنه يستعمل العزلة، ويدرب نفسه، وبهذا بها ويروضها على الخير إلى أن يعتاده، فإن الخير عادة .

فإذا حصل له هذا الأمر، دخل الخلوة أى خلوة شاء عامة أو خاصة .

وكأن ابن عربى يفرق بين الخلوة والعزلة ، فالخلوة فى مقام أعلى من العزلة، فالإعتزال مقدمة لها، حتى يروض المريد نفسه على أعمال البر والخير والتقوى والورع .. ألخ ثم يدخل الخلوة الصادقة بعد ذلك .

وليقدم صاحب الخلوة بين يديه صدقه، إن كان له شئ ولو لم يكن له سوى ثوبين، متصدق بأحدهما، أو ثوب واحد يمكن أي يباع بثوبين، يستبدله بغيره، ويتصدق بما فضل. [٣]

أ - الخلوة المطلقة عند ابن عربى :

تحدث ابن عربى عن هذا النوع من الخلوة، وذكر آدابها وشروطها وإختصاصها، وهى عبارة عن الإستعداد الكلى على حسب ماتعطيه النشأة الإنسانية القابلة عند صفائها، وتخلصها لما ذكرناه من هذا الأمر الكلى الذى يقع فيه التفصيل بالعوالم والأسماء، وعلى حسب ماتقيد به أيضا من الأمور الشرعية المنزلة عن الأمور المشيئة، ويؤكد ابن عربى أن صاحب هذه الخلوة، أن يتقيد بما تواطأت عليه النفوس من "مكارم الأخلاق" وترك ذميمها وسفسافها، ويقيس ما يفعل

---

(١) هذا الحديث رواه أحمد عن أنس، والنسائى عن سيدنا الحسين بن علي بن أبى طالب، والطبرانى عن وابصة بن معبد والخطيب عن عبد الله بن عمر والأمام أحمد والترمزى وابن حيان عن الحسن وابن قانع وأبو نعيم فى الحبة والخطيب عن عبد الله بن عمر.

(٢) يعنى ذلك أن لايدخل الخلوة وهو متكل على أن الناس يطعموه، فإن هذا مخالف للشرع كما قال النبىﷺ لما سأل عن الرجل العابد من "يعوله" قالوا كلنا، قال كلكم أعبد منه".

(١) ابن عربى - رسالة الخلوه المطلقة - ص ١٠ ، ص ١١

"لقد سئل الرسولﷺ عن أفضل الصدقة قال."جهد المقل" رواه الحاكم وأبوداود فى مسنده

هذا من فعله، فقد دخل تحت هذا الأمر الشرعى المنزل "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(١) والحكم عندنا للأحوال، (بمعنى لكل حال يحكمه) (٢)

ويوضح إبن عربى حال المريد فى هذه الخلوه، حيث أنه منقسم بين أمرين" أفعل ، ولاتفعل" وإن شئت لاتفعل ".

يقول ابن عربى.. فأما قسم لاتفعل: فأمتثله مطلقا من غير توقف، ولاحديث نفسى، ولاتردد.

وأما قسم : إن شئت، وهو المباح، فأنظر أن كان فعله يؤدى إلى أن يكون صاحب خلق عظيم شرعا فأفعله.

وإن كان يؤدى تركه إلى ذلك أيضا فاتركه.

وأما قسم : أفعل، فآمتثله إمتثال سائس بنفسه خائفل من شرورها. وذلك بأن تطمعها فى نتائج ذلك الفعل، بمايكون لها من الشفوفة والإختصاص بدرجة الكمال على جنسها(٣) .

ثم أعرف مايستحق كل عالم من الحيوان الناطق، والنبات والجماد، مما ينبغى أن يعامل به من الخلق الذى يوافق غرضه ، إذا كان ذا غرض، مع حفظ الشرع، وهو مايوافق الحكمة فى عالم الأغراض، كالنبات والحيوان، والجماد وهو "ترك العبث به" (٤)

ويوضح ابن عربى شروط هذه الخلوة "المطلقة" يقول "فلا تقلع نبتا، ولا تغير نظامه وترتيبه عبثاً بغير فائدة تعود منه علي حيوان يجلب بذلك منفعة له، أو دفع مضرة عنه.

كذلك ، لاتسل حجرا عن موضعه عبثاً.

والجامع فى هذا كله، أن لاترسل شيئاً من حواسك عبثا هذا شرط لابد منه.

ثم معرفة الذنوب، صغيرها ، وكبيرها ، خفيها ، وجليها ، وأنسحاب التوبة عليها .

ثم رد المظالم المقدور على ردها من عرض ، ومال.

---

(١) هذا أمر شرعى القول الرسول ﷺ . أنما بعثت لأ تمم مكارم الأخلاق . رواه البخارى ومسلم.

(٢) ابن عربى - المصدر السابق، ص ١٢- كذلك "راجع الهامش".

(٣) معنى ذلك أن النفس بحاجة الى مزيد من الترويض والتدريب علي فعل العمل الأخلاقى حتى تعتاد عليه.

(٤) ابن عربى. المصدر السابق. ص١٣ - ص١٤ .

ثم تطهير عالمك الباطنى من كل مذموم، شرعا، وغرضا، وطبعا، وتقييده عن الجولان فى عالم الكون، وتفريضه عن الفكر، فإن الفكر أخر شئ فى هذا الإستعداد، وفى جميع الخلوات، لاتصح به أبدا، ولايظهر لصاحبها ثمرة صحيحة إلا بحكم الإتفاق، "فالله، الله" . أحفظ نفسك منه.

وكذلك حديث النفس، وتصرفاتها فى مراتب الكون، لاتساعدها علي ذلك فإنه تمزيج وتخليط.

وليكن ذكرك الأسم الجامع الذى هو "الله، الله" (١) وإن شئت "هو، هو "، لاتتعدا هذا الأمر، وتحفظ بفوه به لسانك(٢) وليكن قليل هو القائل، ولتكن الأذن مصغية لذلك، الذكر، حتي ينبعث الناطق فيك بالذكر .

وأما قد ماتلبس من الثياب، فهو: مايكون بدنك معتدلاً وليكن من وجه لايريبك، مثل الاكل سواء.

وليكن عندك حفاظ(٣) نقى يباشر عورتك، نفسك فى أكثر الأوقات.

ولاسبيل إلى الإضطجاع، ولاإلى النوم إلا من غلبه،،،

ولتقدم أولاً قبل دخولك إلى الخلوة الأولى. أية خلوة كانت "مطلقة، أومقيدة" رياضة وعزلة عن الخلق وصمتاً، وتقليلاً من الطعام، وترك الشرب من الماء جملة.

---

(١) ولاشك أن مايريده ابن عربى من ذلك "أن من أراد أن يفتح عليه يذكر هذا الإسم الشريف"الله" فليتخذ خلوة، وليترك سائر الأذكار والأوراد غيره، ولايذكره من حيث أنه يدل على العين فقط، بل لابد أن يستحضر أنه يذكر من لاتحصره الأكوان، ومن له الوجود المطلق التام، وهذا الشهود هو المعبر عنه بالبسط" ابن عربى - الخلوة المطلقة - ص١٥.

(٢) الذاكر بلفظ "هو" يصخر فى نفسه " الله فيكون ذكره هو "الله" وفى القرآن الكريم قوله تعالى "هو الله الذى لا إله إلا هو "سورة الحشر (٢٢) وينبه ابن عربى كذلك على ضرورة ا لتحفظ فى التفوة باللسان، لأن استحضار "هو" يكون بالقلب، لا بالعقل أو باللسان. راجع ابن عربى - رسالة الخلوة المطلقة ص١٦ .

(٣) الحفاظ: يعنى السروال، الذى يلبس فيحفظ العورة.

فإذا آنست النفس بالوحدة والعزلة، عند ذلك تدخل الخلوة[١]

ب - كيفية الخلوة ومايختص بها وحالة المريد فيها :

يصف إبن عربى الخلوة التى يريد المريد الدخول إليها وكيفيتها ومايختص به من إمور وإستعدادات حتى يخلو حال المريد مما قد يشغله عن التوجه بالكلية إلى الله تعالى، وحضوره التام بحضرته النورانية الروحانية.

يقول إبن عربى "ومما يختص بهذه الخلوة[٢] وعض الخلوات ألا يقتل حيواناً أصلاً"[٣] ويقول موجهاً خطابه إلى المريد: "وإذا خفت من الهوام فى رأسك، فألحقه، وليكن عند دخولك فى الرياضة، ولتستعد ثياباً تستبدلها مادامت تحس بنفسك، فإن شغلت عن هذا كله، فهو: المطلوب، ولاتقعد دون طهارة، والأساس كله على: التوجه لله تعالى بالتوحيد المطلق، الذى لايشوبه شرك، خفى ولاجلى، ونفى الأسباب والوسائط كلها جملة وتفصيلا، وإحتفظ من الشرك والشك والتعطيل، فإنه يناقض المطلوب".

ويقول أيضاً "ويكفيك ماسامحتك به من شرع الكون[٤] وإن كنت عليه فهذا هو سبب دخولك فى الشرع المنزل[٥].

وفى وصف بيت الخلوة وحالة فيها وشروطها يقول إبن عربى مخاطباً المريد لها "فأما صفة البيت المخصوص بهذه الخلوة، فينبغى أن يكون بكل خلوة إن أمكن فهو: أن يكون إرتفاعه قدر قامته وطوله قدر سجودك، وعرضه قدر جلستك. ولايكن فيه ثقب ولاكوة أصلاً. ولايدخل

---

(١) راجع إبن عربى. المصدر السابق - ص١٦، ص١٧ .

(٢) يقصد إبن عربى بهذه الخلوة: الخلوة المطلقة أو المقيدة.

(٣) وهو مايشبه مناسك الحج، لأن الحاج مقبل على الله تعالى لايشغله أى شئ مطلقاً، فالله تعالى يحب أن يكون شاغله .

(٤) شرع الكون : يعنى بذلك ابن عربى : مايلزم الفرد المريد من أكل ومشرب ولباس وغير ذلك مما لابد منه للحياة.

(٥) الشرع المنزل: هو ماشرعه الله تعالى ورسوله ﷺ .إنظر - إبن عربى - الخلوة المطلقة - ص١٨ - ص١٩ .

عليك ضوء رأساً، ويكون بعيد من أصوات الناس، ويكون بابه قصيراً، وثيقاً فى غلقه. وليكن فى دار معمورة فيها الناس وإن تمكن أن يبيت أحد بقرب باب الخلوة، فهو أحسن.

وأما صورتك فيها إبتداء، فهو أن تغتسل وتنظف ثيابك ولابد من النية بالتقرب إلى المتوجه إليه "لاإله إلا هو العزيز الحكيم".

ولاسبيل لكثرة الحركة فيها، ولاتزد على الفرائض والركعتين والرواتب، والعقود على طهارة، إستقبال القبلة، وإذا أردت الحاجة، فليكن موضع حذائك بعيداً، قريباً من خلوتك.

وتحفظ عند خروجك من الهواء الغريب، فإنه يؤثر تفريقاً زماناً طويلاً.

وليكن ماؤك لايتغير عليك، وإذا خرجت لحاجة، سد عينيك وأذنيك وليكن غذاؤك معك فى بيتك معداً، وخلف باب بيتك محفوظاً.

ومن شروط هذه الخلوة أيضا، بل كل خلوة، إن قدرت أن لايعرف أحد أنك فى خلوة أصلا. ولايعرف ذلك منك إلا أقرب الناس إليك، فى خدمتك ممن يجهل ماأنت عليه، ولايعرف (١)

جـ - آداب الأكل فى الرياضة (أول العزلة وفى الخلوة):

يقول ابن عربى "وأما صورة الأكل فى الرياضة فى أول العزلة ، فى الخلوة ، فهو أن تأخذ اللقمة، وتسمى الله تعالى عليها بذلة وإفتقار وخضوع وخشوع، فإذا ألقيتها فى فمك وأكثر مضغها جيدا، فإذا ابتلعتها، فأحمد الله تعالى الذى سوغكها حمداً تاماً (فى حال بحضور) ومراقبة وتربص، حتى تعلم أنها قد استقرت فى فم المعدة .

ثم خذ بعد ذلك لقمة أخرى، تفعل فيها مثل الأولى .

هكذا، حتى تنتهى الى القدر الذى فيه غذاؤك .

وكذلك شربك الماء مصا، وتقطع من نفسك مرارا .

وعود نفسك أن تمسكها عن الماء وإن عطشت، فإنك إن جاهدتها قليلا، تنعمت بها كثيرا، حتى تقيم الأيام أو الشهور لاتشرب فيها ماء .

---

(١) يؤكد ابن عربى على ذلك حتى تكون السرية تامة بين المريد وبين الله تعالى - المصدر السابق - ص٢٦ - ص٢٧.

وبهذا تستحب المجاهدة، أو الرياضة فى العزلة قبل دخول الخلوة، حتي يصير ذلك طبعا وعادة، ولاتحس النفس به كما لاتحس بالعادات، فتدخل الخلوة عقب ذلك مستريحا نشيطاً، طيب النفس، فارغاً من المجاهدة، خالى المحل من المقايدة، مهيئاً مفرغاً لذكر المذكور، والتجلى المطلوب، والوارد الأتى عليك، فإن المجاهدة فى الخلوة تذهب بجمعية الخلوة التى هى روحها، فتحفظ من ذلك وقدم العزلة ولابد وإندرج منها إلى الخلوة المطلوبة يسرع إليك الفتح إن شاء الله تعالى(١) .

د - أنواع من الخلوة كما ذكرها ابن عربى وأوراده:

ذكر ابن عربى بعض أنواع "الخلوة" التى مارسها وردد فيها مافتح الله عليه من كلمات وما حدث له من فتوحات وسبوحات نورانية روحانية، من هذه الأنواع:

- **"خلوة " الهدهـد"**

ويكون الذكر فيها قول..لاإله إلا هو رب العرش العظيم ..سورة النمل آية (٢٦). (٢)

- **"الخلوة الصمدانية"**

يقول إبن عربى "أيامها ثلاثون يوماً، لانوم فيها، ألبته، وإن اتفق أن يكون فى رمضان فهو أولى، وإلا ففى المحرم، وذكرها "سورة الإخلاص" قوله تعالى "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" (٣).

---

(١) ابن عربى - الخلوة المطلقة - ص٢٤ - ص٢٥.

(٢) قال الله تعالى فى سورة النمل عن قصة سيدنا سليمان مع الهدهد الذى إكتشف عرش بلقيس ملكة سبأ " وتفقد الطير فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين (٢٠) لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين(٢١)فمكث غير بعيد فقال أحطت بمالم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين (٢٢)إنى وجدت إمرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم (٢٣)وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون (٢٤) ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ماتخفون وماتعلنون (٢٥) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم (٢٦).

(٣) راجع ابن عربى - الخلوة المطلقة - ص١٩.

- "خلوة القريـــن"

ذكر ابن عربى بعض الأذكار والدعوات فى هذه الخلوة، وهى متصلة بالنصوص الإلهية، والأحاديث النبوية الشريفة، من ذلك قوله "تختلف الحالات فيها على الأنسان بحسب أذكاره، فإن الذكر مع الإستعداد هو الداعى إلى الفتح ولكن بما يناسب الذكر الذى يكون عليه صاحب الخلوة وقد أدخلت مريداً لنا يذكر سهل بن عبد الله الذى أعطاه خاله وهو "الله معى. الله ناظر إلى، الله شاهد على" ففتح له به فى أربعة أيام. وأما أنا ففتح لى به فى ربع ليلة.

ويقول أيضاً "وأدخلت شخصا بيته على "سبحان الله العظيم وبحمده" فرفع من ليلته .

ويقول "ودخل بعض الشيوخ بذكر "لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لايموت، بيده الخير، وهو على كل شيئ قدير"(١)

"بعض الأوراد والذكر لإبن عربى" .

يقول ابن عربى "وهى فى الخلوة عجيبة وهى:

"عينت وجوه الروحانيات العلى، للسبحات العظمى، التى فاق بها الرتق، ياعلى ياقيوم، يامن أوجد الآيات العلويات متحركة، والأمهات السفليات ساكنة، بالصفة التى هى عين الموصوف".

"يامن أدار القمرين حول مراكز تداويرها، وأدار الدورة الكبرى للسكون والفضل المبتغى المنطوق به على ألسنة الروحانيات العلو ".

"يامن نظر إلى من نظر إليه"

"يامذل الأعز، ياقدوس، يا أحد، لك العز الأفخر، والملك الأكرم، والملكوت الأفخم، أثر جلالك الهيبة فى القلوب، تنقل الأطوار والأدوار، وتعلم سكن فى الليل والنهار، ياعظيم لاأعظم، ياكبير لاأكبر(٢) أنت المقصود بكلمة همة، والمسؤل بكل لسان .

---

(١) المصدر السابق - ص٣٠ ، ص٣١.

(٢) يقصد إبن عربى من قوله "ياعظيم لاأعظم، ياكبير لاأكبر" بمعنى - "لاأعظم منك، ولا أكبر منك".

"ياحى ياقيوم" "ياعلى ياعظيم، ياعليم ياحكيم" (١).

ولإبن عربى رسالتين، فيهما مواعظ وتحليل للنفس الإنسانية، مقيرة فى الطريقة الصوفية، وحسبنا الإشارة إليهما حيث أن إبن عرى يحلل ويناقش مزايا التربية السلوكية، وتقويم الأخلاق الإنسانية، إذ نجده قد أوضح المراد بالأخلاق المذمومة والأخلاق المحمودة. والنفس الشهوانية والنفس الغضبية والنفس الناطقة وطريق الإرتباط بالأخلاق، وأوصاف الإنسان التام الجامع لمحاسن الأخلاق (٢).

هـ - الشيخ والمريد والخرقة :

لقد ظهر رجال من الصوفية، كان لهم الفضل الأكبر فى تكوين طوائف وجماعات لها طرق تميزها على سائر المذاهب الأخرى، منهجاً وسلوكاً منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين وتعتبر التربية الأخلاقية، وتقويم السلوك ورياضة النفس أو ترويضها، من أهم المسائل التى أكد عليها شيوخ هذه الطوائف والجماعات الصوفية منذ نشأته، ولعل الإمام أبو القاسم الجنيد/٢٩٧هـ/ الذى عرف فى تاريخ التصوف الإسلامى "شيخ الطائفة ببغداد" من أهم الشخصيات التى عنيت عناية فائقة بتربية المريدين "فهو من المريدين " "ومعلمهم"، وعلى ذلك، فإن التصوف الإسلامى زاخر بهؤلاء الشيوخ والمربين، ويؤكد الصوفية على ضرورة وجود شيخ أومعلم مؤدب للمريد الذى يريد الوصول إلى رحاب الحضرة الإلهية، ويستأنس بحضوره فى فيوضات الله النورانية وقد ذكر الصوفية نقلاً عن أبى اليزيد البسطامى قوله "من لم يكن له أستاذ فأن أستاذه الشيطان" (٣) وإذا تأملنا آراء المتأخرين من الصوفية نجدهم يؤكدون على ضرورة "المشيخة" أى

(١) إبن عربى - الخلوة المطلقة - ص٣١ - ص٣٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل والدراسة راجع: إبن عربى - رسالة الأخلاق وتحقيق الشيخ عبد الرحمن حسن محمود ط عالم الفكر - القاهرة ١٩٨٦م .

- كذلك إبن عربى - رسالة الموعظة الحسنة - تحقيق عبد الرحمن حسن محمود - ط - عالم الفكر - القاهرة ١٩٨٧م .

(٣) راجع - الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - كذلك اليواقيت والجواهر - ص٧ - ص١١ - كذلك القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص١٨١.

وجود الشيخ للمريد، كذلك الخرقة، ودلالاتها الروحانية على أصول الطريق الذى يسلكه السالك إلى الله تعالى.

فإذا تأملنا آراء المتأخرين من الصوفية، وأصحاب الطرق، نجدهم يعتمدون رتبة "المشيخة" ويأتون بأسانيد عن النبى ﷺ إنه قال "والذى نفس محمد بيده لئن شئتم لأقمن لكم أن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبيون عباد الله إلى الله ويحببون الله إلى عباده، ويمشون على الأرض بالنصيحة وهذا الذى ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة "المشيخة" والدعوة إلى الله تعالى، لأن الشيخ يحبب الله إلى عباده حقيقة ويحبب عباد الله إلى الله تعالى(١).

وقد بلغ قدر المشيخة عند المتأخرين، أعلى المراتب، يقول فى ذلك زبو حفص عمرو السهروردى المتوفى عام ٦٣٢ هـ ورتبة المشيخة من أعلى الرتب فى طريق الصوفية، وثيابة النبوة فى الدعاء إلى الله تعالى"(٢)

وللشيخ أهمية للمريد، إذ أنه يسلك بالمريد طريق الإقتداء برسول الله ﷺ، كما أن الشيخ يسلك بالمريد طريق التزكية، وإذا تزكت النفس وإنعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ولاح فيه جمال التوحيد، وإنجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الأزلى فيحب العبد ربه لامحالة، وذلك ميراث التزكية"(٣).

وأهمية الشيخ بالنسبة للمريد بالإضافة إلى ماسبق، تزكية النفس وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى، وأيضاً مرآة القلب إذا إنجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقها وماهيتها، ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها، فتنكشف للصيرة حقيقة الدارين، وحاصل المنزلين، فيحب العبد الباقى ويزهد فى الفانى، فتظهر فائدة التزكية، وجدوى المشيخة. والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين، ويهدى به الطالبين(٤).

---

(١) السهروردى (أبو حفص عمرو) - عوارف المعارف (هامش إحياء علوم الدين) - حـ٢ - ص١٣.

(٢) نفس المصدر السابق حـ٢ - ص١٤ .

(٣) نفس المصدر السابق - حـ٢ - ص١٥ .

(٤) المصدر السابق - حـ٢، ص١٥ .

ولما كان "للمشيخة" هذه الرتبة، والمكانة العالية فى تاريخ الطرق الصوفية، من حيث تربية المريدين، وتقويم سلوكهم، وتعميق قلوبهم وتزكية نفوسهم. فإن محى الدين بن عربى تحدث على ضرورة الشيخ للمريد، ووضع رسائل كثيرة فى تأكيد هذه الرتبة عند أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين .

فالشعرانى يذكر عن شيخه الأكبر محى الدين بن عربى أنه قال فى "الباب الثالث والخمسين" "من الفتوحات المكية" يجب على كل من لم يكن له شيخ أن يعمل تسعة أمور حتى يجد له شيخاً وهو :

الجوع، والسهر، والصمت، والعزلة، والصدق، والصبر، والتوكل، والعزيمة واليقين(١)
وهذا المعنى يتضمن ضرورة الشيخ للمريد حتى يسير بإرشاده، وتعليمه وتربيته إياه .

كذلك يؤكد الصوفية المتأخرون "أن معرفة المطلوبة عند القوم لاتكون إلا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى" .

ولاشك أن المتأخرين من أصحاب الطرق الصوفية يحذرون المريد من الرجوع إلى أكثر من شيخ واحد هو قدوته ومعلمه ومربيه، وذلك لأسباب منها قولهم :"إنما منع الأشياخ المريد من الإجتماع بغيرهم من الأشياخ ليختصروا له الطريق. فإن حكم طريق كل شيخ كالأصبع المتصلة بالكف، فإذا سلك الإنسان مقدار عقدة، ثم إنتقل إلى شيخ آخر فسلك على يديه مقدار عقدة، ثم إنتقل إلى اخر فسلك على يديه مقدار عقدة، فقد أوقف نفسه عن السير، ولو أنه جعل سلوك تلك العقد كلها على يد شيخ واحد، لكان دخل حضرة الكف، فإن كل أصبع ثلاث عقد، فنفذ عمر هذا وهو فى أول عقدة من سائر الطرق، فهذا سبب منع الأشياخ مريديهم أن يشترك معهم فى السلوك وغيرهم(٢).

وإذا كان كذلك، فإن إبن عربى وهو شيخ طريقة صوفية عملية، لها أثرها فى تاريخ التصوف الإسلامى وتطوره فى عصوره المتأخرة وأى ضرورة شيخ لتربية المريدين، وإرشادهم إلى طريق الوصول إلى الله تعالى يقول إبن عربى "ومما لابد فيه طلب شيخ مرشد، والصدق من شعار

---

(١) الشعرانى - الكبريت الأحمر فى عقائد الشيخ الأكبر - هامش اليواقيت والجواهر - ط ص١٧.

(٢) دكتور - أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية - ص٣١٨ .

المريد فإن المريد إذا صدق مع الله فيض الله من يأخذ بيده" ويقول أيضاً "فلابد من مؤدب وهو الأستاذ، وحينئذ تقع الفائدة" .

ولعل أوثق الروابط بين الشيخ والمريد هو "رباط المحبة، وذلك بمحبة الشيخ للمريد، وكذلك محبة المريد لشيخه" فمتى مال إليه بقلبه نال مطلوبه ووصل إلى مشاهدة ربه" (المتوفى سنة ٦٣٢هـ)، ويتفق إبن عربى مع السهروردى (أبو حفص عمرو) الصوفى المعاصر له فى تعظيم قدر الشيخ وعلمه بالنسبة لمريده فيذكر دائماً أن "مقام الشيخ هو مقام الدعوة إلى الله وهو الوارث للنبوة" (١).

ومما يلفت النظر، أن طريقة إبن عربى فى أخذ العهد على المريد تقوم على "التلقين" وذلك متبع أيضاً فى الطرق الصوفية عند المتأخرين، وذلك بأمر من الشيخ المريد بالتوبة من جميع الصغائر والكبائر، ثم يقابله شيخه ويضع يده بيده ثم يأمره أن يغمض عينيه ويقول : لاإله إلا الله ثلاث مرات، والمريد يسمع، ثم يقول المريد: لاإله إلا الله ثلاث مرات والشيخ يسمع، ثم يقرأ للتبرك قوله تعالى " إن الذين يبايعونك" سورة الفتح آية (١٠).

وعندئذ يلبس الشيخ مريده خرقة التصوف، وحكمة ذلك عند إبن عربى هو "لنزع الأخلاق الردية من المريد" يقول "فلم نزل نلبسها أى "الخرقة" للمريدين كما لبسناها فننزع من المريد جميع الأخلاق الردية مع الخرقة التى نلبسها به، فمن أعطاه الله ماذكرناه فليلبس الخرقة لغيره، وإلا فليلزم الأدب مع الأشياخ(٢).

ومن الجدير بالذكر أن لبس الخرقة عند المتأخرين من الصوفية تعنى إرتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ فى نفسه والتحكيم سائغ فى الشرع لمصالح دنيوية، كذلك فإن لبس الخرقة إظهار للتصوف فى المريد، ويكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخول

---

(١) أنظر - السهروردى (عوارف المعارف) هامش إحياء علوم الدين حـ٢ - ص١٤٨ .

(٢) دكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية ص٣١٩.

(يقول الشيخ محى الدين بن عربى فى الباب الخامس والعشرين من الفتوحات المكية "كنت لاأقول بلبس الخرقة التى يقول بها الصوفية حتى لبستها من يد الخضر عليه السلام تجاه باب الكعبة" راجع إبن عربى الفتوحات المكية - السفر الثانى - كذلك الشعرانى - اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ط ص١٤.الهامش الكبريت الأحمر فى بيان عقائد الشيخ الأكبر.

المريد فى حكم الشيخ ودخوله فى حكم الله تعالى ورسوله ﷺ . ففى الخرقة معنى المبايعة، والخرقة عتبة الدخول فى الصحبة والمقصود الكلى هو الصحبة، وبالصحبة يرجى للمريد كل خير، وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيرى عن شيخه أبى على الدقاق أنه قال "الشجرة إذا أنبتت بنفسها بغير غارس فإنها لاتورق ولاتثمر" والخرقة عند المتأخرين خرقتان، خرقة الإرادة، وخرقة التبرك، والأصل الإرادة أما التبرك فهو للمتشبه ومن تشبه بقوم صار منهم، وسر الخرقة عند الصوفية المتأخرين "أن الطالب الصادق إذا دخل فى صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الإفتقار، وحسن الإنتقامه، كذلك يكون للشيخ ينفوذ بصيرته الإشراق على البواطن..إلخ.(١)

وعلى ذلك فإن "للخرقة، دلالة رمزية، لدى أصحاب الطريق الصوفى، فهى ترمز إلى دخول المريد فى الطاعة والولاء بشيخه، وهى علامة التفويض والتسليم للحق تعالى، والصدق وعمق الإيمان والإخلاص التام، فليس المريد للخرقة من قبل شيخه دلالة على رضاء الشيخ التام، وحبه لمريد الذى يلبسه خرقته، وليس الأمر فى ذلك بالهين، بل يحتاج من الشيخ شروط بينها إبن عربى منها "أن يكون عارفاً بالخواطر النفسية الشيطانية والملكية والربانية، وبالأصل الذى تنبعث منه هذه الخواطر، وحركاتها الظاهرة، وبما فيها من العلل والأمراض الصارفة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة وبالأدوية وأعيانها، وبالأزمنة التى يحمل المريد فيها إستعمالها، وبالأمزجة والعوائق والعلائق الخارجة للمريد، مثله فى ذلك مثل الطبيب المعالج للمريد السالك. يتعين عليه أن يكون حاذقاً لئلا يهلك المريد (٢).

يضاف إلى ماسبق أن الشيخ يجب أن يكون صاحب ذوق فإن أخذ الطريق من الكتب وأفواه الرجال، لايفى فى هذا المجال، كذلك لايقعد الشيخ يربى المريد طلباً للرئاسة فإن ذلك مهلك لمن تبعه" (٣).

---

(١) السهروردى (أبو حفص عمرو) عوارف المعارف .(هامش إحياء علوم الدين) حـ٢ - ص٤٢، ص٤٣، ص٤٤، ص٤٥، ص٥٣، ص٥٤ .

(٢) الدكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية ص٣١٩ .

(٣) المصدر السابق - ص٣١٩ .

لذلك نجد أن إبن عربى يرى ضرورة السلوك العملى، وممارسة أصول الطريق طلباً للموارد والأذواق والمواجيد والأحوال وهى بلاشك. إستعمال المقامان والإنتقال من مقام لمقام أعلى وأشد، وكلما أخلص الشيخ فى مقامه، يصبح حالاً، ورؤيا كشفية وتجليات إلهية ربانية نورانية ملائكية ... وهكذا .

وإذا تصدى الشيخ للمشيخة، يجب أن يعرف قدره وحقيقته فى حالة ولايخدع نفسه، ويجب عليه إذا رأى شيخاً آخر فوقه أن يتضع نفسه ويلزم خدمة ذلك الشيخ الآخر. وهو وتلامذته أو مريديه، فإنه صلاح له وسعادة فى حقه وحق أصحابه" (١).

ز - علاقة الشيخ بالمريد عند إبن عربى :

وفيما يتعلق بعلاقة الشيخ بالمريد فإن إبن عربى يضع شروطاً ملزمة للشيخ تجاه مريده، وهى أن يشترط على الشيخ فى المجالس العامة ألا يخرج عن نتائج المعاملات من الأحوال والكرامات وماكان عليه رجال الله من المحافظة على آدب الشريعة وإحترامهم للشريعة، وأمافى المجالس الخاصة، يشترط على الشيخ ألايخرج عن نتائج الأذكار والخلوات والرياضات.

وكذلك يجب على الشيخ ألايجالس تلاميذه أو مريدوه إلا مرة واحدة فى اليوم والليلة، وأن يكون للشيخ زاوية تخصه، لايدخلها أحد من أتباعه إلا من كان من خاصته، والأفضل ألا يفعل، ويبرر ابن عربى ذلك بأن نفس ذلك الداخل يؤثر فى حال الشيخ مع ربه فى خلوته، ويكون للشيخ زاوية أخرى لإجتماعه مع أصحابه، ويستحسن أن يجعل لكل مريد زاويه تخصه ينفرد بها وحده ولايدخل معه فيها غيره.

وينبغى على الشيخ إذا كان مع الواحد من مريديه أن يزجره أو يأخذه بالتقريع والتوبيخ، ويبن له أن ما يأتيه من أحوال ناقص وينبهه على قلة همته، وذلك حتى لايفتته بحالة.(٢)

---

(١) نفس المصدر الساق ص٣٢٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ص٣٢١ .

وينبغى للشيخ إذا أقعد المريد فى زاويته أن يدخلها قبله ويركع فيها ركعتين، وينظر فى قوة روحانية ذلك المريد ومزاجه، ومايعطيه حاله، فيجتمع للشيخ فى هاتين الركعتين جمعية تليق بحال ذلك المريد، حتى يقرب الفتح على ذلك المريد. (١)

أما فيما يختص بعلاقة المريد بالشيخ، فإن أصحاب الطرق من الصوفية المتأخرين أكثروا البحث والحديث حول ذلك(٢) وسوف نتناوله فيما بعد .

أما الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى فقد أشار إلى فكرة هامة وهى "يجب على الشيخ ألا يقبل مريدا حتى يختبره" ولابد أن تكون للمريد رغبة فى طريق الله تعالى، وإن لم تكن له رغبة لاينفع .

وإذا سلك المريد الطريق تحت إشراف شيخه فلا بد كما يرى ابن عربى ألا يكتم عنه شيئا مما يخطر له فى نفسه إبان سلوكه، أو مايطرأ عليه من أحوال. يضاف الى ذلك أن المريد السالك للطريق يجب أن يعتقد الصدق فيما يقوله لشيخه له، وأن يسلم له كل التسليم" .

فعلى الشيخ أن يوفى حق مرتبته، وعلى المريد أن يوفى حق طريقته".

وعلى ذلك فإن صلة المريد بالشيخ، وصلة الشيخ بالمريد يجب أن تقوم على أصول المحبة، والصدق والطهارة والأخلاص والإحترام والتبجيل والتسليم والسمع والطاعة من جانب المريد للشيخ ..(٣)

---

(١) نفس المصدر السابق ص٣٢٢ .

(٢) لقد صنف بعض الصوفية المتأخرين مؤلفات ورسائل يبحث فى العلاقة الأصيلة بين المريد والشيخ فى سلوك الطريق إلى الله تعالي من هؤلاء أبو النجيب ضياء الدين السهروردى المتوفى عام/ ٥٦٣/هـ كتابه "أداب المريدين" وقام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ فهيم محمد شلتوت تقديم حسن عباس زكى، ط القاهرة (مكتبة دار الوطن)بدون تاريخ - وكذلك الشعرانى - تنبيه المغترين - الأنوار القدسيه - كذلك أبوحفص عمر السهروردى المتوفى عام ٦٣٢هـ كتابه عوارف المعارف - ط بهامش إحياء علوم الدين الغزالى ط دار احياء الكتب العربية، القاهرة بدون تاريخ.

(٣) دكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية ص ٣٢٢، ٣٢٣ .

ومن الجدير بالذكر أن إبن عربى، انتقد أصحاب الطرق وأحوالهم وسلوكهم أولئك الذين لم يراعوا آداب السلوك يقول ابن عربى "فإن الزمان مشحون بالدعاوى الكاذبة العريضة، فلا مريد صادق ثابت القدم فى سلوكه، ولا شيخ محقق ينصحه فيخرجه من رعونة نفسه، وإعجابه برأيه، ويعرب له طريق الحق، فالمريد يدعى الشيخوخة والرئاسة، وهذا كله تخبيط وتلبيس[1].

وقد كان ذلك منتشرا ومعروفا عند بعض أصحاب الطرق الصوفية فى العصور المتأخرة، وفى عصر ابن عربى.

ثالثا - ابن عربى وطريقته لدى المتأخرين :

كما رأينا فيما سبق، فإن طريقة ابن عربى الصوفية العملية تختلف عن مذهبه الفلسفى الصوفى، ولذلك فإن هذه الطريقة (الأكبرية) وجدت قبولاً واسعاً لدى كثير من الصوفية فى العصور التالية. وأصبح لهذه الطريقة أتباع ومريدون حتى العصر الحديث.

لقد إستطاع ابن عربى بطريقته العملية فى كيفية سلوك الطريق والوصول إلى حضرة الحق تعالى، وبما ترك من رسائل في هذا المجال.أن يؤثر فى طرق التصوف التى أصبحت بتأثير منه مدارس مختلفة للمريدين الذين يتلقون أسرار الطريق، والتى أنتقل اهتمامها من مجرد ضبط النفس من الوجهة الأخلاقية إلى التماس المعرفة الميتافيزيقية، وكان تأثير ابن عربى عظيما للغاية إلى حد أنه تعدى المشرق العربى إلى الأقاليم الفارسية والتركية، فكان واضحا علي صوفيتها[2] .

ونتيجة لهذه الطريقة العملية، التربوية السلوكية - والأخلاقية جعلت كثير من العلماء ورواد التصوف فى القرون التالية يثنون على طريقة ابن عربى وعلومه الإلهية وأحواله وأذواقه ومواجيده.

وفى ذلك يقول الشعرانى "كان رضى الله عنه متقيدا بالكتاب والسنة، ويقول : كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك، وكل ماخطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك[3] وأما من

---

(١) نفس المصدر - ص ٣٢٣ .

(٢) دكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية- ص ٣٣٨ .

(٣) عبد الوهاب الشعرانى - اليواقيت والجواهر - حـ ١ ص٧

أثنى على الشيخ محى الدين بن عربى وطريقته وعلومه فقد كان الشيخ مجد الدين الفيروزبادى /٨١٧ هـ صاحب كتاب القاموس فى اللغة قال "لم يبلغنا عن أحد من القوم أنه بلغ فى علم الشريعة والحقيقة مابلغ الشيخ محى الدين ابن عربى أبدا، وقد كان الشيخ مجد الدين الفيروزبادى يعتقده غاية الإعتقاد، وينكر على من أنكر عليه"(١) .

ويقول عن ابن عربى أيضا "والذى أقوله وأحققه وأدين لله تعالى به أن الشيخ محى الدين كان الشيخ طريقة حالاً وعلماً، وأمام التحقيق حقيقة ورسما، ومحى علوم العارفين فعلاً وإسما إذا تقلل فكر المرء فى طرف من مجده عرقت فيه خواطره لأنه بحر لاتكرره الدلاء وسحاب لايتقاضى عنه الأنوار، كانت دعواته تخرق السبق الطباق، وتفترق بركاته فتملأ الآفاق وهو يقينا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته وغالب ظنى ماأتصفته.

وأما كتبه رضى الله عنه فهى البحار الزواخر التى ماوضع الواضعين مثلها، ومن خصائصها ماواظب أحد على مطالعتها إلا وتصدر محل المشكلات فى الدين ومعضلات مسائله".

ويقول أيضا عن ابن عربى وطريقته الصوفية "فقد كان الشيخ والله فى زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين لله تعالى به". (٢)

ويذكر الشعرانى عن الشيخ سراج الدين المخزومى شيخ الإسلام بالشام قوله فى طريقة ابن عربى "إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محى الدين، فان لحوم الأولياء مسمومة، وهلاك أديان مبغضهم معلومة، ومن أبغضهم تنصر ومات على ذلك ومن أطلق لسانه فيهم بالسب ابتلاه الله تعالى بموت القلب" (٣)

وممن عاصر وتأثر بطرقه وعقيدة ابن عربى الشيخ قطب الدين الحموى قيل له لما رجع من الشام إلى بلاده كيف وجدت الشيخ محى الدين ابن عربى قال "وجدته فى العلم والزهد والمعارف بحراً زاخراً لاساحل له "كذلك الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تاريخ علماء مصر قال:

---

(١) انظر عبد الوهاب الشعرانى - اليواقيت والجواهر حـ١ - ص٧ - ص٨.

(٢) نفس المصدر السابق . ص٨، ص٩.

(٣) المصدر السابق ص٨، ص٩.

من أراد أن ينظر إلى كلام آهل العلوم الدنيه فلينظر فى كتب الشيخ محى الدين بن العربى رحمه الله" .

أما الشيخ قطب الدين الشيرازى / ١٠٤٠/هـ كان يقول أن الشيخ محى الدين بن عربى كان كاملا فى العلوم الشرعية والحقيقة ولا يقدح فيه إلا من لم يفهم كلامه ولم يؤمن به"(١)

وقد شهد كثير من العلماء والأصوليين للشيخ محى الدين بن عربى بالولاية، والعلم والزهد ومنهم الأمام فخر الدين الرازى/٦٠٦ هـ/ وكان ممن أثنى عليه وتابع طريقته وتأثر بها أئمة وعلماء كثيرون سواء فى مصر أو الشام، منهم الشيخ محمد المغربى الشاذلى /٩١١هـ/ شيخ الجلال السيوطى /٩١١هـ/ وقال أن الشيخ محى الدين مربى العارفين كما أن الجنيد / ٢٩٧/ هـ مربى المريدين وهو روح التنزلات والإمداد وألف الوجود وعين الشهود الناهج منهاج النبى العربى قدس الله سره، وأعلى فى الوجود ذكره، ويذكر الشيخ سراج الدين المخزومى أن ألف عالم وقفوا على طريقته وكتبه وتلقوا مافيها بالقبول ".

وقال أيضا "أن كثير من أعلام الشافعية والشيخ بدر الدين بن جماعة/ ٦٣٦هـ/ قرأ واكتبه وشرحوما ، وأن كتبه شاعت فى الأمصار وقرأت متنا وشرحا فى غالب البلاد ورويناها بالقراءة فى الجامع الأموى، وأن الناس غالوا قديما وحديثا فى شرائها ونسخها وتركوا بها وبمؤلفها لما كان عليه من الزهد والعلم ومحاسن الأخلاق".

وكان أئمة عصره من علماء الشام ومكة كلهم يفتقدون فيه ويأخذون عنه ويعدون أنفسهم فى بحر علمه فلاشئ، وعندما أخرج الشيخ محى الدين علومه بالشام تقبلوها ولم ينكرها عليه أحد .

كما يذكر الشيخ سراج الدين المخزومى "أيضا : أن الشيخ محى الدين عندما كان بالشام تردد عليه جميع علمائها واعترفوا له بجلالة المقدار، وقد أقام بينهم نحو ثلاثين سنة يكتبون عنه مؤلفاته ويتداولونها بينهم(٢).

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٩ .

(٢) المصدر السابق - ص٩ ، ص١٠ .

كذلك ذكر الشيخ مجد الدير الفيروزيادى أن الشيخ محى الدين وهو بمكة كان يسارع إليه العلماء بحضور مجلسه والتبرك بالحضور بين يديه، ويقرأون عليه تصانيفه" (١).

ومماسبق يتضح أن لطريقة الشيخ محى الدين بن عربى تأثير كبير، ولشخصيته مكانة عظيمة بين الصوفية وأصحاب الطرق المتأخرين فى تاريخ التصوف الإسلامى منذ القرن السادس والسابع الهجريين، ومن الجدير بالذكر أن أصحاب الطرق الصوفية الأخرى، قد اعترفوا بطريقة ابن عربى، وأهميتها بين طرق القوم، لذلك نجد كثيرا من الشخصيات الصوفية التى تنتمى للطريق الشاذلية والمشتهر عنهم بالإعتدال والتأثر بالأساليب الصوفيه عند الغزالى/٥٠٥ هـ/ أظهروا أحتراما وتعظيما لطريقة ابن عربى وشخصيته، واعترفوا بطريقته بين الطرق الصوفيه، فإبن عطاء الله السكندرى/ ٧٠٩/ هـ أحد أركان الطريقة الشاذلية بأخذ الكثير من قواعد ابن عربى فى السلوك. (٢)

كذلك كان الخلوتيه معظمين لإبن عربى، آخذين بقواعده العملية، فى العزلة، والخلوة، وفيما يذكر الدكتور أبو الوفا التفتازانى، أن الإمام محمد عبده ١٩٠٥م أظهر احتراماً لطريقة إبن عربى الصوفية، وأخذ عنه قواعد السلوك والتربية الروحية والأخلاقية وكانت له صلة روحية قوية بطريقته" (٣).

ومما لاشك أن لمذهب إبن عربى الفلسفى والصوفى، وكذلك لطريقته الصوفية السلوكية الأخلاقية الذوقية تلاميذ وأتباع فى العصور التاليه، وقد إستطاع إبن عربى كشخصية خلقية وصوفية فذة تأسيس مدرسة صوفية كان لها خطرها فى دوائر الفكر الفلسفى الصوفى فيما بعد.

وإنتشرت هذه الأراء والنظريات الفلسفية الصوفية فى معظم الأقطار الإسلامية شرقاً وغرباً، بل كان لها تأثير أيضا فى بعض المدارس الفلسفية الصوفية الغربية فى العصر الحديث، ولعل أسبنوز/١٦٧٧م/ الفيلسوف الصوفى اليهودى من أبرز الفلاسفة الذين تأثروا بمذهب إبن عربى ومدرسته فى العصر الحديث. (٤)

---

(١) نفس المصدر السابق : ص١٠ .

(٢) دكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية ص٣٣٩ - ص٣٤٠ .

(٣) لمزيد من الدراسة والتفاصيل - المصدر السابق - ص٣٤٠ ، ص٣٤٢ .

(٣) أشار إلى ذلك الدكتور أبو الوفا التفتازانى - المصدر السابق وسوف توضح ذلك فيما بعد . كذلك الدكتور إبراهيم مدكور - فى بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى ص٣٦٧ .

إذن يتضح لنا أن لإبن عربى مذهب فلسفى صوفى، تأثر فيه المصادر والمصطلحات الفلسفية من يونانية وغنوصية وأمشاج من عناصر شيعية باطنية، وخرج بنظريات فلسفية عنصرية، فى وحدة الوجود، والولاية، ووحدة الأديان والحقيقة المحمدية والقطبانية والإنسان الكامل. ومثل هذه النظريات والآراء لم تجد قبولاً فى دوائر الفكر الدينى الإسلامى وبصفة خاصة عند المعتدلين من الصوفية من أهل السنة كذلك لم تجد قبولا لدى علماد الأصول والفقهاء المتأخرين، فرفض علماء السنة والسلف المتأخرين والمعتدلين من الصوفية وأهل السنة كل ماصدر من نظريات فلسفية صوفية لدى إبن عربى.

الفصل الرابع

تيارات التصوف الفلسفي بعد إبن عربي

"مع نصوص مختارة"

أولاً : تيارات التصوف الفلسفي وتأثرها بإبن عربي:-

تكاد تجمع آراء الباحثين المحدثين في تاريخ تطور الحياه الروحية أو الصوفية فى الإسلام، على أن الحركات والتيارات الصوفية التى جاءت بعد عصر الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى لم تصف شيئا جديداً إلى ماوضعه مشايخ التصوف وفلاسفته فيما قبل القرن الثامن الهجرى، أى بعد انتهاء القرن السابع الهجرى - أو تقول هذه المصادر.أن المتأخرين من هؤلاء الصوفية.لايكادون يضيفون شيئا جديدا إلى ماقاله المتقدمون فى مصنفاتهم، كما أن مصنفاتهم لاتكاد تزيد على أنها إما شروح أو ملخصات على كتب الأقدمين، أو ترديد لتعاليمهم دون أن يكون فى ذلك الترديد شئ من الإبتكار والتجديد" (١)

وفى تصورى، أن تيارات التصوف فيما بعد إبن عربى وبصفة خاصة الجانب الفلسفى النظرى، كادت أن تشكل مدارس فكرية صوفية، يتوفر أصحابها ومشايخها على شرح وتبسيط نظريات فلاسفة التصوف الأوائل والسابقين عليهم، وقد كان هذا هو الدافع والهدف الأساسى، الذى قصده المتصوف المتأخرين، يضاف إلى ذلك أن هذا الإتجاه في شرح النصوص والتعليق عليها من خصائص الحياة العلمية والفكرية والدينية الروحية فى هذه الفترة المتأخرة ففى نهاية القرن السابع الهجرى وبداية القرن الثامن، أصبحت التيارات العلمية والآراء الدينية فى مدارس الشرق ومساجده، مجرد شروح وتعليقات على ثرات الأوائل والسلف.

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع : دكتور محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام. ص١٩٤.

كذلك دكتور مقداد يالجن - فلسفة الحياة الروحية ونشأة التصوف والطرق الصوفية -١١٨ .

وهذه الخاصية كانت عامه، فى جميع مدارس الشرق والدوائر العلميه المختلفة الأمر الذى أدى إلى تأخر المسلمين قرونا طويلة من الزمان وحتى بداية العصر الحديث .

وقد تولى مهمة الشرح والتعليق على تراث فلاسفة التصوف السابقين، مجموعة من كبار التلاميذ، والممثلين لهذه المدارس الصوفية فى بلاد الشرق بعد عصر الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى .

ففى مدرسة الشيخ الأكبر، تصادف شراح ومعلقين تأثروا بترات إبن عربى الفلسفى الصوفى، كذلك بطريقته العملية الأخلاقية .

ومن الجدير بالذكر أن التراث الفلسفى الصوفى لدى الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى كان له تأثير واسع الإنتشار فى العالم الإسلامى منذ وفاته، وحظى مذهبه الصوفى بمناقشات عميقة فى مراكز التصوف الإسلامى من المحيط الأطلنطى حتى آسيا فى الهند. فقد وجدت تعاليم إبن عربى وتراثه الصوفى التربة المناسبة لكى تنمو وتتطور وتتغلغل فى الدراسات الإلهية والفلسفية، ومنذ القرن السابع نجد أن الصوفية والقديسين قد أولوا إهتماماً كبيراً بالتعليق على تراث إبن عربى الفلسفى الصوفى، وبصفة خاصة كتابه الرفيع المستوى "فصوص الحكم" وغير ذلك من تراثه الصوفى الذى تمترج فيه العناصر الصوفية بالغنوصية (١)

ولما كان تأثير إبن عربى الصوفى فى بلاد الشرق له هذا القدر من الأهمية. فلا شك أن هذا التأثير ظهر واضح لدى متصوفة الفرس وأدبائهم، إن أعظم شعراء الفرس تأثر بآراء إبن عربى الصوفية، ويعتبر "جلال الدين الرومى/ المتوفى عام ٦٧٢هـ/ صاحب الديوان الكبير والمعروف بإسم "المثنوى" والذى يرتبط بإبن عربى من خلال "صدر الدين القونوى المتوفى عام ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م/ والذى يعتبر تلميذاً نجيباً لإبن عربى من المتأخرين الذى يرتبط إرتباطاً وثيقاً بالقالب التراثى لإبن عربى ويبدوا ذللك واضحاً من خلال "المثنوى" "الفتوحات" فى الأدب الفارسى (٢).

---

(1) Sayyed Hossein Nasr, Ibn Arabi in the persian speaking world.

(بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى) لمحى الدين بن عربى ص٣٥٧ .

(2) Ibid, P; 358 .

لقد تأثر إبن عربى تأثيراً منقطع النظير، فى الأدب الفارسى، الذى إستولت عليه محسنات بديعية وبلاغية وذلك بمحاذاته تصوراته الرمزية، فقد قضى إبن عربى سنوات فى دمشق حتى وفاته عام ٦٣٨هـ وقد أمضى تلميذه صدر الدين القونوى يلقى دروسه فى دمشق أولاً ثم فى قونية من بعد ذلك، عن أحد الكتابين الرئيسيين لأستاذه وهو كتاب "فصوص الحكم" دروساً لقيت رواجاً هائلاً، وبه تأثرت شخصيتان عظيمتان من حملة لواء الشعر فى القرن الثالث الميلادى السابع الهجرى) هى فخر الدين العراقى وأوحد الديـن الكرمانى، وقد أسفر تأثير إبن عربى فى الأدب الفارسى أو الشعرالصوفى الفارسى: عن كتاب له عدة مخطوطات كتب عام/ ٧١٠هـ ألا وهو "ديوان جلش راز" لمحمود شيسترى/ ٧١٠هـ/ كذلك تأثر الشعر الصوفى التركى بالأساليب الرمزية المجازية فى التراث الصوفى الفلسفى لإبن عربى. (١)

ومن أمثال هؤلاء الشعراء من الصوفية الأتراك/ عبد الرحمن جامى المتوفى عام ٨٩٨/ هـ/ ١٤٩٢م/ فقد كان غارقاً بأسلوبه الشعرى الصوفى فى غنوص إبن عربى (٢)

ولما كانت تيارات التصوف الفلسفى بعد عصر إبن عربى، مجرد شرح وتعليق على نظريات وآراء إبن عربى وغيره من فلاسفة التصوف كالسهروردى المقتول وإبن سبعين، والششترى وإبن الفارض ٦٣٢هـ، والذى تحدث فى معانى روحية تصوفية تشوبها نزعات وشذرات فلسفية، فإن المتأخرين وكما ذكرنا شرحوا النصوص الصوفية أو علقوا عليها لذلك نجد العفيف التلمسانى ٦٨٠هـ الشاعر الصوفى المتفلسف يساهم بقسط وافر فى تحقيق تراث إبن عربى وشرحه وتأويله .

يتضح لنا من خلال تفسير التلمسانى لتدرج المراحل الصوفية عند النفرى/ ٣٥٤/ هـ بأنها تبدأ بالمعرفة وتنتهى بالفناء الكامل وهذه هى المرحلة الأولى، أمـا الثانية فتبدأ حيث يخلف البقاء الفناء، وأما الثالثة وهى الوقفة الكاملة، وقد أكد التلمسانى فى شرحه لها مذهب إبن عربى فى "القطبية" التى تفلسف نظرية "الإنسان الكامل" الذى يجعل همه متصرفاً إلى خلق

---

(١) هانز هينرش شيدر - نظرة الإنسان الكامل عند المسلمين (بحث منشور ملحق بكتاب الإنسان الكامل) ترجمة دكتور عبد الرحمن بدوى - ص٦٤ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٦٥ - كذلك نظرنا :

Sayyed Hossien Nasr, Abn Arabi in the perisen speaking world, P. 358 .

الله تعالى أما عن أنه نبى، أو ماهو أسمى من ذلك مع الوالى القطب الذى يكشف عن نفسه تمام الكشف أما الرابعة. فهى التى تنتهى بالموت الحسى الخالص .

ففكرة المرآة التى يكشف فيها الله عن نفسه لنفسه عند النفرى/ ٣٥٤/ هـ هى مانراه عند إبن عربى فى قوله:

إن تبدى حبيبى بأى عبد أراه.. بعينه لابعينى فليس غيرى يراه ومعنى هذا أن التلمسانى/ ٦٩٠/ هـ شارح النفرى/ ٣٥٤/ هـ يرى فيه إبن عربى ٦٣٨هـ فى وحدة الوجود [١]. وفى القرن الثامن الهجرى، نجد عبد الرازق القاشانى المتوفى عام ٧٣٩هـ/ لديه مصنفات، ولكن على كثرتها ليست إلا شروحاً لمذهب إبن عربى وتراثه الصوفى الغنوصى، وبصفة خاصة كتاب إبن عربى "فصوص الأحكام".

وكذلك نجد للقاشانى شروحاً وتعليقات على قصيدة إبن الفارض "التائية الكبرى" أو تعبير عن مذهب إبن عربى فى وحدة الوجود، وإن إختلف عن عبارات إبن عربى فى الصورة والمظهر، ولايختلف فى اللب والجوهر [٢]

وفى غضون القرنين الثامن والتاسع الهجريين، نجد شخصية فلسفية صوفية كبيرة وهو "عبد الكريم الجبلى" ٧٦٧هـ/ ٨٠٥هـ/ مؤلف كتاب "الإنسان الكامل فى معرفة الأوائل والأواخر" وإن كان لهذا الكتاب صبغة فلسفية وصوفية كبيرة، إلا أن "الجيلى" كان متأثراً تأثراً قوياً وخارقاً بنظريات وآراء الشيخ الأكبر إبن عربى، فأخذ بنظريته الفلسفية فى "وحدة الوجود" وزادها شرحاً وتعليقاً وتأكيداً، وذلك فى الجزء الأول من كتابه [٣] وكذلك أخذ بنظرية إبن عربى فى "الإنسان الكامل فى الجزء الثانى من نفس الكتاب أيضاً [٤] كذلك نجده قد تأثر بمنهج الشيخ الأكبر وألفاظه وعباراته ومنتهياً إلى نفس غاياته وأهدافه [٥].

---

(١) الدكتور - عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام ص٣٩٤ - ص٣٩٥ .

(٢) الدكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام ص١٩٤ .

(٣) راجع - عبد الكريم الجيلى - الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل - جـ١ - ط الحلبى - ١٩٧٠م .

(٤) نفس المصدر السابق جـ٢ .

(٥) نفس الرأى يذهب إليه الدكتور محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٩٥ .

ويبدو أن الكتاب الأخير "الإنسان الكامل" ومؤلفه الكبير، قد نال إهتمام دوائر التفكير قديماً وحديثاً، وإهتم بدراسته جميع الباحثين فى العصر الحديث. وكذلك بعض المتخصصين فى إبراز جوانب التفكير الفلسفى الصوفى، بإعتبار هذا الكتاب يضم خلاصة نظريات إبن عربى فى الوجود والمعرفة أو الإنسان الكامل، مشروحة شرحاً دقيقاً من جانب عبد الكريم الجيلى/ ٨٠٥هـ .

لقد بلغ التأثير الهائل لفكرة الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى "الإنسان الكامل" واضحاً عند عبد الكريم الجيلى "بل أصبحت هذه الفكرة الموجهة للتصوف الإسلامى المتأخر ذى النوعية الغنوصية" (١) ولاشك أن هذه الفكرة هى حجر الزاوية والمعنى الباطن الجوهرى فى مذهب إبن عربى الصوفى الذى تضم ماتوارد من أفكار صوفية عند المتأخرين فى نظرية "الولى" والقطب" والشيخ .

ومن ذلك يقول "هانزهينرش شيدر" بينما نشاهد نظرية إبن عربى فى الإنسان الكامل تكون الفكرة السائدة فى بنائه المذهبى، وإن كانت فى العرض الكتابى ليست إلا واحداً من بين موضوعات عديدة، تراه النفخة القوية السائدة فى كتاب لمؤلف متأخر هو عبد الكريم الجيلى فى كتابه "الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل" وعلى الرغم من محاولة مؤلفه أن يحدد بدقة فكرة العلو المطلق لله تعالى من مقابل الإنسان الكامل، فإنه ليس شيئاً آخر غير عرض أعم لنصوص إبن عربى دون إضافة جديدة(٢).

وفى القرن العاشر الهجرى، تظهر شخصية صوفية كبيرة، لها أثر فى بلورة أصول ومصادر التصوف ونظرياته الفلسفية فى العصور المتأخرة، وهو الشيخ عبد الوهاب الشعرانى / ٩٧٣/ هـ .

فقد حمل على اكتافه عبأ تحليل وشرح وتأويل نظريات إبن عربى أو غيره من فلاسفة التصوف، محاولة التقليل من نزعة المغالاة، ومظاهر الخروج عن أصول الشريعة الإسلامية فيما يتعلق، بالقدم والحدوث، والنبوة والولاية، ووجدانية الله تعالى وصفاته الأزلية، والقطبانية وغير

---

(١) هانز هينرش شيدر - نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين، ص٦٥ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٦٧ - ٦٨ .

ذلك من المسائل التى كفر فيها متأخرى علماء السلف هؤلاء المتصوفة فيها. ووصفهم فى قولهم بوحدة الوجود والإتحاد وتفضيل الولاية على النبوة، وخاتم الأولياء، بالخروج عن نطاق الشرع الإسلامى الأصيل.

وإذا كانت هذه الإتجاهات، تشكل الغايات الرئيسية لدى الشعرانى، وقد كان متصدراً لإمامة التصوف فى عصره (القرن العاشر الهجرى) فإن أساليبه وأدواته المنهجية فى مصنفاته لاتخرج عن نطاق التوفيق والشرح والتعليق على تراث إبن عربى أو غيره .

كذلك نجده لديه خليطاً من الأذواق الروحية والأنظار الفلسفية العقلية، ومن أشياء أخرى هى أدنى ماتكون إلى الأساطير الخيالية، وهى أقرب إلى الدروشة من المعانى الصوفية الأصيلة.

وإذا كان الشعرانى حمل على عاتقه كما ذكرنا التوفيق بين عقائد أهل الكشف، وعقائد أهل الفكر، ودافع عن إبن عربى وأول أقواله ونظرياته التى ظاهرها الكفر والإلحاد فى معظم مؤلفاته[1] فقد صنف لذلك مؤلفات كثيرة ومتنوعة، غير أنها فى أسلوبها وشروحها لاتخرج عن نطاق ماهو مألوف فى تلك العصور المتأخرة، وماجرت عليه العادة فى الفرق من آراء وعلوم السابقين دون إضافة أو إبداع فلسفى أو وجدانى .

ومن ذلك صنف كتابه "اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر" وكذلك "الكبريت الأحمر فى بيان عقائد الشيخ الأكبر" وهى إما تلخيص وشرح لآراء إبن عربى فى "الفتوحات المكية" أو تأويل لما ورد فى مؤلفات إبن عربى ورسائله الأخرى، وغيره من المتصوفة المتقدمين أو المتأخرين للتوفيق بين عقائد الصوفية وعقائد أهل السنة .

ومن مظاهر الدروشة، المزج الخيالى بأنواع الأساطير عند الشعرانى، فإننا نجده من خلال "الطبقات الكبرى".

إذ كثيراً مانجد الشعرانى يسرد الكثير من الروايات والقصص الفلكلورية، والتى يعتبرها من قبيل الكرامات التى تصدر عن مريدى الطرق الصوفية ومشايخها وهى بعيدة عن الواقع والتصور العقلى الواضح .

---

(١) أحمد أمين - ظهر الإسلام - جـ٤ - ص٢٣٠ ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٢م .

وقد لايستطيع الباحث أن يجد لديه القدرة على مجرد ذكر الأمور الخيالية، والتى قد خرج أحياناً عن حدود الأدب فضلاً عن الشرع. (١)

وفيما بين القرنيين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين، نظهر شخصية فلسفية صوفية، تتدوج ضمن التيارات التى حملت تراث الصوفية بداخلها، وهى الشيخ عبد الغنى النابلسى المتوفى عام/ ١١٤٣هـ/ .

ويعتبر النابلسى من أتباع مدرسة الشيخ الأكبر إبن عربى، فقد وضع كثيراً من المصنفات المنثورة والمظومة، ولكنه على كثرة ماوضع، لم يتجاوز فى مذهبه حدود الدوائر التى رسمها إبن عربى فى مذهبه "وحدة الوجود" ومما يدل على ذلك شرح النابلسى على ديوان إبن الفارض المسمى "كشف السر الغامض من شرح ديوان إبن الفارض" حيث إتجه فيه للإبانة عن حقيقة مذهب إبن عربى. لإعتقـاده أن إبن الفارض/ ٦٣٢هـ/ قد تأثر تأثراً بالغاً بمعانى إبن عربى وبالتالى يعتبر تلميذاً لإبن عربى (٢).

هذه نماذج من كبار الشخصيات الصوفية التى حملت على عاتقها شرح وتأويل تراث الصوفية الفلسفى، وبصفة خاصة نظريات وآراء إبن عربى. فى الجانب الفلسفى الصوفى، أما من الناحية العملية، وهى ماتسمى بالطريقة "الأكبرية" فلاشك أن لها كثير من التابعين الذين تأثروا بالمنهج التربوى والأخلاقى فى سبيل الوصول إلى الحق، أو تعرفوا على أذواق إبن عربى ومواجيده، ومقماته وأحواله كما ذكرها إبن عربى وسلكها كطريق إلى الحق تعالى .

ويعتبر صدر الدين القونوى/ ٦٧٢/ هـ أعظم من أخذ طريقة شيخه إبن عربى، وقلدها وجاء بها إلى مصر مبشراً بها والتقى بالإمام أبو الحسن الشاذلى/ ٦٥٦هـ/ وتكلم بحضرته بعلوم كثيرة، وتذكر المصادر، أنهما تحدثا فى قطب الزمان، وعلومه.... إلخ .

---

(١) تحدثنا عن ذلك فى الفصول السابقة (عن مظاهر التصوف فى العصور المتأخرة). وللمزيد راجع ماذكره الشعرانى عن مجموعة المشايخ فى العصور المتأخرة منهم الشيخ جوده والشيخ على وجيش، والشيخ أبو السعود الجارحى وغيرهم - الطبقات الكبرى، جـ١ ، جـ٢ صفحات متفرقة.

(٢) دكتور محمد مصطفى حلمى - راجع- ابن الفارض والحب الإلهى، ص٥٦ إلى ص٦٥، ص٦٩. كذلك - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٩٥ - ص١٩٦ .

كذلك فقد جاء إلى مصر صدر الدين القونوى، بصحبة تلميذه عفيف الدين التلمسانى/ ٦٩٠هـ/ والتقيا بعبد الحق إبن سبعين/ ٦٦٧هـ ، وتناظرا ولكن إبن سبعين كان أكثر إعجاباً بمنطق التلمسانى فقال "إن صدر الدين القونوى من المحققين لكن معه شاب أحذق منه هو العفيفى التلمسانى" (١).

لقد أخذ عن إبن عربى طريقته طائفة من المريدين نذكر منهم عبد الله بن بدر الحبش الخادم، ومحمد بن خالد الصدقى اللذين أهدى إبن عربى إليهما كتابه "حلية الإبدال" (٢).

وممن تأثر بطريقة إبن عربى، وتابعه كل من إسماعيل بن سودكين ت/ ٦٤٦/هـ الذى سأل هو وبدر الحبشى أستاذهما إبن عربى أن يكتب لهما شرحاً لديوانه "ترجمان الأشواق" حيث أنهما علما أن بعض الفقهاء فى مدينة حلب ينكرون أن يكون ذلك الديوان منطوياً على حقائق فى التصوف، وقد إدعى شيخهما أنه من الأسرار الإلهية .

وقد ذكر الشعرانى عدداً كبيراً من الشخصيات التى أخذت عن إبن عربى أصول طريقته وأجازها لهم وقد أشرنا فيما سبق إلى ذلك (٣) وقد دافعوا عنها وصنفوا مؤلفات فى الرد على خصومها.

لقد إستمرت طريقة إبن عربى الصوفية جيلاً بعد جيل حتى القرن الثالث الهجرى، فظهر من أتباعها وجمع غفير منهم الشيخ أحمد بن سليمان بن عثمان الطرابلسى الأروادى الخالدى النقشبندى الأحمدى الأكبرى/ ١٢٧٥ هـ/ أحد صوفية الشام تلميذ الشيخ خالد ضياء الدين النقشبندى المتوفى عام /١٢٤٢هـ/ وقد زاد على شيخه بأربعين طريقة، وتذكر عنه المصادر "أن الشيخ أحمد بن سليمان بن عثمان الطرابلسى الأروادى المتوفى عام/ ١٢٧٥هـ/ سلك الطريقة النقشبندية على شيخه الشيخ خالد ضياء الدين المتوفى عام/ ١٢٤٢هـ/ وقد أقر له شيخه بالخلافة المطلقة وأنه خاتم الخلفاء الخالدية، بوأهم الله فى البكرة والعشية، وقد إشتهر بالعلم

---

(١) دكتور - أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية - ص٣٤٤ .

(٢) نفس المصدر - ص٣٤٥ - كذلك نظرنا - ابن عربى الفتوحات المكية - الأمر الثانى - كذلك نظرها - ابن عربى الفتوحات المكية - الأمر الثانى - ص٢٤٠ .

(٣) لمزيد من التفاصيل - راجع - الشعرانى - البواقيت والجواهر - جـ١ - ص٧ ، ص٨، ص٩، ص١٠ ، ص١١ ، ص١٢ ومابعدها .

والولاية والدراية والحلم، وكانت له مؤلفات ومصنفات كثيرة منها "رسالة فى الخلوة" "مرآة العرفان" بالإضافة إلى صلوات وأوراد [(١)].

ولكن، كيف إتصل هذا الشيخ بالطريقة الأكبرية، وأخذ عن الشيخ الأكبر إبن عربى أصولها وجمع بينها وبين ماأخذه عن الطرق الكبرى؟

كما نعلم، وذكرنا ذلك فيما سبق أن الصوفية المتأخرين قد درجوا على الأخذ من أكثر من طريقة، والجمع بين موارد الطرق المتعددة، فبعد أن أخذ الشيخ أحمد بن سليمان الطابلسى الأروادى/ ١٢٧٥هـ/ أصول الطرق النقشبندية على شيخه الشيخ خالد ضياء الدين النقشبندى/ ١٢٤٢هـ/ أتى إلى مصر وتلقى أصول الطريقة الأكبرية على يد شيوخها المصريين، وهو بذلك ينتسب بالسند إلى الشيخ محى الدى بن عربى، ثم ألف رسالة خاصة فى أداب الطريقة الأكبرية، وجعل عنوانها: "النور المظهر فى طريقة سيدى الشيخ الأكبر" .

ويبين لنا طريقة أخذه أصول الطريقة الأكبرية على شيوخها بمصر يقول "وإستمرت الطريقة الأكبرية كذلك إلى أن وصلت إلىّ من غير إنتقاص على يد الوالى الزاهد الناسك العامل العابد سدى الشيـخ "على حكش" البولاقى المتصوف الآن باطناً فى الإقليم المصرى، وقد قام مقام سيدى الشيخ "مصطفى المنادى" فسألنى مسائل من تلك الكتب (بقصد لإبن عربى) أوهم رضى الله عنه أنه ترقب بها، فأجبته بالصواب محدد مؤلفاتها، فأمر لى بكتابتها، فكتبها إلى ودفعها [(٢)].

وتذكر المصادر أيضاً أن الطريقة الأكبرية تأثر بها عدد آخر من المريدين المتأخرين منهم "على المنير" ثم أخذها عنه الشيخ محمد أمين (أبو عبد الله) آمين السفرجلاتى الدمشقى إمام وخطيب جامع الستجقدار، فقد ذكر السفرجلاتى فى منظومة له طبعت عام "١٣١٩هـ بالشام بعنوان "عقود الأسانيد" سنده متصل بإبن عربى. "وقد روى الطريقة الأكبرية عن على المنير، عن أحمد بن سليمان الأروادى "وتأثر به الشيخ أحمد إبن مصطفى بن عبد الرحمن ضياء الدين الكمشخانوى ولد عام/ ١٢٢٧هـ/ ت عام ١٣١١ هـ/ - ١٨١٢م ت عام ١٨٩٣م/ وهو عالم متصوف وقد ولد بكمشخانة لى بتركيا عام ١٢٢٧هـ وتوفى عام ١٣١١هـ بالأستانة .

---

(١) الدكتور التفتازانى - الطريقة الأكبرية - ص٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٢) نفس المصدر السابق . ص٣٤٧ .

لقد إهتم "الكمشخانوى" بتتبع آداب طريقة إبن عربى الصوفية، وكان أيضاً من كبار المعجبين بالشيخ الأكبر وطريقته التربوية الفلسفية الصوفية،

وكان يصفه دائماً أنه "ختمت به الولاية المخصوصة" ولذلك فقد أعتبر إبن عربى له خصوصية بين شيوخ الطرق الصوفية الكبار وهى "الإكمال، العرفان"(١).

وجدير بالذكر أن الشيخ أحمد إبن مصطفى الكمشخانوى تحدث فى نص موجز ودقيق عن خصوصية شيوخ الطرق الصوفية فى العصور المتأخرة ومنها طريقة إبن عربى .

ولهذا النص أهمية كبيرة خاصة إذا كان صادر من أحد مشايخ التصوف فى العصر الحديث .

يقول "إعلم أن لكل الأولياء خصوصة، وهمة فى الحياة والممات، كنقش الحقيقة والإلقاء فى بحر الوحدة والفناء والإستغراق لشاة نقشبندى "محمد بهاء الدين" .

وقوة التصرف والإمداد. لعبد القادر الجيلانى .

وقوة العلم والواردات لعلى أبى الحسن الشاذلى .

وخرق العادة والفتوة لحضرة أحمد الرفاعى والتراجم والتعطف للسيد أحمد البدوى، والسخاء والكرامة لإبراهيم الدسوقى .

والعرفان والإكمال للشيخ الأكبر. والمحبة والعشق لمحمد جلال الدين الرومى.

والغيبة والمحو للرمام السهروردى .

والرياضة والأواهية للشيخ خضر يحيى .

والوجد الجذبات لنجم الدين الكبرى(٢)

ولاشك أن لطريقة إبن عربى، أهمية كبيرة، حيث جمع الصوفية المتأخرون بين أصولها وأورادها وبين أخذهم عن الطرق الصوفية الأخرى وهذه هى عادة الصوفية المتأخرين فى تلقى أكثر من طريقة صوفية واحدة فى وقت واحد، ولذلك نجد شخصيات صوفية فى القرن الرابع عشر الهجرى، تنتسب إلى طريقة إبن عربى وتأخذ أصولها وتردد أورادها، ومن هؤلاء الشيوخ الشيخ

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ص٣٥٠ .

"جودة إبراهيم" أحد الصوفية المصريين فى القرن الرابع عشر الهجرى حيث ولد بالعزيزية إحدى قرى محافظة الشرقية التابعة لمركز مينيا القمح عام ١٢٦٤هـ وتوفى عام/ ١٣٤٤/ وقد أخذ هذا الصوفى أصول طريقة إبن عربى عن طريق الشيخ أجمد الكمشخانوى "إذ أن للشيخ جودة إبراهيم/١٣٤٤هـ/ بعد أن تلقى منه أصول الطريقة الأكبرية. بتلقين الذكر وإعطاء العهود فى جميع الطرق التى تلقاها عنه ومنها الأكبرية" (١).

هكذا نجد أن تيارات التصوف الفلسفى، فيما بعد الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى/ ٦٣٨هـ/ لم تضف عناصر جديدة إلى ماأضافه وأبدعه أئمة وشيوخ التصوف الفلسفى النظرى كإبن عربى أو من عاصره أو سبقه من المتصوفة .

كذلك فإن طريقة إبن عربى العملية، أصبح لها مريدون وشيوخ أخذوا عنه ورددوا أوراده وأذكاره حتى الآن .

---

(١) لمزيد من الدراسة يرجع إلى الشيخ ياسين السنهوتى- الأنوار القدسية - ص٢٦٧، ٢٧٩، ٢٦٥ مطبعة السعادة ط١٣٤٤هـ الدكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الأكبرية - ص٣٥٠، ص٣٥١ .

ثانياً : نصوص مختارة لبعض فلاسفة التصوف المتأخرين :

تمهيد : -

كان لمذهب إبن عربى الفلسفى الصوفى، وشخصيته القوية كشيخ لطريقة تربوية وأخلاقية، الأثر البالغ فى تاريخ التصوف الإسلامى فى العصور المتأخرة .

إن الأثر البالغ الذى خلفه إبن عربى فى التراث الفكرى والروحى فى العالم الإسلامى وخارجه، ظهر بوضوح فى مدارس التصوف التيوسفى(Theosphy) وإتباعه الذين أخذوا عنه أما مباشرة، أو عن طريق كتبه وتلامذته .

ولمذهبه الصوفى. فى كل جيل من أجيال الصوفية أتباع يدعون إليه، ويدافعون عن آراءه، ولكن نلاحظ أن هؤلاء الأتباع دائماً من طبقة الخاصة لامن عامة الصوفية [(١)]

وإذا كان لإبن عربى أثر بالغ فى التراث الشعرى الرائع الذى خلفه شعراء الفرس والترك الصوفيون. عندما تغنوا بالوحدة الوجودية الشاملة، بالحب الإلهى القاهر القائم على كل شئ[(٢)].

فإن إبن عربى كان له تأثير واضح ليس فى تكوين شخصيات صوفية فلسفية تسير على طريقته ومذهبه وتحاول تبرير نظرياته المختلفة فى وحدة الوجود، أو الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل والولاية النبوة فحسب لكن كان له تأثير فى كتاباته المتصوفة المتأخرين، والتابعين لمذهبه والمؤولين لنظرياته .

وعلى ذلك، فإننا نود أن نختار بعض النماذج التى وردت فى نصوص هؤلاء المتصوفة المتأخرين .

النص الأول :

هذا النص من كتاب "مراتب الوجود" .للشيخ صدر الدين القونوى / ٦٧١/ هـ[(٣)].

---

(١) دكتور أبو العلا عفيفى – ابن عربى فى دراساتى – (بحث ضمن الكتاب التذكارى) –ص٢٥.

(٢) تحدثنا عن ذلك فيما سبق وللمزيد راجع .

Sayyed Hosian Nasr, Ibn Arabi in preasien speakin of world .

(٣) هو أبو المعالى محمد بن إسحق بن محمد القونوى المتوفى سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م.

قسم فيه الوجود إلى أربعين مرتبة، والمرتبة الأخيرة هى مرتبة "الإنسان الكامل" يقول:-

"المرتبة الأربعون من مراتب الوجود هى "الإنسان الكامل" وبه تمت المراتب، وكمل العالم، وظهر الحق للعالم، سبحانه بظهوره الأكمل على حسب أسمائه وصفاته، فالإنسان أنزل الموجودات مرتبة فى الظهور، وأعلاهم مرتبة فى الكمالات ليس لغيره ذلك، وقد بينا أنه الجامع للحقائق الحقية، والحقائق الخلقية جملة وتفصيلاً حكماً ووجوداً، بالذات والصفات، لزوماً وعرضاً، حقيقةً ومجازاً، وكل مارأيته أو سمعته فى الخارج فهو عبارة عن رقيقة من رقائق الإنسان. وإسم لحقيقة من حقائق الإنسان، فالإنسان هو الحق، وهو الذات، وهو الصفات، وهو العرش، وهو الكرسى، وهو اللوح، وهو القلم، وهو الملك، وهو الجن، وهو السموات وكوكبها، وهو الأرضون ومافيها، وهو العالم الدنياوى، وهو العالم الأخروى، وهو الوجود وماحوله، وهو الحق، وهو الخلق، وهو القديم، وهو الحادث فلله در من عرف نفسه معرفتى إياها، لأنه عرف ربه فعرفته نفسه، والله الموفق، والحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

وبهذا تمت هذه الرسالة (١)

وإذا تأملنا هذا النص لصدر الدين القونوى "فى مراتب الوجود" تجده ترديد لماسبق إليه الشيخ الأكبر إبن عربى، فى تفسيره وتحليله الفلسفى لمراتب الموجودات "والإنسان الكامل" والحقيقة المحمدية، وتفسيره لحديث "إن الله خلق آدم على صورته" (٢).

وهذا الحديث شائع فى أوساط الصوفية على اختلاف مراتبهم وأذواقهم ومذاهبهم، على معنى أن آدم خلقه الله تعالى وركب فيه صفات كمالية قدرها تعالى فى علمه قبل خلقه، أو أن

---

(١) هذا النص جزء من كتاب "مراتب الوجود" لصدر الدين القونوى / ٦٧١/ هـ - مخطوط بالظاهرية بدمشق برقم / ٥٨٩٥/ عام، ورقة / ١٤ب/ ، وهذا النص منشور ضمن كتاب الإنسان الكامل - تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى - ص١٤٧ .

(٢) سبق تخريج هذا الحديث .

الله تعالى خلق آدم على صورة العالم الأكبر بكل مافيه، ويكثر الصرفية كالغزالى / ٥٠٥هـ(١) مثلا أو الغلاة والفلاسفة منهم من المضاهاة بين العالمين الأكبر، والأصغر وهو الإنسان، بصفاته الروحانية، والجسمانية وإذا تأملنا الصوفية المتأخرين نجدهم يستخدمون هذا التفسير دائما، بالإضافة لإبن عربى.

كذلك فإن نص القونوى يدور على معنى الإنسان الكامل، وهو فى نفس الفكرة يشير إلى معنى الحقيقة المحمدية، وإبن عربى اكثر الحديث حولها وتفسيرها خلال رسائله ومؤلفاته الكبيرة كالفتوحات المكية." (٢)

فهذا النص الذى ذكره القونوى، ليس من ابداعه الفكرى بل لايختلف فى مضمونه وجوهره، وغايته عما ورد فى رسائل إبن عربى الصوفية .

النص الثانى : (الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم) عبد الكريم الجيلى/ ٥٠٨/هـ

---

(١) يقول الغزالى فى تفسير معنى الحديث القدسى "أن الله خلق آدم على صورته "فالصورة هى صورة العالم وآدم مخلوق على مضاهاة هذه الصورة لكنه مختصر صغير، وظواهر جسم الإنسان تضاهى عالم الملك، وأما روحه وعقله وإراداته فتضاهى عالم الملكوت" نظرنا : الغزالى - الإملاء فى مشكلات الإحياء - (هامش إحياء علوم الدين) جـ١ ١٨٧ - كذلك جواهر القرآن. ص٣٧.

(٢) يقول إبن عربى"أكمل نشأة ظهور فى الموجودات هى الأنسان لأن الإنسان الكامل وجد علي الصورة، والصورة لها الكمال، والإنسان الكامل "إنه أكمل" الفتوحات- السفر الثالث. ص٦٤ كذلك فإن النص يتحدث عن حقيقة الإنسان الذى خلقه الله على صورته، وضع فيه صفات كماليه كما ذكر القونوى هذه الصفات، نجد إبن عربى فى تأويل "على صورته"يشير إلى سيدنا محمدﷺ ،وأن آدم خلق بصفاته يقولإبن عربى "فبركته عي الآفاق قد عمت ، وكلمته قد تمت خلق آدم على صورة إسمه (محمد) فكمل خلق آدم على صورة اسم محمدﷺ ثم يوازن بين رأى آدم ويداه وبطنه ورجلاه بحروف اسم (محمد) - انظر إبن عربى . شجرة الكون - ص١٢ كذلك راجع - غنقاء مغرب - ص٢١ حيث قال (لما خلق سبحانهوتعالي هذا الشخص الإنسانى على صورته وخصه بسريرته فصفات الحق صفات العبد فلا تعكس فتنكس "

هذا (النص) مجموعة من تأملات وشروح فلسفية صوفية، على "بسم الله الرحمن الرحيم" لدى عبد الكريم الجيلى / ٨٠٥ هـ[١] وهو من المتصوفة المتأخرين بعد عصر إبن عربى ٦٣٨هـ، وهو فى هذا المجال يتبع طريقة شيخه إبن عربى ولايختلف عن مضمون تفسيراته ونظرياته، بل نجد ترديدا لمقولات إبن عربى وتلميذه صدر الدين القونوى/ ٦٧١ هـ/ فيما يتعلق بنظريات "وحدة الوجود" "الإنسان الكامل" "الحقيقة المحمدية"، وكذلك تفسيره للآثار والأحاديث القدسية الشريفة التي تدور حول هذه الأفكار طبقا لمذهبهم الفلسفية الصوفية.

وهذه التعليقات والشرح لدى عبد الكريم الجيلى، على"بسم الله الرحمن الرحيم" وجدت فى مخطوط له بعنوان "الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم"[٢]

يقول الجيلى فى مقدمة كتابه "الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم" الكامل فى أسمائه وصفاته، الجامع بإلوهيته شمل مضاداته، الأحد فى سماته، الواحد فى تعداداته، المتميزة أوصافه فى استيفاءاته، الأزلى فى أبد أخرياته، فى أزلى أولياته، البارز فى كل صورة ومعنى بسوره وآياته، المتجلى بصور العالم من إنسانه وحيوانه، ونباتاته، وجماداته، المتجلى فى سرادق تنزيهه عن الفصل والوصل، والضد والند، والكم والكيف، والتجسيم والتحديد، والتقييد بتشبيهه والتحديد، والتقييد بتشبيهه أو تنزيهاته"[٣].

وإذا تأملنا ماورد من مترادفات فى هذا النص عند الجيلى نجده يهدف أن يثبت لله تعالى "صفة الكمال المطلق" وهذا الكمال الإلهى الأسمى أكثر مايتضح ما يتضح فى الجمع بين المضادات "الجامع بألوهيته شمل مضاداته" فهو مجمع بكل جمع، ممتنع بكل منع، مفترق بكل فرق، منطلق بكل طلق، مقيد بكل تحديد"[٤] هذه الفكرة عند الجيلى ترتبط بنظريته فى "وحدة الوجود" تلك النظرية التى وضع إبن عربى من قبل أسسها وإطارها الفلسفى.

---

(١) هو عبد الكريم بن ابراهيم الجيلى (أو الجيلانى) المتوفى عام ٨٠٥ هـ/ أو عام / ٨١١ هـ/. فى بعض المصادر الأخرى .

(٢) هذا الكتاب عرضه وعلق عليه وقام بتحقيقه الدكتور ابراهيم بسيونى بكتابه البسملة بين أهل العبار وأهل الإشارة ، ص١٠٥ ومابعدها ، ط- الهيئة العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٣م.

(٣) عبد الكريم الجيلى - الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم - (المقدمة) تحقيق الدكتور/ إبراهيم بسيونى ضمن كتاب (البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة) ص١٠٦، ص١٠٧.

(٤) المصدر السابق- ص ١٠٧.

والنص كذلك يشير إلى التجلى الإلهى فى صور الكون، أو العالم من إنسانه وحيوانه ونباتاته وجماداته، داخل وظاهر.

وفيما جاء خلال النص من المزاوجة بين مايجب فى حق واجب الوجود "الله تعالى" من قديم وكمال صفات ثم مايجب فى حق ممكن الوجود، من ظهور وتشبيه وغير ذلك، فإن هذه المزاوجة تعنى عند الجيلى أن "الوجود كله وحدة واحدة".

ولاشك، أن الجيلى، لم يغفل الإشارة إلى فكرة فلسفية باطنية أخرى وهى "الحقيقة المحمدية" فى مقدمة شرحه "بسم الله الرحمن الرحيم"..

إذ نجد عنده هذا النص : يقول فيه :

"واستمد من الجناب الأعظم، غيب الجمع الأبهم، نقطة عن الحرفل المعجم، محمد سيد العرب والعجم، مركز كنه الحقائق والتوحيد، مجمع دقائق التنزيه والتحديد، مجلى معانى جمال القديم والجديد، صورة كمال الذات الأزلى التخليد فى جنات الصفات، الأبدى الإطلاق فى ميدان الألوهيات[١]. فالنص يوضح المقصود "بالحقيقة المحمدية " أو "الإنسان الكامل وهى الحقيقة الإلهية فى الوجود، رقيقة الرقائق، وحقيقة الحقائق. وهى الحقيقة التى خلق آدم على صورتها بما ركب فيه من صفات جسيمة وروحانية، قديمة أزلية، فى علم الله تعالى، فالحقيقة المحمدية أول خلق فى الوجود .

وكأن الإنسان الكامل هو مجلى الصفات الإلهية، والكمال الإلهى، فى إنسان الوجود الذى خصه الله تعالى بأحسن صورة، وأحسن خلق، وأجمل وأكمل صفات دون سائر الوجود الأخرى، وإذا ما تأملنا شرح عبد الكريم الجيلى لمعانى بسم الله الرحمن الرحيم، نجد أن مقصوده من هذا هو تأكيد نظريات الفلاسفة الصوفيين فى الحقيقة المحمدية والإشارة الكاملة لوحدة الوجود، وعلى ذلك يقول: "بل كلامنا عليها من وجه معانى حقائقها فيما يليق بجناب الحق سبحانه وتعالى، والكلام مندرج بعضه فى بعض"[٢] .

وفى النص يذكر "أن المقصود من جميع هذه الوجوه معرفة الحق سبحانه وتعالى ونحن على بابه، فكل مايتجدد مع فيضه على الأنفاس ينزل به الروح الأمين على قلب القرطاس" [٣].

---

(١) نفس المصدر السابق - ص١٠٨.

(٢) نفس المصدر السابق - ص ١١١.

(٣) نفس المصدر - ص ١١١.

وهذا النص يشير فى معناه ومقصوده "أن الصوفية المتأخرين يزعمون أنهم مخصوصون بعلم الإرث المعرفى بالنسبة لأنبياء، وأن أهل الظاهر يتلقون علومهم ميتا عن ميت، وأما الصوفية فيتلقونها مباشرة عن الحى الذى لايموت" بل أصبحت فكرة منتشرة عند أصحاب الطرق والمذاهب الصوفية الأخرى، ويتضح هذا من خلال نظرياتهم فى الولاية والقطبانية [(١)].

ومن ناحية أخرى فإن تفسير عبد الكريم الجيلى "للباء والألف "والسين والميم" فى "بسم" فى "الحقيقة المحمدية" حيث أنها مدرجة فى النقطة والنقطة التى هى عين الحقيقة المحمدية مدرجة فى الألف، والسين عبارة عن سر الله تعالى وهو الإنسان والكلام من باب الإشارة فى (يس) أن (يا) حرف نداء والسين الإشارة، فهو سبحانه يخاطب محمد ﷺ بقوله "ياإنسان عين ذاتى، والقرآن الحكيم فالقرآن معطوف على التراث (وإنسان)مضاف إلى عين التراث وسر القرآن الحكيم" [(٢)]

ولاشك أن الجيلى بهذا التفسير الغالى، يتحرف بالنصوص عن مواضعها، وعن مقصودها الأسمى، وفى هذا التفسير الإشارى الرمزى، فى نطاق نظريات وضعها فلاسفة الصوفية، لدليل على مدى تغلغل التأثير الفلسفى فى الصوفية المتأخرين.

أما تفسيره (للميم) الأخيرة فى "بسم" فإنه يستلهم الحرف من الناحية العددية، ويقابلها بالعدد(٤٠) (أربعون).

وعلى ذلك نجد الجيلى يرتب مراتب الوجود على أساس هذا العدد، فمراتب الوجود عنده "أربعون مرتبة" أول هذه المراتب "هى الذات الساذج.

وتأتى هذه المراتب "هى العماء وهى الكنه الذاتى عبر عنها بالمعرفة.

أما المرتبة الثالثة : فهى الأحدية عبر عنها بالكنز الخفى وهكذا حتى يصل إلى المرتبة "الأربعين".

المرتبة الأربعون "وهى الكثيب الأبيض - وهو عبارة عن مجلى الحق تعالى ودار الدور فما بعده إلا الذات وهذا العدد هو أصل الأشياء، وبه كملت تخميرة طينة أدم، وهو أول موجود

---

(١) أشرنا إلى ذلك فيما سبق من هذه البحث، وللمزيد يمكن الرجوع إلى إبن عربى - الفتوحات المكية، كذلك- نصوص الحكم . بتحقيق أبو العلا عفيفى سنة ١٩٤٦م.

(٢) الجيلى - الكهف والرقيم - ص١١٢، ص١١٣، ص١٢٣.

فى هذا العالم والإنسان ظهر فى المرتبة الرابعة من العدد لأن العالم بأجمعه ليس فيه إلا أربعة أنواع (قديم أو حديث - وكثيف أو لطيف) وجمعها هو عين هذا الميم"المحمدى" الذى هو جميع الوجود القديم والحديث.

ومما لاشك أن الجيلى قد تأثر تأثيراً كبيراً فى تفسيره لمراتب الوجود، بكل من صدر الدين القونوى (١)، وشيخه الأكبر محى الدين ابن عربى (٢).

وهذا يثبت أن الجيلى تلميذ مخلص فى مدرسة إبن عربى الفلسفة الصوفية (٣).

"النص الثالث" (الإنسان الكامل)

- عبد الكريم الجيلى ٨٠٥ هـ -

وهذا النص فى الإنسان الكامل وأنه محمد ﷺ وأنه مقابل للحق والخلق" (٤).

والواضح من عنوان هذا النص، أنه خاص بتفسير معنى الإنسان الكامل، والمراد به، وهو يعنى أيضا، "الحقيقة المحمدية" ونظرا لإتساع نطاق هذا النص فإننا سوف نختصر منه عبارات متكاملة ..

يقول عبد القادر الجيلى/ ٨٠٥/ هـ "أعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى الآبدين، ثم له تنوع فى ملابس، ويظهر فى كنائس، فيسمى به باعتباره لباس، ولايسمى به باعتبار لباس آخر. فاسمه الأصلى الذى هو له "محمد"وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أسام. وله فى كل زمان اسم ما يليق بلباسه فى ذلك الزمان، فقد

---

(١) ذكرنا نص مراتب الوجود لصدر الد ين القونوى . وتفسيره للحقيقة المحمدية، وأنها حقيقة الحقائق فى الوجود ، وهى الإنسان الكامل، مجمع الصفات الإلهية (فيما سبق من البحث).

(٢) ذكرنا أيضا تفسير ابن عربى للحقيقة المحمدية ، وأنها المقصودة بقوله فى الحديث القدسى ان الله خلق آدم علي صورته" ، راجع شجرة الكون لإبن عربى- ص١٢ ومابعدها.

(٣) لمزيد من التفاصيل - الجيلى - الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم تحقيقه دكتور إبراهيم بسيونى - البسملة بين أصل الإشارة ، ص ١٣٠.

(٤) عبد الكريم الجيلى - الإنسان الكامل فى معرفة الأوآخر والأوآئل - جـ٢ - ص٧٤، ص ٧٥.

إجتمعت به ﷺ وهو فى صورة شيخى الشيخ شرف الدين اسماعيل الجبرتى وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها سنة ٧٩٦ هـ.

وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صوره فالأديب إذا رأه فى الصور المحمدية التى كان عليها فى حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رأه فى صورة مامن الصور علم أنه محمد، فلايسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لايوقع ذلك الإسم إلا على الحقيقة المحمدية". ويقول الجيلى فى موضع آخر فى الإنسان الكامل "إعلم أن الإنسان الكامل، مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه فيقابل الحقائق العلمية، بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته - فيقابل العرش بقلبه ويقابل الكرسى بآنيته، ويقابل صدرة المنتهى بمقامه ويقابل القلم الأعلى بقلمه، ويقابل اللوح المحفوظ بنفسه، ويقابل العناصر بطبيعة .... وهكذا" (١).

وفى نهاية النص يقول "فلا يزال يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من رقائقه.. وإعلم أن نسخة الحق تعالى كما أخبر ﷺ "إن الله خلق آدم على صورة الرحمن" وفى حديث آخر "خلق الله آدم على صورته" (٢) وذلك أن الله تعالى حى عليم قادر مريد سميع بصير متكلم، وكذلك الإنسان حى عليم ..إلخ. ثم يقابل الهوية بالهوية، والآنية بالآنية، والذات بالذات، والكل بالكل، والشمول بالشمول، والخصوص بالخصوص" .

ويقول الجيلى "ثم إعلم أن الإنسان الكامل هو الذى يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية إستحقاق الأصالة. فمثال الإنسان الكامل للحق مثال المرآة التى لايرى الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه (٣) إلا بمرآة الإسم "الله" فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضاً مرآة للحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لاترى أسماؤه ولاصفاته إلا فى الإنسان الكامل" (٤).

ومما لاشك أن الجيلى قد تأثر تأثراً واضحاً بنظريات وآراء أساتذته وشيوخه كإبن عربى، والقونوى، ويكاد لايختلف عن آرائهم فى جوهرها ومضمونها.

---

(١) المصدر السابق - ص٧٦ .

(٢) تخريج الحديث: سبق تخريج هذا الحديث .

(٣) هذا مايبق أن ذهب إليه صدر الدين القونوى - راجع نص "مراتب الوجود" فيما سبق .

(٤) نفس المصدر السابق - حـ٢ - ص٧٧ .

وخلاصة آراء عبد الكريم الجيلى فى "الإنسان الكامل" فيما سبق من نصوص "أن الإنسان هو المظهر الخارجى الكامل لله تعالى، والموجود الذى خلقه الله تعالى على صورته، والمرآة التى يرى الحق بعالى صفاته وأسماءه، فهو مستودع الكمالات الإلهية التى توجد فيه مجتمعة وتظهر فى غيره من الكائنات متفرقة، والفرق بين إنسان وآخر فرق فى الدرجة لافى النوع، ففى الناس هو كامل بالقوة، ومنهم من هو كامل بالفعل وأكمل الناس على الإطلاق الأنبياء والأولياء وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ. أو "الحقيقة المحمدية" التى تظهر بصورة الأنبياء والأولياء (١).

والإنسان لايصل إلى مرتبة "الإنسان الكامل عند الجيلى" إلا إذا تم معراجه الروحى إلى الذات الإلهية، أو الوجود المطلق، وفى هذا المعراج يمر بثلاث مراحل مرتبة ترتيباً تصاعدياً فى مقابل الترتيب التنازلى الذى يمر به الوجود المطلق فى تنزله إلى العالم .

ففى المرحلة الأولى :يتجلى الحق على العبد فى أسمائه حيث يشرق نور الأسماء الإلهية فى كيان العبد، فإذا حصل ذلك إصطلم العبد تحت أنوار الإسم المتجلى به، بحيث إذا ناديت الحق به أجابك العبد لوقوع ذلك الإسم عليه هنا يمحو الله إسم العبد ويثبت له إسم الله، فإذا قلت ياالله، أجابك العبد لبيك وسعديك، وينتهى العبد فى هذه التجليات إلى أن تطلبه جميع الأسماء الإلهية كما يطلب الإسم المسمى .

يقول الجيلى: (٢)

ينادى المنادى بأسمها فأجيبه	وأدعى فليلى عن ندائى تجيب
وماذاك إلا أننا روح واحد	تداولنا جسمان وهو عجيب
كشخص له إسمان والذات واحد	بأى تنادى الذات من تصبب
فذاتى لها ذات وإسمى إسمها	وحالى بها فى الإتحاد غريب
ولسنا على التحقيق ذات الواحد	ولكنه نفس المحب حبيب

ولايشهد المتجلى له فى التجليات الأسمائية إلا الذات الصرف، لايشهد لإسم، فإذا تجلى الحق للعبد فى إسمه "القديم" مثلاً يكشف الحق للعبد عن كونه أى العبد موجوداً فى علم الله

---

(١) الدكتور أبو العلا عفيفى - إبن عربى فى دراساتى (بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى - إبن عربى) - ص٢٩ .

(٢) عبد الكريم الجيلى - الإنسان الكامل جـ١ - ص٥٩ .

القديم قبل أن يخلق الخلق، إذ كان موجوداً فى العلم بوجود العلم، وعلم الله قديم، ويلزم من ذلك قدم الموجودات جميعها (١).

وهكذا إذا تجلى الحق للعبد فى أى إسم فيها شاهد العبد الذات المسماة بهذا الإسم متجلية فى صورة العبد أو صورة الكون كله .

أما المرحلة الثانية :فهى تجلى الحق للعبد بصفة من الصفات وعندئذ يسبح العبد فى فلك تلك الصفة التى يبلغ حرصاً بطريق الإجمال لابطريق التفصيل، فإذا سبح العبد فى فلك صفة وإستكملها بحلم الإجمال إستوى على عرش تلك الصفة، فكان موصوفاً بها. فلايزال كذلك إلى أن يستعمل الصفات جميعها، وذلك بأن يفنى العبد فناء بعدمه عن نفسه ويسلبه وجوده، فإذا طميس النور العبدى، وفنى الروح الخلقى، أقام الحق سبحانه فى الهيكل العبدى من غير حلول من ذاته لطيفة غير منفصلة عنه، ولامتصلة بالعبد عوضاً عما سلبه منه، وكان التجلى على تلك اللطيفة فما تجلى إلا عن نفسه لكنا نسمى تلك اللطيفة عسيراً بإعتبار أنها عوض العبد، وإلا فلا رب ولا عبد، إذ بإنتفاء المربوب إنتفى إسم الرب، فما ثم إلا الله وحده الواحد الأحد" (٢).

والمرحلة الثالثة :هى إذا تجلى الحق للعبد بصفة "الحياة" مثلاً كان العبد حياة العالم بأجمعه، يرى سريان حياته فى الموجودات. جسمها وروحها، ومن هذا الصنف كان عيسى عليه السلام وكذلك إذا طبقنا على ذلك سائر الصفات الأخرى(٣) هكذا يمضى الجيلى فى شرح وتفسير مقصوده ومراده فى تعدد التجليات الصفاتية وهو يذكر مايصدر عن العبد بعد حصول التجلى له، وليس العبد فى أى من هذه التجليات إلا صورة من صور الحق، وهى التى يطلق عليها إسم "الإنسان الكامل" (٤).

---

(١) دكتور أبو العلا عفيفى - ابن عربى فى دراساتى - ص٣٠ .

(٢) عبد الكريم الجيلى - الإنسان الكامل - حـ١ - ص٦٢ - ٧٣ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص٦٢ - ٦٣ - كذلك راجع دكتورأبو العلا عفيفى - إبن عربى فى دراساتى - ص٣١ .

(٤) المصدر السابق - ط ص٣١ .

وعندما يأتى التجلى الأخير وهو التجلى الذاتى، وبه ينتهى المعراج، ويدرك الإنسان الكامل وحدته الذاتية مع الحق[1].

والإنسان الكامل عند الجيلى كما هو عند إبن عربى كذلك القونوى وغيرهم من فلاسفة الصوفية المتأخرين واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ولكنه يتنوى ويظهر فى كل زمان، فى صورة صاحب ذلك الزمان، ويتسمى بإسمه الحقيقى فهو "محمد" وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، لكن المرادية "الحقيقة المحمدية"[2]

ولاشك أن تصور فلاسة التصوف كإبن عربى والقونوى والجيلى وغيرهم من المتأخرين لفكرة الإنسان الكامل - الحقيقة المحمدية فيه غلو كبير، وإنحراف عن ظواهر الشريعة وخروج عن أصول الكتاب والسنة الشريفة، وتصور الإنسان فى وضع الإلوهية أو الربوبية، وإتخاذ الصفات والأسماء الإلهية وتجليها فى ذات هذا الإنسان، يعنى حلول وإتحاد صارخ لايقبله الشرع والدين .

وثمة رأى آخر فيما يتعلق بتفسير متأخرى الصوفية الفكرة "الإنسان الكامل" حيث أن هذه الفكرة قديمة فى تاريخ المذاهب الإنسانية، وفى كتب المتون القديمة، وبصفة خاصة فى "الدين المقارن" فهى تعنى "الإنسان الأول، والكيومرث عند المزدكية، و"آدم قدمون" فى كتب القبالة اليهودية، و"الإنسان القديم" عند المانوية المستعربة، وعلينا بأن نعترف بأن ضرباً من وحدة الوجود العقلية الإسلامية قد إنتهى فى عهد متأخر إلى تكوين تصور "للإنسان" على أساس أنه "إنسان عين الوجود" فأحل محل "الكلمة" المتجسدة عند النصارى، صورة نموذجية هى الأثر المعقول الذى تركه الخالق فى المخلوق، مع وضع نوع من الإقتران المجرد بين كليهما (على حساب العلو الإلهى) وهذه "العين" هى النبى محمد ﷺ هذا النور النبوى الذى يقال أن الله قال له "كونى" فلولاك ماخلقت السموات"[3].

---

(١) نفس المصدر - ح١ ص٣١ .

(٢) عبد الكريم الجيلى الإنسان الكامل حـ٢ ص٧٤ - ٧٥ .

(٣) لوى ماسينيون - الإنسان الكامل فى الإسلام "وأصالته النشورية" بحث منشور ضمن كتاب الإنسان الكامل - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ص١١٢ .

وهذه الفكرة عند المتصوفة المتأخرين، وهى بمعناها ودلالتها قديمة فى التراث الدينى والإنسانى تمتزج بآثار غنوصية فارسية ويونانية ولاتختلف فى مضمونها وجوهرها عما قصده القدماء، وكما ذكرت فكرة بعيدة عن روح الشرع الإسلامى، ويبدو فيها غلو واضح يجب التنبيه عليه وتنقية التراث الدينى الإسلامى من آثاره المريبة، ودحض دعاوى القائلين بمثل هذه الأفكار الغالية الخارجة عن نطاق الدين.

النص الرابع: (شرح على التجليات الإلهية) لإبن عربى - إبن سودكين:/٦٤٦هـ .

هذا ملخص مأخوذ من كتاب "التجليات الإلهية" للشيخ الأكبر محى الدين بن عربى [(١)] وعليه شرح لتلميذه الشيخ أبوطاهر إسماعيل بن سوكين بن عبد بالله النورى/ المتوفى عام ٦٤٦هـ وهذا الشرع له عدة نسخ مخطوطه [(٢)] .

وسوف تختار من بين هذا الكتاب وشروحه (نص واحد وشروح إبن سودكين النورى عليه)، كدليل على جوانب التفكير الفلسفى والصوفى فى العصور المتأخرة. يقول الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى "فى التجليات الإلهية"

"التوحيد علم ثم حال ثم علم، فالعلم الأول توحيد الدليل وهو توحيد العامة، وأعنى بالعامة علماء الرسوم، وتوحيد الحال: أن يكون الحق نعتك فيكون هو، لاأنت فى أنت "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" والعلم الثانى: بعد الحال، هو توحيد المشاهدة، فيرى صاحب هذا المقام، الأشياء من حيث الوحدانية، فلا يرى إلا الواحد، وبتجليه فى المقامات تكون الوحدات .

---

(١) جدير بالذكر أن لإبن عربيب كتاب آخر يشير فى دلالته إلى مضمون هذا الكتاب أشار إليه فى رسالته: عنقاء معزب - ص٥ بعنوان "التدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية .

(٢) منها مخطوط برلين رقم (١٢٣٠) وهو بعنوان "شرح التجليات لإبن سودكين النورى/ ٦٤٦هـ/ بخط نسخى واضح بقلم بن زكريا بن يحيى الأقرائى. بتاريخ ٧٣٢هـ (آخر جمادى الأول) مقابل - ومسطرته ١٩ سطراً فى حالة جيدة، ورمزه (B).

كذلك - مخطوط فيينا رقم ٣٨٩ (A) بعنوان "شرح التجليات الإلهية للشيخ أبى طاهر إسماعيل إبن سودكين بن عبد الله النورى والناسخ محمد بن محمد الميدانى - الشهير بإبن زاده، بتاريخ يوم الخميس ٩ شهر ربيع الثانى سنة ١١٤١ - مسطرته ٢٥ سطراً ورمزه (V) .

فالعالم كله وحدات تنضاف بعضها إلى بعض تسمى مركبات يكون لها وجه فى هذه الإضافة تسمى أشكالاً، وليس لغير هذا العالم هذا المشهد". (١)

هذا هو نص إبن عربى "فى التجليات الإلهية" وهذا كماهو واضح يبين معانى التوحيد فى ثلاث مراحل: فى العلم والحال، ثم العلم. أو هو يعنى توحيد: العامة، ثم الخواص، ثم خواص الخواص. وتوحيد خواص الخواص أولئك الذين لايشاهدون إلا الوحدانية المطلقة، وبتجليات الواحد فى أشياء الموجودات - وتحتمل هذه المعنى مذهبه الفلسفى فى "وحدة الوجود"، وهى الفكرة التى سيأخذ بها إبن سودكين وعلى ذلك يوضح أبو الطاهر إسماعيل بن سودكين النورى./ ٦٤٦هـ/ مقصود سشيخه الأكبر محى الدين بن عربى ٦٣٨هـ/ وتعليقه على هذه الأمور فى "التوحيد". فيقول فى تعليقاته :

"سمعت شيخى أبا عبد الله محمد بن على بن محمد بن أحمد بن العربى قدس الله سره العزيز يقول فى أثناء شرحه لهذا التجلى ماهذا معناه: إن التوحيد الأول هو الذى يثبت بالدليل، وهو إستار الموجودات إلى الله تعالى، وكونه إحدى الذات، وليس بجسم، وليس كمثله شئ كل هذا يعطيه الدليل، ويعطى الدليل أيضاً أنه تعالى موسصوف بأوصاف الإلهية، ورفع المناسبات بينه وبين خلقه من مدارك الدليل، فهذا القدر من التوحيد يشارك فيه المستدل، من طريق إستدلاله، للمكاشف. وأما حال التوحيد: فهو أن يتجلى العالم بما علمه، فتكون علومه وصفاً له لازماً، لكن بحيث أن لايقال: إن أوصافى تناسب أوصاف الحق بحيث يستدل بالشاهد على الغائب.

والعلم الثانى: هو أن يدرك المكاشف يكشفه جميع ماأدركه صاحب الدليل بدليله وزيادة، والزيادة هنا هى "المناسبة" التى منعها الدليل أولاً. ويثبت صاحب هذا المقام الثالث جميع ماأثبته صاحب الدليل، وينفى جميع ماأثبته صاحب الدليل، فيثبت وجوده وإمكانه، ثم ينفى وجوده وإمكانه، ويعرف بأى وجه، ينسب إذا نسب، وبأى وجه يرفع النسب إذا رفعها، وصاحب الدليل، إما يثبتها مطلقاً أو يرفعها مطلقاً .

---

(١) دكتور - عثمان يحيى - نصوص تاريخية خاصة بنظرية التوحيد فى التفكير الإسلامى - (بحث ضمن منشور بالكتاب التذكارى لابن عربى) - ص٢٤١ - ص٢٤٢ .

وصاحب هذا المقام المحققو هو الذى يعرف "إستواء الحق على العرش" و"نزوله إلى سماء الدنيا" وتلبسه بكل شئ وتنزيهه عن كل شئ، وهذا منتهى العارفين، وعلامة المحقق به أن لاينكر شيئاً أبداً، إلا ماأنكره الشرع، بلسان الشرع لابلسان الحقيقة، فهو ناقل للمنكرات ومحل لجريانه "أى لجريان حكم الشرع من دفع المنكر" كما هو محل لجريان غيره من الحقائق، فتحقق، والله تعالى يقول الحق"(١).

ويكشف إبن سودكين النورى عن مضمون هذا النص وعاياته ودلالاته الفلسفية الصوفية.

يقول "هذا التوحيد يثبته المستدل بالمشاهد على الغائب. وبالأثر على المؤثر، فيعطيه الدليل أن الأشياء كلها مستندة إلى "ذات وحدانية" لاتستند هى فى حقيقتها إلى شئ، وهذا "الوحدانى" ليس بجسم ولاجسمانى، وليس بجوهر ولاعرض، و "ليس كمثله شئ" وهو الإله الموصوف بنعوت الكمال، ومن كمال ذاته وصفاته كونه أزلياً أبدياً، لايسبقه العدم، ولايعقبه، ورفع "المناسبة" بينه وبين الخلق.

وأما توحيد الحال: فمطالعه معناه شهوداً فى الحق بالحق، عند تجلى كونه تعالى عين كون المشاهد وعين سمعه وبصره .

"ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى" سورة الأنفال آية (١٧). فأثبت الله تعالى لـك الرمى يكون الحكم فى رأى العين لك، ونفاه عنك: بكونك فى أنت لاأنت، ومحض الله، فإنه عين كونك، وعين سمعك وبصرك ويدك، فالعين له، والحكم لك .

والعلم الثانى : توحيد المشاهدة، أى مشاهدة الوحدة والكثرة فى الحق، من غير مزاحمة، ولذلك قال "أى إبن عربى" فيرى الأشياء من حيث الوحدانية "أى من حيث كون الحق عين ماظهر.. بالوجود... "فلايرى إلا الواحد" الذى هو عين ماظهر ومابطن، وبتجليه فى المقامات والمراتب، تكون الوحدات المتعددة، وذلك تعدد الوجه فى المرايا المتعددة، فتجليه تعالى فى المراتب والمقامات الإمكانية، يعطى التعدد بلا كثرة، فإن الكثرة إنما تقوم من نسبة الوحدات، بعضها إلى بعض قمع قطع النظر عن النسبة تكون الوحدات متعددة بلا نسبة تعطى الكثرة .

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٢٤٢ - ص٢٤٣ .

فالعالم كله وحدات، ينضاف إلى بعضها البعض، تسمى مركبات وذلك كإضافة واحد إلى واحد، بحيث يصدق على كل منهما أنه نصف الإثنين، فإن عين الإثنين المركب منهما، إنما يقوم من هذه النسبة والإضافة والنسبة أمر "عقلى"، وليس فى الخارج إلا واحد وواحد، وهكذا، الشأن فى باقى المركبات كالثلاثة والأربعة والخمسة ....إلخ .

فتلك المركبات الخاصة بالنسبة والإضافة يكون لها وجه آخر تسمى من حيثية ذلك الوجه أشكالاً، وذلك باعتبار إن نسبة الجزء إلى الجزء أو إلى الأجزاء فى هذه الإضافة تعطى الأشكال، كما أن نسبة الآحاد بعضها إلى بعض تعطى الأعداد .

وليس لغير هذا العالم هذا المشهد، يشير ألى عالم المزج والإستحالة، فإنه يقبل النسبة والإضافة والتركيب، بخلاف عالم الملكوت، فإن أقرار وآحاد، وبسائط لاتقبل النسبة والإضافة والتركيب فالأعيان فيه أعداد لاكثرة فيها، إذ لاتركيب" (1).

ومن خلال دراستنا لهذا النص فى "التوحيد" ومراتبه الثلاثة فى "العلم" و"الحال" ثم "العلم" كما وضح إبن عربى، وشرحه أبو الطاهر إبن سودكين النورى، فإن يحمل فى طياته فكرة أو نظرية "وحدة الوجود" الفلسفية، ويأخذ بهذه الفكرة تلميذه إبن سودكين، بل يعمقها ويؤصلها فى تفكيره، حتى يصل بها إلى أقصى مدى يستطيع المفكر تصوره، وهذا ماتجده أيضاً فى تحليله لإصول هذه - النظرية فى وجوها الخواص، كما سبق أن وضحنا فى بداية التعليق على نص إبن عربى فلننظر مرة أخرى إلى هذه العبارة الشارحة التى وضعها إبن سودكين "والعلم الثانى توحيده المشاهدة، أى مشاهدة الوحدة والكثرة فى الحق، من غير مزاحمة" ... ثم يقول "فلايرى إلا الواحد الذى هو عين ماظهر وما بطن، وبتجليه فى المقامات والمراتب تكون الوحدات المتعددة، تعدد الوجه الواحد فى المرايا المتعددة، فتجليه تعالى المراتب والمقامات الإمكتنية، يعطى التعدد بلا كثرة" (2)

وهذا هو مذهب ووحدة الوجود "فى ثوبه الفلسفى الصوفى، عند شراح إبن عربى وتلامذتـه المتأخرين ولنـرى كذلك أن هـؤلاء المتأخرين كيف تقبلوا هذا المذهب أو هذه النظريـة

---

(1) نفس المصدر السابق - ص٢٤٣ - ص٢٤٤ - ص٢٤٥ .

(2) نفس المصدر - ص٢٤٤ .

الفلسفية على دعائم ذوقية وجدانية صوفية، وهو ينطوى على أصول فلسفية. بعيدة كل البعد عن الروح الإسلامية الخالصة .

النص الخامس : (عبد الوهاب الشعرانى شرح على مسألة الذات والصفات والأسماء والولاية لإبن عربى).

هذه بعض القطع المختارة لنصوص عند الإمام عبد الوهاب الشعرانى/ ٩٧٣هـ/ إمام التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى فى القرن العاشر الهجرى. وهذه الجزئيات المختارة ليست خالصة لدى الشعرانى، حيث أنه يتابع مذهب شيخه الأكبر محى الدين، إبن عربى[١] وحاول تبرير نظرياته الفلسفية والتقريب بين آراءه وأصول الشريعة، فالشعرانى شارح لإبن عربى أكثر من كونه صاحب مذهب أو طريقة أصيلة تنسب إليه فى التصوف الإسلامى، ولم يكن له دور كبير سوى الإنتصار لأصحاب مذاهب التصوف وشرح أحوالهم، ومقاماتهم وتبرير نظرياتهم فى مجال الفكر الصوفى فى العصور المتأخرة. بالإضافة إلى التاريخ العام لشيوخ التصوف .

وإن كان بعض الباحثين المعاصرين، يثبتون للشعرانى طريقة صوفية وعقلية جديدة، وإبتكاراً جديداً فى مجال التصوف الإسلامى طريقة ومنهجاً أو سلوكاً، بالإضافة إلى جهوده العلمية والعقلية. فى أصول العقيدة[٢] غير أن ذلك فيه مبالغة كبيرة، فقد علل الشعرانى فى كثير من مؤلفاته ورسائله على شيوخه السابقين أو المعاصرين له والذين تلقى تعليمه عليهم .

ومما يدل على ذلك هذا النص: يقول الشعرانى: فى مسألة "الذات والصفات والأسماء الإلهية"[٣].

---

(١) كان الشعرانى معجباً بإبن عربى، ولذلك إقتفى خطواته وتأثر به تأثراً كبيراً، وليس غريباً أن نعتبره من تلامذته المخلصين وقد حفظ له إجلال وإكبار وأخذ على عاتقه إذاعة معارفه وأذواقه وتقريبها إلى الأذهان. بصياغة تنفى عنها كل شك وتقربها من الشرع - نظرنا: عبد الحفيظ قرنى - عبد الوهاب الشعرانى إمام القرن العاشر - ص١٥٨ - ١٥٩ حـ١ (الهيئة المصرية للكتاب) - ١٩٨٥م .

(٢) نفس المصدر السابق - ص١٥٩ وما بعدها .

(٣) جدير بالذكر أن الشعرانى يذكر أقوال علماء أصول الدين وعلماء الكلام. والفقهاء فى هذا المجال على إختلاف مذاهبهم ثم يعقب بأقوال الصوفية.. بعد ذلك - جرياً على طريقته فى التوفيق بين المذاهب - اليواقيت والجواهر - حـ١ - ص٧٥ ص٧٦ .

"وأما كلام محققى الصوفية فى ذلك: فقال الشيخ فى الباب الثانى والأربعين من الفتوحات مما يؤيد قول من قال إن الإسم عين المسمى قوله تعالى "ذلكم الله ربى" سورة الشورى آية (١٠) فجعل إسمه تعالى عين ذاته كما قاله "قل إدعوا الله أو إدعوا الرحمن أيا ماتدعوا" سورة الإسراء آية (١١٠) .

.. ولم يقل إدعوا بالله ولا بالرحمن، فجعل الإسم هنا عين المسمى، كما جعله فى موضع آخر غيره، قال فلو لم يكن الإسم عين المسمى، فى قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربى إنتهى "قلت (أى الشعرانى)" ومما يؤيد ذلك أيضاً حديث مسلم مرفوعاً "أنا مع عبدى إذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه" فإنه تعالى جعل إسمه عين ذاته، إذ الذات لاتتحرك بها الشفتان وإنما تتحرك بالإسم الذى هو اللفظ فليتأمل والله تعالى أعلم. ثم يقول الشعرانى أن الأسماء والإلهية ترجع إلى ثلاثة أقسام: أسماء تدل على الذات – وأسماء تدل على التنزيه، وأسماء تدل على صفات الأفعال، وهذه الثلاثة ترجع إلى قسمين. قسم يقتضى التنزيه كالكبير والعلى والغنى والأحد، ومايصح أن ينفرد به الحق تعالى مما تطلبه الذات لذاتها، وقسم يقتضى طلبه العالم كالمتكبر والمتعالى والرحيم والغفور، ونحو ذلك مما تطلبه الذات من كونه تعالى إلهاً[(١)].

وفى نص آخر "يتحدث فيه عن مسألة الولاية" .

يقول الشعرانى شارحاً ومبرراً لآراء شيخه الأكبر إبن عربى فى هذه المسألة" أن الولاية لاتلحق النبوة أبداً ومن قال من العارفين أن مقام الولاية أكمل وأتم من مقام الرسالة فمراده كما قال الشيخ محى الدين فى الفتوحات أن مقام ولاية النبى نفسه أتم وأكمل من مقام رسالته. وذلك لشرف المتعلق ودوامه. فإن الولاية يتعلق حكمها بالله تعالى ولها الدوام فى الدنيا والآخرة، والرسالة يتعلق حكمها بالخلق وينقطع بزوال زمن التكليف، فليس مراد أحد من القوم بما قالوه نصب الخلاف بين مطلق الولاية ورسالة الأنبياء فإن هذا لايقوله إلا جاهل بالله تعالى، الذين لم يقربوا من حضرته، ولم يعوفوا أهلها، وحاشا الأولياء من ذلك" [(٢)].

---

(١) الشعرانى – اليواقيت والجواهر – حـ١ – ص٧٦ – ص٧٧ .

(٢) نفس المصدر السابق – حـ٢ ص٧٢ .

النص السادس: لابن قضيب البان /١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠/، ونصوص من كتابه "المواقف الإلهية" (١).

تقديـــم :

هذا الكتاب " المواقف الإلهية" لإبن قضيب البان/ ١٠٤٠ هـ/ يذكرنا بكتاب آخر متقدم فى النصف الأول للقرن الرابع الهجرى بعنوان "المواقف والمخاطبات" للفيلسوف الصوفى محمد بن عبد الجبار النفرى المتوفى عام/ ٣٥٤هـ/، وتناولنا هذا الصوفى الكبير بالدراسة والبحث. فى الباب الأول من هذا البحث، وأشرنا إلى مذهبه الصوفى الإشراقى المتأثر إلى حد كبير بأثار فلاسفة التصوف المتقدمين عليه، كالبسطامى/ ٢٦١هـ/ والحلاج/ ٣٠٩هـ/ .

ومن خلال دراستنا لكل من "المواقف والمخاطبات" للنفرى/ ٣٥٤هـ/ "والمواقف الإلهية" لإبن قضيب البان/ ١٠٤٠هـ/ يتضح لنا مدى التوافق والإقتراب الذوقى الوجدانى الإشراقى بين كل منهما. لكن كان لإبن قضيب البان رؤيا خاصة به، ومعتقدات فلسفية صوفية ذوقية. وربما لم تتقدم عند النفرى ولم يبحثها بعمق وأصالة ذوقية ووجدانية كنظرية "وحدة الوجود" والحقيقة المحمدية، أو الإنسان الكامل، والقطبانية، تلك النظريات الصوفية التى وضع أصولها وعمقها فيلسوف وحدة الوجـود الشيـخ الأكبر محى الدين بن عربى/ ٦٣٨هـ/ ووجدت التربية الخصبة

---

(١) ابن قضيب البان: هو عبد القادر بن محمد أبى الفيض السيد الأفضل أبو محمد المعروف بابن قضيب البان، المولود بحماه عام ٩٧١ هـ/ ١٥٦٣م/ والمتوفى بحلب / عام ١٠٤٠ هـ/ ١٦٣٠م/. ولإبن قضيب البان ترجمة مفصلة بكتاب محمد المحى. تاريخ خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر - حـ ٢- ص٤٦٤- ص٤٦٧ وجدير بالذكر أن صاحب تاريخ خلاصة الأثر يصل بنسبه إلى الإمام على بن أبى طالب فهو من أولاد موسى الجون. بن عبد الله المحض، بن الحسن المثنى ، بن الحسن السبط، بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب . (ويتصل نسبه الأول بأبى عبد الله الحسن قضيب البان الموصلى من أولاد موسى الجون.. الخ.
والحسين، قضيب البان الموصلى هذا صاحب الكرمات المشهورة.
- وقد ذكره الإمام عبد الوهاب الشعرانى ٩٧٣ هـ ، "أنه من الأولياء وأهل الكشف والإلهام "نظرنا. الشعرانى . كتاب الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية - (بهامش الطبقات الكبرى- حـ ١ - ص ٥.

والمناسبة لكى تنمو وتتطور فى مدرسته المتأخرة، التى حمل لوائها خيرة تلامذته وتابعيهم من صوفية العصور المتخرة، كالصدر الدين القونوى/ ٦٧١هـ/، والعفيفى التلمسانى/ ٦٩٠هـ/ وعبد الكريم الجيلى ٨٠٥هـ أو/٨٠١١/ هـ، ووجدت تبريرات عقلية وشرعية عند شارح إبن عربى الكبير إمام التصوف فى القرن العاشر عبد الوهاب الشعرانى ٩٧٣هـ/ وأخيراً عند قضيب البان/ ١٠٤٠هـ/ فى "مواقف إلهية" ثم عبد الغنى النابلسى/ ١٠٤٣هـ/ .

وفيما أرى من خلال النظرة الفاحصة والدقيقة فى كل من الكتابين/ "المواقف والمخاطبات" "والمواقف الإلهية"، إن كل من النفرى ٣٥٤هـ/ وإبن قضيب البان/ ١٠٤٠هـ/ لم يختلف كل منهما عن الآخر فى مواقفه الإلهية، ذوقاً وحالاً ووجداناً، بل يتفق كل منهما مع الآخر جوهراً وأسلوباً..

لقد عاين كل منهما أحوالاً وجدانية، وعانى أذواقاً ومواجيداً روحانية، والمواقف الإلهية عند النفرى وإبن قضيب البانو معارج روحية، يتحدث فيها كل منهما بلغة رمزية مستغرقة لأحوالهما، رنها لحظات إستغراق وجدانى وذوقى كالبرق الخاطف، لايرى بالحال، أو مقام الصعق والإفاقة، وتستطيع أن تقول أن المواقف والمخاطبات الإلهية، سياحة وجدانية رمزية يتأملها الصوفى فهماً بوجدانه وعاشها بتأملاته .

ولعلنا نجد فى هذه المواقف الإلهية، نمطاً من التجارب الذوقية الصوفية، التى تسفر عن أحوال وجدانية، وسياحات روحانية قلبية ذاتية، بحيث لايتمثل ولايرى أحد من هؤلاء الحقيقة الإلهية المجردة إلا مشهودة فى كل كائن، مضيئة فى مرايا النفوس والأبصار، وحركة الأرضين والسموات، وحياة الكائنات والمخلوقات .

فهل يعنى هذا، أن أذواق المحبين وعشاق الذات الإلهية، والطالبين للحضور فى حضرة جناب الحضرة الإلهية، والمستلهمين لمعانى الحقيقة، الواصلين فى طريقها - تتلاقى أذواقهم، ومواجيدهم، وتتوحد أحوالهم، فيكاشفون بإخلاصهم لطريق الحق، بالمعانى والمعارف الإلهية، والتى لايشعر بها ولايصفها غيرهم بأذواقهم، ورموزهم ؟

إذا كان ذلك كذلك، فإن كل من النفرى/ ٣٥٤هـ/ وإبن قضيب البان/ ١٠٤٠هـ/ يلتقيان بأذواقهما وأحوالهما، فى الوسيلة والغاية، وهو سلوك طريق الحق للوصول إلى الحقيقة،

فى معارج ذوقية وأحوال وجدانية، بهدف الإستغراق الكامل فى مشاهدة الأنوار الإلهية، والحقائق المعرفية الربانية.

ومكاشفة الوجود وحياة الكائنات والمخلوقات فإذا إلتقيا فى الوسيلة والهدف والغاية، فقد إلتقيا أيضاً فى الأسلوب، الرمزى، الذى يتضمن المعنى الوجدانى والكشف الروحانى .

ومن ناحية أخرى نلاحظ. أن إبن قضيب البان فى مواقفه الإلهية، عندما يتحدث فى كل موقف يبدأ بنفس العبارة واللفظ الذى إستخدمه النفرى من قبل "من مواقفه ومخاطباته" .

ويتضح لنا ذلك عندما تستعرض بعض هذه العبارات والألفاظ التى إستخدمها كل منهما:

مثال ذلك يقول إبن قضيب البان فى كل موقف من مواقفه الإلهية "أوقفنى الحق على بساط الأمر، وقال لى إنظر إلى تنزل الملائكة بنفس الرحمن على قلوب المصطفين بالروح الإنسانى بحضرة الشهود، فرأيت أسرار الطى والنشر من خزائن الجود.. ثم كشف لى عن حجائب الكون، فرأيت سر قيامه حقائق الأشياء، ثم أرانى الحقيقة الجامعة، وقال لى، هى الأسرار الإنسانية، وقال لى: الإنسان نقطة الفلك أسرار الوجود [1] هكذا، نجده يبدأ صياغة والمواقف "بهذه العبارات وفى سياقها .

بينما نجد الفيلسوف الصوفى المتقدم محمد بن عبد الجبار النفرى فى "المواقف والمخاطبات" يبدأ هو الآخر بهذا الأسلوب، وهذه العبارات فى كل مواقفه.

مثال ذلك : قال النفرى فى بداية مواقفه الإلهية:

"أوقفنى فى العز وقال لى لايستقل به من دونى شئ، ولايصلح من دونى لشئ، وأنا العزيز الذى لايستطاع مجاوته، ولاترام مداومته، أظهرت الظاهر، وأنا أظهر منه يدركنى قربه، ولايهتدى وجوده، وأخفيت الباطن، وأنا أخفى منه فما يقول على دليله ولايصح إلى سبيله، وقال لى أنا أقرب إلى كل شئ من معرفته بنفسه ..

---

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى: إبن قضيب البان، المواقف الإلهية - مخطوط منشور ضمن كتاب الإنسان الكامل - تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى - ص١٥٦ - "موقف نفس الرحمن وهو موقف الأمر" - كذلك سائر المواقف الأخرى .

وقال لى: لولاى ماأبصرت العيون مناظرها ولارجعت الأسماع بمسامعها، وقال لى: أين من أعد معارفه اللقانى ولو أبديت له لسان الجبروت لأنكر ماعرف ولما رموا السماء يوم تمور موراً. إلخ(١) .

وهكذا فى سائر المواقف الأخرى، تتكرر عبارات وألفاظ، أوقفنى على، وقال لى.. (٢).

وعند إبن قضيب البان/ ١٠٤٠هـ/ تتكرر نفس العبارات والألفاظ ويستخدمها كما إستخدمها النفرى/ ٣٥٤/ هـ بقوله "أوقفنى على .. وقال لى... أو كشف لى، ثم أرانى، ثم عرفنى. (٣)

هذه فكرة حول نصوص المواقف والمخاطبات عند النفرى، والمواقف الإلهية لإبن قضيب البان، فهناك شبه إلتقاء بين كل من هذين الشيخين الكبيرين، فى العصر المتقدم والعصر المتأخر.

لكن إبن قضيب البان فى مواقفه، كان أكثر عمقاً وتأصيلاً لنظرية المتصوفة المتأخرين .

يقول إبن قضيب البان "موقف القطبية" - أوقفنى الحق على بساط القطبية وقال لى: **الإنسان الكامل قطب الشأن الإلهى، وغوث الآن الزمانى، وأول ماأسلم له التصريف فى قطر نفسه حتى يبلغ الأشد، ثم أسلم له ماوافقه من أقطار الأقاليم. ثم أسلم له الأرض ثم يسلم له الملك، ثم يجمع له الملك والملكوت، وهذا هو النائب الرحمانى.**

وقال لى: القطب يعرفه كل شئ حتى أهل الغيب وعالم المجال وأهل الأرض اليضاء، ويعرض عليه أحوال العوالم، وصور أولى العلم حتى يسميها بطابع الرحمة يروه بالبصر، وقال لى: القطب قلبه فى كن عالم الأزل، ومهدع الألوهة،... وبصره فى أسرار الوجود، ووجوه القلب، وهو نكتة إنسان العين فى الأبد والأزل، وهو المرآة لرؤية وجه الحق، وعنده مقر قاب قوسين .... وقال لى: قلب القطب خزانة أرواح الأنبياء، وله بكل وجه وجه، وقال لى: أرواح الأنبياء خزائن

---

(١) لمزيد من التفاصيل - راجع - محمد إبن عبد الجبار النفرى - المواقف والمخاطبات، ص٦١، ومابعدها تحقيق آرثر آربيرى تقديم وتعليق الدكتور عبد القادر محمود "موقف العز" .

(٢) راجع - نفس المرجع السابق، جميع المواقف الإلهية" .

(٣) إبن قضيب البان - المواقف الإلهية - تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى (ضمن كتاب الإنسان الكامل) راجع جميع المواقف الإلهية عنده .

أسرار الحق، وقال لى: الكون... كله صورة القطب وأنا ذاته، وبأنفاسه ظهور ألوان الشئون الذاتية وهو الباب الذى لادخول ولاخروج إلا منه، وقال لى: نفس القطب صور برزخ الشئون الصاتية، وقله إسرافيله، ومن نفسه قيام عمود السموات الروحية والأرضين الجسمية وإرادته الناثرة فيها. ومن إختباره هم أهل زمانه، وقال لى: القطب الفرد الواحد فى كل زمان "الحقيقة المحمدية" ولكل زمان قطب منها، وهو خطيب سر الولاء بكلمة: بلى وهو شمس عروس "أشهدهم" وساقى عشاق أشواق "إن كنتم تحبون الله فاتبعونى"(١) بأقدح راح، "من يطع الرسول فقد أطاع الله"(٢) ومشتق سمع الجمع بلذيذ لحن "أينما تولوا فثم وجه الله"(٣)، ومقيم شيم المحبين بروح نسم "وهو معكم" وحاكم معالم الوجود بسلطان. "أينما كنتم"(٤) وهو كوكب ليل الفلك، وقمر سماء الملك، ونقطة حرف كلمة سورة الكتاب المبين"(٥).

والواضح من خلال هذا النص، أنه يتعلق بنظرية الإنسان الكامل، والحقيقة المحمدية، ومايعرف عند المتأخرين بالقطبانية، ولاشك أن معظم ماورد من معانى فى المواقف الإلهية الأخرى عند إبن قضيب البان تدور حول هذه النظرية .

ففى موقف "سفر السالكن" يقول إبن قضيب البان "أوقفنى الحق على نهية سفر السالكن، وقال لى: هذا مقام الولاية، وهو إنتهاء سفر السالكن إلى، وأول سلوك الخلاص من القيود وهو إزالة العين الظاهر....

ثم يقول بعد ذلك .. ثم كشف لى عن برزخية "الإنسان الكامل" وقال لى: هو الوجه لكل وجهة وهو مولاها، وهو الجامع لأحكام الوجوب والإمكان وهو مجمع البحرين: أى الظهور والبطون، وقال لى: هوصاحب درجة الإعتدال ومنصب النقطة والعلة، وهو سر الإسم الأول من حيث المعنى، والأخر من حيث الصورة، وقال لى: الإنسان طابع علامة الأنسان، وهو الختم المذكور بسر الإمداد والإستمداد، وهو وارث الخلافة بمظهر الوحدة والكثرة .

---

(١) سورة آل عمران - آية(٢٩). (٢) سورة النساء - آية (٨٢).

(٣) سورة البقرة - آية(١٠٩).

(٤) سورة الحديد - آية (٤) .

(٥) إبن قضيب البان - المواقف الإلهية - (موقف القطبية) ص١٨٩ - ص١٩٠ - (مخطوط) تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن بدوى ضمن كتاب الإنسان الكامل .

ثم كشف لى عن تاموره الأزلى فقرأت قوله تعالى: "فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين" سورة الحجر آية (٢٩) لمعنى قوله "إن الله خلق آدم على صورته" (١).

وهذا النص أيضاً يدور حول نفس النظرية - الإنسان الكامل العين الجامع لمعانى الوجود، والصفات الكمالية، مجمع البحرين الظهور والبطون وسر معنى الإسم الأول والأخر من حيث الصورة، وختم الإمداد والإستمرار، وارث الخلافة.. وبما يقصد إبن قضيب البان أن الإنسان الكامل هو سر كلمة "كن" والنون .

وفى نص آخر وفى "مواقف الإصطفاء" تدور كشوفات إبن قضيب البان وسبوحاته الوجدانية حول سر الأسرار ومكمن الأقدار، والكلمة الجامعة لمعانى الوجود والكائنات والموجودات "الإنسان الكامل" يقول "أوقفنى الحق على مقام الإصطفاء، وحققنى بتصفية اللطيفة الإنسانية من الوراء وتخلفها بالحقيقة الزولى. ثم كشف لى عن مراتبهم فى مقام الولى: وأرانى كتاب كل فرد منهم،، وماقدر فيه من أسرار القضاء.. وقال لى: الإنسان الكبير هو الثمرة من عرش الشجرة الكونية، وهو الوجه الذى عرفت به الصورة الوجودية، وبه خص شهود معرفتها.

ثم كشف لى عن سر دقيقة فى قلب الإنسان الكامل، كالشمس فى فلك البروج، ثم قال لى: ألبها نهاية عروج السالك فى نفسه، ولم أمالك النظر إليها، وكشف لى عن كل دقيقة كونية، فإذا هى منجذبة إلى تلك الحقيقة، ثم قال لى: هذه مرآة لوجهى، وهى أول تجل برز وبرق فى الخلق الأول، ولما نظرت المرآة، رأيت وجهاً ينظر نفسه، وفى مرآة صور الموجودات سارية، فى رقائق الكون، جامعاً لحقائقها غير متجزئ، نامياً على صراطه المحيط الجامع لعالم التخطيط .

ثم سمعت صوتاً من عرش الإلوهية يقول "أينما تولوا فثم وجه الله" سورة البقرة آية (١١٥). (٢)

ومن خلال هذه النصوص الواردة فى المواقف الإلهية، لإبن قضيب البان الفيلسوف الصوفى المتأخر يتضح أن نظريات المتصوفة قد تطورت وإستطاع هؤلاء المتأخرون تأصيلها وتعميقها فى مجال التصوف الإسلامى نظرياً وعملياً .

---

(١) إبن قضيب البان - المواقف الإلهية (موقف سفر السالكين) - ص٢٠١، ص٢٠٢، ص٢٠٣، (إن الله خلق آدم على صورته) حديث قدسى ورد عن النبى ﷺ - وسبق تخريجه .

(٢) أبن قضيب البان - المواقف الإلهية (موقف الإصطفاء) ص٢١٢ - ص٢١٣ .

ولعل محور البحث كان يدور دائماً حول نظريتى الحقيقة المحمدية والنور المحمدى أو الإنسان الكامل - الذى خلقه الله على صورته، كما تأوله متصوفة هذا العصر - وهو العين الجامع لأسرار الملك والملكوت، مرآة الحق وصور الموجودات السارية فى رقائق الكون، وهو قطب الوجود، الجامع للمعانى، وهو سر كلمة "كن" الكاف والنون... إلى آخر ماهنالك من أوصاف خلعها المتصوفة على شخص هذا الموجود الذى خلقه الله تعالى .

وسوف ندرك فيما بعد كيف كان لهذه النظرية الباطنية التى تطورت عند الصوفية المتقدمين من أثر كبير فى تطور وتعميق نظرية القطبانية الغوثية عند أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين .

« الفصل الخامس »

"التيار السلفى المعارض للتصوف فى العصور المتأخرة"

أولاً: موقف علماء السنة وبعض الباحثين المتأخرين : -

لم يكن لتيار التصوف الفلسفى، المشبع بالعناصر والمصطلحات الفلسفة الغريبة عن روح الإسلام، وعقيدة أهل السنة والسلف، قبولاً لدى كافة المسلمين سواء من العامة الذين تقتصر عقولهم وأفئدتهم عن تعقل مثل هذه النظريات والعناصر التى مزجها فلاسفة التصوف بأذواقهم ومواجيدهم وتأولوها فى نطاق الأصول الإسلامية."النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة" كذلك لم نجد مثل هذه الروافد الفلسفية الصوفية قبولاً، لدى الخواص من علماء السنة والسلف، وفقهاء المذاهب الإسلامية، إذ نظروا إلى فلاسفة الصوفية ونظرياتهم نظرة إزدراء، وشك وريبة فى أمرهم، وعنايتهم، بما يذكرنا بإضطهاد الفقهاء للمتصوفة، وغلاتهم فى القرون الأولى .

فالصراع الذى حدث بين تيار التصوف الفلسفى وشخصياته الغالبة، وبين فقهاء السنة وعلماء السلف منذ القرون الخمسة الأولى، والذى شهدنا فيها مصرع غلاة الصوفية الحلوليين والإتحاديين والإشراقيين كالحلاج قبل عام / ٣٠٩م/، شهاب الدين السهروردى قبل عام / ٥٨٧م/ هذا الصراع الذى خفت حدته قليلاً بظهور حجة الإسلام الإمام الغزالى ٥٠٥/ هـ الذى حاول التوفيق بين تيار التصوف كرافد من روافد الحياة الروحية فى الإسلام وبين تيار السنة والفقهاء ظهر هذا الصراع بصورة عنيفة مرة أخرى منذ بداية العصور المتأخرة .

وذلك كرد فعل عنيف ضد تيار الغلاة وأهل البدعة من فلاسفة التصوف وأدعيائهم المتأخرين أولئك الذين خوجوا على العالم الإسلامى بنظريات وآراء إعتبرها أهل السنة وعلماء السلف والفقهاء بدعة فى الدين، أو تشويهاً لعقيدة الإسلام الواضحة وأهم النظريات الصوفية التى ثار حولها الجدل والشك "وحدة الوجود" والإتحاد والحلول "والقطب والولاية" "وخاتم الأولياء" والإنسان الكامل الذى خلقه الله على صورته وقد أخطأ الصوفية فى التفوقة والموازنة بين الولاية والنبوة، وتفضيلهم الولاية على النبوة.

وإذا أردنا أن نظهر هذه التيارات المعارضة لمذاهب فلاسفة التصوف المتأخرين، فإننا سوف نظفر بالكثير من الآراء المعارضة لدى علماء وفقهاء السنة والسلف وربما كان على رأس علماء السلف المتأخرين، وأشدهم إنتقاداً ومعارضة للصوفية الإمام تقى الدين إبن تيمية المتوفى عام/ ٧٢٧هـ/ إذ رزقه الله بياناً وافياً، وبرهاناً قوياً، ورأى أن هؤلاء الصوفية أتوا فى الدين بشئ جديد ليس من جنس كلام الله تعالى ولا رسوله ﷺ ولا الصحابة وإنهم قالوا بالإتحاد على أشكال مختلف، فهاجمهم هجوماً عنيفاً، وألف فى ذلك رسائل كثيرة، فأنكر عليهم الرقص والسماع. ونقدهم كلهم كإبن الفارض/٦٣٢هـ/ وإبن عربى/٦٣٨/ هـ وإبن سبعين/٦٦٧هـ/ والحلاج/ ٣٠٩هـ/ وعفيف الدين التلمسانى/ ٦٩٠هـ وغيرهم، وسلط عليهم لسانه وقلمه، ورماهم بالكفر والضلال وقال "إن ماأتوا به أعظم مما قالته اليهود والنصارى" وقد ألف ملا على القارى(١) /١٠١٤هـ/ رسالة فى وحدة الوجود رمى فيها إبن عربى بالزندقة، وقال إنه كفر بأربع وعشرين دعوة منها: قوله أن الإنسان من الله بمثابة البؤبؤ من العين، وعلى هذا يكون الله تعالى مفتقراً لرؤية خلقه، ورؤية نفسه إلى الإنسان وكذلك قوله: نحن الفرق التى إتصف بها الله، فإذا نحن تأملنا فى حقيقة كنا فى الحقيقة نتأمل فى حقيقتنا، والله تعالى حين ينظر فى شئوننا يكون ناظراً فى شئونه، وثانياً: قال إبن عربى أن الله هو عين المخلوقات ثم قوله أن كل الإعتقادات الدينية صحيحة لأن كل طائفة فيها شئ من طبيعة الله تعالى "أينما تولوا فثم وجه الله" سورة البقرة آية(١٠٩) وقوله "إن الأولياء خير من الأنبياء، والولاية هى العنصر الدائم السامى فى النبوة وأدعى محى الدين بن عربى أنه خاتم الأولياء، كما أن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين" (٢).

وإذا تطرقنا إلى علماء آخرين، يمثلون التيار المعارض لمذاهب المتصوفة المتأخرين، نجد إبن حجر العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢ هـ فقد قال فى ابن الفارض "أنه ينعق بالإتحاد الصريح

---

(١) هو على إبن سلطان محمد السهروى المعروف "بملا على القارى، المكى الحنفى المكنى بنور الدين ولد بهراه وقرأ العلم ببلاده ثم رحل إلى مكة وأقام فيها ثم توفى بمكة عام ١٠١٤هـ/ نظرنا: عبد الله مصطفى المراغى الفتح المبين فى طبقات الأصوليين - حـ٣ - ص٨٩، ص٩٠ ط القاهرة بدون تاريخ .

(٢) أحمد أمين - ظهر الإسلام - حـ٤ - ص٢٢٨- ص٢٢٩ .

فى شعره، وهذه بلية عظيمة فتدبر نظمه ولا تستعجل، ورأى أن الصوفية يلبسون الزى، وتحت هذا الزى والعباءة فلسفة وأفاعى، قد تصحبك والله الموعد".

وكان الطاغين على الصوفية المتأخرين أيضا: ابراهيم البقاعى المتوفى عام ٨٥٨ هـ/ إذ كان شديد الطعن على ابن عربى وابن الفارض وله فى ذلك "كتاب تنبيه الغبى على تكفير ابن عربى" وكتاب "تحذير العباد م أهل العناد ببدعة الإتحاد". (١)

ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون (٨٠٨) هـ/١٤٠٦ م/ كان من أهم الشخصيات العلمية والتاريخية وأشدهم نقدا وتجريحا لمذاهب الصوفية المتأخرين ، إذ نحا باللائمة على أرائهم ونظرياتهم وأقوالهم ونظر إليها نظرة الشك والريبة، وبصفة خاصة الذين قالوا من بين فلاسفة التصوف بوحدة الوجود ، والوحدة المطلقة أو التوحد فقال عنهم "أن أقوالهم فى غاية السقوط، حيث قد ذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحده فابن عربى وابن سبعين وتلميذ هما العفيف التلسمسانى وابن الفارض والنجم الإسرائيلى /٦٠٣ هـ - ٦٧٧ هـ/(٢) فى قصائدهم. ثم يصف ابن خلدون أقوالهم أيضا بالغرابة وبحيث لايقوم عليها دليل برهانى ولاحجة عقليه، ولادليل شرعى. ويدفع أقوالهم بنظريات وأقوال الحلولية من الرافضة، والشيعة الباطنية الإسماعيلية" (٣).

كذلك طعن عليهم عضد الدين الأبجى /٧٥٥/ هـ صاحب كتاب "المواقف" إذ قال عن إبن عربى"أنه كان كذابا حشاشا كأوغاد الأوباش ، وقد تبعه فى ذلك ابن الفارض، ولايخفى على الأقل أن شعره من الخيالات المتناقضه الحاصلة من الحشيش، إذ عندهم أن وجود الكائنات هو

---

(١) نفس المصدر السابق. ص ٢٢٩.

(٢) هو نجم الدين محمدبن سوار ابن اسرائيل - ولد عام ٦٠٣ هـ بدمشق وقد كان شاعرا متصوفا وسلك طريق التصوف ولبس الخرقة عن الشيخ شهاب الدين السهروردى المقتول ٥٨٧ هـ/ وقد توفى عام ٦٧٧ هـ - ١٢٧٩م بدمشق / لمزيد من الدراسة راجع دكتور كمال جعفر - ابن اسرائيل - بحث منشور ضمن كتاب أعلام الفكر الإنسانى ص ٤٥ - ط - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤م.

(٣) لمزيد من الدراسة - ابن خلدون - المقدمة - ص٤٧٢- ص ٤٧٣.

الله تعالى، فإذن الكل هو الله تعالى، فلا نبى ولارسول ولامرسل، ولامرسل إليه "وقال أيضا أن بعض المتصوفة كلامهم مخبط بين الحلول والإتحاد، والضبط ماذكرناه فى قول النصارى[1].

وجدير بالذكر أن الباحثين المحدثين تناولوا فلاسفة الصوفية المتأخرين بالبحث والتحليل وعقائدهم الواردة فى مصنفاتهم.

إن ماخلفه ابن عربى، ومدرسته من نظريات وآراء تخالف ظواهر الشريعة، ودعوة ابن عربى إلى الأبطان والتصوف الغالى بصورة سافرة بالتكتم إلا قليلا، وتهالك ابن عربى فى سبيل انتشارها، أدى ذلك إلى حدوث معارضة شديدة له ولمذهبه الصوفى الغالى، فأوجب السخط عليه وعندما تلقاها العلماء كفروه، ونفروا من آرائه لما انطوت عليه من مخالفة، لما عرف من الدين بال ضرورة وكثيرا مانجد الباحثين المحدثين، فضلا عن ابن خلدون، يصفون نظريات وعقائد غلاة الصوفية المتأخرين، أنها عن آراء ونظريات الباطنية وغلاة التشيع .[2]

وقد ذكر الباحثون المحدثون، آراء وعقائد غلاة الصوفية ومنهم ابن عربى ومن ذلك قوله "أن الولى أفضل من النبى يأخذ من حيث يأخذ الملك المبلغ إلى الرسول، وبذلك فسدت عقائد كثير من الصوفية، وتولد فى المتصوفة الغرور فصاروا مشرعين، وصار لهم حق التحليل والتحريم وفى هذا مخالفة صريحة للآية الكريمة قوله تعالى: "ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب" سورة النحل. آية (١١٦) كذلك قوله بنظرية "وحدة الوجود" ويترتب عليها أن العالم هو الله سواء أكان فى حالة الأعيان الثابته أو التعينات كما يترتب (رفع التكاليف) والإباحية على هذا العقيدة ، فالعبد رب، والله تعالى عبد.. وهذا كفر صريح ومخالف لأصول العقيدة الإسلامية .

---

(١) راجع عضد الدين الأيجى - المواقف فى علم الكلام - ص ٢٧٥- ط عالم الكتب - بيروت حديثه بدون تاريخ.
كذلك - أحمد أمين - ظهر الإسلام - ص ٢٢٩ جـ٤.

(٢) الأستاذ عباس العزاوى - محى الدين بن عربى وغلاة التصوف (بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى الذكرى المئوية الثامنة لميلاده) - ص ١٣٣ - ص ١٣٧.
كذلك - راجعنا ابن خلدون - المقدمة - ص ٤٧٣ - ص ٤٧٤.

يضاف إلى ذلك الخطأ الذى وقع فيه إبن عربى وغيره من الصوفية التابعين لمذهبه بقوله. بالحقيقة المحمديه وهو شكل آخر من أشكال وحدة الوجود، وإنكار البعث والثواب والعقاب والإعتقاد بصحة كل عقيدة، حتي ولو كانت عبارة الحجر أو الشجر "وحدة الأديان عند ابن عربى" وغير ذلك من عقائد فاسدة(١) وأما وماقوله بالإلهامات، إلا هو من قبيل عقائد وآراء الباطنية "الشيعة الإسماعيلية".(٢)

وتزداد الانتقادات الشديدة من جانب الباحثين المحدثين ، لهذه الإتجاهات والطريق التصوفيه المنحرفة التى نشأت وراجت فى ديار المسلمين فى العصور المتأخرة .

إذ يرى هؤلاء أن ديار المسلمين قد أمتلئت منذ حوالى ألف عام بعناصر الصوفية، التى أنضوت تحت مذاهب وطرق بعضها نقيض البعض الآخر، من حيث الممارسة وفن التعبير مما سمى "بالطريق" وذلك أن بعضهم لم يجد وسيلة للتعبير عن علاقته بربه بعدما انطفأ نور العقل عندهم، وقهرت أحكام الشريعة فى حياتهم، وأصبحوا نماذج إفساد فى مجتمعاتهم، يمارسون الرقص فى حلقات والتصفيق فى مجموعات وذلك هو مايميز ملامح الطرق الصوفية على طول مراحل التاريخ فى العصور المتأخرة. (٣)

---

(١) عباس العزاوى - محى الدين بن عربى وغلاة التصوف (ضمن الكتاب التذكارى - ص١٤٢ - ص ١٤٣.

(٢) من الجدير بالذكر أن الباطنية يذكرون "الإلهامات" ومافتح الله به من علوم ومعارف الهية، حتى يكتسبوا ثقة فى نفوس الناس، وقد سلك ابن عربى وغيره من شيوخ التصوف هذه الطريقة، فنجده يتجاسر بهذا الكلام فى مؤلفاته. ففى الباب الثامن والأربعين"من الفتوحات المكية يقول "إعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار، ولاعن نظر فكرى، وإنما الحق تعالى يملى لنا على لسان ملك الإلهام جميع مانسطره "ويقول أيضا "أعلم أن جميع ماأتكلم فيه فى المجالس وتصانيف، إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه، فإنى أعطيت مفاهيم الفهم فيه، والإمداد منه.

(٣) الدكتور - صابر طعيمه- دراسات فى الفرق - ص ١٠٩ ط مكتبة المعارف بالرياض - ١٩٨٧م.

ثانياً: الإمام السلفى إبن تيمية ونقده لمذاهب الصوفية :

وبعد أن تعرفنا على بعض ملامح التعارض بين مذاهب الصوفية المتأخرين وبين مناهج أئمة علماء السنة والباحثين المحدثين، وإتهام الصوفية بعدم الإكتراث لحرمة العقيدة وأصول الدين وتصرفهم فى نظرياتهم وآرائهم، فلاشك أن لإبن تيمية/٧٢٧ هـ/ وهو الإمام السلفى المتأخر أثر كبير فى فضح دعاوى الصوفية، والمتفلسفين ممن أدعى الخوض فى طرقهم وتقليدهما، ولقد كان لإبن تيمية باع طويل فى الطعن عليهم، وتحليل مذاهبهم وتوضيح ماتنطوى عليه من فساد، وأضرار بالشريعة، ونريد أن نقف قليلا عند هذا الرجل الذى تعرض لعذاب السجن فترات مختلفة من حياته، وهو يدافع عن ظواهر الشريعة ضد دعاوى الإلحاد والتشكيك وغلاة التصوف، موضحين منهجه السلفى فى تربية السلوك الأخلاقى واستلهام المعانى الروحية الصافية من العقيدة الإسلامية .

والإمام تقى الدين بن تيمية فى نظر الباحثين(١) سلفى غال فى سلفيته بحيث لم يدع مجالا فسيحاً للعقل، كان تقيا ورعا شيخا للإسلام زاهداً، فى متاع الدنيا، بطلا شجاعاً فى القول والعمل لايبالى بخصومة الأراء التى لايرتضيها، ولم يتردد فى أن يحمل السيف فى وجه التتار أعداء الإسلام في عصره، تبحر الإمام إبن تيمية فى العلوم الإسلامية، فكان محدثا فقيها ومفسرا متكلما، محيطا بالدراسات الفلسفية، ونظريات الفلاسفة، ومذاهب الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة فضلاً عن إحاطته التامة والواضحة بمذاهب الصوفية وطرقهم المتعددة، فكان مولعا بالنقد لمذاهبهم، وتجريح آرائهم. وكان كما يصفه العلماء فى نقده أحد من السيف .

وقد حمل حملة شعواء على أرباب المذاهب الخارجة والطاعنة فى الإسلام، وتناول بالنقد كبار العلماء والفلاسفة والمتصوفة، فلم يترك شاردة ولاواردة، إلا ونظر فيها وحللها وأشبعها دراسة وبحثا، فلم يسلم منه كل من الإمام الغزالى /٥٠٥/هـ حجة الإسلام، والشيخ الأكبر محى الدين بن عربى /٦٣٨/هـ وتلامذتهما. لقد أخذ الإمام إبن تيمية علي عاتقه تنقية جوانب التفكير الإسلامى وأصول الشريعة والدين، مما علق بها من شوائب، وآراء فاسدة من جانب ماأطلق عليهم ملاحدة الفلاسفة والمعطلة والباطنية والصوفية، أو من كان يلوذ بمذاهبهم

---

(١) راجع الدكتور ابراهيم بيومى مدكور - فى الفلسفة الإسلامية - حـ ٢ ص٣٣ .

ممن أهتم بتحصيل علوم الأوائل "وكأن كل من كان يظهر أية عناية بعلوم الأوائل، سرعان مايتهم في دينه، أو كان حرص أهل السنة، وخصوصاً الحنابلة طبعا، تعقب الملحدين والكشف عنهم حتي بين الشتغلين بعلوم الدين ممن يتبعون مذهباً معنياً من مذاهب الفقهية أو الصوفية أو غيرها. [(١)]

فقد ثار إبن تيمية ثورة عنيفة على تعاليم الصوفية وكان أكثر السلفين المتأخرين إرجافا وتبعا عليهم الأمر الذى دفعه لإصدار الفتاوى بتحريم مذاهبهم وطرقهم ومن ذلك فتواه "بتحريم زيارة الأضرحة "ومايتوجه به العامه إلى الأولياء من دعاء لهم وتوسل بهم[(٢)] وهذا مانجده مبثوثا فى مؤلفاته ورسائله الكثيرة والتى وضعها، لمحاربة هؤلاء .

ونحن إذا رجعنا إلى ماضمنه ابن تيمية فى رسائل ومؤلفاته الكثيرة من نقد ورد علي ماوصفهم بملاحدة الصوفية، نجده يركز على أهم عناصرهم الفلسفية، ونظرياتهم وعقائدهم ففى نقده لنظرية "وحدة الوجود" عند فلاسفة التصوف يذهب في توضيح خطورة هذه النظرية علي أصول الدين يقول"فمن شهد الحقيقة الكونية دون الدينية سوى بين هذه الأجناس المختلفة التى فرق الله بينها غاية التفريق حتى يتولى به الأمر إلى أن يسوى الله بالأصنام كما قال تعالى عنهم "تالله أن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين" سورة الشعراء آية (٩٨)، بل قد آل الأمر بهؤلاء إلى أن سووا الله تعالى بكل موجود وجعلوا مايستحقه من العبادة والطاعة حقا لكل موجود، إذ جعلوه هو وجود المخلوقات وهذا من أعظم الكفر والإلحاد، والكفر برب العالمين والعباد هؤلاء (يقصد القائلين بوحدة الوجود من فلاسفة التصوف المتأخرين) يصل بهم الكفر إلى أنهم لايشهدون أنهم عباد، لابمعنى أنهم معبودين، ولابمعنى أنهم عابدون، إذ يشهدون أنفسهم هو الحق، كما صرح بذلك طواغيتهم، كإبن عربى ٦٣٨ هـ.صاحب "الفصوص" وأمثاله من الملحدين المفترين كإبن سبعين /٦٦٧هـ/ وأمثاله.

---

(١) جولد تسيهر - موقف أهل السنة القدماء بازاء علوم الأوائل (بحث منشور ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية - ترجمة دكتور عبد الرحمن بدوى - ص.١٣٠ - ص ١٣١.

(٢) لقد كتب إلى النصر المنبخى - رسالة نقض فيها مذاهب الصوفية فى الحلول والإتحاد ووحدة الوجود وفى عام ٧٢٦ هـ أصدر فتواه هذه.

دكتور محمد مصطفى حلمي - الحياة الروحية فى الإسلام - ص ١٨٩.

ويشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون، وهذا ليس بشهود لحقيقة لاكونية ولادينية، بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقيقة الكونية، حيث جعلوا وجود الخالق، هو وجود المخلوق، وجعلوا كل وصف مذموم وممدوح نعتا للخالق وللمخلوق، إذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم.[1]

وبعدما يوضح إبن تيمية تهافت أقوال المنحرفين عند الصوفية القائلين بفكرة ووحدة الوجود، يوضح أيضا الجانب المعتدل وعقيدة أهل السنه بقول "وأما المؤمنون بالله ورسوله عوامهم وخواصهم الذين هم أهل الكتاب، أهل القرآن الكريم، أهل الله وخاصته، فهؤلاء يعلمون أن الله تعالى رب كل شئ ومليكه وخالقه، وأن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات ليس هو حالاً فيها ولامتحداً بها ولاوجوده وجودها، والنصارى كفرهم الله تعالي بأن قالوا بالحلول والإتحاد بالمسيح خاصة، فكيف من جعل ذلك عاماً فى كل مخلوق"[2] .

ويناقش إبن تيمية أقوال المتصوفة فى فكرة "الإتحاد والحلول"ويظهر تناقضهم وخروجهم عن نطاق الشريعة، ومبتدأ هذه الفكرة عند غلاة التصوف المتقدمين أو المتأخرين "قولهم بالغناء" وإرتباط ذلك بنظرية المحبة والعشق الإلهى، فيما عرف عند الصوفية متقدمين ومتأخرين .

يذهب ذلك الإمام إبن تيمية/ ٧٢٧/ هـ "فيذكر أنواع الغناء" والمراد به يقول "والغناء يراد به ثلاثة أمور" .

أحدهما: الغناء الدينى الشرعى، الذى جاء به الرسل، ونزلت به الكتب، وهو أن يفتى عما لم يأمره الله به يفعل ما أمره الله به، فيغنى عن عبادة غير الله بعبادته، وعن طاعة غير الله بطاعته وطاعة الله ورسوله، وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه، وعن محبة ماسواه بمحبته، ومحبة رسوله، وعن خوف غير خوفه، بحيث لايتبع العبد هواه بغير هدى من الله، وبحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

أما الغناء الثانى: هو لذى يذكره بعض الصوفية، فهو أن يغنى عن شهود ماسوى الله تعالى، فيغنى بعبادة عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، بحيث يغيب عن

---

(١) الإمام إبن تيمية - العبودية فى الإسلام- ص١١، ص١٢، ط - المكتبة السلفية عام ١٤٠٠هـ.

(٢) المصدر السابق ص ١٢.

شهود نفسه لما سوى الله تعالى، فهذا حال "ناقص" قد يعرض لبعض السالكين، وليس هو من لوازم طريق الله، ولهذا لم يعرف مثل هذا النبى ﷺ، ولا للسابقين الأولين، ومن جعل هذه نهاية السالكين فهو ضال ضلالاً مبيناً، ولذلك من جعله من لوازم طريق الله تعالى، فهو مخطئ خطأ فاحشاً، بل هو من عوارض طريق الله التى تعرض لبعض الناس دون بعض، ليس هو من اللوازم التى تحصل لكل سالك .

أما الفناء الثالث: فهو الفناء عن وجود السوى، بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وأن الوجود فيهما واحد بالعين، فهذا قول أهل الإلحاد والإتحاد الذين هم أضل العباد .(١)

ويذهب إبن تيمية فى رسالته "العبودية" إلى أن هذا الموضوع زل فيه أقوام وظنوا أنه إتخاذ وأن المحب يتحد بالمحبوب، حتى لايكون بينهما فرق فى نفس وجودهما، وهذا غلط، فإن الخالق لايتحد به شئ أصلاً. بل لايتحد شئ بشئ، إلا إذا إستحالا أو فسد أو حصل من إتحادهما أمر ثالث، لاهو هذا ولاهذا، كما إتحد الماء والماء واللبن والماء الخمر ونحو ذلك .

وهذا الفناء كله فيه نقص، وأكابر الأولياء كأبى بكر وعمر رضى الله عنهما والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يقعوا فى هذا الفناء، فضلاً عمن فوقهم من الأنبياء(١).

ولاشك أن الإمام إبن تيمية إنما يرضى عن فكرة الفناء بالمعنى الأول "وهو الفناء عما سوى الله تعالى، بحيث لايحب العبد إلا الله تعالى، ولا يعبد إلا الله تعالى، ولايتوكل إلا عليه، ولايطلب غيره، وهو المعنى الذى يجب أن يقصد الشيخ أبى يزيد "البسطامى" المتوفى عام/ ٢٦١/هـ .

"أريد أن لا أريد إلا مايرى" أى المراد المحبوب المرضى، وهو المراد بالإرادة الدينية، وكمال العبد أن لايريد ولا يحب ولا يرضى إلا ماأراده الله ورضيه وأحبه، وهو ماأمر به أمر إيجاب أو إستحباب ولا يحب إلا مايحبه الله كالملائكة والأنبياء والصالحين، وهذا معنى قولهم فى قوله

---

(١) الإمام إبن تيمية - الرسالة التدميرية (ضمن كتاب نفائس الذى يحتوى على مجموعة رسائل أخرى) بتحقيق محمد حامد الفقى ص٧٧، ص٧٨. ط مكتب أنصار السنة المحمدية بدون تاريخ .

(٢) إبن تيمية - رسالة العبودية - ص٤٥ .

تعالى "إلا من أتى الله بقلب سليم" سورة الشعراء (٨٩) قالوا هو السليم مما سوى الله أو مما سوى عبادة الله أو مما سوى إرادة الله، أو مما سوى محبة الله، فالمعنى واحد، وهذا المعنى إن ما سمى فناء، أو لم يسم هو أول الإسلام وآخره، وباطن الدين وظاهره [١].

وعلى ذلك فإن الإمام السلفى إبن تيمية يوافق السالكين فى قولهم بفكرة الفناء بالمعنى "الأول" وهو فناء العبد فى محبته عن كل شئ "سوى الله تعالى" بينما يدحض إبن تيمية أقوال ومذاهب الصوفية وأدعيائهم من الذين يقولون بأن الفناء عندهم يوصلهم إلى أن "العبد لايشهد فى الوجود إلا الله تعالى، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوقات فلا فرق بين الرب والعبد. وهذا فناء أهل الضلال، والإلحاد الواقعين فى الحلول والإتحاد وهؤلاء الذين يدعون هذا النوع من الفناء فى الوجود هو تحقيق آل فرعون وتوحيدهم ومعرفتهم كالقرامطة وأمثالهم" [٢] وهؤلاء أيضاً فى رأى إبن تيمية ، يترددون فى زعمهم لفناء المخلوقات فى الخالق، بين الضلال والفساد فأما فساد فى العقل وإما فساد الإعتقاد، وهم مترددون أيضاً بين الجنون والإلحاد، إذ أن كل ماإتفق عليه سلف الأمة الذين يقتدى بهم فى الدين "إن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات، وليس فى مخلوقاته شئ من ذاته ولا فى ذاته شئ من مخلوقاته، وأنه يجب إفراد القديم عمن الحديث، وتمييز الخالق عن المخلوقات. [٣]

وهؤلاء المتصوفة القائلين بهذه الفكرة يصفهم إبن تيمية. بملاحدة الصوفية. كإبن عربى. وإبن سبعين ومن على شاكلاتهما [٤] ينتقل الإمام إبن تيمية بعد ذلك إلى نقد فكرة من الأفكار الخطيرة والهدامة لأركان الشريعة والدين وهى "إنكار بعض المنتسبين إلى الصوفية للتكاليف الشرعية" .

ومثل هذه الأفكار كما نعلم راجت بين المتصوفة وأدعياء الطريق بصفة خاصة فى العصور المتأخرة. بدعوى شهودهم للحقيقة أو وصولهم إلى مرتبة اليقين والمعرفة ..

---

(١) نفس المصدر ص٤٤ .

(٢) نفس المصدر السابق – ص٤٦ – ص٤٧ .

(٣) نفس المصدر السابق – ص٤٧ .

(٤) راجع إبن تيمية – تفسير سورة الإخلاص – ص٦٦ – ط أنصار السنة المحمدية – بدون تاريخ.

يذكر إبن تيمية حال المؤمنين بالله تعالى ورسوله ﷺ العابدين لله تعالى وهم الذين دائماً على طاعة الله تعالى وأمره: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحسب الإمكان، والجهاد فى سبيله لأهل الكفر والنفاق، ويجتهدون فى إقامة دينه، مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ماقدر من السيئات دافعين بذلك ماقديخاف من ذلك كما يزيل الإنسان الجوع الحاضر بالأكل ويدفع به الجوع المستقبل، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه، هذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين لله، وكل ذلك من العبادة[1].

أما هؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية، وهى ربوبيته تعالى لكل شئ، ويجعلون ذلك مانعاً من إتباع أمره الدينى الشرعى على مراتب فى الضلال.[2]

أما غلاتهم يجعلون ذلك مطلقاً عاماً، فيحتجون بالقدر فى كل مايخالفون فيه الشريعة، وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى، وهو من جنس المشتركين الذين قالوا كما جاء فى قوله تعالى "لوشاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولا حرمنا من شئ" سورة الأنعام آية (١٤٨) .

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضاً، إذ أن كل من يحتج بالقدر متناقض[3] وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية لايطردون هذا القول، ولايلتزمونه وإنما هم بحسب أهوائهم وآرائهم كما قال فيهم بعض العلماء: أنت عند الطاعة قدرى، وعند المعصية جبرى "أى مذهب وافق هواك فذهب به".

---

(١) إبن تيمية - رسالة العبودية - ص١٢ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٢١ .

(٣) يقول إبن تيمية فى أسباب ذلك لالأنه لايمكنه أن يقر كل آدمى على مافعل، فلابد إذا ظلمه ظالم، أو أخذ يسعى فى الأرض بالفساد، وأخذ يسفك الدماء ويستحل الفروج ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر أن يدفع هذا العدوان ويعاقب الظالم بما يكف عن عدوان أمثاله ويقال: إن كان القدر حجة فدع كل أحد يفعل مايشاء بك وبغيرك، وإن لميكن حجة بطل أصل قولك" .
راجع إبن تيمية - رسالة العبودية - ص١٣ .

أما الذين يدعون التحقيق والمعرفة فيزعمون أن الأمر والنهى، لازم لمن شهد لنفسه فعلا، وأثبت له صنعا، أما من شهد أفعاله مخلوقة أو أنه مجبور علي ذلك وأن الله هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات، فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد - وقد يقولون : "من شهد الإرادة سقط عنه التكليف"، ويزعم أحدهم أن "الخضر عليه السلام" سقط عنه التكاليف لشهوده الإرادة، فهؤلاء يفرقون بين العامة وبين الخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا أن الله خالق أفعال العباد، وأنه مريد لجميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما وبين من يراه شهودا، فلا يسقطون التكليف عن من يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن عن من يشهده، فلا يرى لنفسه فعلا أصلا، وهؤلاء يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعاً من التكليف علي هذا الوجه. وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد[1].

ويرى الإمام ابن تيميه من ناحية أخرى، أن قول هؤلاد الذين يدعون رفع التكليف عمن يشهدون الحقيقة الكونية، أنهم بادعائهم هذا أشر من قول المعتزلة إذ يجعلون من وصل إلى هذه الحقيقة سقط عنه الأمر والنهي، وصار من الخاصة، وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى "وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين" سورة الحجر(٩٩). وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة، وقول هؤلاء كفر صريح، وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر، فإنه قد علم بالأضرار من دين الإسلام أن الأمر والنهى لازم لكل عبد مادام عقله حاضرا إلى أن يموت، لايسقط عنه الأمر والنهى (التكليف) لابشهوده القدر ولابغير ذلك، فمن لم يعرف ذلك فقد عرفه وبين له فإن أصر عليه على اعتقاد سقوط الأمر والنهى فإنه يقتل.[2]

ومن الجدير بالذكر أن إبن تيميه يقصد بهؤلاء أدعياء الصوفيه وفلاسفتهم ودعاة الطريق المتأخرين يقول "وقد كثرت مثل هذا المقالات في المتأخرين". [3]

ويهاجم ابن تيمية أولئك الذين يرفعون التكاليف، أو يقولون بإسقاطها فيقول" فهؤلاء المتصوفين الذين يشهدون الحقيقة الكونيه، مع أعراضهم عن الأمر والنهى، شر من القدرية

---

(١) المصدر السابق - ص١٢، ص١٣.

(٢) نفس المصدر السابق - ص ١١٤ .

(٣) المصدر السابق - ص١٤.

والمعتزلة ونحوهم. أولئك يشبهون المجوس، وهؤلاء يشبهون المشركين الذين قالوا: "لوشاء الله ماأشركنا ولاأباؤنا ولاحرمنا من شئ" سورة الأنعام آية (١٤٨). والمشركين شر من المجوس. (١)

ومن خلال الدراسة التحليليه للنصوص المتضمنة لموقف الإمام السلفى ابن تيميه من التصوف الفلسفى يتبين لنا أن الشيخ الإسلام مدخلين للرد على الصوفية أحدهما تفنيد حديث العقل (٢) الذى كان له تأثير كبير فى محيط الصوفية الإشراقيين وكذلك إبن عربى ومدرسته، لما لذلك من صلة بنظريته فى ترتيب الموجودات ونظرية الإشراق والفيض الفلسفى الصوفى. وقد ذهب إبن عربى فى الفتوحات المكية" إلى أن العقل الأول الذى هو أول مبدع خلق هو القلم الأعلى، ولم يكن ثم محدث سواه" ويذكر أيضا فى كتابه إنشاء الدوائر "أن الله أوجد العقل الأول ، وقيل فيه أول لأنه أول عالم التدوين والتسطير والإلتفاته.

وينتقد إبن تيميه أصول هذه الفكرة عند الصوفية وإبن عربى وأصحابه فيقول "هؤلاء يدعون أن العقول قديمة أزلية أن العقل الفعال هو رب كل ماتحت هذا الفلك والعقل الأول هو رب السموات والأرض وما بينهما والملاحدة الذين دخلوا معهم من أتباع بنى عبيد (يقصد بذلك الفاطميون - الشيعة الإسماعيلية) كأصحاب رسائل إخوان الصفا وغيرهم، وكملاحدة المتصوفة مثل إبن عربى، وإبن سبعين وغيرهما يحتجون لمثل ذلك بالحديث الموضوع أول ماخلق الله العقل". (٣)

---

(١) ابن تيميه - الرسالة التدميريه - ص ٦٨، ص٦٩.

(٢) هذا الحديث"موضوع بإجماع بعض المحد ثين أو علماء الحديث وقد ورد بصيغ مختلفة "نظرنا: الغزالى - إحياء علوم الدين - حـ ١ - (باب العقل وشرقه). ثم تخريج هذا الحديث بالهامش.

(٣) لمزيد من التفاصيل - ينظر إلى :

أ- إبن عربى الفتوحات المكية، حـ١ - ص٩٢ .(السفر الثانى) باب العقل .

ب- الدكتور مصطفى حلمى - إبن تيمة والتصوف ص٣١٩، ص٣٢٠ ط دار الدعوة ١٩٨٢م.

جـ- إبن تيمية - تفسير سورة الإخلاص ص٩٩.

د- حديث العقل - تذكر المصادر أنه موضوع، روى بصيغ مختلفة بين المذاهب الإسلامية، لمزيد من التفاصيل: راجع - الحافظ عبد الرحمن العراقى - كتاب حمل الأسفار وتخريج مافى الأحياء من أخبار، بهامش - الأحياء - حـ١ .

ومثل هذا الحديث الموضوع بالإتفاق، شاع بين الصوفية على إختلاف طوائفهم ومذاهبهم فضلاً عن فلاسفتهم، وكان لتفسيره أبعاد مختلفة فى دوائر الفكر الصوفى فى الإسلام وأخذ به الصوفية المتأخرون(١) ومضمون هذا الحديث يقول "أول ماخلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال الله عز وجل: وعزتى وجلالى ماخلقت خالقاً أكرم على منك، بك آخذ، وبك أعطى، وبك أثيب وبك أعاقب". وهذا التصوير الذى لايتفق مع تصوير القرآن الكريم لخلق الكون عد حديثاً عن النبى ﷺ ، فنرى رجلاً كالغزالى/ ٥٠٥/ هـ بوروده بإعتباره حديثاً عن النبى ﷺ مع طائفة أخرى من الأحاديث التى يمجد فيها العقل. (٢)

وهذا الحديث، إذا مازمعمنا النظر فيه وجدناه أيضاً لايتفق مع المعتقدات الإسلامية ولكن سرعان ماإنتشر وحرص على إذاعته فى البيئات الإسلامية التى أضافت إلى الإسلام أفكار جديدة "أفلوطينية" أو طبعت إسلامها بطابع "أفلوطينى" مثل إخوان الصفاء والإسماعيلية والمتصوفة، وقد صادف هوى فى نفوس هؤلاء جميعاً أو فى الأوساط الشيعية والصوفية(٣).

وإذا كان إبن تيمية تناول حديث "العقل" بالتحليل والنقد والتجريح، فإنه كذلك تعرض لنظرية "وحدة الوجود" وأفرد لإبن عربى بصفة خاصة مناقشاته وإنتقده إنتقاداً شديداً ومايتعلق بهذه النظرية من أمور أخرى كرفع التكليف عمن يشهد الحقيقة الكونية وهذا عند إبن تيمية

---

(١) راجع عبد الكريم الجيلى ت عام/ ٨٠٥/ هـ. الإنسان الكامل حـ١، حـ٢ كذلك نلاحظ أن هذا الحديث وفكرته مثبوتة فى بطون مؤلفات أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين، وشراح المذاهب الصوفية الفلسفية، كالشعرانى - اليواقيت والجواهر، حـ١، حـ٢... إلخ .

(٢) راجع الغزالى - إحياء علوم الدين - حـ١ (باب العقل) وأبو الفضل عبد الرحمن العراقى المتوفى عام ٨٠٦هـ/ فقد ضعف هذا الحديث - تخريج مافى الأحياء من أخبار (هامش) - السبكى المتوفى عام ٧٧١ هـ طبقات الشافعية الكبرى - حـ٤ - ص١٢٧ - إذ نجده ضعف هذا الحديث أيضاً، كذلك إنتقد الغزالى فى رواية هذا الحديث .

(٣) لمزيد من التفاصيل - جولد تسهير - العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية فى الحديث. (بحث منشور بكتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية - ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى. ص٢١٩ - ص٢٢٠ .

كذلك - إبن تيمية - تفسير سورة الإخلاص - ص٩١ .

أشر من أقوال وعقائد اليهود والنصارى والمشركين، فضلاً عن وقوع هؤلاء فى خطأ شنيع فى حق الشريعة وأصول الدين مما قد يجلب عليهم الكفر.[1]

ويتجه الإمام إبن تيمية إلى مناقشة هؤلاء المتصوفة فى جوانب أخر ى من جوانب تفكيرهم وإعتقادهم المنحرف عن مذاهب علماء السنة والسلف، وبصفة خاصة أقوالهم فى مسألة "الولاية" "والولى" وتفضيلهم للولاية ومرتبتها على مرتبة النبوة، كما رأى غلاة التصوف كإبن عربى وغيره ممن ساروا على مذاهبه، كذلك فكرة القطب، وخاتم الولاية والأوليا ء..

ثالثا: موقف ابن تيميه فى "الولاية" ونقده لمذاهب غلاة التصوفيه:

لقد إهتم الإمام السلفى تقي الدين بن تيميه، إهتماما كتبيرا بمسألة "الولاية" لما لها من تأثير خطير لدى الصوفية المتأخرين، ومايترتب على ذلك من معتقدات مشوهة لدى عامة الناس، فضلا عن خاصتهم. وكما ذكرنا عند إبن عربى، أن هذه المسألة، قد كشف الحديث حولها وحاول باستمرار إثباتها وإدخالها فى معتقدات الناس من حوله إذا دعى تفضيل الولاية، ومراتبها العالية التى تفوق عند إبن عربى مراتب الأنبياء، فضلا وعلما وتحقيقا ويقينا ولما تولد عن هذه المسألة من فروع أخرى "كالقطبانيه" والغوثية، الأمر الذى خيل على عقول عامة الناس، أن التوسل بالأوليا ء إلى الله تعالى، تجلب لهم أشباع رغباتهم وقضاء حوائجهم.

وعلى ذلك، فإن الإمام إبن تيميه، وهو شيخ الإسلام فى عصره لم يترك هذه المسألة دون تفنيد لمزاعم أصحابها من الغلاة مستدلا على انحراف الصوفية وغلوهم فى طريقتهم، بالدليل العقلى والبرهان المنطقى، مستندا ومؤيداً لإقواله بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة .

يعرف الإمام إبن تيمية الولاية فيقول "الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد، إن الولى سمى وليا من موالاته للطاعات أى متابعته لها. فإذا كان ولى الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادى لوليه معاديا له. كما قال تعالى "لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون

---

(١) تحدث فى هذا الجانب بالتفصيل الدكتور مصطفى حلمى - كتابة إبن تيمية والتصوف - ص٣١٧ ومابعدها .

إليهم بالمودة" سورة الممتحنة آيه(١) فمن عاد أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه . فلهذا قال "من عاد لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة". أو فقد آذنته بالمحاربة[١].

وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم وأفضل المرسلين ألوا العزم - نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسيدنا محمد ﷺ .وأفضل أولى العزم محمد ﷺ خاتم النبيين المتقين سيد ولد آدم...صاحب المقام المحمود.

ثم يعقب إبن تيميه بعد ذلك موضحا من هو الولى : يقول "فلايكون وليا لله إلا من آمن به وبما جاء به، وأتبعه باطنا وظاهرا ومن أدعى محبة الله وولايته وهو لم يتبه فليس من أولياء الله تعالى.[٢]

ويبين إبن تيميه بالأسانيد الصحيحة، ضعف الأحاديث التى يروجها الصوفية عما يعرف فى أوساطهم قدماء متأخرين عن الأقطاب والأولياء والأبدال والتقياء والنجباء والأوتاد..الخ يقول "فليس ذلك فيه شئ صحيح عن النبى ﷺ ولم ينطق السلفيين هذه الألفاظ إلا بلفظ الإبدال.[٣]

ويقول إبن تيميه فى صفات الأولياء "إذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب ايمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى فمن كان أكمل إيمانا أو تقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون فى ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم فى الإيمان والتقوى[٤] .

وإذا كان العبد لايكون وليا لله تعالى إلا إذا كان مؤمنا تقيا لقوله تعالى "ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون" سورة يونس آيه (٦٢، ٦٣).

---

(١) ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى فى باب التواضع (ولفظه من عاد لى وليا فقد آذنته بالحرب".

(٢) إبن تيميه - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٢٤، ص٢٥، ص٢٦.

(٣) المصدر السابق - ص ٣١، ص٣٢ (ولفظ الإبدال هذا ورد عن على بن أبى طالب عن النبىﷺ يقول "الإبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا.. الخ"وهو ضعيف الإسناد أيضا لإنقطاعه) نظرنا هامش - ص٣٢.

(٤) المصدر السابق - ص ٤٠.

وفى صحيح البخارى الحديث المشهور يقول"ويزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه" ولايكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار أهل اليمن، ثم بعد ذلك لايزال يتقرب بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين فمعلوم أن أحد الكفار والمنافقين لايكون ولياً لله تعالى"(١) .

ومما سبق يتضح إبن تيمية يوضح معنى الولى، والولاية لله تعالى وشروطها وخصائصها، وهو بذلك ينبه الكثير من الناس من الإغترار بأدعياء الولاية، الذين لم تتوافر لديهم هذه الصفات ، كذلك يقول "فعلى هذا،فمن أظهر الولاية وهو لايؤدى الفرائض ولا يجتنب المحارم، بل قد يأتى بما يناقض ذلك، لم يكن لاحد أن يقول هذا ولى الله فإن هذا إن لم يكن مجنونا بل كان مقولها من غير جنون أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق أخرى وهولايقوم بالفرائض، بل يعتقد أنه لايجب عليه إتباع الرسول ﷺ فهوكافر". (٢)

ويذهب الإمام إبن تيمية، فى توضيح الجوانب الأخرى فى الولاية، والولى، يقول "وليس من شرط ولى الله أن يكون معصوما لايغلط، ولايخطئ بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله تعالى به ومما نهى الله عنه ويجوز أن يظن فى بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته ولايعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى" (٣) .

ويعطى الإمام إبن تيمية مثالاً صادقاً على ذلك فيذكر، ثبت أن الأولياد الله مخاطبات ومكاشفات، وأفضل هؤلاء فى هذه الأمة بعد أبى بكر (٤) عمر بن الخطاب رضى الله عنه "جاء فى صحيح البخارى.. معناه أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر" ومع ذلك كان عمر رضى الله عنه يفعل ماهو الواجب عليه فيعرض مايقع له على ماجاء به الرسول ﷺ فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن الكريم بموافقته غير مرة، وتارة يخالفه

---

(١) نفس المصدر - ص ٥٤.

(٢) نفس المصدر السابق- ص٥٦- ص٥٧.

(٣) المصدر السابق - ص ٦٤.

(٤) راجع هامش - ص ٦٧.

فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبيه، وعندما أنكر موت النبي ﷺ أولا فلما خرج أبو بكر وقال النبي ﷺ مات رجع عمر، كذلك معارضة عمر لأبى بكر فى قتال مانعى الزكـاة.. ألخ. (١)

وقد تقدم أبوبكر رضى الله عنه علي عمر مع أن عمر رضى الله عنه محدث فإن مرتبة الصديق فوق مرتبة المحدث، لأن الصديق يتلقى عن الرسول المعصوم كل مايقوله ويفعله، والمحدث يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبه ليس بمعصوم فيحتاج أن يعرضه على ماجاء به النبى ﷺ وهو المعصوم ولهذا كان عمر رضى الله عنه يشاور الصحابه ويناظرهم ويرجع إليهم فى بعض الأمور، وينازعونه فى أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويقررهم على منازعته ولايقول لهم أنا محدث، ملهم مخاطب ينبغى أن تقبلوا منى ولاتعارضونى، فإن أحد إدعى له أصحابه أنه (ولى الله) وأنه مخاطب يجب إتباعه، والقبول منه كل مايقوله دون معارضة والتسليم له من غير اعتبار بالكتاب والسنة فهو وهم مخطئون. ومثل هؤلاء من أضل الناس . (٢)

ويقول الأمام إبن تيميه فى صفات الأولياء - والولاية لله تعالى إن أولياء الله تعالى يجب عليهم الإعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره أتباع مايقع فى قلبه من غير أعتبار بالكتاب والسنة، وهو مما أتفق عليه أولياء الله تعالى ومن خالف فى هذا، فليس من أولياء الله سبحانه الذين أمر الله باتباعهم، بل إما أن يكون كافرا وإما أن يكون مفرطاً فى الجهل.

ويعطى ابن تيميه مثالاً على ذلك من سيرة الصالحين وكبار الصوفية المتقدمين يقول وهذا كثير فى كلام المشايخ كقول الشيخ أبى سليمان الدرانى. (٣) إنه ليقع فى قلبى النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين الكتاب والسنة.

وقال أبو القاسم الجنيدى (٤) "علمنا هذا مقيدا للكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لايصلح له أن يتكلم فى علمنا أو قال لايقتدى به". (٥)

---

(١) المصدر السابق - ص ٦٧- ص٦٨ ومابعدها .

(٢) نفس المصدر - ص ٧٠.

(٣) هو عبد الرحمن بن عطيه الداراني، نسبة إلى داري قرية من دمشق توفى عام ٢١٥ هـ.

(٤) أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادى الملقب بشيخ الطائفه تفقه على مذهب أبى ثور توفى عام ٢٩٧ هـ .

(٥) ابن تيميه - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٧٢.

ويحذر إبن تيميه عوام الخلق من الناس الأغترار بما يصدر عن أشخاص من خوارق قد يطلقون عليها "كرامات" إذ أنها قد تكون من الشيطان.

يقول "إن ولى الله تعالى لايخالف الرسول ﷺ فى شئ ولو كان هذا الرجل من أكابر الأولياء، ولايخالف الكتاب، وماجاء به تعالى، فقد نجد كثير من هؤلاء عمدتهم فى إعتقاد كونه وليا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة فى بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة، مثل أي يشير إلى شخص فيموت، أو يطير فى الهواء إلى مكة أو غيرها، أو يمشى على الماء أحيانا أو أن يختفى أحيانا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بمايسرق منهم أو بحال غائب لهم أو مريض وغير ذلك، وليس فى شئ من هذه الأمور مايدل على أن صاحبها ولى الله، بل قد أتفق أولياء الله أن الرجل لو طار فى الهواء أومشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه.وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله تعالى يكون عدواً لله تعالى، لأن هذه الخوارق يكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين أو تكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين، إذن لايجوز أن يظن أن كل من كان له شئ من هذه الأمورأنه ولى الله.

بل يعتبر أولياء الله تعالى بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التى دل عليها الكتاب والسنة، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن بحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة.(١)

وبعد أن أوضح إبن تيميه خصائص وصفات الولاية وشروط ولى الله تعالى، ومايميزه عن أدعياء الولايه من جهلة الناس أو التابعين لأهوانهم الشيطانيه، فإنه يبدأ فى تناول آراء ونظريات من يطلق عليهم ملاحدة الصوفية المتأخرين فى "الولاية" وخاتم الأولياء ، ويفند مزاعمهم من خلال ماصدر عنهم من أقوال أو أفعال وأثروا بها على عقول الخلق، وكانوا بها مخادعين لأنفسهم ولغيرهم فضلاً عن خروجهم عن أصول الكتاب والسنة الشريفة يقول إبن تيميـة "وقد ظن طائفة غالطة أن خاتم الأوليـاء أفضـل الأوليـاء قياساً على خاتم الأنبيـاء، ولم

---

(١) ابن تيميه – المصدر السابق- ص ٧٥، ص٧٦ ، كذلك تفسير سورة الإخلاص – ص ١٧٢، ص١٧٣، ص١٧٤.

يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد إبن على الحكيم التومذى المتوفى عام/ ٣٢٠هـ/ وقد غالط فى ذلك مغالطة كبيرة، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء ومنهم من يدعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته، كما يزعم ذلك إبن عربى/٦٣٨هـ/ صاحب كتاب الفتوحات المكية، وكتاب الفصوص مخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع الأنبياء والأولياء .

إن الأنبياء أفضل فى الزمان من أولياء الأمة، والأنبياء عليهم السلام أفضل عن الأولياء، فكيف الأنبياء كلهم؟ والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله ممن يأتى بعدهم ويدعى أنه خاتم الأولياء. وليس آخر الأولياء أفضلهم كما أن آخر الأنبياء أفضلهم، فإن محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك كثل قوله عليه السلام "أنا سيد ولد آدم ولافخر" (١).

وقوله ﷺ "أتى باب الجنة فإستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد. فيقول بك أمرت أن لاأفتح لأحد قبلك" (٢).

ويقول إبن تيمية منتقداً أدعياء الولاية "ومن الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لايحتاج فيه إلى "محمد" فهذا كافر ملحد، وإذا قال أنا محتاج إلى محمد فى علم الظاهر دون علم الباطن، أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى، الذين قالوا أن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفاراً بذلك .

كذلك من يقول أن محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر، وهو أكفر من أولئك لإبن علم الباطن الذى هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة (٣).

---

(١) أخرج هذا الحديث الترمذى عن أنس وأخرج عن أبى كعب .

(٢) رواه مسلم عن أنس - راجع إبن تيمية - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - ص٨٤، ص٨٥ .

(٣) المصدر السابق - ص٨٦ .

هؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة ويلبسون على الناس فيقولون ولايته أفضل من نبوته وينشدون: -

مقـام النبـوة فى بـرزخ   فويـق الرسـول ودون الولـى

ويقولون نحن شاركناه فى الولاية التى هى أعظم من رسالته وهذا من أعظم ضلالهم، فإن ولاية محمد لم يماثلها فيها أحد لاإبراهيم ولاموسى، فضلاً عن آن يماثله فيها هؤلاء الملحدون.

وكل رسول نبى ولى، فالرسول نبى ولى، ورسالته متضمنة لنبوته ونبوته متضمنة لولايته، وإذا قدروا مجرد أنباء الله إياه بدون ولايته لله تعالى فهذا تقدير ممتنع، فإنه حال إثباته إياه ممتنع أن كون إلا ولياً لله تعالى ولاتكون مجردة عن ولايته ولو قدرت مجردة لم يكن أحد مماثلاً للرسول فى ولايته .

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب الفصوص إبن عربى، أنهم يأخذون من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به إلى الرسول وذلك، أنهم إعتقدوا عقيدة المتفلسفة الذين قالوا أن الأفلاك قديمة أزلية لها علة تتشبه بها، كما يقوله أرسطو وأتباعه أولها موجب بذاته كما يقوله متأخروهم كإبن سينا (الشيخ الرئيس المتوفى/٤٢٤هـ/ وأمثاله، ولايقولون أنها لرب خالق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام ولايقولون خلق الأشياء بمشيئته وقدرته إلى آخر ماهناك من إفتراءات من جانبهم(١).

ويحمل الإمام السلفى تقى الدين إبن تيمية على هؤلاء الصوفية المتأخرين حملة شعواء فيما يدعون بأن الأرواح تتنزل عليهم، وتوحى إليهم، أو يكتبون، أو مايبدوا لهم من أحوال فى خلواتهم، ويخص بهؤلاء الصوفية وفلاسفتهم المتأخرين، محى الدين بن عربى، وتلامذته يقول إبن تيمية فى تحليله لمزاعمهم وتطبيقاً لقوله تعالى عليهم ومن يشاركهم فى خيالاتهم "هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل آفاك أثيم" سورة الشعراء آية (٢٢٢) .

وقوله تعالى "وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم" سورة الأنعام آية (١٢١).

---

(١) إبن تيمية - الفرقان - ص٨٧، ص٨٨ .

يقول إبن تيمية "وهذه الأرواح الشيطانية هى الروح الذى يزعم صاحب الفتوحات أنه ألقى إليه ذلك الكتاب. [(١)]

ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين وشئ معين[(٢)] وهذه مما تفتح لصاحبها إتصالاً بالجن والشياطين فيظنون ذلك من كرامات الأولياء، وإنما هو من الأحوال الشيطانية، ومن هؤلاء من كان يحمل فى الهواء إلى مكان بعيد ويعود، ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به، ومنهم من كانت تدله الشياطين على السرقات بعطاء يعطونه له الناس وهكذا ويشير إبن تيمية فى ذلك إلى إبن عربى، ويناقش نظرياته وآرائه، فى مسألة التوحد والولاية والإتحاد وغير ذلك، وكذلك التلمسانى/ ٦٩٠هـ/ وهو من المتأثرين بنظريات إبن عربى وتلامذته فى هذه المسائل والقضايا الإسلامية. بنفس الطريقة المنحرفة كما رأى إبن تيمية[(٣)].

وجدير بالذكر أن إبن تيمية لم يترك آية فرصة تسنح له عندما يتعرض لمسألة الولاية والولى ومزاعم الصوفية والمتفلسفة فيها إلا ويشبعها بحثاً ونقداً فى مؤلفاته ورسائله المختلفة، ومن ذلك ماذكره فى الرسالة "التدميرية" من أن بعضاً من المتفلسفة والصوفية من يزعم أن الرسول لم يعلم الحقائق على ماهى عليه ويقول إن من المتفلسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمكها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية، باطنية الشيعة، وباطنية الصوفية". [(٤)]

---

(١) يقصد بذلك محى الدين بن عربى - حيث يذكر فى الفتوحات "إعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن إختيار، ولاعن نظر فكرى وإنما الحق تعالى يملى على لسان ملك الإلهام جميع مانسطره"

راجع الفتوحات المكية - الباب الثامن والأربعون - حـ١ .

(٢) جدير بالذكر، أن إبن عربى يذكر بعض أنواع من الخلوات منها عل سبيل المثال يقول فى هذا الصدد "خلوة الهدهد" وهى أن تدخل الخلوة كما أرسم لك وتستعمل فى غذائك "ويكون ذكرك لاإله إلا الله رب العرش المعظم - نظرنا - إبن عربى الخلوة المطلقة - ص٢٩ .

(٣) لمزيد من التفاصيل - راجع الفرقان - ص٩٩ - ص١٠٠ .

(٤) إبن تيمية - الرسالة التدميرية - ص١٠٦ .

لقد بلغ من تقديس مشايخ الطرق الصوفية، وأوليائها شأن كبير فى نفوس العامة من الناس والمريدين لطريقتهم، وربما عرف ذلك كثيراً من أدعياء الولاية. فإدعوا لذلك كرامات، وأتوا بخوارق تخيل على العوام، ومن هنا أن لزاماً على الإمام إبن تيمية فضح هؤلاء وتعريتهم، وإظهار ضلالهم وفساد مشآربهم، أو مآربهم، لذلك نجده يخصص لذلك قسطاً كبير فى رسائله ومؤلفاته..

فيذكر "أن كثيراً من أهل البدع والضلال والشرك المنتسبين إلى هذه الأمة، نجد أحدهم يدعو ويستغيث بشيخه الذى يعظمه وهو ميت أو يستغيث به وعنه فيراه ويسأله وقد ينذر له نذراً ونحو ذلك، ويرى ذلك الشخص قد آتاه فى الهواء ودفع عنه بعض مايكره، أو كلمه ببعض ماسأله عنه ونحو ذلك، فيظنه الشيخ نفسه إن كان حياً، ويذكر إبن تيمية جماعة من هؤلاء عاصرهم أو سمع عنهم .

كما يذكر أن بعض هؤلاء الشيوخ إذا لم يكن يعلم بتلك القضية كان يحب الرياسة، سكف، وأوهم أنه نفسه أتاهم وأغثاهم، وإن كان فيه صدق مع جهل وضلال قال هذا ملك صوره الله على صورتى وجعل هذا من كرامات الصالحين، وجعله عمدة لمن يستغيث بالصالحين، ومتخذاً أرباباً، وأنهم إذا إستغاثوا بهم بعث الله ملائكة على صورهم تستغيث بهم .

ولهذا عرف غير واحد من الشيوخ الأكابر الذين فيهم صدق وزهد وعباد لما ظنوا هذا من كرامات الصالحين صار أحدهم يوصى مريديه يقول. إذا كانت لأحدكم حاجة فليستغث بى ويستنتجدنى ويستوصى ويقول: أنا أفعل بعد موتى ماكنت أفعل فى حياتى وهو لايعرف أن تلك شياطين تصورت على صورته لتضله وتضل أتباعه، فتحسن لهم الإشراك بالله ودعاء غير الله، والإستغاثة بغير الله، وإنها قد تلقى فى قلبه أنا نفعل بعد موتك بأصحابك ماكنا نفعل بهم فى حياتك فيظن هذا من خطاب إلهى ألقى إليه فيأمر أصحابه بذلك. [(١)].

ويذكر إبن تيمية أمثلة كثيرة، على هذه الأساليب التى ينتهجها أدعياء الولاية فى بلاد الشرق، وفى البلاد التى يكثر فيها الشرك وضعف النزعة الإيمانية ويضعف فيها الإسلام. [(٢)]

---

(١) إبن تيمية - تفسير سورة الإخلاص ص١٧٣ كذلك الفرقان بين أولياء الرحمن- ص٣٧ - ٣٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل - المصدر السابق - ١٧٤.

ولعل ذلك يعطينا فكرة عن أحوال البلاد والعباد فى ربوع الدولة الإسلامية والعربية فى العصور المتأخرة، بعدما تفشى الجهل والضلال، وكثرت على بلاد المسلمين المؤمرات والدسائس وفساد الحكام والسلاطين، وضعفت الثقافة والعلوم ووسائلها بالإضافة إلى عدم تبصر الناس بجوانب الإيمان الحقيقى والمعرفة الحقيقة بالله تعالى ورسوله ﷺ، الأمر الذى تفشى معه الكثير من البدع والضلالات عند من أطلقوا على أنفسهم صوفية، ودعاة الولاية، وتقمشوا بمظاهر الصلاح والزهد والتقشف والإنقطاع عن العباد بدعوى العبادة، والنسك والتقوى، دون أن يكونوا على قدر كبير من العلم بالدين وأركان الشريعة وعلوم الدين وقد شاهد الباحث فى زياراته الميدانية لأضرحة الأولياء وأثناء قيام الموالد وإحتفالاتها العديد من هذه الخيالات والأوهام، لذلك نجد إبن تيمية يبين الجانب المضئ فى معنى الولاية، والتقوى والصلاح والخضوع الكامل لله تعالى وإتباع سنة الرسول الكريم.

إذ يعترف إبن تيمية بالولاية لله تعالى بمعنى أن "كمال الولاية هى الإيمان والتقوى، وإتباع الرسول باطناً وظاهراً، ومعرفة حقائق الإيمان الباطن وشرائع الإسلام الظاهرة، والتمييز بين الأحوال الرحمانية وبين النفسانية والشيطانية [(١)].

رابعاً: التصوف الصحيح كما يراه الإمام إبن تيمية: -

على الرغم من إعتراض إبن تيمية وهجومه الشديد على الطرق التى سلكها أو يسلكها الصوفية من أصحاب المذاهب الفلسفية وأدعياء الولاية والكرامات، ومحاولته تحليل نظرياتهم وإبراز أصولهم المخالفة لأصول الكتاب والسنة، وماكان عليه سلف الأمة وعلمائها، فإنه لم يرفض الأصول التى يقوم عليها مايراد تسميته بالتصوف، كطريق يسلكه السالك إلى الله تعالى، بإتباع الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وهو التصوف الذى يقوم عليه الإيمان العميق بالله تعالى ورسله وماجاء بالكتاب والسنة. والأمر والنهى وغير ذلك ظاهراً وباطناً.

وقد صنف الإمام إبن تيمية عدد من الرسائل التى يوضح فيها أصول الطريق إلى الله تعالى، ومعالمه الرئيسية.

---

(١) المصدر السابق - ص١٧٤.

وعلى ذلك يقول أن أفضل الأتقياء والزهاد والعباد والمؤمنين والأولياء هم الصحابة والتابعين، لماصدر عنهم من أمور يعبر عن إيمانهم العميق بالله تعالى وبرسوله ﷺ ظاهراً وباطناً، كما أن زهدهم وعبادتهم وتوكلهم وخوفهم، ومحققهم وشوقهم كله موجهاً إلى الله تعالى.

يقول إبن تيمية فى أفضل الخوف "من خاف الله خوفاً مقتصداً يدعوه إلى فعل مايحبه الله وترك مايكرهه الله، من غير هذه الزيادة فحاله أكمل وأفضل من حال هؤلاء (يقصد مدعى التصوف) وهو حال الصحابة رضى الله عنهم" (١).

ثم يبين إبن تيمية أفضل الطرق فى التصوف فيذهب إلى أن الصواب للمسلم "أن يعلم أن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وخير القرون القرن الذى بعث فيه وأن أفضل الطرق والسبل إلى الله تعالى، ماكان عليه هو وأصحابه ويعلم من ذلك أن على المؤمنين أن يتقوا الله بحسب إجتهادهم ووسعهم كما قال تعالى "فإتقوا الله مااستطعتم" سورة التغابن آية (١٦) وقال ﷺ "وإذا أمرتكم بأمر فإتقوا منه مااستطعتم" (٢).

وقال تعالى "لايكلف الله نفساً إلا وسعها" البقرة آية (٢٨٦) وأن كثيراً من المؤمنين المتقين أولياء الله تعالى، لايحصل لهم من الكمال والعلم والإيمان ماحصل للصحابة رضى الله عنهم فيتقى الله مااستطاع، ويطيعه بحسب إجتهاده، والله تعالى يثيب على الطاعة ويغفر عمن يشاء.

ويرى إبن تيمية أن من جعل الطريق أخذ من العلماء والفقهاء أو طريق أحد النساك والعباد، أفضل من طريق الصحابة، فهو مخطئ، ضال مبتدع، ومن جعل كل مجتهد فى طاعة أخطأ فى بعض الأمور مذموماً معيباً ممقوتاً، فهو مخطأ ضال مبتدع (٣).

ويفرق الإمام إبن تيمية بين كلمتى "الصوفى" "والصديق" ..... موضحاً درجات الصديقية ومعناها.. حتى لاتلتبس على عقول الباحثين يقول إبن تيمية "وإذا عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة، وأنه كان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ماله فيه إجتهاد،

---

(١) الإمام إبن تيمية - الصوفية والفقراء - ط - دار الفتح - ١٩٨٤.

(٢) رواه البخارى - الصحيح - جـ٩ - ص١١٧.

(٣) الإمام إبن تيمية - الصوفية والفقراء - ص٢٣ (ربما يقصد إبن تيمية بهؤلاء - الفرق من الخوارج والمعتزلين والمرجئة.... ألخ ص٢٤ .

كما كان فى الكوفة، ومن يسلك من طريق الفقه والعلم ماله فيه إجتهاد وهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهى "لباس الصوف"، فقيل فى أحدهم : صوفى، وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف، ولاهم أوجبوا ذلك ولاعلقوا الأمر به ولكن أضيقوا إليه لكونه ظاهر الحال .

ثم التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة قد تكلموا فى حدوده وسيرته وأخلاقه، كقول بعضهم الصوفى من صفى من الكدر وإمتلا من الفكر، وإستوى عنده الذهب والحجر أو التصوف كتمان المعانى وترك الدعاوى ...إلخ. (١)

وهم يسيرون بالصوفى إلى معنى الصديق، وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون كما قال الله تعالى "فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا" سورة النساء آية ٦٩. (٢)

ولهذا ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفى، لكن هو فى الحقيقة نوع من الصديقين، فهو الصديق الذى إختص بالزهد والعبادة على الوجه الذى إجتهدوا فيه، فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقول صديقوا العلماء، وصديقوا الأمراء، فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم (٣).

فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين أنهم صديقين فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة: أنهم صديقون أيضاً، كل بحسب الطريق الذى سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب إجتهاده وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم، فهم من أكمل صديقى زمانهم، وأن كان الصديق الأول فى العصر الأول منهم (٤).

ويذكر إبن تيمية درجات الصديقين وأنواعهم، يقول "الصديقون درجات وأنواع، ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه، وإن كان غيره فى غير ذلك الصنف أكمل منه، وأفضل منه" .

---

(١) راجع – القشيرى – الرسالة القشيرية – جـ١.

(٢) إبن تيمية الصوفية والفقراء – ص٢٥ .

(٣) نفس المصدر السابق – ص٢٧ .

(٤) المصدر السابق – ص٢٧ .

يقول "أنهم مجتهدون فى طاعة الله كما إجتهد غيرهم من أجل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب إجتهاده وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أولاً يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه[1].

ويفرق إبن تيمية بين الذين ينتسبون إلى التصوف وهم ليسوا منه لأنهم من المبتدعين والزنادقة وبين مشايخ الطريق الصوفى الذين إتبعوا أصول الكتاب والسنة يقول "وقد إنتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج، إذ أخرجوه عن الطريق كما قال الجنيد/ ٢٩٨/ هـ بن محمد سيد الطائفة وغيرهم[2].

ويفرق إبن تيمية بين ثلاثة أنواع من الصوفية وهم : -

صوفية الحقائق - وصوفية الأرزاق - وصوفية الرسم .

النوع الأول: وهم صوفية الحقائق - الذين سبق وصفهم .

النوع الثانى: وهم صوفية الأرزاق: وهم الذين وقفت عليهم الوقوف. كالخوانك[3] فلايشترط فى هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز، وأكبر أهل الحقائق لايتصفون بلوازم الخوانك، ولكن يشترط فيهم ثلاث شروط:

أحدها: العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

والثانى: التأدب بآداب أهل الطريق، وهى الآداب الشرعية فى غالب الأوقات، وأما الآداب البدعية والوضعية فلا يلتفت إليها .

والثالث: أن لايكون أحدهم متمسكاً بفضول الدنيا فأما من كان جماعاً للمال، أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة ولامتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقاً فإنه لايستحق ذلك .

---

(١) المصدر السابق - ص٢٨ .

(٢) راجع فى لك: المصدر السابق - ص٢٨ كذلك أبو عبد الرحمن السلمى - طبقات الصوفية - كذلك أبو بكر الخطيب البغدادى - تاريخ إبغداد حـ١ .

(٣) الخوانك (الخانقاه) : كلمة فارسية يطلق على مكان العبادة ويطلق عليها إسم "تكايا" فى اللغة التركية .

أما صوفية الرسم: فهم المقتصرون على النسبة، فهمهم فى اللباس الآداب الوضعية ونحو ذلك، فهؤلاء فى الصوفية بمنزلة الذى يقتصر على زى أهل العلم وأهل الجهاد ونوع مامن أقوالهم وأعمالهم، بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره، أنه منهم وليس منهم (١).

ويبين الإمام إبن تيمية العلاقة بين الفقير والصوفى، وأيهما أفضل من حيث النسبة والتسمية؟.

فيرى أن طائفة ذهبت إلى ترجيح الصوفى، كأبى حفص (عمر السهروردى) /٦٣٢هـ/ ونحوه، وذهبت طائفة أخرى إلى ترجيح الفقير كطوائف كثيرين وربما يختص هؤلاء بالزوايا وهؤلاء بالخوانك ونحو ذلك وأكثر الناس قد رجحوا الفقير .

والتحقيق: هو أن أفضلهما أتقاهما، فإن كان الصوفى أتقى الله تعالى، كان أفضل منه، وهو أن يكون أعمل بما يحبه الله تعالى، وأترك مالا يحبه فهو أفضل من الفقير، وإن كان الفقير أعمل بما يحبه الله تعالى وأترك كمالاً يحبه الله كان أفضل منه، فإن إستويا فى فعل المحبوب وترك غير المحبوب إستويا فى الدرجة .

وأولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون سواء سمى أحدهم فقيراً، أوصوفياً أوفقيهاً، أوعالماً أوتاجراً أوجندياً أوصانعاً، أوأميراً أوحاكماً أوغير ذلك. قال الله تعالى "ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون" سورة يونس آية "٦٢، ٦٣" .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال "يقول الله تعالى" "من عاد لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما إفترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن إستعاذنى لأعيذنه، وماترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن وأنا أكره مساءته" (٢)

ويرى إبن تيمية إن هذا الحديث يبين أولياء الله المقتصدين فأصحاب اليمين، والمقربين السابقين .

---

(١) إبن تيمية - الصوفية والفقراء ص٣٢ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٣٥ - ص٣٦ .

فالصنف الأول: الذين تقربوا إلى الله بالفرائض.

والصنف الثاني: الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، وهم الذين لم يزالوا يتقربون إليه بالنوافل حتى أحبهم الله تعالى.

هذان الصنفان قد ذكرهم الله تعالى فى غير موضع من كتابه كما قال تعالى "ثم أورثنا الكتاب الذين إصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات" سورة فاطر آية (٣٢) .

وكما قال الله تعالى "فأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنه، وأصحاب المشئمة ماأصحاب المشئمة، والسابقون السابقون، أولئك المقربون" سورة الواقعة أيات (٨- ١١) .

وقال تعالى "فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان وجنة نعيم، وأما إن كـان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحـاب اليمين" سورة الواقعـة آيـات (٨ -٩١) (١).

ومما سبق يتضح أن الإمام السلفى إبن تيمية، قد ناقش قضية التصوف وأحوال وطرق الصوفية ومذاهبهم وفرقهم وعقائدهم من جوانبها المختلفة، وهو فى ذلك لم يكن يريد إلا إظهار الحق ودحض الباطل، ومقاومة أسباب الإنحراف عن مناهج أهل السنة وسيرة السلـف، ولم ينكر طريقـة التصـوف جملة ولكنـه أراد أن يبين الجوانب الصحيحة والمعتدلة فى هذا الطريق، الذى سلكه من كان فى العصور السالفة سواء من كبار التابعين وتابعيهم من الزهاد والعباد أو من سلك طريقهم من المتأخرين، حيث أنهم جميعاً فى سلوكهم المعتدل إلى الله تعالى، كانوا متمسكين بأصول الكتاب والسنة، عاملين بهما ظاهراً وباطناً .

وهذا الطريق هو طريق أهل السنة والجماعة :إتباع الرسول ﷺ باطناً وظاهراً، وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وإتباع وصية سيدنا محمدﷺ حيث قال :

"عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجز، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" (٢).

---

(١) المصدر السابق ص٣٧ - ص٣٨ .

(٢) هذا الحديث صحيح عن جابر إبن عبد الله رضى الله عنه رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائى وإبن ماجة "صحيح الجامع الصغير" (١٣٤٨) وله ألفاظ متعددة .

ويعلمون أن أصدق الكلام، كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله تعالى على غيره من كلام أخبار الناس ويقدمون هدى محمد ﷺ على هدى كل أحد...

كذلك فإن إبن تيمية لم ينكر الكرامات للأولياء، الذين هم أتباع الكتاب والسنة، ظاهراً، وباطناً يقول "من أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى الله على أيديهم من خوارق العادات فى العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثير كالمأثور عن سالف الأمم فى سورة الكهف وغيرها. وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة، وهى موجودة فيها إلى يوم القيامة[1].

---

(١) نظرنا : إبن تيمية - رسالة عقيدة الفرقة التاجية. (ملحق بكتاب العقيدة الوسطية) - ص٥٦ - ص٥٧، ص٥٨ تحقيق زهير الشاويش - ط - المكتب الإسلامى بيروت ١٩٨٤م .



الباب الثالث

«أصحاب الطرق الصوفية
وآثارهم التربوية والعلمية فى
القرن السادس»



مدخل تمهيدى

رأينا فى الفصول السابقة كيف أن تيار التصوف الفلسفى أحتل مساحة كبيرة فى أوساط الفكر الصوفى الإسلامى خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، وتتابع هذا التيار لدى شخصيات صوفية بارزة خلال القرون التالية وحتى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين ، وقد أتخذ التصوف الفلسفى كما ذكرنا من قبل شكلاً مذهبياً لدى رواد المدارس الصوفية كمارأينا عند صدر الدين القونوى /٦٧١ هـ/ وعفيف الدين التلمسانى ٦٩٠ هـ/ وعبد الوهاب الشعرانى / ٩٧٣/ هـ ، وعبد الغنى النابلسى /١١٤٣ هـ/ كتلاميذ مخلصين لمذهب شيخهم الأكبر محى الدين بن عربى / ٦٣٨ هـ/ .

وأتضح لنا أيضا أن هؤلاء المتصوفة مزجوا الأذواق والمواجيد بالعناصر والنظريات الفلسفية إذ تأولوا النصوص الإلهية فى ضوء هذه المنهج من المواجيد والأذواق الفلسفية . الأمر الذى شكل خطراً على عقائد المسلمين مما دفع أئمة الفقهاء وعلماء السلف المتأخرين إلى نقدهم وتفنيد مزاعمهم .

ولكننا إذا تطرقنا إلى الجانب العلمى فى التصوف الإسلامى، فى هذه العصور المتأخرة ، فلاشك أننا نجد الصورة مختلفة إلى حد كبير .

إذ ظهرت كثير من الطرق والطوائف الصوفية، ذات الأثر الكبير فى تطور الحياة الروحية الإسلامية لكى تواصل مسيرة هذه الحياة التربوية والأخلاقية التى نشأت منذ قرنين الأول والثانى الهجريين، ثم تتابعت عند أئمة التصوف السنى خلال القرون التالية وعلى ذلك فقد ظهرت فى تاريخ الحياة الروحية فى الإسلام عدة تيارات صوفية، تتبنى نظريات ومظاهر مختلفة، نجملها فى تيارين متعارضين، ومختلفين كل الإختلاف من حيث (المنهج، الوسيلة، الغاية) وهذان التياران هما: التيار الفلسفى الصوفى الذى يقوم علي التأمل الباطنى والذوق الذاتى الممتزج بالمواجيد والعناصر الفلسفية بهدف الكشف عن شهود الحقيقة الكونية والوجودية، والوصول إلى تحقيق الوحدة الكلية المطلقة فى الوجود، بحيث لايكون هناك مجال للقسمة الثنائية، وتصبح الكثرة منطوية فى الوحدة كما أراد بن عربى ومدرسته تحقيقه فيما

عبر عنه بنظرية "وحدة الوجود" "والإنسان الكامل" الذى تتجلى فيه صورة الحقيقة الأبدية والأزلية. الجامع لكل مظاهر الوجود والكون والعالمين الأكبر والأصغر.

أما التيار الصوفى الثانى: فهو العملى التطبيقى، الذى يقوم على التربية الأخلاقية وترويض النفس الإنسانية بالزهد والتقشف والإبتعاد عن متع الحياة الدنيا. والتفكير الدائم فى الله تعالى وذكره. بتلاوة آياته الكريمة، واستخلاص معانيها الروحية، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم.

وقد كان لشيوخ الطرق الصوفية المتأخرين أهمية كبيرة فى تدعيم الأصول الروحية والذوقية والوجدانية، وإستلهام المعانى الإلهية من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، بغض النظر عن أدعياء الطرق من ذوى الميول المنحرفة إلى الدروشة واستغفال الناس لتحقيق مآربهم وأغراضهم.والتى تبتعد بهم عن جوهر الدين وأصوله الإيمانية الصادقة.

وإذا كان ذلك كذلك، فإن حظ التصوف فى القرنين السادس والسابع من هذه الناحية العملية، لم يكن بأقل من حظه من الناحية الفلسفية النظرية، كذلك فإن الطرق الصوفية فى القرنين الثانى والثالث كان قوامها طائفة من المريدين يلتفون حول شيخ مرشد هذا النظام فى بداية النشأة الروحية الصوفية، قد ظهر كثيرا منه فى القرنين السادس والسابع، وكثر عدد المنتسبين إليه، وتعددت أساليب الرياضة بتعدد هذه الطرق، كما إختلفت أسمائها، باختلاف أسماء من ينتسبون إليها [(١)].

ولعل أهم ماتتصف به حياة شيوخ التصوف فى القرنين السادس والسابع هو ماتركه هؤلاء من تعميق فى الأصول الروحية الخالصة فى قلوب مريديهم، والإهتمام الزائد بإصلاح الباطن، عن طريق معرفة النفس ونوازعها ورغباتها، وتحليل خلجاتها وخطراتها ثم العمل علي تطهيرها من جميع الرزائل بالمجاهدات والرياضات والعزلة والزهد والتعبد، وبالتحلي بالمكارم الأخلاقية [(٢)]. يضاف إلى ذلك أن شيوخ التصوف المتأخرين أرادوا إقامة إصولهم على أصول من الكتاب والسنة، والإستمداد الروحى من المعانى القرآنية والوحى الإلهى، وتمثلوا الإعتدال والإقتراب من أصول الدين والشرائع دون إنحراف أو ابتداع، ومن هنا نجد أن إمام السلف المتأخر

---

(١) د. محمد مصطفى حلمى – الحياة الروحية فى الإسلام ص١٩١ – ص١٩٤.

(٢) دكتور- مقدار بالجن – فلسفة الحياة الروحية ونشأة الطرق الصوفية – ص٧٤.

تقى الدين إبن تيمية/٧٢٨/ هـ لايفتر عن مدح أصول هذه الطرق كالطريقة "القادرية" التى تنسب إلى الشيخ الجليل عبد القادرالجيلانى/٥٦١/هـ[١].

وعلى ذلك فإن هؤلاء المشايخ المتأخرين "أصحاب الطرق الصوفية" أقاموا أصول طريقتهم على التفانى فى الإخلاص لله تعالى فى جميع الأعمال والتنكر للإرادة البشرية، والإتحاد مع الإرادة الإلهية فى تطبيق مراد الله تعالى، لذلك فإنهم "يسقطون إرادتهم فى الإرادة الإلهية" مصداقا لقوله تعالى "وماتشاؤن إلا أن يشاء الله" سورة التكوير (٣٩) وقوله تعالى "ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى" سورة الأنفال آية (١٧). لذلك فإنهم ينكرون الحرية الإنسانية من حيث وجود الإختيار لامن حيث وجود القدرة على الإختيار، إذ أن الإنسان عندهم يجب أن يطبق إرادة الله ولا ينبغى أن يخرج علي إرادته، لذلك فقد أفنوا إرادتهم في الإرادة الإلهية. لقد اهتم شيوخ التصوف المتأخرين بما اهتم به شيوخ التصوف الأوائل، وذلك بالإهتمام بالجانب التطبيقى الأخلاقى ووضع أساليب التربية الخلقية وتنمية علاقات المحبة والإخاء بين الناس أو الفداء والإيثار، وإيثار الزهد والتقشف فى الحياة الدنيا، وإبتغاء الآخرة أو لما إدخره الله تعالى لعباده من النعيم. كماذكر الله تعالى فى القرآن الكريم، وصدقته السنة الشريفة.

إن أهم ماكان يشغل المتصوفة وأصحاب الطرق المتأخرين هو التربية الأخلاقية والكشف عن غوامض النفس الإنسانية والترقى بنزعاتهم فى سلم المقامات ابتداء من التوبة والصبر والتوكل وحتى الغناء عن كل شئ سوى الله تعالى[٢] .

ومن الجدير بالذكر أننا سوف نجد لدى أصحاب الطرق الكثير من الأذواق المواجيد تلك التى تعبر عن أحوالهم. غير أن مسالكهم فى أغلب الأمور تعتبر نقية خالصة من الشوائب الأمر الذى يدفعنا إلى إعتبار طرقهم العملية إمتداداً لطريقة الصوفية الأوائل. ونود ونحن بهذا الصدد أن نبين ثلاثة حقائق هامة هى :

الحقيقة الأولى :أن مشايخ الطرق الصوفية لم يتأثروا بالمصادر الأجنبية (اليونانية كالأفلاطونيـة المحدثـة، أو الفارسيـة أو اليهوديـة أو المسيحيـة أو الهندية أو المصادر الغنوصية

---

(١) راجع إبن تيمية . الرسالة التدميرية. ص١٤٣ كذلك رسالة العبودية - ص٩.

(٢) المزيد من التفاصيل : الدكتور أحمد محمود صبحى - الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى - ص٢٥٧ وما بعدها. ط دار المعارف ١٩٨٣م.

الأخرى). وهو ماوجدناه عند فلاسفة التصوف وعلى ذلك فإن التصوف العملى عند متأخرينا كان نقياً خالصاً من الشوائب، غير أنه قد داخلته بعض أمور الدروشة والدجل وبعضاً من فنون السحر والخيال والأساطير، لكن هذا حدث عند أدعياء التصوف من ذوى النزعات والأغراض الخبيثة .

الحقيقة الثانية :إن معنى الطريق - عند المتأخرين يكاد يقترب فى مفهومه وغايته من معناه كما عرفه الأوائل فى القرنين الثانى والثالث الهجريين .

فالطريقة معناها فى اللغة "السبيل والممر الواسع" "أوسع من الشارع" ثم استعمل فى التصوف على أنه منهج العلم النفسى الأخلاقى ثم تطور إلى معنى آخر فأصبح يطلق على جملة مراسم تعبديا تمارسها الجماعات الإسلامية المختلفة التى قد بدأت تنتشر فى مختلف البلاد [١].

وقد أصبحت هذه المراسم النظام الجماعة التي ينضم الأفراد المختلفين والتي تمارس هذه المراسم المكونة من الأدعية والأذكار وكيفية إلقائها، والأوقات التى تؤدى فيها. وقد إتخذت كل طريقة أسماءً ونظاماً وتعاليماً وأوراداً قد تختلف فى مظاهرها وأشكالها لكن تتفق فى غايتها وجوهرها.

الحقيقة الثالثة : لقد تميزت الطرق الصوفية المتأخرة بعضها عن البعض الآخر نتيجة الإختلاف فى تنظيم المراسم التعبدية، فكل شيخ ينظم طريقته حسب فهمه وعلمه ومعرفته بالنصوص من حيث الكم ومن حيث الكيف ويلاحظ أن المشايخ أضافوا شيئاً آخر وهو عمليا تركيب الأدعية والأوردة وتنظيمها، سواء كان هذا التركيب من العبادات المفروضة، أو كان تركيب الأدعية بعضها مع بعض. ثم كيفية أدائها .

وجدير بالذكر أن لكل شيخ من المشايخ ميزة خاصة وهو ماأشار إليه "يحيى إبن معاذ / ٢٥٨/ هـ بقوله : فإذا رأيت الرجل يعمل الطيبات فأعلم أنه علي طريقة التقوى"، وإذا رأيته يحدث بأيات الله تعالى فاعلم أنه على طريقة "الإبدال" [٢] . وإذا رأيته يحدث بالاء الله فاعلم

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (طريقة).

(٢) هذه الطريقة لها نظام معين وفى ترتيب رجالها ثم على رأسهم القطب.

أنه على طريقة "المحبين" وإذا رأيته عاكفا على ذكر الله فاعلم أنه على طريقة "الفارقين"... وهكذا[1] .

ولقد أخذ هذا النوع من التصوف السنى المعتدل يعدو على التصوف الفلسفى، وظهر فى هذه الفترة علمان من أعلام التصوف السنى المعتدل قدر لطريقتهما نجاح كبير فى الوسط الإسلامى العربى، وهما الشيخ عبد القادر الجيلانى ٥٦١/ هـ وأحمد الرفاعى / ٥٧٨/ هـ .

لقد استمر التصوف السنى يغالب شعبة التصوف الفلسفى حتى تغلب عليه. وأصبحت له السيادة فى أوائل القرن الثامن والهجرى[2].

وجدير بالذكر أن العقلية العربية أصابها تدهور وخمول في العصور المتأخرة وفي العصر العثمانى نتيجة لبعض العوامل السياسية والإجتماعية والإقتصادية بالإضافة إلي تدهور أصول الحضارة العربية وانغماس الحكام والولاة فى المؤامرات والفساد، الأمر الذى أدى إلى إهمال دراسة العلوم العقلية والفلسفية وعكوف العلماء والدارسين علي نقل تراث السابقين والتعليق عليه وشرحه مما أدى إلى أن أصبح العلم يصاغ فى منظومات شعرية ونثرية لمجرد الحفظ والتعليق فقط دون إبداع أو تجديد .

وأصاب التصوف أيضاً ماأصاب غيره من العلوم فإتجه أصحابه ومشايخه إلى الباطن أو دراسة السلوك الداخلى للنفس، فأصبح قبل كل شئ دراسة للسلوك أو رسم للسيرة الفاضلة، فلم تعد هناك حاجة إلى دراسة الفلسفة، ولم يهتم المتصوفة بنظرياتها الدقيقة وأصبحت الطاعة والتقرب إلى الله تعالى، والزهد والإعراض عن الدنيا، تصل الطائع بعبادته إلى مايصل إليه العالم بعلمه من رضا الله ومحبته، ولم يكن غريباً أن ترى فى القرون المتأخرة شيوخ يشرفون على الطريق ويتولون قيادة الأتباع والمريدين. وفى وسعهم أن يصلوا إلى العلم اللدنى (كما يرون) كذلك إتجهت عناية المتصوفة بالأوراد يلتقوها، وحلقات الذكر فتعددت طرقهم وفروعهم، وكثرت أحاديثهم، حول كرامات المشايخ[3] والأولياء الأمر الذى حبب هـذه الطرق ومراسمها

(١) راجع مقدار بالجن - فلسفة الحياة الروحية فى الإسلام - ص٩٨. ص٩٩. ص١٠٠ .

(٢) دكتور إبراهيم مدكور - فى الفلسفة الإسلامية جـ٢ - ص٧٠ .

(٣) راجع بعض الإنتقادات لمظاهر التصوف فى كتاب دراسات فى الفرق تأليف الدكتور صابر طعيمة - ص١٠٧ - ١٠٩ وما بعدها .

وأذكارها وأورادها إلى القلوب العامة من الناس، ودفع بالناس إلى الإلتفاف حولها، وإذا كان التصوف فى هذا الدور الأخير يعد صورة من صور التصوف عند الأوائل، لكن أصابه شئ من المبالغة والإعتداد بالمظاهرة والشكليات، وولوع بالتغريب والطائفية، وربما قل أن نجد بحوثاً تجاوز آداب السلوك ومكارم الأخلاق[1] وتطهير النفس، بالإضافة إلى تشبع بعض الطوائف بعناصر أساسية أسطورية، وخيالات قصصية تدور حول كرامات وخوارق تحدث على أيدى مشايخ الطرق أو أدعيائهم. ولقد ظهرت بعض الشخصيات التى تتمثل روح التصوف ومعانيه الحقيقية تمثلاً صحيحاًوقوياً مما يمكن أن نعتبره حركة إصلاحية فى التصوف فى العصر الحديث من أمثال الدكتور/ محمد إقبال/ ١٩٣٨م/ والشيخ أحمد التيجانى/١٨١٥م/ وعبد الحميد إبن باديسى المتوفى عام ١٩٤٠م/، ومحمد إبن على السنوسى/ ١٨٥٩/م .

ونود هنا أن تتعرف على أكبر مشايخ الطرق الصوفية وآثارهم التربوية وآدابهم السلوكية .

---

(١) المصدر السابق - ص٧٠ .

"الفصل الأول"

الشيخ عبد القادر الجيلانى

المتوفى عام/ ٥٦١هـ/ ١١٦٧م

"الطريقة الجلانية وفروعها"

١ - حياته (١).

الجيلانى: هو أبو صالح سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه، وهو إبن موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهر بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله المحصن بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ولد رضى الله عنه سنة سبعين وأربعمائة / ٤٧٠ هـ/ وتوفى سنة إحدى وستين وخمسمائة / ٥٦١هـ/ ودفن ببغداد وقد أفروه الناس بالتأليف(٢).

ويذكر عنه إبن عباد، أنه قد إشتهرت أمه بالصلاح فكان أهل جيلان(٣) يستسقونها فيسقون ، بدأ حياته العلمية بالإشتغال بالقرآن حتى أتقنه ثم تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل/ ٢٤٢/ هـ على أبى الوفاء بن عقيل المتوفى عام ٥١٢/هـ وتعلم الحديث وعلوم الأدب وأخذ الطريقة بعد أن لبس الخرقة من إبن سعد المبارك وفاق أهل وقته فى علم (الديانه) ووقع له القبول التام مع القدم الراسخ فى المجاهدة وقطع دواعى الهوى والنفس .

---

(1) J, Spencer trimingham, the sufi orders in I slam,pp,40,41,oxford .university press,London,1971

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ - ص١٠٨ .

(٣) جيلان - من البلاد المتفرقة بالطبرستان. وهى من البلاد التى فتحها المسلمون، ولهذا كان يعد الجيلانى من العجم وتذكر عنه المصادر أنه عجمى شريف يسكن ببغداد يكون ظهوره فى القرن الخامس، وهو أحد الصديقين الأوتاد الأفراد أعيان الدنيا أقطاب الزمان دكتور/ مصطفى حلمى - التصوف والإتجاه السلفى فى العصر الحديث ص١٨ - ص١٩ - جـ١ دار الدعوة ١٩٨٣م.

وقد بدأ الجيلانى حياته واعظاً وتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له حديث بالزهد وأقام فى مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفى عام ٥٦١/ هـ[١].

وإذا كانت المصادر تفيد أن الجيلانى قد تفقه على مذهب الحنابلة عام ٤٨٨هـ/ فإن الشعرانى يذكرنا أنه قد جمع بين مذهب الشافعى والمذهب الحنبلى. ويقول كان رضى الله عنه يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر، وكان يفتى على مذهب الإمام الشافعى والإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب، فيقولون سبحان من أنعم عليه[٢].

وقد رفع إليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لابد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس فى وقت تلبسه بها فماذا يفعل من العبادات؟ .

فأجاب الجيلانى "يأتى مكة ويخلى له المطاف ويطوف سبعاً وحده ويتجل بيمنه" فأعجب علماء العراق وكانوا قد عجزوا فى الجواب عنها[٣] .

ويبدوا أن العصر الذى نشأ فيه الجيلانى كان يموج بالتيارات الفلسفية والكلامية والصوفية المختلفة بالإضافة إلى كثير من الفتن السياسية التى نجمت عن إختلاف هذه المذاهب وتضارب آرائها مع أقوال وعقائد السنة فإن أواخر الدولة العباسية التى عايشها الجيلانى ساد فيها الضعف الفكرى والسياسى .

وقد حدد الجيلانى موقفه من هذه التيارات فأراد أن يعصم نفسه من العواقب الوخيمة التى تحيط بهذه المذاهب المختلفة بصفة خاصة "التيارات الفلسفية" يقول الجيلانى "ثم وقع فى نفسى أن أخرج من بغداد لكثرة الفتن فخرجت إلى باب الحلبة فقال لى قائل إلى أين تمشى ودفعنى دفعة فخرجت منها، وقال إرجع للناس فيك منفعة قلت أريد سلامة دينى قال لك ذاك[٤] ويبدو من مغزى هذه الرواية أن الفتن سادت المجتمع الذى كان يحيط به لكثرة الإختلاف بين المذاهب وبصفة خاصة تفشى أقول الفلاسفة وإنتشار نظريات الفلسفة وعلوم

---

(١) نظرنا المصدر السابق ص١٨ .

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى جـ١ ص١٠٩ .

(٣) نفس المصدر - جـ١ - ص١٠٩ .

(٤) الدكتور/ مصطفى حلمى - التصوف والإتجاه السلفى فى العصر الحديث ص١٨ .

التنجيم والطلسمات، وإختلاط الأمور على عقول الخلق من الناس. ومما يوضح هذه الحقيقة أن أحد الحاضرين لمجالس وعظ الجيلانى، كان يحمل كتاباً يحتوى على أشياء من الفلسفة، وعلوم الروحانيات، وإكتشف الجيلانى فحوى هذا الكتاب دون أن يطلع عليه أو يقرأه إذا قال لصاحبه بئس الرفيق كتابك هذا قم فأغسله" ويقول صاحب الكتاب فعزمت أن أقوم من بين يديه أطرحه فى شئ ثم لاأحمله بعد ذلك خوفاً من الشيخ ولم تسمح نفس بغسله لمحبتى فيه، وكان قد علق بذهنى شئ من مسائله وأحكامه لأقول على هذه النية كالمتعجب منى فلم أستطع النهوض وأنا حالى مقيد على فقال لى ناولنى كتابك فإذا هو أبيض[1] .

وإذا كانت هذه الرواية مغلقة بسياج الكرامات التى تظهر على أيدى الأولياء الصالحين، وهى تحسب للجيلانى فإن دلالتها تشير إلى نبذ الجيلانى كإمام من أئمة التصوف السنى المعتدل للنظريات والأراء الفلسفية التى كانت تمتزج بالمواجيد الروحانية فى عصره .

وفى درس عام ألقاه عبد القادر الجيلانى المتصوف الكبير/٥٦١/ هـ حمل على أحد القضاه لالشئ إلا لأنه سمع بأن تكون فى مكتبه مؤلفات فلاسفة العرب[2] .

وعلى ذلك فقد حدد الجيلانى موقفه الصريح والمعارض لتيارات التصوف الفلسفى أو الفلسفة، وتحفظه من الإختلافات التى سادت بين الفرق والمذاهب فى عصره وهذا يدل على تمسكه الشديد بأصول الكتاب والسنة لكى يحصن نفسه ضد تيارات الإلحاد والزندقة أو الغلو فى العقيدة وإذا كان الجيلانى قد غاص مع الصوفية فى بحر حبهم الروحى وذوقهم الوجدانى، متخذاً مقامات المجاهدات والرياضات الروحية معارج روحانية للوصول إلى رحاب الحضرة الإلهية والتجليات الربانية والنورانية فإنه كان دائماً قابضاً على قواعد العقيدة متأسياً بعلماء السلف وأئمة الحديث ويوضح ذلك الجيلانى فيقول "أعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها، فعلامات أهل البدع الوقيعة فى أهل الأثر، وعلامات الزنادقة تسميتهم أهل الأثر مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبه، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة، وأقل ذلك عصبية وغياظ لأهل السنة ولاإسم لهم إلا إسم واحد هو أصحاب الحديث[3] .

---

(١) نفس المصدر السابق – ص١٩ .

(٢) الدكتور مصطفى حلمى – التصوف والإتجاه السلفى فى العصر الحديث ص٢٠ .

(٣) نظرنا فى ذلك المصدر السابق ص٢٢ – ص٢٣ الشعرانى الطبقات الكبرى جـ١ – ص١١١ – ص١١٢ .

وقد كان للجيلانى. مواقف معتدلة فى التصوف والكرامات وأمور الشريعة ونذكرها فيما بعد. ومن ناحية أخرى فإن للجيلانى بعض المؤلفات والآثار العلمية والصوفية تعبر عن أصول السنى المعتدلة ومواقفه من الشريعة وأصول العقيدة منها كتاب الغنية لطالبى الحق وكتاب "فتوح الغيب" وهو يتناول فى ذلك آداب المريدين. والآداب التى ينبغى أن يتحلى بها المريد المبتدى مع شيوخه. ثم يتناول أساس الطريقة التى تشمل على المجاهدة والتوكل وحسن الخلق والشكر والصبر والرضا والصدق .

وجدير بالذكر أن الجيلانى قد سلك فيما تركه من آثار علميه وصوفية منهجاً عملياً معتدلاً .

كذلك نجده يتكلم فى "فتوح الغيب" عن الغنا، وتجريد التوحيد، وتوحيد التفريد والحضور فى موقف العبودية، والريبة وغير ذلك من المسائل الذوقية الذاتية بالإضافة الى لغة الرمز والإشارة مغلقة بشئ من الشطحات والخطرات والأحوال وغير ذلك من مسائل تسود بين أوساط التصوف النظرى[1] وقد أهتم عدد غير قليل من الباحثين والمؤرخين بسيرة هذا الصوفى الكبير، وتعرضوا لتوضيح طريقته فى كل مناسبه تتوافق مع مذهبه، وبصفة خاصة الإمام تقى الدين بن تيميه/٧٢٨ هـ الإمام السلفى المتأخر[2] وتوجد عدة مخطوطات تتناول سيرته ومناقية وطريقته الصوفية وهى بلاشك بحاجة إلى تحقيق ودراسة لإلقاء المزيد من الضوء والتحليل لمصادره الصوفية وأثاره العلمية وطريقته [3] وتذكر المصادر أن الجيلانى كان عالماً عاملاً بالعلوم الإسلامية والعربية، ويتكلم فى ثلاثة عشر علماً فكان يلبس لباس العلماء ويتطيلس ويتكلم ويعظ على كرس عال[4].

---

(١) نظرنا فى ذلك المصدر السابق ص ٢٢- ص٢٣ - الشعرانى الطبقات الكبرى - جـ١ ص١١١ - ص١١٢.

(٢) الإمام بن تمية - رساله العبودية - ص٩ الرساله الحمويه الكبرى ص ١٤٢.

(٣) توجد مخطوطة بمكتبة المسجد الأحمدى بطنطا بعنوان "مناقب سيدى عبد القادر الجيلانى تحت رقم (٦٨٣) تصوف كذلك مخطوطة أخرى بعنوان فضائل سيدى عبد القادر الجيلانيتحت رقم (٦٨٤) تصوف .

(٤) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ - ص ١٠٨ - ١٠٩

٢ - طريقته الصوفية :-

لقد أنشاء عبد القادر الجيلانى /٥٦١/هـ الطريقة القادرية التى ترجع أنها أول طريقة منظمة لأهداف صوفية منذ ذلك التاريخ[١] حتى الآن وقد توافر لدى الشيخ الجيلانى عناصر وعوامل كثيرة ، تجعله شيخا لأول الطرق الصوفية العملية فى بداية العصور المتأخرة .

وطريقة الجيلانى تقوم على "تجريد التوحيد"، وتوحيد التفريد مع الحضور فى موقف العبودية لابشئ ولالشئ، يقول الشيخ عدى بن مسافر رضى الله عنه، كان الشيخ عبد القادر رضى الله عنه طريقته الزبول تحت مجارى الأقدار، بموافقة القلب والروح وإتحاد الباطن والظاهر، وانسلاخه من صفات النفس مع الغيبه عن رؤية النفع والضرر والقرب والبعد وكانت طريقة الشيخ عبد القادر أيضا تقوم على إتحاد القول والفعل والنفس والوقت ومعانقة الأخلاص والتسليم، وموافقة الكتاب والسنة، وفى كل نفس وخطره ووارد وحال الثبوت مع الله عز وجل.

وفى رواية، كانت قوة الشيخ عبد القادر رضى الله عنه فى طريقه إلى ربه أقوى جميع أهل الطريقة شدة ولزوما، وكانت طريقته التوجيد وصفا وحكما وحالاً وتحقيقه الشرع ظاهرا وباطنا، وصفه قلب فارغ، ولون غائب، ومشاهدة رب حاضر، بسريرة لاتتجاذبها الشكوك، وسر لاتنازعه الأغبار وقلب لاتفارقه البقاء بالله تعالى .

كان الشيخ عبد القادر رضى الله عنه، قدمه على التعويض والموافقة مع التبرى من الحول والقوة[٢].

طريقة الجيلانى فى التصوف تقوم على العلم والعمل، وتقويم أخلاق النفس وترويضها على الطاعة والتعويض وتعلق إرادة العبد بإرادة الله تعالى. والقيام على أوكان الشرع والأخذ بأصول الكتاب والسنة، وتفريد التوحيد لله عز وجل، والتخلق بأخلاق الشرع ظاهراً وباطناً، أى موافقة الظاهر للباطن، دون شك أو موارية، وتطهر الباطن، حتى يوافق الظاهر، وتقويم السلوك الظاهر حتى يتحلى بأخلاق الباطن الذى يكون قد تتطهر وتاب عن الذنوب والمعاصى.

---

(١) الدكتور - صابر طعيمة دراسات فى الفرق ص١١٤.

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ ص١١٠ .

إذن فطريقة الجيلانى، طريقة علمية، تقوم علي أصول من الكتاب والسنة ومما يوضح ذلك أيضا، أنه كان يقول لاصحابة ناصحا، موجها ومرشدا "إتبعوا ولاتبتدعوا وأطيعوا ولاتخالفوا، واصبروا ولاتجزعوا، واثبتوا ولاتتمزقوا، وانتظروا ولاتيأسوا. واجتمعوا على الذكر ولاتتعرضوا، وتطهروا عن الذنوب ولاتتلطخوا، وعن باب مولاكم لاتبرحوا[1] .

كذلك فإن طريقته رضى الله عنه كانت تقوم على التفويض والتسليم لأمر الله عز وجل والتسليم لقضاءه وقدره، إذا عجز الإنسان المؤمن ، أو إذا ألم به مكروه أو وقع فى بلية من البلايا ، مع الأخذ بالأسباب، وفى حالة عدم جدواها له يقول "إذا ابتلى أحدكم ببلية فليحرك أولا لها نفسه فإن لم يخلص منها فليستعن بغيره من الأمراء أو غيرهم، فإن لم يخلص فليرجع إلى ربه بالدعاء والتضرع والإنطراح بين يديه، فإن لم يجبه فليصبر حتى تنقطع عنه جميع الأسباب والحركات، ويبقى روحا فقط لايرى إلا فعل الله تعالى (الحق جل وعلا) فيصير موجودا ضرورة ويقطع بأن لافاعل فى الحقيقة إلا الله تعالى، فإذا شهد ذلك تولى أمره الله فعاش فى نعمه ولذه فوق لذة ملوك الدنيا ولاتشمئز نفسه قط من مقدور قدرة الله عليه[2] ومع تمسك الجيلانى بأصول الكتاب والسنة، فإنه يؤكد لأصحابه ضرورة الإلتزام بأركان الشريعة. والعمل بالأوامر والنواهى الشرعية لأن كل حقيقة لاتشهد لها الشريعة وتؤيدها فهي باطلة ، إذن فلابد من توافق الشريعة والحقية معاً يقول الجيلانى "لاترى لغير ربك وجودا مع لزوم الحدود وحفظ الأوامر والنواهى، فإن انخزم فيك شئ من الحدود فاعلم أنك مفتون، قد لعب الشيطان بك فارجع إلى حكم الشرع والزمه ودع عنك الهوى، لأن كل حقيقة لاتشهد لها الشريعة فهى باطلة[3] .

ومن علامات الإلتزام بالحدود والطاعات والأوامر والنواهى الشرعية، هو أداؤها من جانب العبد مع الإبتلاء الذى قد يلحق به. وهذا من علامات الإخلاص والتسليم والصبر على إحتمال البلاء فى سبيل الرضا الإلهى فعدم الجزع مع أداء الحدود والأوامر والطاعات من علامات إخلاص المؤمن القوى لله تعالى.

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى . جـ١ - ص١١١.

(٢) نفس المصدر السابق ص١١١ .

(٣) نفس المصدر السابق ص١١٢ .

وهذا مايوضحه الشيخ عبد القادر الجيلانى فى طريقته الصوفية للمريدين بقول "علامة الإبتلاء على وجه العقوبة والمقابلة عدم الصبر عند وجود البلاء والجزع والشكوى إلى الخلق وعلامة الإبتلاء تكفيرا أو تمحيصا للخطيئات وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولاجزع ولاضجر ولاثقل فى أداء الأوامر والطاعات[1].

ولاشك أن طريقة الجيلانى تقوم على أصول وقواعد عملية تمتد إلى طريقة الأوائل من صوفية أهل السنة فى القرون الأولى كذلك نجد لديه كثير من آثار طريقة الإمام الغزالى ٥٠٥/ هـ وإذا كان بعض الباحثين يجذم بأن الجيلانى قد عاش أصول طريقته الصوفيه وأخذ بتعاليمه وآرائه وإن لم يثبت لدينا إلتقائهما معا، فقد كانت وفاة الغزالى عام/٥٠٥ هـ وكان عمر الجيلانى قد بلغ حوالى خمسة وثلاثين عاما إذ ولد عام ٤٧٠ هـ[2] وبعد أن وضحنا أصول الطريقة الصوفية عند الجيلانى نود التعرف على معانى التصوف والصوفية وشروط التصوف الإسلامى المعتدل القائم على أصول من الكتاب والسنة، وأثار السلف الصالح.

٣ - المقصود بالتصوف عند الجيلانى :-

يتجه الجيلانى فى كتابيه " الفتح الربانى" و "الغنيه لطالبى الحق" إلى تعريف التصوف ودلالته عند الصوفية فيذكر "أنه ليس أخذ عند القيل والقال ولكن أخذ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات، ومن خصال الصوفية.. السخاء فقد كان لنبى الله تعالى سيدنا ابراهيم، والرضا لإسحاق والصبر لأيوب، والإشارة لزكريا، والغربة ليحيى، والتصوف لموسى، والسياحة لعيسى، والفقر لسيدنا محمد صلوات الله عليهم أجمعين [3].

ويفرق بين التصوف والصوفى، فالمتصوف هو المبتدئ الذى يبدأ زاهداً، باغضا لأمور الدنيا، فانياً عنها، والصوفى هو المنتهى أى الذى يتصف بهذا المعنى[4] ومعنى التصوف عند الجيلانى الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق ومع دعوة الجيلانى إلى التقيد بالأحكام

---

(١) نفس المصدر ص١١٢.

(٢) الدكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام ص ٢٨٣.

(٣) الدكتور مصطفى حلمى - التصوف والإتجاه السلفى . فى العصر الحديث ص٢٥ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٢٥.

الشرعية وإحترام أوامرها ونواهيها[1] فإنه يدعوا أيضاً إلى عرض الخواطر والإلهامات على الكتاب والسنة، إذ أن كل حقيقة لاتشهد لها الشريعة فهى باطلة[2].

ومن الجدير بالذكر أن الجيلانى قد لاحظ على الصوفية فى عصره أشياء أو سلوكاً لايتفق مع أصول الشرع وأركان العبادات فكان لذلك يشدد على ضرورة العمل بالشرع وحفظ حدوده لكى يعارض بذلك الأدعياء من الصوفية، والمبتدعين لأحوالهم القائلين بسقوط التكاليف، بدعوى المحبة، إذ أن طريق المحبة الحقيقى عنده هو محبة الله ورسوله ﷺ، وإتباع الرسول عليه السلام قولاً وفعلاً[3] وإذا كان التصوف عند الجيلانى الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلق، فإن من خصائصه التفويض والتسليم مع الصبر على المكاره والبلى، والإستغناء بالله تعالى[4] كذلك فإن الصوفى أو الولى لايطلع أحداً على كراماته فلا يتحدث بذلك بين الناس فإن لذلك مخاطر كثيرة "لأن من شروط الولاية إتمام الكرامات كما أن من شرط النبوة والرسالة إظهار المعجزات ليقع بذلك الفرق بين النبوة والولاية[5].

٤ -*الكرامات والموارد الإلهية:*

لم يكن الجيلانى وهو شيخ طريقة صوفية معتدله من أدعياء الكرامات، أو الغلو فى إظهارها أمام أصحابه ولكنه كان ينهى عن الخوض فى مثل هذا الأمر ويدعو إلى إخفاء الكرامات. داعياً إلى ضرورة التمييز بين الكرامة التى تأتى من الموارد الإلهية وبين الخيالات وألاعيب الشياطين إذ قد يتعرض السالك الصوفى لأمر تخيل عليه وهو من الشيطان وقد ذكر عن نفسه ذلك. وهذا يدل على مدى إخلاص الجيلانى وصدق تصوفه وإعتداله وإلتزامه بالأركان الشرعية. وفى ذلك إرشاد وموعظة لدعاة الطريقة والمبتدئين .

ويذكر المؤرخون لطريقته الصوفية أنه قد رفع له شخص إدعى أنه يرى الله عز وجل بعينى رأسه، فقال أحق مايقولون عنك، فقال الشخص. نعم! فأنهره ونهاه عن هذا القول وأخذ

---

(١) الشعرانى – الطبقات الكبرى – جـ١ – ص١١٢ .

(٢) نفس المصدر ص١١٢ .

(٣) المصدر السابق – ص١١٣ .

(٤) نفس المصدر ص١١١ .

(٥) دكتور مصطفى حلمى – التصوف وإتجاه السلفى – ص٢٧ .

عليه ألا يعود إليه، فقيل للشيخ.. أمحق هذا أم مبطل فقال الجيلانى..هذا محق ملبس عليه، وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ، ثم خرق من بصيرته الى بصره لمعه فرأى ببصيرته فقط ، هو لايدرى قال الله تعالى "مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان" سورة الرحمن. آية (١٩- ٢٠)[1] ثم يتحدث الجيلانى عما بدا له من رؤى خوضه للطريق من كرامات وهى فى حقيقتها إختبارات وخيالات من الشيطان يقول "ترائى لى نور عظيم ملء الأفق، ثم تدلى فيه صوره تناديني، ياعبد القادر أنا ربك ، وقد حللت لك المحرمات ، فقلت أخسأ فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبنى ياعبد القادر نجوت منى بعلمك بأمر ربك وفقهك فى أحوال منازلتك، وقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت لله الفضل؟ وقيل له .. كيف علمت أنه الشيطان، قال بقوله قد حللت لك المحرمات .

وسئل رضى الله عنه عن صفات الموارد الإلهية والطوارق الشيطانيه فقال "الوارد الإلهى لايأتى بإستدعاء ولايذهب بسبب، ولايأتى على نمط واحد ولافى وقت مخصوص والطارق الشيطانى بخلاف ذلك دائما[2] ونستخلص من ذلك أن الموارد والخواطر والأحوال لايجب التسليم لها دون أن تعرض على الكتاب والسنة وأركان الشريعة من أوامر ونواهى، وما هو حلال وماهو حرام .

٥-مجاهداته وأحواله :-

للصوفية مجاهدات وسياحات ، حتى تصفو نفوسهم من آثام الدنيا ، وتُجلى قلوبهم من التعلق باعراض الحياة الدنيوية الزائلة ، وحتى تتجمل نفوسهم بحلاوة الأيمان والإخلاص، والصدق والتسليم والتفويض للإرادة الإلهية.

ولقد شهدنا ذلك فى القرون الأولى عند الزهاد الأوائل أوعند صوفية أهل السنة والشيخ عبد القادر الجيلانى، كان معتدلا فى أحواله، على الرغم من شدتهاغير أنه فى أكثر الأحوال كان متمكنا من نفسه متحدثا بلسان الشريعة ظاهرا وباطنا، وعلى ذلك نجده يتحدث عن تجربته الصوفية الذوقية ومجاهداته وأحواله يقول "بقيت أياما كثيرة لم أستطعم فيها بطعام فلقينى

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - ص١٠٩.

(٢) المصدر السابق ص١٠٩ .

إنسان أعطانى صرة فيها دراهم، فأخذت منها خبزاً فجلست آكله، فإذا برقعة مكتوب فيها قال الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة، إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقى ليستعينوا بها على الطاعات أما الأقوياء فما لهم وللشهوات فتركت الأكل وانصرفت".

ويقول الجيلانى عن تجربته ومجاهداته فى بداية الدخول فى الطرقة أيضا قاسيت الأهوال فى بدايتى، فما تركت هولاً إلا ركبته، وكان لبس جبة وصوف وعلى رأسى خريقة، وكنت أمشى حافيا فى الشوك وغيره، وكنت أقتات بخرنوب الشوك وغيره ونبات البقل وورق الخس من شاطئ النهر، ولم أزل آخذا نفسى بالمجاهدات حتى طرقنى من الله تعالى الحال[1] وفى سياحته يتحدث الجيلانى فيقول "أقمت فى صحراء العراق وخرائبه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً، لاأعرف الخلق ولايعرفوني، يأتينى طوائف من رجال الغيب والجان، أعلمهم الطريق إلى الله تعالى، ورافقنى الخضر عليه السلام فى أول دخول العراق، وماكنت عرفته وشرط ألا أخالفه، وقال لى أقعد هنا فجلست فى الموضع الذى أقعدنى فيه ثلاث سنين، يأتينى كل سنة مرة ويقول لى مكانك حتي آتيك، وكنت سنة فى ضرائب المدائن آخذ نفسى بطريقة المجاهدات، فآكل المنبوذ ولا أشرب الماء وكنت فيها سنة أشرب الماء ولاأكل المنبوذ وسنة لاأكل وأشرب ولاأنام[2] وكان رضى الله عنه يرى الجلوس على بساط الملوك ومن داناهم من المعقوبات المعجلة للفقراء "يقصد بالفقراء أصحاب الطريقة من الصوفية إذ كان يستعمل هذه الكلمة بديلا للصوفية" وكان إذا جاء خليفة أو وزير يدخل الدار ثم يخرج حتى لايقوم له إعزاز للطريقة فى أعين الفقراء[3]. وقد ذكر الجيلانى بعض أحوله يقول "إنه لترد على الأثقال الكثيرة لو وضعت على الجبال لانخسفت، فإذا كثرت على الأثقال وضعت جنبى على الأرض وقلت "فإن مع العسر يسرا" ثم أرفع رأس قد انفرجت عنى تلك الأثقال. راجع سورة (الإنشراح) آية (٦) .

ثم يقول، ولم أزل آخذ نفس بالمجاهدات حتى طرقنى من الله تعالى الحال. فإذا طرقنى صرخت وهمت على وجهى سواء كنت فى صحراء أو بين الناس، كنت أتظاهر بالتخارس والجنون، وحملت إلى البيمارستان، وطرقتنى الأحوال مرة حتى مت، وجاؤا بالكفن والمغاسل وجعلونى

---

(١) نفس المصدر السابق - ص١٠٩.

(٢) نفس المصدر - ص ١١٠ .

(٣) نفس المصدر السابق- ص١٠٩ - ١١٠.

على المغتسل ليغسلونى، ثم سرى عنى وقمت"(١) ولما كانت طريقة الجيلانى الصوفية تقوم على التفويض والموافقة مع التبرى من الحول والقوة، ثم تجريد التوحيد، وتوحيد التفريد مع الحضور فى مواقف العبودية ولابشئ، فهى طريقة صوفية أهل السنة علماً وحالاً ومقاماً، لذلك فقد وصل الجيلانى إلى حالة بعد تخطى عقبات كثيرة ومجاهدات عنيفة.

٦ - *آداب السلوك في الطريق:*

إذا كانت "التوبة" هى أول مقام من مقامات السالكين فى الطريق الصوفى، حيث يجب التخلية قبل التحلية، تخلية النفس من الشرور والآثام ، قبل تحليتها للفضائل والأعمال الشريفة فعلي المريد الندم على مافات من المخالفات وترك الزلة فى الحال وعقد العزم على عدم الإرتداد إلى المعاصى..(٢) وهكذا فإن لمقامات الصوفية. وهى بمثابة سلم العروج إلى رحاب الحضرة الإلهية. آداب وهو ماذكره الجيلانى، وهذه الآداب اللازمة للسلوك فى الطريق تحتويها المقامات...

وفى ذلك يقول الجيلانى فى الخلاص من العجب "هو أن الرجل يرى الأشياء من الله تعالي، وأنه هو الذى وفقه لعمل الخير، وأخرج نفسه من البين. وهو بذلك سلم من العجب" وفى "الزهد" قال لمن سأله بأن الذباب لايقع على ثيابه فقال "أى شئ صل بالذباب عندى وأنا ماعندى شئ من بئس الدنيا ولاعسل الآخرة وقال من أراد الأخرة فعليه "بالزهد فى الدنيا ومن أراد اللهه فعليه بالزهد فى الأخرى. ومادام قلب العبد معلق بشهوة من شهوات الدنيا ، أو لذه من لذاتها مأكول أو ملبوس أو مكتوح أو ولاية أو رياسة أو تدقيق فى فن من الفنون الزائلة على الفرض، فليس هذا محباً للآخرة. وإنما راغب فى الدنيا وتابع لهواه "وسئل رضى الله عنه عن "الهيبة فقال هى أن يتعرى العبد بنفسه عن حب الدنيا وبروحه عن التعلق بالغنى وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى ويتجرد بسره عن أن يلمح الكون أو يخطر على سره وسئل رضى الله عنه عن "البكاء" فقال إبك له، وإبك منه وإبك عليه ولاحرج وسئل رضى الله عنه عن "النية" فقال "أخرجها من قلبك إلى يدك، فإنها لاتضرك وسئل رضى الله عنه عن "الشكر" فقال "حقيقة الشكر الإعتراف

---

(١) نفس المصدر - ص١٠٨ - ص١٠٩.

(٢) الدكتور أحمد محمود صبحى الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى العقليون والذوقيون فى النظر والعمل ص٢٥٨ ..

بنعمة المنعم على وجه الخضوع ومشاهدة المنة وحفظ الحرمة على وجه معرفة العجز عن الشكر وكان رضى الله عنه يقول فى هذا المقام وفضائله "الفقير الصابر مع الله تعالى أفضل من الغنى الشاكر له والفقير الشاكر أفضل منهما ، والفقير الصابر والشاكر أفضل منهم، وماخطب البلاء رما من عرف المبلى وسئل رضى الله عنه عن حسن الخلق "فقال وأن لايؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وإستظهار نفسك ومامنها معروفة بعيوبها وإستعظام الخلق ومامنهم إلى ماأوعوا من الإيمان والحكم".

وسئل رضى الله عنه عن "البقاء" فقال البقاء لايكون إلا مع اللقاء "واللقاء" يكون كلمح البصر أو هو أقرب ومن علامة أهل للقاء أن لايصحبهم فى وضعهم به شئ فان، لأنهما صنوان وكان يقول أيضاً عن "الذكر" متى ذكرت فأنت محب ومتى سمعت ذكره لك فإنك محبوب والخلق حجابك عن نفسك ونفسك حجابك عن ربك .

وما دمت ترى الخلق لاترى نفسك ومادمت ترى نفسك فلا ترى ربك .

ومن أخلاق الجيلانى مع جلاله قدره فى الدين والطريقة الصوفية أنه كان يقف مع الصغير والجارية ويغشى مجالس الفقراء، وكان لايقول قط لأحد من العظماء ولا الأعيان، ولاألم قط بباب وزير ولاسلطان وفى "الفناء" يقول إذا مت عن الخلق قيل لك يرحمك الله وإذا مت عن إرادتك ومناك قيل لك رحمك الله وأحياك، فحينئذ تحى حياة طيبة لاموت بعدها وتغنى غنى لافقر بعده وتعطى عطاء لامنع بعده، وتعلم علماً لاجهل بعده وتأمن أمناً لاتخاف بعده - أفن عن الخلق بحكم الله تعالى، وعن هواك بأمر الله تعالى.

وكان الجيلانى يقول فى "فناء الإرادة" أن إشراق الخواص بأن يشركوا إرادتهم بإرادة الحق على وجه السهو والنسيان، وغلبت الحل والدهشة فيتداركهم الله اليقظة والتذكير فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم. إذلامعصوم من هذه الإرادة إلا الملائكة كما عصم الأنبياء عليهم السلام وبقية الخلق من الجن والإنس المكلفين لم يعصموا منها غير أن الأولياء يحفظون عن الهوى والإبدال عن الإرادة وفى "التفويض" يقول رضى الله عنه أخرج عن نفسك وتنحى عنها وانعزل عن ملكك وسلم الكل إلى مولاك، وكن بوابة على باب قلبك فأدخل مايأمرك بإدخله، وأخرج مايأمرك بإخراجه، ولاتدخل الهوى قلبك فتهلك وفى "التوكل" يقول رضى الله عنه "إحذر

ولاتركن وخفف ولاتأمن، وفتش ولاتغفل"(١) ومن الجدير بالذكر أن الإمام السلفى إبن تيمية - إهتم: بالشيخ عبد القادر الجيلانى وطريقته الصوفية، ويشهد له يقدم راسخ فى أصول الطريق الصوفى المعتدل الذى يوافق تعاليم الكتاب والسنة ومذهب السلف بالإضافة إلى تمكن الجيلانى من العلوم الإسلامية كعلم الفقه والأصول والحديث.

لذلك نجده يشيد بمذهب الجيلانى فى كثير من المسائل الأصولية والفقهية(٢) ولذلك نذكر مسألتين مسألة القضاء والقدر، ومسألة الوحدانية والصفات الإلهية .

٧ - *القضاء والقــدر* : -

يقول عبد القادر الجيلاني "لابد لكل مؤمن فى سائر أحواله من ثلاثة أشياء أمر يمتثله، ونهى يجتنبه، وقدر يرضى به(٣) .

ومعنى ذلك أن الجيلانى يرى أن القضاء والقدر يعنى التسليم والتفويض لله تعالى وهذا مانستطيع أن نفهمه من خلال ماورد عن الشعراني فى ترجمة الجيلاني حيث ذكر رواية عن لسانه بقوله: اجتمع عند جماعة من الفقراء والفقهاء فى مدرسة النظامية، فتكلم عليهم "بالقضاء والقدر" فبينما هو يتكلم إذ سقط عليه حية من السقف، ففر منها كل من كان حاضرا عنده ، ولم يبقى إلا هو، فدخلت الحية تحت ثيابه، ومرت على جسده والتوت على عنقه وهو مع ذلك لايقطع كلامه فى القضاء والقدر ولاغير جلسته. ثم نزلت علي الأرض. وتحدث إليها، عندما رجع إليه الناس سألوه عما دار فى حديثه مع هذه الحية، فقال ماهى إلا دويده يحركها القضاء والقدر"(٤).

---

(١) نظرنا فى ذلك: الشعرانى- الطبقات الكبرى جـ١- ص١٠٩- ص١١٢- ص١١٣- ١١٤- كذلك الدكتور مصطفى حلمى -التصوف والإتجاه السلفى- أماكن متفرقة من صـ٢٦ ومابعدها، نقلاً عن الجيلانى - فتوح الغيب- طه الحلبى - ١٣٧٥هـ راظر جـ٢ (آداب المريدين) ص١٥٨.

(٢) لمزيد من الدراسة راجع الإمام إبن تيمية: الرسالة التدميرية - أماكن متفرقة - كذلك رسالة العبودية .

(٣) دكتور: مصطفى حلمى - التصوف والإتجاه السلفى - ص٢٨.

(٤) الشعرانى- الطبقات الكبرى جـ١ - ص١١١ .

ومع مايبدو ومن غرابة هذه الرواية فإن مغزاها يشير إلى أن الجيلانى يعنى بالقضاء والقدر التسليم والتفويض وأن كل شئ هو بالمقادير الإلهية.

ولكن ليس معنى ذلك "التواكل " أو إقتراف العبد للإثم بدعوى القدر أو أن الله تعالى قدر له ذلك وهذا مايرفضه الجيلانى نهائيا، لأنه لايتفق مع أصول العقيدة ولا يوافق الكتاب والسنة .

وهذا ماأراد توضيحه الإمام السلفى ابن تيميه يقول: "وهذا مقام عظيم فيه الغالطون، وكثر فيه الإشتباه علي السالفين حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ المنتسبين إلى التحقيق والتوحيد والعرفان، مالايحصيهم إلا اللـه الذى يعلم السر والإعلان وإلى هذا أشار الشيخ عبد القادر رحمه الله (الجيلانى) فيما ذكر عنه بأن كثيراً من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، إلا أنا إنفتحت لى فيه رزونا (وهى خرق فى الحائط كالنافذة) فنازعت أقدار الحق بالحق والرجل من يكون موفقاً للقدر، والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى أمر الله به ورسوله لكن كثيراً من الرجال غلطوا، فإنهم يشهدون مايقدر على أحدهم من المعاصى والذنوب أو مايقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون أن هذا جاء بمشيئة الله وقضائه وقدره داخل حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته، فيظنون أن الإستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك ذنباً وطريقاً وعبادة فيضاهون المشركين "ولوشاء الله ماأشركنا ولاأباؤنا ولاحرمنا من شئ" سورة الأنعام آية (١٤٨) ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن ترضى به ونصبر على موجبة فى المصائب التى تصيبنا كافقر والمرض والخوف.. (١)

ومماسبق يتضح أن نظرية الجيلانى فى القضاء والقدر لايعنى التفويض والتسليم لله تعالى فى ذلك على غير مراد الشريعة، بل ويجب مقاومة نوازع الإسم وخاصة عن الكثير من أدعياء الطرق الذين يعتقدون وقوعهم فى الإثم بموجب الأقدار. وهذا إنحراف عن الشريعة .

٨ -*الصفات الإلهية* : -

يتبع الشيخ عبد القادر الجيلانى منهج علماء السنة والسلف المقدمين فى إثبات وحدانية اللـه تعالى، خالصة وصفاته الذاتية والخبرية وصفات الأفعال، كما أثبتها سبحانه وتعالى لنفسه،

---

(١) إبن تيمية رسالة العبودية فى الإسلام - ص٩ .

وهى صفات الكمال دون تأويل قد يؤدى إلى صرف الألفاظ عن ظواهر إلى معانى مجازية تخالف هذه الظواهر، وهو منهج السلف وأئمة الفقهاء القائم على الإقرار والتفويض، إذ يثبت الله تعالى ماأثبته لنفسه، وينفى عنه تعالى وينزهه عما نفاه عن نفسه من صفات قد تلحق النقص بالله سبحانه وتعالى "ليس كمثله شئ وهو السميع البصير" سورة الشورى آية (١١) وهذا يعتبر نفى المماثلة أو المشابهة عن الله تعالى مع إثبات صفات الكمال له. ويتضح منهج الجيلانى فى علم الأصول من خلال ماورد فى كتابه"الغنية لطالبى الحق" ويذكر ذلك إمام السلف إبن تيمية فيقول:

"قال الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر إبن أبى صالح الجيلانى فى كتابه "الغنية" أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الإختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد - إلى أن قال: وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتوى على الملك محيط علمه بالأشياء قوله تعالى "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" سورة فاطر آية (١٠) وقوله تعالى "يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره آلف سنة مما تعدون" سورة السجدة آية (٥) .

ولايجوز وصفه بأنه فى كل مكان، بل يقال: فى السماء على العرش كما قال "الرحمن على العرش إستوى" سورة طه آية (٥) .

ويقول الجيلانى فى هذا المجال أيضاً وينبغى إطلاق صفة الإستواء من غير تأويل وأنه إستواء الذات على العرش، قال: وكونه على العرش مذكور فى كل كتاب أنزله على كل نبى أرسله بلا كيف، وتحدث فى سائر الصفات نحو هذا (١).

ومما لاشك أن ابن تيمية يشيد فى أكثر من موضع من مؤلفاته بهذا الصوفى السلفى الكبير (٢) .

٩ - *أثار الطريقة وفروعها* : -

وفى ذلك يذهب بعض الباحثين المستشرقين فى العصر الحديث، والذين لديهم إهتمامات بدراسة التراث الصوفى فى الإسلام "سبنرمنجهام"Trimingham spencer" أن الجيلانى من بين

---

(١) إبن تيمية الرسالة الحموية الكبرى - ص١٤٣ - ص١٤٤ .

(٢) راجع المصدر السابق ص١٤٣، أماكن متفرقة كذلك دكتور مصطفى حلمى - التصوف الإتجاه السلفى ص٣٢ ومابعدها .

مئات الشخصيات الصوفية فى تلك الفترة تمكن من تكوين هذه الطريقة التى يمكن أن تكون مفيدة ومعتدلة ومازال لها صدى حتى العصر الحديث، وفوق كل ذلك تتفق وعقيدة السلف (١).

ولقد كان لطريقة الشيخ عبد القادر الجيلانى، آثار كثيرة وفروع وتلاميذ فى مختلف البلاد الإسلامية والعربية وانتشرت مثل الطرق الأخرى إذ كانت طريقة الجيلانى الصوفيه إمتداداً لطريقة الغزالى وأمثاله كما أن طريقة الغزالى تعتبر امتداداً لطريقة المحاسبى والقشيرى، ومن ثم فقد التزم بالقرآن والسنة وعمق أفكاره الصوفية وحياته الروحية فى ضوئها، فقد أصبحت لهذه الطريقة فرعان فى مصر، الفرع الأول فى مصر، "الطريقة القادرية القاسمية، الفرع الثانى فى مصر: القادرية القارضية (٢). وتوجد لهذه الطريقه فروع أخرى فى سوريا وتركيا ومدينة "كانتكا" بكينيا. حيث أشار المستشرق "سبنسر برمنجهام" Spencer Trimingham فى كتابه عن شيوخ التصوف فى الإسلام.The Sufi arders in Islam أنه على الرغم من أن الشيخ عبد القادر أصبح شخصية صوفية من ذوى المقامات والإتجاهات المقبولة فى الأوساط الشعبية. فإنه عرف كصاحب طريقة تنتمى إلى الصوفية لكن من المقيد أن تعرف أنه قد إلتف حولها آخرين إذا أن أول المنتسبين إليها" الداوودية" (٣) فى دمشق، وذلك منذ أوائل القرن الخامس عشر الميلادى، وهي تنسب لأبى بكر إبن داود المتوفى عام/ ٨٠٦/ هـ١٤٠٣/ م وفى مصر لم تكن ذات تأثير كبير، أما فى الهند فلم تصبح ذات كيان حتى ظهر الشيخ محمد الجاويش "المتوفى عام/ ١٥١٧/ م، والذى انتسب إلى القادرية فى حوالى عام / ١٥٥٠/ م ودخلت إلى

---

(1) J , Spencer Trimingham, The Sufi orders in Islam, p. 41- .

(٢) لمزيد من الدراسة والتفاصيل راجع المصادر الآتية: -

أ - الدكتور - أبو الوفا التفتازانى - مدخل الى التصوف الإسلامى- ص٢٨٦.

ب - الدكتور أبو الوفا التفتازانى - الطريقة الصوفية - ص٧٢ (بحيث منشور عجله كلية الآداب جامعة القاهرة.

جـ - الدكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر أبان العصر العثمانى - ص٧٧ "الهامش" حيث ذكر عن السيد توفيق فى "بيت الصديق" ص٢٧٣ فرعين لهذه الطريقة هما:الفارضية والقاسمية.

(3) J, Spencer Trimingham , The Sufi orders in Islam.PP. 43, 44,172.

بلاد الحجاز ثم إلى "فيج" fuj" فيما وراء التهرين عن طريق تاج الدين البحرى البغدادى حيث أدخلها إلى الأتراك فى ميثور (Minor) بآسيا.

وثمة شخصية صوفية أخرى، أدخلت هذه الطريقة ، فى ثوب جديد إلى "استانبول" وهو اسماعيل الروى المتوفى عام/ ١٠٤١/هـ ١٦٣١/م أو عام / ١٠٥٣/ هـ، /١٦٤٣/ م، كذلك فإن بيرتانى" من الشخصيات الهامة والتى صاحبت هذه الطريقة إلى "كانتكا" فى كينيا [١].

---

(1) I bicle , p,44-

الفصل الثانى

ضياء الدين أبو النجيب السهروردى

المتوفى عام / ٥٦٣/ هـ

"الطريقة السهروردية"

١ - حياته :-

هو الشيخ أبو النجيب عبد القادر السهروردى ويلقب بضياء ونجيب الدين، ولد عام /٤٩٠/ هـ وتوفى عام /٥٦٣/ هـ وينتهى نسبه إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه كان يتطيلس ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة، وترفع الغاشية بين يديه . وقد أتعقد عليه أجماع المشايخ والعلماء، بالإحترام، وأوقع الله عز وجل له ال قبول التام فى الصدور والمهابة الوافرة فى القلوب ، وقد كانت تخرج بصحبته جماعة من الأكابر مثل الشيخ شهاب الدين السهروردى / ٦٣٢/هـ وغيره ، وقد أشتهر ذكره فى الآفاق ، وقصده الناس من كل قطر (١).

قدم الشيخ أبو النجيب السهروردى ، الي بغداد ، شابا فأقبل علي شيوخها يتلقى العلم فى مجالسهم، وقد تفقه على فقه الشافعى بالمدرسة النظامية ببغداد، ثم أشتغل بالتصوف على إمامين من أئمة الصوفية فى عصرهما: الشيخ حماد الدياس /٥٢٥/ هـ/١١٣١/م والشيخ

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١- ص١٣٠ المصادر فى هذا النسب "هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عميه- وأسمه- عبد الله- بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النظر بن القاسم بن النظر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر رضى الله عنهم - ولد بسهرورد وهى قرية من قري أقليم الجبال فى جنوب تنجان فى الطريق إلى حمزان .

راجعنا فى ذلك - ابن خلكان- وفيات الأعيان - جـ٢ - ص٣٧٣ - ٣٧٤ - تحقيق محى الدين عبد الحميد . ط مكتبة النهضه المصريه ياقوت الحمرى . معجم البلدان "سهروردى ط طهران السبكى- طبقات الشافعية الكبرى - حـ٤ - ص٢٥٦ المطبعة الحسنيه (شهاب الدين أبو حفص عمرو السهروردى البغدادى / ٦٣٢/هـ قد صحب عمه أبو البخيت.

أحمد الغزالى فى (القرن السادس) وحببت إليه الإنقطاع والغزلة فاعتزل الناس مدة خلص فيها لعبادة ربه، ثم رجع فاختلط بالناس، واشتغل بوعظهم وتذكيرهم، فاهتدى به الخلق وسلكوا طريقه[1].

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ أبو النجيب السهروردى، قد عاصر نشأة المتصوف السلفى الكبير عبد القادر الجيلانى/٥٦١/ هـ،وتلقى علومه وتصوف على أولئك الشيوخ الذين تلقى عنهم الجيلانى علومه وتعاليمه الصوفية كذلك، وهما الشيخ حماد الدياس/ ٥٢٥/هـ والشيخ أحمد الغزالى. كما ذكرنا وهذا مما يدل علي الترابط الوثيق بين الطريقتين "القادرية والسهروردية ومسلكهما وغايتهما واحدة وهى طريقة أهل السنة ، وعلماء السلف . وتذكر المصادر أيضا، أنه قد بنى له رباطا "فى الجانب الغربى من بغداد على شاطئ دجله ، فسكنه جماعة من أصحابه الصالحين ومريديه، وتدرب للتدريس فى المدرسة النظامية .. وهذا يشير إلى إمتداد طريقته وسلوكه وعلومه إلى الطريقه الغزاليه (أى أنه تأثر بمذهب وطريقة الأمام أبو حامد الغزالى/ ٥٠٥/ هـ شأنه فى ذلك شأن صوفية أهل السنة المتأخرين.

يضاف إلى ذلك، أن الشيخ أبو البخيت السهروردى كان يقوم بتدريس علوم التفسير والحديث والفقه وأصول الدين وكان شيخ الطريقة فى وقته، وكان يلقب "مفتى العراقين "وقدوة الفريقين" أجمع المشايخ والعلماء فى عصره على احترامه. ونذكر له بعض الكرامات التى شاهدها وحدث بها بعض المعاصرين والمصاحبين له، من ذلك أنه مر يوما بالسوق السلطانى ببغداد، فنظر إلى شاة مسلوخة معلقة عند الجزار فوقف عنده وقال له: إن هذه الشاة تقول لى إنها ميتة، فغشى على الجزار، ثم تاب على يدى الشيخ، وأقر بصحة قوله"[2] ويوصف بالصوفى القدوة، والواعظ العارف، والفقيه الشافعي وإمام الشافعية الولى الشهير والعارف بالله الخبير.. وله من التصانيف الوثيقه فى الشريعة والحقيقة، نذكر منها: كتاب آداب المريدين "وكتاب شرح الأسماء الحسنى" وكتاب "عزيب المصابيح" وقد سكن أبو البخيت السهروردى بغداد إلى أن مات بها سنة

---

(١) المصدر السابق وفيات الأعيان - جـ٢ ص٣٧٤ طبقات الشافعية الكبرى - ج٤- ص٢٥٦.

(٢) ابن خلكان - وفيات الأعيان :جـ٣ - ص٣٧٤ - السبكى - الطبقات الشافعيه - جـ٤ - ص٢٥٦ . الشعرانى الطبقات الكبرى ج١ - ص١٢١.

ثلاثة وستين وخمسمائه /٥٦٣/هـ ودفن بمدرسته على شاطئ دجلة وقبره بها ظاهر يزار رضى الله عنه[١] .

(٢) طريقته الصوفية :-

لقد أتبع أبوالنجيب السهروردى فى طريقته، طرق الصوفية المعتدلين فى أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، وهو امتداد لطريقة كل من الأمام الغزالى / ٥٠٥/هـ وعبد القادر الجيلانى ت عام /٥٦١/هـ فهى طريقة تقوم علي العلم، والعمل معاً، فقد كان فقيها أصوليا ملما بعلوم التفسير والحديث، محيطاً بأراء أصحاب المذاهب المختلفة، ويتضح لنا ذلك فى كتابه (آداب المريدين) إذن فطريقته الصوفية تقوم على "العلم والعمل" يجمع فيها بين علوم الشريعة والحقيقة، لذلك فهو يطلب من سالك الطريق الصوفى أن يعلم أولاً، ثم يعمل بما علم يقول فى ذلك "أعلم أرشدك الله أن كل طالب لشئ لابد له أن يعلم ماهيته وحقيقته حتى تتكامل له الرغبة فيها، لاتصح لأحد أن يسلك طريق الصوفية حتى يعلم عقائدهم وآدابهم فى ظاهرهم وباطنهم ،واصطلاحاتهم فى كلماتهم، ويفهم إطلاقاتهم فى محاوراتهم، حتى يسمح له أن يحذو حذوهم ويقفوا أثرهم فى أفعالهم وأقوالهم، فإنه من كثرة المدعين جهل حال المحققين، وفساد المفسدين الفاسدين، اليهم يعود ولايقدح فى صلاح الصالحين[٢].

ومما يؤكد أن طريقته قوامها العلم والعمل، أنه يرى "أن أول التصوف وأوسطه عمل وآخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على الطلب، والموهبة تبلغ غاية الأمل، ثم يقسم الصوفية الى ثلاث طبقات، مريد طالب، ومتوسط طائر، ومنته واصل، فالمريد صاحب وقت، والمتوسط صاحب حال، والمنتهى صاحب يقين[٣].

وعلى ذلك فإن أبا النجيب السهروردى يؤكد على أن المريد الذى يدخل الطريقة الصوفية، لابد أن يمارس المجاهدات، ويركب الأهوال حتي يصل إلى درجة المنتهى. لذلك فإن طريقته تنقسم إلى ثلاث مقامات، لابد أن يمر بها الصوفى حتى يصل إلى منتهى اليقين.

---

(١) نظرنا فى ذلك أيضا : فهيم محمد شلتوت - مقدمة تحقيق . كتاب " آداب المريدين لأبى النجيب السهروردى - ص١٠-ص١١ ط - دار الوطن العربى القاهرة بدون تاريخ .

(٢) أبو النجيب ضياء الدين السهروردى - آداب المريدين - ص١٥.

(٣) الشعرانى الطبقات الكبرى - ط ص١٢٠ - ص ١٢١.

يقول فى ذلك "فمقام المريد" المجاهدات والمكابدات وتجرع المرارات، ومجانبة الحظوط، وكل ما للنفس فيه منفعة.

ومقام المتوسط: ركوب الأهوال فى طلب المراد، ومراعاة الصدق فى الأحوال، وإستعمال الأدب فى المقامات، وهو مطالب بآداب المنازل وهو صاحب تلوين لأنه يرتقى من حال إلى حال، وهو فى الزيادة.

ومقام المنتهى: الصحو والثبات وإجابة الحق من حيث دعاة، قد جاوز المقامات.

ومقام المنتهى: الصحو والثبات وإجابة الحق من حيث دعاه وقد جاوز المقامات وهى فى محل التمكين لاتغيره الأحوال، ولاتؤثر فيه الأهوال، قد استوى فى حلل الشدة والرخاء والمنع والعطا والجفاء والوفاء، أكله كجوعه، ونومه.. كسهره، وقد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه ظاهرة مع الخلق، وباطنه مع الحق، وكل ذلك منقول من أحوال النبى ﷺ (١) أوله كان منخليا فى غار حراء، ثم صار مع الخلق، ولافراق عنده بين الخلوة والجلوة . كذلك أصحاب الصفة صاروا فى حالة التمكن أمراء ووزراء لم تؤثر فيهم المخالطة (٢).

٣- *الأصول الإعتقادية* :-

لاشد أن الأصول الإعتقادية عند أبى النجيب السهروردى، تتفق تماماً مع مذهب أهل السنة وأئمة السلف، دون تأويل وأخص خواصه - التسليم والتفويض - مع الإقرار والأخذ بظواهر الشريعة والقيام بأركان العبادات.

وفى ذلك يذهب أبو النجيب السهروردى الى الإقرار بعقائد السلف يقول أن الصوفية أجمعوا على أن الله تعالى واحد لاشريك له، ولاشبيه له، موصوف بما وصف به نفسه، مسمى بماسمى به نفسه، ليس بحس، ولاهو بجوهر، ولاهو بعرض، لاتدركه الأبصار، كل شئ عنده بمقدار، لايقال كونه بل يقال وجوده.. والصوفيه.. أجمعوا على إثبات ماذكره الله تعالى فى كتابه وصح عن النبى ﷺ فى أخباره .. فى سائر الصفات، دون تأويل أو تحريف .. فإن سألت عن ذاتـه، فإن الله تعالى ليس كمثله شئ، وإن سألت عن صفات فهو أحد صمد.. قل هو الله

---

(١) المصدر السابق - جـ١- ص١٢١.

(٢) أبو البخيت السهروردى - آداب المريدين - ص٣٦. ص٣٧.

أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد" سورة الإخلاص. الآيات من (١-٥) وإن سألت عن أسمه تعالى : فهو الله الذى لاإله إله هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم.

وإن سألت عن فعله: فكل يوم هو فى شأن .

وإن سألت عن الإستواء... فقولهم ماقاله مالك بن أنس ت عام/ ١٧٩/ هـ.

حيث قال "الإستواء معلوم، والكيف مجهول "غير معقول" والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، كذلك مذهبهم فى النزول .

والقرآن كلام الله تعالى، وأنه غير مخلوق .. كما ورد فى السنة، وأجمع "الصوفية على جواز رؤية الله تعالى فى الجنة بالأبصار وإنما تقى الإدراك بالأبصار، لأن ذلك يوجب كيفية وإحاطة، وليست كذلك الرؤية، والرسولﷺ شبه النظر بالنظر لاالمنظور إليه، وفى قوله عليه السلام "إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته" (١) .

كذلك يجمعون على الإيمان والإقرار، بجملة ماذكره الله تعالى فى كتابه. وجاءت به الروايات عن النبى ﷺ ... من الجنة، والنار، والبعث، والموت، والقلم، واللوح، والملائكة، والقضاء والقدر. والشفاعة ......إلخ .

والله تعالى خالق لأفعال العباد، كما أنه خالق لأعيانهم والخلق جميعاً يموتون بآجالهم، وأن الشر والمعاصى كلها بقضاء وقدر من غير أن يكون لأحد على الله حجة .

وأن الله تعالى لايرضى لعباده الكفر ،المعاصى، والرضى غير الإرادة .. والصوفية يرون الصلاة، خلف كل بار وفاجر، ولايشهدون لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به، ولايشهدون عليه بالنار لكبيرة أتى بها .

ويرون الخلافة فى قريش، ولايرون الخروج على الولاة وإن كانوا ظلمة ..إلخ.

أجمعوا أيضاً على أن أفضل البشر من بعد النبى ﷺ الخلفاء الأربعة، ثم العلماء والعاملون ثم أنفعهم للناس كذلك نفضل الرسل على الملائكة،كذلك أجمعوا على أن كمال الإيمان: الإقرار باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، ومن ترك العمل فهو فاسق ومن ترك

---

(١) حديث صحيح ورد فى البخارى - الصحيح - "الرؤية" كذلك الجامع الصغير للسيوطى من حديث أحمد فى مسنده عن عمر بن الخطاب ط - ص١٠١ .

الإتباع فهو مبتدع، وإن الناس يتفاضلون فى الإيمان، وإن المعرفة بالقلب لاتنفع مالم يتكلم بكلمى الشهادة وإلا يكون له عذر يثبت بالشرع، كذلك أجمعت الصوفية "وهو مايمثل عقيدة أبو النجيب السهوردى ومن سار على طريقته، وطرق صوفية أهل السنة .. على إباحة والتجارات على سبيل التعاون على البر والقوى ..

كذلك يرون جواز الإستثناء فى الإيمان (أى أنه يتبع الأفراد بالإيمان بقوله: إن شاء الله (فيقول أنا مؤمن إن شاء الله). وذلك من غير شك على سبيل التأكيد والمتابعة، لأن الأمر مغيب ..(١)

هذه عقيدة طوائف الصوفية فى مدرسة أبى النجيب السهروردى .

٤ - *مقامات الطريق وآدابه:* -

يوضح ضياء الدين أبو نجيب السهروردى مقامات الطريق. وهى معارج روحية ومجاهدات نفسية، ورياضات أخلاقية، تصل بالصوفى المخلص إلى الله تعالى بأحوال وجدانية وأزواق ذاتية يشعر بحلاوتها وروحانيتها من خاض هذه التجربة بإخلاص وصدق وإيمان عميق بالكتاب والسنة،

ولاشك أن مقامات الصوفية وعلومهم مستمدة من أصول الكتاب والسنة وأقوال السلف وأفعالهم، ودون تأويل أو تحريف ..

ولذلك يقول أبو النجيب السهروردى "وأما فروع الدين وأحكامه فقد أجمعوا على وجوب تعلم مالا يسع جهله من أحكام الشريعة، ومايحلل ويحرم ليكون العمل موافقاً للعلم .. فقد قيل إذا تجرد العلم من العمل كان عقيماً، وإذا خلا العمل من العلم كان سقيماً، قال الرسول ﷺ "طلب العلم فريضة على كل مسلم"(٢) واختاروا من المذاهب، منهب السلف فقهاء وأصحاب الحديث ولاينكرون الإختلاف بين العلماء .

وبعد هذه المقدمة .. يقول أبو النجيب .."أن الصوفية تكلموا فى علوم المعاملات، وغيوب الحركات والسكنات، وشريف المقامات وذلك مثل "التوبة، الزهد، والورع، والصبر،

---

(١) المصدر السابق - ص١٥ - ص١٦- ص١٧ - ص١٨ - ص١٩ - ص٢٠ .

(٢) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "طلب العلم فريضة على كل مسلم سنن ابن ماجة - جـ١ - ص٨١ - راجع البخارى الصحيح "باب العلم" .

والتوكل والمحبة، والرجاء، والمشاهدة، والطمأنينـة. واليقين، والقناعة، والصدق، والإخلاص، والشكر، والذكر، والفكر، والمراقبة والإعتبار، والتعظيم، والإجلال والتبرم، والحياء، والجمع والفرق، والفناء، والبقاء، ومعرفة النفس ومجاهداتها ورياضاتها ودقائق الرياء، والشهوة الخفية، والشرك الخفى، وكيفية الخلاص منها، وللصوفية مستنبطات من علوم مشكله على الفقهاء، وذلك مثل العوارض، والعوائق، وحقائق الأذكار، وتجريد التوحيد، ومنازل التفريد، وخيالات السر، وتلاشى المحدث إذا قويل بالقديم، وغيوب الأحوال، وجمع المتفرقات، والإعراض عن الأغراض، ويترك الإعتراض [(1)] .

والمقام عند أبى النحيب، كما هو عند الصوفية "مقام المقيدين بين يدى الله تعالى فى عباداته، قال الله تعالى "ومامنا إلا له مقام معلوم" سورة الصافات آية (١٦٤). وأولها: الإنتباه وخروج العبد من حد الغفلة، ثم التوبة، وهو الرجوع إلى الله تعالى من بعد الذهاب مع دوام الندامة وكثرة الإستغفار، ثم الإنابة: وهى الرجوع من الغفلة إلى الذكر. ثم الورع وهو ترك ماأشبه عليه، ثم محاسبة النفس وهى تفقد زيادتها من نقصانها ومالها وماعليها، ثم الإرادة: وهى إستدامة الكد وترك الراحة ثم الفقر: وهو عدم الإمتلاك وتخليت القلب مماخلت عنه اليد، ثم الصدق: وهو إستواء الصدق والعلن، ثم التبصير، وهو يحمل النفس على المكاره، وتجرع المرارات، وهو آخر مقامات المريدين .

ثم الصبـر: وهو ترك الشكوى .

ثم الرضى: وهو التلذذ بالبلوى .

ثم الإخلاص: وهو إخراج الخلق من معاملة الحق،

ثم التوكل على الله، وهو الإعتماد عليه بإزالة الطمع عما سواه [(2)]. ولما كانت الأحوال تتبع المقامات.. فإن هذه الأحوال فيما يرى أبو النحيب السهروردى هى: معاملات القلوب، وهى مايحل بها صفاء الأذكار .

---

(١) أبو النجيب السهروردى - آداب المريدين - ص٣٢ - ص٣٤ - ص٣٥ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٤٤ .

ومن هذه الأحوال: المراقبة: وهى النظر بصفاء اليقين إلى المغيبات والقرب: وهو جمع الهمم بين يدى الله تعالى بالغيبة عماسواه والمحبة: وهى الموافقة موافقة المحبوب فى محبوبه ومكروهه والرجاء: وهو تصديق الحق فيما ورد .

والخوف: وهو مطالعة القلوب بسطوات الله تعالى ونقمائه .

والحياء: وهو حفظ القلب عن الإنبساط .

والشوق: وهو هيمان القلب عند ذكر المحبوب. ثم حال الأنس: وهو السكون إلى الله تعالى أو الإستعانة به فى جميع الأمور .

الطمأنينة : وهى السكون تحت مجارى الأقدار .

المشاهدة : وهى فصل بين رؤية اليقين، ورؤية العيان كما قال النبى ﷺ: أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1] وهو آخر الأحوال - ثم تكون فواتح ولوائح ومنائح تجفوا العبارة عنها "وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها" سورة إبراهيم آية (٣٤) [2].

ومن جملة آداب أصحاب الطريقة عند أبى النجيب السهروردى: فى المحاورات: وهو أن يكون ذلك الهدف منه النصح والإرشاد وطلب النجاه، ومايعود نفعه على الكل ولا يكلم الناس إلا على قدر عقولهم.

آدابهم فى حال البدايه : أن يسلم فقه الشيخ من أهل زمانه ويؤتمن علي دينه، معروف بالنصح والإرشاد والأمانه، عارف بالطريقة، ويعتقد الصوفى ترك مخالفته، ويكون الصدق حالته، يلزم الشيخ تعريف المريد سالك الطريق، كيف الرجوع إلى سيده، ويدله على الطريق، ويسهل علي السالك طريقة آدابهم فى صحبة بعضهم بعضا: حفظ حرمات المشايخ - وحسن العشرة مع الأخوان، النصيحة للأصاغر، وترك صحبة من ليس فى طبقتهم، وملازمة الإيثار، ومجانية الإدخار والمعاونه فى أمر الدين والدنيا.

ومن آدابهم : لايصحب أحدهم من يخالفه فى مذهبه وإن كان قريبامنه، أن يصحب من يثق فى دينه وأمانته ومذهبه وورعه فى ظاهره وباطنه .

---

(١) أورده التاج - جـ١ - ص٢٤ - ٢٥ - فى كتاب الإسلام والإيمان ضمن حديث طويل برواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٢) أبو النجيب السهروردى - أداب المريدين - ص٤٤ - ص٤٥ .

ومن آدابهم : صبحة الإخوان، وخدمتهم، ورفع الأذى عنهم، واحتمال الأذى، وترك الإنكار إلا فيما يخالف الشرع، ويعرف لكل واحد قدره ومرتبته.. والتوقير من آدابهم: الصحيحة مع الجهال بجميل الصبر، وحسن الخلق، والمداواة والإحتمال، والصحبة مع الأهل والولد بحسن الشفقه عليهم، ومداواتهم، وتأديبهم، وحثهم على الطاعة إلا فى معصية الله تعالى، أو مخالفة سنه.

ثم الدعاء له، والإمساك عما فيه من قدح، أما الدخول علي السلطان، فإن كان عادلاً فهو من السبعة الذين يظلهم الله بظله، ومن كان من الظالمين فالبعد عنه واجب إلا لمضطر إليه، أو لنا صح ومنكر عليه.

قال بعض مشايخ الصوفية "من شارك السلطان فى عز الدنيا، شاركه فى ذل الدنيا".

ومن آدابهم فى الأسفار : ترك تدبيز الزاد، وتقد ير الطريق ويعلم أن الله تعالى حافظه، وأفضل السفر . الجهاد ثم الحج، ثم زيارة قبر النبى ﷺ ثم لطلب العلم ثم لزيارة المشايخ، الإخوان، ثم لرد الظلم، ثيم لطلب الإثار والإعتبار، ثم الرياضة النفس، ولايسافر للنزهة ...ألخ.

ومن آدابهم فى اليأس: اليأس عمايجدون دون تكلف ولااختيار، وتقتصر على مايؤدى الفرائض من ستر العروق ومايدفع القر والحر. ويجتهدون النظافة فى الأكل: ترك الأهتمام بالرزق، وقلة الإشتغال بطلبه وجمعه وإدخاره. ولايعيب طعاما ولا يمدحه فى النوم : أن يكون النوم على طهارة والإضطجاع على الشق الأيمن ويقول "بإسمك اللهم وضعت جانبى، وبإسمك أرفعه، اللهم أن تمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فأحنفظها بما تحفظ بها عبادك الصالحين، اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك" (١).

هذه هى أصول الطريقة الصوفية العملية عند أبى النجيب السهروردى، وآدابها.

---

(١) لمزيد من التفاصيل - المصدر السابق- ص٤٥، ص٤٨، ص٥٢، ص٥٩، ص٦٢، ص٨٤، ص٩٠، ص٩٣، ص٩٨، ص١٠٠ ومابعدها.

٥ - فروع هذه الطريقة وتأثيرها: -

كان لطريقة أبى النجيب السهروردى /٥٦٣/ هـ تأثير عميق فى تأسيس الطريقة "السهروردية" الصوفية بقيادة إبن أخيه شهاب الدين أبوحفص عمرو السهروردى /٦٣٢/هـ[١]، وصاحب كتاب "عوارف المعارف" الذى ينشر دائما بهامش كتاب إحياء علوم الدين للغزالى.

وقد تحدث الشعرانى ت عام / ٩٧٣/ هـ عن تلك الصلة الوثيقة بين أبى النجيب ضياء الدين السهروردى / ٥٦٣/ هـ وبين بن أخيه شهاب الدين أبوحفص عمرو بن محمد السهروردى المتوفى عام /٦٣٢/ هـ . فيقول "وقد تخرج بصحبته (أى بصحبة أبى النجيب السهروردى) جماعة من الأكابر مثل الشيخ شهاب الدين السهـروردى (وهوأبوحفص عمر السهـروردى) إبن أخيه ، وكذلك الشيـخ عبد الله بن الرومى/ وغيرهما[٢] وقد كان أبوحفص السهروردى- مقتديا بمذهب أهل السنة وعلماء السلف فى إتجاهه وطريقته الصوفية، وكانت لديه عنايه بالنفس وبالرياضيات الروحية والمجاهدات التعليمية الصوفية[٣] إذ نشأ فى بيئة صوفيه مقيدة بالكتاب والسنة وآثار أئمة السلف، فقد ولد عام/٥٣٩/ هـ وتوفى ببغداد عام /٦٣٢/هـ وقد تولاه عمه أبو النجيب بالرعاية الروحية والتربية الأخلاقية فأخذ عنه المواعظ والحديث والفقه الشافعى، وكان شيخاً ورعاً كثير الإجتهاد فى العبادات والرياضة، وأنتهت اليه تربية المريدين وتسليك العباد ومشيخة الطريق، وتخرج على يديه كثير من الصوفيه فى المجاهدات والخلوه، إذ كان شيخ المشايخ ببغداد، إلى جانب ماكان له من مشيخة طريقته الصوفية التى تنتسب إليه وتعرف باسم "الطريقة السهرورديه"[٤].

وتعتبر طريقته السنية ، امتداد للطريقة القادرية الجيلانية، وكلا الطريقتين يعتبران إمتداد أخر لطريقة الإمام أبو حامد الغزالى/٥٠٥/هـ فى التربية العملية والأخلاقية، ومجاهدة النفس، والرياضة الروحية .

---

(١) هذه الشخصية الصوفية تختلف عن شخصية صوفية أخرى عرفت بإسم السهروردى (هو شهاب الدين يحيى بن حبش أميرك السهروردى المقتول عام / ٥٨٧/ هـ وهو صاحب المذهب الإشراقى فى التصوف .

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ - ص١٢٠.

(٣) الدكتور أبو الوفا التفتازانى - مدخل الى التصوف . ص٢٩٠.

(٤) ابن خلقان - وفيات الأعيان - جـ٢ - ص١١٩.

وجدير بالذكر أن المؤرخين والباحثين فى التصوف ، قد أهتموا إهتماماً بالغاً بهذه الطريقة الصوفية، ويتبع أثارها العلمية والعملية عن أبى النجيب وإبن أخيه أبوحفص. كذلك فقد صوره إبن النجار/ على وجه تتمثل فيه العناصر العملية والروحية والعملية، التى تألفت منها حياة السهروردى قال عنه "كان شيخ وقته فى علم الحقيقة، وأنتهت إليه الرئاسة فى تربية المريديـن، ودعـاء الخلق إلى اللـه تعالى، وتسليك طرق العبادة والزهد، وصحب عمه الشيـخ أبو النجيب عبد القاهر وسلك طريق الرياضيات، المجاهدات، وقرأ الفقه والخلاف والعربيه، وسمع الحديث، ثم إنقطع ولازم الخلوة ودوام الصوم والذكر والعبادة، ثم تكلم على الناس عند علو سنه، وعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على نهر دجلة" (١) .

ومن الجدير بالذكر، أن السهروردى قد أتصل "بابن الفارض" سلطان العاشقين عمر بن الفارض عام ٦٣٢/ هـ وأتصل كل منهما بالأخر إتصال الأشخاص من ناحية ، وتحدث كل منهما إلى الأخر حديث القلوب البس السهروردى ولدى ابن الفارض، خرقة الصوفية على طريقته السهرورديه، وذلك فى قصة رواها سبط ابن الفارض(٢) ولعل الصلة التى كانت تربط بين طريقة أبوحفص السهروردى وطريقة عمر بن الفارض المحبة الإلهية والحب الإلهي، إذ قد نشأ كل منهما فى عصر واحد، وتقابلا فى أداء فريضة الحج فى أخر حجة (فى سنة ثمان وعشرين وستمائه)(٣) .

كان للسهروردى مكانة علمية وعملية فى التصوف قوامها مؤلفاته، وطريقته ومجالس وعظه ويصطنع فى التعبير عن الحب الإلهى الرمز الخمرى تارة، والرمز الغزالى تارة أخرى(٤) وإذا كان لأبى حفص عمرو السهـروردى مجموعـة مـن المؤلفات(٥) الهامة فى مجال التصـوف

---

(١) السبكى - طبقات - الشافعية - جـ٥ - ص١٣٤ ومابعدها.

(٢) الدكتور - محمد مصطفى حلمى - ابن الفارض - والحب الإلهى - ص٧٠ - ص٧١ - ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر -١٩٦٣م

(٣) المصدر السابق - ص٧٠.

(٤) نفس المصدر السابق . ص٧١ - ص٧٢.

(٥) يذكر الدكتور عبد القادر محمود ابن لأبى حفص عمر السهروردى مؤلف فى كشف فضائح الفلسفة اليونانية" راجع الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٢٨٥.

وأصول الدين، غير أن أهم مانعرفه من مؤلفاته كتاب "عوارف المعارف" إذ تناول خلاله دراسة القوى الإنسانية، والأحوال والمقامات.. وقد حاول شرح الفرق بين المقام والحال، فالمقام ثابت، وهو مكتسب بعمل العبد، أما الحال فهو متغير، وإذا صار مقاما، فهو هبه من عند الله للعبد، وأشار إلى أن بعض الصوفية لم ينفقوا على الفرق بين الحال والمقام، فقد يعتبر بعضهم الحال مقاماً والمقام حالاً، وإن كان هذا يرجع إلى درجات الفرد وأحواله وماوصل إليه فى مجاهداته، وقد أهتم أبو حفص فى عوارف المعارف بأحوال الحب والشوق والأنس والفيض والبسط والقرب والبعد والإجتماع والأنفصال والبقاء والفناء كذلك اهتم بشرح أحوال الصوفية ومقاماتهم مثل مقام الزهد، والصبر والخوف والرجاء والتوكل والتواضع، ويعتبر هذا الكتاب من أفضل المؤلفات تأثيراً أو أعمقها أثراً فى الأوساط الصوفية السنيه فى العصور المتأخرة، إذ يعتبر إمتداداً لمدرسة الغزالى الصوفيه والجيلانية وعمه أبو النجيب السهروردى وقد شغل معظم مؤلفاته بذكر آداب الصوفيه ، والإستنباط من أصول الكتاب والسنة، ويستند فى كل أمر إلى أحاديث الرسول ﷺ وسيرة السلف الصالح (١).

وعلى ذلك، فإن الطريقة الصوفية التى بدأ أبو النجيب السهروردى وضع أصولها وأثمرت فى تكوين طريقة صوفية عر فت بإسم الطريقة السهرورديه حيث تولاها أبن أخيه أبو حفص عمرو السهروردى بعد عمه الشيخ أبو النجيب، حيث صار على طريقته وقد إهتم المستشرقون بهذه الطريقة وعناصرها وإنتشارها فى العصور التالية.

إذ يذهب : سبنسر ترمنجهام "أن السهروردى (أبوحفص عمر) قد تأثر فى حياته الروحية (بالإضافة إلى عمه) بالقادرية والرفاعية الصوفية. واستطاع تكوين مدرسة صوفية لها مريدين أتبعوا آرائه وتعاليمه الصوفية. واستطاع نقلها إلى أجزاء من العالم الإسلامى، كما كان لإبنه عماد الدين / ٦٥٥ هـ /١٢٥٧م قائما بمناقشة تعاليمه الصوفية فى رباط المأمونيه فى بغداد.

---

(١) لمزيد من الدراسة السهروردى (أبوحفص عمرو). عوارف المعارف - جـ ١ إحياء علوم الدين للغزالى - الهامش - ص ٢٩٦، ٢٩٧ - جـ٢ - ص٣٥٣ - أماكن أخرى جـ٣ فى ذكر الأدب وكأنه من التصوف ص.١١، ١٢٣ ومابعدها من آدب الصوفية فى أمور حياتهم - جـ٤ - ص٣٣٥. شرح الحال فى المقام والفرق بينهما - ص ٣٦٨ المقامات وشرحها ص ٣٨٣ ذكر الأحوال وشرحها ومابعد ذلك.

وقد كتب عن طريقته الشيخ عبد الرحمن الواسطى /١٣٢٥م/ أن طريقة السهروردى كانت أكثر انتشاراً وتقريعا من الطرق الصوفية الأخرى، وإن كان من الصعوبة معرفة أنواعها، فكثير من الصوفية ينتسبون اليها، ومن الجدير بالذكر أن السهروردى فى طريقته حافظ علي مذاهب السلف، والتزام به ولعل من بين الصوفيه الذين أنتسبوا لهذه الطريقة أيضا الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد القسطلاتى/ ولد عام ٦١٤هـ/ ١٢١٨م/ المتوفى عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٦م/ [١].

ويعتبر شيخ الإسلام فى عصره عز الدين بن عبد السلام المتوفى عام/٦٦١/هـ تلميذاً مباشر لأبى حفص السهروردى، وتابعا للطريقة السهروردية فى مصر فى هذه العصور المتأخرة[٢] كانت شخصيته القويه من أهم الشخصيات الصوفية والعملية فى مدرسة الإمام الغزالى، وكذلك كان تابعاً لأبى الحسن الشاذلى /٦٥٦هـ/[٣] مما يدل على أن الصوفى فى هذه العصور كان بإمكانه أن يجمع بين أكثر من طريقة صوفية .

---

(1) J, spencer trimingham, Ih sufi orders in Islam,

(٢) الدكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية - ص٢٨٦ .

(٣) نظرنا فى ذلك - العز بن عبد السلام - بين الحقيقة والشريعة (حل الرموز ومفاتيح الكنوز) - ص٨ منازل القربات، ص١٤ رابطة الحب بين الصدوريه - ط المكتب الفنى للنشر عام ١٩٦١م .

الفصل الثالث

أحمد بن أبى الحسين الرفاعى

المتوفى عام /٥٧٨هـ /١١٨٣م /

"الطريقة الرفاعية وفروعها"

تمهيـــــد:-

تتابعت طريقة التصوف السنى عند إمام من أئمة التصوف الإسلامى فى القرن السادس الهجرى، أحمد بن أبى الحسين الرفاعى /٥٧٠/هـ أو ٥٧٨/هـ إذ يقع فى مفترق الطريق بين تيار التصوف الفلسفى وتيار التصوف السنى العملى القائم على الكتاب والسنه فقد عاصر الأمام الرفاعى أعتى تيارات التصوف الفلسفى، بعناصره ونظرياته الإشراقية عند شهاب الدين السهروردى المقتول عام ٥٨٧/هـ وأرباب نظريات الحلول والإتحاد، وآثارها الحلاجيه عند العطار[(١)] صاحب كتاب منطق الطير الذى بث فيه معظم آرائه الحلوليه الإتحاديه، والسنائى الغزنوى /٥٤٥/ هـ ، وعبد الله الشهرزورى المرتضى ت عام /٥١١/ هـ الذى عايش القرن السادس، وإن كان الرفاعى قد ولد بعد هذا العام الذى توفى فيه الشهرزورى، ولكن نظرياته وملامحه البسطاميه، والحلاجيه قد انسابت فى شعره الرمزى المعبر عن الأصول بالإصطلاء بالنار[(١)] ومثل هذه الأراء والإشارات الرمزية عشعشت وفرخت وأثرت فى كثير من الصوفية فى القرن السادس والسابع الهجرين، وتلك الفترة التى عايشها الإمام الرفاعى ولكن يبدو أنه على الرغم من سلامة الطريقة العمليه الصوفية عند أحمد بن أبى الحسين الرفاعى، وأدراكه العميـق لمذهب أئمة الصوفيه المتقدمين وطرقهـم، وتمسكه بالشريعـة، والحقيقة فإننا قد نلاحـظ

---

(١) هو أبوحامد بن محمد بن إبراهيم المعروف بفريد الدين العطار ت عام ٥٨٦/ هـ ، صدرت عنه عبارات حلوليه اتحاديه قوله أقول لك السر ، أعلم ياأخى أن النقش هو النقاش ، أنا الحق ، أنا الله " دكتور عبد القادر محمود – الفلسفة الصوفية فى الإسلام – ص٣٩٨.

(٢) نفس المصدر السابق – ص ٣٩٧.

بعض الشذرات الفلسفية، فى آرائه، وأحزابه، فضلاً عن شعره الذى يغوص فى بحار من الرموز والإشارات.

كما نجد فى "راتب التحفة" فيما ورد عن الرفاعي من أحزاب وأوراد وأدعية، وأن جاز لنا أن نطلق عليها ذلك، فإنه يجتهد ويغوص فى أعماق، النصوص القرآنية، وفواتح السور القرآنية، وحروفها لاستنباط، ماعرف بين أوساط الصوفيه "بالحقيقة المحمدية" أو النور المحمدى" أو ماعرف عند فلاسفة الصوفية المتأخرين "بالإنسان الكامل"الصورة الكاملة للوجود الإلهى المنجلى فى الكون، بصفاته وأنواره، الجامع لصفات الكمال، فى إنسان هذا الكون الوجودى ونحن لانجزم ولاترتضى للإمام أحمد بن أبى الحسين الرفاعى، أن يكون متأثرا بالتراث الفلسفى أو بالنظريات والأراء الحلولية والإتحادية أو الإشراقية التى كانت تموج بها تيارات التصوف النظرى فى عصره أو قبل عصره، حيث أن السمة الغالية على تصوفه الطابع السنى المعتدل[1] ولكن الأمانة العلميه تقتضى كشف الحقائق، وتحليل الآراء حتى تجلوها خالصة ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين فى الأدب الصوفى فى العصر الحديث أعتقد أن التصوف فى العراق فى هذه الفترة (أى القرن السادس الهجرى)، يختلف عن حال وواقع التصوف فى مصر والشام، إذ أن التصوف العراقى كان يقوم من الناحية النظرية على القول "بوحدة الوجود" كما يبدو ذلك واضحا، فى أقوال وأشعار السيد أحمد الرفاعى"[2] ولكن هذا الرأى، وهذا الإعتقاد من جانب هذا الباحث المعاصر[3] غير صحيح حيث أن نظرية وحدة الوجود" لم تظهر بين أوساط فلاسفة الصوفية إلا فيما بعد القرن السادس، عن طريق الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى/٦٣٨/هـ. ثم شاعت بعد ذلك بين تلامذته فأشبعوها دراسة وبحثاً وتأصيلاً فى الفكر الصوفى المتأخر، مثل هذه الفكرة، لم تظهر بصورة جليلة وواضحة عند متصوفة العراق، أو بغداد، والبصرة والكوفة، وغيرها من بلاد الشرق. ولكن ربما كان لنظريتى الحلول والإتحاد

---

(١) يتفق معنا فى هذا الرأى - الدكتور إبراهيم بيومى مدكور - كتابه فى الفلسفة الإسلامية جـ١، جـ٢ - ص٧٠ كذلك دكتور عبد القادر محمود الفلسفة الصوفية - ص٢٨٦.

(٢) الدكتور: على صافى حسين - الأدب الصوفى فى مصر "ابن الصباغ الغوصى - ص١٠٥ط - دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

(٣) وهو الدكتور - على صافى حسين - المصدر السابق - ص١٠٤- ص١٠٥.

الصوفيين، تأثيره الجارف بين أوساط الصوفية فى بلاد الشرق، إذ أن منابع هذه الأفكار وأصولها مستمدة من أصول ومصادر غنوصية فارسية وهندية، ويونانية (أفلاطونية محدثة) بالإضافة إلى التأثير المسيحى الحلولى الإتحادى. وقد شاهدنا ذلك عند كل من البسطامى/ ٢٦٢/ هـ وعند الحسين منصور الحلاج المقتول عام/٣٠٩/ هـ ومدرستيهما فى القرنين الخامس والسادس الهجريين .

ولاشك أن واقع التصوف (فى هذه الفترة) والعوامل التى يقوم على أساسها من الناحية العملية، لم يختلف بعضه عن البعض فى البلاد الإسلامية سواء فى مصر، أو الشام أو العراق أو غير ذلك، ولذلك وجدنا إلتقاء بين أصول الطرق الصوفية فى مصر أو فى العراق وبغداد أو بلاد الشام، ولذلك كان لمثل هذه الطرق الصوفية العملية القائمة على المجاهدات والرياضات الروحية، إنتشاراً واسعاً فى معظم البلاد الإسلامية والعربية، ومن الجدير بالذكر أن طريقة الإمام الرفاعى الصوفية، وربما يرجع الفضل فى إنتشار هذه الطرق السنية العملية فى مصر، إلى الشيخ أبى الفتح الواسطى الذى أقام بالأسكندرية، والمتوفى عام/ ٦٣٢/هـ[1].

٢ - حياتـــه : -

هو الشيخ أحمد بن أبى الحسين الرفاعى ولد عام / ٥١٢/ هـ وينسب إلى رفاعة، قبيلة من العرب، وسكن بأرض البطائح إلى أن مات بها عام /٥٧٠/ هـ أو عام /٥٧٨/هـ[2] وكانت إنتهت إليه الرياسة فى علوم الطريق، وشرح أحوال القوم، وكشف مشكلات منازلهم، وبه عرف بتربية المريدين بالبطائح، وتخرج بصحبته جماعة كثيرة، وتتلمذ له خلائق لايحصون، ورثاه المشايخ والعلماء، وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسراره وكان له كلام عال على لسان

(١) الدكتور - أبو الوفا التفتازانى - مدخل إلى الصوف - ص٢٨٩ - كذلك الدكتور - مقدار بالجين - فلسفة الحياة الروحية "نشأة التصوف والطرق الصوفية" - ص١١٤ .

(٢) جاء فى كتابه (الوصايا) أن الوصية الخامسة كانت عام ثمان وسبعين وخمسمائة/ ٥٧٨/ هـ قبل وفاته بأيام قلائل، ويقال أنه آخر مجالسه المباركة (أى أن وفاته عام/ ٥٧٨/ هـ كذلك بقوله فى (الوصية الثانية) من عبد الله الفقير إلى الله أحمد بن أبى الحسن على الرفاعى الحسينى، إلى سبطه وولده أبى إسحاق إبراهيم الأعزب فتح الله له (باب القول والتوفيق ...إلخ) نظرنا: الإمام الرفاعى - والوصايا - صلاح عزام - ط دار التراث العربى القاهرة - ١٩٨٤م .

أهل الحقائق، وهو الذى سئل عن وصف الرجل المتمكن فقال "هو الذى لو نصب له سنان على أعلى شاهق جبل فى الأرض وهبت الرياح الثمان ماغيرته، وكان يقود فى الزهد.. وهو أساس الطريق "أساس الأحوال المرضية والمراتب السنية". وهو أول القاصدين إلى الله عز وجل، والمنقطعين إلى الله تعالى، والراضين عن الله والمتوكلين على الله، فمن لم يحكم أساسه فى الزهد، لم يصلح له شئ وكان رضى الله عنه يقول "الفقراء أشرف الناس، لأن الفقر لباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المقين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين، ورضا رب العالمين، وكرامة لأهل ولايته(١) .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الطريقة الرفاعية "والتى تنسب إلى أبى العباس أحمد بن الحسن الرفاعى وقد إنتشرت على نطاق واسع فى مختلف البلاد، ولاتزال منتشرة حتى الآن، وقد نشرها بمصر كما ذكرنا فيما سبق أبو الفتح الواسطى، الذى أقام بالأسكندرية وتوفى فيها عام/ ٦٣٢/ هـ(٢) .

وقد ذكر بن خلكان ت عام/ ٦٨١/ هـ فى حوالى عام/٦٥٤/ هـ ١٢٩٦/م أن أبا العباس أحمد أبى الحسن على. وقد عرف بالرفاعى كان رجلاً ولياً، فقيهاً، صاحب مدرسة صوفية من أصل عربى حيث نشأ بالبطائح بقرية أم عبيدة، ومعظم الفقراء ينتسبون إليه(٣)، تذكر المصادر فى إمتداد طريقته إلى الإمام الحسين بن على أن طريقته تقوم على رواية الخرقة التى تقضى بأن أخذ الطريق أو القطبانية بالعهد والمبايعة من شيخ عن شيخ، حتى تصل إلى الحسن بن على بوصفه أول من عقدت له الخلافة الباطنية وذلك أثر تنازله عن الخلافة الظاهرة لمعاوية بن أبى سفيان(٤). فقد ذكر السيوطى/٩١١/هـ فى كتابه "تأييد الحقيقة العلية" أن السر فى إنتساب المتصوفة إلى الحسن بن على راجع إلى أنه كان من انفرد بخلافة الباطن، إذ

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ - ص١٢١ .

(٢) الدكتور - أبو الوفا التفتازانى - مدخل إلى التصوف - ص٢٨٩ كذلك - دكتور مقدار بالجم - فلسفة الحياة الروحية - ص١١٤ .

(٣) إبن خلكان - وفيات الأعيان - جـ٣ .

J,Spenen Trimingham. the sufi orders in Islam

(٤) الدكتور - على صافى حين الأدب الصوفى فى مصر - ص١٠٥ - ص١٠٦ .

كانت الخلافة من قبل تعقد فى الظاهر والباطن معاً و أعنى أن كلا من أبى بكر وعمر وعلى كان خليفة لأهل الظاهر والباطن معاً فلما نزل الإمام الحسن رضى الله عنه عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان عام الجماعة، فإنه قد عقدت له خلافة الباطن على حده.. ومنذ ذلك الحين أصبحت خلافة الباطن منفصلة عن خلافة الظاهر [١] .

وإذا كان كذلك، فإن الإمام الرفاعى، هذا الصوفى، صاحب الطريقة الرفاعية ذائعة الإنتشار فى مصر وبلاد المشرق الإسلامية العربية، ينسب إلى أئمة آل البيت النبوى الشريف [٢]. فورث عنهم صفاتهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، وأحوالهم وقد يظهر لنا من خلال تعاليمه وتجربته الصوفية، وتأثيره العميق فى مريديه، أنه يجمع بين الشريعة والحقيقة. متمسكاً بالكتاب والسنة وتابعاً لأصول علماء السلف وبصفة خاصة فى علم الأصول وعلم الفقه.

٣ - *الطريقة الرفاعية* : -

إن أصول الطريقة الرفاعية "عند أحمد بن أبى الحسن الرفاعى" الكتاب والسنة وإتباع الشريعة والإيمان العميق بأركانها والعمل بها وإلتزام الأمر الإلهى، وقوامها التربية الأخلاقية، والرياضة الروحية، وإلتزام مقامات الطريق للوصول للحضرة الإلهية والمجاهدة فيها حتى تصير أحوالاً وتجليات وكشوفات ربانية وإنتقاء للحس الظاهر، والإنغماس فى الباطن، وحدوث زفرات ومواجيد وإشراقات نورانية روحانية. ومما يدل على ذلك:

قول الإمام الرفاعى فى وصية بعث بها إلى أمير المؤمنين فى عصره أبى أحمد المستنجد بالله العباس الهاشمى :

"ياأمير المؤمنين. إن أنت أنفذت أحكام كتاب الله تعالى تقدس فى نفسك نفذت أحكام كتبك فى ملكه، وإن عظمت أمر الله تعالى بإتباع رسوله عليه السلام، وإحتفلت بشأنه الكريم،

---

(١) نفس المصدرالسابق - ص٢٠٦ .

(٢) لمزيد من التفاصيل - الإمام على بن أبى الحسن الواسطى "الشافعى" ت عام/٧٣٣/ هـ كتاب الأكسير فى نسب الغوث الرفاعى الكبير - المطبعة الخيرية بمصر المحمية عام/ ١٣٠٦/ هـ كذلك نظرنا السيد محمد أبو الهدى الصيادى - التاريخ الأوحد للغوث الرفاعى الأمجد ط المحروسة بمصر بدون تاريخ .

عظم الناس أعمالك وولاة الأمور من قبلك ولاتنظر ياأمير المؤمنين ماعليه القياصرة وملوك المجوس من القوة فى ملكهم مع إنسلاخهم وبعدهم عن كل ماذكرته، فإنهم جهلوا الحق، فأبعدهم عنه، وقربهم من الدنيا، وقربها منهم وولاهم أمر من شأن من خلقه، فإن ساسوهم بما تكن إليه أفئدتهم وتطمئن طباعهم دام أمرهم فى حجاب دنياهم إلى أن تنقطع حبال أجبالهم، وإن لم يسوسوهم بالمرفق والمداراة وأوقعوا فيهم مايثقل عليهم سلطهم عليهم، فغلب دنيا قوم بقوم والنار مأوى الكافرين [1] .

ثم يقول لأمير المؤمنين، ناصحاً، وموجهاً ومرشداً "إن أهل الفهم السليم، والذوق الصالح تجتمع هيئتهم على الحق، ويترعرعون فى بحبوحة العدل والإحسان، فكبيرهم وصغيرهم، لاتشب نار الشقاق، ولايتحكم فيهم سلطان سوء الأخلاق يحكمون بما أنزل الله، ولايزالون فى أمان الله "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون سورة [2] المائدة آية (٤٧) .

ويختم الإمام الرفاعى وصيته الأولى لأمير المؤمنين بقوله "إن جيش الملوك العدل وحراسهم أعمالهم، ودفاتر أحوالهم عمالهم وأصحابهم، وهذه الدفاتر فى أيدى العامة، فأصلح دفتر أحوالك، وعليك بأهل العقل والدين، وإياك وأهل القسوة والضلالة، فحكم الإنصاف فى عملك حتى لاتقدم غير محق، أو ترفع بغير الحق، وإذا كرهت فاذكر الله تعالى، وإن غضبت فاجنح للعفو، واجعل نوالك لأهل الدين والحكمة والغيرة للإسلام، واختر منهم أشرفهم طبعاً، وأكثرهم عقلاً، وأثبتهم حجة وأعلمهم بالله تعالى ورسوله ﷺ ، وساوى بين الناس فى باب عدلك، واحفظ حرمة الدين وأهله واعمل عملاً تحسن به عاقبتك إذا لقيت ربك [3].

ولاشك أن ماتتضمنه هذه الوصية، إنما ينطوى على ضرورة إتباع الكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإتباع العدل لاالهوى، وإستعمال الحكمة والعقل والتثبت بالحجة بدلاً من الباطل، أو تغليب الحق على الباطل.. وهذه هى دعوة الصوفية من أهل السنة، دون مجادلة، وهى طريقتهم العملية، وخلاصة من تجاربهم التربوية الأخلاقية .

---

(١) الإمام الرفاعى - الوصايا "الوصية الأولى" - ص٨ - نشر صلاح عزام - ط - دار التراث العربى - القاهرة - ١٩٧٤م .

(٢) نفس المصدر السابق - ص١٠ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص١٢، ص١٣ .

وفى الوصية الثانية. كتبها الإمام الرفاعى لسبطه إبراهيم موضحاً فيها أصول طريقته الصوفية أيضاً يقول "أى إبراهيم لاتعمل بالهوى وعليك بمتابعة النبى ﷺ فى الأقوال والأفعال. فإن كل طريقة مخالفة الشريعة زندقة[1] وإذا كانت طريقة الإمام الرفاعى الصوفية وأصولها الكتاب والسنة، والتزام الأمر والنهى الشرعى. وقوامها الحق والعدل والحجة والعقل والدين، وإصلاح الأخلاق، ورياضة النفس، ومجاهداتها، فإن الإمام الرفاعى يؤكد على ضرورة التمسك والعمل بالتكاليف الشرعية. مهما بلغ بالعبد أو المريد من مراتب الوصول إلى اليقين، لذلك نجده يوضح ذلك فى الوصية الثانيــة. يقول لسبطه إبراهيم "أى إبراهيم.. إن ولىّ الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.." فحسبك من النعم الإيمان، ومن العطايا العافية. ومن التحف العقل ومن الإلهام التقوى، والكل ليس لك من الأمر لشئ، إن ربى على مايشاء قدير، لاتسقط بالتسليم جملة التكاليف، ولاتنزع بالتكليف ثوب التسليم، ولاتركن إلى الذين ظلموا، ولاتقف ماليس لك به علم، ولاتهرع فى مهمات أمورك إلا إلى الله تعالى، وابتغ الوسيلة إليه بعد التقوى، وأشرف الوسائل "الرسول" حبيبه عليه أفضل الصلاة والسلام، وخذ الدعاء درعاً، والإعتماد على الله تعالى حصناً، واتبع ولاتبتدع، والزم الأدب مع الله تعالى، وخالق الناس بخلق حسن"[2].

ويبدو أن نزعة التحلل من التكليف، كانت منتشرة بين أوساط أدعياء التصوف، وغلاتهم، ممن قد توهموا الوصول إلى درجة اليقين ببعض الكشوفات والخيالات الشيطانية. وفى عصر الرفاعى وكبار أئمة التصوف العاملين بالكتاب والسنة بالإضافة إلى نزعة الغرور وسوء الأدب، والعجب بالنفس لدى غلاة الصوفية، وهذا يفسر لنا ذلك التشديد فى وصايا الرفاعى لمريديه بضرورة إصلاح النفس والتزام الأدب مع الله تعالى، والإتباع لا الإبتداع[3].

وتمتد طريقة الرفاعى الصوفية، إلى أئمة آل البيت النبوى الشريف، فكما يشير صاحب هذه الطريقة، بأسلوب رمزى، ينطوى على دلالات باطنية روحية، فإنه يستمد مدده الروحى، من خلال النسب الفاطمى وهى ولاية روحية خالصة، مستمدة من سبطى الرسول ﷺ والإمام الحسن صاحب الخلافة الباطنية، والإمام الحسين شهيد كربلاء.

(١) نفس المصدر السابق "الوصية الثانية" - ص١٥ .

(٢) المصدر السابق - ص١٦ .

(٣) نفس المصدر - أماكن متفرقة .

وهذا مانستطيع إستنتاجه، من خلال هذا النص فى "الوصية الخامسة" يقول "والوظيفة" أى الولاية - الخلافة" التى أعطيها الوارث مخفية عن الأعين هى وهو أيضاً، لم يجمع بين الوظيفتين "الولاية - الخلافة" على نمط واحد غير الخلفاء الأربعة الراشدين رضى الله عنهم. وذلك لإنحجاب الباطنية ببرده النبوية وأين لهم الظهور بها مغ تلاطم أمواج بحر النور المحمدى، الذى شهدته الأعين، وأمتلئت من مهابته القلوب وأكمل النوبة النورية. فى مقام البضعية (أى مقام الوراثة الروحية من حيث التحلى بحلوة الطينة الرائقة الأحمدية، إنما هى قوة السيدة البتول العذراء، سيدتنا وقرة أعيننا "فاطمة" أم السبطين الزهراء سلام الله ورضوانه عليها. وقام عنها بنوبة الجزء الأزهرى بعلها المأمون المنوه "على بن أبى طالب" على جلال قدره وعظمة مكانته بطالعة "على منى بمنزلة هارون من موسى" فأدرع بدرع الخلافة البضعية متحكماً فى مشهد الخلافة الأمرية، أصالة فى مشهد الخلافة البضعية وكالة حتى لقى الله، فأدرع بمطرها النورانى السبطان السعيدان الشهيدان الحسن والحسين، سلام الله وتحياته عليهما، ودارت هذه النوبة الجامعة المحمدية فى الأسباط الطاهرين سبطاً بعد سط إلى أن صيت فى مقام الكنزية المضمرة لى ولى الله المهدى الخلق الصالح بسلام الله عليه، فتلقاها عنه مقام الألباس، النواب الجامعون المحمديون، فهم إلى عهدنا هذا من بنى الإمام الحسين السبط شهيد كربلاء عليه السلام، أما أصحاب النيابة من غير الفاطميين (يقصد بذلك أناس لم ينتسبوا جسداً إلى أئمة آل البيت الشريف من نسب الإمامين الحسن والحسين سبطى رسول الله ﷺ، أبناء السيدة فاطمة بنت النبى محمد ﷺ" فهم أقطاب الخلعة من غير الفاطميين منهم: سيدى شيخ الخرقة معروف الكرخى ت عام ٢٠١/هـ كان نائب العزم، ومنهم سيدى الجنيدى البغدادى/٢٩٨/هـ كان نائب اللسان القائم، منهم سيدى الشبلى (أبو بكر الشبلى/ ٣٣٤/ هـ) كان نائب الهمة، ومنهم سيدى سهل بن عبد الله التسترى/٢٨٣/ هـ كان نائب القلب، ومن أقطاب الخلعة الكاملة من الذين لهم النسبة الفطمية من الأمهات سيدى طلحة أبو محمد الشنيكى كان نائب القدرة. [1] ومنهم

---

(١) هو الشيخ أبو محمد الشنيكى من رجال القرن الخامس الهجرى - انتهت إليه رياسة هذا الشأن فى وقته وبه تخرج السالكون الصادقون مثل الشيخ أبو الوفا والشيخ منصور رضى الله عنهما وهما من رجال القرن الخامس والسادس الهجريين، وكان شريف الأخلاق، كامل الأدب وافر العقل كثير التواضع .. راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى .

سيدى منصور البطائحى الزياتى[1] كان نائب البرهان، والزم طريقته الجامعة من طريق الختمية، بهذا العبد الأضعف الأذل الذى لاشئ بشأنه ولاعلى شئ، بميدانه هبة أقامها المقيم القديم بمحض الكرم، كذا أبشرنى بها رسول الله الرحمة فى حضرات القرب لدى صفوف عساكر الحضور ورضينا بما رضى الله لنا[2] .

ويبدو كذلك أن طريقة الرفاعى، قريبة من طريقة "الملامنية" فى بعض نواحيها أو أن هناك بعض التشابة فى السلوك والتعاليم .

فإذا ماتطرقنا إلى النظر فى طريقة الملامنية، التى نشأت فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، كصورة من صور الزهد لاالتصوف[3] فإن مسلكهم عملى من أوله إلى آخره وهى مجموعة من الآداب يقصد بها مجاهدة النفس، ورياضتها بحيث يؤدى هذه الرياضات والمجاهدات إلى إنكار الذات ومحو علائم الغرور الإنسانى، وإطفاء جذوة الرياء فى القلب، وأكثر من تأديتهما إلى أحوال الجذب والمحو والفناء والإتصال والسكر والجمع وغير ذلك من أمور شابت التصوف الفلسفى النظرى، وكذلك العملى فى عصوره المتأخرة .

وقد كان إتجاه الملامنية من ألوان السلبية القاتلة للنفس الإنسانية، المحتقرة لها المزدرية لكل ماتقدم فى إعلائها وأسرارها، وفى صور من التشاؤم العنيف، وإن كان ذلك بعيد إلى حد

---

(١) هو الشيخ منصور البطائحى من رجال القرن الخامس والسادس الهجريين وهو خال الإمام أحمد الرفاعى وبصحبته تخرج ينتمى إليه جماعة من ذوى الأحوال وأرباب المقامات" ومن كلامه من عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف الله آثر رضاه، ومن لم يعرف نفسه فهو من أعظم الغرور وقد ذكر الشعرانى أن الشيخ محمد الشنبكى، بشر إبن أخته أحمد الرفاعى برياسة الطريق الصوفى من بعده وعلى ذلك فإنه يعبر من شيوخه الذين تربى عليهم تربية روحية صوفية - راجع - الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١١٥ - ص١١٦ .

(٢) الإمام الرفاعى - الوصايا - "الوصية الخامسة" ص٤٢، ص٤٣ .

(٣) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى : الدكتور أبو العلا عفيفى : الملامتيه والصوفية وأهل الفتوة - ص٣ - ص٢٤ - ص٢٥ط - الحلبى - القاهرة ١٩٤٣م .

كبير عن مقصود الإسلام الصحيح[1] أصولياً وفقهياً لكن هذه الظاهرة إنتشرت منذ هذه الفترة وحتى العصور المتأخرة كان لها تأثير عميق لدى أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين .

وهذا ماقد نجده عند الإمام أحمد بن الرفاعى، فى بعض ماذهب إليه فى الإعلان عن أصول طريقته العملية، وماتنطوى عليه من آداب، وتعاليم وسلوك وتجارب أخلاقية وروحانية، وتربوية .

وإذا جازلنا هذا الإفتراض، فى وجود صلة تقارب أو تأثير بين طريقة الملامتية، وبين طريقة الرفاعى الصوفية .

فقد كان الإمام أحمد الرفاعى يقول "طريقتنا مبنية على ثلاثة أشياء، لانسأل، ولانرد، ولاندخر، ثم يقول أيضاً "أكره للفقراء دخول الحمام،وأحب لجميع أصحابى الجوع والعرى، والفقر، والذل، والمسكنة وأفرح بهم إذ أنزل بهم ذلك، [2] .

ونلاحظ أن الإمام الرفاعى، يستخدم كلمة "الفقر" "الفقراء" دون كلمة التصوف أو الصوفية. وهذا دليل على أن طريقة الفقراء، من أولياء الله تعالى، الذين يتولون مريديهم بالتربية الروحية والأخلاقية وتعويدهم على مجاهدة النفس، وإماتة الشهوات أو إماتة النفس، والإنسلاخ عن الجسد وعدم الإكتراث لمظاهر الحياة، مهما بلغ بالمريد من التحقير أو لحقة إيذاء من الناس .

---

(١) من الجدير بالذكر أن الباحثين قسموا طائفة الملامتية منذ نشأتها حتى المتأخرين إلى ثلاث طبقات : وهى كالآتى : -

الطبقة الأولى : يمثلها أبو حفص نيسابورى / ٢٧٠/هـ، وحمدون القصار ت عام/ ٢٧١ هـ، وأبو عثمان الجبرى / ٢٨٩/هـ .

الطبقة الثانية : وهى الأخيرة وقد عايشت القرن الرابع الهجرى بعد أن تجاوز المذهب نيسابور إلى مكة وبغداد ويمثله : أبو عمر الزجاجى / ٣٤٨هـ / وأبو الحسن بن بندار / ٣٥٠/هـ، وأبو الحسن بن سهل البشنجى / ٣٤٨/ هـ وأبو يعقوب النهرجورى / ٣٣٠/هـ - وأشهرهم أحمد الفراء / ٣٧٠/هـ .

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ ص١١٢ .

ولذلك فقد كان الرفاعى "لايجازى قط بالسيئة" وفى ذلك يذكر أن جماعة من الفقراء سبوه ذات مرة وقالوا له "ياأعور، يادجال، يامن يستحل الحرمات، يامن يبدل القرآن، ياملحد ياكلب، فكشف الرفاعى رأسه، وقبل الأرض وقال ياأسيادى أجعلوا عبيدكم فى حل، وصار يقبل أيديهم، وأرجلهم، ويقول إرضوا علىّ وحلمكم يسعنى، فلما أعجزهم قالوا مارأينا قط فقيراً مثلك، تتحمل من هذا كله لاتتغير، فقال هذا ببركتكم ونفحاتكم، ثم إلتفت إلى أصحابه وقال ماكان إلاخيراً، أرحمناهم من كلام مكتوب عندهم، وكنا نحن أحق بهم من غيرنا [(١)] .

وفى رواية أن الشيخ إبراهيم البسنى أرسل إليه كتابا" يحط عليه فيه (أى يوجه إليه السباب) فقال الرفاعى بعدما عرف مايحتويه الكتاب من شتائم، لقد صدق فيما قال، جزاه الله عنى خير جزاء ثم أنشد يقول: -

فلست أبالى من زمانى بريبة   إذا كنت عند اللـه غير مريـب

كذلك كان يتحمل الأذى، والقرب من مريديه وإخوانه من الفقراء، إذا ماهمت بهم ضروب من الأذى [(٢)].

ويذكر الشعرانى أن الإمام الرفاعى، كان يتلقى الرسائل من الناس وبها كثير من السباب والشتائم والإتهام له بالزندقة، والإلحاد وغير ذلك فكان يتلقى مثل هذا الإيذاء دون غضب، ويقول الشعرانى "كان لسيدى أحمد الرفاعى شخص ينكر عليه وينقضه فى نواحى أم عبيدة، فكان كلما إلتقى بفقير "يعنى مريد ممن يسلكون الطريق الرفاعى" من جماعة الرفاعى يقول له خذ هذا الكتاب إلى شيخك "أى الرفاعى" فيفتحه الشيخ الرفاعى فيجد فيه .. أى ملحد أى زنديق، أى باطل فيقول الرفاعى لحامل هـذه الرسالـة إليه، صدق من أعطاك هذا الكتاب ثم يقـول، جزاك الله عنا خيراً كنت سبباً لحصولى على الثواب ثم يعطى حامل الرسالة إليه دريهمات [(٣)].

إذاً فقد كان الرفاعى يتقبل إيذاء الآخرين له راضى النفس دون غضب ولا وجل، ممايدل علـى أن الرفاعى كان يشعـر باللذة، والسكينة والرضـاء، فى إيذاء النفس وتحقيرها من جانـب

---

(١) نفس المصدر - ص١٢٤ .

(٢) نفس المصدر - ص١٢٤ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص٢٤ .

الآخرين، فإن فى هذا التحقير إماتة للذاتها وشهواتها حتى لايغتر بينفسه، ويداخله العجب بالذات، وهذا ماينكره أصحاب الطريق، ويعدونه من خيالات الشيطان. ولذلك فإن طريقة الرفاعى أخذت من طريقة الملامتية بعض مظاهرهم، وأساليبهم .

إن الطريقة عند الإمام أحمد الرفاعى تقوم على رواية الخرقة(١) التى تقضى بأن تأخذ الطريق، والقطبانية بالعهد، والمبايعة من شيخ عن شيخ حتى تصل إلى الحسن بن على بن أبى طالب بوصفه أول من عقدت له الخلافة الباطنية(٢) .

وإذا كان ذلك كذلك، فقد إهتم الإمام الرفاعى "بمشيخة" الطريق" وعن شيوخه الذين تتلمذ عليهم، وتلقى عنهم أصول طريقته الصوفية، حيث جمع بين أكثر من شيخ سواء كانوا سابقين على عصره أو معاصرين له، أى بطريق غير مباشر، وعن طريق مباشر، وتحدث عن ذلك فى "الوصية الخامسة" عن أقطاب الخلعة وشيوخ الخرقة من غير الفاطميين، من أمثال: معروف الكرخى/ ٢٠١/ هـ، نائب النظر، وسرى السقطى/ ٢٥٧/ هـ نائب العزم، والجنيد/ ٢٩٨/ هـ نائب اللسان القائم والشبلى/٣٣٤/ هـ نائب الهمة، وسهل بن عبد الله التسترى /٢٨٣/هـ نائب القلب، كذلك تلقى من أقطاب الخلعة الكاملة من الذين لهم النسب الفاطمى من الأمهات من أمثال شيخه أبو محمد الشنبكى - كاتب نائب القدرية، وسيده وشيخه وتاجه منصور البطائحى الزياتى، نائب البرهان، وهما من رجال القرنين الخامس والسادس الهجريين(٣).

وقد ظهر مدى إحترامه لشيوخه، وتأكيده على أن أصول الطريق الصوفى "وهو طريق الفقراء" إنما يؤخذ من شيخ وعن شيخ، وقد أوضح ذلك عندما تعرض كضرورة تلقى المريد أصول الطريقة عن شيخ من شيخ الطريق، وأظهر كذلك مايجب على المريد نحو شيخه من إحترام، وتفضيل، وطاقة يقول "من علامة إقبال المريد ألا يتعجب شيخه به بين الفقراء، لأن يفتخر هو بشيخه" وكان يقول أيضاً: "من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له، فإن مد يده لكم لتقبلوها فقبلوها

---

(١) أشار إلى ذلك الرفاعى - فى الوصايا - "الوصية الخامسة" ص٤٣ .

(٢) الدكتور - على صافى حسين - الأدب الصوفى فى مصر - ص١٠٥ - ص١٠٦ . كذلك - الإمام الرفاعى - الوصايا - الوصية الخامسة ص٤٢ - ص٤٣ .

(٣) نظرنا : المصدر السابق - ص٤٣، كذلك - الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١١٥ - ص١١٦ .

أو نقبلوا رجله، ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة فى الذنب، فإن الضربة أول ماتقع فى الرأس (١).

ويبدو أن مشيخة الطريق "عند الإمام الرفاعى، كانت ذا أثر عظيم فى سبيل الدخول إليه. يقول فى "الوصية الخامسة" "أنا مأوى المنقطعين، أنا مأوى كل شاة عرجاء إنقطعت فى الطريق، أنا شيخ العواجز، أنا شيخ من لاشيخ له، فلا تشيخ الشيطان على رجل من أمة محمد ﷺ، عهداً عاماً إلى يوم القيامة، العرش قبلة الهمم والكعبة قبله الجباة، وأحمد قبلة القلوب قال لى حبيبى أنت وجه لايخزيه الله فى أتباعه أبداً "ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون" سورة يونس (٦٢) عليكم بتقوى الله، لاتخرجوا من ساحة التوحيد (٢).

هذه هى أصول الطريقة عند الإمام أحمد الرفاعى، وقد كانت لطريقته آداب مفروضة على أصحابه من مريدى طريقته .

٤ - *أداب الطريق عند الإمام الرفاعى:*

لكل طريقة صوفية آداب وهذه الآداب من قبيل الإلتزام بالسلوك الأخلاقى، والتربية الخلقية التى يتلقاها المريد عن شيخه، أو عند شيوخه إذا كان يجمع بين أكثر من شيخ فى طريقه الصوفى، وكما ذكرنا من قبل أن الصوفية المتأخرين دأبوا على الجمع بين أكثر من طريق وشيخ .

وقد توافر لدى الإمام الرفاعى مجموعة من الآداب التى تعد من قوام الطريقة الصوفية، علمياً وعملياً، فضلاً عن إلزام المريد بالسمع والطاعة تجاه شيخه (٣) فقد وضع الرفاعى وصية لإبن أخته السيد عبد الرحمن، وضع له فيها الآداب اللازمة للطريق فقال "أى ولدى" عليك بالإخلاص فإنه نهج مسلك العارفين وعليك بقلة العجلة وقلة الكلام ولينه، وإجابة دعوة الإخوان إلى مالهم فيه مسرة، وصلاح حال، واحذر التعبيس والضجر، وعليك بالعقل الذى هو دليل التقى والصلاح، وعليك بالإحتمال لقومك، وعليك بالورع فهو سيد الأعمال وبالصدق فى

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى- ص١١٢ .

(٢) الإمام الرفاعى - الوصايا "الوصية الخامسة" - ص٤٤ - ص٤٥ .

(٣) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١١٢ .

كل حال، وعليك بالتواضع، وكثرة العبادة، وكثرة الحزن والبكاء، ورقة القلب والصيام لله بحقوق القاصدين والواردين والعفة عن ماحرم الله تعالى وإياك والنظر لغير الله تعالى فإنه سهم من سهام إبليس، وأقمع النفس بكثرة الصوم، وقلة النوم، والجهاد بخدمة الفقراء (أى الصوفية وأصحاب الطريق) وحفظ العهود والوفاء بها وبذل المجهود، والإلتجاء إلى الملك المعبود، وإياك أن تبيت وعندك لأحد من الخلق ضغينة أوغيظ ولاتغضب إلا لله تعالى، وإذا حرمت فاكظم غيظك ولم نفسك، فإن الكريم إذا حرم لم يحقد، ولم يعرف الحلم، إلاعند الغيظ والضجر، وإياك والمداهنة وإياك تدخر شيئاً وتشاغل عما يفيدك، ولاتكثر من الدنيا ولاتدخر منها، ولاتفخر ولاتتباه، ولاتجمع من الحياة الدنيا فوق الحاجة، وازهد تأتيك صاغرة، وأغث المحتاج والولهان وتمسك بطريق العارفين، وأحسن للفقراء، وتواضع لهم وتذلل بين أيديهم، ووسع صدرك للخلق، وإذا تكلمت بكلمة فأعتبرها قبل أن تتكلم بها فإنك هالكاً مالم تخرجها فإذا أخرجتها ملكتك فتصير أسيراً، وزن نفسك بميزان العقل والإعتبار، وصفها من كدر القدر والخيانة وعذبها بعذاب الإنابة، واسقها شراب الخوف، وأصدق باتباع نبيك عليه الصلاة السلام، والتمسك بسنته[1].

وجدير بالذكر أن الإمام الرفاعي، طبق هذه الآداب على نفسه وكان يعمل بسلوكها. نذكر فى ذلك ماذكره الشعرانى، أنه رضى الله عنه "كان يمشى إلى المجذوبين والفقراء، يغسل ثيابهم. ويحمل إليهم الطعام، ويأكل معهم ويجاذبهم، ويسألهم الدعاء، كذلك كان يسلم على كل من يقابله من موجودات، حتى الأنعام عندما قيل له فى ذلك، فقال: أعود نفس الجميل، وكان إذا سمع بمريض يسعى إلى زيارته، كان يوقر الصغير والكبير، وكان رضى الله عنه يحطب ويحمل الحطب فوق رأسه ويفرقه بين المساكين والفقراء والمرضى والعميان، ولم يجازى قط بالسيئة السيئة[2].

٥ - *التدرج الروحانى عند الرفاعى فيما بعد القطبانية والغوثية:*

خاض الرفاعى معراج التدرج الروحانى فى المقامات التى تثمر أحوالاً، فإذا ثبتت أحواله تصبح مقامه، ثم يتدرج إلى مقام أعلى.. حتى يصل إلى مقام القطبانية ثم الغوثية، لأن لكل

---

(١) الإمام الرفاعى - الوصايا "الوصية الثالثة" ص٢٧ - ص٢٨ .

(٢) عبد الوهاب الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٢٣، ص١٢٤ .

منهما مقام معلوم، فأصبح مع الله تعالى، وبالله تعالى. ويوضح ذلك فى شرح لكل مقام وثمرته من الحال .

يقول الرفاعى فى مقام الزهد، "الزهد أساس الأحوال المرضية، والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل والمنقطعين إلى الله تعالى، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله، فمن لم يحكم أساسه فى الزهد لم يصح له شئ مما بعده" .

وكان يقول فى الإنس "الإنس بالله لايكون إلا لعبد قد كملت طهارته، وصفا ذكره، وإستوحش من كل مايشغله عن الله تعالى، فعند ذلك أنسه الله به، وأراد بحق الحقائق الإنس فأخذه عن وجد طعم الخوف لما سواه" وكان يقول فى المشاهدة "المشاهدة حضور بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين، وحقائق حق اليقين" .

وكان يقول فى التوحيد "التوحيد وجدان وتعظيم فى القلب يمنع التعطيل والتشبيه " .

وكان يقول فى الورع "لسان الورع يدعو إلى ترك الآفات ولسان التعبد يدعو إلى دوام الإجتهاد" .

وكان يقول فى المحبة "لسان المحبة يدعو إلى الذويان والهيمان" وكان يقول فى المعرفة "لسان المعرفة يدعو إلى الفناء والمحو" وكان يقول فى التوحيد "لسان التوحيد يدعو إلى الإثبات والحضور، ومن أعرض عن الإعراض فهو الحكيم المتأدب[(١)].

والواضح أن لكل مقام حال، وهذا الحال هو ثمرة لهذا المقام، ولكن لابد لسالك الطريق من إصلاح أحوال القلب أولاً، يقول "إذا صلح القلب صار مهبط الوحى والأسرار فالأنوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين، وإذا صلح القلب أخبرك بما وراءك، ونبهك على أمور لم تكن تعلمها بشئ دونه، وإذا أفسد حدثك بباطلات يغيب معها الرشد، وينتفى معها السعد" .

وكان يقول " من شرط الفقير أن يودع كل نفس أعز مايصلح له فلا يضيع له نفس"[(٢)].

وعلى ذلك فإن العبد الفقير إذا أخلص فى مقاماته، أثمرت له أحوالاً، تبلغ به محل القرب من اللـه تعالى. ويذكر الرفاعى "أن العبد إذا تمكن من الأحوال بلغ محل القرب من اللـه

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - ص١٢١، ص١٢٢ .

(٢) نفس المصدر - ص١٢٢ .

تعالى، وصارت همته خارقة للسبع السموات وصارت الأرضون كالخلخال برجله، وصار صفة من صفات الحق جل وعلا لايعجزه شئ، وصار الحق تعالى يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه[1].

ويحلل الشعرانى هذا القول المنسوب للرفاعى، بما يفيد نفى شبهة الوقوع فى الحلول أو الإتحاد عند الرفاعى. ويقول "وقوله صار صفة من صفات الحق تعالى، ولعله يريد التخلق والإتصاف بصفاته تعالى من الحلم، والصفح والكرم، لأنه لايصح لأحد أن يكون عين صفات الحق، كقوله "فبى يسمع، وبى يرى وبى ينطق.......وهكذا"[2].

ولكن الرفاعى، مع ذلك، قد وقع فيما يشبه فكرة الحلول والإتحاد، حيث ذهب إلى أبعد من مقام القطبانية أو الغوثية، بل وأبعد من مقام الفناء والبقاء، وإذا جاز لنا هذا الإفتراض، فقد ذهب الرفاعى فى هذا المجال إلى "أن الله عز وجل إذا أراد أن يرقى العبد إلى مقامات الرجال يكلفه بأمر نفسه أولاً، فإذا أدب نفسه وإستقامت معه كلفه بأهله، فإذا أحسن إليهم وأحسن عشرتهم كلفه بجيرانه وأهل محلته، فإن هو أحسن إليهم، ودارهم كلفه ببلده، فإن هو أحسن إليهم ودارهم، كلفه جهة من البلاد، فإن هو دارهم وأحسن عشرتهم وأصلح سريرته مع الله تعالى كلفه مابين السماء والأرض، فإن بينهن خلقاً لايعلمهم إلا الله تعالى، ثم لايزال يرتفع من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن تصر صفة من صفات الحق تعالى، وأطلعه على غيبه حتى لاتثبت شجرة، ولاخضر ورقة إلا بنظره، وهناك يتكلم عن الله تعلى بكلام لايتبعه عقول الخلائق، لأنه بحر عميق غرق فى ساحله خلق كثير، وذهب به إيمان جماعة من العلماء والصلحاء فضلاً عن غيرهم"[3].

إذن فمقام "الغوثية" "والقطبانية" وهو أرقى مقام وأعظم مراتب الوصول عند الصوفية المتأخرين، أقل من مرتبة القرب أو الوصل والإتصال المباشر، وإن شئنا القول. الإتحاد بالصفات الإلهية، وحتى تصير صفات العبد من صفات الحق، أوصفات العبد، الواصل إلى الحق، بصفات

---

(١) نفس المصدر - ص١٢٢ .

(٢) حديث قدسى عن النبى ﷺ ... ومازال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به .." راجع صحيح البخارى .
- نفس المصدر - ص١٢٣ .

(٣) المصدر السابق - ص١٢٣ .

الله تعالى ومع الله تعالى، فهل يمكن أن نعتبر هذه النظرية عند الرفاعى تؤدى به إلى حافة الوقوع فى نظريتى الحلول والإتحاد التى شهدناها عند غلاة التصوف وفلاسفتهم؟ .

ومن الجدير بالذكر، أن الشيخ أحمد الرفاعى قد وصل إلى هذه المرتبة وفيما بعد القطبانية والغوثية، ومايدل على ذلك ماذكره شيخ من تلامذته قائلاً له "ياسيدى أنت" القطب فقال له، نزه شيخك عن القطبية، فقال له وأنت "الغوث" فقال نزه شيخك عن الغوثية، ومعنى ذلك أن الرفاعى قد تعدى المقامات والأطوار، لأن القطبية والغوثية مقام معلوم، ومن كان مع الله وبالله فلا يعلم له مقام وإن كان له فى كل مقام مقام، والله أعلم(١).

٦ - *أذواق ومواجيد وانسلاخ عن الحس الظاهرى : -*

غرق الرفاعى فى الأذواق والمواجيد، فانطوى فى ظلها طياً، وسبح فى بحارها سبحاً، فصدرت عنه رموز وإشارات لم تغلق مفاهيمها على ذوى الأبصار والبصائر، ومن أصحاب التجارب الروحية، والخطرات القلبية وهذا هوحال الصوفية عندما يصلون إلى أرقى مراحل اليقين والشوق وتحقيق بأعمالهم والوصول إلى أعتاب درجات القرب من الله تعالى .

وإذا ماتأملنا أقوال الرفاعى، لوجدناه قد إنغمس فى ذوقه وحسه الباطن، دون أن يعير إهتماماً لحسه الظاهر وإن شئنا أن نقول، نجده قد إنسلخ عن ظاهره وأنشغل بباطنه عن كل مايدور حوله، فصدرت عنه تعبيرات وإشارات ورموز بعيدة الأغوار، عميقة المسالك، ويقول فى الوصية "الوصية الخامسة" مخاطباً رجال حضرته "هذا إنسان الحال بسم الله، بسم الله، معراج القلوب فتصعد عليه أجسام الهمم فتنحدر صاعدة إلى بحبوحة التعين الأول فترقى فى مقام الصديقة، وتتسلق ذروة وتكتشف مبردة الذر، فتطلع على لباب الأعيان، ثم تتبع حكم النوع، فتقف على ساحة تجريد حقائق التدبير، فيندلع لسان صبر النشر من كيفية طى الأمر، فتتكلم ذرات أحكام أنواع الحقائق بمافيها، فيرسم فى ألواح الهمم، فإذا شبت ثار موسى ناداه البارى المقيم "إخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى" سورة طه آية (٦٢) فتطمس الحيرة، وتتجلى الحرية، وتسقط القيود وتبدو الكنونات، ويقوم رهط سحرة الزهواء "أمنا برب العالمين" سورة الشعراء

---

(١) نفس المصدر - ص١٢٤ .

(٤٧) ويقول داعى الكرم للحزب المرسل من حضرة الزمن "لاتخف إنى لايخاف لدى المرسلون" سورة النمل آية (١٠) وينهج وارث أولئك الأملاك فيترنم قائلهم منصرفاً عن الأكوان تالياً فى حضرة السؤدد الأبدى "والباقيات الصالحات خيراً عند ربك ثواباً وخيراً مرداً" سورة مريم (٧٦) وعلى نمط سرير بالإضافة من معنى الأسرار فى راقبة نغمة "الحمد لله وسلام على عباده الذين إصطفى" تظهر المظاهر كل بنسبة مااستجمعه من نقود الورثة، أصحاب القلوب الطائرة بأجنحة الصفا إلى حضرة المراقبة المؤمنون بأياته سبحانه، "والذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وأولئك هم المفلحون" سورة السجدة أية (١٦) (١).

ولاشك أن هذا النص، يحتوى على رموز وإشارات لأسرار وكشوفات إلهية، لايتعقلها إلا ذوى البصائر النقية النافذة فى سياحة معراج الحق تعالى حتى تتكشف لهؤلاء معانى أعيان الأشياء، ومكوناتها، فيقف مريد الوصول على حقائق التدبير الإلهى للموجودات، وهذا لايتسنى إلا لمن أسقط القيود، سابحاً فى تجليات النور الإلهى. وهذا هو حال الرجال .

وقد سئل الرفاعى عن حقيقة الرجل المتمكن فقال "هو الذى لو نصب له سنان على أعلى شاهق من جبل فى الأرض وهبت الرياح الثمان ماغيرته" (٢).

فشغلتهم أحوالهم وأذواقهم عن ظواهر، فلم يهتموا بما يصيبهم فى ظواهرهم كلما كانت سياحتهم تنعكس على بواطنهم، وربما تنتج عن ذلك الحوادث التى يطلق عليها أصحاب الرفاعية "بالكرامات" إذ نلاحظ أن بعض مريدى هذه الطريقة كثيراً مايعمدون إلى طعن أنفسهم بالسكاكين وأكل النار، وإزدراد الأفاعى. والضرب بالسيوف على رقابهم .

وقد نشاهد فى العصر الحديث، أن بعض مشايخ وخلفاء هذه الطريقة يعمدون إلى طريقة تسمى "بالتشيش" وهو عبارة عن سلك من الحديد ينفذه شيخ الطريقة فى أحد أطراف المريد، دون أن يشعر المريد سالك الطريقة بألم .

---

(١) الرفاعى . "الوصايا - "الوصية الخامسة" - ص٢٨ - ص٢٩ .

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى - ص١٢١ .

وجدير بالذكر أن شيخ الطريقة الرفاعية يضع السيوف فوق رقاب المريدين ويسير فوقها وهو يقرأ حزب الرفاعي، وبعض آيات القرآن الكريم بل لقد عمد بعضهم إلى وضع النيران والأفاعي بين أسنانهم وفي أفواههم مرددين "الله حي" "الله حي" - المداد ... إلخ .

ويمكن تفسير مثل هذه الأمور العجيبة بأن النفس قد ملك عليها ذكر الله كل سبيل، فتصبح في حالة غيبة تفارق فيها البدن، وتصعد إلى الملاء الأعلى، حيث تتصل ببارئها، ويصير البدن كأنه خال من الحياة فلا يحس مايولده آكل النار وازدراد الأفاعي والطعن بالمدى أو السكاكين من الآلام[1] وقد فسر الرفاعي أحوال الكشف، بأنها قوة جاذبية بخصائصها نور عين البصيرة إلى فيض الغيب. فيتصل نورها به إتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها المتبع فيضه، ثم يتقاذف نوره منعكساً بضرته على صفاء القلب، ثم يترقى ساطعاً إلى عالم العقل، فيتصل به إتصالاً معنوياً له أثر في إستفاضة نور العقل على ساحة القلب فيشرق نور العقل على إنسان عين السر فيرى ماخفى عن الأبصار موضعه ودق على الأفهام تصوره وإستتر عن الأغيار مرآه[2].

هذه الأذواق والمواجيد، والمكاشفات التي عبر عنها الرفاعي برموزه وإشاراته، كما رأينا فيما سبق - تعبر عن حالته وتجربته الخاصة، وإن كان يقترب بذلك من حافة الإنزلاق في مهوى أفكار غنوصية. غير أنه لم يجهر بنظرية أو فكرة تخالف أصول الشريعة، وكان دائماً متماسكاً في أحواله ومواجيده، متيقظاً للألفاظ والتعبيرات التي لاتتوافق مع أصول العقيدة، معترفاً بأهمية العقل، إلى جانب الشرع كما إهتم بتحقيق التلاثم بين مايعرف عند الصوفية "بالحقيقة والشريعة" .

وفي هذا يقول "من تحقق ولم يتشرع فقد تزندق" ومن تشرع ولم يتحقق فقد تفسق" يقول الرفاعي "إن كل طريقة خالفت الشريعة زندقة"[3].

---

(١) دكتور - محمد مصطفى حلمي - الحياة الروحية في الإسلام، ص١٩٢ . لقد إتضح ذلك لدى الباحث خلال رحلاته الميدانية في مجال هذا البحث لدراسة مظاهر الطريقة الرفاعية .

(٢) الشعراني - الطبقات الكبرى . ص١٢١ .

(٣) الرفاعي - الوصايا - ص١٥ .

٧ - مكانة العقل عند الرفاعى : -

كان الإمام الرفاعى شافعى المذهب فى علم أصول الفقه، إذ قرأ كتاب "التنبيه" لأبى إسحق وكان متواضعاً، ماتصدر قط مجلس، ولاجلس على سجادة تواضعاً، وكان لايتكلم إلا يسيراً، ويقول أمرت بالسكون (١).

وكما تعلم أن المذهب الشافعى قوام أصوله فى الفقه، على الجمع بين النقل والعقل، إذ يعتبر العقل من الموازين العملية فى تخريج أصول الأحكام من قواعدها الأصولية فى الكتاب والسنة .

وعلى ذلك فقد كان الإمام الرفاعى يمجد العقل، ويعترف بأهميته بجانب الشريعة، إذ يقول فى "الوصية الأولى" أن عمر بن الخطاب الفاروق الجليل رضى الله عنه لم يرهب بلاد فارس والروم والسند والهند بفرش الديباج وبسط الحرير وإنما أرهبهم بالعدل المحض والحكمة البالغة، وهى الشريعة، وشريعة النبى ﷺ سيد الحكماء، وبرهان العقلاء (٢).

فهو مع تمسكه بأصول الدين والتشريع لم ينف ولم يسقط التكاليف ويعتبر ذلك من شيمة الأتقياء العقلاء (٣). وإذا كان للعقل أهمية فى ميزان الشرع، فلا شك أن لهذه الأهمية مكانة فى ضبط نوازع النفس وإستقامتها، "وهو دليل على التقى والصلاح" "والإصلاح" (٤) .

وللعقل رياضات فكرية، كما للنفس، رياضات روحية، وأذواق وجدانية... وهذه الرياضات الفكرية بالنسبة للعقل، تدل الإنسان وتهديه إلى معرفة الله تعالى وآياته فى الكون، وحكمته فى الخلق ...

لذلك يقول الرفاعى "أول مايلزم لرياضة العقول، والتفكير فى آلاء الله تعالى قدرته، كيف لف الأرض وبسطها لعباده، فأحسنها تصويراً، وأدار عليها شراع السماء، فقدرها تقديراً. كذلك بالنسبة للكواكب والشمس والقمر، ومنافعها، والليل والنهار والرياح المسخرة، والمطر ...

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - ص١٢٥ .

(٢) الرفاعى - الوصايا - ص١١ .

(٣) نفس المصدر - ص١٦ .

(٤) نفس المصدر السابق - ص٣١ .

إلخ[1].هذه الخلائق الإلهية، آيات لله تعالى، يستطيع العقل معرفتها، والإهتداء بها، إن العقل أنفس الزخائر وأحسن البضائع، وأقرب الوسائل إلى الله تعالى، وأوضح السبل إلى رسوله ﷺ إن العقل أكثر من كنوز الله إحاطة بجواهر الأدب، ومد حبال التحكم إلى القلوب، مادته نورية لاتضعف بتعطيل بعض الحواس ولاتدخل إلى المماثلة إلا مع المادة الروحية بالقياس[2].

ومع إعتراف الرفاعى بفضيلة العقل وأهميته غير أنه لم يثبت للعقل الإنسانى إختياراً حراً، بل يسقط إختياره فى إختيار الله تعالى، وإرادته فى الإرادة الإلهية، طبقاً لمنهجه الصوفى، والصوفية يسقطون إرادتهم فى إرادة الله تعالى، بمعنى "لافاعل إلا الله تعالى" ولامريد على الحقيقة إلا الله تعالى "ولامشيئة إلا المشيئة الإلهية" وقوله تعالى "وما تشاؤن إلا أن يشاء الله" سورة التكوير (٣٩) وقوله تعالى "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" سورة الأنفال آية (١٧) .

فالله تعالى لايختار كرماً ولطفاً لمن أسقط إختياره عنده إلا الأمن والوقاية، وهو يتولى الصالحين[3]. وقد كان الرفاعى فى أغلب الأحيان. ضابطاً لأحواله ومواجيده وأذواقه، ولم تصدر عنه مصطلحات غريبة أو شطحات مريبة، بل كان واضعاً أصول الشريعة أمامه دائماً، مستنداً إلى ذوقه الباطنى وعقله الظاهر .

ولذلك، فقد إقترب من مذاهب السلف، وعلماء السنة فى علم الأصول، فهاجم دعاة التشبيه والتعطيل، وأصحاب المذاهب التى خالفت مناهج السلف، وهم: المشبهة والمعتزلة، ومن ذهب مذاهبهم لذلك يقول فى التوحيد "أنه وجدان تعظيم فى القلب يمنع من العطيل والتشبيه"[4].

كذلك سلك مذهب السلف فيالتفويض والتسليم فى "مسألة الذات والصفات" يقول فى ذلك: "لو تكلم الرجل فى الذات والصفات كان سكونه أفضل ومن خطر من قاف إلى قاف كان

---

(١) المصدر السابق - ص٣٤ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٣٤ وما بعدها .

(٣) نفس المصدر السابق - ص٣٤ - ص٣٥ .

(٤) الشعرانى - الطبقات - جـ١ - ص١٢١ .

جلوسه أفضل" [١]. وكان يقول أيضاً .. "والملتفت لايصل والمتسلل لايفلح، ومن لم يعرف من نفسه النقصان، فكل أوقاته نقصان [٢].

٨ - *الحقيقة المحمدية فى أوراد الإمام الرفاعى وهو "راتب التحفة":*

كما تحدثنا فيما سبق أن أئمة التصوف وشيوخه المتأخرين، وضعوا أوراداً وأحزاباً ومجموعة من الأدعية حتى يتسنى للمريدين ترديدها وحفظها، فى خلواتهم، وصلواتهم، وقد تميزت كل طائفة عنالخرى بمثل هذه الأوراد أو الأحزاب .

وقد نجد إن ماتضمنته هذه الأوراد تنطوى على معانى وأذواق وأحوال وجدانية، وتجليات روحانية، ويستند شيوخ الصوفية إلى كلمات مستخلصة من النصوص القرآنية وأحاديث النبى ﷺ، بالإضافة إلى مايرد على قلوبهم من معنى وإستنباطات وجدانية مستخلصة من تجربتهم الصوفية .

وإذا ماتناولنا "ورد الإمام أحمد الرفاعى، وهو مايسمى "براتب التحفة" نجد أنه يتضمن مجموعة من الأدعية، تندرج خلالها آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، ومعانى وجدانية مستفادة من تجربة الرفاعى الصوفية.. ولكن ممايلفت النظر، أن الرفاعى، تضمن ورده "نظرية الحقيقة المحمدية" بالمعنى الذوقى الوجدانى المستخلص من النصوص القرآنية، وليس بالمعنى الفلسفى النظرى كما رأيناه عند فلاسفة التصوف المتقدمين أو المعاصرين. فهل معنى ذلك أن الرفاعى قد تأثر فى هذه النظرية، بآراء فلاسفة الصوفية، علماً بأن طريقته تعتبر فى الجانب التطبيقى العلمى إمتداداً حقيقياً لطرق الصوفية من أهل السنة [٣] .

---

(١) نفس المصدر السابق - ص١٢١ .

(٢) نفس المصدر - ص١٢٢ .

(٣) تذكر المصادر أن أصول الطريقة الرفاعية تمتد بأصولها إلى الأوائل من شيوخ التصوف منهم معروف الكرخى/ ٢٠١/ هـ والسرى المقطى/ ٢٥٧هـ والإمام الجنيد/٢٩٨هـ/ والروزبادى/ ٣٢٢/هـ وأبو بكر الواسطى/ ٣٢٠/ هـ وأبو بكر الشبلى/ ٣٣٤/ هـ - نظرنا - الشيخ محمد أبو الهدى الصيادى الرفاعى - تنوير الأبصار فى طبقات السادة الرفاعية ص٢٣ - ط - المطبعة العامرية الشرقية بمصر - ١٣٠٦/ هـ .

وبداية. يفتح الرفاعي "ورده"[1] بقراءة فاتحة الكتاب مرة، ويستغفر الله ثلاثاً، ويذكر اسمه "بلاإله إلا الله" مائة مرة، وتصلى على النبي ﷺ عشر مرات، وتقرأ سورة الضحى ثلاثاً، وسورة ألم نشرح لك صدرك ثلاثاً، والإخلاص والمعوزتين والفاتحة ثلاثاً، ثم تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ١٩ تسعة عشر مرة، اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين رحمان الدنيا والأخرة، ورحيمهما أنت فارحمني. رحمة تغنيني بها على رحمة من سواك، ياأرحم الراحمين ثلاثاً اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر، وفتنة الدنيا وعذاب القبر ثلاثاً، ربى أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً .

اللهم إنى أسألك بأسمائك الكريمة، وصفاتك العظيمة وبكلماتك التامات كلها، وبالآيات وأسرارك وأنبيائك، وأنصارك وبنبيك عبدك ورسولك سيد أهل حضرتك، وعن أرباب معرفتك سيدنا محمد حبيبك، والذى فتقت رتق المواد السابقة الأصلية، وأقمت به دعائم المواد اللاصقة الفرعية، علت الأجزاء الحادثات سبباً، ودائرة النكات النبحة من عالم الإبداع إحاطة وعدداً، ومنتهى الموارد والمتشبعة من ساحل يم الإيجاد مدداً، طريق سبيل التجليات السارى فى الظاهر والباطن، وتقطه الجمع الحيطة بكل فرق ظاهر وباطن حاصل لواد "إنك لعلى خلق عظيم" سورة القلم (٤) صاحب منشور "قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم" سورة الأنعام(١١٦) أرزقنا اللهم طول الصحبة، وكرامة الخدمة، ولذة شكر النعمة، ونور الطاعة، وإجتناب المعاصى. وهكذا إلى أخر مافى هذه التحفة من أدعية[2].

وإذا كان لنا أن نستجلى نظرية الرفاعى فى الحقيقة المحمدية "فنجد أنه يصورها كحقيقة إلهية جامعة لمعانى الوجود. وحكمة الله تعالى فى الخلق، ومنبع المعارف والفيوضات الربانية، والأخلاق الكريمة، إذاً فهذه الحقيقة هى شرعية هذا الوجود بكل مافيه يقول الإمام الرفاعى فى ذلك "ياكافى المهمات يارب الأرض والسموات، أسألك بالحقيقة الجامعة المحمدية، وبما إنطوى فى مضمونها من عظائم الأسرار الربانية "بالميم" "الممتد" إلى بحبوحة "مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان" سورة الرحمن (١٩) مادة المظاهر الطالعة، والمشارق اللامعة، محباً للحكمة

---

(١) نظرنا الرفاعى الوصايا "الوصية الثانية" "راتب التحفة" وما بعدها .

(٢) لمزيد من التفاصيل والدراسة - راجع المصدر السابق - ص٢٠ - ص٢٤ .

المقبولة مدار الشريعة المنقولة، ميزان الفيوضات الهاطلة منبع العوارف المتواصلة، ماهية المعرفة المطلوبة، ميزان الطريقة المرغوبة، منتهى الحقيقة المحبوبة جامع البداية الإبداعية، منير بيت النهاية الإمكانية، وأسألك اللهم "بحاء" الحسن الأعم، والحمد الأتم حد النهايات الصاعدة فى أدراج السمو الملكوت حيطة الغايات المتقلبة على بساط الإحسان الرحمونى، حبل إحاطة معانى "حم عسق" سورة الشورى (آية ١ - ٢) حملة دولة التصريف الذى أفرغ على المنون من طريق الكاف. حرف العبدية الخاصة المضمرة فى عالم "عم" سورة النبأ (١) حالة المحبوبة المطرزة بعلم .. "آلم" سورة البقرة آية (١)، سورة الروم آية (١) .

وأسألك اللهم "بميم" المدد المعقول على مجمل أسرار الوجود مدة الأزل السائلة من شوائب النقصان مدة الأبد الثابتة بالوهب إلى آخر الدوران، معنى وصف القدم فى ثوب العدم، مرجع مظاهر التجرد على ملابسات الأغماض بالكلية، منار الإخلاص المتحقق، بإكرام آداب المخلوقية، مولى ذرة كونية، منصبة التجليات الصمدانية فى حظائر التعبد الأول. مجموع العدديات الإحسانية فى ساحة رفرف الإفاضات الأطول .

وأسألك اللهم "بدال" الرنو الأقرب الذى لاينفصل عن حضرة الإحسان، دولة الإيمانية المشتمل مقام سلطانها على جميع نفائس العرفان، دائرة البرهان القى المترجم فى صحف الإيناس درة الكيان النوعى المتوج بتاج "والله يعصمك من الناس"[1] سورة المائدة آية (١٧) .

إلى هنا ينتهى الرفاعى من إستنباط المعانى والأسرار الإلهية من كلمة "محمد" الدائرة فى أرجاء الكون، والمشبعة بالعوارف المتواصلة بماهية المعرفة المطلوبة، والتى تترجم مواد أوائل السور القرآنية "ألم" "حم" "عسق" إذن فكل حرف من حروف كلمة محمد (م، ح، م، د) يحتوى على معانى وأسرار. ولطائف وإشارات، ورموز، وماهيات .....

ثم يواصل الإمام الرفاعى ورده "التحفة" بمجموعة من الأدعية والتوسلات إلى أن يصل ماذكرنا بنظرية "القطبانية" أسألك اللهم بالقول اللامع والقمر الساطع والبدر الطالع والفيض الهامع، والمدد الواسع نقطة مركز الباء الدائرية الأولى، وسر أسرار الألف القطبانية، واسطة الكل فى مقام الجميع ووسيلة الجميع فى تجلى الفرق، جوهره خزانة قرتك، وعروس ممالك حضرتك

---

(١) الرفاعى - الوصايا - الوصية الثانية - ص٢٠ - ص٢١ .

...إلخ[1]. ثم بعد ذلك أدعية وتوسلات وإذا تأملنا ذلك نجد أن هذه النظرية "والحقيقة المحمدية" هى قطب الرحى، ومدار أفكار ومعانى الطوائف الصوفية، غير أن الصوفية المتأخرين إعتقدوا فى هذه النظرية إعتقاداً جازماً، وخالياً من الأفكار الفلسفية أو المصادر الغنوصية المشبعة بالآثار الأفلاطونية المحدثة .

٩ - *الخلوة والولاية الصادقة عند الرفاعى:* -

كما رأينا فيما سق أن الإمام أحمد الرفاعى، عرف بين أوساط الصوفية المتأخرين، بشيخ الطريقة، فى عصره،وإشتهر بالصلاح والتقوى، شافعى المذهب، متمسكاً بأصول الكتاب والسنة، يعرف للعقل قدره، يسير على طريق السلف فى علم أصول الدين، وقد أحسن أتباعه الإعتقاد فيه، وكانت له كرامات وخوارق، وهى ماأشتهر عن الرفاعية فى هذه العصور .

وقد كانت له خلوات "فالخلوة، والخرقة" من أصول الطرق الصوفية وقواعدها، ومن أهم هذه الخلوات "خلوة المحرمية" وهى مراسم الطريقة الرفاعية، وفى كل سنة، يعتكفون سبعة أيام أولها الحادى عشر من شهر محرم الحرام[2].

ومن صفات الولاية إتباع الشريعة، والتخلق بأخلاق النبى ﷺ، يقول الرفاعى فى صفات الولى الصادق "ظن أناس من أهل الحجاب أن الولى هو الذى يقوم ويصول ويدعى الفعل والقطع والوصل، وظن طائفة منهم أن الولى هو المسلوب أو المجذوب، ظن آخرون أنه الأبله المهان، إلا أن الولى هو: العاقل الكامل الحكيم الكريم، العامل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إلا أن البدعة فى طريق الحق كالذرة فى العين، ثقيلة وإن كانت خفيفة، كبيرة وإن كانت صغيرة، فكل ماخالف الشرع ليس من طريق الحق، وماالطريق إلا الشرع وكمل مرتبة التخلق بأخلاق النبوة وأخلاق النبى ﷺ[3].

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٢٢ - ص٢٣ - وما بعدها .

(٢) الشيخ محمد أبو الهدى الصيادى الرفاعى - تنوير الأبصار فى طبقات السادة الرفاعية الأخيار - ص٧ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص١٦ - ص١٧ .

يقول "إياك: أيها المؤمن التقى قطره الله على الإيمان وشرح صدره بنورالهدى والإسلام. أن تلفت عنان جهلك لزخارف سفسطة المارقين فتزعم أنها من الحكمة، فتستصغر حكمة دينك" (١).

١٠ - آثار الطريقة الرفاعية وطبقاتها في العصور المتأخرة : -

إشتهر الإمام أحمد الرفاعي بين أصحابه، وصوفية عصره، بصفات حميدة، فقد وصف بالتقوى، والصلاح. وعمق الإيمان وشدة التمسك بالشريعة وإشتهر عنه قوله "الحقيقة بلا شريعة زندقة" "وهو الجامع بين الحقيقة والشريعة" ولقب كذلك بأبي العلمين، وأبي العينين .. وغير ذلك (٢) .

ولكن أهم الألقاب التي لقب بها الشيخ الرفاعي شيخ الطرائق وأستاذ الجامعة، نظراً لتأثيره العملي والعلمي والروحي والباطني في كثير من طوائف الصوفية في عصره وشيوخ التصوف العملي في القرون التالية .

ونذكر على سبيل المثال في ذلك تأثيره أو أثره في "الخرقة" عند مشايخ الطرق الصوفية. مثل الشيخ أحمد البدوي/ ٦٧٥/ هـ شيخ الطريقة البدوية - العربية في مصر. وكذلك الشيخ أبو الحسن الشاذلي/ ٦٥٦/هـ إمام شيخ الطريقة الشاذلية، وكذلك الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الحاتمي ت/٦٣٨/هـ

وفي ذلك يقول صاحب كتاب "تنوير الأبصار" والسيد أحمد البدوي بن السيد على البدري المغربي المستشرق شيخ الطريقة الأحمدية بطنتدا "طنطا" بمصر أحد أقطاب الدين المشهورين لبس الخرقة عن الشيخ "يرى" وهو عن الشيخ "على بن نعيم البغدادي" وهو عن الإمام "محي الدين أحمد الرفاعي" .

أما الشيخ محي الدين عربي، "فأخذ الخرقة الخرقة عن تلامذة الرفاعي" .

ومن الذين لهم بالواسطة شرف الخرقة الرفاعية الولي الجليل العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلي المغربي. زعيم صوفية الأسكندرية، فهو لبس الخرقة عن شيخه الشيخ

---

(١) نفس المصدر ص١٧ .

(٢) لمزيد - راجع نفس المصدر السابق - ص٢٦ ومابعدها .

عبد السلام بن بشيش/٦٢١ أو ٦٢٥/ هـ الشريف المغربى، وهو أخذها عن القطب الكبير "يرى القراقى" وهو عن السيد أحمد الرفاعى، وأخذ الشاذلى أيضا عن الشيخ أبى محمد عبد الرحمن المدنى العطار المشهور بالزيات، وهو عن الإمام أحمد الرفاعى" (١).

وجدير بالذكر أن الرفاعية كانت لهم أزياء مثل غيرهم من الفرق والطوائف الصوفية الأخرى، إذا عرفت الرفاعية بالزى الأسمر" وقد سبق أن أشرنا لذلك بحثنا ذلك عند ذكر خصائص ومظاهر التصوف فى العصور المتأخرة(٢).

وفيما يتعلق بسلسلة طبقات ومشايخ الطريقة الرفاعية فقد تحدث صاحب كتاب صاحب كتاب البصائر"وجون سبنسر ترمنجهام" فى كتابه عن شيوخ التصوف فى الإسلام (J, spencer Triminghom, the sufi orders in Islam,) . يقول صاحب "تنوير الأبصار" تنتهى إلى الطريقة الرقاعية كل من فروع السلسلة الصيادية، والأعزبية، والحريرية والشمسية، والسيسية. والجندلية، والنورية والعجلانية، والكبالية، القطنانية، والجبرتية والواسطية، والعزيزية، والعلمية، والزينية(٣).

ويشير صاحب تنوير الأبصار إلى أشهر رجال الطريقة فى كل من مصر، واليمن وفارس، والشام..

"فمن رجال فارس الشيخ عبد الكريم الرافعى والقزوينى والسيد جلال مخدوم الحسينى البخارى".

ومن رجال اليمن الشيخ أحمد بن علوان، حيث أخذ عن أحمد البدوى وعن السيد أحمد الصياد، وعن الرافعى، وإبراهيم الضجاعى وأحمد أبو إسماعيل الجبرتى.

ومن رجال مصر: الشيخ عبد العزيز الدرينى/ ٦٩٧/ هـ وشيخ الإسلام عبد الله البلتاجى (القرن السابع) والشيخ عبد السلام القليبى (القرن السابع) والشيخ على المليجى

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٢٦، ص٢٧.

(٢) دكتورتوفيق الطويل التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ص٧٩- راجع الفصل الأول من البحث.

(٣) الشيخ محمد أبو الهدى الرفاعى الصيادى - تنوير الأبصار فى طبقات الرفاعية الأخيار - ص٢٥.

(القرن السابع) والإمام الجامع الدنشورى (القرن السابع) وهم خلفاء أبو الفتح الواسطى/ ٦٣٢هـ/ خليفة الإمام أحمد الرفاعى، كذلك مشايخ كثيرون ببلاد الغربية، وأتباعهم وأتباع أتباعهم.

هذه الطوائف والشخصيات الصوفية. ختام الطبقات الرفاعية فى نهاية الخمسمائة وحتى بداية الستمائة[1].ورجال الشام كان منهم الشيخ إلياس أبو عبد الله القطنانى والشيخ خليل البراق، والشيخ القرشى الدمشقى[2]. ويجدر بنا أن نشير ونذكر أهم الشخصيات من كل طبقة من طبقات الرفاعية منذ الطبقة الأولى فى القرن السادس وحتى القرن الثالث عشرالهجرى.

ففى طبقات الرفاعية التى توفيت حتى ختام (عام ٦٠٠/ هـ) وأوائل القرن السابع الهجرى.

١ - السيد إسماعيل الرفاعى - الأخ الأصغر للرفاعى.

٢ - السيد عبد الرحمن العذب البيان المتوفى عام/٥٨٤/ هـ.

٣ - السيد مهد الدولة عبد الرحيم الأخ الأصغر للمتقدم/ ٦٠٤/ هـ أما طبقات الرفاعية التى توفيت فى القرن السابع الهجرى منهم:

١ - السيد إبراهيم الأعزب/ ٦٠٩/ هـ وهو صاحب كرامات عجيبة مثل السقوط فى النيران وإطفائها.

٢ - الإمام المؤيد شمس الدين محمد/ ٦١٩/ هـ.

٣ - قطب الدين أبو الحسن على الرفاعى / ٦٣٠/ هـ.

٤ - السيدة عائشة الرفاعية/ ٦٣٥/ هـ.

٥ - الشيخ عز الدين عبد الرحيم/ ٦٢١/ هـ.

٦ - وفى طوائف الحريرية نذكر شيخهم أبو محمد على الحريرى فى البصرة وحوران المتوفى عام/ ٦٢٤/ هـ.

٧ - الشيخ الأكبر والعلم الأوحد شيخ طائفة الصيادية السيد أحمد الصيادى الرفاعى طريقة.

---

(١) المصدر السابق - ص٢٧، ص٢٨.

(٢) نفس المصدر - ص٢٨.

والمتوفى عام/ ٦٧٠/ هـ وقد خلف كثير من الأبناء فى سلك الطريقة أيضاً، أهم هذه الشخصيات السيد على أبو شباك دفن بمصر إبن القطب الفرد ولى الله الأعظم السيد عز الدين أحمد الصياد. ولد عصر عام/ ٦٣٥/ هـ وتوفى بمصر عام/ ٧٠٠/ هـ .

أما الطبقة الرفاعية التى توفيت فى القرن الثامن الهجرى منهم :

١ - الشيخ شمس الدين محمد بن السيد عبد الرحيم الأصغر بن السيد عزالدين الصياد ، وقد كان شيخ الرواق الرافعى المتوفى عام /٧٠٤/ هـ.

٢ - الشيخ تاج الدين الرفاعى الذى تولى مشيخة الرواق عام/ ٧٠٤/ هـ وتوفى بمصر عام / ٧٤٤/ هـ .

٣ - الشيخ القطب الفرد الجامع، الوارث المحمدى ، عبد الله نجم الدين المبارك الصياد المتوفى عام /٨٠٠/ هـ.

- أما الطبقة الرفاعية التى توفيت فى القرن التاسع الهجرى منهم:

١ - الشيخ عبد الرحمن شمس الدين /٨٣٩/ هـ.

٢ - الشيخ محمود البصرى /٨٧٣/ هـ .

٣ - الشيخ ابراهيم العربى الرقى/٨٩٣/ هـ .

٤ - السيد حسين العراقى المتوفى بالبصرة عام /٨٩٢/ هـ.

- أما الطبقات الرفاعية التى توفيت فى القرن العاشر الهجرى منهم:

١ - السيد علاء الدين الكبير الرفاعي /٩٠٢/هـ.

٢ - السيد عبد الواحد محمود الأسمر الصياد /٩٣١/ هـ .

٣ - السيد عبد الملك بن السيد عبد المنعم الذى ينتهى نسبه إلى عز الدين الصياد الرفاعى - دفن بمصر عام ١٠٠٠/ هـ.

- أما الطبقة الرفاعية التى توفيت فى القرن الحادى عشر الهجرى منهم :

١ - السيد شرف الدين أحمد - ينتهى نسبه الى الرفاعى ت عام / ١٠٢١/ هـ

٢ - القطب الغوث السيد محمد برهان بن محمد حسن الفواص الصيادى الرفاعى١٠٠٩/هـ.

٣ - وقد كان بحمص السيد جندل بن على الجندلى مؤسس فرع الطريقة الجندلية الرفاعية

والتى توالت وتطورت عبر العصور حتى تولاها السيد نجيب أفندى الجندلى المتوفى عام ١٣٠٠/ هـ.

والمشيخة الجندلية الرفاعية مشهورة بالشام وحمص ولها مريدون كثيرون حتى الأن.

- أما الطبقة الرفاعية فى القرن الثانى عشر الهجرى ، فقد كان منهم :

١ - السيد عبد العلام آل خزام الصيادى الرفاعى البصرى ت عام /١١٠٣/ هـ .

٢ - العارف بالله تعالى السيد ابراهيم بن السيد أحمد وينسب إلى الشيخ الصيادى الرفاعى /١١٣١/ هـ.

٣ - السيد عثمان بن السيد محمد العجاج الرفاعى ت عام /١١٨٩/ هـ أما الطبقة الرفاعية فى القرن الثالث عشر الهجرى . كان منهم :

١ - السيد خزام ابن السيد ولى الله على آل خزام بن السيد حسين برهام الدين الصيادى الرفاعي الخالدى المتوفى عام /١٢٠٩/ هـ بحماه بالشام وهو من الشخصيات البارزة فى الطريقة الخالية الرفاعية.

٢ - ولى الله العارف بالله الشيخ أحمد الرفاعى / ١٢٢٥/ هـ .

٣ - السيد أبوبكر الصيادى الزيتاوى / ١٢٤٠/ هـ.

٤ - السيد هاشم بن السيد محمد الرفاعيى/١٢٧٢/ هـ.

وغير هؤلاء كثيرون، يتبعون المشيخة الرفاعية وهم يتدرجون فى سلك الطريقة بنظام معين ، يبدأ بشيخ الطريقة ، ثم شيخ السجادة الأحمدية الرفاعية، ثم نائب السجادة ثم الدراويش والمريدون (١).

---

(١) راجعنا فى ذلك : الشيخ محمد أبو الهدى الرفاعى الصيادى - تنوير الأبصار فى طبقات الرفاعية الأخيار - ص٢٨ الى ص١٣٢.

كذلك : J, spen cer Trimingham, the sufi orders in Islam, p, 281.

"الفصل الرابع"

ابن الصباغ القوصى

المتوفى عام / ٦١٢/ هـ

١ : حياته :

أبو الحسن على بن أحمد بن اسماعيل بن يوسف بن الصباغ القوصى، المتوفى عام ٦١٢/هـ أو عام / ٦١٣/هـ، من أئمة الصوفية القرن السادس وبداية السابع الهجريين، صاحب المعارف والكرمات، وصاحب الشيخ عبد الرحيم بن حجون القنائى المشهور بسيدى عبد الرحيم القناوى المتوفى عام /٥٩٥/ هـ، الأخذ عنه، وصحبه جماعة من العلماء منهم مجد الدين ابن دقيق العبد والتفت حوله طائفة من المريدين فأحسن تربيتهم وهدايتهم، حتى لقد أصبح لكل منهم شأن يذكر فى تاريخ الحياة الروحية فى مصر الإسلامية، ومن الذين صحبوه والتفوا حوله وأخذوا عنه - يوسف بن محمد بن على بن أحمد الهاشمى أبو الحجاج المغاورى المتوفى عام ٦١٩/ هـ وأبوبكر وأبو يحيى بن شافع القنائى المتوفى عام ٦٤٧/هـ كذلك أبو المغيث مفرج بن موفق بن عبد الله الدمامين المتوفى عام /٦٤٨/هـ وعلم الدين إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر المنفلوطى القنائى المتوفى عام /٦٥٢/هـ وإبراهيم بن على بن عبد الغفار بن محمد بن فضل ابن أبى الدنيا الأندلسى القنائى المتوفى عام ٦٥٦/هـ[١].

ومما لاشك فيه أن ابن الصباغ بطريقته الصوفية ، وبهؤلاء التلاميذ والمريدين استطاعوا تكوين مدرسة صوفية مصرية إسلامية كبرى فى هذه العصور المتأخرة. كان لهؤلاء تأثير عميق فى الحياة الروحية المصرية نظراً لأن طريقة ابن الصباغ وأتباعه تجمع بين الحقيقة والشريعة[٢] وان كنا نلاحظ بعض العناصر الفلسفية والنظرية فيما تركه من آثار نثرية أو شعرية .

---

(١) نظرنا : السيوطى - جلال الدين /٩١١/ هـ - حسن المحاضرة - حـ ١. ص٢٢٠- ص٢٢٢. ط مصر سنة ١٢٩٩ هـ

(٢) كذلك الدكتور - محمد مصطفى حلمى - ابن الفارض - ص٩٦ - ص٩٧.

ومن الجدير بالذكر، أن شيخه عبد الرحيم القناوى "القنائى" كان كثيراً مايثنى على ابن الصباغ ، طريقة وحقيقة، فيقول "دخل أبو الحسن" ابن الصباغ من باب مادخلنا منه" وهذه (١) العبارة تشير الى أن ابن الصباغ القوصى يعد شيخاً من شيوخ الطريقة والحقيقة والشريعة المرموقين ، حتى فى أثناء حياة كبار شيوخ التصوف فى عصره فى ذلك الوقت من أمثال - الرفاعى /٥٧٨/ هـ، وعبد الرحيم القنائى/ ٥٩٥/ هـ وعبد السلام ابن بشيش/ ٦٢١هـ/ ٦٣٢هـ/ وغيرهم .

ولقد نشأ ابن الصباغ القوصى ، نشأة مليئة بالعبادة والورع والزهد والنسك بعيدا عن حياة اللهو أو العبث، إذ أن "قوص" كانت أحدى الحواضر المصرية فى صعيد مصر، مصدر إشعاع دينى، وروحى وعلمى، وكانت الحياه الفكرية فيها ثرية ونقية خالصة من شوائب الإعتقادات الفاسدة، وادعاءات المدعين، أو ابتداع المبتدعين .

وقد درس ابن الصباغ العلوم العربية، والعلوم العقلية والمعارف الفلسفية، كالمنطق، والمقولات ومباحث علم الكلام، ومما يدل علي ذلك مارواه عبد الرؤف المناوى "فى الكواكب الدرية" إذ قال أن ابن الصباغ عندما سئل عن التوحيد قال "إثبات الذات تنفى الجهة ، وإثبات الصفات تنفى التشبيه".

ولعل ذلك يدل على مدى معرفة ابن الصباغ العميقة بالعلوم العقلية، وحسن درايته لمسائل التوحيد، ومباحث علم الكلام[٢] وعلى ذلك، فإن ابن الصباغ القوصى لم يدخل الطريق الصوفى قبل أن يلم بعلوم عصره من كلام وفلسفة وفقه وتشريع وتفسير وحديث فضلاً عن معرفته التامة باللغه العربيه وقواعدها .

٢ - طريقة ابن الصباغ الصوفية:

يبدوا أن ابن الصباغ لم يترك مؤلفات كثيرة فى مجال الطريقة الصوفية نستطيع أن نتعرف عن قرب بمنهجه وطريقته، ولكن طريقته الصوفية، وأصولها وماعليها من قواعد، تحدث

---

(١) الدكتور - على صافى حسين - الأدب الصوفى فى مصر - (ابن الصباغ القوصى) شيخ التصوف المصرى فى القرن السابع الهجرى . ص٨٥ - ط - دار المعارف ١٩٧١م.

(٢) المصدر السابق - ص٨٨ ، ص٩٠ .

عنها كثير من مؤرخى الطبقات الصوفية المتأخرين لذلك نجدها مبثوثة فى بطون كتب المتأخرين، وقد أثنى معظم هؤلاء الكتاب والمؤرخين، على شخصية ابن الصباغ الصوفية، وطريقته التى تقوم أصولها على الكتاب والسنة، وأستمد مبادئها من معين شيوخه الذين تتلمذ عليهم وأخذ منهم، كما أن طريقته كما سنروى لم تخرج عن نطاق التجربة الصوفية العملية، كما كان شائعاً بين أصحاب الطرق فى القرنين السادس والسابع الهجريين .

غير أننا نلاحظ بعض الإتجاهات النظرية أو الفلسفية، ربما كانت صادرة لإنغماسه الشديد فى بعض أحواله فى المحبة الإلهية والعشق الإلهى، بما يذكرنا بطريقة العشق الإلهى والمحبة عند ابن الفارض/٦٣٢/.

وإذا كان ابن الصباغ قد نشأ فى غضون القرنين السادس والسابع الهجريين، فقد إنغمس فى تجربته الصوفية ، وخاض مجاهداتها وأحوالها، إذ أن البيئة التى كانت تحيط به فى ذلك العصر لم تنتشر خلالها عناصر فلسفية أو غنوصية.

وعلى ذلك .. فان ابن ا لصباغ قد بدأ حياته الصوفية بالتبتل والتنسك والإكثار من الصلاة والصيام وادامة الذكر وتلاوة القرآن وقيام الليل .. فقد كان شديد المجاهدة .. شأنه فى ذلك شأن السالكين المتجهين بكليتهم الى ربهم عز وجل المنصرفين عمن سواه.

وإذا كان لنا أن نحدد طريقة ابن الصباغ منذ البداية، فإننا كما ذكرنا ننقسم إلى: جانب تجريبى عملى - وجانب نظرى مشبع ببعض المواجيد والأذواق الباطنية والفلسفية.

ونحن هنا نهتم بالجانب العملى أكثر من النظرى الفلسفى - حيث أنه الطابع الغالب أو الصيغة العامه للتصوف عند ابن الصباغ فى هذه الفترة وإذا كان لنا أن نشير إلى الجانب النظرى المشبع بعناصر فلسفته فإن ذلك ينحصر فى قوله بالحب الإلهى ومايظهر من خلال أشعاره من أفكار تعنى تأثره بنظرية وحدة الوجود أو الإتحاد الصوفى، وقد كان ذلك شائع فى القرنين السادس والسابع عند متفلسفة الصوفية، فى معظم البلاد الأخرى - كالشام وفارس والعراق والأندلس أما فى مصر فقد كان ذلك نذرا ويسيرا أو مجرد أفكار فقط تراود عقول الصوفية إذ أنهم قرؤها ثم حاولوا أشباعها من باب العلم بها فقط. هذا .. إن جاز لنا افتراض ذلك. فإن الصباغ على سبيل المثال، أقام طريقته الصوفية على هذين الإتجاهين، وإن كان الإتجاه التجريبى العملى هو الغالب والشائع فى طريقته.

فالجانب الفلسفي النظرى يظهر فى الإتجاه الروحى الذى بنى عليه ابن الصباغ القوصى /٦١٢/ هـ قوانينه الباطنية ذات الوجهة الروحية والنزعة العلوية ،هذا يتمثل فى نظرية الحب الإلهى بالقول "بوحدة الوجود"، "والإتحاد" وقد روى عنه الكثير من الأشعار والأقوال بما يؤيد ذلك.

وعلى ذلك وقد نسب اليه فى الحب الإلهى قوله:

بفنائى فناء فى بقائى من الهـوى	فيا ويح قلب فى فناء بقـــــاؤه
وجودى فناء فى فناء فأننـــــى	مع الأنس يأتينى هنيئاً بـــــلاؤه
فيامن دعا المحبوب سراً بســـره	أتاك المنى يومـاً أتـاك فنـــــاؤه

فهذا الكلام، يفيض بالوجد والشوق، مملود بالزفرات، حافل بعبارات الحب نابض بأروع صور الهيام الأمر الذى يجعلنا نقول أن إبن الصباغ استاذ ابن الفارض فى هذا الوله، وذلك الهيمـان، أما نظرية وحدة الوجود وهى التى نسبت إلى الشيـخ الأكبر محى الديـن بن عربى/٦٣٨/ هـ ومدرسته فقد بدت هذه النظرية فيما ورد عن ابن الصباغ القوصى /٦١٢/هـ وماروى من أشعاره بقوله:-

تسر بل وقتى فيك فهو مسر بل	وأفنيتنى عنى فعدت مجـــــددا
وكل بكل الكل وصل محقـــق	حقائـق حق فـى دوام تخلـــدا
ففرد أمرى فانفردت بقربتـــــى	فصرت غريباً فى البرية أوحـــدا

فإذا تأملنا هذه الأبيات ، نجد فيها رائحة ، أو شبه القول بوحدة الوجود، وعلى ذلك نلاحظ أن ابن الصباغ قد عاصر وعايش وتأثر بتلك الأفكار التي كانت سائدةعند متفلسفة الصوفية ، وعشاق المحبة الإلهى، وقد ذكرت المصادر أن ابن عربى إجتمع بأبى الحسن الصباغ، وحضر مجالسه، وهو فى طريقه الى الحجاز ماراً بأرض الصعيد(١) .

وجدير بالذكر أن تصرف ابن الصباغ القوص، وطريقته، لم يهتم بها عدد كبير من الباحثيـن فى الأدب والتصـوف فى العصر الحديث، وربما يرجع ذلك الى ندرة مصـادره، غير أن

---

(١) الدكتور - على صافى حسين - الأدب الصوفى فى مصر "ابن الصباغ القوصى" ص٩٦ - ص٩٧ - نور الدين الشطنوفى - بهجة الأسرار ومعدن الأنوار- ص٢٢٢ ص ٢٢٣ ط الحلبى بمصر - ١٣٠٤ هـ..

أرائه وأصول طريقته مثبوت فى بطون كتب المتأخرين، ومما لاشك أن هذا الجانب النظرى الفلسفى بحاجة الى مزيد من الدراسة والتحليل من جانب الباحثين المعاصرين.

أما الجانب الصوفى العملى عند ابن الصباغ القوصى، فلاشك أنه غزير الفائدة كثير المعرفة، لاينفصل عن الجانب الباطنى والذوق الروحى المشبع بنظريته فى الحب الإلهى.

ومن الجدير بالذكر أن حال التصوف فى مصر فى هذه الفترة كان يختلف من بعض النواحى عما كان عليه فى حالة فى العراق ، عند بعض الصوفيه من أمثال "ابن الصباغ القوصى" وعبد الرحيم القنائى /٥٩٥/هـ أو عام ٥٩٢/ هـ(١) وغيرهما، من حيث "الخرقة" فأكثر صوفيه مصر والشام كانوا يرفضون رواية الخرقه، فى القرن السادس والسابع الهجريين.

ومن ناحية أخرى، فإن الجانب العملى - والمنهج السلوكى المشبع بالذوق الباطنى، والوجدان القلبى عند إبن الصباغ يتضح لنا من خلال أقواله وأفعاله وهو ماذكره عنه مؤرخوا طبقات الصوفية المتأخرين .

فمن جملة طريقته الصوفية وقواعدها وجميع تعاليمه لايخرج عن الإستكثار من المجاهدات، وإدامة المكابدة بالصلاة والصيام، والإجتهاد فى العبادات، ومحاربة الشهوات، والإقلاع عن الرغبات، وترك العوائق، وقطع العلائق وتصفية وتهذيب النفس والإنصراف بالقلب عن كل ماسواه (٢).

أما القواعد التى تقوم عليها طريقة إبن الصباغ القوصى فيمكن أن نوجزها فى الأمور التالية: -

أ - إختيار المريدين:

فقد كان إبن الصباغ يعتنى باختيار أتباعه، ولم يكن يفتح باب الإنتساب إلى طريقته على مصرعيه، بل كان يتخير من القائمين على طريقته بمن يظن فيهم الخير والصلاح، ولم يكن يسمح لأحد غير ذلك بالإنخراط فى سلك طريقته.

---

(١) لمزيد من الإيضاح - الشعرانى - الطبقات الكبرى حـ١ - ص١٣٥ حيث لم يذكر فى ترجمته عبد الرحيم القنائى عن لبسه للخرقة الصوفية من أحد أو عن أحد، كذلك لدى كثير من شيوخ الصوفية الأخرين راجع ص ١٣٥ وما بعدها . على العكس فى ترجمة - الرفاعى /٥٧٨/هـ وغيره ، فقد ذكر الخرقة وهو كما نعلم من صوفية العراق - ص١٢١.

(٢) الدكتور - على صافى حسين - الأدب الصوفى فى مصر (ابن الصباغ القوصى) ص٩٦ .

ب - كان إبن الصباغ يعمل على **ترويض المريدين**، فكان يكلف مريديه أعمالاً غير ظاهرة النفع وليس لها أثر "مثل تكليفهم بجمع نباتات الحلفا إذ ليس فى ذلك أى نفع دنيوى، أو أثر يذكر فى أحوال الطريق والمغزى من تكليف إبن الصباغ المريدين بعمل غير ذى فائدة فى الظاهر هو تعويدهم الصبر، والجلد والإحتمال وعدم الفزع والجزع، وذلك عندما يتوقع المريد إخفاقاً فى بعض السلوك أو قلة الفائدة، من بعض أعمال المجاهدة والمكابدة .

جـ - **احترام الشيخ والامتثال لأوامره:** فيجب على كل مريد أن ينظر إلى شيخ الطريق بعين ملؤها المحبة والتقدير، وأن لايشك فى سلامة نية الشيخ وصحة توجيهاته... وكان إبن الصباغ دائم الرعاية وتقديم العون الروحى، والفوق الوجدانى إلى مريديه وأتباعه، وهناك روايات وأقاصيص كثيرة فى هذا الجانب مشحونة بكثير من الأمور العجيبة والأمثال الأسطورية، لانريد الإسترسال فى ذكرها حتى لانخرج عن منهجنا فى هذا البحث[1].

وكما ذكرنا أن طريقة إبن الصباغ الصوفية لم تقم على رواية "الخرقة" فقد كان يرفضها، بل وينكر كل مايترتب عليها من قواعد، أو تقاليد. وعلى ذلك فقد نسب إليه مؤرخوا الطبقات المتأخرين[2] قوله "ليس لأحد علىّ فى هذا الطريق منه إلا الله ورسوله ﷺ، فابن الصباغ لايقر رواية الخرقة ولايتخذ الشيخ شرطاً فى الطريـق، ولايجعلهـا تنتقـل من السلف إلى الخلف، بالعهد والمبايعة، أو الوراثة، كما نجد ذلك عند صوفية العراق أو الأندلس، وربما أراد إبن الصباغ بذلك مخالفة ماكان شائعاً عن الوراثة الروحية والباطنية عند الإسماعيلية الباطنية .

إذ أن الإسماعيلية. أو الشيعة كانوا يروا أن الإمامة تنتقل من شخص إلى شخص آخر، بالوراثة الروحية والمبايعة الظاهرية[3] وقد عرف عن الشيعة بكل طوائفهم نظرية الإمامة الظاهرة والباطنة[4].

---

(١) لمزيد - راجع فى ذلك - المصدر السابق - ص١٠٨، ص١٠٩، ص١١٠، كذلك الشطنوفى - بجهة الأسرار ومعهد الأنوار - ص٢٢، ص٢٢٣ وما بعدها .

(٢) راجع الشطنوفى - بهجة الأسرار - ٢٢٣ . (٣) المصدر السابق - ص١١٠، ص١١١.

(٤) لمزيد من الدراسة - للباحث دراسة تحليلية نقدية لمذاهب التأويل عند الشيعية الباطنية - رسالة دكتواره - مخطوط - مكتبة جامعة القاهرة - ١٩٨٤م - كذلك الدكتور مصطفى الشيبنى - الصلة بين التصوف والتشيع - ط - دار المعارف ١٩٦٩م .

وعلى ذلك فإن طريقة إبن الصباغ وتصوفه العملى يقوم على أصول الكتاب والسنة، ويستمد من الأصول الإسلامية، إذواقه مواجيده وأحواله، كما أن معارجه الروحية التى تدرج عليها فى سبيل وصوله إلى الله تعالى مستمدة أيضاً من أصول إسلامية .

إذن فإن إنخراط إبن الصباغ فى سلك أهل الطريق لم يبعده فى تدينه من الناحيتين النظرية والعلمية عن منهج السلف من الصحابة والتابعين، ولاخالف بينه وبين أهل السنة والجماعة. وقد كان مذهبه الفقهى ينتمى إلى مذهب الإمام مالك بن أنس/ ١٧٩/ هـ وينتمى فى أصول الدين "التوحيد" إلى مذهب إمام الهدى أبو الحسن الأشعرى/٣٣٤/ هـ .

٣ - مذهبه فى الصفات والتشريع الإلهى:

كما ذكرنا، أن تيارات التصوف العملى فى القرنين السادس والسابع الهجريين تعتبر إمتداداً حقيقياً لتيار التصوف الإسلامى المعتدل منذ القرون الخمسة الأولى، ولكن هذا التيار الصوفى العملى فى العصور المتأخرة، ظل مواكباً لتيارات التصوف الفلسفى النظرى المشبع بعناصر غنرصية وأفلوطينية محدثة، إلا أن هذا التيار الصوفى المعتدل إستطاع أن يتغلب على شعبة التصرف الفلسفى .

وعلى ذلك فإن صوفية القرنين السادس والسابع الهجريين، قد تميزوا بالتمسك الشديد بأصرل الدين والعمل بأركان الشريعة، وكان إبن الصباغ القوصى من هؤلاء الصوفية المعتدلين، إذ إنخرط فى سلك أهل الطريق، ولم يبعده ذلك فى تدينه من الناحيتين العقيدية والعملية عن منهج السلف من الصحابة والتابعين .

ولإبن الصباغ مذهبه فى الصفات، فعندما سئل عن التوحيد قال "إثبات الذات تنفى الجهة وإثبات الصفات تنفى التشبيه" .

ففى هذه العبارة - تنزيه لله تعالى عن الجهة والمكان والحيز والمشابهة والمماثلة، كذلك تنزيه الصفات الإلهية. عن النقائص، وأنه تعالى ليس كمثله شئ.. وهذا يشير إلى أن إبن الصباغ يثبت لله تعالى ذاتاً، وصفاتاً كما تليق بالله تعالى، وكما أثبت تعالى لنفسه وكما ورد ذلك فى النصوص القرآنية .

وإبن الصباغ بذلك يعارض مذاهب المعتزلة والفلاسفة ومن إنحاز لمذاهبهم فى عقيدة التوحيد والصفات الإلهية، إذ أثبت لله تعالى ذاتاً مجردة تجريداً مطلقاً عن التقييد، إذ لايجوز

تصور الذات مقترنة بأى حال من الأحوال مع تصور أى نوع من الزمان أو المكان، حيث لم يعطل الصفات، ولم يقل أن الله عالم هو ذاته مثلاً وفى الصفات إتصافه تعالى بصفات الكمال التى تضمنها القرآن الكريم، كالسمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم، والحياة والكلام والوجود، وهذه هى الصفات الذاتية التى أثبتها علماء السنة .

ويتضمن قوله "بلاتشبيه" نفى المماثلة والمشابهة بين الصفات الإلهية، وصفات المخلوقات .

أما من حيث إلتزام إبن الصباغ بأركان الشريعة فهذا مانستطيع إستنباطه من خلال ماورد عنه من روايات تحدث بها كثير من الصوفية والعلماء المعاصرين له، إذ أجمع متصوفة عصره، وأصحابه على تمسكه الشديد بالشريعة إذ ذكر المؤرخون والمعاصرون له "أنه كان فقيهاً فاضلاً خاشعاً كريماً مشتملاً على كل الآداب وأشرف الصفات وأكرم الشيم وأحسن الأخلاق محباً لأهل العلم والدين قيماً بتهذيب المريدين، مشفقاً على السالكين، عارفاً بمصالح شئونهم" [(١)].

وابن الصباغ عند الباحثين المعاصرين كان يجمع بين علمى الظاهر والباطن أو بين الشريعة والحقيقة[(٢)].

لقد كان لإبن الصباغ مدرسة صوفية فى بداية القرن السابع الهجرى إذ إتبعه مريدون كثيرون، كل منهم يتجه إلى الإلتزام بظواهر الشريعة، والبعض الاخر يتجه إلى الباطن، أو الجمع بين الشريعة والحقيقة وتذكر المصادر أن رياسة الطريق قد إنتهت إليه فى هذا العصر وفى وقته. وفى الديار المصرية تخرج عليه مريدون منهم الشيخ أبو بكر بن شافع القوصى/ ٦٣٧هـ/ والشيخ علم الدين المنفلوطى/ ٦٥٢هـ/ والإمام مجد الدين أبى الحسن على بن وهب بن مطيع القشيرى المعروف بابن دقيق العيد/ ١٣٠٢م/ وغيرهم من العلماء أمثال يوسف بن محمد بن على أبو الحجاج المغاورى/ ٦١٩/ هـ وأبو المغيث مفرج بن موفق بن عبد الله الدمامين/ ٦٤٨هـ/ وقد كان للشيخ الكبير عبد الرحيم القنائى أثر كبير فى حياة إبن الصباغ الروحية الشرعية كما ذكرنا من قبل[(٣)].

---

(١) نور الدين الشطنوفى - بهجة الأسرار ومعدن الأنوار.ص٢٢٣ .

(٢) دكتور على صافى حسين - الأدب الصوفى فى مصر :"إبن الصباغ" ص١١٨، ص١١٩ .

(٣) لمزيد من التفاصيل (أ) الشعرانى - الطبقات الكبرى حـ١، حـ٢ (ب) الدكتور - على صافى حسين - الأدب الصوفى فى مصر ص١١٧ ومابعدها . (جـ) الشطنوفى - بهجة الأسرار ومعدن الأنوار - ص١٢٠. ص١٢١. ص٢٢٢. ص٢٢٣ . ومابعدها .

الباب الرابع

«أصحاب الطرق الصوفية
فى القرن السابع الهجرى
وآثارهم التربوية والفلسفية »



الفصل الأول

القطب الكبير عبد السلام بن مشيش

المتوفى عام ٦٢٣هـ/ أو عام/ ٦٢٥/ هـ

- الطريقة المشيشية -

تمهيد : -

رأينا فى الفصل السابق كيف إستطاعت الأثار العملية، والتعاليم الروحية والأخلاقية أن تحدث أثراً كبيراً فى نفوس جمهور المسلمين، وأصبح لأصحاب الطرق العملية، أهمية كبيرة فى توجيه المريدين وتربية سلوكهم، الأمر الذى جعل لهذه الطرق من الذيوع والإنتشار مالم تستطع النظريات الفلسفية أن تحدثه عند الجمهور من المسلمين، إذ أصبح لأصحاب الطرق الكبار "كالجيلانى/ ٥٦١/ هـ والرفاعى/ ٥٧٨/ هـ وإبن الصباغ/ ٧١٢/ هـ أهمية كبيرة وإنتشاراً فى البلاد العربية والإسلامية .

وهذا ماسوف نجده بالنسبة لشيوخ التصوف فى القرن السابع الهجرى أيضاً .

أولاً : حياته :

لاشك أن مصادر هذا الصوفى، قليلة إلى الغاية، نظراً لأنه كان دائم التخفى عن الناس، غير مقبل على الشهرة كسائر شيوخ التصوف فى عصره، ولكنه كان على قدر كبير من درجات الوصول والتقرب من الله تعالى، كما تحدثنا بعض المصادر التى تيسر لنا الحصول عليها فهو الولى الكبير سيدنا عبد السلام بن "بشيش" أو "مشيش" كما درج على ذلك مؤرخوا التصوف وكتاب الطبقات[(١)].

---

(١) ذكره الشعرانى "عبد السلام إبن مشيش. صحبه الإمام أبو الحسن على بن عبد الجبار الشاذلى، صاحب الطريقة الشاذلية المتوفى عام ٦٥٦ هـ .

نظرنا - الطبقات الكبرى - جـ ٢ - ص٤ .

وهو من صوفية القرنين السادس والسابع الهجريين. وقد إختلف المؤرخون فى تاريخ وفاته، إذ تذكر المصادر أن بن أبى الطواجين قتله غيلة فى سنة ٦٢٣ هـ أو فى سنة ٦٢٢هـ أو فى سنة ٦٢٥هـ .

وجدير بالذكر أن أصحاب الطبقات. حفظوا مكانته وعلو همته وسلامة عقيدته وإعتقاده فى طريق القوم يقول صاحب الدور البهية "هو القطب الأكبر والعلم الأشهر والطود الأظهر وهو البدر الطالع والواضح البرهان، الغنى عن التعريف والبيان المشتهر فى الدنيا قدره، والذى لايختلف فى غوثيته إثنان، سرى سره فى الآفاق، وسارت بمناقبه الركبان والرفاق، قضى عمره فى العبادة، وقصده أهل السعادة .

وكان رضى الله عنه فى العلم فى الغاية، وفى الزهد فى النهاية، جمع الله له الشرفين الطينى والدينى، وأحرز الفضل المحقق اليقينى" .

وقد كان مقام امن مشيش فى المغرب، كمقام الشافعى بمصر (١).

وكثيراً مايذكره مؤرخوا الطبقات ضمن. طبقات الشاذلية على إعتبار أنه يعتبر من كبار شيوخ الإمام أبو الحسن الشاذلى/٦٥٦/ هـ .

فيذكرون فى طبقات الشاذلية أن إبن مشيش. كان عالماً فاضلاً لاينحرف عن جادة الشريعة قيد شعرة متحمساً للدين، عاملاً على نشره، وهو رجل من آل البيت فيه مافيهم من صفات الإتجاه إلى الله تعالى، الزهد، والشجاعة، الأريحية، ويتصل نسبه بسيدنا الحسين رضى الله عنه .

ولقد دخل عبد السلام بن مشيش الطريق إلى الله تعالى منذ بواكير حياته، فيوصف بأنه شاب نشأ فى طاعة الله تعالى، وقضى وقتاً طويلاً فى "السياحة" الروحية إلى الله تعالى (٢) .

لقد أخذ الشيخ عبد السلام بن مشيش أصول طريقته عن شيخه فى عصره عبد الرحمن بن الحسين المدنى المدعو "بالزيات" .

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود - القطب الشهيد سيدى عبد السلام بن بشيش - ص٢٣. ص٣٠ ط مؤسسة دار الشعب القاهرة - ١٩٧٦م . كذلك أحمد بن عياد المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية ص٣٨ .

(٢) المصدر السابق - ص٢٣ ومابعدها .

ونحن نعلم أن الصوفية أخذوا عن مشايخهم علومهم وورثوا مقاماتهم وتذوقوا أحوالهم، وتولاهم شيوخهم بالتربية الخلاقية. والرياضة الروحية، يشيرون لهم طريقهم إلى الله تعالى، إذ أخذ الإمام الشاذلى عن شيخه إبن مشيش وأخذ أبو العباس المرسى عن شيخه أبو الحسن الشاذلى وأخذ إبن عطاء الله السكندرى /٧٠٩/ هـ عن أبى العباس المرسى أصول الطريقة الشاذلية .. وهكذا .

وقد ذكر الشعرانى، فى طبقاته أن الشاذلى، صحب إبن مشيش فهو يعتبر شيخه[(١)].

وكما ذكرنا - أن عبد السلام بن مشيش، كان دائم التجرد للعبادة، متوارياً عن الأعين، إذ نأى بنفسه عما فيه الناس من الفتن، غائباً عن الخلق فى شهود جلال الحق، كان يدعو الله فى السحر أن يصرف عنه الخلق وأن يجعله بمعزل عنهم، كان إبن مشيش رضى الله عنه مكتفياً بالله، محباً للخلوة مع الله تعالى، متشوقاً دائماً إلى أن يكون فى حضرة الجلال، والجمال، مستعذباً بالوحدة. ويذكر عنه قوله لأبى الحسن الشاذلى، "إهرب من خير الناس، أكبر مماتهرب من شرهم، فإن شرهم يصيبك فى بدنك، وخيرهم يصيبك فى قلبك، ولأن تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك"[(٢)] بهذه العبارات الصادقة - الصافية، تستطيع أن تتصور حياة القطب الصوفى عبد السلام بن مشيش، وهى بلا شك حياة الزهاد والعباد التى ترجع إلى حياة أوائل الصوفية فى القرون الخمسة الأولى من الهجرة .

ومن الجدير بالذكر أيضاً.. أن حياة إبن مشيش كانت حافلة بالجهاد ، والكفاح فى سبيل الحق، وتأصيل حقائق الإيمان، وقواعد الشريعة. ضد تيارات الإلحاد والتشكيك، فقد كان شديد الغيرة على حرمة الدين كما كان قوياً فى الحق وعالياً فى الهمة .

فقد ثار ثورة كبيرة، قفزت به من خلوته، ومن عزلته إلى صدر المجتمع، هائجاً، فألقى بنفسه فى خضم المعركة التى حدثت عندما إدعى "إبن أبى الطواحين الكتامى" النبوة وأتى بحيل وألاعيب مدبرة ومحكمة ليظهر بها كأنه صاحب معجزات قد خيل على بعض الناس أن مايأتى به أبى الطواحين من سحر. أنه حقائق، وقد إتبعه البعض من الذين إنخدعوا بألاعيبه

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص٤، ص٦ .

(٢) الدكتور عبد الحليم محمود - عبد السلام بن بشيش - ص٣٣ - ص٣٤ .

السحرية. ويضاف إلى ذلك أن إبن أبى الطواحين عاث فى الأرض الفساد، فروع الناس فإتبعه بعضهم رهبة منه .

وهذا مما دفع بالقطب إبن مشيش إلى الخروج من عزلته لإظهار ضلال هؤلاء والرد عليهم، بالدليل وبالقول والعمل، وبالأدلة الدينية وبالمنطق، ولذلك فقد أراد إبن أبى الطواحين الذى إدعى النبوة ومن إتبعه من أهل الضلال، منه السكوت، ولكن إبن مشيش إشتد عليهم، وأظهر ضلالهم فى الدين، فدبروا مؤامرة لإغتياله، فقتل عام/ ٦٢٣/ هـ(١).

ثانياً: طريق ابن مشيش فى التصوف:

لم يكن القطب الصوفى عبد السلام إبن مشيش/ ٦٢٣/ هـ ممن يولون إهتماماً بالظهور والشهرة، بل كان يؤثر العزلة والخلوة "أنه كان مبتعداً عن الناس، لايعطى عهوداً ولايكلف ورداً ولاحزباً، فلم يؤسس طريقة، وإنما كان يرسم فى كل لحظة من لحظات حياته الطريق، وطريقه هو الطريق الشرعى، وجوهر هذا الطريق، هو الصلاة على النبى ﷺ والعمل بالفرائض والقيام بها. (٢) طريق صوفى وليس صاحب طريقة، والدليل على ذلك إيثاره للعزلة والإبتعاد عن خير الناس تبل شرهم.

بل يمكن الإستدلال على ذلك، من خلال المقابلة الأولى بينه وبين الإمام أبو الحسن على بن عبد الجبار الشاذلى/٦٥٦/هـ. وهو أستاذه فى الطريق، إذ عندما صعد أبو الحسن رضى الله عنه إلى الشيخ بن مشيش رضى الله عنه بالميزان فلم يشم رائحة الولاية، فرجع ثم طلع ثانياً كذلك. فرجع كما طلع، فلما أسقط الميزان وإغتسل من علمه وعمله وطلع فقيراً، أغناه الله تعالى، قال الشيخ بن مشيش ياأبا الحسن طلعت إلينا فقيراً من علمك، وعملك فأخذت منا غنى الدارين (٣).

---

(١) عبد الوهاب الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص٦ .
كذلك - الدكتور: عبد الحليم محمود - القطب عبد السلام إبن مشيش ص٢٨، ص٤١. كذلك إبن عباد - المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية - ص٩٢ .

(٢) الدكتور عبد الحليم محمود - القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش - ص٤٣ .

(٣) أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى - إيقاظ الهمم فى شرح الحكم - حـ٢ ص٣٠٣ .

ومما يوضح ذلك أيضاً، أن الإمام الشاذلي، روى، أنه عندما ذهب للبحث عن قطب الزمان. وذهب إلى بغداد. لم يستطع العثور عليه أو الإلتقاء به، فقال له أحد الأولياء أنك تبحث عن القطب بالعراق، مع أن القطب ببلادك، إرجع إلى بلادك تجده، فعاد الإمام أبو الحسن يحدوه الأمل ويغمره الرجاء في أن يجد القطب الصوفي في زمانه. وهاهو بغماره[1] من جديد يسأل عن القطب المقبل والمدبر، والراحل والمقيم. وذات يوم يقول أبو الحسن.. لما قدمت عليه وهو ساكن بمغارة في رأس جبل إغتسلت في عين بأسفل ذلك الجبل، وخرجت من علمي وعملي، وطلعت إليه فقيراً. وإذا به هابط إلي، وبه مرقعة وعلى رأسه قلنسوة من خوص. فقال: مرحباً بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار، وذكر نسبي إلى رسول الله ﷺ ثم قال ياعلي، طلعت إلينا فقيراً من علمك وعملك، وأخذت منا غنى الدنيا والآخرة، يقول أبو الحسن الشاذلي: فأخذني منه الدهشة، فأقمت عنده أياماً إلى أن فتح الله على بصيرتي أنه القطب الصوفي، عبد السلام بن مشيش[2].

إذن فهو صاحب طريق، وليس صاحب طريقة، كما ذكرنا، إذ ترك أثر طريقه في طريقة مريديه الإمام أبو الحسن الشاذلي، الذي أسس طريقة الشاذلية المشبعة بالآثار الروحية المشيشية؟.

ولكن، ماهو طريق إبن مشيش الصوفي الذي تلقى تلامذته أصوله وأصبحوا على منهجه؟

أصول هذا الطريق. التمسك بالكتاب والسنة، والعمل بهما، والإلتزام بهما، يقول إبن مشيش "أفضل الأعمال أربعة بعد أربعة: المحبة لله، والرضا بقضاء الله، والزهد في الدنيا والتوكل على الله، هذه أربعة" .

وأما الأربعة الأخرى، فالقيام بفرائض الله، وإجتناب محارم الله، والصبر عما لايعني، والورع من كل شئ يلهي[3].

---

(١) غمارة : بلدة مغربية بالقرب من سبتة. بالمغرب العربي راجعنا الدكتور سعد زغلول عبد الحميد - تاريخ المغرب العربي ص٤٤٥، ص٤٤٦. ط دار المعارف سنة ١٩٦٣م .

(٢) الدكتور - عبد الحليم محمود - قضية التصوف - المدرسة الشاذلية - ص٢٠ - ص٢١ .

(٣) المصدرالسابق - ص٢١ .

ونستطيع أن نستشف ذلك من وصيته لتلميذه أبو الحسن الشاذلى،إذ قال له "ياأبا الحسن حدد بعد الإيمان تجد الله فى كل شئ، وعند كل شئ ومع كل شئ وقبل كل شئ، وبعد كل شئ، وفوق كل شئ، وتحت كل شئ، وقريباً من كل شئ ومحيطاً بكل شئ، يقرب هو وصفه، ويحيطه فى نعته، وعد عن الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات، وعن الكل بوصفه الأول والأخر والظاهر والباطن وهو هو كان الله ولاشئ معه، وهوالأن على ماعليه كان" (١).

ولاشك أن طريق إبن مشيش يقوم على وحدة الشهود، أو شهود الحق تعالى قبل شهود الخلق، منزهاً الله تعالى عن الجهة والمكان والظرفية والحدود، وعن القرب بالمسافات أوالدور بالمخلوقات. فلله صفات الكمال عن النقائص التى تلحق بالموجودات والمخلوقات. والله تعالى منزه عن صفات التشبيه والتجسيم، فالله تعالى ظاهر فى كل شئ بصفاته وآياته .

ولذلك يعلق إبن عجيبة الحسنى الشاذلى ت عام/١٢٢٤ هـ على طريق إبن مشيش يقول "وأهل السير من المريدين يشهدون الكون ثم يشهدون المكون عنده ويأثره فيمتحق الكون من نظرهم بمجرد نظرهم إليه وهذا حال المستشرقون وأهل مقام الفناء يشهدون الحق قبل شهود الخلق، بمعنى أنهم لايرون الخلق أصلاً، إذ لاثبوت له عندهم، لأنهم لسكرهم غائبون عن الوساطة فانون عن الحكمة فرقى فى بحر الأنوار مطموس عليهم الآثار" (٢).

وإذا كان إبن مشيش يقول بوحدة الشهود، والفناء فى المخلوقات وعن الخلق بشهود الحق تعالى، فإنه يقوم على المحبة، قال القطب إبن مشيش عن المحبة لأبى الحسن الشاذلى "إلزم الطهارة من الشرك، كلما أحدثت تطهرت من دنس حب الدنيا، وكلما ملت إلى الشهوة أصلحت بالتوبة مافسد بالهوى أو كدت، عليك بمحبة الله تعالى على التوفير والنزاهة، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو، كلما أفقت أو تيقظت شربت، حتى يكون سكرك وصحوك به، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكأس، بما يبدو لك من نور جماله وقدس كمال جلاله (٣).

---

(١) إبن عجيبة الحسنى - إيقاظ الهمم فى شرح الحكم - حـ١ ص٤٠ - كذلك الشعرانى - الطبقات الكبرى حـ٢ ص٥ ومابعدها .

(٢) المصدر السابق - حـ١ ص٤٠ .

(٣) الدكتور عبد الحليم محمود - قضية التصوف - المدرسة الشاذلية - ص٢١، ص٢٢ .

وقال إبن مشيش لمن سأله عن أوصاف المحبة "وشراب المحبة من الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأسماء بالأسماء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال"، ويتسع فيه النظر لمن شاء الله عز وجل .

وقال إبن مشيش لمن سأله عن الشرب والشراب "الشرب سقى القلوب والأوصاف والعروق من هذا الشراب، حتى يسكر ويكون الشرب بالتدريب بعد التذويب والتهذيب فيسق كل على قدره" .

فمنهم من يسقى بغير واسطة، والله سبحانه يتولى ذلك منه له، ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين .

ومنهم من يسكر بشهود الكأس، ولم يذب بعد شيئاً، فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب، وبعد بالرى، وبعد بالسكر بالمشروب، ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى، كما أن السكر أيضاً كذلك. وقال لمن سأله عن الكأس "الكأس معرفة الحق" يعرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافى لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه .

فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة، وتارة يشهدها معنوية، وتارة يشهدها علمية .

فالصورة : حظ الأبدان والأنفس .

والمعنوية : حظ القلوب والعقول .

والعلمية : حظ الأرواح والأسرار.

فياله من شراب "شراب المحبة" ماأعذبه، فطوبى لمن شرب منه وداوم عليه .

وقد يجتمع جماعة من المحبين فيسقون من كأس واحدة "أى معرفة الحق" وقد يسقون من كؤس كثيرة "كؤس الحقائق" أو قد يسقى الواحد بكأس وكئوس ..

وقد تختلف الأشربة بحسب عدد الكئوس، وقد يختلف الشرب من كأس واحدة وإن شرب منه الجم الغفير من الأحبة" [١].

ويروى الشيخ أبو الحسن أن رجلاً دخل على إبن مشيش فقال له وظف لى وظائف وأوراد ، فغضب الشيخ منه وقال له: أرسول أنا ، أوجب الواجبات؟

---

(١) المصدر السابق - ص٢٣ - ص٢٤ .

الفرائض معلومة: والمعاصى مشهورة، فكن للفرائض حافظاً ولا عاص رافضاً، واحفظ قلبك من إرادة الدنيا، وحب النساء، وحب الجاه، وإيثار الشهوات، واقنع من ذلك كله ماقسم الله لك، وإذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله فيه شاكراً، وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابراً(١).

وحب الله تعالى قطب تدور عليه الخيرات، وأصل جامع الأنوار والكرامات ومصدر ذلك كله أربعة: -

صدق الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل، ومحبة العلم، ولاتتم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح، أو شيخ ناصح(٢).

ومن ذلك ترى أن الشيخ إبن مشيش. لم يوجب أوراداً، ولاأحزاباً وإنما يبدأ بالأصول والأسس وهى كما سبق ذكرها: أداء الفرائض والنهى عن المعاصى، وحفظ القلب عن حب الدنيا بمافيها من شهوات وملذات، والقناعة بماقسم الله، والشكر لله تعالى، والصبر على المكاره، وحب الله تعالى(٣) وهكذا يتضح أن الطريق الصوفى الذى وضع إبن مشيش أصوله، وتتلمذ الشاذلى عليه، يستمد أصوله وجوهره من الكتاب والسنة. وحب الله تعالى والرسول ﷺ، والإلتزام بالشرائع والفرائض وترك المعاصى .

ويبدو لنا أن القطب إبن بشيش كان يمثل الشيخ الذى يلقى بمواعظه وإرشاده إلى تلامذته ليعلمهم أصول الطريق إلى الله تعالى على أسس من الكتاب والسنة، وقد ضرب مثلاً رائعاً للصورة الحقيقية التى يجب أن يكون عليها أولياء الله ومحبيه والطالبن للوصول إليه وإلى حضرة جلاله وجمال كماله تعالى، فقد كان محباً متواضعاً صابراً زاهداً متوكلاً مستسلماً لإرادة الله تعالى بالكلية، شهيداً فى سبيل الحق فنال محبة الله تعالى ورضاه .

---

(١) نفس المصدر - ص٢٤ .

(٢) نفس المصدر - ص٢٤ .

(٣) لمزيد من الفاصيل راجع الدكتور عبد الحليم محمود - القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش - ص٦٠ - ص٧٨، ص٧٩ .

ثالثاً: قول إبن مشيش فى الزهد والتوكل: -

يعتبر الزهد والتوكل من أهم مقامات الطريق الصوفى، ومقامات الصوفية كما تعلم وضعت أصولها وإمداداتها الروحية من النصوص القرآنية وسيرة النبى ﷺ والصحابة والتابعين، وقد حدد هذه الأصول ومراتبها أمام أهل السنة الحسن البصرى/ ١١٠هـ وسلك الصوفية الأوائل مسلكه فيها توبة، وورعاً وزهداً وتوكلاً ومحبة وخوفاً من الله تعالى ولله تعالى، فهى كما ذكرنا معارج الوصول التى تورث أحوالاً والأحوال مواهب إلهية، ولطائف ربانية وتجليات للنور الإلهى على العبد الصالح المؤمن وقد كان لإبن مشيش أثر كبير فى مقامات التصوف، وفى مقام الزهد والتوكل أهمية كبيرة .

إذ تحدث فى أكثر من مرة عن الزهد، وعن التوكل .. ومن ذلك قوله ناصحاً لأبى الحسن "عليك بالزهد فى الدنيا ، والتوكل على الله تعالى" فإن الزهد فى الدنيا أصل الأعمال، والتوكل على الله رأس الأحوال .

وعن الزهد، ذكر الإمام أبو الحسن الشاذلى: أن الله تعالى فتح على شئ من الدنيا، فهرعت لأستعين وأعين بها، فجعلت أحمد الله وأشكره فواظبت على ذلك وقتاً من الليل، ونمت، فرأيت أستاذى يقول لى "يقصد عبد السلام إبن بشيش" .

"إستعذ بالله من شر الدنيا إذا أقبلت ومن شرها إذا أدبرت ومن شرها إذا إنفضت، ومن شرها إذا أمسكت فجعلت أقول ذلك، فوصل الشيخ كلامى فقال "ومن المصائب والرزايا والأمراض البدنية والقلبية، جملة وتفصيلاً بالكلية، وإن قدر شئ فألبسنى حلل الرضا ، والمحبة، والتسليم وأثواب المغفرة والتوبة والإنابة المرضية" (١).

أما التوكل: فإن القطب إبن بشيش يقول: التوكل رأس فى الأحوال والتوكل: لايكون إلا على الله، فالعبد يعمل ويتوكل على الله تعالى، والقرآن الكريم ينص على ذلك: قوله تعالى "فإذا عزمت فتوكل على الله" سورة آل عمران آية (١٥٥). وقوله تعالى "وتوكل على الحى الذى لايموت" سورة الفرقان آية (٥٨) وقوله تعالى "وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين" سورة المائدة آية (٢٣) .

---

(١) المصدر السابق - ص٨٠ - ص٨١ .

ويقول النبى ﷺ فيما رواه الترمذى وحسنه "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً" .

وروى البخارى عن إبن عباس قال "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى فى النار، وقالها الرسول ﷺ سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله حين قالوا "إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم الله إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" سورة آل عمران[1] آية (١٧٣) .

والتوكل فى أسمى معانيه.. "هو التسليم لله تعالى" والتفويض لله تعالى.. وفى سيرة النبى ﷺ وجهاده الكفار والمشركين، ونشره للدعوة الإسلامية مثال رائع فى ذلك، كذلك سيرة كبار الصحابة والتابعين والأولياء الصالحين .

رابعاً : أثار إبن مشيش "الوظيفة المزوجة بصلاة إبن مشيش ووصاياه:

لما كان إبن مشيش صاحب طريق، تولى مريديه بالتربية الأخلاقية وبث فيهم المعانى الروحية، فإنه لم يترك كتاباً مؤلفاً، ولم يصل برسائل منقولة عنه، إذ أن طريقه يقوم على تخلية القلوب وتحلية النفوس، وبث المعانى والأخلاق، والإرشاد إلى طريق الوصول. لذلك فقد صدرت عنه عدد من الوصايا، والصلوات التى نقلها وحفظها عنه تلامذته وأتباعه .

لذلك فإننا نتناول بعض هذه الوصايا والصلوات المشيشية، حتى تتأمل مابها من قواعد ونظم تربوية أخلاقية ومعانى روحية وسلوكية، وفى نطاق - المحبة الإلهية .

ومن جملة وصايا وحكمه قوله لأبى الحسن الشاذلى:

"أجمل الطاعات أن يدخلك عنده، ويرضى عليك بالحجاب، وقال: أربع من كن فيه إحتاج الخلق إليه، وهو غنى عن كل شئ "المحبة لله، والغنى بالله، والصدق، واليقين" "الصدق فى العبودية، واليقين بأحكام الربوبية" .

وقال الإمام أبو الحسن سألت إبن مشيش عن حديث .. "يسروا ولاتعسروا، وبشروا ولاتنفروا ..

---

(١) نفس المصدر ص٨٦ وللمزيد من الدراسة والإنصاح مابعدها .

فقال إبن مشيش "دلوهم على الله، ولاتدلوهم على غيره فإن من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن ذلك على العمل فقد أتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك" .

ومن وصاياه أيضاً:

"لاتصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم، ولامن تؤثر نفسك عليه فإنه قل مايدوم، واصحب من إذا ذكر، ذكر الله تعالى فالله يغنى به إذا أشهد، إذا فقد، ذكره نور القلب، ومشاهدته مفاتح الغيوب" .

وقال إبن بشيش لرجل سأله عن المجاهدة.. فقال له بقوله تعالى: "لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وإرتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون" سورة التوبة آية (٨١).

وعندما سأله أبو الحسن عن ورد المحققين قال ابن مشيش "عليك باسقاط الهوى، وصحبة المولى، وأية المحبة ألا يشتغل محب بغير محبوبه"

وعن أبى الحسن الشاذلى، عن أستاذه ابن مشيش.. الأنفس ثلاثة : نفس نفس لم يقع عليها البيع لحريتها، يقول تعالى "فأما إن كان من المقربين، فروح وريحان، وجنة نعيم" سورة الواقعة آية (٨٨).

ونفس وقع عليها البيع لشرفها بقوله تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون، وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن. "ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم" سورة التوبة آية (١١١).

ونفس لايعبأ بها بقوله تعالى "وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم" سورة الواقعة - آيه(٩٢) (١).

ويروى ابوالحسن عن ابن مشيش لا تختر من أمرك شيئا، وأختر أن لاتختار وفرعن ذلك المختار، ومن فرارك ومن كل شئ إلى الله تعالى وكمل مختارات الشرع وترتباته فهى مختار

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود - القطب الشهيد عبد السلام ابن بشيش- ص١٢٤، ١٢٥. وجدير بالذكر أن هذه الأقوال وردت ضمن كتاب الشاذلى القصد إلى الله تعالى - مخطوط بمكتبة المسجد الأحمدى بطنطا رقم/ ١٥٩/ .

الله تعالى، ليس منه شئ ، وأسمع وأصح وهذا موضع الفقر الربانى وهو أرض على الحقيقة المأخوذ عن الله لمن أهتدى، فأفهم وأقر..."[1]

ومن الجدير بالذكر. أن مؤرخى التصوف، وكتاب الطبقات أهتموا بسيره ووصيا وصلوات هذا القطب الشهيد فى سبيل الحق عبد السلام ابن مشيش- لذلك نجدهم قد وضعوا صلواته ضمن رسائلهم التى صنفوها خصيصا فى مجموعة وظائف وأحزاب وأوراد ورسائل السادة الصوفية.. ونظراً لأهمية صلوات ابن مشيش، فإننا ننقل منها مايفيد موضوع البحث .

يقول القطب ابن مشيش "اللهم صلى وسلم بجميع الشئون فى الظهور والبطون على من منه أنشقت الأسرار الكامنة فى ذاته العلية ظهوراً، وأنغلقت الأنوار المنطوية فى سماء صفاته السنية بدورا ، وفيه ارتقت الحقائق منه اليه وتنزلت علوم آدم به فيه فاعجز كلا من الخلائق فيما ماأودع من السر فيه، فاعظم به من نبى رياض الملك والملكوت بزهر جماله الزاهر موثقة وحياض معالم الجبروت بفيض أنوار سره الباهر، متدفقة ولاشئ الا هو به منوط، وبسره السارى محوط، صلاة تليق بك منك إليه، وتتوارد بتوارد الخلق الجديد والفيض المديد عليه وعلى آله شموس العلى وأصحابه والتابعين ، ومن تلاه.

اللهم انه نورك الجامع لكل الأسرار ، ونورك الواسع لجميع الأنوار ودليلك الدال بك عليك ، وقائد ركب عوالمك اليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك، اللهم الحقنى بنسبة الروحى وحققنى بحسبه السيوحى وعرفنى إياه معرفة أشهد بها محياه وأصير بها مجلاه... وزج بى فى بحار الأحدية المحيطة بكل مركبة وسيطة، وأنشلنى من أوحال "التوحيد" إلى فضاء "التفريد" المنزه على الإطلاق والتقييد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة شهودا حتى لاأرى ولاأسمع ولاأجد ولاأحس إلا بها نزولاً وصعودا كما هو كذلك.

اجعل اللهم روحه سر حقيقتى ذوقاً وحالاً وحقيقته جامع عوامل فى مجامع معالمى حالاً ونالاً، وحققنى بذلك على ماهنالك بتحقيق الحق الأول والأخر والظاهر والباطن.

ياأول فليس قبلك شئ، ياآخر فليس بعدك شئ، ياظاهر فليس فوقك شئ، ياباطن فليس دونك، أسمع ندائى فى بقائى وفنائى بما سمعت به نداء عبدك زكريا ، واجعلنى عنك راضيا

---

(١) نفس المصدر - ص١٢٨- ص١٢٩.

وعندك مرضيا، وحل بينى وبين غيرك وأجعلنى من أئمة خيرك وبرك. الله الله الله الله، منه بدأ الأمر اليه يعود، الله واجب الوجوب وماسواه مفقود. إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد". (١)

ومن دعوات ابن مشيش فى صلواته "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق "ثلاثا" تحصنت بذى العزة والجبروت، واعتصمت برب الملكوت وتوكلت على الحى الذى لايموت، إصرف عنا الأذى إنك على كل شئ قدير "ثلاثا"ويكرر اصرف عنا الأذى إلى أخره فى كل مره "ثلاثا".

بسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم "ثلاثا" حسبنا الله ونعم الوكيل "ثلاثا" لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم "أربعا" توكلت علي الحى الذى لايموت أبدا.

الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا "مرة" اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم "ثلاثا" فسيكفكهم الله وهو السميع العليم "ثلاثا" فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين "ثلاثا".. وهكذا . (٢)

ومن الجدير بالذكر أن الإمام عبد الحليم محمود تناول ماجاء بهذه الصلاة المشيشية" بالتوضيح، وبصفة خاصة فيما يتعلق ببعض المصطلحات الغامضه.

ونذكر من ذلك قول ابن مشيش فيما سبق عرضه فى صلاته ودعواته وأذكاره : قوله" منه انشقت الأنوار "صلة من أى أنفتح باب الأسرار وهى جمع سر ضد جهر، والمراد أتضح به كل ماكان خفيا .

وقوله "وانغلقت الأنوار" أى انفتح باب الأنوار الحسية والمعنوية.

قوله "نزلت علوم آدم"أى وفيه نزلت علوم آدم . والمراد بعلوم أدم - علم جميع الأسماء فأعجز بذلك الملائكة حيث أمرهم الله تعالى بقوله عز وجل "أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين "سورة البقرة آية (٣١).

---

(١) الشيخ عبد الخالق حقى - مجموعة وظائف وأحزاب وأوراد ورسائل للسادة الصوفية .. ص٧، ص٨، ص٩، ص١٠ ، ط - المطبعة الشرقية - مصر ١٣١٣ هـ .

(٢) راجع نفس المصدر السابق ص١٠، ص١١، ص١٢.

فعجزوا فقال "يا آدم أنبئهم بأسمائهم "سوره البقرة آية (٣١).

وقوله "ولد تضاءلت الفهوم "أى تصاغرت افهام الخلائق عن إدراك حقيقة النبى ﷺ إذ لايعلمه إلا الله تعالى .

وقوله "فرياض الملكوت يزهر جماله موثقه" - الرياض جمع روضه بمعنى بساتين، والملكوت : ماغاب عنا كالجنة والعرش والكرسى، والزهر اسم للنور الذى يكون بالبساتين، ومثقه: مزينه فشبه تزينه ل لملكوت بتزين الزهر للرياض وقوله "الجامع" أى لجميع ماتفرق فى غيره من الكمالات والعلوم والمعارف، والبركات، والمعجزت . وقوله "الدال عليك" أى الذى يدل الخلائق ويوصلهم إليك.

وقوله "وحجابك الأعظم" أى المانع الأعظم، فهو حجاب بين الله تعالى وبين خلقه، فلا يُمْكن أحداً الوصول للـه تعالى إلا بواسطته، أو حجاب بمعنى المانع للمضار الدنيويه والأخروية عن أمته .

وقوله "القائم لك بين يديك" أى الداعى للخلق اليك بك من غير واسطة ، بينك وبينه.

وقوله "اللهم" أى يا الله "الحقنى" أوصلنى "بنسبه" هو دين الإسلام.

وقوله "وحققنى بنسبه" أى التقوى.

وقوله: "وزج بى فى بحار الآحدية"، أى أدخلنى فى توحيد الأحدية الشبيه بالبحر، وهو الفناء عن سوى الذات العليا فلايشهد سواها فى ظاهره وباطنه، ويقال لصاحبها هو فى مقام الفناء، وفى عين الجمع المعبر عنه بتجريد التوحيد .

وقوله "وانشلنى" أى خلصنى سريعا

وقوله "من أوحال" مخاوف .

وقوله "التوحيد "إنما قال ذلك عقب قوله وزينى بى ، لانصاحب الفناء إن لم تدركه العناية أنكر ثبوت الاثار ، ومنها الرسل وماجاء وايه والعالم برمته.

ومعنى تخليصه من "أوحال التوحيد" أى نقله إلى مقام البقاء فلذلك قال "وأغرقنى" أى واجعلنى مستغرقاً وقوله "فى عين" ذات وقوله "بحر" توحيد وقوله "الوحدة" وهو شهود الذات متصفة بالصفات ويسمى صاحبه فى مقام البقاء وفى مقام جمع الجمع فيستدل بالصنعة على الصانع، لكونه لايشهد إلا الله وصفاته، والصنعة آثار صفاته، فلذلك قال: "حتى لاأرى،

ولاأسمع، ولاأجد، ولاأحس إلا بها فيكون جامعاً بين مقام الفناء ومقام البقاء كمن أحييى بعد الموت[1].

هكذا، نجد أن هذا القطب الصوفى عبد السلام بن مشيش، قد وضع أصول مدرسة صوفية، ودروساً علمية ونفحات روحانية بالإضافة إلى ماتركه من وصايا وعظات وصلوات فى تقويم الخلق الإنسانى وإذكاء النفوس الإنسانية بأعى مراتب الروحانية الصوفية، وقد أصبح لذلك تأثير واضح وملموس فى تراث اللاحقين من تلامذته وأتباعه، وقد كان الإمام أبو الحسن الشاذلى من خيرة أتباعه ومريديه. فآثر بصلواته ووصايا وتعاليمه تأثيراً عميقاً فى طريقته الشاذلية.

---

(١) الدكتور: عبد الحليم محمود: القطب الشهيد عبد السلام إبن مشيش - ص٤٥- ص٤٧- ٥٤.



"الفصل الثانى"

"الإمام أبو الحسن الشاذلى"

المتوفى عام/ ٦٥٦/ هـ

"الطريقة الشاذلية"

أولاً : حياتـــه :

هو أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلى، بالشين والذال المعجمتين، وشاذلة قرية من أفريقيا، الضرير الزاهد نزيل الأسكندرية وشيخ الطريقة الشاذلية، وكان كبير المقدار على المنار، وله عبارات فيها رموز، صوب إبن تيمية/ ٧٢٧هـ/ سهمه إليه، فرده عليه، وصحب إبن مشيش "عبد السلام إبن مشيش /٦٢٥/ هـ" وقد أفرده الشيخ تاج الدين بن عطاء اللـه السكندرى /٧٠٩/هـ وتلميذه أبو العباس المرسى/ ٦٨٦/ هـ بالترجمة[١] .

ولد بقرية "غمارة" ببلاد المغرب عام/ ٥٩٣/ هـ وأخذ يدرس بها العلوم الدينية، وسائل وغايات، وبرع فيها براعة كبيرة، يقول الشيخ عبد الرؤف المنادى /١٠٣١ هـ / فى طبقات الأولياء على أبوالحسن الشاذلى السيد الشريف من ذرية محمد بن الحسن زعيم الطائفة الشاذلية. نسبة الى شاذله قرية بأفريقيا نشأ ببلدة بها، فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها، وصار يناظر عليها، مع كونه ضريراً، ثم سلك منهاج الصوفيه – وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره، وطار فى فضاء الفضائل خيرة، وصمد فى طريق القوم، قدم إلى الأسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى المغرب، ينتفع الناس بحديثه الحسن. وله أحزاب وأوراد، قيل له من شيخك قال "فيما مضى الشيخ عبد السلام ابن مشيش، وأما الأن فإنى أسقى من عشرة أبحر، خمسة سماوية. وخمسة أرضية، وفى الأسكندرية كان بها الشيخ أبوالفتح الواسطى عام/ ٥٨٠/ هـ فوقف يظاهرها.

---

(١) الشعرانى – الطبقات الكبرى – جـ٢ ص٤.

واستأذنه فقال طاقية لاتسع رأسين، فمات أبو الفتح الواسطى فى تلك الليلة[1] قال الشيخ ابن دقيق العبد/ ٧٠٢ هـ / مارأيت أعرف بالله منه ومع ذلك أذوه، وأخرجوه بجماعته من المغرب، وكتبوا إلى حاكم الأسكندرية إنه يقدم عليكم مغربى زنديق، وقد أخرجناه من بلدنا فاحذروه، ودخل الأسكندرية فظهرت له كرامات أوجبت الإعتقاد فيه ، كان رضى الله عنه إذا ركب تمشى أكابر الفقراء (يقصد الصوفية) وأهل الدنيا حوله، وتنشر الأعلام على رأسه، وتدرب الكوسات بين يديه وينادى النقيب أمامه بأمره من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلى، قال بعض العارفين أطلعت على مقام الجيلانى والشاذلى، فإذا مقام الشاذلى أرفع، كان يقوم "لولا لجام الشريعة على لسانى، لخبرتكم بما يحدث فى غد، ومابعده إلى يوم القيامة" مات بصحراء "عيذاب" بمصر قاصدا الحج أواخر ذى القعدة دفن هناك عام ٦٥٦ هـ[2].

والإمام أبو الحسن الشاذلى فى مجال التصوف الإسلامى هو شيخ طائفة الشاذلية، وهى من أشهر الطرق الصوفية وأكثرها إنتشاراً منذ زمانه حتى أيامنا.

وقد بلغ مبلغا عظيما فى كل من العلم والعمل، فجمع بين المناظرة فى العلوم الظاهرة، وفى علوم الطريق، وبين التحقق بالعلوم الباطنه التي أخص ماتدور عليه وتنتهى إلى معرفة الله، فقد كان عارفا بالله حقاً حتى لم يكن أعرف بالله منه. كما قال تقى الدين بن العبد /ت عام ٧٠٢ هـ/ وكان إلى جانب ذلك، صاحب سياحة أو سياحات كثيرة. ومنازلات جليله، جاء فى طريق الصوفية بالعجب العجاب وشرح من علم الحقيقة الإطناب ووسع للسالكين الركاب، وذلك كما قال تاج الدين بن عطاء الله السكندرى/٧٠٩/ هـ .

---

(١) نحن نشك فى هذه الروايه لما يكتنفها من أمور أسطورية وغيبيات لاتليق بالصالحين ولايدعونها - كذلك فإن أبا الفتح الواسطى توفى عام /٥٨٠/ هـ وهذا التاريخ قبل مولد أبو الحسن الشاذلى . وقد كان الوسطى أحد شيوخ الطريقة الرفاعية فى مصر وهو طريق يتفق مع طرائق صوفية أهل السنة وهذا من تحريف الرواه والقصاصين والمعروف كما ذكرنا أن أبا الفتح الواسطى تقابل مع الشاذلى بالعراق ودله على قطب الزمان بتونس وتوفى عام ٦٣٢هـ .

(٢) ابن العماد الحنبلى- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جـ٥ - ص٢٨٩ - ط دار الفكر - ١٩٨٧م.
- كذلك - الدكتور أبو الوفا التفتازانى - مدخل إلى التصوف ص ٢٩٢.
- كذلك عبد الرؤف المناوى /١٠٣١ هـ/ الكواكب الدرية فى تراجم الساده الصوفية- جـ٣ - (الشاذلى) - ط المكتبة الأزهرية ١٩٣٨ م .

ولعل أخص خصائص التصوف الشاذلى هو أن شيخه الإمام أبو الحسن الشاذلى وتلامذته وأتباعه من بعده، كانوا فى علمهم وعملهم، وفيما يأخذون به، ويدعون إليه، أشد ماكانوا تمسكا بالكتاب والسنة، إذ حرصوا على الملائمة بين تعاليمهم وبين تعاليم الكتاب والسنة.

فالشاذلى وأتباعه . إنما يؤلفون مدرسة صوفية سنية بأدق مافى كلمة السنية من معنى[1] ومما يدل على ذلك قول الشاذلى "إرجع عن منازعة ربك تكن موحداً، وأعمل بأركان الشرع تكن سنيا، وإجمع بينهما تكن محققا"[2] .

وقد إهتم الباحثون المستشرقون، بدراسة حياة الشاذلى، وطريقته الصوفية فقد ذهب: البروفسير سينسر ترمنجهام « J,spencer trimingham » إلى أن مصر أصبحت هى الموطن الأساسى للطريقة الشاذلية، حيث أن شيخ الطريقة استطاع أن ينشر تعاليمه من هذا المكان، حتى أصبحت من أعظم الطرق الصوفية إنتشارا[3].

لقد كان الإمام أبو الحسن الشاذلى، شخصية قوية، لها مكانتها وأثرها العميق فى تربية المريدين، وتقويم سلوكهم، وقد نال من الإحترام والتبجيل مالم ينله شيخ طريقة صوفية فى عصره .

وربما يرجع ذلك فيما نرى إلى تمسكه الشديد بأصول الكتاب والسنة، وسيرة السلف وأهل السنة، واعتداله الشديد فى شئون حياته العامة والخاصة، فقد كان فصيح اللسان عذب الكلام، يأخذ زينته عند كل مسجد وكان يتحلى بالثياب الحسنة ولذلك تذكر المصادر هذه القصة "دخل على الإمام أبى الحسن ا لشاذلى رجل فقير عليه لباس من شعر، فلما فرغ الشيخ من كلامه دنا الرجل الفقير من الشيخ وقال له وهو يمسك بملبسه: ياسيدى ماعبد الله بمثل هذا اللباس الذى عليك، فأمسك الشيخ ملبسه فوجد فيه خشونه، فقال له، ولا عبد الله بمثل هذا اللباس الذى عليك، لباس يقول أنا غنى عنكم فلا تعطونى، ولباسك يقول: أنا فقير إليكم فأعطونى ويعلق الشيخ ابن عطاء الله السكندرى/ ٧٠٩ هـ / على ذلك بقوله.

---

(١) الدكتور - محمد مصطفى حلمى - ابن الفارض - ص٠١٠٠، ص١٠١، ص١٠٢.

(٢) ابن العماد الحنبلى- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ٥ - ص١٨٩ ، كذلك - الشعرانى- الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص٦ ، كذلك الدكتور عبد القادر محمود الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٢٨٦.

(٣) The sufi orders in Islam, p,45.

وهكذا طريق الشيخ أبى العباس المرسى/٦٨٦/ هـ وشيخه إبى الحسن رضى الله عنهما، وطريقة أصحابهما. الإعراض عن لبس زى ينادى على سر اللابس بالإفشاء، ويفصح عن طريقه بالإيذاء، ومن لبس الزى فقد إدعى.

كذلك لم يكن الإمام الشاذلى يتعمد قط أكل الغليظ من الطعام أو يقتصر على غير الذلال من الماء من الشراب وكان يقول يابنى برد الماء، فإنك إذا شربت الماء الساخن فقلت الحمد لله، تقولها بكزازة، وإذا شربت الماء البارد، فقلت الحمد لله إستجاب كل عضو منك بالحمد لله تعالى[1].

ومن ناحية فإنه يعتبر من الشخصيات القوية فى المدرسة الغزالية السنية الشافعية، بل من أقوى رجالها .

وقد أقر الشاذلى بذلك، وإنه يتبع طريق الغزالى/٥٠٥/ هـ الصوفى التابع من أصول الكتاب والسنة، ومما يؤكد ذلك أنه قد بلغ إعتزاز الشاذلى بالإمام أبو حامد الغزالى فيما رواه إبن عطاء الله السكندرى فى الطائف المنن. "عن إمامه وشيخه أبى الحسن الشاذلى قوله:

إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام الغزالى وكان يقول عن كتاب إحياء علوم الدين "كتاب الأحياء يورث العلم"[2] .

لقد ظهرت شخصية الشاذلى الصوفية المتميزة وهو يواجه بتيارين متعارضين، غير منحاز إلى أحدهما، وهو تيار التفلسف الصوفى النظرى الذى إنحرف عن طريق السنة وإنغمس أصحابه فى نظريات فلسفية وهو تيار إبن عربى/٦٣٨/ هـ "تيار وحدة الوجود" وتيار إبن تيمية السلفى المتأخر الذى ثار على منهج الغزالى وطرائقه الصوفية والأصولية الأشعرية، وإستطاع الشاذلى أن ينال إحترام علماء الفقه والأصول من أهل السنة فى عصره، وقد ذكرنا موقف تقى الدين بن دقيق العبد من طريقته الصوفية وعلومه فى الشريعة والحقيقة، كذلك العز بن عبد السلام ٦٦٠/هـ وهو تلميذ مباشر لأبى حفص السهروردى /٦٣٨/ هـ صاحب

---

(١) لمزيد من التفاصيل: الإمام إبن عطاء الله السكندرى - لطائف المنن - ص١٢٩ ومابعدها - القاهرة ١٣٢٢هـ .

(٢) إبن عطاء الله السكندرى - لطائف المنن - ص٦٢ - كذلك الدكتور - عبد القادر محمود الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٢٨٨ .

كتاب عوارف المعارف، وكذلك يعتبر العز بن عبد السلام من التابعين لطريقة الشاذلى الصوفية شريعة وحقيقة، ومن الشاهدين عليه فى عصره[١].

وقد خلف الإمام الشاذلى آثاراً علمية وآداب أخلاقية وتربية سلوكية وعلوم صوفية وحقائق باطنية روحانية كثيرة، ظهر آثارها فى مدرسته الكبيرة التى قادها ودعم أصولها من بعده تلامذته وعلى رأسهم الإمام إبى العباس المرسى/ ٦٨٦هـ/ وابن عطاء الله السكندرى/ ٧٠٩/ هـ.

ثانياً : طريقته الصوفية وأصولها:

تجمع المصادر العلمية قديماً وفى العصر الحديث على أن الإمام أبا الحسن الشاذلى وطريقته وماخلفه من تراث فكرى وصوفى ظهرت آثاره فى تلامذته، إنما يمثل الإتجاه الصوفى السنى بأدق مافى كلمة السنية من معنى كذلك فإنه يمثل المنزع الأخلاقى الإسلامى الصحيح والرائع، والذى نزع إليه فى طريقته الصوفية.

وقد إستدل كبار الباحثين فى التصوف وطرقه على ذلك من خلال ماورد عن الشاذلى من آراء ونظريات فكرية وعلمية وصوفية وروحية ترجمها عملياً فى طريقته.

ولعل أهم آراء الباحثين المعاصرين، فى طريقة الشاذلى الصوفية مسلكه العملى الأخلاقى. الذى يتبع أصول الكتاب والسنة، ماذكروه لقولهم "أن من طوائف الصوفية النظريين جماعة الشاذليين، وهؤلاء كانوا يعدون فى تصوفهم بحق سنيين، إذ جروا فى نزاعتهم الباطنية، وإتجاهاتهم الروحية، وماإصطبغ من تصوفهم بالصبغة النظرية على منهاج الأشعرين: إذ يعتقدون أن الموجود شيئان: خالق ومخلوق، أو قديم وحادث، وسوف يظل الأمر كذلك مهما إختلفت الأحوال وتنوعت الأطوار[٢].

ولاشك أن هذا الرأى برأ ساحة الشاذلية وطريقته من شبهات النزعات الباطنية الغالبة، التى يكتنفها خطورة الإنزلاق إلى أفكار غريبة، كالحلول أو الإتحاد، أو وحدة الوجود، كما كان

---

(١) مزيد من التفاصيل - الدكتور محمد مصطفى حلمى - إبن الفارض ص١٠٢ كذلك - الدكتور عبد القدر محمود - الفلسفة الصوفية - ص٢٨٨ .

(٢) دكتور على صافى حسين - الأدب الصوفى فى مصر - ص١١٧ .

شائعاً عن صوفية عصره. إذ أنه يؤمن بثنائية الموجودات ويفصل بينهما من جميع الإتجاهات فالموجود الخالق هو الله تعالى والموجود المخلوق هو الإنسان وسائر الموجودات فى العالم وهذا الإتجاه يمثل إتجاه الأصوليين من أهل السنة .

وعلى ذلك فإن الجانب الأصولى فى طريقته تنزيه الله تعالى، وإثبات وجوده تعالى والإستدلال عليه بمخلوقاته دون تشبيه أو حلول أو إتحاد .. والله تعالى عنده غنى عن الإستلال عليه لأنه تعالى ظاهر آثاره وصفاته وكل شئ فى الوجود ويعبر تاج الدين بن عطاء الله السكندرى/ ٧٠٩/ هـ عن هذا المذهب يقول "وإذا كان من الكائنات ماهو غنى بوضوحه من إقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها".

وقد وجه الإمام أبو الحسن الشاذلى مريديه إلى ذلك عندما قال "كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف، أم كيف يعرف شئ من سبق وجود كل شئ" .

ويقول أيضاً معبراً عن طريقته الأصولية إننا لننظر إلى الله ببصائر الإيمان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان، وإنا لانرى أحداً من الخلق، هل فى الوجود أحد سوى الملك الحق "وإن كان ولابد فى الهواء، إن فتشته لم تجده شيئاً" .

ويقول أبوالحسن أيضاً "ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إليه فليت شعرى هل لها وجود معه حتى توصل، أو هل لها من الوضوح ماليس له حتى تكون هى المظهر له" .

ويقول أيضاً "وكيف تكون الكائنات مظهرة له، وهو الذى أظهرها، أو معوفة له وهو الذى عرفها"(١) .

ولعل هذا الإتجاه هو إتجاه المدرسة الشاذلية فيما بعده(٢) ولاشك أن الإمام الشاذلى مزج أصوله العقائدية، بما تجلى فى باطنه من معان روحانية وإيمانية صادقة، بالتسليم الكامل لله تعالى، وإسقاط إرادته فى الإرادة الإلهية، وهو مسلك صوفية أهل السنة الأوائل والمتأخرين.

---

(١) الدكتور - عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلى - ص٩٥ - ص٩٦. جدير بالذكر أن الباحث إكتشف مخطوطاً ينسب لأبى الحسن الشاذلى بعنوان «القصد إلى الله تعالى» بمكتبة المسجد الأحمدى بطنطا رقم/١٥٩/٦٧٦/ تصوف/ بخط واضح ودقيق بقلم الشيخ محمد بن يحيى الغسانى البرجى والباحث بصدد تحقيق هذا المخطوط .

(٢) نفس المصدر - كذلك نظرنا- ابن عطاء الله السكندرى لطائف المنن - ص٢٧ .ص٢٨. كذلك أحمد ابن عجيبة الحسنى - ايقاظ الهمم فى شرح الحكيم - حـ١جـ٢.

ويوضح ذلك عندما يقول لمريديه "حدد بصر الإيمان تجد الله فى كل شئ وعند كل شئ ومع كل شئ وفوق كل شئ وقريباً من كل شئ ومحيطاً بكل شئ، يقرب هو وصفه، وبإحاطة هى نعته وعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات، وعن الصحبة والقرب بالمسافات، وعن الدور بالمخلوقات، وأمحق الكل بوصفه الأول والآخر، والظاهر والباطن، كان الله ولاشئ معه"(١) .

ومن هنا نجد أن الطريقة الأصولية الشاذلية تقوم علي إيمان عميق، وإخلاص صادق، أساسه الكتاب والسنة والتفويض لله تعالى والتسليم لإرادته، من أجل السلامة من ا لشكوك والظنون والأوهام، والخلاص من الدعاوى الكاذبه المضلة.

وهذا ماعبر عنه الإمام الشاذلى في قوله "إذا عرض عليك عارض يصدك عن الله تعالى فاثبت لقوله تعالى "ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون" سورة الأنفال آية (٤٥) وقال أيضا "كل علم يسبق إليك فيه الخواطر وتميل إليه النفس وتلذذ به الطببيعة فأرم به ، وإن كان حقا، وخذ بعلم الله الذى أنزله على رسوله، واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده وبالأئمة الهداه المبرئين عن الهوى ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى ، وحقائقه، وحسبك من العلم، العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله ورسوله ﷺ ومحبة الصحابة وإعتقاد الحق لجماعة"(٢) .

وإذا كان ذلك كذلك، فإن اساس طريقة الشاذلى هى الكتاب والسنة والإجماع مع التسليم الكامل لماورد بالكتاب والسنة بلا معارضة وذلك يوحى بضرورة أن يعرض الكشف والمشاهدة والآراء على الكتاب والسنة، مع التسليم فى النهاية لهما وفى ذلك يقول فيما نقله المناوى ١٠٣١ هـ/ "كان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول "إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها إلى جانب الكشف والإلهام، ومثل هذا أيضا قول الجنيد /٢٩٧/هـ

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ ٢- ص١٠ - كذلك أحمد ابن عجيبة الحسنى، ايقاظ الهمم فى شرح الحكم - حـ١-ص٢٠٠، ص٢٠١. كذلك مخطوط القصد إلى الله تعالى - "باب الإيمان" .

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص ٤، ص٥.

إن النكتة لاتقع فى قلبى من جهة الكشف فلا أقبلها إلا بشاهدى عدل الكتاب والسنة" (١).

فإذا كان الكتاب والسنة والإجماع - أصول للطريقة الصوفية الشاذلية، فما من جوانب هذه الطريقة الأخلاقية والتربوية، والروحية الباطنية.

لم تقدم لنا النظريات الفلسفية فى التصوف كالإشراق ووحدة الوجود أى أصول إعتقادية ومبادئ أولية للأخلاق ولكن نستطيع الحصول على هذه المبادئ الأخلاقية فى التصوف المعتدل.

ويكاد يكون التصوف المعتدل أصدق جوانب التصوف تمثيلا للفكرة الصوفية، لامن حيث اتساقه مع أحكام الشرع وتعاليم الدين فحسب، بل من حيث بعده عن الأصول الأجنبيه، إذا قورن بالتصوف الفلسفى، ومن ثم كان معبراً عن تيار إسلامى(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن كتب الصوفية وماورد عن شيوخهم ممن لم يتركوا مؤلفات مكتوبه، بل تناقل آرائهم تلامذتهم كالشاذلى مثلا لم يهتموا بشرح العقائد وأصولها أو تحليلها كما قد جرى ذلك بين فرق الأصوليين من المتكلمين، ولكنهم إهتموا بالجانب التربوى والسلوك الأخلاقى .

فالصوفية كما نعلم أهل سلوك وتربية وأخلاق، إذ أن معظم مايرد من مؤلفاتهم وآرائهم وتعاليمهم. مقامات وأحوال وأذواق ومواجيد ووصف للمجاهدات والمشاهدات الأحوال فى الطريق، وتأديب المريدين.

من هناك كان الإختلاف بين الصوفية والتمايز بينهم، إذ أنهم كما نعلم لايمثلون "فرقة" إذ ليست هناك أصول عقلية أو مبادئ منطقية أو برهانية تجمعهم بل إنهم يمثلون "طوائف" وكل طائفة تختلف عن الأخرى .

وكما تعلم "أن الصوفية بخير ماإختلفوا، فإذا اتفقوا أو بمعنى آخر اصطلحوا فلاخير فيهم" (٣) .

فإذا اتجهنا إلى الجانب الأخلاقى فى أصول الطريقة الصوفية، الشاذلية، نجد أن الإمام أبى الحسن الشاذلى .قد اهتم بهذا الجانب التربوى. أو إن هذا الجانب يشغل حيزاً كبيراً وشاملاً فى طريقته السنية المعتدلة.

---

(١) أحمد بن عجيبة الحسنى إيقاظ الهمم فى شرح الحكم - جـ٢ - ص٣٠٢- ص٣٠٣.

(٢) دكتور أحمد محمود صبحى - الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى- ص٢٢٠، ص٢٢١.

(٣) القشيرى - الرساله القشيرية - جـ ١ ص١٢٧.

وأثر بذلك فى تلامذته ومريديه من بعده ، وظهر لذلك آثار قيمة فيمن كتبوا عن طريقته الصوفية. كابن عطاء الله السكندرى /٧٠٩/ هـ عبد الرؤف المناوى /١٠٣١ هـ/ وأحمد بن عجيبه الحسنى /١٢٢٤هـ وغيرهم ممن ينتسبون للطريقة الشاذلية .

وقد صدرت عن الشاذلية مجموعة من الآراء والتعاليم /تلخص هذا المنزع الأخلاقى الشامل عند أبى الحسن يقول "إذا كثرت عليك الخواطر والوساوس، فقل سبحان الملك الخلاق، إن يشأ يذهبكم ويأتى بخلق جديد، وماذلك على الله بعزيز، وكان يقول: لاتجد الروح والمدد ويصح لك مقام الرجال حتى لايبق فيك تعلق بعلمك ولا حدك ولا إجتهادك وتيأس من الكل دون الله تعالى، وكان يقول أيضاً "إذا ثقل الذكر على لسانك وكثر اللغو فى مقالك وانبسطت الجوارح فى شهواتك وانسد باب الفكره فى مصالحك، فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك، أو لكون إرادة النفاق فى قلبك، وليس لك طريق إلا الطريق والإصلاح والإعتصام بالله والإخلاص فى دين الله تعالى، ألم تسمع إلى قوله تعالى "إلا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك هم المؤمنين" سورة النساء (١٤٦) ولم يقل من المؤمنين فتأمل هذا الأمر إن كنت فقيها [(١)].

وانطلاقاً من هذه العبارات أو التعاليم - التى يلقيها الشاذلى ويعبربها عن منزعه الأخلاقى فى طريقته، فإننا نستطيع أن نستنبط هذا المنزع من فروع الطريقة التى يقوم عليها فى مسلكه إلى الله تعالى، والحضور فى رحابه النورانية، والفوز بتجلياته الروحانية فإذا تأملنا مفردات الطريق الصوفى فالمقامات - من زهد، وتوبة وورع، وصبر، وشكر، وتوكل وغير ذلك من الطريق القصد إلى الله تعالى[(٢)] بالإضافة إلى التسليم والتفويض الكامل لله تعالي للإرادة الإلهية فى كل شئ وهو مايعنى الجبر والإختيار ، والخير والشر، والقضاء والقدر وغير ذلك مما يتعلق بفروع الأخلاق، لوجدنا أنها تدل عند الشاذلي، والصوفية المعتدلين - علي الجانب الأخلاقى و التربية السلوكية التى تشكل حجر الزاوية فى أصول الطريق. فالطريق الصوفى كله أخلاق وتربية وعمل.

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص٥.

(٢) نفس المصدر السابق- ص٢. كذلك نظرنا - مخطوط "الطريق القصد إلى الله عز وجل - للإمام الشاذلى - مكتبة المسجد الأحمدى بطنطا برقم /١٥٩/٦٧٦/ ونحن بصدد تحقيقه.

ولعلنا نذكر فى ذلك ماصرح به الشاذلى فى مناسبات كثيره لتلامذته ومريديه.

إذ يقول "ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى من غرق إليه فى الأسحار بالطاعات ليطلب مسرته بذلك قال تعالى "فاعبد الله مخلصا له الدين" سورة الزمر آية(٢).

وكان يقول "العارف بالله تعالي لاتنقصه حظوظ النفس لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك ، إلا إن كانت الحظوظ معاصى" .

وكان يقول "إذا أهان الله عبدا كشف له عن حظوظ نفسه وستر عنه عيوب دينه فهو يتقلب فى شهواته حتي يهلك ولايشعر" .

والأخلاق الحميدة التى يقصدها الشاذلي، هى الأخلاق الإسلامية الإيمانية بالله تعالى ورسوله ﷺ، أو هى تمثل الأخلاق الإلهية والأوصاف الربانية يقول "من يسكر من شهود الكأس (أى معرفة الحق التى يعرف بها) ولم يذق بعد شيئاً فما ظنك بعد ذوق الشراب وبعد الرى، واعلم أمن الرى قل لمن يفهم المراد به فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار، والنعوت بالنعوت والأفعال بالأفعال[١].

إذن فالتعلق، وإتباع حظوظ النفس وشهواتها، وعدم التخلق بأخلاق الربوبية من رذائل الأخلاق وكذلك العجب بالنفس والغرور.

يقول أبو الحسن فى ذلك "لاتركن إلى علم ولامدد، ولكن بالله تعالى وإحذر أن تنشر علمك ليصدقك الناس، وانشر علمك ليصدقك الله تعالى" .

يقول أيضاً "إذا أردت أن تكون مرتبطاً بالحق فتبرأ من نفسك وأخرج عن أحوالك وقوتك" .

كان يقول كذلك "لن يصل العبد إلى الله تعالى ويبقى معه شهوة من شهواته، ولامشيئة من مشيئاته، والأولياء يفنون عن كل شئ بالله تعالى، وليس لهم معه تدبير ولاإختيار" .

وقمة التواضع وتمثل السلوك الأخلاقى التربوى، هو الإلتزام بالأدب مع الله تعلى، والتسليم والتفويض له تعالى فى كل شئ" .

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٧ كذلك نظرنا - مخطوط " الطريق القصد إلى الله عز وجل - للإمام الشاذلى - مكتبة المسجد الأحمدى بطنطا برقم/ ١٥٩/ ٦٧٦/ .

يقول "لاتختر من الأمر شيئاً وأختر أن لاتختار، وفرض ذلك المختار فرارك من كل شئ إلى الله تعالى، وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة، وكل مختارات الشرع وترتيباته فهى مختار الله تعالى، وليس لك منه شئ ولابك منه وأسمع وأطع وهذا موضوع الفقه الربانى والعلم الإلهى وهى أرض العلم والحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى" (١).

إن الطريق الصوفى يقوم على أسس وقواعد أخرى وصفها الشيخ أبو الحسن الشاذلى، شأنه فى ذلك شأن أصحاب الطرق المتقدمين والمتأخرين. فلكل طريقة أصول وقواعد تشكل جوانبها الأساسية .. وهى: -

١ - الصبر : -

يقول أبو الحسن الشاذلى "من الشهوة الخفية للولى إرادته النصرة على من ظلمه، جاء فى سورة الأحقاف (٣٥) قال تعالى "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل" أى أن الله تعالى قد لايشاء إهلاكهم" فالصبر مقام من مقامات الأنبياء والصديقين، وهو الصبر على البلاء، والصبر على إيذاء الآخرين، والصبر فى مكابدة الحياة فمن إجتاز هذا المقام، حاز القبول عند الله تعالى، لقوله تعالى "واصبر وماصبرك إلا بالله" سورة النحل (١٢٧) فليس هذا الطريق بالرهبانية ولابأكل الشعير وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين والهوية .

٢ - العبودية : -

يقول أبو الحسن الشاذلى "لاتؤخر طاعات وقت لوقت آخر فتعاقب بفواتها أو بفوات غيرها، أو مثلها جزاء لما ضيع من ذلك الوقت، فإن لكل وقت سهماً. فحق العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، وأما تأخير عمر رضى الله عنه الوتر إلى آخر الليل فتلك عادة جارية، وسنة ثابتة الذمة لله تعالى وإياها مع المحافظة عليها. وأنى لك بها مع الميل إلى الراحات، والركون مع الشهوات، والغفلة عن المشاهدات، هيهات هيهات هيهات.." .

---

(١) نفس المصدر - ص٧، ص٩، ص٨ .

كذلك - أحمد ابن عجيبه الحسنى - إيقاظ الهمم "أماكن متفرقة" .

٣ - الورع : -

يقول "كا. ورع لايثمر لك العلم والنور فلاتعد له أجراً، ولك سيئة يعقبها الخوف والهرب إلى الله تعالى فلاتعد لها وزراً، فلا ترقى قبل أن يرقى لك فتزل قدمك، وأشقى الناس من يعترض على مولاه وأركس فى تدبير دنياه ونسى المبدأ والمنتهى والعمل لأخراه" (١) .

٤ - الإخلاص: -

الإخلاص نوعان، إخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب وإخلاص الصديقين: وجود الحق مقصوداً به، لاشئ غيره، لاشئ من غيره .

ويتحدث أبو الحسن الشاذلى عن صفات المخلصين يقول : -

رجال جبلهم على حسن عبادته وعبوديته، وأخلعهم لإخلاص توحيد ربوبيته، وإتباع شريعته، فما منع أسرارهم بأنوار حضرته، وأمد أرواحهم بمعانى المعارف وخصائص عنايته، وأحال عقولهم فى عظمته، وزكى نفوسهم فأحرزها وأخرجها من ظلمة الجهل، وهداهم بنجوم العلم لشمس معرفته، وأيد عقائدهم ببرهان كتابه وسنته، ومحا عزائمهم بتحقيق غلبة مشيئته، وزينهم بزينة الزهد، وحلية التوكل، وشرف الورع ونور العلم، وضياء المعرفة، وتولاهم فأغناهم به عن غيره.

هذا قصد القوم، وأصل فى الأخلاقى، والتخصيص، فيما لونظرت إلى حقيقة ذلهم، وإفتقارهم الذى هو عين العز والغنى بمولاهم .. (٢) .

يقول أبو الحسن "أربعة من حازهن فهو من الصديقين المقربين، ومن حاز منهن ثلاثة فهو من أولياء الله المقربين، ومن حاز منهن إثنين فهو من الشهداء المؤمنين، ومن حاز منهن واحدة فهو من عباد الله الصالحين. الأولى: الذكر وبساطة العمل الصالح وثمرته الفوز. الثانية: الفكرة وبساطة الصبر وثمرته العلم .. الثالثة: الفقر وبساطة الشكر، وثمرته المزيد منه والرابعة: الحب وبساطة بغض الدنيا وأهلها وثمرته الوصول إلى المحبوب" (٣).

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص٧، ص٨. كذلك - نظرنا - مخطوط القصد إلى الله تعالى - بقلم محمد بن يحيى الغسانى البرجى .

(٢) الدكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية - ص١٢٨ - ص١٢٩ .

(٣) أحمد بن عجيبة الحسنى - إيقاظ الهمم - حـ٢ - ص٣٦٩ .

٥ - المحبــــة : -

وهى طريق الترقى إلى حضرة العلى الأعلى، وطريقة المحبين الذين هم أبدال الأنبياء عليهم السلام، ومايعطيه الله تعالى لأخذهم من بعد المنزل لايقدر أحد أن يصف منه ذرة .

وأما طريق المحبوبين الخاصة بهم، فإنه ترق منه إليه به إذ محال أن يتوصل إليه بغيره، فأول قدم لهم بلاقدم إذ ألقى عليهم من نور ذاته فغيبهم بين عبادة، وحبب إليهم الخلوات، وصغرت لديهم الأعمال الصالحات، وعظم عندهم رب الأرضون والسموات" (١).

٦ - التوحيــد : -

يقول الشاذلى "أصدق الأقوال عند الله تعالى قول لاإله إلا الله على النظافة، وأدل بالأعمال على محبته تعالى لك بغض الدنيا، واليأس من أهلها على الموافقة (٢).

٧ - التوبــة : -

أول مايبدأ به المريد السالك إلى الله تعالى الذى يريد إسلام وجهة إليه إنما هو التوبة، وتبدأ بالإستغفار وحقيقته أن لايكون لك مع غير الله تعالى قرار، وهذا أمان للمستغفر من عذاب الله تعالى" (٣).

٨ - النيــة : -

لابد فى كل عمل يأتيه الإنسان، بل كل أمر يتركه من النية، ومن الإخلاص فى النية وذلك لكى يترتب الأجر والثواب من الله تعالى على العمل يقول الرسول ﷺ "من صلحت نيته صلح عمله" (٤).

والنية، والقصد، والعزم والإرادة، والمشيئة كل ذلك بمعنى واحد، أو يحب أن يكون بمعنى واحد، ووقت النية عند إفتتاح العمل، وكيفيتها إرتباط القلب مع الجوارح .

فنحسن النية بينك وبين الله تعالى بتوجيه القلب بالتعظيم لله تعالى، والتعظيم لما به أمر وفيما بينك وبين العباد توجيه النفوس بالتضحية لهم، والقيام بالحقوق، وترك الحظوظ، ونبذ العوارض، مع الصبر لله والتوكل على الله تعالى.

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص١١ .

(٢) نفس المصدر - حـ٢ - ص٩ .

(٣) الدكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية - ص١٣٠ .

(٤) المصدر السابق - ص١٣٠، ص١٣٢، ص١٣٣ .

ومهما يكن من شئ فمقدار الإخلاص فى النية يكون الثواب ويكون الترقى.

٩ - الجهـاد: -

لابد للمريد من جهاد العدو، وجهاد الشيطان ومن أراد أن لايكون للشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل، والعبودية لله تعالى .

وتصحيح الإيمان بالشكر على النعماء، والصبر على البلاء والرضا والقضاء .

وأما صحة التوكل فبهجران النفس، ونسيان الخلق، والتعلق بالملك الحق، وملازمة الذكر، والثبات فى مواجهة العوارض التى تصدك عن الله تعالى" .

١٠ - الزهـد : -

وحقيقة الزهد عند الشاذلى، فراغ القلب مماسوى الرب تبارك وتعالى ويقول أيضاً "لايصل الولى إلى الله تعالى ومعه شهوة من شهواته، أو تدبير من تدبيراته، أو إختيار من إختياراته ولايصل العبد إلى الله تعالى إلابعد فناء مساويه ومحو دعاويه[١] .

١١ - التوكل: -

وهو صرف القلب عن كل شئ سوى الله تعالى. وحقيقة نسيان كل شئ سواه، وسرد وجود الحق دون كل شئ تلقاه، وسرسره ملك وتمليك لما يحبه ويرضاه ولايصح التوكل إلا لمتق، ولاتتم التقى إلا لمتوكل[٢].

١٢ - الرضـا: -

الرضا عن الله تعالى، وعن قضاء الله تعالى، لاعن النفس، يقول أبو الحسن الشاذلى "ألق بنفسك على باب الرضا، وإنخلع عن عزائمك وإرادتك" .

١٣ - الذكـر : -

عليك ياأخى بالذكر للأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة، وتمسك به وداوم عليه، ويؤكد الإمام أبو الحسن الشاذلى على ذلك يقول "من صيغة الذكر، الحمد لله، وأستغفر الله، ولاحول ولاقوة إلا بالله، ولايصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر..[٣].

---

(١) أحمد بن عجيبة الحسنى : إيقاظ الهمم - حـ١ - ص١٩٨ .

(٢) الدكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية - ص١٤١، ص١٤٢ .

(٣) المصدر السابق، كذلك إبن عجيبة - إيقاظ الهمم - أماكن متفرقة - كذلك الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص٩ .

هذه الأصول، والقواعد التى تسير عليها طريقة الشاذلى، تتفق مع ماذهب إليه أهل السنة المتقدمين والمتأخرين أيضاً، وهى مقامات السالكين إلى الله تعالى.

وقد تناقلها تلامذته مؤرخوا التصوف فى مؤلفاتهم، حيث أن أبا الحسن الشاذلى، لم يترك كتاباً مؤلفاً ولم يوص برسالة مكتوبة، فقد سئل عن ذلك فقال "كتبى أصحابى" وهذا يعنى مصادر الطريقة الصوفية الشاذلية، مدونة فى بطون كتب الصوفية المتأخرين .

ثالثاً: الطريق القصد إلى الله تعالى(١) :

تحدث الإمام أبو الحسن الشاذلى فى كتابه "القصد إلى الله تعالى" عن أصول الطريق القصد وهى أربعة أشياء من حازهن فهو من الصديقين المحققين، ومن حاز منهن ثلاثة فهو من أولياء الله المقربين، ومن حاز منهن إثنين فهو من الشهداء الموقنين، ومن حاز منهن واحدة فهو من عباد الله الصالحين .

أولهـــا : الذكر وبساطة العمل الصالح، وثمرته النور .

ثانيهـــا : التفكير وبساطة الصبر وثمرته العلم .

وثالثهـا : الفقر، وبساطة الشكر وثمرته المزيد منه .

ورابعها : الحب وبساطة بغض الدنيا وأهلها، وثمرته الوصل بالمحبوب(٢).

وتدعيماً للطريق القصد إلى الله تعالى، يؤكد الشاذلى على ضرورة الخلوة، ويحسن أن يخلو الإنسان إلى ربه تعالى فترة من الزمن وهى فترة العزلة أو فترة الخلوة، أو فترة الكهف، أو فترة الغـار. يلازم فيها، الذكر والمراقبة والتوبـة والإستغفار. ومهما خالـط سره شئ من ذنـب أو عيب أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل، فيجب عليه المبادرة إلى التوبة والإستغفار من الجميع، إمـا من الذنب فواجب شرعاً، وإما من غيره فإعتبـاراً بإستغفار النبى ﷺ تسليمـاً بعد

---

(١) نظرنا كذلك: ابن عباد – المفاخر العلية فى مآثر الشاذلية ص٤٣ – ط المطبعة العامرية الشرقية بمصر سنة ١٣١٤ هـ .

(٢) أبو الحسن الشاذلى – القصد إلى الله تعالى – مخطوط – بالمسجد الأحمدى بطنطا تحت رقم/ ١٥٩/ ونسخة أخرى – بزاوية القصبى – طنطا تحت رقم/١٣٧/ ١٥٩/ تقييم، صورة من المخطوط لوحة رقم (١) ،(٢) ويقوم الباحث بتحقيق هذا المخطوط، وقد ورد هذا النص كذلك فى كتاب إبن عجيبة الحسنى – إيقاظ الهمم – حـ٢ ص٣٦٩ .

البشارة واليقين بمغفرة ماتقدم من ذنبه وماتأخر أما ثمرة العزلة فهى الظفر بمواهب المنة، وهى أربعة، كشف الغطاء، وتنزل الرحمة، وتحقق المحبة، ولسان الصدق فى الكلمة[1]. وللعزلة أو الخلوة، آداب يشير أبو الحسن إليها. بقول "إعلم أيدك الله إذا أردت الوصول إلى الله تعالى فاستعن بالله واجلس على بساط الصدق مشاهداً ذاكراً له الحق، ورابط قلبك العبودية المحضة على سبيل المعرفة، ولازم الذكر والمراقبة والتوبة والإستغفار"[2].

فالإمام الشاذلى، يضع بذلك أصول طريقته الصوفية، ويوضحها لمريديه وقد تناقل مريدوه تعاليمه وآرائه وأصول طريقته خلال مؤلفاتهم .

رابعاً: الولاية وآداب المجالس وصفات القطبانية: -

يتحدث أبو الحسن الشاذلى عن أهم خصائص الولاية لاتشم رائحة الولاية وأنت غير زاهد فى الدنيا وأهلها "ثم حدد شروط الولاية وآداب المجالس يقول "من آداب المجالس للأكابر التخلى عن الإضداد والميل والمحبة والتخصيص لهم، وترك التجسس على عقائدهم، وإذا جالست العلماء فلا تحدثهم إلا بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة، إما أن تفيدهم وإما أن تستفيد منهم، وذلك غاية الربح منهم. وإذا جالست العباد والزهاد، فاجلس معهم على بساط الزهد والعبادة وحل لهم مااستمرؤه، وسهل عليهم ماإستوعروه وذوقهم من المعرفة مالم يذوقوه .

وإذا جالست الصديقين ففارق ماتعلم تظفر بالعلم المكنون، فإذا إنتصر الفقير لنفسه وأجاب عنهم فهو والتراب سواء. وإذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس فى الجماعة فلا تعبأن به...

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية - ص١٣٢ .

(٢) أبو الحسن الشاذلى - القصد إلى الله تعالى - مخطوط بالمسجد الأحمدى بطنطا- لوحة رقم (١)، رقم (٢) وجدير بالذكر أن ماورد من تعاليم الشاذلى بهذا المخطوط، تردد فى مؤلفات متأخرى الطبقة الشاذلية ومؤرخيهم ومثل ذلك بكتاب إيقاظ الهمم - لإبن عجيبة الحسنى الشاذلى/ ١٢٢٤هـ/ .مما يؤكد على أن هذا المخطوط من مؤلفات الإمام الشاذلى - وهو نسخة خطية منقول عام ١٢٤٤هـ من نسخة أخرى بخط الشيخ محمد بن يحيى بن محمد الغسانى البرجى عام ٩٠٧هـ .

وللقطبانية صفات وكرامات، يقول الشاذلى "للقطب خمس عشرة كرامة، فمن إدعاها، أو شيئاً منها فليبرز أن يمد بمد الرحمة، والعصمة والخلافة. والنيابة، ومدد حملة العرش، العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودين، وإنفصال الأول عن الأول، ماانفصل عنه إلى منتهاه، وماثبت فيه جكم ماقبل، وحكم مابعد، وحكم من لاقبل له ولابعد، وعالم البدء وهو العلم المحيط بكل علم، وبكل معلوم بدأ من السر الأول إلى منتهاه ثم يعود إليه، والطاعة فمن سمع الطاعة فاز بالكرامة .. وترك المعصية .

ومن الجدير بالذكر أن خرقة الشاذلية، لاتختلف عن خرقة أصحاب الطرق من الرفاعية، إذ تذكر المصدر الوثيقة الصلة بتاريخ الصوفية المتأخرين، "أن خرقة الشاذلى مستمدة من خرقة صاحب الطريقة الرفاعية الإمام أحمد الرفاعى ت عام/٥٧٨ /هـ "فمن الذين لهم بالوساطة شرف الخرقة الرفاعية الولى الجليل العارف بالله أبو الحسن الشاذلى المغربى، عن شيخه عبد السلام بن مشيش/ ٦٢٣/ هـ الشريف المغربى وهو أخذها عن القطب الكبير يرى العراقى، عن السيد أحمد الرفاعى .

كذلك أخذ الشاذلى عن الشيخ أبى محمد عبد الرحمن المدنى العطار المشهور بالزيات وهو أيضاً عن الإمام أحمد الرفاعى[١].

كذلك فإنهم كانوا يتفقون فى الزى، والإشارات مع سائر الطرق الأخرى، إذ أن أعلامهم مختلفة الألوان، كذلك فإنهم يتفقون فى الزى الأخضر مثلاً مع القادرية، والبرهامية والسعدية بفروعها[٢].

ويبدو أن الشاذلى، أراد الإستقلال بطريقته، بعدما تم تكوينها شكلاً ومنهجاً وموضوعاً عن ظاهرة الإتباع التى تسود دائماً بين أصحاب الطرق الصوفية - لذلك فقد عرفت طريقته ونسبت إليه، منذ نشأتها حتى الآن، ممايدل على ذلك قوله الرد على من سأله عن شيوخه فقال، كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام إبن مشيش، وأنا الآن لاأنتسب إلى أحد بل أعوم فى عشرة

---

(١) السيد محمد أبو الهدى أفندى الصيادى - تنوير الأبصار فى طبقات السادة الرفاعية الأخيار - ص٢٧، ص٢٨ .

(٢) على مبارك - التخطيط التوفيقية - حـ٣ - ص١٣٠ . كذلك الدكتور - توفيق الطويل - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى - ص٧٩ .

أبحر: محمد وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وجبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح الأكبر" (١) وقد كان الشاذلى يؤمن بضرورة صحبة المريد لشيخه إذ لايتم للعالم سلوك الطريق إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح. (٢).

خامساً: أحزابه وأوراده:

كان الإمام أبو الحسن الشاذلى يكثر من الذكر والدعاء وكانت طريقته فى أكثر الأحيان أن يمزج الذكر بالدعاء، وقد كانت أحزاب الشاذلى، أحزاب أهل الكمال ممزوجة بأحوالهم، مؤيدة بعلومهم، مسددة بإلهامهم، مصحوبة بكراماتهم، وكان يقول رضى الله عنه "من قرأ أحزابنا كان له مالنا وعليه ماعلينا".

ومن الجدير بالذكر. أن أحزاب الشاذلى جامعة بين إفادة العلم، وآداب التوحيد، وتعريف الطريقة، وتلويح الحقيقة، وذكر جلال الله تعالى وعظمته، وكبريائه وذكر حقارة النفس وخستها، والتنبيه على خدعها وغوايتها والإشارة لوصف الدنيا والخلق وطريق الفرار من ذلك إلى الله تعالى.

ووجه حصوله، والتذكير بالذنوب والعيوب والتفضل منها، مع الدلالة على خصائص التوحيد، وخالصة، وإتباع الشرع ومطالبه، فهى تعليم فى قالب التوجه، وتوجه فى قالب التعليم، من نظرها من حيث العمل فيها، فقد شاهدها بذلك عند الخاص والعام، فلايسمع أحد من كلامها شيئاً إلا وجد له أثر فى نفسه، ولايقرؤها إلا كان مثل ذلك، مالم يكن مشغولاً ببلوى، أو مشغولاً بديناً أو مصروفاً بدعوى. أعاذنا الله تعالى من البلاء" (٣).

ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلى فى وصاياه ونصائحه للذاكرين "إذا أردت أن يستجاب لك أسرع من لمح البصر فعليك بخمسة أشياء: -

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص٦، كذلك إبن عجيبة الحسنى - إيقاظ الهمم فى شرح الحكم أماكن متفرقة.

(٢) المصدر السابق - ص٦.

(٣) الدكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية - ص ١٦٣.

"الإمتثال للأمر - الإجتناب للنهى - تطهير السر - جمع الهمة - و الإضطرار" [1].

ومن دعاء الإمام الشاذلى رضى الله عنه قوله "اللهم إنى أسألك خيرات الدنيا وخيرات الدين، خيرات الدنيا بالأمن، والرفق والصحة والعافية، وخيرات الدين الطاعة لك، والتوكل عليك، والرضا بقضائك، والشكر على آلائك ونعمك إنك على كل شئ قدير" [2].

ويقول الشاذلى "كنت كثيراً ماأداوم على قراءة أية الكرسى وخواتيم سورة البقرة .. وهذا ماكان يمزج به أذكاره ودعواته [3].

١- حزب الفتح :

وهو الحزب الذى فتح الله به على أبى الحسن الشاذلى ، ويسمى كذلك حزب الأنوار.

ونذكر أن شاء الله طرفا من هذا الحزب يقول أبو الحسن "بسم الله الرحمن الرحيم"، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم إنا نسألك إيمانا لاضد له، نسألك توحيدا لايقابله شرك وطاعة لاتقابلها معصية ونسألك محبة لالشئ ولاعلى شئ وخوفا لامن شئ ولاعلى شئ.

ونسألك تنزيها لامن نقص، ولامن دنس بعد التنزيه من النقائض والأدناس، ونسألك يقينا لايقابله شك ونسألك تقديسا ليس وراءه تقديس، وكمالا ليس وراءه كمال، وعلما ليس فوقه علم، ونسألك الإحاطة بالأسرار وكتمانها عن الأغيار.

رب أنى ظلمت نفسى فاغفرلى ذنبى، وهب لى تقواك ، واجعلنى ممن يحبك ويخشاك، وأجعل لى من كل ذنب وهم وغم وضيق، وسهو، وشهوة ورغبه ورهبه وخطره ، وفكره، وارادة، وفعله وغفلة ومن كل قضاء وأمر مخرجا..

ثم يقول أيضا: الله لاإله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

لاإله إلا الله. نور عرش الله

لاإله إلا الله. نور لوح الله

لاإله إلا الله ، نورقلم الله

---

(١) نفس المصدر - ص ١٦٣.

(٢) المصدر السابق - ص١٦٤.

(٣) نفس المصدر - ص ١٦٥- وللمزيد مابعدها .

لاإله إلا الله. نور رسول الله.

لاإله إلاالله . نور سر رسول الله.

لاإله إلا الله . نورسر ذات رسول الله.

لاإله إلا الله . آدم خليفة الله ....وهكذا.

وحتى آخر الحزب، مزج بين الدعوات والأذكار والرجاء والتوصل الى الله تعالى، ابتغاء الرضا والنجاه (١) .

٢ - حزب البحـــر :

يقول ابن عطاء الله السكندرى /٧٠٩هـ ، من قرأ حزب البحر وكذلك الحزب الكبير لأبى الحسن الشاذلى سارامسير الشمس والقمر وأشهر ذكرهما فى البدو والحضر، وحزب البحر يقرأ بعد صلاة العصر فى التقاليد الشاذلية.

يقول الشاذلى فى هذا الحزب ياعلى، ياعظيم، ياحليم، ياعليم، أنت ربى وعلمك حسبى، فنعم الرب ربى، ونعم الحسب حسبى، تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم، فسألك العصمة فى الحركات والسكنات والكلمات، والإرادات والخطرات من الظنون والشكوك والأوهان السائر للقلوب عن مطالعة الغيوب، فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا.

وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا، فثبتنا وأنصرنا وسخر لنا هذا البحر، كما سخرت البحر لموسى وسخرت النار لإبراهيم وسخرت الجبال والحديد لداود ، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان وسخرلنا كل بحر هو لك فى الأرض والسماء ، والملك والملكوت ، وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل شئ. يامن بيده ملكوت كل شئ، كهيعيص، كهيعيص، كهيعص، إنصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فأنت خير الفاتحين، واغفر لنا فأنك خير الغافرين، وارحمنا فإنك خير الراحمين، وارزقنا فإنك خير الرازقين، واهدنا ونجنا من القوم الظالمين، وهب لنا ريحاً طيبة كما هى فى علمك وانشرها علينا من خزائن رحمتك، واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية فى الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شئ قدير .

---

(١) دكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية - ص١٧٥- ص١٧٦.

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا. والسلامة والعافية فى دنيانا وديننا، وكن لنا صاحباً فى سفرنا وخليفة فى أهلنا وأطمس على وجوه أعدائنا ..

وفى نهاية هذا الحزب، بعد أن يستكمل الدعاء والرجاء والتوسل إلى الله تعالى، يردد آيات القرآن الكريم، لكل آية كريمة ثلاث مرات .. ففى قوله تعالى من سورة يس آيات من "١، ٢، ٣، ٤" .

يقول "يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم .. " "ثلاثاً" .

وقوله تعالى :وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ... طس، حم، عسق، مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان، حم "سبعاً" .

حم، الأمر وجاء النصر فعلينا لاينصرون، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذى الطول لاإله إلاهو إليه المصير .

بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا، يس سقفنا، كهيعص كفايتنا، حم عسق، حمايتنا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم "ثلاثاً" .

بسم الله الذى لايضر مع إسمه شئ فى الأرض ولافى السماء وهو السميع العليم. "ثلاثاً".

لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم "ثلاثاً" [1] هذا هو حزب البحر للشاذلى بالإختصار.

٣ - حــزب النصــر : -

يقول الإمام الشاذلى فى هذا الحزب "النصر" اللهم بسطو جبروت قهرك، وبسرعة إغاثة نصرك، وبغيرتك لاتنهاك حرماتك وحمايتك لمن أضحى بأبائك نسألك يالله ياقريب ياسميع يامجيب ياسريع ياجبار، يامنتقم، ياقهار، ياشديد البطش يامن لايعجزه قهراً لجبار ولايعظم، عليك هلاك المتمردة من الملوك والأكاسرة أن تجعل كيد من كاذبنى فى نحر ومكر من مكرى عائداً إليه وحفرة من حفر لى واقعاً فيها، ومن نصب لى شبكة الخداع إجعله ياسيدى مساقاً إليها، وصادراً فيها وأسيراً لديها، اللهم بحق كهيعص أكفنا العدا ولفهم الردا وأجعلهم لكل حبيب قدا وسلط عليهم عاجل النقمة فى اليوم وغدا ..

---

(١) عبد الخالق حقى - مجموعة وظائف وأحزاب وأوراد - ص٢٣، ص٢٤، ص٢٥ .

وهكذا إلى آخر الحزب كله دعاء وطلب النصرة على الأعداء والأنداد (١).

هذه هي بعض أحزاب الإمام أبو الحسن الشاذلي، إذ كان لهذه الأوراد أو الأحزاب أهمية كبيرة بين فروع وطوائف الطريقة الشاذلية، وقد كونت هذه الطريقة مجموعة كبيرة من الدعاة والصوفية وفرخت العديد من الشخصيات التى كان لها وزنها فى محيط الطريقه والطرق الصوفية الأخرى، والتى مازال يتردد أسماؤها بين طوائف الصوفية وأصحاب الطرق حتى الأن نذكر من هؤلاء أبو العباس المرسى المتوفى عام٦٨٦هـ، وهو من أكبر تلامذة الشاذلي. وخليفته على الطريق من بعده، وقد كان من أقوى الشخصيات فى هذه الطريقة، فجذب إليها كبار علماء عصره. كابن عطاء الله السكندرى المتوفى عام /٧٠٩ هـ/ الذى مزج بين أقوال العلماء وبين مزاج التصوف وروحانياته الصافيه. وأصلح من أصول الطريق وكشف عن أصول الطريقة الشاذلية التى تتفق مع أصول الكتاب والسنة ومنهج السلف وعلماء السنة .

ثم أثر ذلك فى تلاميذ آخرين من أمثال الشيخ ياقوت الحبشى "ياقوت العرش" زاهد الأسكندرية فى عصره وصاحب الإمام أبى العباس المرسى والذى كان يردد دائما قوله : "أنا أعلم الخلق بلاإله إلا الله" والمتوفى بالأسكندريه عام/٧٣٢ هـ (٢) .

وقد تواصلت الطريقة حتى العصور الحديثه، عند المناوى ١٠٣١هـ وأحمد بن عجيبه الحسنى /١٢٢٤هـ. وغيرهم وسوف نخصص لهذه المدرسة المتأخرة بحثا آخر فى الباب القادم مع دراسة ميدانية لفروع الطرق الصوفية الأخرى .

ومن الجدير بالذكر أن الباحثين المحدثين أشادوا بأصول الطريقة الشاذلية وجهاد الشاذلى ودعوته لمقاومة الأعداء الصليبيين الذين أغاروا على مصر. وهذا يعنى أنه يعتبر من المجاهدين فى سبيل الله تعالى بالأضافة إلى طريقته التى تقوم على أصول من التقوى لله تعالى فى السر والعلانية. وإتباع أهل السنة فى الأقوال والأفعال والإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار والرضا عن الله فى القليل والكثير، والرجوع إلى الله فى السرّاء والضراء (٣) .

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٢٥ - ص٢٦ - ص٢٧.

(٢) ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب - جـ٦ -ص١٩ -ص١٠٣.

(٣) دكتور أبو الوفا التفتازانى - ابن عطاء الله السكندرى - وتصوفه - ص٥٩.

ويذكر الدكتور أبو الوفا التفتازانى[1] أهم الفروع التى نبتت من أصول الطريقة الشاذلية فى هذه العصور المتأخره، ومازال لها آثارها حتى الآن.. وهى :-

الطريقة القاسمية، والمدنية والعروسية والسلامية والحندوشيه، والقاوقجيه، والعفيفية، والهاشميه، والإدريسيه، والجوهرية،والوقائيه والعزميه، والحامديه، والمحمديه، والفيضيه، والهاشميه المدنيه. وقد ذكر صاحب الطبقات الشيخ أحمد عثمان الشرنوبى المتوفى عام ٩٤٠هـ. فروع الشاذليه وطبقاتها إجمالاً وتفصيلاً[2]

---

(١) الدكتور أبو الوفا التفتازانى - الطرق الصوفية فى مصر، ص٧٣ ومابعدها. كذلك - دكتور - مقداو بالجن، فلسفة الحياة الروحية فى مصر "نشأة التصوف والطرق الصوفيه" ص١١٨، ص١١٩.

(٢) كذلك - الدكتور توفيق الطويل - التصوف فى مصر - ص٧٧ ، ص٧٨.

نظ نا كذلك: J.spencer Trimingham, the sufi orders in Islam, p,276.



الفصل الثالث

ابن الفارض والعشق الإلهى المتوفى عام /٦٣٢/ هـ

تمهيـــد :

كان لإبن الفارض أثر كبير فى تعميق وتطور نظرية العشق الإلهى منذ بداية القرن السابع الهجرى. فقد عاصر أعتى تيارات التصوف الفلسفى، المشبع بالآثار والعناصر الغنوصيه، وماتمخض عن ذلك من نظريات خطيره فى دوائر التصوف كنظرية "وحدة الوجود والإنسان الكامل- الحقيقة المحمدية، ووحدة الأديان، والقطبانيه وخاتم الولايه.. وغيرها، كذلك تعايش مع تيارات التصوف السنى، والتقى بمشايخه، وتأثر بطرقهم وأثر بمنهجه الذوقى فى أصولهم.

وقد أختلف الباحثون حول أفكاره ونظرياته الذوقيه وأحواله الوجدانيه. وماصدر عنه من رموز وإشارات خلال تراثه الشعرى المشبع بالعشق والمحبة للذات الإلهية، فمن الباحثين من إعتبره إمتداداً لمدرسة ابن عربى ٦٣٨/هـ ، فى وحدة الوجود، بينما يذهب البعض الأخر إلى إعتباره صاحب مذهب خاص فى المحبة والوجد ووحدة الشهود الإلهى مؤثرا ومتأثرا بطرق الصوفية المعتدلة .

وعلى ذلك، فقد أثرنا، الحديث عن ابن الفارض ٦٣٢/هـ، وطريقته فى المحبة ووحدة الشهود، ضمن أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين، فلم يصرح بنظريات فلسفية محددة بل أن معظم أذواقه ومواجيده من قبيل هيامه بالذات الإلهيه، وتمثل آثارها في الصفات والأيات الإلهية فى عالم الوجود بما فيه من مخلوقات .

أولا : حياتـــه : -

سلطان العاشقين أبوحفص وأبو القاسم عمر بن أبى الحسن على بن المرشد بن على ويعرف بابن الفارض، وينعت بشرف الدين نشأ فى القاهرة، وولد عام ٥٧٦هـ وتوفى عام ٦٣٢ هـ ترجم له حفيده ابن بنته وكتب عن مزاجه المفرط فى الوجد، والنشو عن كرمه وعزلته واحترام الناس له. وكما يفهم من إسمه كان ابن الفارض كاتب شرعى يتناول الفروض والمواريث، وفى شبابه درب نفسه علي كل ضروب التقشف على جبل المقطم، وكان يعود من الجبل فى فترات

ليشهد المحاكم الشرعية مع أبيه، وليدرس الفقه وقد ارتحل ابن الفارض إلى مكة، وقام بها خمس عشرة سنة بعيدا عن مصر والكثير من غزلياته تحفل بذكر التلال والوديان التى بجوار مكة. وتذكر المصادر أن شهاب الدين أبو حفص السهروردى/٦٣٢هـ خلع على إبنيه محمد وعبد الرحمن الخرقه الصوفيه، عندما تقابل شهاب الدين أبوحفص السهروردى مع إبن الفارض فى مكة(١) .

ومن الجدير بالذكر أن إبن الفارض كان يحيا حياة روحية عميقة خاض أهوال المقامات وكانت أحواله تشير لمذهب صوفى روحى مستغرق للمحبة الإلهية بكل معانيها ومجربا لمواجيدها وأذواقها .

كان لإبن الفارض حياه صوفيه روحيه خالصة، فيها رياضة ومجاهدة، وأذواق وأحوال له أثار شعرية رائعة، فيها نفحات فياضة بالحب، ولمعات مشرقة بأنوار القلب، وكلها شواهد صدق، وأدلة حق، علي مبلغ ماتهيأ له من صفات النفس، وجلاء عين البصيرة وعلى أن الحب قد ملك عليه كل قلبه، وغيبه عن كل شئ إلا عن محبوبه. الذى لاقى فى سبيل الإتصال به، والإتحاد معه، مايحتمل ومالايحتمل من أهوال فى ديوانه الذى جعل منه ناظماً شاعراً خليقاً بأن يمنح لقب "سلطان العاشقين وإمام المحبين"(٢) .

وإذا كان ابن الفارض، نشأ وعاصر القرنين السادس والسابع الهجريين، فقد عكس تيار المزج بين العناصر الفلسفية بالجوانب والمعانى الروحية، وذلك على صفحات أذواقه .

وإذا كان إبن الفارض عاصر تيارات التصوف فى القرنين السادس والسابع الهجريين فإنه عكس طريقة المزج بين العناصر الفلسفية والمعانى الروحية فى مواجيده إذ نجده يستغرق فى محبوبه لدرجة الإتصال والوحدة، مما يشعر بتأثره الشديد بتراث المثقفين ذوى النزعات الميتافيزيقية، لكن إبن الفارض، لم يكن من ذوى النزعات الجارفة نحو الحلول أو الإتحاد أو وحدة الوجود، فقد إستلهم أذواقه ومواجيده من شهوده لآثار الوجود الألهى فى الكون، وظهور الجمال

---

(١) بمزيد من الدراسة :ابن العماد - شذرات الذهب - جـ٥ - ص١٤٩. كذلك دكتور على حسن عبد القادر - عمر بن الفارض وبحث منشوره ضمن كتاب أعلام الفكر الإنسانى. ص٢٣٢.ط الهيئه العامة للكتاب ١٩٨٤م .

(٢) دكتور - محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٨٤.

الإلهى والصفاء الربانى فهام بعشق الذات الإلهية الظاهر بجمالها وصفاءها فى عالم الشهود فجذبته أحواله إليها حباً، وإخلاصاً، ونقاء، وقد يبدو ذلك خلال رموزه وأشعاره، ومافى ذلك من غزليات وولع " إذ تعمت روحية بما أتيح لها من الفتح الإلهى والكشف الروحى" (١).

ثانياً : مذهبه الصوفى :

كان إبن الفارض شاعراً دقيق الحس، رقيق النفس، مرهف الشعور، وكان صوفياً من أصحاب الرياضات والمجاهدات وأرباب الأذواق والمشاهدات وكان إلى هذا كله محباً إمتلاء قلبه بأعمق معانى الحب وتعلقت جوانحه بأروع آيات الجمال وكانت حياته الروحية مرآة صادقة ينعكس على صفحاتها ماأحتدم فى باطنه من إنفعالات عنيفة ومافاض به قلبه من عواطف شريفة.

أخذ عليه الحب كل سبيل، وملك عليه الكمال كل جارحة من جوارحة وتمثل له جمال محبوبته فى كل جانحة من جوانحة حتى لايبدو وكأنه خلق محباً بطبيعته فيجذبنا إلى كل جميل بفطرته، كان إبن الفارض عاشقاً محباً من طراز المحبين لله تعالى على نمط قلبى خاص إذ أخذ طريقه فى التصوف على أساس من المجاهدة والتصفية، وقلبه بالرياضة والتنقية فإنصرف عن كل مافى العالم المادى من زخرف لايلبس أن يبدو للعين حتى يزول.

لقد إصطبغ تصوف إبن الفارض بكل مظاهر الحب والعشق للجمال فى ذاته وهو الجمال المطلق الذى هو فى الحقيقة منبع فياض بكل مايتجلى فى هذا الكون من الحسن والروعة صعد إبن الفارض إلى الجمال الذى لايستوعب البصر، ولايمتلاء به السمع، ولاتستطيع آية حاسة من الحواس الظاهرة أن تتذوقه (٢).

إنه عشق المحبين لمحبوبة أعلى وأجمل وأعظم، إنها المحبة الإلهية المطلقة، إنها العشق الإلهيى المطلق، إنه الجمال الإلهى البادى آثاره البديعة والصافية فى الكون والوجود والشهود .. وهذا ماصبغ به تصوفه الروحى الراقى، وهذا هو مظهر من مظاهر الجمال الشعرى فى منظوماته، التى صاغ من خلالها أصول مذهب الروحى الصوفى الذى فاق كل مظاهر التصوف فى عصره وأثر فيمن جاء من بعده من عشاق المحبة الإلهية .

---

(١) نفس المصدر السابق – ص١٨٤ .

(٢) نفس المصدر السابق – ص١٨٤ .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الشبهات دارت حول هذا اللون من التصوف الروحى عند إبن الفارض إذ إنقسم بشأنه الكثير من الباحثين إلى عدة إتجاهات.

ومن هذه الإتجاهات أن إبن الفارض إتخذ من الذات الإلهية موضعاً لمحبته إذ مرت نفسه فى طريق هذا الحب بأطوار متعاقبة وإنتهى منها إلى أرقاها وهو طور الفناء عن نفسه والإتحاد بمحبوبته فى ذلك الطور يحدثنا فى شعره عن حبه الإلهى حديثاً نتبين من خلاله إلى أى حد يمكن أن تنطوى الأذواق الصافية، والعواطف القلبية على منازع فلسفية، فقد إنتهى شاعرنا فى حبه إلى مذهب فلسفى فى الوحدة التى وإن كانت عنده حال من أحوال النفس، إلا أنها تشبه كثيراً أو قليلاً وحدة الوجود التى يقررها إبن عربى بين الله تعالى والعالم(١).

وقد ذهب بعض المستشرقين إلى التوحيد بين إبن عربى وإبن الفارض فى مذهب وحدة الوجود (٢) وربما إستند أصحاب هذا الرأى إلى ماذكره المقريزى ت عام ٨٣٤/ هـ من أن إبن عربى بعث إلى إبن الفارض يطلب منه أن يضع شرحاً على قصيدته "التائية الكبرى" فقال له إن كتابك الفتوحات الملكية شرحاً لها" كذلك فإن بعض الشراح الذين تولوا شرح قصائده التائية أو غيرها ، أغرقوها بنظريات إبن عربى فى وحدة الوجود (٣).

ولكن إذا أخذنا بمثل هذه الآراء، فقدتجاوز الحقيقة، إذا ماعلمنا أن تصوف المحبة عند إبن الفارض يختلف عن طريقة التصوف الوجودى والمعرفى الذى ينتهى عند إبن عربى إلى نظرية فى الوجود.

فابن الفارض، صاحب طريقة روحية فريدة فى نوعها وأحوالها عن تلك الطرق أو المذاهب الفلسفية التى سبقت تجربته الروحية أو المعاصرة له .

فقد كان شاعراً متصوفاً، يسمو فى حبه إلى أن يغنى فى محبوبه وهو الله تعالى إذ لايرى فى الوجود ولانفسه شئ غير الله تعالى .

---

(١) دكتور محمد مصطفى حلمى الحياة الروحية فى الإسلام - ص١٧٦ .

(٢) لمزيد من التفاصيل - نيكلسون - فى التصوف الإسلامى وتاريخه - ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى - أماكن متفرقة - ط لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٤٧م .

(٣) أحمد أمين - ظهر الإسلام - حـ٤ - ص٢٢٦ - ص٢٢٧ .

فلم يكن فليسوفاً من فلاسفة وحدة الوجود، بل كان شاعراً صوفياً، فليست قصيدته "التائية الكبرى" إلا تعبيراً عن ذوقه الشخصى الذى كان سبيله إلى الإتحاد بالذات الإلهية، والحقيقة المحمدية تارة أخرى أماوحدة الوجود عند إبن عربى، فوحدة فلسفية، مزج فيها الدين بالفلسفة مزجاً غريباً ليس له نظير[1] فهناك فرق بين أذواق إبن الفارض وشاعريته وإحساسه بفنائه فى محبوبه وإتحاده به وبين فلسفة إبن عربى ومذهبه فى أن اللـه والعالم شئ واحد وأعتقد أن هناك فرق كبير بيـن مايسمى بالحلول والإتحاد عند الحلاج /٣٠٩/ هـ ونظرية وحدة الوجود الفلسفية عند إبن عربى/ ٦٣٨/ هـ وبين الحب الإلهى عند إبن الفارض وإن كان البعض يصل إبن الفارض بمدرسة الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى[2] غير أن أبن الفارض قد عاش فى الحقيقة، نظرية وحدة الشهود فى نظريته عن الحب الإلهى الذى لقب من أجله بسلطان العاشقين إذ قال: [3].

كل من فى حماك يهواك لـــكن	أنا وحدى بكل من فى حماك
فيك معنى جلاك فى عين عقلى	وبـه ناظـرى مـعنى جلاك
فقت أهل الجمال حسناً وحـسنى	فيهــم فاقـة إلـى مـعناكـا
يحشر العاشقــون تحت لوائـــى	وجميع المـلاح تحـت لواكـا

ومن الملاحظ فى هذا النظم الشعرى، أن نظرية الحب الإلهى والجمال الإلهى قد ملكت على إبن الفارض كل جوارحه وقلبه وعقله فإستغرق فيها إستغراقاً كاملاً.

وعلى ذلك فقد عبر إبن الفارض عن مذهبه الصوفى فيما إستغرق فيه، وعبر عنه بوحدة الشهود، وهذا يعنى عنده فناء الصوفى عن شهود ماسوى الله تعالى أو المحب فى حال الفناء[4] .

ولكن قد يقترب مذهب إبن الفارض الصوفى من فكرة الإتحاد رافضاً الحلول الإتحادى والإتحاد الذى يقترب منه ليس بمعنى أن وجوداً خاصاً إتحد بالوجود الحق ولكنه إتحاد بمعنى شهود

---

(١) نفس المصدر ص٢٢٧.

(٢) عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٥٢١ ومابعدها .

(٣) إبن الفارض - ديوان إبن الفارض - ص٩٣، ص٩٤، ط - المكتبة الحسينية بمصر- ٩٥٢/ هـ.

(٤) الدكتور على حسن عبد القادر - إبن الفارض (ضمن كتاب أعلام الفكر الإنسانى ص٢٣٤.

هذا الوجود الحق الواحد المطلق أو بمعنى الحال الموحدة التى تزول فيها الكثرة ويشهد فيها الصوفى كل شئ يعيد بالوحدة. وهذه الوحدة التى يتحدث عنها إبن الفارض ليست من قبيل وحدة الوجود عند إبن الفارض. فوحدة إبن الفارض "فناء عن شهود السوى" أما وحدة الوجود عند إبن عربى "فناء عند وجود السوى" (١).

وهناك فرق كبير بين الفناء عن شهود السوى "والفناء عن وجود السوى" ففناء عن وجود السوى" ففناء الشهود يعنى الإستغراق في الجمال الإلهى، وهيامه بالمحبة الإلهية حتى أنه لاينظر ولايبصر ولايعقل ولايفتقد سوى جمال الوجود الإلهى فى الكون وسائر الموجودات .

أما فناء الوجود فهو الوحدة المطلقة بين الوجودين الإلهى والعالم. فالله والعالم وحدة واحدة.

ومن الجدير بالذكر، أن إبن الفارض قد أنكر فكرة الحلول، الإتحادية الحلاجى (٢) ومما يدل على ذلك قوله: (٣) .

متى حلت عن قوله أنا هى أو اقل	وحاشا لمثلى أنها حلت
ولست على غيب أحيلك لا ولا	على مستحيل وجب سلب حيلة
وفى الصحو بعد المحو لم أك غيرها	وذاتى بذاتى إذ تحلت تجلت
ولى من أتم الرؤيتين إشارة	تنزه عن رأى الحلول عقيدتى

إذا تأملنا ديوان ابن الفارض، الذى سجل فيه مشاعره الوجدانية وخلاصة مذهبه الصوفى فى المحبة والعشق الإلهى، وجدناه يغوص فى أعماق وحدة الشهود عبر أمواج الحب الإلهى وقد يميل فى ذلك قليلا نحو فكرة الإتحاد والوحدة الوجدانية لكن إبن الفارض يضم فى ديوانه ألفاظ ومصطلحات التصوف، التى تعهدها عند أصحاب الطرق المتأخرين مثل القرب والبعد، والصبابة والعشق والجوى والشوق والوصل، والصد ويزيد على ذلك هياما بالذات والمحبة الإلهية. فلا يتأمل فى الوجود ولا ينظر غيره فى ثوب رمزى ، وقالب حسى.

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٢٣٤ .

(٢) دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٥٢١.

(٣) ابن الفارض - "التائية الكبرى المسماه بنظم السلوك" "ديوان ابن الفارض" ص٣٩. ومابعدها .

فحين يذكر محبوبه فهو ليلى، وسلمى، ومى، وسعاد، ومجالس الشرب والخمر وكلها رموز ألقت على حياته ظلالها من الشك، وخاصة في حياته الأولى(١) .

كذلك فان مذهب ابن الفارض، يقوم على العلم والعمل، معا، فقد أخذ نفسه بالمجاهدة، فضلا عن الزهد والخلوه والسياحة والرياضة، ووسائل التصفية والتنقية وعلى ذلك فقد كانت غايته المكاشفة والمشاهدة، شأنه شأن الصوفية المحبين، الواصلين والراغبين فى الوصول .

كان ابن الفارض، فى كل هذه النواحى سالك محقق، وصوفى متحقق، من بدايته الى نهايته، أقام حياته على دعائم من العلم والعمل، مقاما وحالا، أذواقا ومواجيدا ومشاهدات وكشوفات ورؤى وسياحة(٢) .

وقد أمتدح معاصروه، طريقته ومذهبه فى التصوف، يذكر السيوطى/٩١١/هـ، فى "تأييد الحقيقة العلية" - أن أئمة مشايخ التصوف ذكروا عنه أنه سالك طريق التصوف منتحل مذهب الشافعى، مصاحب لجماعة من المشايخ ويمتاز ابن الفارض، برقة الطبع ودقة الإشارة ومصاحبة العبارة فقد جمع بين كرم النفس كل متفرق(٣) .

ولاشك أن لطريقة إبن الفارض فى التصوف الشهودى أصول ومبادئ لابد منها، تقلدها وصار عليها، وهذا مابينه فى التائية الكبرى بديوانه..

ثالثا : أصول طريقته الصوفية :

كما رأينا أن مذهب ابن الفارض فى التصوف. يقوم على طريقة المحبة والعشق الإلهى، وهو فى أذكاره وأشعاره يتلمس الوسائل التى تصل به الى هذا المجال، والإنغماس فيه بكليته.

ومن ذلك، رياضات ومجاهدات، محاسبة، ومراقبة، تهذيب وتأديب و التخلق بالأخلاق الحميدة والشعور بالضمير، وأعمال العبادة، وأحوال الإرادة، احياء وطى وماسوف يثمر ذلك من أحوال، وأذواق ومواجيد ثم كرامات ورؤى، وكشوفات، وأشواق وهكذا فإذا ما تتبعنا ماورد فى ديوانه الشعرى، تجد هذه الأمور مطوية فى ثنايا عباراته وأشعاره ، ورموزه..

---

(١) دكتور عبد القادر محمود - الفلسفة الصوفية فى الإسلام - ص٥٢٢.

(٢) دكتور - محمد مصطفى حلمى - ابن الفارض- ص١٥٥.

(٣) المصدر السابق ص١٥٦.

إذ يتجه ابن الفارض فى "ديوانه" الى وصف حالته فى دخول الطريق الصوفى ، وبداياته وأصوله التى التزم بها ..

يقول: [١] .

رجعت لإعمال العبادة عـــــادة	وأعددت أحوال الإدارة عدتـــــى
وعدت بنسكى يعد هتكى وعدت	من خلاعة بسطى لإنقباض بعفـــة
وصمت نهارى رغبة فى مثوبـــة	وأحييت ليلى رهبة من عقوبـــــة
وعمرت أوقاتى بورد لـــــوارد	وصمت لسمت واعتكافى لحرمـــة
وبنـت عن الأوطان هجران قاطـــع	مواصلة الإخوان وأخترت عزلتـــى
ودققت فكـرى فى الحلال تورعــا	وراعيت فى اصلاح قوتي قوتـــى
واتفقـت من يسـر القناعة راضيـا	من العيش فى الدنيا بأيسر بلغـــة
وهذبـت نفسى بالرياضة ذاهبـــا	الى كشف ماحجب العوائد غطـــت
وجردت فى التجريـد عزمى تزهدا	وأثرت فى نسكـى وإستجابة دعوتى

فهذه الأبيات، تصف جوانب الطريق الذى التزمه ابن الفارض من عبادة وعزم الإرادة والتزام النسك والعفة والصمت وقيام الليل عبادة وخوفا ورهبة، وقرائة أوراد وأعتكاف وصوم وسباحة وهجران للأوطان للعزلة أو الخلوة، وتحرى الدقة فى الحلالال، والقناعة والرياضة الروحية، والتجريدية.. وهذه هى أصول كل طريقة صوفية وينصح إبن الفارض سالك الطريق بالتزام الصمت ففيه حكمه ونظر وبصر وبصيرة، ويعبر عن ذلك بقوله[٢] .

وفى الصمت سمة عنده جاه مسكه	غـــدا عبده من ظنه خير مسكت
فكن بصراً ونظراً وسمعاً وعه وكن	لسانــا وقل فالجميع أهدى طريقة

وفى مجاهدة النفس، وتقيدها بالتكاليف، وأخذها بالتهذيب بالإصلاح والتصفية وتعويدها على ركوب الصعاب فى طريق السلوك الى الله تعالى، حبا وعشقا لذاته العلية يقول: [٣] .

(١) ابن الفارض ديوان ابن الفارض "التائية الكبرى المسماه بنظم السلوك ص٣٩ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٣٤ .

(٣) نفس المصدر - ص٣٥ .

ولا تتبـــع مـــن سولـــت لـــه	فصـارت لـــه أمـــارة واستمـرت
ودع ماعداها واعد نفسك فهى من	عداهـــا وعد منهـــا بأحسن جنـــــة
فنفـــس كانـت قبـل لوامـة متـى	أطعمها عصت وأعصى كانت مطيعتى
فأوردتها ماالموت أيسر بعضـــــه	وأتبعتهـــا كـــما تكـــون مريحى
فعـــادت ومهمـا حملتـه تحملتـه	منـــى وان خففـت عنهـــا تـأذت
وكلفتهـــا لا بـل كفلـت قيامهـــا	بتكليفهـــا حتـــى كلفـت بكلفتـــى
وأذهبـــت فى تهذيبهـــا كـل لذة	بابعادهـــا عـن عادهـــا فأطمأنـــت
ولم يبـق هـــول دونهـــا ماركبته	وشهـد نفسى فيـه غيـــر زكيـة
وكـل مقـام عـــن سلـوك قطعتـه	عبوديـــــة حققتهـــــا بعبـــودة

وعلى ذلك، فان هذه السلسلة من المقامات التى أنزل نفسه فيها مقاما بعد مقام، كانت أعمال عبادته، وأحوال ارادته، التى منها قانونه الصوفى التى خضعت له نفسه فى حياته الروحية واستقامت به علي الواجب فى حياتها العمليه، وتهيأ لها به أن تخلصت من حياتها المادية، خلاصا نعمت فيه بالسعادة، وأطمأنت الى البهجة العظمى، وهى عنده الظفر بالقرب والوصل، والأنس من محبوبه الأسمى(١).

ولم يكن ابن الفارض يذهب فى رياضته الروحية لنفسه عند حد معين، وإنما ذهب الى أبعد من ذلك، فهو محب أفنى نفسه فى محبوبه، وهو أشد مايكون ظمأالى الظفر من هذا المحبوب بوصله وقربه. وهو يحاول أن يطفئ ظمأه بما يقدمه بين يدى محبوبه ، ويتبتل به إليه ويقبل به عليه(٢) .

ولاشك أن هذه المقامات التى خاض ابن الفارض تجربتها، ومجاهداتها، أثمرت أحوالاً، ومواجيدا وأذواقاً.

---

(١) دكتور - محمد مصطفى حلمى - ابن الفارض والعشق الإلهى، ص١٦٢.

(٢) نفس المصدر السابق . ص١٦٣ - كذلك نظرنا - ابن الفارض، التائية الكبرى "الديوان". ص٢٢.

رابعاً : أحوال ابن الفارض ومواجيده : -

كان لإبن الفارض مواجيد وأحوال، وكان لأذواقه آثار فى أحواله، فهام وجدا وعشقاً بالذات الإلهية، ولاشك أن هذا يعبر عن الجانب النفسى الروحى فى حياته، الصوفية.

كان ابن الفارض هائما فى شاعريته، إذ عبر عن هذا الشوق والحب الإلهى، خلال شعره الذى يفيض عذوبة، ورقة، ووجدا وذوقاً وشرباً ولاشك أن ذلك يحيى الصوفى الواقع تحت سلطانه حياة نفسية وروحيه ذاتية، أى خاصة به لايعرفها ولايألفها إلا من خضع مثله لسلطان الوجد والحال، وشرب من رحيق الحق بكأس الجمال .

وإذا كانت الأحوال أثمرات الأعمال على نحو ماهو معروف عند الصوفية، وكانت الأعمال مرآة للرياضات والمجاهدات والأحوال مرآة للأذواق والمواجيد، فقد خلص الصوفية ومنهم ابن الفارض، الى أن صفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعانى، وأن وفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب، وأن دوام مواصلاتهم يقتضى لهم الرى"[1] .

لقد كانت حياة ابن الفارض النفسية ، فياضة بكثير من الوقائع والأحوال التى بعضها من قبيل الذوق والتواجد، كذلك تجاذبت نفسه عوامل الإستيعاب من ناحيه، وعوامل الإستغراق من ناحية أخرى .

ومن الجدير بالذكر، أن جماعة من الصوفية ممن صحبوا ابن الفارض وباطنوه، قالوا أنه لم ينظم قصيدته "التائية الكبرى" على نحو ماينظم الشعراء أشعارهم عادة، بل كانت تحصل له جذبات يغيب فيها عن حواسه نحو الأسبوع أو العشرة أيام، فإذا أفاق أملى مافتح الله عليه منها، وأنه يملى ثلاثين أو أربعين أو خمسين بيتا، ثم يدع الإملاء حتى يعاوده الحال[2] .

وتذكر المصادر. أن ابن الفارض، مع تواجده وجذبه وذوقه، فى كل حال. إلا أنه كان لايترك أمرا واقعا أو سمعا من الأقوال والأشعار إلا ويقوم بتأويلها على ذوقه وحاله[3] .

وأعتقد أنه كان يغالى فى ذلك غلوا شديدا، ومن ذلك، أنه كان يسير فى الشارع الأعظم بالقرب من مسجد ابن عثمان بالقاهرة، وهو يصطحب ولده، إذ سمع نائحة من النساء

---

(١) الدكتور - محمد مصطفى حلمى - ابن الفارض. ص١٦٧.

(٢) نفس المصدر السابق - ص١٦٨.

(٣) راجع نفس المصدر - ص١٧٠.

تنوح على ميته، والنساء يندبونها، فصرخ صرخة شديدة وخر مغشيا عليه، ومن هذه النواحى كذلك، كان يصرخ صرخا شديدا ويرقص رقصاً كثيراً فى الأسواق والشوارع[1] مما قد يسئ الى الصوفية فى عصره أو العصور المتأخرة، وقد أشار لاحواله ومواجيده ابن خلكان فى وفيات الأعيان[2] وقد تضمنت قصيدة التائية الكبرى فى نظم السلوك، هذه الأذواق والمواجيد وما يعترضه من أحوال وفى ذلك يقول :[3]

وغيبت عن آفراد نفسى بحيــث لا	يزاحمنى ابداء وصف بحضرتى
وها أنا أبدى فى أتحاوى مبدئـــى	وأنهى انتهائى فى تواضع رفعتى
جلت فـى تجليها الوجـود لناظـرى	ففـى كـل مرئـى أراهـا برؤيـة
وأشهدت غيبى اذا بدت فوجدتنـى	هنالــك إياهــا بحلـة خلوتى
وطاح وجودى فى شهودى وبنت عن	وجود شهـودى ماحيـا غير مثبت
وعانقت ماشاهدت فى محو شاهـدى	بمشهده للصحـو من بعد سكرتـى
ففى الصحو بعد المحو لم أك غيرها	وذاتـى بذاتـى اذ تحلـت تجلـت

ثم يهيم شوقاً وحباً ووجداً وذوقاً فيقول :[4].

فيا مهجتى ذوبى جوى وصبابـــه	وبالوعتـى كونى كذلك مذيبتـى
ويانار أحشائى اقيمى من الجــو	حنايا ضلوعى فهى غيـر قويمـة

ومماسبق يتضح مدى الإمعان فى الذوق والوجد عند ابن الفارض، بحيث لم يكن يقنع أحيانا بما يعرض له أو يرد عليه من المؤثرات الخارجية والداخلية ، التى تثير ذوقا وتحرك وجدا علي وجه تلقائى لا مدخل فيه لارادته .

ومن الجدير بالذكر أن ابن الفارض كان كثيرا مايلجأ الي وسيلة من شأنها أن تعينه على اثارة الذوق والوجد فى نفسه، وقد ذكر ابن حجر العسقلانى ت عام ٨٥٢/هـ أن ابن الفارض كان يذهب الي مذينة البهنسا بصعيد مصر، حيث كان له بيت يقيم فيه طائفة من الجوارى المغنيات

---

(١) لمزيد من التفاصيل - المصدر السابق - ص١٧٠ ص١٧١.

(٢) كذلك راجع ابن خلكان - وفيات الأعيان - جـ٣ - ص١٢٧.

(٣) ابن الفارض - الديوان - ص٣٥، ص٣٦.

(٤) المصدر السابق - ص٤٣.

الضاربات على الدفوف والنايات، وهناك كان يلقى بنفسه فى غمرة من غمرات السماع والرقص بما يلازمها من حركات واضطرابات وبما ينشأ عنهما من أذواق ومواجيد، ومايزال كذلك حتى يبلغ بالتواجد غايته من الوجد ثم يعود إلى القاهرة (١) .

وقد حرك منه السماع المعانى الساميه التى انطوت عليها نفسه، وامتلاء بها قلبه، وفاض بها حبه لاسيما شهوده لمحبوبته وهى "الذات العليه" التى يشهدها عند السماع، بجملته على حد تعبيره، يقول فى وصف حالته فى ذلك : -

ويلتــذ إن هاجتــه سمعى بالضحى	على ورق ورق شـدت وتغنــت
وينعــم طرفــى إن روتــه عشية	لانسانه عنهـا بـروق وأهــدت
ويمنحه ذوقــى ولمس أكؤس الشــراب	إذا ليــلا علــى أدبــرت
ويحضرنى فى الجمع من باسمها شـدا	فأشهدها عند السمـاع بجملتــى
فينحو سماء النفح روحى ومظهــرى	السمـوى بها يحنـو لاتراب تربتـى
فمنـى مجـذوب إليهـا وجــاذب	إليه ونـزع النزع فـى كل جذبـة
ومــاذاك إلا أن نفســى تذكـرت	حقيقتها من نفسهـا حين أوجـت
محنــت لتجريــد الخطــاب ببـرزخ	التـراب وكــل آخـذ بأزمتــى (٢)

وهذه الأبيات، تدل على أن ابن الفارض محب من أصحاب الأذواق، والمواجيد، إذ يتخذ من تواجده ووجده وسيلة توصله إلى شهود محبوبته، وبين حقيقة رقصه الذى يحصل عن وجده من سماعه، بأن معناه أن حياته النفسية قد تنازعتها قوة علوية، وقوة سفلية، والروح تتجـذب

---

(١) دكتور محمد مصطفى حلمى - ابن الفارض- ص١٧٥- (هذه الرواية ان صحت مقولتها، فمعنى، ذلك أنها تنطوى علي وسائل خطيرة فى تهييج الوجد والذوق عند الصوفية بما يدفعهم الى الرقص بطرق مختلفة فى حلقات الذكر ، وهذا هو ا لمتبع الأن بين طواذف الصوفيه ، وقد اتضح ذلك من خلال دراستنا الميدانية لبعض الطرق المتأخرة ، مثل الرفاعيه ، والأحمديه بفروعها، والبرهامية، غير أن بعض الطرق قد تستغنى عن هذه الوسيلة ، ويكتفى مريدوها بترديد الذكر وقراءة الوراد مع شئ من التهليل والتكبير. كما هو متبع فى الطريقة الخليليه التى تنسب للشيخ محمد أبو الخليل المتوفى عام ١٩٢٧.

(٢) ابن الفارض - ديوان (التائية الكبرى) - ص ٤٨.

إلى أعلى، والنفس تتجذب الى أسفل، وكل منها يتجذب معها الحياة النفسية فى إتجاهها ومن هذا الجذب الذى تقع النفس بين طرفيه- أعلى، وأسفل تحدث الحركة والإضطراب، وهما أيات الرقص[1] .

ويبدوا أن معانى ابن الفارض أو رموزه الفلسفية تذوب فى أذواقه ومواجيده، وقد أختلف الباحثون حول مذهبه كما أوضحنا فيما سبق[2] غير أننا نرى فى شعره، وماصدر عنه من رموز وإشارات، أنه محب عاشق قليل التفلسف، ولم يصل فى هذا المضمار إلى مابلغه ابن عربى أو الجيلى أو غيرهما .

وجدير بالذكر أننا إذا أردنا أن نقيس تجربه ابن الفارض الصوفية، بمقياس جدل الإغتراب، فإننا قد نجده، يعيش تجربة وحدة الشهود للذات الإلهية، ولم يكن شهوده فى البداية شهودا ثابتاً بل كان متأرجحا وكان هناك جدل الحجاب والكشف، مابين شوق وأشتياق، إما أن تحتجب عنه الذات الإلهية أو تتجلى لـه ويحيا فى حضرتها، وفى الحالة الأولى يعيش تجربة الإغتراب، وفى الحالة الثانية يكون قد قهر الاغتراب .

إن الاغتراب حالة انفصال وفقدان النفس نتيجة دخولها فيما يسميه الصوفية عالم الأغيار، أو عالم السوى، والنفس هى أقوى حجاب بين الإنسان والله، ومنها هاجر بقلبه الى الله فهو الصادق المصيب، وقهر الإغتراب يكون برفع الحجاب أو يسميه الصوفية "الغبن" بقول ابن الفارض:-

فلما أجتلبت الغين عينى اجتلبتنى مفيقـا ومنى العيـن بالعين قـرت

ولايصل الصوفى، أو ابن الفارض الي هذه الحالة "قهر الإغتراب" إلا بأن يعيش فى الحضرة الإلهية، فيبقى بالذات الإلهية يستضئ بنورها، ومن ثم لابد من رحلة جدلية تقوم علي الرياضة والمجاهدة، ويدرك ابن الفارض هذا تماماً فيقول

وهذبت نفسى بالرياضة ذاهبا إلى كشـف ماحجـب العوائـل غطـت

---

(١) دكتور محمد مصطفى حلمى - ابن الفارض - ص١٧٦ ، ١٧٧.

(٢) لمزيد من الدراسة يمكن مراجعة - دكتور عبد القادر محمود خليفة الفلسفة الصوفية - ص٥٢٢- ص٥٣٣.

وعلى ذلك، فقد عاش ابن الفارض وحدة الشهود والبقاء بالحضرة الشهودية الإلهية، وعاش بجانب ذلك وحدة المحبة الإلهية، وتجربة المحبة بمحو الإرادة واحتراق جميع الصفات والحاجات، وقد وصل بذلك الى حالة التمكين.

لقول ابن الفارض:

وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب   وان ملت يوما عنه فارقت ملتى

والحب عند ابن الفارض هو نتيجة الوصول الى مقام البقاء وعندئذ أصبح العالم كله ملكه، وبذلك خرج ابن الفارض من الذات الدنيويه، الى الروحانية.

يقول ابن الفارض:[1] .

ولى فـى الهوى علم تجلى صفاتـه   ومن لم يفقـهه الهوى فهو فى جهل

---

(١) مجاهد عبد المنعم مجاهد - الفلسفة والحنين الى الوجود ص٦٥، ص٦٦- ص٦٩ - ط دار الثقافة والنشر والتوزيع- القاهرة - ١٩٩٠م . - كذلك : ابن الفارض الديوان .

الفصل الرابع

السيد أحمد البدوى /٦٧٥/هـ = ١١٨٧/ م

"الطريقة الأحمدية البدوية وفروعها"

أولا : حياته وسيرته :

هو أبو الفتيان، ومقتدى أهل العرفان، ذوى الأنفاس الطاهرة السعيدة، والأحوال الظاهرة السديدة، أبو العباس أحمد شهاب الدين بن السيد على ابن السيد ابراهيم بن السيد محمد وينتهى نسبه الى سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، وهو من بنى برى قبيلة من عرب الشام، وفى كلام بعضهم من عرب الحجاز وفى كلام بعض آخر هو شريف من شرفاء الدهنا.[1] .

ولد السيد أحمد البدوى سنة / ٥٩٦ هـ / بمدينة فاس بالمغرب بمحل يقال له زقاق الحجر البلاط ، وقيل أن أجداده فى عام ٧٣ هـ انتقلوا إلى بلاد المغرب أيام الحجاج الثقفى /٩٥هـ/، عندما أضطربت أحوال الجزيرة العربية، وتذكر الروايات أن أباه سمع قائلا يقول له فى المنام، ياعلى انتقل من هذه البلاد الى مكه، وقيل أنه كان يريد الحج، فخرج والده من المغرب سنة ٦٠٣، قاصدا مكة وكان السيد أحمد البدوى قد بلغ سبع سنوات، ومكث والده وأخوته بمكه، حتى توفى والده عام /٦٢٩ هـ/.

---

(١) والذهناء : تقع بين ينبع وبدر - بالجزيرة العربية وتذكر المصادر أن نسبة يمتد حتى الإمام على بن أبى طالب، وتوجد نقوش بهذا على المقصورة التى تحيط بالضريح فهو : السيد أحمد بن على بن ابراهيم بن محمد بن أبى بكر بن اسماعيل بن عمر بن على بن عثمان بن حسين بن محمد بن موس الأشهب بن يحيى بن عيسى بن على بن محمد بن حسن بن جعفر بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الإمام الحسين السبط بن الإمام على بن أبى طالب - نظرنا كذلك نسبة السيد أحمد البدوى مخطوط - مكتبة المسجد الأحمدى بطنطا تحت رقم /٦٨١ تقييم .

نشأ السيد أحمد البدوى بمكة، وحفظ القرآن ، ثم اشتغل بالفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فقرأ كتاب التنبيه للشيخ أبى إسحاق الشيرازى/٣٩٣/هـ ٤٧٦هـ / وهو قرأه من قبل الإمام أحمد الرفاعى /٥٧٨/هـ شيخ الطريقة الرفاعية(١)

كان السيد أحمد البدوى يدعى فى صغره بأحمد الزاهد ، ويتلثم بلثامين بحيث لايرى الناس منه إلا عينيه(٢) وكان لايفارقهما وكان له عذيتان فلذلك سمى بالبدوى، ويذكر عنه، الفروسية والشجاعة ، فلم يكن بمكة والمدينة أشجع ولاأفرس منه حتى سمى محرش الحرب، كذلك لقب بأبى الفتيان، ولقب كذلك بالعطاب، وأبو العباس، وقد دعاه الناس، بالقدس، والقطب، والصامت ودعى فى العصور المتأخرة بأبى فراج(٣) ويباب النبى والسطوحى وشيخ العرب، ومحور الأسرى .

ويتحدث الشعرانى عن رحلات السيد أحمد البدوى فى بلاد الشرق وبلاد الغرب، وما حدث له من أحوال وكرامات، وان كنا نلاحظ فى وصفه لأحوال البدوى وكراماته شيئا أقرب الى الأساطير والفلكلوريات.ومن ذلك.. أن السيد البدوى عندما أحدث عليه حادث الوله، تغيرت أحواله، وأعتزل عن الناس ولازم الصمت فكان لايكلم الناس إلا بالإشارة، ويفسر بعض العارفين ذلك أنه رضى الله عنه حصلت له "جمعية" على الحق تعالى ، فاستغرقته الي الأبد، ولم يزل حاله يتزايد إلى عصرنا هذا، وفى شوال عام /٦٣٣/ هـ رأى فى منامه ثلاث مرات قائلا ويقول له قم وأطلب مطلع الشمس، فإذا وصلت مطلع الشمس أطلب مغرب الشمس وسر إلى "طندتا"

---

(١) الإمام نور الدين الحلبى /١٠٤٤ هـ/ النصيحة العلوية فى بيان حسن الطريقة السادة الأحمدية ص ٣٢- ص٣٥ تحقيق أحمد عز الدين خلف الله - ط - ١٩٦٤م كذلك: دائرة المعارف الإسلامية - جـ٢ - ص٣٠٥.

(٢) وتفسير ذلك أن السيد أحمد البدوى لبس اللثامين حين اعوزته الأحوال ويضاف الى ذلك أن البدوى كان عربى عريق النسب وهذه عادة العرب ، كما أنه كان يتلثم لخاصية انفرد بها وهى أن معاصرية كانوا لايطيقون رؤية وجهه بدون اللثامين، وفيما تعتقد أنه كان يقصد بذلك التبرى من ملاحظة الخلق من الناس له عند كل حركة أو سكون ، إذ لا معاملة للملثم الا مع الله عز وجل . نظرنا : النصيحة العلوية ص٣٥.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية - جـ٢ - ص ٣٠٥.

"طنطا" فإن بها مقامك أيها الفتى، فقام السيد أحمد البدوى من منامه وشاور أهله وسافر إلى العراق فتلقاه أشياخها منهم سيدى عبد القادر الجيلانى وسيد أحمد الرفاعى، فقالا ياأحمد مفاتيح العراق والهند واليمن والروم، والمشرق والمغرب بأيدينا، فإختر أى مفاتيح شئت منها، فقال لهما سيدى أحمد رضى الله عنه لاحاجة لى بمفاتيحكما، ما أخذ المفاتيح إلا من الفتاح[1] ثم يذكر الشعرانى أن السيد البدوى سار وهو فى طريقه إلى طندتا إلى فاطمة بنت برى، وكانت إمرأة ذات حال عظيم، وجمال بديع، وكانت تسلب الرجال أحوالهم، فسلبها السيد أحمد البدوى حالها وتابت على يديه، وكان يوما مشهورا بين الأولياء ثم أتجه إلى طندتا بمصر وأقام عند أحد مشايخ البلد اسمه شحيط، فصعد إلى سطح غرفته، وكان طول نهاره وليله قائما شاخصا ببصره الى السماء، وقد انقلب سواد عينه بحمرة تتوقد كالجمرة وكان يمكث الأربعين يوما وأكثر لايأكل، ولايشرب ولاينام [2].

ونذكر المصادر أن مسجد البوصه - الذى سمى فيما بعد مسجد البهى، نسبة إلى العارف بالله السيد محمد البهى المتوفى عام ١٢١٠هـ / أول مسجد نزل به السيد أحمد البدوى عند وصوله إلى طندتا، ثم توجه بعد ذلك الى سطح دار ركن الدين بن شحيط شيخ البلد فى وقته[3] وهذا هو الرأى الأرجح والذى يتناسب مع شخصية ومكانة السيد البدوى.

---

(١) ربما دار هذا الحديث بين السيد أحمد البدوى، وأقطاب التصوف السابقين عليه الجيلانى/ ٥٦١/ هـ والرفاعى /٥٧٨/ هـ، عن طريق الكشف الروحانى، أو الذوق الوجدانى، فهو حديث أحوال أو لقاء أذواق قلبيه ومواجيد باطنية دون الجسد، ومما يثير الدهشة أن الشرنوبى /٩٩٤/ هـ وهو أحد متصوفى العصر العثمانى ذكر فى طبقاته قصة خيالية أوضح فيها كيف اقتسم الأقطاب الأربعة الجيلانى والرفاعى والبدوى والدسوقى الأرض فيما بينهم فكان لكل قطب ربعها وقد صور فى القصة النزاع الذى قام بينهم عند اقتسام الأرض وتدخل الله تعالى وملائكته ورسوله وأوليائه للفصل فى قضيتهم ، ثم كيف ارتدوا جميعا بعد النزاع أصدقاء وإخوانا . نظرنا - الدكتور توفيق الطويل - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى - جـ١ - ص٧٢ ص٧٣.

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ - ص١٥٩.

(٣) الشيخ أحمد حجاب - العظة والإعتبار "أراء فى حياة السيد البدوى" ص٦٩ - ط الشعراوى بطنطا. ١٩٥٩م.

وتذكر المصادر - أن أعيان مصر وسلطانها "الظاهر بيبرس" قابلوا السيد البدوى وأكرموه غير أن بعض الباحثين يشكك في صدق هذه الرواية - حيث أن السلطان الظاهر بيبرس تولى السلطنة بمصر عام ٦٥٨هـ ، فقد كان سلطان مصر فى وقت دخول البدوى مصر عام ٦٣٤ هـ، هو السلطان الكامل ابن الملك العادل ابن أخ صلاح الدين الذى حكم مصر عام ٦١٥ حتى عام ٦٣٥هـ / [١] وهذا مانعتقده أيضا.

ومن الجدير بالذكر أن قوة شخصية السيد أحمد البدوى، ومكانته الروحية وتمكنه من أحواله، اكسبته هيبة لدى معاصريه من مشايخ الطرق الصوفية، إذ أنه عندما وصل إلى طندتا ، كان بها جمع من الأولياء، عرفوا قدره ومكانته وقوته الروحية، فلم يستطيع أحد أن ينازعه فى أحواله" فمنهم من خرج من طندتا هيبة له مثل الشيخ حسن الصايغ الإخنائى إلى إخنا[٢] فأقام بها الى أن توفى بها وله قبر يزار حتى الأن، ومن ألأولياء من مكث بطندتا الشيخ سالم المغربى ولكنه سالم السيد البدوى فأقره البدوى على حاله فظل بها حتى توفى بها وله قبر مشهور[٣] غير أن بعض الشخصيات الأخرى عارضت البدوى وأحواله كصاحب الإيوان المسمى "بوجه القمر" فتدر بالحسد على البدوى، فسلبه البدوى حاله، وقبره الآن بطندتا مأوى للكلاب ليس فيه رائحة صلاح، كذلك تذكر المصادر إن بعض العلماء أنكروا على السيد البدرى حالة وطريقته فى عصره فسلبهم علومهم، وأظهر فيهم كراماته منهم تقى الدين إبن اللبان /٧٣٧ هـ/ فسلب منه القرآن والعلم فاستغاث بياقوت العرش ت عام٧٣٢ فشفع فيه لدى البدوى، كذلك اعترض عليه تقى الدين بن دقيق العبد/٧٠٢ هـ/ فسلبه علومه ونفاه إلى بلاد غير معلومة بإشارة من يده، حتى شفع فيه الخضر على السلام إذ أشار إليه أن يستعطف السيد البدوى وهو يصلى بجماعة الأولياء بجبل قاف خلف الدنيا، فكان من ابن دقيق العبد ماأشار بـه

---

(١) الشيخ أحمد عز الدين خلف الله- النصيحة العلوية فى بيان حسن طريقة السادة الأحمد ية للحلبى - ص ٤٢ ص٤٣ "الهامش".

(٢) إخنا : قرية من قرى محافظة الغربية الآن شرق مدينة طنطا.

(٣) خلال دراستنا الميدانية وجدنا أن قبر سيدى سالم يضمه مسجد باسمه يقع فى حارة تقابل مسجد السيد البدوى بطنطا بالقرب من زاوية السيد حسن القصبى .

الخضر عليه السلام فوجد نفسه بوطنه ورجع اليه علمه بعد ماعفى عنه السيد البدوى..(١)، وإن كانت هذه الرواية لاتخضع للنقد العلمى، غير أنها تواترت فى كتب الطبقات، وتنسب للبدوى فقط، ومع كثرة الروايات التى تدور حول سيرته ورحلاته فى بلاد الشرق وبلاد الغرب فى محيط الدولة العربية الإسلامية، فإنها تفيد أن السيد البدوى شأنه فى ذلك شأن صوفيه عصره، إذ يؤثر عنهم كثرة السياحة، والزيارات كضرب من ضروب السياحة الروحانية، وترويض النفس، وحملها على تحمل المشاق والمجاهدة فى سبيل طلب الوصول والإتصال، والإرتفاع إلى أعلى درجات المعرفة والتحقق الصادق بنور الإيمان واليقين .

وقد أختلف الباحثون والمؤرخون فى طريقته الصوفية، ومسيرته الروحية كمظهر من مظاهر الحياة الروحية الإسلامية فى العصور المتأخرة. وامتداد أثار هذه الطريقة حتى العصر الحديث.

فمع تقدير الكتاب والمتصوفة المتأخرين للطريقة الأحمدية البدوية، فى جوهرها وأصولها كطريقة إذ تستمد أصولها من الكتاب والسنة وسيرة الزهاد والعباد الأوائل، غير أن بعض الآراء تقلل من شأن طريقة البدوى وشخصيته التى بلغ من شهرتها الآفاق .

إذ يوصف السيد أحمد البدوى فى بعض الدراسات "أنه يمثل الطريقة الدنيا من الدراويش، والظاهر أن صفاته العقلية كانت قليلة الشأن" ويشبه المستشرقون شخصية البدوى وطريقته الصوفية ومجاهداته وزهده "بطوائف اليوجا" الهندية، فيقولون "أنه يؤخذ من سلوك أحمد البدوى أنه كان من طبقة الدراويش الذين هم أشبه بطائفة اليوجا فى الهند، كما كانت شخصيته ضئيلة القدر من الوجهتين العقلية والأدبية"(٢) .

---

(١) نظرنا فى ذلك : الشعرانى - الطبقات الكبرى - ط ١ ص١٦١ ، ١٦٢ كذلك ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - جـ٥ - ص٣٤٥.
كذلك . دائرة المعارف الإسلامية، جـ٢ . ص٣٠٦ - ص٣٠٧ .

(٢) نذكر من هؤلاء المستشرقين: ماسبيرو Maspero وإيبرز Ebers، جولدتسيهر Goldziher وفولرز Vollers .
نظرنا: دائرة المعارف الإسلامية. جـ٢ - ص٣١٣، ص٣١٤ .

وقد إنتقد المستشرقون الشيخ عبد الوهاب الشعرانى ٩٧٣ هـ لإقتدائه بسيرة البدوى وأخذه بطريقته الصوفية، حيث لقب نفسه "بالأحمدى" كذلك وصفه لأحمد البدوى "أنه نور المتصوفة الذى لايخبو، وأنه أخلص من يعتقد بعقده" كذلك فإن الشعرانى تأثر بسحر البدوى، مع أن البدوى دونه من الوجهتين العقلية والأدبية(١).

ومن السابق لأوانه أن نتهم شيخ الطريقة الأحمدية السيد أحمد البدوى بالدروشة والجنون، أو ضحالة العقل وقلة التفكير، قبل أن نستطلع جوهر عقيدته، وأصول طريقته الصوفية، غير أن فكرة تلح علينا بعدهما إستعرضنا آراء بعض الباحثين من المستشرقين فى طريقته الصوفية وشخصيته وهى، أنه لاخلاف حول شخصية السيد أحمد البدوى، فقد كان ذا شخصية قوية، لها تأثير أخاذ فى مريديه ومعاصريه وقد أعجب به كل من عاصره، وشاهده، وحضر مجالس علمه وقبض تعاليمه وأذواقه الوجدانية، كما أنه لاخلاف حول زهده، وتقواه، وورعه فسيرته تنم عن إيمان عميق، وتمسك بفضائل الإسلام، وأخلاقه عملية تقوم على ترويض النفس وتهذيب السلوك .

وبغض النظر عما حشده المؤرخون وأصحاب طبقات الصوفية، حوله من أساطير وروايات وأقاصيص فلكلورية، فإن معظم علماء عصره، كالشيخ الفقيه العز بن عبد السلام /٦٦٠هـ/ ابن دقيق العبد/٧٠٢/ هـ وعبد العزيز الدرينى /٦٩٤/ هـ وإبن اللبان/ ٧٣٩/ هـ وغيرهم، وكذلك أصحاب الطرق الصوفية، إعترفوا بفضله وعلمه وتحققه، وإن كان البعض من العلماء قد إعترض على طريقته، غير أنهم إقتنعوا بأهميته وشخصيته وثباته فى الحق .

ومن ناحية أخرى، فإن السيد أحمد البدوى، وكما رأينا خلال رحلاته وسياحاته الصوفية، كان عازفاً عن الدنيا وزخرفها مفضلاً العزلة والخلوة إلى الله تعالى، وبعد أن إستقر به المقام بطنتدا، جعل من سطح المنزل الذى صعد إليه مدرسة علمية، يربى فيها النفوس، ويهذب فيها الأخلاق فى ضوء دعوته إلى الإخلاص والتحقق من صدق الإيمان والذكر لله تعالى .

ولاشك أن هذه الطريقة كانت تعبر عن أصول الطرق الصوفية العملية فى العصور المتأخرة (وفى العصر المملوكى بصفة خاصة) .

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٣٠٩ .

فكما أوضحنا فيما سبق، أن تيار التصوف الإسلامى كمظهر من مظاهر الحياة الروحية فى الإسلام قد إنشعب شعبتين منذ القرنين السادس والسابع الهجريين، الشعبة الأولى تيار إمتزجت فيه المواجيد والأذواق بالأنظار الفلسفية والعقلية والكلامية وهو تيار التصوف الفلسفى .

أما الشعبة الثانية تيار التصوف العملى، الذى تقوم أصوله على التمسك بأصول الكتاب والسنة والعمل بالفرائض والتكاليف وإستجلاء المعانى الروحية والخطرات القلبية وذلك بتربية النفوس وتهذيب االأخلاق، ولم يلتفت أصحاب هذا الإتجاه أو هذا التيار إلى الجانب النظرى الفلسفى لذلك، فقد إنتشر هذا التيار العملى فى التصوف لدى أصحاب الطرق ومشايخ الطريق ووجد قبولاً فى نفوس العامة والخاصة من الجمهور، وأصبح له أتباع ومريدون كثيرون فى أرجاء كثير من البلاد العربية والإسلامية. وفى هذه الفترة، نشأ السيد أحمد البدوى شأنه فى ذلك شأن أصحاب ومشايخ الطرق الصوفية فى عصره .

كذلك لم يكن من هؤلاء المشايخ من أصحاب الطرق الصوفية ومنهم السيد أحمد البدوى، يقبل على طريق المتصوف دون علم وتحقيق، فقد ثبت حفظه للقرآن الكريم وأصول السنة الشريفة، وتتلمذ على مذهب الشافعى فى علم الفقه، وكذلك بعض علوم عصره، فقد كان عالماً، عاملاً بما عام، ولايمكن أن نقارن بينه وبين الدراويش السالكين للطريق دون تحقيق أو تعلم، إذ أن كثيراً من دراويش الطرق المتأخرين يجهلون بجوهر التصوف وأصوله بالإضافة إلى إنغماسهم فى الجهل والأمية، مما أدى إلى شيوع كثير من الخرافات والأساطير التى حاكوها حول شيوخهم ظلماً وبهتاناً .

لقد كان روح العصر الذى نشأت فيه هذه الطرق ومنها طريقة السيد أحمد البدوى، بحاجة إلى مؤدب، ومعلم كذلك شخصية قوية مؤثرة تتولى التربية الأخلاقية للخلق والمريدين، بعدما تفشى بين الناس العديد من التيارات المنافية لآداب السلوك. وتربية القيم الأخلاقية، إذ أن العصر المملوكى مع ماإمتاز به من تطور فى فنون المعمار والتشييد والبناء والفروسية والدفاع عن الممالك العربية والإسلامية ضد الغزاه افرنج وغيرهم، إلا أن شيوع الفتن، والدسائس والصراع بين الحكام وإهاق كاهل الشعب بالضرائب وغيرها شوه معالم هذه العصور. بالإضافة إلى إعتقاد

الحكام فى بركات الدراويش ولم يحدث أن تعرض السيد البدوى، لإتهام بخطينة، أو بدعة ويكفى أن نذكر له بيتاً من الشعر يقول فيه لمن إتهمه بالجنون "فقال" (١) : -

مجانيـــن إلا أن ســر جنونهـم عزيـز على أعتابه يسجد العقل

ثانياً : أصول طريقته الصوفية وعناصرهـا :

لقد بلغت شهرت السيد أحمد البدوى الآفاق مثله فى ذلك كمثل غيره من أصحاب الطرق فى عصره فقد كان صاحب طريقة عرفت بإسمه "الطريقة الأحمدية" إذ غرس بذرتها الأولى فنبتت وتفرعت فى أجزاء وفروع كثيرة فى مصر وإنتشرت فى بلاد أخرى، إذ نظر إليه الناس بإعتباره أحد الأقطاب الأربعة، الذين أثروا تأثيراً عميقاً فى الحياة الروحية الإسلامية، ولعل أكثر ماكان للسيد أحمد البدى من أثر فى الحياة الصوفية المصرية هو من الناحية العملية، التى تتمثل فى إرشاد المريدين، وتأديبهم بآداب الطريق وتوجيههم فى السلوك بما ينبغى أن يأخذوا به أنفسهم، من ذكر، ووجد، إلى عير ذلك من المنازل والمقامات التى تعد عند الصوفية قواماً للرياضات والمجاهدات، ولايكاد يذكر أصحاب الطبقات عند البدوى أكثر من أنه صاحب دعوة وشيخ طريقة من أرباب الأحوال (٢).

وقد يستطيع الباحث أن يحدد أصول الطريقة البدوية، وعناصرها وآدابها بسهولة ويسر خلال ماورد من معلومات وآراء وردت عنه فى بطون مقالات أصحاب الطبقـات، أو المؤرخين لسيرته. إذ نلاحظ مدى إهتمام هؤلاء الكتاب بحياته وسيرته وتوجيهاته للمريدين فى عبارات قصيرة، فلقد عبر السيد أحمد البدوى عن أصول طريقته، بسيرته الحميدة، وسلوكه

---

(١) نور الدين - النصيحة العلوية - ص٤٩ . كذلك الدكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف "السيد أحمد البدوى" ص٨٧ - ط - دار المعارف ١٩٨١م .

(٢) الدكتور - محمد مصطفى حلمى - إبن الفارض - ص١٠٢ (من الجدير بالذكر أن الشعرانى لم يوضح طريقة السيد البدوى وأصولها وآدابها تفصيلاً، بل نلاحظ أن يقتصر على ذكر نشأته وكراماته وأتباعه ويسرتهم معه، مع حشد من الأساطير والخيالات التى لايكاد يصدقها العقل أو لاتكون مقبولة حتى بالقلب "لمزيد من التفاصيل - راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٦٠، ص١٦١ .

المعتدلة، الذى يتفق مع سيرة الزهاد والعباد، فى القرون الأولى للإسلام، إذ حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع، ودرس الفقه الشافعى، وإنقطع للعبادة وإعتزال الناس وأخلد للصمت، لايتكلم إلا بالإشارة، وإن كان قد حرم على نفسه الزواج(١) غير أن ذلك يمكن تفسيره، أنه لم يجد لديه إستطاعة للقيام بواجبات الحياة الزوجية(٢).

ومن خلال توجيهات السيد أحمد البدوى لمريديه تستطيع أن تؤكد مدى تمسكه بأصول الكتاب والسنة .

وفى ذلك نجد فى أول "وصاياه" مايحث على ضرورة التمسك بالكتاب والسنة، إذ يمتدح قيام الليل تعبداً لله تعالى فيقول "إن ركعة واحدة فى الليل تعدل ألف ركعة فى النهار" .

ثم نجده ينزل "الذكر" منزلة كبيرة، وهو يوصى أن يكون ثمار الذكر عنده "الوجد" ويحصل هذا الوجد فى حالة الإتصال بالله تعالى، بفيض النور الإلهى على العابد فتقشعر له بدنه، وعندما يغشى العبد هذا الوجد، يتعلق بالله تعالى بالكلية والإيمان عند السيد البدوى هو أثمن شئ، وأكثر الناس إيماناً أتقاهم .

وترتبط الأخلاق، وتربية النفس، بالإيمان والتقوى، الصادقة عند شيخ الطريقة البدوية، إذ يؤكد فى تربيتـه الخلقيـة على مانـص عليه الكتاب وصدقتـه السنة الشريفة، وأوصى بذلك لأتباعه ومريديه، ومن أهم التعاليم الأخلاقية عنده، التمسك بالحق، والصدق والطهر والصبر على المكروه والوفاء بالوعد(٣).

ولعل ذلك يتضح من عبارة قال فيها لأصحابه "لاتشمت بمصيبة أحد من خلق الله تعالى ولاتنطق بغيبة ولانميمة، ولاتؤذ من يؤذيك، واعف عمن ظلمك وأعط من حرمك" (٤).

إذن، فإن الأصول الجوهرية للطريقة البدوية الصوفية هى تعاليم القرآن الكريم وتوجيهات السنة الشريفة، ويمكن ترتيب هذه الأصول العلمية الزألاقية، بما يؤكد أن جوهر هذه الطريقة مستمد من طرق الزهاد والعباد الأوائل بل هى إمتداد لطرقهم العملية والعلمية .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية - جـ٢ - ص٣١٢ .

(٢) ذكر عن بعض الزهاد الأوائل ذلك أيضاً، من أمثال بشر الحافى/ ٢٢٧/ هـ وغيره - راجع دكتور مصطفى حلمى - الزهاد الأوائل - ص١٥٥ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص٣٠٧ .

(٤) نفس المصدر - ص٣٠٧ .

إن أساس هذه الطريقة يقوم على "الزهد" وقد لقب السيد أحمد البدوى شيخ هذه الطريقة، بهذا اللقب، فلم يترك شيئاً يورث عنه إلا عبادته وقميصه وعمامته ومهراشه ومسبحته، وقد عرف الزهد بأنه مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية إطلاقاً، وأن يترك سبعين باباً من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام [١].

ويؤكد شيخ الطريقة التمسك بالكتاب والسنة فى مواصلة طريقته فيقول لتلميذه وخليفته على الطريقة وتربية المريدين من بعده، عبد العال المتوفى عام /٧٣٣/هـ/ ١٣٣٣م ياعبد العال "طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة والصدق، والصفاء، وحسن الوفاء وحمل الأذى، وحفظ العهود أى لأن لسان الحال يقول لمن إرتكب العصيان، يامن يعاهدنى ثم ينقض عهدى، ويسر معصيتى، وأنا أعلم مايضمر ومايبدى، تتقلب على فراش العصيان، ولولا لطفى لخسفت بك المكان، وأسيل عليك سترى ولاتشكر الإحسان" [٢].

ويقول البدوى أيضاً "ياعبد العال.. وأن يحافظ الفقير [٣] على الصلوات الخمس مع الجماعة فى أوقاتها، ومع الإتيان بشروطها وواجباتها وآدابها، وقد قيل الصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية لأداء حق الربوبية، وأن يحافظ على نوافل العبادات وخصوصاً ماكان منها من المؤكدات [٤] وتؤسس طريقة البدوى على التفكير، والتوبة والذكر والوجد، والصبر، والإيمان، ونوضح ذلك كمايلى: -

(١) *حقيقة التفكير عند السيد البدوى:* -هو أن يتفكر العبد فى مصنوعات الله تعالى وفى خلقه، وليس التفكير فى ذاته تعالى، فإن الله تعالى لاتحيط به فكرة .

---

(١) الشيخ أحمد حجاب - العظة والإعتبار - ص٨٣ - ص٩٥ .

(٢) نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية فى بيان حسن طريقة السادة الأحمدية - ص٩٦ - ٩٧ .

(٣) الفقير فى عرف الطريقة الأحمدية: هو من خرج عن كل شى حتى عن نفسه، فيصدها عن مألوفاتها ويمنعها عن شهواتها وقد غلب إستعمال الفقراء فى الصوفية وأهل السلوك وهذا ماقيل فى معنى الفقير - لمزيد من التفاصيل - راجع المصدرالسابق - ص٧٨ .

(٤) نفس المصدر السابق - ص٩٧ .

(٢) حقيقة التوبة: -يبين السيد أحمد البدوى هذه الحقيقة بقوله التوبة حقيقتها الندامة على مامضى من الذنب، والإقلاع عن المعصية، والإستغفار باللسان، والعزم على ألايعود إلى المعصية، والصفاء بالقلب، فهذه التوبة النصوح التى أمر الله تعالى بها فى كتابه العزيز، وقوله تعالى : ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا" سورة التحريم (٨) .

(٣) حقيقة الذكر: -يبين ذلك أيضاً: الذكر هو أن يكون بالقلب لاباللسان، دون القلب شقشقة، وأن تذكر الله تعالى بقلب حاضر، وإياك والغفلة عن الله تعالى، فإنها تورث القسوة فى القلب .

(٤) حقيقة الوجد: -أجاب رضى الله عنه ذلك بقوله: الوجد هو أن يكثر العبد من ذكر الحق بقوله: لاإله إلا هو، فيقذف نور فى القلب من قبل الله تعالى فيقشعر منه جلده وبالوجد يتعلق العبد بالله تعالى بالكلية .

والوجد عند السيد البدوى نوع من المحبة الصادقة، إذا لحقت بالعبد تعلق بالله تعالى كله، وهذا يبلغ بالمريد إلى أعلى مرتبة من التسامى الروحى، عن هذا تفيض الكمالات والأنعام الإلهية على العبد المؤمن الصادق القوى الإيمان، ثم يمن الله تعالى عليه بمقام التمكن وهو مقام "البقاء" ويرده إلى نفسه ويصحو بعد محوه ليؤدى رسالته التى إقتضاها ذلك الكرم .

(٥) حقيقة الصبر: -أجاب رضى الله عنه عن ذلك بقوله الصبر هو الرضى بحكم الله تعالى، والتسليم لأمره، وذلك أن يفرح الإنسان بالمصيبة كما يفرح بالنعمة قال تعالى "وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون" سورة البقرة (١٥٥) وعلى ذلك فقد أرشد السيد البدوى إلى أن الصبر لايتحقق إلا بثلاثة أشياء، وهى: الرضا بحكم الله تعالى - والتسليم لأمره- والفرح ببلائه[١].

(٦) حقيقة الإيمان: -يقول السيد أحمد البدوى فى الإيمان أن الإيمان يزيد وينقص فى الناس، ويتفاوت على قدر تفاوتهم فى تقوى الله تعالى، ويقول: أكثر الناس إيماناً أتقاهم لله تعالى، فعلى قدر درجتهم فى التقوى تكون درجتهم فى الإيمان، فمن إتقى ربه بتوحيده، وتبريه من الشرك والكفر فقد وقى نفسه من العذاب المخلد فى النار، وهذه عنده أقل درجة من درجات الإيمان، وهى أقل درجات التقوى .

---

(١) الشيخ أحمد حجاب - العظة والإعتبار - ص٩٠، ص٩١، ص٩٢، ص٩٤ .

ومن إتقى ربه بالتجنب عن كل مايوقع من الإثم من فعل معصية ولو صغيرة، وترك طاعة ولو مندوبة فقد وقى نفسه من دخوله النار ودخل الجنة فى عداد المنشرعين، وهذه درجة كاملة من درجات الإيمان لأنه حصل على درجة من درجات التقوى، أمامن إتقى ربه بإقباله بكله على الله تعالى وتنزيه نفسه عن كل مايشغله عن الله تعالى، حتى يكون الله سمعه الذى يسمع به إلى آخره فقد وقى نفسه كل الأغبار وهذه أعلى درجات الإيمان، لأنه حصل على أعلى درجات التقوى (١).

ولما كانت طريقة البدوى تقوم على تربية السلوك وتهذيب الأخلاق، فإنه يربط بين التقوى وبين ثمراتها الأخلاقية، يقول لتلميذه "عبد العال" إن ثمرات التقوى هى الأخلاق الحسنة، إذ لامعنى أن يعمل العبد عملاً ثم لايتخلق بما يعمله، وكلما حسنت أخلاق المريد كلما قوى إيمانه، فإذا إجتمعت فيك التقوى الكاملة والأخلاق الفاضلة، فقد إجتمع فيك كمال الإيمان، وأكمله، وعندئذ يحصل المريد الصادق على المعرفة بالله تعالى، وهو مقام الإمامة العظمى أو القطبانية الكبرى (٢).

وفى وصايا السيد أحمد البدوى لمريديه، مايؤكد حقيقة طريقته الصوفية العملية، وأصولها القائمة على نصوص الكتاب والسنة الشريفة، إذ يقول لخليفته عبد العال/ ٧٣٣ هـ..

ياعبد العال : إن الله تعالى قال فى كتابه المكنون "إن الله مع الذين إتقوا والذين هم محسنون" سورة النحل (١٢٨) وقال له أيضاً "ياعبد العال: أشفق على اليتيم، وأكس العريان، وأطعم الجائع، وأكرم الغريب والضيفان عسى أن تكون عند الله تعالى من المقبولين" (٣).

ثم يواصل السيد البدوى تأصيل طريقته التربوية يقول:

"ياعبد العال: لاتكن منكراً على فقراء المسلمين جميعهم، لأن الله تعالى أخفى أوليائه وأحبائه وأخصائه، وقد قيل، رب شخص تراه فى الأرض يمشى هو فى الأرض، وهو فوق السماء".

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٩٧ .

(٢) نفس المصدر ص٩٨ .

(٣) نور الدين الحلبى - النصيحة - العلوية - ص٨٩، ص٩٠ .

ثم يقول أيضاً فى وصاياه ياعبد العال، أحسنكم أخلاقاً، أكرمكم إيماناً بالله تعالى فالخلق السئ يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل(١).

ومن الجدير بالذكر أن الباحثين وأصحاب الطبقات يجمعون على أن السيد البدوى وهو شيخ الطريقة، ظل طوال حياته قائماً على تطبيق أصولها وقواعدها، وضرب المثل الأعلى لتلاميذه فى إلتزام تعاليمها التى وضعها وأوصى بها.

وفى ذلك يقول تلميذه وخليفته الشيخ عبد العال "خدمت سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه أربعين سنة مارأيته غفل عن طاعة الله تعالى طرفة عين" (٢). فطريقته إذن تلتزم بالتوبة، والزهد، والإيمان القوى والخلق الحسن، والإتباع قدر الإستطاعة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لقد غرس فى أصحابه هذه الأخلاق وهذ الإيمان العميق ووعظهم وأوصاهم بالإحسان للإخوان والخوف من الله تعالى والرجاء إليه تعالى وملازمة الصبر والشكر والعفو، والصفح الجميل، والتواضع، والتخلى عن إرتكاب المعاصى الظاهرة، والباطنة، ومنها الحقد والغل والحسد وغير ذلك من الصفات المذمومة، والتحلى بالصفات الحميدة التى دعا إليها الله تعالى ورسوله ﷺ (٣).

ثالثاً: الخرقة وسندها فى الطريقة الأحمدية:

فى لباس الخرقة دلالة روحية عند مشايخ التصوف وأصحاب الطرق الصوفية المتأخرين قد حرص هؤلاء على إرتدائها والتحوط بها، وقد سبق ذلك عند إبن عربى، والجيلانى، والرفاعى، والشاذلى، وعمر بن الفارض، وأبو حفص عمر السهروردى، وغيرهم، وهم يستندون فى ذلك إلى كبار الصحابة أو كبار أئمة أهل البيت وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه (٤). بل قد يذهبون بها إلى النبى ﷺ.

ومن الجدير بالذكر أن كتاب الطبقات من الصوفية المتأخرين من "الرفاعية" يرجعون بسند الخرقة الأحمدية إلى المدد من الإمام أحمد الرفاعى الحسنى المتوفى عام ٥٧٨/ هـ، كما سبق توضيح ذلك، فى أثناء حديثنا عن الخرقة الرفاعية .

---

(١) نفس المصدرالسابق - ص٩٦ .

(٢) الدكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف "السيد أحمد البدوى" - ص١٠٥ .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع - نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص٨٤ ص٩٧ .

(٤) سبق توضيح ذلك فى الفصول السابقة .

إذ يقول صاحب قلادة الجواهر "أن ممن أخذ لباس الخرقة عن الرفاعى، الغوث الأكبر والأسد الغضنفر أبو الفتيان وقطب أهل العرفان، مغيث الأسير مولانا أحمد الرفاعى البدوى الحسينى الشهير، إذ لبس الخرقة عن الشيخ "برى"[١] وهو لبسها عن الشيخ على بن تميم البغدادى وهو لبسها عن السيد أحمد الرفاعى الكبير"[٢].

غير أن نور الدين الحلبى/ ١٠٤٤/ هـ صاحب النصيحة العلوية أن السيد أحمد البدوى، وطريقته الأحمدية الصوفية، ينتهى إلى الإمام على بن أبى طالب عن طريق الحسن البصرى من ناحية وإلى عمر بن الخطاب عن طريق أويس القرنى/ وهو من زهاد القرن الأول الهجرى، وتنتهى إلى النبى ﷺ .

يقول الحلبى "أن السيد أحمد البدوى لبس الخرقة من الشيخ عبد الجليل إبن عبد الرحمن النيسابورى بالمغرب، وينتهى سنده فى الخرقة إلى الحسن البصرى، والحسن البصرى لبسها من عمران إبن الحصين، وأنس بن مالك رضى الله عنهم وهذا مارأيناه فى إجازة المشايخ الأحمدية، ومن ناحية أخرى، فإن الحسن البصرى لبس الخرقة من سيدنا على بن أبى طالب، وقد أثبت جلال الدين السيوطى/ ٩١١/ هـ صدق إجتماع الحسن البصرى بسيدنا على بن أبى طالب .

وسند إلباس الخرقة ينتهى إما إلى الحسن البصرى، وإما إلى أويس القرنى، وقد ذكر أن سند سيدى عبد القادر الجيلانى بالخرقة ينتهى إلى الحسن البصرى، وكذلك السيد أحمد الرفاعى بها ينتهى إلى الحسن البصرى، وأن الحسن البصرى ينتهى بها إلى الأمام على بن أبى طالب، أما أويس القرنى. فقد أخذها عن كل من سيدنا عمر بن الخطاب، وسيدنا على كرم الله وجهه .

وذكر أويس القرنى، أن عمر بن الخطاب ألبسه قميصه بحضورالإمام على بن أبى طالب، وأن علياً ألبسه رداءه بعرفات أو بساحل العراق، وهما لبسا من رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) الشيخ برى العراقى أخذ الطريقة عن القطب على بن نعيم البغدادى عن الإمام الرفاعى، وأخذ عن الإمام الرفاعى بلا وساطة والشيخ برى العراقى من شيوخ العارف بالله الشيخ عبد السلام بن مشيش الحسنى شيخ الإمام أبو الحسن الشاذلى - نظرنا - نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص٤٠ .

(٢) السيد محمد أبو الهدى أفندى الرفاعى الصيادى - قلادة الجواهر فى ذكر الغوث الرفاعى وأتباعه الأكابر - ص٣٩٨، ط - بيروت - المطبعة الأدبية - ١٣٠١ هـ .

(٣) نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص٣٦، ص٣٧ .

والخرقة عند القوم من الصوفية، أو فى عرف مشايخ الطرق، "شى يدفعه الشيخ لمريده، من نحو ثوب، أو طاقية، أو عمامة، أو رداء، أو سجادة[1].

ولذلك دلالة روحية، ومعنوية، "إذ أن مذهب المحققين فى إلباس مريدى التربية هو خلاف مانحن عليه الآن، وذلك أن الشيخ المربى ينظر فى المريد الذى يريد أن يلبسه فأى حال يكون للمريد فيه نقص، فإن الشيخ يلتبس بذلك حتى يتحقق به، فنرى قوة ذلك الحال فى الثوب الذى يكون على الشيخ فيتجرده فى الحال، ويلبسه المريد فتسرى قوة ذلك الحال فيه كسريان الشراب فى الأعضاء فيعمره ويتم الحال، وفى ذلك أيضاً، تستر سوأه الكذب بلباس الصدق، وستر سوأة الخيانة بثوب الأمانة، والغدر بخرقة الوفاء، والرياء خرقة الإخلاص"[2].

وللخرقة أنواع عند مشايخ الطرق، منها خرقة مجازية للمحبين المتشبهين، وخرقة جوازية للمريدين المتمسكين، وخرقة أجازية للمريدين الداعين. وعند بعض القوم، خرقة تبرك، وخرقة إرادة[3].

ومن الجدير بالذكر، أن الخُرقة البدوية "هى الشملة الحمراء" وهى اشارة الطريقة، وعلامتها، ويتضح ذلك من دعوة السيد أحمد البدوى لخليفته عبد العال، فقال "ياعبد العال إنى اخترت هذه الراية الحمراء يعنى "العلم" لنفسى فى حياتى، وبعد مماتى إلى آخر مايأتى"[4] .

ولم يذكر الشعرانى، من لباس السيد البدوى غير ثوب أو عمامة لايخلعها لغسل ولالغيره حتى تذوب فيبدلونها له بغيرها، والعمامة التى يلبسها خليفته كل سنة فى المولد هى عمامة الشيخ بيدة. وأما البشت الصوف الأحمر، فهو من لباس سيدى عبد العال رضى الله عنه، وكان رضى الله عنه يقول وعزة ربى سواقى تدور على البحر المحيط لو تقدما سواقى الدنيا كلها لما تقدما سواقى، ومات رضى الله عنه /٦٧٥هـ/.[5]

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٣٨ .

(٢) الحلبى - النصيحة العلوية (الهامش) ص٣٨ .

(٣) نفس المصدر - (الهامش) - ص٣٨ ،

(٤) نفس المصدر - ص٣٨ (وقد ثبت لدينا ذلك من خلال دراستنا الميدانية ، فى مجال البحث وأثناء استقصاء شارات وأعلام الطرق الصوفية فى مولده فوجدنا - تميز الطريقة الأحمدية وفروعها بالراية الحمراء .

(٥) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ١ - ص١٦٠.

رابعا : الفقير عند السيد أحمد البدوى :

الفقراء، لفظ يطلق على أهل الطريقة من الصوفية، فاللفظ فى دلالته ومعناه يعنى تجريد القلب من علائق الدنيا ثقة بالله تعالى.

وعن الشيخ عبد العال- خليفة السيد البدوى، أنه سأل أستاذه البدوى عن حقيقة الفقير قال: أن الفقير له اثنتى عشرة علامة، وهى أن يكون عارفا بالله مراعيا لأوامر الله، متمسكا لسنة رسوله ﷺ، مداوما على الطهارة، راضيا عن الله فى كل حال، موقتا بما عند الله تعالى، آيسا مما فى أيدى الناس مبادرا لأوامر الله تعالى متحملا الأذى، شفوقا على الناس، متواضعا لهم، يعلم أن الشيطان عدوه.

وهذا الوصف للفقير هو العبودية، التى هى أشرف المقامات وأعلى الدرجات، ولما خير الرسول ﷺ بين أن يكون نبيا ملكا وبين أن يكون نبيا عبدا، فأختار النبى عليه السلام العبودية(١).

خامسا : أحزاب السيد البدوى وأوراده :-

كما رأينا أن لكل طريقة من الطرق الصوفية - أحزاب وأوراد يرددها أتباعها ومريدوها، ولها قواعدها وترتيباتها التى نص عليها أو وضعها شيخ هذه الطريقة، كذلك فيما يتعلق بالطريقة الأحمدية البدوية .

إذ ثبت بالأدلة أن السيد أحمد البدوى، حدد أصول طريقته وضع لها أحزابها وأورادها، وأستطاع تلقينها لمريديه، وخليفته من بعده وإن كان لم يدونها بخط يده، فلم يؤلف السيد أحمد البدوى كتبا، وإنما ربى رجالاً، وكان مثله فى ذلك الإمام الشاذلى /٦٥٦/هـ الذى قال "كتبى أصحابى"، فلقد كان السيد البدوى فى مجال تربية الرجال(٢) .

ولقد ذكر مؤرخوا الطبقات المتأخرين، قصصا كثيرة عن سيرته فى تربية الرجال، وضم المخلصين الصادقين منهم الى طريقته إذ ذكر الشعرانى، قصة لقائه وإجتبائه لتلامذته، ومنهم السيد عبد العال /٧٣٣/ هـ وأخيه عبد المجيد، وغيرهم(٣).

---

(١) الحلبى . النصيحة العلوية - ص ٧٨.

(٢) الدكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف - ص١٠٩ .

(٣) لمزيد من التفاصيل - الشعرانى - الطبقات الكبرى - ط ص١٦٠ ومابعدها - كذلك راجع الحلبى - فى النصيحة العلوية - والشيخ أحمد حجاب ، العظة والإعتبار - أماكن متفرقة .

ومامن شك فى أن للسيد البدوى فى عالم الطريق، أوراداً وأذكاراً وآثاراً كثيرة لكن مانقل إلينا عنه، لايتناسب وماكان ينبغى أن يكون من الحرص على آثار السيد البدوى.

ومن الجدير بالذكر أن أتباعه تأثروا بشخصيته القوية الممتازة فلم يكتب عنه هؤلاء إلا القليل، وقد نقل عنه الناقلون بعض الأحزاب والصلوات يقول الشيخ محمد القاوجى[1] فى حزب السيد البدوى "فهذا الحزب وكذا صيغة الصلاة المشهورة، إتصالهما إلى سيدى محمد الشناوى ت عام /٩٣٢هـ صحيح، ومنه إلى السيد البدوى لم تعلم الكيفية، وقال الشيخ البهى (البهى ت/ ١٢٦٠ هـ) ليس لنا البحث عن ذلك، فإن سيدى محمد الشناوى[2] حجة عدل، وولى كامل" [3].

وتلاحظ أن أحزاب السيد البدوى، قليلة وقصيرة، كذلك فإنها تنقل وتردد بين مريديه وأتباعه، فبالإضافة إلى ماذكرناه فيما سبق، فإن الشيخ أحمد حجاب المتوفى حديثا عام/ ١٩٧٨م، وهو عند كتاب الصوفية من أبرز الأولياء الصالحين والتابعين للطريقة الأحمدية يذكر أحزاباً وصلوات فى كتابه ويقول "الأوراد التى تلقيتها عن الشيخ"[4] مما يوحى لنا أنه كان علي صلة روحية بالسيد أحمد البدوى فى برزخه وهذا شائع بين الصوفية، وأتباع الطرق المتأخرين .

---

(١) هو السيد محمد القاوقجى الحسنى البشبشى الشاذلى، من أتباع الطريقة الصوفية الشاذلية المتأخرين . إهتم بأحزاب وصلوات السيد أحمد البدوى وشرحها، مما يدل على إتصال الطرق الصوفية المتأخرة بعضها بالبعض وإلتقائها على منهج واحد .

(٢) الشيخ محمد الشناوى، من أتباع الطريقة الأحمديه البدوى فى القرن العاشر الهجرى، وأخذ عنه أصول الطريقة عبد الوهاب الشعرانى ، كما ذكر فى طبقاته الكبرى جـ٢ - ص١٢٠ وقد توفى عام ٩٣٢هـ ودفن فى قرية محلة روح فى محافظة الغربيه وقبره يزار إلى اليوم.

(٣) دكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف- ص١١٠.

(٤) لمزيد راجع - الشيخ أحمد حجاب- العظة والإعتبار ص١٤٨ ومابعدها- جدير بالذكر أن هذا الرجل الصالح توفى ودفن بمقبرة بجوار اتباع السيد البدوى فى مسجده الكبير بطنطا وله مقصورة من الخشب المنقوش شأن كبار أتباع البدوى .

١ - "الحزب البدوى"

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ لووا عما نووا فعموا - وحموا عما طووا - ربى لاتذرنى فرداً وأنت خير الوارثين - بسم الله الرحمن الرحيم: "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم فى تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول" سورة الفيل آية (١-٥) .

اللهم أكفيتهم بما شئت .

اللهم إنى أعوذ بك من شرورهم، وأدراء بك فى نحورهم ، بك أحاول، وبك أقاتل.

اللهم وأقيه كواقية الوليد .

ب "كهيعص" كفيت - ب "حم عسق" حميت، فسيكفيكهم الله. وهو السميع العليم، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، وصلى الله علي سيدنا محمد النبى الكريم وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين".

٢ - "الصلاة الأحمدية"

لقد ثبت أن للسيد البدوى عدة صلوات، وهي دعوات، وتوسلات، أو من قبيل الإستغاثات، وورد فى مصادر كثيرة وصيغ متعدده .

وسوف نقتصر هنا علي، أبسطها وأوجزها وأعمقها، فمن ذلك قوله رضى الله عنه : "اللهم صلى وسلم وبارك علي سيدنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية ولمعة القبضة الرحمانية، وأفضل الخليقة الإنسانية، وأشرف الصور الجسمانية، ومعدن الأسرار الربانية، وخزائن العلوم الإصطفانيه، صاحب القبضة الأصليه، والبهجة السنية والرتبة العلية، من اندرجت النبيون تحت لوا ‍ه، فهم منه وإليه ، وصلى وسلم وبارك عليه وعلي آله وصحبه، عدد ماخلقت، ورزقت وأمت وأحييت إلى يوم تبعث من أفنيت وسلم تسليما كثيراً والحمد لله رب العالمين".

هذه هى الصلاة الرابعة والثلاثون - لسيدنا أحمد البدوى رضى الله عنه كما ذكرها الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى فى كتابه أفضل الصلوات على سيد السادات ﷺ".

ثم ذكر صلاة أخرى للسيد البدوى هى "الخامسة والثلاثون" وذكر أنها منقولة عن الشيخ محمد القاوقجى. فقال : فيها السيد البدوى "اللهم صلى على نور الأنوار، وسر الأسرار وترياق

الأغيار، ومفتاح باب اليسار، سيدنا محمد المختار، وآله الأطهار وأصحابه الأخيار عدد نعم الله وأفضاله".[(١)]

وقد ورد في مجموعة الأوراد والأحزاب، وهو كتاب متداول بين أصحاب ومشايخ الطرق الصوفية المتأخرين بعض الصلوات السيد احمد البدوى نذكر منها "اللهم إنى أسألك بنور وجه الله العظيم الذى ملأ أركان عرش الله العظيم، وقامت به عوالم الله العظيم، أن تصلي على مولانا محمد ذى القدر العظيم، وعلى آل نبى الله العظيم، بقدر عظمة ذات الله العظيم فى كل لمحة ونفس عددها فى علم الله العظيم، صلاة دائمة بدوام الله العظيم، تعظيماً بحقك يامولانا يامحمد ياذا الخلق العظيم. وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك، وأجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس، ظاهراً وباطناً وإجعله يارب روحاً لذاتى من جميع الدنيا قبل الآخرة ياعظيم" .. إلى آخر ماهنالك من دعوات وإستغفار[(٢)].

يضاف إلى ذلك مجموعة كبيرة من الدعوات، والصلوات، والتسبيحات تلقاها السيد الولى الأحمدى الشيخ أحمد حجاب عن شيخه السيد البدوى باطناً، كما يشير إلى ذلك تذكر من بينها نص يقول فيه "سبحان الله العلى الديان، سبحان الله الشديد الأركان، سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار، سبحان من لايشغله شأن سبحان الله الحنان المنان، سبحان الله المسبح فى كل مكان"[(٣)].

ويذكر الشيخ أحمد حجاب، أن هذه الأدعية والأوراد التى تلقاها لتلاوتها بين العشائين، على أن يقرأ كل دعاء مرتين أو ثلاثاً، فإن لم يتيسر فى هذا الوقت فبعد صلاة الصبح ..[(٤)].

وذكر أصحاب الطريق وأتباعه من كبار المشايخ، أن ترديد هذه الأحزاب والصلوات، يؤدى إلى الفتح الإلهى، والفيض الربانى، ويسهل الطريق للوصول إلى الله تعالى، وهى تقرأسبعاً بعد كل صلاة، وأن كل مائة منها بثلاثة وثلاثين من دلائل الخيرات[(٥)]، ومفاتيح أوراد السيد البدوى لكل يوم من الأسبوع فى كتاب "بسط مدد التوفيق" وهى .

---

(١) الدكتور - عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف - ص١١٠ - ص١١١ - ص١١٤ .

(٢) مجموعة الأوراد الكبير والأحزاب والأدعية - ص١٣٠ ط - مكتبة مصطفى تاج بطنطا بدون تاريخ .

(٣) الشيخ أحمد حجب - العظة والإعتبار - ص١٤٨ .

(٤) المصدر السابق - ص١٤٨ .

(٥) الدكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف - ص١١٥ .

"أستغفر الله العظيم أستغفر الله مائة مرة، وأيضاً اللهم صلى على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم مائة وخمسين مرة، والحمد لله على كل حال يوم الأحد، الحمد لله والله أكبر يوم الإثنين، سبوح قدوس، يوم الثلاثاء، سبحان القادر المقتدر يوم الأربعاء، وسبحان ذى الملك والملكوت يوم الخميس، سبحان ذى العزة والجبروت يوم السبت ماتقدم قبل الأحد، ثم البسط بحمد الله وعونه"(١).

سادساً: آداب الطريق الأحمدى وأخذ العهود:

لكل طريق آداب، تؤصل السلوك، وتهذب الأخلاق، وتروض نفوس المريدين، على الطاعة، والإخلاص فى الطريق إلى الله تعالى .

ولاشك أن الطرق الصوفية فى جوهرها لاتختلف بعضها عن البعض الآخر فى هذه الآداب، وفى تربية السلوك وتهذيب الأخلاق والنفس .

ولذلك قال مشايخ الطريق الصوفى "الفقير أى الصوفى" بلاأدب كطابخ بلا حطب، مشايخ الطريق الصوفى نواب المصطفى ﷺ فى الإرشاد للعباد، وهم أحب الخلق إليه ﷺ، وهم أيضاً يسلكون بالمريد إلى تزكية النفس، ويرشده إلى طريق الإقتداء بالرسول ﷺ".

ولذلك فقد أعتبر السيد أحمد البدوى. أن الآداب مع المشايخ أمر ضرورى، وفرض على المريد تجاه شيوخه . ولذلك يقول لخليفته عبد العال "ياعبد العال تأدب مع المشايخ، واعلم أن الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته"(٢) .

ومن الآداب التى غرسها شيخ الطريقة الأحمدية فى نفوس مريديه، الأخلاق الحسنة، والمعانى الحميدة، مثل حسن الوفاء لإخوانهم والشفقة عليهم في سائر أحوالهم، ملازمة عيادة المرضى وتشييع الجنائز، وفك المحبوس، ومنع الظالم عن المظلوم الإلتزام بالسكينة، والوقار .

وقد اعتبر السيد أحمد البدوى، نفسه مسئولا عن أخلاق أصحابه، وتربيتها، وتهذيب أحوالهم وإصلاح نفوسهم، وطهارة باطنهم، لذلك قال لخليفته "ياعبد العال فقرائى "أى أتباعى"

---

(١) كتاب. بسط مدد التوفيق فيما يتعلق بأحكام الطريق "لبعض مشايخ الطرق الصوفية" - ص١٣٧ - ط مكتبة الجمهورية - القاهرة بدون تاريخ .

(٢) نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص٢٩ ، ص٣٠.

كالزيتون فيهم الكبير والصغير، ومن لم يكن فيه زيت فأنا زيته"[1]. وهذا يشير إلى مدده الروحى والأخلاقى فى مريديه.

وقد أكد شيوخ الطريق، علي إحترام المريد لشيخه، وهو أن يكون كالميت مع الغاسل يقلبه كيف يشاء، وهذا يعنى تسليم المريد للشيخ فى كل أحواله، إذ أن عقوق المريد للمشايخ لاتوبة له بعد ذلك ، وقالوا أيضا "إذا رأى الفقير من شيخهماينكره كان عليه أن يحسن الظن به" .

وقالوا أيضا "ينبغى للفقير أن يحمل أعمال شيخه التى ظاهرها الفساد على نحو من سبعين محملا حسنا"[2] .

ولاشك أن فى ذلك غلو واضح، لاتقره الشريعة ولايستحسنه العقل، وهذه مآخذ على مشايخ الطرق الصوفية فى هذه العصور المتأخرة - قد تؤدى إلى التقليل من شأنهم وهيبتهم فى نفوس الناس والمريدين، وقد تحدث الشعرانى، فى الطبقات الكبرى عن أمور تحدث، أو حدثت من بعض دعاة الولاية والذين انتسبوا للتصوف زوراً وبهتاناً وكلها أمور مشوبة، وأفعال فاسدة، وقد ذكرنا طرقاً منها فى الباب الثانى من الكتاب[3].

ومن خصائص الطريقة الأحمدية "أخذ العهد" على مريد الطريق الداخل فيه، وإن كان السيد أحمد البدوى شيخ الطريقة لم يلقن أحدا من مريديه "عهد" ولم يأخذ عليه ميثاقاً وهذا مايشير إليه أحد المؤرخين للطريقة الأحمدية إذ يذكر "أن السيد أحمد البدوى رضى الله عنه كان يربى بالنظر، لابخلوه، ولابمجاهدة، ولابأوراد ولابمكابدة، غير أن الأستاذ نفعنا الله به، كان ينظره بقلب الأعيان"[4].

---

(١) المصدر السابق - ص٣١ - كذلك الشيخ أحمد حجاب - العظة والإعتبار - ص٣٢- ص٣٣.

(٢) نفس المصدر السابق - ص.١١٠.

(٣) راجع الشعرانى- الطبقات الكبرى ط ١، جـ٢.

(٤) نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص١١٢ - وقد ذكر الشعرانى- فى الطبقات الكبرى - قصة لقاء السيد البدوى بتلامذته وأتباعه، وكيفية جذبهم إليه لمجرد النظر إليهم ودعوتهم إليه مثل عبد العال، وعبد المجيد ، وربما يرجع ذلك إلى قوة شخصية هذا الشيخ وعمق نظره وبصيرته، راجع ص١٦١ - ص١٦٢.

غير أن مشايخ الطريقة الأحمدية. وضعوا مايسمى بأخذ العهد "على المريد، فيما بعد - ومن ذلك ماذكره الحلبى/ ١٠٤٤ هـ/ فى النصيحة العلويه - يقول "وهؤلاء المشايخ الأحمدية فى تربيبة الفقراء على حسب الطاقة والإمكان، وغاية أمرهم، أنهم يأخذون العهد على الفقير" بأن يجلس وهو على طهارة بين يدى الشيخ، ويضع يده فى يده ويقول له: هذا عهد الله بينى وبينك علي الكتاب والسنة لاترتكب كبيرة ولاتصر على صغيرة، وأنه متى وقع منك شئ من ذلك، وسقطت فى تلك المهالك، تبادر بالتوبة وأن تبادر إلى فعل الواجبات، وأن تواظب على نوافل العبادات، ونحن إخوان فى الله تعالى، الناجى منها يأخذ بيد أخيه يوم القيامة، ونحن من أتباع الحسيب النسيب العلوى سيدى أبى العباس أحمد البدوى وعلى طريقته"[(١)].

وفى الذكر - يقول له "عليك بملازمة الذكر فإن فى الذكر جلاء القلوب، وبلوغ كل مطلوب، وقد مدح الله تعالي الذاكرين فى قوله تعالى "رجالٌ لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله" سورة النور آية (٣٧) .

وجدير بالذكر أن مشايخ الأحمدية يحبذون حلقات الذكر ويمتدحون من يتحلق بحلقاتها، كما هو سارى الأن بين الطرق الصوفية الأخرى ..[(٢)] .

سابعاً : حلقات الذكر فى الطريقة الأحمدية:

كما أشرنا أن مشايخ الطريقة، يفضلون الذكر فى حلقات دائرية يصاحب ذلك لون من ألوان السماع فيحرك فى نفوسهم التواجد والجذب، ويعتبرون كل حركه من حركات الجسد نوعا من الأنس والجذب فى بحار القدس، إذ أن كل عضو يستجيب لما جذب إليه وتواجد من أجله.وفى ذلك يذكر الحلبى، فى النصيحة العلوية عن أحوال الذكر عند مشايخ الأحمدية "اعلموا ياأخوانى أنه لايجوز الإنكار على مايحصل للفقراء "الصوفية" عند سماع المنشد لكلام القوم من الوجد، فإن ذلك سر من الأسرار، وهو من أسرار الله تعالى، تحركه رياح الأنس من بحار القدس متفرقة فى الأعضاء فما وقع فى اليد، كان منه التصفيق، وماوقع فى الرجل كان منه

---

(١) نفس المصدر السابق - ص١٢٢،ص١١٣.

(٢) نفس المصدر - ص١١٦ (قام الباحث بدراسة ميدانية وصفيه لمظاهر الذكر وحلقاته عند أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين فى العصر الحديث) بالباب الخامس من هذا البحث .

الرقص وماوقع فى القلب كان منه البكاء وما وقع منه في الروح كان منه الصراخ، وماوقع منه فى سويداء القلب، كان منه الغشيان، وقد ترى الإنسان يكون هادئاً فيضطرب عند السماع، فقد قيل: إن الله تعالى كما خاطب الذر بألست بربكم، قالوا بلى، واستغرقت عذوبة الكلام للأرواح، فإذا سمعوا السماع تحرك من قال من ذلك شيئا فى ذلك العالم الذرى، وظهرت عليه آثاره فى هذا العالم الصورى" (١).

لكن شيخ الطريق - السيد أحمد البدوى لم يؤثر عنه مثل تلك الحلقات فى الذكر، أو السماع، أو الرقص والتصفيق، ويبدوا أن ذلك من وضع المتأخرين من مشايخ الأحمديه إذ قد نقل عن السيد البدوى قوله لخليفته :

"ياعبد العال عليك بكثرة الذكر، وإياك أن تكون من الغافلين عند الله تعالى" ولما سأله عبد العال عن حقيقة الذكر قال "هو أن يكون بقلب ولايكون باللسان فقط، فإن الذكر باللسان دون القلب شقشقة، ياعبد العال أذكر الله تعالى بقلب حاضر وإياك والغفلة والنسيان، والنطق محله اللسان، وضده الصمت. ولاعبرة يذكر صدر عن قلب غافل، متصرف عن مولاه، أما من كان حاضراً فى ذكره عز وجل، فلايؤخذ بمايصدر منه من حركة أو غيرها، مادام ذلك قد صدر عن غلبة الوجد لاعن هدى النفس(٢) .

ومما لاشك أن هناك مبالغات شديدة، وتجاوزات لايرضى عنها الدين بل إن معظم مانشاهده فى حلقات الذكر من مظاهر تخالف شريعة الدين، وهى من قبيل البدع.

وقد شاهدنا خلال دراستنا الميدانية، وبخاصة أثناء إحياء مشايخ الطريق ليلة المولد الأحمدى بطنطا، إختلاط بين النساء والرجال، وهم مجتمعون لسماع أصوات الموسيقى والعزف على "السلاميه" وضرب النيران والطبله ومشاهد أخرى من الرقص والتمايل يمينا وشمالا، مع كثير من الصراخ والصياح، وتردد بعض الألفاظ غير اللائقة بالذكر. فضلا عن افتراشهم الشوارع بصورة مقززه واعتقد أن هذا السلوك ليس من أصول وجوهر الطريق الأحمدى الصوفى، وهو غلو فى الطريقة ومبالغة فى مظاهرها.

---

(١) نفس المصدر - ص ١١٦.

(٢) المصدر السابق ص ١١٦ "الهامش" .

وهذا أيضا ينسحب على ماروى من كرامات مبالغ فيها، وتناقلته كتب أصحاب الطبقات، كالشعرانى ونور الدين الحلبى، وعماد الدين الحنبلى، والمناوي والشطنوفى وغيرهم، وإن كنا لاننكر المعجزات والكرامات حيث أن هذا ثابت فى حق الرسل والأنبياء، كما أخبر عنها القرآن الكريم، وهى معجزات يؤيد بها الله تعالى رسله وأنبيائه، وفيها إثبات لقدرة الله تعالى وتحكم إرادته فى الكون، وإنتفاء لقوانين الحتميه ومبدء الصدفه فى الطبيعة .

وللأولياء، والصالحين كرامات عند الله تعالي، وكرامات أيضا فى خلق الله تعالي أهمها تربيتهم لسلوك المريدين، وتهذيب أخلاقهم ورياضة نفوسهم، وخلق جيل من الصالحين، المخلصين لطريق الله تعالى المستقيم .

أما مايصدر عنه من كرامات بمثابة خوارق، فإذا كانت صادقة ففيها حكمة وعظة من الله تعالى لأوليائه والولى الصادق لايدعيها ولايصر فى انتسابها إليه، بل يوكل أمره إلى الله تعالى ويستتر أمام الخلق منها، وهذا ماأشار إليه الإمام الجنيد ٢٩٧ هـ وقد ذكر الصوفية "أن الولى يستتر من الكرامة كما تستتر المرأة من الحيض" وقوله "إذا رأيتم الرجل يعنى بظاهره فاعلموا أن باطنه خراب[١] .

ثامناً: خلفاء الطريقة البدوية وفروعها:

إنتقل الشيخ السيد أحمد البدوى إلى الرفيق الأعلى/٦٧٥هـ/ وهو على إيمان كامل ومعرفة يقينية بالله تعالى، ومحباً لرسوله ﷺ دون أن يقدح فى عقيدته أحد من شيوخ عصره، وقد خلف مدرسة صوفية كبيرة عرفت "بالمدرسة السطوحية" فقد إتخذ السيد البدوى من فوق سطح دار ركين الدين بن شحيط الذى صعد إليه عندما حل بطنتدا "طنطا" - مكاناً للعبادة، والتأمل، والخلو الذاتى الباطنى، والتفكير، والذكر الدائم لله تعالى بالإضافة إلى أنه جعل من هذا المكان المرتفع، بعيداً عن ضوضاء الناس، ومشاغلهم، مدرسة يربى فيها المريدين، مستقبلاً إياهم ومرشداً لهم، وهو يلقى على مريديه علومه الروحانية، وتعاليمه الذوقية، فى نقاء وشفافية وهو ينظر اليهم، ويتفحص أخلاقهم، وإتجاهاتهم، كذلك كان الشيخ يستقبل كبار علماء

---

(١) راجع - القشيرى - الرساله القشيريه - جـ١ .

عصره، فقهاء. وأصوليين ومحدثين ومفسرين، ومن فوق هذا السطح أخذ يوجه تلامذته وأتباعه إلى حيث يقيمون، فى مختلف الأقاليم منظماً لأمر الدعوة إلى الله تعالى، على منهج الكتاب والسنة وفى ذلك يقول الدكتور عبد الحليم محمود "لقد كان يأتى الى السطح الكثير من المريدين، فيأخذ الشيخ فى تربيتهم بالنظر، وبالسلوك، وبالتعاليم، وبالقدوة، الى أن تصفو نفوسهم، فيبدأ فى توجيههم الى جهات تحتاج الى الدعوة، إذ قد يرى بالهام من الله تعالى أن هذه الجهات بحاجة الي مرشدين، ومنذرين للعصاه والجاهلين، فقد أرسل حسن القلينى إلى كوم قلين[1]، كما أرسل الشيخ أبوبكر الدقدوسى، إلى ناحية دقدوس بساحل البر الشرقى[2] .

وكذلك أرسل الشيخ خلف المدفون بقنطرة سنقر بمصر، وكان يقول له: ياخلف "أنت: خليفتنا في مصر" كذلك الشيخ أحمد الأباريقى - وقد ذكره الشعرانى، وهو مدفون بروضة المقياس بمصر .[3] وغيرهم من المريدين الذين أولاهم شيخ الطريقة، ومؤسسها برعايته وتربيته، وقد ذكرهم صاحب "النصيحة العلوية" تفصيلا[4] .

هذه نبذة بسيطة عن رواد الجامعة - أو المدرسة - السطوحية وقد كان للبدوى خلفاء، تولى كل منهم، طريقته بالشرح والتلقين لأتباعه ومريديه، بعد وفاته.

ويعتبر أول من حمل راية الطريق بعد وفاة الشيخ البدوى، هو السيد عبد العال /٧٣٣ هـ/، إذ تولى البدوى تربيته منذ صغره[5]، وقد أستخلفه الشيخ البدوى من بعده تذكر المصادر "أنه لما توفى أحمد البدوى، أصبح عبد العال الذى لازمه منذ طفولته أربعين عاما خليفة له، وحمل آثاره وهى "البشت الأحمر"، ولثامه وعلمه الأحمر، وأبتنى خلوة حول قبره، صارت على مر الأيام مسجدا كبيرا ويظهر أنه كان صارما مع أتباعه، ورتب الشعائر، وتوفى عام ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٣م/ [6].

---

(١) تقع قلين بمحافظة كفر الشيخ الآن وبها قبر هذا الشيخ.

(٢) بلدة دقدوس بالقرب من مدينة ميت غمر الآن بمحافظة الدقهلية وتقع على البر الشرقى من النيل.

(٣) الدكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف - ص٧١-٧٣ .

(٤) نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص١٣٤ - ص١٣٥.

(٥) ذكر ذلك الشعرانى - الطبقات الكبرى جـ١ - ص١٦١- ص١٦٢.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية - جـ٢ - ص٣٠٨.

وبعد وفاة السيد عبد العال- تخلف بعده شقيقه وهو السيد عبد الرحمن / ٧٥٤/هـ، ثم تخلف بعده شقيقه السيد نور الدين وهو الواقف للقرية المعروفة بالنجيله، بإقليم البحيرة على مصالح المقام الأحمدى، وتوفى عام /٧٨٩/ هـ، وتخلف بعده ولده السيد محمد شمس الدين، وهو الواقف للقرية المعروفة بقحافة بإقليم الغربية على مصالح المقام، وتوفى عام /٨٤٢ هـ /، وتخلف بعده ولده السيد أحمد /٨٤٦/ هـ، ثم تخلف بعده ولد أخيه السيد عبد الكريم بن على بن محمد، وقد قتل /٨٦٢/هـ ثم تخلف بعده الشيخ سالم وبعد وفاته تخلف من بعده ولده المعروف إبراهيم الأسمر ثم عزل وتولى بعده أمر الخلافة الأحمدية أخوه محمد الذى توفى بحلب عند خروجه مع السلطان قنصوة الغورى /٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م/ ثم تخلف من بعده الشيخ محمد هذا - ولده الشيخ عبد الكريم وعندما توفى عام/٩٦١/ هـ تخلف بعده ولده الشيخ عبد المجيد المتوفى عام ١٠١٨ هـ/ وقد ذكر عنه الأمام عبد الوهاب الشعرانى فى الطبقات الوسطى "أن الشيخ عبد المجيد قرأ القرآن والعلم، ومارأينا عليه سواءً فى دينه وكان يتهجد عندنا فى غالب الليالى، ويسهر معنا ليلة الجمعة من صلاة العشاء إلى الصبح"(١) .

وقد ذكر الشعرانى،ماله من كرامات، وماصدر عنه من دعوات وبركات(٢).

ويشير صاحب النصيحة العلوية الى مسألة هامة، حيث ذكر، أنه لما توفى الشيخ عبد المجيد عام ١٠١٨ هـ، وتخلف بعده ولده، قدوة السالكين، وواحد الفضلاء المعتبر بن الشيخ كريم الدين ، بولاية العهد من جده المذكور، كما هو شأن آبائه الأكرمين، فإنه جمع مشايخ الأشاير و فقرائهم، وفقهاء المقام وأشهدهم أنه عهد إليه، وأنه الخليفة بعده وأجلسه على السجادة، ويأخذ العهد أجازه، وأخذ علي كل من مشايخ الأشاير وفقرائهم وفقهاء المقام العهد بالطاعة لامره فى سره وعلانيته"(٣) .

ومعنى ذلك، أن طريقة أخذ العهد والقسم بالولاء والطاعة لأمر خليفة الشيخ على طريقته، وفى السر والعلانية أمر وضعه الشيخ كريم الدين، منذ استخلافه على الطريقة، وقد صار ذلك تقليدا فى أصول الطريقة البدوية فى العصور التالية حتى العصر الحديث .

---

(١) الشعرانى - الطبقات الوسطى - ص١٤٦.

(٢) نفس المصدر - ورقة ١٤٦.

(٣) نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص١٢٧ - ص١٣٣.

فلم توضح المصادر، طريقة أخذ العهد أو القسم بالولاء والطاعة لأمر الشيخ عند السيد أحمد البدوى وخلفائه الأقرب الى عهده وعصره وهذا يعنى أن طريقة أخذ العهد جاءت فى عصور متأخرة، هذا وقد حدثت بعض الإضطرابات والإختلافات، فيما بعد، حول تولية خلافة الطريقة، إذ عزل الشيخ كريم الدين من منصب خلافة الطريقة البدوية، وأسند الوزير محمد باشا بمصر هذا المنصب إلى أحد أعوانه ثم أسند فيما بعد منصب خلافة السجادة الأحمدية إلى شخص آخر يدعى عبد العال ابن الشيخ صالح عبد الوهاب بقية الخلفاء الأكرمين، والقادة المرشدين الشيخ سالم، ثم تراجع الشيخ عبد العال عن خلافة السجادة الأحمدية ، وأشرك فيه الشيخ كريم الدين مرة أخرى - بعد محاولات مبذولة عند ولاة الأمر فى الدولة فى عصره.[١] أى حتى عام ١٠٤٤ هـ.

وقد تفرعت الطريقة الأحمدية البدوية الى مايقرب من سبع عشرة طريقة، أو يزيد فى العصر الحديث، ونذكر هذه الطرق التى تفرعت عن الطريقة الأساسية وتستمد أصولها منها. علي وجه الإجمال دون تفصيل[٢] وهى كالأتى كما وردت فى المصادر الموثوقة :

١ - الإنبابيـة : وتنسب إلى السيد إسماعيل الإنبابى وهو من التلاميذ النجباء للسيد أحمد البدوى والذى ولد بقرية أمبابة.

٢ - أولاد نوح : حيث أشار إليهم المستشرق لين - lien فى كتابه Mod Egypt (p, 249, ...)

٣ - البنداريه : لم يذكر بشأنها شخصية ، تنسب إليها.

٤ - البيوميـة : تنسب للسيد على بن الحجازى البيومى ت عام /١١٨٣ هـ / =١٧٦٦ م

٥ - الحلبيـة : تنسب لأبى العباس أحمد الحلبى المصرى .

٦ - الحمودية : تنسب للسيد محمد الحمودى ، مريد السيد حبيب الحلبى.

٧ - الهندوسية : المصرية . أشار اليها توفيق البكرى راجع - بيت الصديق - ص٣٨٥.

٨ - الكناسية : تنسب للسيد محمد الكناس.

---

(١) نفس المصدر السابق - ص١٣٣ ومابعدها.

(٢) j. spencer Trimingham , sufi orders in Islam,pp,274,275

٩ - المنايفــه : أو المتانفه .

١٠- المرازقــه : مؤسسها السيد أبو عمر عثمان مرزوق القرشى المتوفى عام/ ٦١٥ هـ ، ١٢١٨م/ الذى عاصر فى فترة مبكرة شيخ الطريقة البدوية السيد أحمد البدوى .أشار لذلك الشعرانى - اليواقيت ص١٣٥، وتوفيق البكرى بيت الصديق ص٣٩٢.

١١- السلامية : أشار اليها توفيق البكرى - بيت الصديق ص٣٨٨.

١٢- الشناوية : لمحمد بن عبد الله الشناوى - الذى توجد زاويته فى محلة روح بإقليم الغربية - المتوفى عام ٩٣٢/ هـ ١٥٢٦/م .

١٣- الشعبانية : لشمس الدين محمد بن شعيب الشعبينى المتوفى عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م.

١٤- السطوحية : تنسب لجمال الدين عمر السطوحى.

١٥- التسفيانيه : لمحمد بن زهران التسفانى.

١٦- الزاهديــه : والنشيبيه... [١].

١٧- الخليليــه : وهى طريقة منتشرة فى العصر الحديث وتمتد بأصولها وجوهرها الي الطريقة البدوية الأحمدية، عن الطريقة البدوية الأحمدية، عن الطريقة البيوميه، ولها مشايخ وخلفاء، وأتباع كثيرون الأن، وتمتاز هذه الطريقة أن شيوخها يقيمون ليالى الذكر والعبادة بانتظام أسبوعيا.

وهذه الطريقة تنسب للسيد محمد أبو خليل المتوفى عام ١٩٢٠م وقبره بمسجده المشيد بالزقازيق فى محافظة الشرقية بناحية كفر النحال، وتقام ليالى الإحتفال بمولده من كل عام [٢].

---

(١) نظرنا : المصدر السابق- ص٢٧٤ ومابعدها ، دكتور توفيق الطويل - التصوف فى مصر - حـ١- ص٧٧ ، نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص١٣٤.

(٢) سوف نتناول دراسة هذه الطريقة بالتفصيل فى الباب الخامس من هذا الكتاب حيث يتوفر لدى الباحث المصادر الأصلية بشأنها.

الفصل الخامس

"الطريقة البرهامية"

وشيخها السيد ابراهيم الدسوقى / ٦٨٦/هـ

"وفلسفته الصوفية"

أولا : - حياته وسيرته:

إبراهيم الدسوقى الشافعى القرشى[(١)] شيخ الخرقه البرهامية، وصاحب المحاضـرات القدسيـة والعلوم اللدنية والأسرار العرفانيـة، وهو أحد الأئمـة الذيـن

---

(١) يتصل نسب القطب الدسوقى بالإمام الحسين السبط رضى الله عنه مثله فى ذلك مثل الأقطاب الأربعة السيد أحمد الرفاعى، السيد احمد البدوى السيد عبد القادرالجيلانى، السيد آبوالحسن الشاذلى، وهو ابراهيم- الدسوقى بن السيد عبدالعزيز أبو المجد بن السيد على قريش بن السيد محمد أبو الرضا بن السيد محمد أبو النجا بن على زين العابدين بن عبد الخالق بن محمد الطيب بن عبد الله الكاظم بن عبد الخالق بن أبو القاسم موسى بن جعفر الزكى بن الإمام على الهادى بن الإمام محمد الجواد بن الإمام على الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين السبط رضى الله عنه.

وتذكر ا لمصادر أن والدته هى السيده فاطمة الصالحة الولية العابدة إبنة ولى الله تعالى الشيخ أبو الفتح ا لواسطى، وقد إهتم والده بتعليمه منذ طفولته، وكان نبوغه ظاهرا ملفتا للنظر ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم وتفقه على مذهب الشافعى، بنى خلوة بدسوق، دخلها وأقام بها عشر سنوات ومن الجدير بالذكر أن الدسوقى ، صاغ نسبه الشريف فيما لايقل عن أربعة وعشرين بيتا من الشعر فقال:

وأنى حجازى شريف ونسبتى	∴	لها شرف سادات على كل نسبـة
واسمى ابراهيم سمى والـدى	∴	بعبد العزيز المجد شيخ الحقيقـة

وهكذا يذكر أجداده حتى يصل بنسبه إلى الإمام الحسين بن على كرم الله وجه بقوله: ==

أظهر الله لهم المغيبات، وخرق لهم العادات، ذا الباع الطويل فى التصرف النافذ واليد البيضاء فى أحكام الولاية والقدم الراسخ فى درجات النهاية .

إنتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام، وكان يتكلم بجميع اللغات من عجمى وسريانى وغيرها ، وقد ذكر عنه، أنه كان يتكلم بلغات الوحوش والطيور، وأنه صام فى المهد، وأنه رأى فى اللوح المحفوظ وهو إبن سبع سنين،أنه ملك طلسم السبع المثانى، وأن قومه لم تسعه الدنيا ، وأنه ينقل مريديه من الشقاوة إلى السعادة، وأن الدنيا جعلت فى يده كالخاتم، وقال فى توليته القطبانية "رأيت المشرقين والمغربين وماتحت النجوم، وصافحت جبريل" (١).

وأعتقد أن هذه الكلمات التى نقلها المؤرخون، وتواترت عند أصحاب الطبقات أو غيرها من تعبيرات وخوارق، هى من قبيل السباحات الروحانية، والأذواق الوجدانية، والمعانى الروحية القلبية، التى تفيض على الذاكرين والمحبين من أصحاب الطرق المخلصين فى عباداتهم، والخالصين بقلوبهم إلى الله تعالى، غير شاكين ولامرتابين، وهذه أحوال تجليات وجدانية، عبر الدسوقى عنها فى سبحاته بألفاظ ظاهرية تحتوى على معانى وأشواق وأذواق ومواجيد، لايتحققها إلا من خاض التجربة الذاتية الصوفية، وذاق مذاقها ، ومن كلامه رضى الله عنه "لاتكليف على من غاب بقلبه فى حضرة ربه، مادام فيها ، فإذا رد عقله صار مكلفاً" (٢) وهذا يشير عند القطب الدسوقى، أن غيبة العبد فى حضرة ربه ومولاه، تعنى إنغماسه فى ذكر الله تعالى، وفى ذلك عبادة وإذا إنتبه من غيبته، فقد رد عليه عقله، ويصبح مكلفاً، فالعقل عنده،

== ووالده سبط النبى محمــــد ∴ يسمى حسين ذو وقار وذمــــة

ووالده الكرار سيد قومـــه ∴ على أبو السبطين حامى العشيرة

نظرنا فى ذلك :

أ - الشعرانى - الطبقات الكبرى- جـ١ - ص١٥٧.

ب- طه عبد الرؤف سعد - جوهرة الدسوقى - ص٩٧ ط مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٢م .

جـ - عبد العزيز عبد التواب - سيدى إبراهيم الدسوقى ص ٤٦ - ص٤٧، ط - دار الحرية - القاهرة - ١٩٧٢م .

(١) ابن العماد الحنبلى - شذرات الذهب - جـ٥ ، ص ٣٥٠ .

(٢) نفس المصدر السابق - حـ٥ - ص٣٥٠ - الشعرانى - الطبقات الكبرى ص١٤٣ .

مناط التكليف، فلا تكليف على من غاب على عقله "فإذا خرج إلى عالم لشهادة قضى مافاته وهو حال المبتدئين وليس هذا فيما أعتقد أمراً جازماً فكثير من صوفية أهل السنة المتقدمين، لم يذكروا ذلك، بل شددوا على ضرورة التكليف وهذا ماأقره الإمام الجنيد/ ٢٩٧هـ/ شيخ الصوفية ببغداد، ومن سلك طريقه .

ويقول الدسوقى أيضاً "عليك بالعمل بالشرع، وإياك وشقشقة اللسان بالكلام فى الطريقة دون التخلق - بأخلاق أهلها" (١).

ومن الجدير بالذكر، أن حياة السيد إبراهيم الدسوقى - وسيرته الروحية والعملية نالت إهتمام الصوفية ورواد الطرق المعاصرين له والمتأخرين، ولذلك نجد مؤرخ طبقات السادة الرفاعية، يهتم بسيرة الدسوقى، وحياته العملية كما إهتم بالسيرة الروحية لأقطاب الطرق ومشايخهم المتعددين من أمثال السيد أحمد الرفاعى ٥٧٨هـ، والسيد عبد القادر الجيلانى/٥٦١هـ/ والسيد البدوى/ ٦٧٥ هـ/ وقد أفرد ترجمة كاملة لكل من هؤلاء الأقطاط الأربعة، على إعتبار أن منهجهم ومسلكهم فى التصوف النابع من الكتاب والسنة متصل بسنده، إلى الأوائل من الصوفية، بالإضافة إلى إنتسابهم إلى آل البيت الشريف، فهم إذن سلسلة متصلة الحلقات، تأخذ من معين واحد، وهو الكتاب والسنة النبوية الشريفة(٢).

لقد تفقه السيد إبراهيم الدسوقى، على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه، ثم إقتفى آثار السادة الصوفية. وجلس على مرتبة المشيخة، وحمل الراية البيضاء وعاش من العمر ثلاثاً وأربعين سنة لم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة/ ٦٧٦ هـ/ (٣).

وقد إهتم الباحثون - والمستشرقون، بسيرة هذا القطب الصوفى، وطريقته "البرهامية" فهى طريقة مصرية، تنسب للقطب إبراهيم الدسوقى المصرى ت عام ١٢٧٧م/ ونتج عنها فرعان هما: الشهاوية - ذكرها توفيق البكرى - فى كتابه بيت الصديق (صفحة ٣٨٩) والشرنوبية: لمؤسسها العارف بالله أحمد إبن عثمان الشرنوبى المتوفى عام/ ٩٩٤/ هـ - ٥٨٦/ م .

---

(١) نفس المصدر - ٣٥١ - كذلك عبد الرؤف المناوى - الطبقات - حـ٣ .

(٢) لمزيد من التافصيل يمكن الرجوع إلى: السيد محمد أبى الهدى الرفاعى الخالدى الصيادى - قلادة الجواهر فى ذكر الغوث الرفاعى وأتباعه الأكابر - ص٤٦٢ - ط - بيروت - ١٣٠١ هـ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية - حـ١٥ - ص١٧٨ .

ثم الطريقة التهامية -ذكرها- البكرى فى- بيت الصديق (صحفية ٣٨٤) (١).

وقد تمتع السيد إبراهيم الدسوقى، بسيرة طيبة، فلم تغفله كتابات المستشرقين، بل وإعتبروه إمتداداً حقيقياً لسيرة الصوفية السابقين عليه .

وفى ذلك يقول المستشرق (جون سبنسر ترمنجهام) "أن إبراهيم الدسوقى يعتبر إمتداداً حقيقياً للأقطاب السابقين أمثال: السهروردى (يقصد أبو حفص السهروردى ت عام/ ٦٣٢/ هـ). والرفاعى/ ٥٧٨/ هـ، والبدوى/ ٦٧٥/ هـ وعندئذ فقد وضع أصول طريقته الصوفية، تلك التى عرفت بالطريقة البرهامية التى ظلت حتى القرن الثانى عشر الهجرى (٢).

وقد عرف أتباع طريقته "بالدسوقية" أو الدسوقيين وإن كانت تعرف كذلك "بالرهامية" وهو مأخوذ من لقبه برهان الدين" - مثل "البدوية" ولهذه الطريقة مجموعة من الفروع والأتباع، إنتشرت خارج مصر، فى سوريا، والحجاز. واليمن وحضرموت" (٣).

وقد ذكره الشعرانى فى صدر ترجمته لسيرته الروحانية وحياته الأخلاقية "هو من أجلاء مشايخ الفقراء وأصحاب الخرق، وكان من صدور المقربين، وكان صاحب كرامات ظاهرة، ومقامات فاخرة، ومآثر ظاهرة وبصائر باهرة، وأحوال خارقة، وأنفاس صادقة وهمم عالية، ورتب سنية، ومناظر بهية، وإشارات نورانية، ونفحات روحانية، وأسرار ملكوتية، ومحاضرات قدسية، له المعراج الأعلى فى المعارف، والمنهاج الأسنى فى الحقائق، والطور الأرفع المعالى، والقدم الراسخ فى أحوال النهايات وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وأبرزه رحمة للخلق، وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام وصرفه فى العالم ومكنه فى أحكام الولاية، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وله كلام كثير على لسان أهل الطريق" (٤).

---

(١) J, spencer Trimmingham, The sufi orders in Islam, p, 275 .

(٢) Ibid , pp, 45, 46.

(٣) Ibide , 45, 46.

(٤) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٤٣ .
كذلك وردت ترجمة للسيد إبراهيم الدسوقى القرشى - دائرة المعارف لبطرس البستانى، حيث ذكر عنه أنه من أجلاء مشايخ الفقراء، أصحاب الخرق، وصاحب كرامات ومقامات، وله كلام عال على لسان أهل الطريقة .. نظرنا . بطرس البستانى - دائرة المعارف المجلد الأول - ص٢٤٧ - ط بيروت ١٨٧٦م .

ويبدو أن السيد إبراهيم الدسوقى - دخل طريق التصوف السنى وهو على علم تام بأصوله وجوهره النابع من الكتاب والسنة، وإقتفاء أثر السلف الصالحين، من الزهاد والعباد ومقتدياً بطريقة أولياء الله عز وجل، المخلصين فى سلوكهم وعباداتهم، فجاءت طريقته فى أصولها ومبادئها ومظاهرها، تتفق مع طريقة متصوفة أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين، والمعاصرين له .

وهذا مانستطيع أن نستنبطه من خلال سيرته، وماصدر عنه من أقوال، وأفعال، وأعمال، تزكى طريقته لذلك نجده يقول "من لم يكن متشرعاً متحققاً نظيفاً عفيفاً، شريفاً، فليس من أولادى، ولو كان إبنى لصلبى، وكل من كان من المريدين ملازماً للشريعة والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة والزهد والورع وقلة الطمع فهو ولدى"(١).

وفى موضع آخر يقول "من لم يكن مجتهداً فى بدايته لايفلح له مريد، فإنه إن نام نام مريده، وإن قام مريده، وإن أمر الناس بالعبادة وهو بطال أو توبهم عن الباطل وهو يفعله ضحكوا عليه، ولم يسمعوا منه(٢).

وللسيد إبراهيم الدسوقى، أقوال وعظات، وتربية وسلوك وأخلاق، وكلام فى طريق القوم ممايدل على مدى تمسكه بالكتاب والسنة، والعمل بالفرائض والشرائع الإلهية، فى كتابه "الجوهرة" ممايدل على أن شيخ الطريق لم يكن من أصحاب الدروشة، أو مشايخ الطريق المدروشين، أو السالكين للطريق على غير علم من الكتاب وأصول السنة الشريعة، بل هذا يدل على أن الشيخ الدسوقى، من أولئك الذين إجتباهم الله تعالى إلى طريقه المستقيم، فتحصن فى بداية طريقه بحفظ الكتاب العزيز وأصول السنة الشريفة، متشرعاً ومتفقهاً على المذهب الشافعى، إذ لديه علم بالأصول الدينية، متحققاً بمعانيها، مجاهداً فى سبيل الحق، رغبة للوصول إلى اليقين المعرفى، ذوقاً وحالاً، وإلى جانب إحاطة الدسوقى بالعلوم والمعارف الإلهية، وتبحره فيها، وتحققه منها، فقد كان شاعراً، وناظماً من طراز، شهداء العشق الإلهى. مثل سلطان العاشقين عمر بن الفارض/ ٦٣٢هـ/ أو السيدة رابعة العدوية/ ١٨٥ هـ/ .

---

(١) المصدر السابق - جـ١ - ص١٤٣ - ص١٤٤ .

(١) إبراهيم الدسوقى - الجوهرة - تحقيق وتعليق طه عبد الرؤف سعد ط - مكتبة الكليات الأزهرية - ١٩٧٢م .

ومن الجدير بالذكر أن القطب الدسوقى، ترك بعض المؤلفات، والرسائل فى العلوم الإسلامية والتصوف تذكر من ذلك: كتاب فى الفقه، وكتاب فى الحقائق وله أيضاً كتاب الجوهرة - والرسالة، والأحزاب بالإضافة إلى العديد من الرسائل التى كتبها عنه مريدوه وأتباعه، مستلهمين أصوله فى الطريق الصوفى، بل نجدهم قد تحدثوا بأشعاره ونظمه فى سلوك الطريق، وتوضيح أصوله، مثلما كتب "الشيخ عثمان على أحمد" وهو أحد المتأخرين من أتباع الطريقة البرهامية [(١)].

وسوف نجد أشعار القطب الدسوقى، تفيض بألوان من المحبة والعشق الإلهى، ومزيج من المواجيد والأذواق وماترآئى له من أحوال ومعانى وفيض نورانى فهى تفيض عذوبة وجمالاً، وهياماً بالذات الإلهية وهذا يدل على رقة ألفاظه، وعذوبة معانيه وفيض أشواقه، وصدق مشاعره.

كانت سيرة هذا القطب الولى، مزيج من المجاهدات البدنية والرياضة النفسية، وتهذيب الأخلاق، وتحليل النفس، وفتح الطريق، ووضع أصوله وقواعده طبقاً للأصول الإسلامية، والشرائع الإلهية .

وصدرت عنه كرامات، وفتوحات، وحدث بكثير من الغيبيات مماجرى له فى أحوال الغيب، فضلاً عن كشوفات كثيرة، منها كراماته قبل ميلاده، كالتبشير بظهوره وولايته، وحمايته لأمه من الأشرار فى الطريق وصيامه المهد، وحلج القطن لمريديه، ومواقفه القوية والشديدة تجاه أمراء وسلاطين عصره .. إلخ [(٢)].

وأعتقد أن بعض هذه الكرامات التى إحتشدت بها كتب المؤرخين، يكتنفها الكثير من الفولكلوريات والأساطير والمبالغة الكبيرة، حيث أن بعض هذه الكرامات قد تتعرض لمسائل

---

(١) الشيخ عثمان على أحمد - كتاب تاج الطرق الصوفية على سلك الطريقة البرهامية "فى القصائد والنصائح الدينية" من كلام سيدى إبراهيم الدسوقى، وقد أشرف على طبع هذا الكتاب الشيخ شرف محمد عاشور، شيخ السجادة البرهامية فى العصر الحديث، وعلى نفقة صاحبه ممفيس - القاهرة ١٣٨٢ هـ، ١٩٦٢م .

(٢) أعتقد أن كثيراً مماذكره كتاب الطبقات عن المبالغة فى كرامات هذا الولى الصالح من قبيل الأساطير والفلكلوريات التى تحتشد بها كتب المتأخرين. ومن وضعهم .

غيبية تتصل بالقضاء والقدر الإلهى، وأعتقد أن صاحب الطريقة لم يقرر مثل ذلك، بل، وفى ذلك مبالغة من أتباعه[1]. وهذا من وضع المتأخرين .

ثانياً: أصول الطريقة الصوفية البرهامية:

إهتم الباحثون، وكتاب الطبقات المتأخرين، بالطريقة الصوفية لدى السيد إبراهيم الدسوقى/٦٧٦/ هـ وإن كنا نلاحظ مدى الحشد الهائل من الأساطير التى تدور حول كرامات هذا الولى الصالح، فى كتب رواد التصوف المتأخرين، غير أن مصدر إهتمام الباحثين، والمستشرقين بصفة خاصة بسيرة هذا القطب الصوفى، والتنقيب عن أصول طريقته، ربما يرجع فى المقام الأول إلى الدعائم القوية التى تقوم عليها، ويستند إليها الدسوقى فى الدعوة إلى طريقته، وهى بلا شك تستند إلى أصول من الكتاب والسنة، بالإضافة إلى الوصايا الأخلاقية، ومراعاته القوية لتهذيب السلوك وترويض النفس وتحليلها، بالإضافة إلى ماصدر عن الدسوقى من آراء وماصدر عنه من نظم شعرى، يدور حول كثير من المسائل والقضايا الصوفية التى تحدث عنها أوائل الصوفية، بالإضافة إلى النزعة الفلسفية التى تبدوا منطوية فى رموزه وإشاراته بما يذكرنا - بوحدة الشهود، وغزليات إبن الفارض/ ٦٣٢/هـ، أو الوحدة المطلقة فى رموز عبد الحق بن سبعين/ ٦٦٧هـ/ .

وكذلك ماتردد فى شعره الرمزى من مصطلحات تنطوى على معانى الإتحاد، والوحدة، والتوحد، والعشق، والمحبة، وغير ذلك .

---

(١) هناك كثير من المبالغات والتهويلات، والتى تنسب إلى الأولياء ومشايخ الطرق، ومن ذلك ماينسب للصوفى الكبير إبراهيم الدسوقى، وهذا لاتأخذ به كثيراً فى بحوثنا لما فيها من ضروب المخرقة وخوارق العادات ومن ذلك، ماذكره الشيخ ألشرنوبى/ ٩٤٠هـ/ فى طبقاته وطبعها محمود البلقينى بالقاهرة عام/ ١٢٨٠هـ/ وما فيها من تهاويل عن الدسوقى كقوله أنه كان بمقداره أن يمسك بالملائكة وهو فى السنة الأولى، أو أنه كان يعلم الجن القرآن فى السنة الثانية من عمره - كذلك وردت تهويلات من هذا القبيل فى الخطط التوفيقية لعلى مبارك - حـ١١ ط بولاق ١٣٠٥ هـ منها إدعاء الدسوقى أن أمر أت يلبس الأولياء المخرقة، وأنه أصدر أوامره للملائكة فأطاعوه .. إلخ - دائرة المعارف الإسلامية - حـ٩ - ص٣٣٨ .

وعلى ذلك نستطيع، أن نستنتج بعض العناصر التى تمتزج بالمواجيد والأذاق الروحية، عند الدسوقى، ممايدل على تميزه عن أصحاب الطرق فى عصره وفى العصور المتأخرة .

وعلى ذلك، فإن الطريقة عند السيد إبراهيم الدسوقى القرشى تقوم على دعائم من العلم النظرى، والعلم العملى.

وقد ضمن الدسوقى أصول طريقته، فى بعض كتبه ومؤلفاته التى عثرنا عليها، منها كتاب "الجوهرة" والرسلة والحقائق، وكتاب آخر له فى علم الفقه، بالإضافة إلى ماتردد عنه فى كتب الطبقات. والمؤرخين المتأخرين .

وقد جمع الدسوقى فى كتابه "الجوهرة"(١) بين العلم العملى، والنظر الفلسفى، والذوق الوجدانى، مع تأكيده فى كل مناسبة على ضرورة إتباع شريعة الله تعالى، والإخلاص للدين. والقرآن ولذلك، فإن الباحثين من المستشرقين يوضحون أن السيد إبراهيم الدسوقى، كان يحث على التمسك بالزألاق والدين والأخذ بمذهب أهل السنة(٢) .

وعلى ذلك فإن الدسوقى، يجمع فى طريقته بين الشريعة والحقيقة يقول الدسوقى "الشريعة أصل والحقيقة فرع فالشريعة جامعة لكل مشروع، والحقيقة جامعة لكل علم خفى، وجميع المقامات مندرجة فيهما، ولذلك يجب على المريد أن يأخذ من العلم مايجب عليه فى تأديته فرضه ونفله، ولايشتغل بالفصاحة والبلاغة، فإن ذلك شكل له عن مراده، بل يفصح على آثار الصالحين فى العمل، ويواظب على الذكر."(٣).

ثم يؤكد الدسوقى لمريديه ضرورة سلوك الطريق على الكتاب والسنة بقوله "من كان من أولادى، كان متشرعاً متحققاً، نظيفاً عفيفاً شرعه الكتاب العزيز قال الله تعالى "إن أكرمكم

---

(١) توجد منه نسخة خطية بدار الكتب الكتب بالقهرة، ضمن مجموعة فى مجلد ويرجع تاريخ نسخها إلى عام ١٢٩٠ هـ كذلك نسخة خطية بمكتبة الأزهر ترجع إلى عام ١١٠٩هـ/ وتوجد نسخة مطبوعة - ط - حجر (١٩٩) صفحة وعنوانها كتاب منير من كلام القطب الكبير إبراهيم الدسوقى .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - حـ٩ - ص٢٨٣ .

(٣) إبراهيم الدسوقى - الجوهرة - ص٢٠، تحقيق طه عبد الرؤف سعد كذلك - الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٤٤ .

عند الله أتقاكم" سورة الحجرات (١٣) فمن كان ملازماً للشريعة والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة وقلة الطمع والزهد والورع والإشتغال بالله تعالى، وإتباع المختار بالأسحار .. فهو من أتباع الدسوقى (١).

ثم يرشد الدسوقى أصحابه، إلى أصول الطريقة ومنابعها الأساسية يقول "إن أسلك طريق النسك على حكم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج إلى بيت الله الحرام، والإشتغال بذكر الله تعالى والطهارة والتوجه والعمل" (٢).

ومن ناحية أخرى يوضح "أن الشريعة هى الشرعة، والمنهاج هو الملة الحقيقية، والشريعة المحمدية هى الشريعة الظاهرة الخالصة المخلصة النقية المروية عن الله تعالى" (٣).

ومنهج الدسوقى فى الجمع بين الشريعة والحقيقة يقوم على العلم والعمل معاً، لذلك يقول "عليك بالعمل، وإياك وشقشقة اللسان بالكلام فى الطريق دون التخلق بأخلاق أهلها، فاحكموا الحقيقة والشريعة، ولاتفرطوا، إن أرتم أن تكونوا يقتدى بكم وما سميت حقيقة إلا لكونها الأمر بالأعمال وتنتج الحقائق من بحر الشريعة" .

والعلم عنده مجموع كله فى حرفين، أن تعرف العبودية وتعبده فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة، والعلم إبن العمل، وقد يجمع الله تعالى العلم والعمل فى رجل واحد يفيد الناس كل الفوئد، فالشريعة هى الشجرة، والحقيقة هى الثمرة" (٤).

ويبين إبراهيم الدسوقى، أصول طريقته وقواعدها الأخلاقية الشرعية التى تشكل دعائمها. بالإضافة إلى ماسبق فيقول "واعلم ياولدى أن طريقتنا هذه طريق تحقيق وتصديق، وجهد وعمل، وتنزه وغض بصر، وطهارة يد وفرج ولسان، فمن خالف شيئاً من أفعالها رفضته الطريق طوعاً أو كرهاً، ثم يقول، ياحامل القرآن لاتفرح بحمله حتى تنظر هل عملت به أم لا؟".

---

(١) إبراهيم الدسوقى - الجوهرة - ص٢١ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٤٥ .

(٣) نفس المصدر السابق - ص٨٠ .

(٤) راجع - المصدرالسابق - أماكن متفرقة، كذلك عبد الوهاب الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٤٦ .

ياولدى. مابنيت طريقتنا إلا على التيار والنار، والبحر والهواء والجوع والإصفرار، وماهى بمشدقتك ولابالفشار دعنى فما وجدت من أولادى واحداً إقتفى أثار الرجال، ولاصلح أن يكوم محلاً للأسرار، فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم من هذا الزمان الغدار (١).

ويبدو أن القرن السابع الهجرى، كما ذكر الدسوقى، شهد تيارات معارضة للطريق الصوفى، وإنكار على سلوك أصحاب الطرق ومشايخ الصوفية بالإضافة إلى مارآه الدسوقى من تواكل وعدم إخلاص للطريق من جانب بعض المريدين .

لذلك نجده يتشدد فى ضرورة التمسك بأصول الكتاب والسنة، ويؤكد على ضرورة الجمع بين الحقيقة والشريعة، أو العلم والعمل، ويبدو أن الدسوقى، قد فطن إلى الداء الذى إستشرى بين الخلق من الناس فى عصره، والمخالفات التى إرتكبها بعض دعاة التصوف ومريدى الطريق، فأعطى إرشادات إلى مريديه موضحاً أصول طريقته الشرعية وقواعدها الأخلاقية، فقال "ياولدى إلزم أولاً طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، المرضية الزاهرة الباهرة، التى نورها جلا الظلم، وأثارها بطاح مكة والمدينة والشام والعراق ومصر واليمن والمشرق والمغرب، فإذا عملت بها إنقدح لك منها علم الحقائق والأسرار، فاسلك ياأخى علم التدريج شيئاً بعد شئ والله يحفظك إن صدقت.

إن أهل الشريعة يبطلون الصلاة باللحن الفاحش، وأهل الحقيقة يبطلون الصلاة بالخلق الفاحش، فإذا كان فى باطنك حقداً أو حسداً. أو سوء ظن بأحد، أو محبة للدنيا، فصلاتك باطلة لأن أهل هذه الأخلاق فى حجاب عن شهود عظمة الله تعالى فى الصلاة. ومن كان قلبه محجوباً فما صلى، لأن الصلاة صلة بالله تعالى (٢).

ثم يقول أيضاً "ياولد قلبى تجنب معاشرة أولى الأقوال والجدال، ولاتتخذ أحداً منهم صاحباً، وجالس من جمع بين الشريعة والحقيقة، فإن أعون لك على سلوكك، أخلص الرزق لله تعالى، وأجعل وأعظك من قلبك، وكن عاملاً ولاتلتمس لأحد درهماً، فإن هذه طريقى ومن أحبنى سلك معى فيها .." (٣).

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - ص١٤٨ - ١٥١ .

(٢) نفس المصدر - ص١٥٣ .

(٣) المصدر السابق - ص١٥٣ .

وفى ختام كلماته يقول "من أحب أن يكون ولدى فليحبس نفسه فى قمقم الشريعة، وليختم عليها بخاتم الحقيقة، وليقتلها بسيف المجاهدة وتجرع المرارات[1] ورأى أن القدح فى صاحب الطريق لايكون ولايصح الا إذا كان مخالفا لصريح الكتاب والسنة اختباراً[2] .

ثالثا: التصوف تربية أخلاقية وطهارة للباطن وتهذيب للسلوك:-

التصوف عند السيد ابراهيم الدسوقى، طريق إلى طلب القرب من الله تعالى، وابتغاء مرضاته وثوابه، وذلك بإتباع كتاب الله تعالى وسنة الرسول الكريم ﷺ قولا وفعلا وعملا، أخلاقا وسلوكاً[3] وعلى ذلك فانه ينظر الى التصوف من حيث مؤداه وفوائده، وليس من حيث مظهره، لذلك نجده فى تعريفه للتصوف والصوفى يعنى بالمخبر دون المظهر والشكل.

يقول الدسوقى رضى الله عنه فى تعريفه للتصوف "ليس التصوف لبس الصوف، وإنما الصوف من بعض شعار التصوف، فإن رقيق التصوف رقيق صفاته، ورونق بهجة ترقية، ولايحصل إلا بالتدرج، فإذا وصل الصوفى إلى حقيقة التصوف المعنوى، لايرضى بلبس ماخشن، لأنه وصل إلى مقامات ألطافه، وخرج عن مقامات الرعونه، وعاد ظاهرة الحس فى باطنه الألى، واجتمع بعد فرقة، وقذف فيه جذوة نار الإحتراق، فعاد الماء يحرقه والثلج والبرد يقوى حزامه، والقميص الرقيق لايستطيع حمله - للطاقة سره وزوال كثافته. بخلاف المريد فى بدايته يلبس الخشن، ويأكل الخشن، ليؤدب نفسه، لتخضع لمولاها، ويحصل لصاحبها تمهيد المقامات التى يترقى إليها، فكلما رق الحجاب ثقلت الثياب."[4].

ويبدو أن الدسوقى، يسلك فى ذلك مسلك الإمام أبو الحسن الشاذلى ٦٥٦/ هـ. فكما عرضنا موقف الشاذلى من التصوف ومفهوم التصوف كطريقه وسلوك إلى الله تعالى، ليس بالمظهر والشكل، بل بما سكن بقلوب العباد من زهد وتقوى وإخلاص وعباده، واتضح ذلك فى سيرته رضى الله عنه.

---

(١) نفس المصدر - ص١٥٦.

(٢) المصدر السابق - ص ١٥٠ - الدسوقى الجوهرة - أماكن متفرقة .

(٣) إبراهيم الدسوقى الجوهرة - ص ٦٣- ص٦٥.

(٤) الشعرانى الطبقات الكبرى - جـ١ - ص١٤٩.

فلم يحرم على نفسه الطيب من الطعام، أو الشراب، كذلك الثياب النظيفة، وقد أوصى الشاذلى أصحابه بذلك، إذن فهناك إلتقاء بين الدسوقى، والإمام الشاذلى فى إعتبار طريق التصوف، سلوك الى الله تعالى وإتباع لسنة رسوله الكريم، والإعتناء بتطهير الباطن، وملائمة الظواهر، وتذكر المصادر.. أن السيد ابراهيم الدسوقى تلقى الطريق فى بداية حياته عن نجم الدين البكرى، نور الدين الطوسى وأنه أخذ الطريقة الشاذلية عن والده، الذى لقى سيدى أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه[١].

وإذا كان مقصود الطريق الصوفى، علم وعمل، وتهذيب النفس وتربية للأخلاق، وأصلاح البواطن، فهو أيضا طهارة للنفس، يخلوها من الأنام، والشكوك.

بل وتحليتها بخصائص الإيمان، وسلامة القلب والوجدان، وإلباسها ثوب الإخلاص، والصدق والخوف والورع..

لذلك يذهب الدسوقى، فى توضيح مفاهيم السلوك الصحيح فى التصوف، دون رياء، أو نفاق، فيقول: "من لم ينخلع من طوره، ويخرج عن نفسه ويأتى هو بلاهو لايجد عند ذلك هو، وقد بالغت لكم جهدى فى النصح، فان إتبعتم أفلحتم، ياولدى ألبس قميص الفقر (يقصد الطريق الصوفى)، النظيف الطريف، ماالأمر بلبس الثياب ولابسكنى القباب والخانقات ولابالزاويات ولابلبس العبايات، ولابلبس القباء ولابالأزرق وحف الشوارب، ولايلبس الصوف، ولابالنعل المخصوف وإنما الفقر أن تخلص عملك كله فى قلبك وتلبس ثوب صدق عينيك، وتحتزم بحزم إيمانك، فإذا كان عملك كافى فى قلبك كان فى ذا فائدة وربحاً، وأخرم نار القلب وأحترق الحشى، وإملاء القلب خوفاً من الله تعالى، ومحبة له، فمارقيق الثياب حينئذ وماأخشنها .. إلخ[٢].

وإذا كان ذلك كذلك، فإن قيام الطريق، وأساسه عند الدسوقى طهارة الباطن، وإخلاص القلب، وتهذيب الأخلاق وتربية السلوك وفى ذلك بقول الدسوقى "إن أردت أن تجتمع على ربك

---

(١) نظرنا: دائرة المعارف الإسلامية - جـ٩- ص٢٨٣- وما بعدها، كذلك- الدسوقى- الجوهرة - "المقدسة" تعليقه طه عبد الرؤف سعد - ص ٦.

(٢) المصدر السابق - ص١٥٥ .

فطهر باطنك، وضميرك من الخبث والنبة الردية، والإضمار بالسوء لأحد من خلق الله عز وجل"(١).

ويوضح الدسوقى مقصوده من ذلك بقوله "إذا إدعيت المشيخة وعصيت ربك قال لك أف لك أما تستحى؟ أين دعواك القرب منا؟ أين غسلك أثوابك المدنسة لمجالستنا؟ كم توعى فى بطنك من الحرام؟ وكم تنقل أقدامك إلى الآثام؟ كم تنام وأحبابى قد صفوا الأقدام؟.. أنت مدع كذاب، ياولدى: أنا شدكم الله تعالى لاتسوؤا طريقى، ولاتلعبوا فى تحقيقى ولاتدلسوا ولاتلبسوا، وأخلصوا" ويقول أيضاً "إذا كنت تصوم الدهر، وتقوم الليل، ولك سريرة ظاهرة، ومعاملة خالصة، فلا تدع وتقول، إلا أنك عاص مفلس لاغير، فاحذر من غرور النفس وزورها فكم تلف من ذلك فقير"(٢) فليس من تزى بزى القوم ينفعه زيه أو درجته أو خرقته. فإن هذه أمور ظاهرة، والقوم إنما عملهم جوانى، إذ بذلك يرقون إلى مراقى درجة الرجال" ويقول أيضاً "إذا طلبتم أن تغتابوا أحداً فاغتابوا والديكم فإنهما أحق بحسانتكم من غيرهما(٣) إن الله يطلع على قلوب عباده فى اليوم والليلة إثنتين وسبعين مرة، فتصفوا، ياأولادى محل نظر ربكم، وإجعلوه طاهراً مطهراً حسناً نقياً زاهراً نيراً صادقاً خاصاً لترتع فى الرياض بالقرب ويظهر فيها النور" ويقول أيضاً "إشتغل بنفسك عن القيل والقال، ولاتلتفت قط إلى صحبة من يتكرم بضياع أوقاته وأنفاسه فى الغفلات، فإن صحبته هلاك لك"(٤).

إذن فمن أسس الطريق الصوفى عند الدسوقى - تربية النفس وتهذيب السلوك، بطهارة الباطن من الغيبة والصفات الرديئة، وملائمة الظاهر للباطن، والإخلاص فى العمل، وصدق الإيمان، ونقاء السريرة، وتطهير الظاهر والباطن من الدنس، وعدم الغرور بالنفس.. وهكذا .

ومن الجدير بالذكر أن الدسوقى، يستند فى كل نصيحة أو إرشاد إلى نصوص الكتاب، وأحاديث من السنة الشريفة(٥).

وهذا بلاشك ماكان عليه صوفية أهل السنة الأوائل .

---

(١) نفس المصدر - ص١٤٨ .

(٢) المصدر السابق - ص١٤٨ ، ص١٥٤ .

(٣) يتهكم الدسوقى على بعض الفقراء الذين يغتابون غيرهم، وفى هذا السلوك خروج على أوامر الشريعة، ويوجه هؤلاء إلى توجيه هذا الإغتياب إلى والديهم إذا كان فى ذلك حسنة؟

(٤) المصدر السابق - ص١٥٤ - الجوهرة - ص٦٧ .

(٥) راجع - الدسوقى - الجوهرة - أماكن متفرقة .

رابعاً: المقامات والأحوال : -

للدسوقى مقامات، هى معارج الوصول، فى طريق السلوك إلى رحاب الحضرة الإلهية، والقرب من الله تعالى، سلكها الدسوقى، فأثمرت أحولاً، ومواجيداً وأذواقاً وردت بمعان ودلالات روحانية، وإشراقات باطنية، وهذه بلاشك مجاهدات، ورياضات نفسية لكن يبدو أن الدسوقى، لايقتنع بمظاهر المبتدئين فى المقامات إذ أن للمقامات خصائص وإلتزامات، وهى مجاهدات وشعور وصدق وإخلاص، ولهذا ينبه المريدين والمبتدئين إلى خواصها ولوازمها وماهيتها .

يقول فى ذلك "إذا كان المقتدى بالشرائع والكتاب واقفاً بين الأمر والنهى، كان فتحة حقيقياً حتى يفك به كل مشكل، ويحل به كل طلسم ويعرف به كل مبهم، وأما إذا كان فتحة حفظ كلام وترتيب وصف مقامات، فذلك ليس بفتح، وإنما هو حجاب له عن إدراك، وعن مشاهدة علوم الحق، فليس من وصف كمن عرف، وحمل ونطق بلسان العرفان وكم من حملته العناية حتى شاهدوا مع ذلك فلو سئل عن وصف المقامات ماوصفها، ومقصودى لجميع أولادى أن يكونوا ذائقين لاواصفين، "أن يأخذوا العلوم من معادنها الربانية لامن الصدور والطروس، فإن القوم إنما تكلموا عما ذاقوا، وقلوبهم كانت ملآة بعطاء الله تعالى ومواهبه، ياأولادى فليكن كلامكم عن حاصل ومحصول، وإذا قام أحدكم بالأوامر الدينية وصدق فى العمل ترجم لسانه بالفوائد التى أثمرت من صدقه وكل من إدعى الصدق والإخلاص ولم يحصل عنده ثمرة الأدب والتواضع فهو كاذب، وعمله رياء وسمعة لايثمر له إلا الكبر والعجب والنفاق وسوء الأخلاق شاء أم أبى[1].

والمقامات عند الدسوقى - درجات يترقى فيها المريد من درجة أدنى إلى درجة أعلى - ومن حال إلى أعلى[2].

ومن الجدير بالذكر، أنه قد تحدث عن أنواع - المقامات التى يترقى فيها السالك إلى الله تعالى .. من ذلك ..

---

(١) المصدر السابق - أماكن متفرقة - الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٤٩ .

(٢) المصدر السابق - ص١٤٩ .

أ - المجاهدة :

يقول الدسوقى "أول الطريق الخروج عن النفس والتلف والضيق والحظ، فإن الفلاح والنجاح والصلاح والهدى والأرباح لاتصح إلالمن ترك الحظ، وقابل الأذى والشر بالإحتمال والخير ووسع خلقه" .

وبعد مجاهدة النفس، وتحمل الأذى.. يضيف الدسوقى إلى ذلك مجاهدة إبليس، يقول "إياك ياولدى أن تقبل فتوى إبليس لك فى الرخص فتعمل بها بعد عملك بالعزائم فإنه يأمرك بالغى والبغى فى حجة رخصة الشرع لاسيما إن أوقعك فى محظور، فإن الله تعالى ماأمرك إلا بإتباع نبيه ﷺ وقد نهاك عن كل شئ يؤذيك فى الدنيا والأخرة" ويتفق الدسوقى مع مقولة إبى الحسن الشاذلى ٦٥٦ هـ فى قوله "إحذر أن يكون إبليس أعلى منك فى الأدب مع الله تعالى لأنه لم ينازع صفات الله، وفى مجاهدات الملذات والشهوات يقول الدسوقى "قوت المبتدئ الجوع، ومطره الدموع، ووطره الرجوع، يصوم حتى يرق ويلين وتدخل الرقة قلبه وتتفتح مسامعه، ويزول الوقر من سمعه، فيسمع بأذن وقلب كلام القرآن ومواعظه، وأما من أكل ونام ولغا فى الكلام وترخص وقال ليس على فاعل ذلك ملام فإنه لايجئ منه شئ" فإذا صح للفقير هذا، فهناك لايصلح للرقى فى المقامات[1].

ب - الخـــــوف :

يقول الدسوقى "إن الله عز وجل يحب من عباده أخوفهم منه، وأطهرهم قلباً وفرجاً، ولساناً ويداً، وأعفهم وأغناهم وأكرمهم وأكثرهم ذكراً .

جـ - المحبة والتسليم :

يقول الدسوقى "طوبى لمن وصل إلى حال تقرب العباد من الله تعالى، ثم وقف يدعوهم إليها، فكونوا داعين الله تعالى، بإذن الله تعالى، فإن رأسمال المريد الصادق المحبة والتسليم، وإلقاء عصا المعاندة، والمخالفة والسكون تحت مراد شيخه وأمره، فإذا كان المريد كل يوم فى زيادة محبة وتسليم، سلم من القطع، فإن عوارض الطريق، وعقبات الإلتفات والإرادات هى التى

---

(١) المصدر السابق - ص١٤٥، ص١٤٨، ص١٥١ .

كذلك - الدسوقى الجوهرة - ص٥٦ - كذلك نظرنا - الشعرانى الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية - بهامش الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٤٤ .

تقطع عن الإمداد، وتحجب عن الوصول والمحبة عنده فناء المحب." فكل من إدعى الحب ولم يقتله الحب فهو لاشئ" (١).

د - الصدق والورع :

يقول الدسوقي "إذا صدق الفقير في الإقبال على الله تعالى، إنقلبت له الأضداد فعاد من كان يبغضه يحبه، ومن كان يقاطعه يواصله، ومن كان لايشتهيه

يثني عليه، ولايكرهه إلا مجرم أو منافق" وماقطع مريد ورده يوماً إلا قطع الله تعالى عنه المدد في ذلك اليوم" .

ولاشك أن هذا هو ثمرة الصدق، متضمناً معناه عند الدسوقي أما الورع، فيتصل بالعبادة والقيام بها، فتصبح عميقة في القلب يقول الدسوقي في علامات الورع "القيام في الأسحار ولزوم الإستغفار، فيكشف الله تعالى للمريد عن الأنوار.. ثم يقول "لايكون الرجل غواصاً في الطريق حتى يفر من قلبه وسره بعمله وهمه وفكره وكل مايخطر بباله وماهو غير ربه، ثم يقول: "لايزف الولي إلى ربه حتى يترك الوقوف مع سواه من مقام أو درجة" (٢).

هـ - المراقبة :

يقول الدسوقي "المراقب لايتفرغ لطلب المكاسب"، ثم يوصي مريديه بضرورة الإشتغال بالمراقبة - يقول "تصفوا ياأولادي" ثم يخاطب أحدهم "ياولدي، أنقش على صحيفة صفحة لوح خدك توراة درسك، وإنجيل فهمك ومزامير ذكرك وزبور صفحاتك وفرقان تفريقك، ومجموع جمعك وأشتغل بأفنان حضورك ومراقبة رقيبك، وإشتغل بنفسك عن القيل والقال .." (٣).

و - الزهـــد :

يقول الدسوقي "الفقير الصادق هو الذي يطعم ولايطعم، ويعطي ولايعطى، ولايلتمس الدنيا ولاشيئاً من عروضها، فإن الرشا في الطريق حرام، والشيخ الصادق هو الذي يبايع الله تعالى أن لايأخذ لأحد فلساً ولادرهماً، ويأمر بذلك لالغرض دنيوي ولالأثاث، وهو الذي يريد

---

(١) الشعراني - الطبقات الكبرى - حـ١ص١٤٥، ص١٤٧ - ص١٥٥ .
كذلك - الجوهرة - أماكن متفرقة .
(٢) المصدر السابق - ص١٤٧ - ص١٤٨ .
(٣) نفس المصدر - ص١٥٤ .

سلامة الذمة من الخلل فى نصح الإخوان" ويعرف الدسوقى الزهد فى طريقته يقول "ليس الزهد خروج العبد عن الشئ، وإنما الزهد أن يكون الزهد داخلاً فى إمارته، أو صنعته، وقلبه خارج حائل ذاكر فاكر حائر مجاهد مرابط محمول الذاكرت مشتغلاً بذكر الله تعالى" (١).

هذه بعض المقامات التى ذكرها السيد إبراهيم الدسوقى فى الجوهرة وماورد فى كتب الطبقات والمؤرخين، وهو يتدرج فى ذلك ضمن طرق صوفية أهل السنة، ويعتبر أن إخلاص المريد فى مقامه يرقيه إلى مقام أعلى، فتصير أحوالاً وكشوفات روحانية نورانية .

وهو يحب فى مريده الإجتهاد، والإخلاص والصدق فى مقامه ليترقى فى كل ساعة من مقام إلى مقام" .

ولما كانت المقامات، تثمر أحوالاً عند الصوفية، فقد أشار إلى ذلك الدسوقى، فوصف أحوال القوم والسالكين، وماينكشف لهم من أمور وعان ومايلقن إليهم من هبات من علوم الحقائق. وقد تبدوا أحوالهم على أنواع شتى، ممايجعل غيرهم ينكر عليهم، أو يذم طريقتهم. يقول الدسوقى "أعلم ياولدى أن ألسن القوم إذا دخلوا الحضرات مختلفة، وفى إشارتهم وكلماتهم مايفهم ومنها مالا يفهم وكذلك من أحوالهم مايعبر عنه ومنها مالا يعبر، وكذلك فى أسرارهم مالا يصل إليه مؤول ولامعبر ولامطلع ولامفسر، لأن أسرارهم موضع سر الله تعالى، وقد عجز القوم عن معرفة أسرار الله تعالى فى أنفسهم، فكيف فى غيرهم، فيجب عليك ياولدى التسليم لله تعالى فى أمر القوم، وحسن الظن بهم لاغير" ثم يصف أحوال القوم بأنهم "تارة يتكلمون بلسان التمزيق، وتارة بلسان التحقيق بحسب الحضرات التى يدخلونها" (٢).

والأحوال أذواق ومواجيد.. يقول الدسوقى "ياولدى إن لم تذق حال القوم، ولاتمزقت ولادخلت حضراتهم فمن أين لك أنهم على ضلال، أفتعوم ياولدى فى البحر ولست بعوام، ثم إذا غرقت فقد مت ميتة الجاهلية" (٣).

ثم يوصى تلامذته ومريديه - بالإستغراق فى المواجيد والأذواق حتى تصل بهم إلى كشوفات وروحانيات - وهبات من عند الله تعالى يقول "ومقصودى لجميع أولادى أن يكونوا

---

(١) نفس المصدر - ص١٥٢ - ص١٥٣ .

(٢) الدسوقى - الجوهرة - أماكن متفرقة - كذلك الشعرانى الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٤٧ .

(٣) نفس المصدر - ص١٤٧ .

ذائقين، لاواصفين، وأن يأخذوا العلوم من معادنها الربانية لا من الصدور والطروس، فإن القوم إنما تكلموا عما ذاقوا وقلوبهم كانت ملآنة بعطاء الله تعالى ومواهبه ففاضت منها قطرات من ماء الحياة التى فيها، فانفجرت علومهم عن عين عين عين عين عن حاصل ماء الحياة" (١).

ويبدو أن القوم من الفقراء أو الصوفية - أهل الطريق - قد تعرضوا لكثير من الإضطهاد، والإعتراض عليهم فى أحوالهم وسلوك مقاماتهم، وقد أدرك ذلك السيد إبراهيم الدسوقى، فأشار إليه موضحاً حال القوم، وماوهبهم الله تعالى لإخلاصهم وشدة تقواهم من هبات وعطايات، لايدريها غيرهم بقوله "ياولدى فى القرن السابع يجعلون شريعة السالك قدحاً فى الشريعة، وحقيقة المحبة بدعاً فى الطريق، كأنهم ماعلموا قط عطاء الله تعالى، ومواهبهم مدد الله وخوارق عجائبه، بل رأوا من سوء حالهم أن باب العطاء قد أغلق. فمن إعتقد ذلك فإنما هو معترض على الله تعالى فى فعله، ونعوذ بالله من التعرض، فإنه لأهل حضرته تعالى من التمييز عن المعترضين ليشتاق المعرضون إليها حين يرون الخوارق تقع على يد أوليائه، فما أجهل من جهل قدر الفقراء، وقيل للجنيد (شيخ الطائفة ببغداد/ ٢٩٧/ هـ) أن قوماً يتواجدون، ويتمايلون، قال دعهم مع الله تعالى يفرحون ولاننكر إلا على العصيان المصرح به فى الشريعة، أما هؤلاء القوم فقد قطعت الطريق أكبادهم، ومزق التعب والنصب أمعائهم، وضاقوا ذرعاً، فلا حرج عليهم إنما تنفسوا مداواة لحالهم، ولو ذقت ياأخى مذاقهم لعذرتهم فى صياحهم، وشق ثيابهم، والله تعالى يلهم أولادى سلوك سبيل الرشد" (٢) .

ولاشك أن الدسوقى يربط بين حدوث الحال، وظهور الكرامات أو الخوارق التى هى عطايا الهيه، وبين التمسك الشديد بأصول الكتاب والسنة، والإقرار بظواهر الشريعة دون انقاص أو إنكار لجزء منها، فعلى قدر استقامة الصوفى سالك الطريق فى الدين، والتماسه الصراط المستقيم، تكون العطايا والمعارف الإلهية، هبة له من عند الله تعالى.

---

(١) المصدر السابق - ص١٤٩ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص١٥٠ - ١٥١ .

أن يقيد الحقيقة بالشريعة ويؤكد صلة الشريعة بالحقيقة وأنه لاقوام للمريد، ولاوصول . دون اتباع الكتاب والسنة، والعمل بالشرائع (١).

ويشير الدسوقى الى مسألة هامة فى هذا المجال - وهى أن بعض السالكين قد يغيب بقلبه فى حضرة ربه، فيهمل بعض الفرائض، وهذا ما يؤخذ على القوم من أهل الطريق، لكنه ينبه إلى ذلك ويقول "من غاب بقلبه فى حضرة ربه لايكلف فى غيبته، فإذا اخرج الى عالم الشهادة قضى مافاته ، وهذا حال المبتدئين، أما حال الكمل فلا يجرى عليهم هذا الحكم، بل يردون لآداء فرضهم وسنتهم ومن لم يكن متشرعا متحققا نظيفا عفيفا شريفا فليس من أولادى، ولو كان ابنى لصلبى" (٢).

وربما استغل بعض دعاة التصوف، المتأخرين، هذه المظاهر وأهملوا التكاليف، وهذا مما لانوافق عليه. غير أن الدسوقى كان حذرا فى تصوير أحوالهم كما ذكرنا.

خامسا: الخرقة والعهد ، المريد والشيخ :

بعد أن وضح الدسوقى، أصول الطريقة "البرهامية الدسوقية" وحددمعالمها الأساسية ، فإنه يضيف الى ذلك نظامها ومظاهرها وكيفية الدخول فيها، فتحدث عن طريقة أخذ العهد وعلاقة المريد بشيخه ولبس خرقة الطريق. يقول الدسوقى "والله لو هاجر الناس مهاجرة صحيحة ودخلوا تحت الأوامر لاستغنوا عن الأشياخ، ولكن جاؤا الى الطريق بعلل وأمراض فاحتاجوا الي حكم " هذا فيما يتعلق بضرورة الشيخ بالنسبة للمريد، أما طريقة أخذ العهد فهى"أن يقول الشيخ للفقير أو المريد" يافلان أسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج الى بيت الله الحرام، واتباع جميع الأوامر المشروعة والأخبار المرضية والإشتغال بطاعة الله تعالى قولا وفعلا واعتقاداً، ولا تنظر ياولدى إلى زخارف الدنيا ومطاياها، وملابسها وقماشها ورياشها وحظوظها، واتبع نبيك محمد

---

(١) لمزيد من التفاصيل - الدسوقى - الجوهرة - اماكن متفرقة كذلك - عبد التواب عبد العزيز - ابراهيم الدسوقى وأولياء الله الصالحين - ص٦٣-ص٦٤ ومابعدها .

(٢) الشعرانى - الطبقات الكبرى - ص١٤٣- كذلك بطرس البستانى- دائرة المعارف - المجلد الأول - ص٢٤٧.

ﷺ في أخلاقه فإن لم تستطع فاتبع خلق شيخك، فإن نزلت عن ذلك هلكت، وأعلم أن التوبة ماهى بكتابه درج، ولا هى كلام من غير عمل، إنما التوبة العزم على ارتكاب ما ألموت دونه صف أقدامك ياولدى فى جندس الليل البهيم، ولا تكن ممن يشتغل بالبطالة، ويزعم أنه من أهل الطريقة، ومن أستهزأ بالأشياء أستهزأت به، والسلام"(١) .

ولاشك أن علاقة المريد بشيخه، هى علاقة التلميذ بأستاذه حيث يكون الشيخ له ناصحا، مرشدا، مهذبا لأخلاقه، ومصفيا، لنزعاته وشهواته، وعلى المريد أن يستسلم لأمر شيخه ويأخذ بوصاياه وإرشاداته دون معارضة أو تكاسل، وهذا ما يبينه الدسوقى فيقول "المريد مع شيخه على صورة الميت لاحركة ولاكلام، ولا يقدر أن يتحدث بين يديه الا بإذنه، ولايعمل شيئا إلا بإذنه من زواج أو سفر أوخروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم أو قرآن أو ذكر أو خدمة فى الزاوية، وهكذا كانت طريقة السلف والخلف مع أشياخهم، فإن الشيخ هو والد السر ويجب على الولد عدم العقوق لوالده، فعليك ياولدى بالطاعة لوالدك، وقدمه على والد الجسم، فإن والد السر أنفع من والد الظهر، لأنه يأخذ الولد قطعة حديد جامدة فيسبكه ويذيبه ويقطره ويلقى عليه من سر الصنعة سرا فيجعله ذهبا ابرزا فاسمع ياولدى إذ أن كثيراً من الفقراء صحبوا أشياخهم ولم ينتفعوا حتى ماتوا لعدم الأدب، وبعضهم مقتوا. آه صدود الرجال، وصحبة الأضداد ومن المريد للمحال.(٢)

أما الخلوه ولبس الخرقة ولذلك مميزات وشروط وخصائص، لاتصلح إلا لمن هو أهل لها ومن أهلها ولمن ينظر اليهم الشيخ فيجد لديهم استعداداً وقطرة لقبولها.

يقول الدسوقى" لاتفيد الخلوة إلا إن كانت بإشارة شيخ، وإلا ففسادها أكثر من صلاحها، ولايحق لك أن تأمر غيرك إلا أن كانت الشريعة تزكيك يوقوفك على حدودها، فالجسد ثلاثة أقسام، قلب ولسان، وأعضاء. فاللسان والإعضاء وكل بهم ملائكة، والقلب تولاه الله تعالى" (٣).

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - ص١٥١.

(٢) المصدر السابق - ص١٥٧.

(٣) نفس المصدر - ص١٥٣- ذكر الدسوقى فى الجوهرة - ص٣٢: "أنه استخار الله تعالى فى أن الولد يلبس الخرقة النظيفة الخفيفة على كتاب الله. تعالى وسنة رسوله ﷺ والعمل بأركان العبادات والإسلام وأن الرسول جاء بالشريعة البيضاء وأنها ناسخة لجميع الشرائع السابقة .

وإذا كان ذلك كذلك، فإن الخرقة لاتصلح إلا لمن تاب وصدق فى توبته، وأخلص فى عمله، وكان متجها إلى الله تعالى بالكلية لاتنازعه الشهوات، أو اللذات، ولايفتر بحياة الدنيا.

وعندما جاء فقير يطلب أن يلبس الخرقة من الشيخ نظر إليه الدسوقى وقال "ياولدى اتلبس فى الأمور ماهو جيد، لايصلح لبس الخرقة إلا لمن درسته الأيام، وقطعته الطريقة بجهدها وأخلص فى معاملته، وقرأ معانى رموز القوم، ونظر فى أخبارهم، وعرف مقصودهم فى سائر حركاتهم وسكناتهم وأسفارهم، وخلواتهم وجلواتهم، فإن كنت صادقا فلاتكن مجانا ولالعابا، فما الأمر أن يقول العبد تبت إلى الله تعالى باللفظ دون القلب، ولا بكتابة الورق، وإنما الأمر توبة العبد عن أن يلحظ الأكوان بعينى قلبه أويراعى غير مولاه، فإذا صح للفقير هذا الأمر، فهناك يصلح للترقى فى مقامات الرجال.[1] ولاشك أن أصحاب الطرق المتأخرين، يحاولون الإستدلال علي لبس الخرقة بإرجاع سندها الى آل البيت الشريف، وكبار الصحابة، وقد سبق توضيح ذلك عند الرفاعية، والشاذليه والأحمدية البدوية، وإن كان مؤرخوا طبقات الرفاعية المتأخرين، يذكرون مدد الخرقة الأحمدية الرفاعية الى غيرها من الطرق، كالشاذلية، والبدوية والبرهامية"[2].

وقد ذكر الشيخ جلال الدين الكركى وهو من رجال"القرن العاشر" الهجرى وخليفة السيد إبراهيم الدسوقى، السند الحقيقى لخرقته فذكر سنده بلبس خرقة السيد أحمد البدوى[3].

وقد تعنى عند القوم - المدد الروحى المتصل، وهى علامة الطريقة، وإشارتها، وقد اتخذت الطرق لها أعلاماً تميزها وتتصل بسندها إلى الرسولﷺ كما ذكرنا عند الرفاعية والقادرية والأحمدية البد وية وهى عند البرهامية، فالخرقة والعلم الأخضر، وقد رأينا خلال دراستنا الميدانية أن الطريقة الشهاوية وهى من فروع البرهامية الدسوقية- تتخذ من العلم والإشارة الخضراء علامة مميزة لها عن غيرهامن الطرق - وذكر الصوفية فى الخرقة "أنها لف المتزر وشروطه: السخاء والرضا والصبر والتقوى والتواضع والصلاح، وليس الصوف والزهد، وللبس

---

(١) المصدر السابق - ص١٥١.

(٢) راجعنا - محمد أبو الهدى الخالدى الصيادى- قلادة الجواهر ص ٤٦٢.

(٣) نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص١٢٣.

المتزر وشروطه: ترك الإساءة وتحمل الأذى وأن يصل من قطع ويطعم من حرم ويحسن لمن أساء اليه وترك العلائق والكف عن الخلائق.(١)

سادسا : أحزاب الدسوقى وأوراده : -

للسيد إبراهيم الدسوقى أحزاب، وأوراد، مثل أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين، وهى مجموعة من الأذكار والأدعية والتوجيهات للذكر والتذكير والتعوذ من الشر والشياطين وجلب الخير، وحصول العلم، وهى تتضمن الإستغفار من الله تعالي والتوبة إليه والإستعاذة به، والثناء عليه من كل حجاب يقطع الإنسان عن الهدى المحمدى، والقصد من هذه الأوراد والأحزاب، دوام الحضور مع الحق تعالى، وعدم الغفلة عنه، والبعد بالعقل عن كل مايشغله سوى الحضور فى حضرة الله تعالى القدسية.

وإذا تناولنا هذه الأحزاب ومجموعة الأوراد عند القطب العارف بالله تعالى ابراهيم الدسوقى، تجدها تتألف من، كلمات وعبارات مستمدة من القرآن الكريم، وعبارات ومصطلحات من الأحاديث النبوية الشريفة، ويسجل كل ولى فى أحزابه ما ألهمه الله تعالى من عبارات، جرت على لسانه بعبارات واضحة ذات معانى ودلالات روحانية، وقد أضاف بعض الصوفية التابعين له عبارات وكلمات ذات دلالات على الطريق (٢).

وللدسوقى حزبين، هما: الحزب الكبير، والحزب الصغير وبعض الأدعية والصلوات، ولهذا نحاول أن نقف على التعبيرات والمصطلحات وتفسير مرادها عند هذا الصوفى المتأخر.

"الحزب الكبير للسيد ابراهيم الدسوقى"

يبتدئ القارئ بسورة "يس" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، اللهم إنى أسألك بالعرش، والكرسى، والنور

---

(١) نظرنا - كتاب بسط مدد التوفيق فيما يتعلق بأحكام الطريق - ص٣٣. لبعض مشايخ الصوفية المتأخرين .

(٢) الشيخ عبد التواب عبد العزيز (أحد أتباع الطريقة البرهامية فى العصر الحديث) - ابراهيم الدسوقى وأولياء الله الصالحين - ص٨٢ - ص٨٣.

الذى منه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، اللهم إنى أسألك بالعرش، والكرسى، والنور الذى منه سيدنا محمد ﷺ أن تسخر لى قلب من أحوجتنى إليه، وأن تكفينى شر من يقدر على، ولاأقدر عليه يامن بيده ملكوت كل شئ، أنت عالم به، وقادر عليه، تحصنت بالحصن الذى أسمه الله وسورة لاإله إلا الله، بابه محمد رسول الله ﷺ ، مفتاحه لاحول ولاقوة إلا بالله، من أراد لى بسوء أهلكه الله، همسا همسا، لمسا لمسا، لموسا لموسا، مأمونا، مأمونا، أنا الأسد، سهمى نفد، منه المدد على طول الأبد، لاأبالى من أحد، لايقدر على أحد، بسم الله الرحمن الرحيم "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد" سورة الإخلاص "آية ١ .٢ .٣ .٤" دفعت وحجبت وصرفت ومنعت عنى شر كل طارق طرق، وصالح وعارض فى الطرق بفضل باسم الله الرحمن الرحيم "قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات فى العقد، ومن شر حاسد إذا حسد" سورة الفلق "آية ١ .٢ .٣ .٤ .٥"وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربى أن يحضرون، من اللعين إبليس، وجنوده البراديس من أخذ التلبيس.. بسم الله الرحمن الرحيم، قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس" سورة الناس "آية ١ .٢ .٣ .٤".. اللهم أن تكفني شر من أمر على ونهى ....أنت ربى وربهم ورب الخلائق كلهم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم "ثلاثاً" ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم، فإ ن تولو فقل حسبى الله لاإله إلاهو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم" سورة التوبة (٢٩) "سبعاً" وحسبى الله ونعم الوكيل .. بسم الله الرحمن الرحيم "وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً" سورة الإسراء (٤٥) "وجعلنا على قوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذنهم وقراً وإذا ذكرت ربك فى القرآن ولوا على أدبارهم نفوراً" سورة الأنعام آية (٢٥) .

"رب لاتذرنى فرداً وأنت خير الوارثين ..ألم نووا فلووا عما نووا. ثم لووا عما نووا فعموا وصموا عما نووا، فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا. أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون .

وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا....

يامعشر الجن والإنس إن إستطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا .. لا لا لا لا لا ألاوك يا الله، ياالله، ياالله، إنك سميع عليم" (١).

ثم يتخلل الحزب أدعية مستمدة من النصوص القرآنية .. يقول الدسوقى "اللهم أحرسنى من كيد الفاسق، ومن سطوة المارق فى الليل إذا أدبر والصبح إذ أسفر، بكفهيعص، كفيت، بحمعسق، حميت، فسيكفيكهم الله العلى العظيم، وهو السميع العليم "ثلاثاً" .

ثم أدعية وتوسلات(٢) ثم يتبع ذلك ترديد لبعض الكلمات ذات المعنى الروحانى، أو المتصلة بالباطن الروحانى عند الصوفى مثل قوله "اللهم آمنا من كل خوف، وهم، وغم وكرب،....

كد كد، كردد ، كرده، كرده، ده، ده، ده، الله رب العزة، كتب إسمه على كل شئ أعزه .. ثم أدعية وتوسلات أيضاً"(٣).

ثم يقول، لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، ويردد الدسوقى المصطلحات ذات المعنى الروحانى "طهور بدعق محببة، صورة محببة، سقفاطيس سقاطيم، أجون قاف دم حم هاء آمين "ثلاثاً"، ياغوثاه، يامن للراجى سواه، بما فى اللوح بالإسم، وبالذكر الحكيم، وماتلاه، وبالقبر الشريف وزائره، وبالقدس العلى وماحواه، تقبل ربنا منا دعائنا، فأنت مجيب للمضطر إذا دعاه(٤).

ياغوثاه، ياهو هو، أمين أزلى حى قيوم، أحب، "ياذهيائيل، يامهيائيل، وياعطفيائيل" (٥) وتوكلوا بمهمات الخير الكلى والجزئى، وبحزب أولاد آدم وبنات حواء إلى روحانية بالشفقة والرأفة والمحبة .. وهكذا إلى آخر الدعوات(٦).

---

(١) الشيخ سيد محمد عطية "خليفة السادة البرهامية" قرية شلقان بالقناطر الخيرية. المجموعة الدسوقية البرهامية "صلوات الدسوقى وأحزابه" - ص١ - ص٤ - ط مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة بدون تاريخ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٥ .

(٣) المصدر السابق - ص٦ .

(٤) نفس المصدر - ص٧ .

(٥) نعتقد أن هذه المصطلحات، تحتوى على معانى روحانية ونشير إلى الملائكة الموكلين بالخير والروحانيات والأنوار .

(٦) للمزيد نفس المصدر السابق. ص٧ .

ثم يردد الدسوقى فى حزبه الكبير .. "حم" عدد ٧ سبع مرات" وياعزيز عدد (١٠٠) مائة مرة، وياعزيز فلم أزل بعزك عزيز، ياعزيز عدد "٧ مرات" ثم يعقب ذلك دعوات" وتوسلات أخرى[١].

ومن الجدير بالذكر. أنه قد وردت كثير من الحروف والمصطلحات. مثل قوله: "اللهم أمنا من كل خوف وهم وغم وكرب .. "كد، كد، كردد ، كردد ، كرده، كرده، ده، ده، ده، ده،" .

وأعتقد أن هذه الكلمات والحروف، ترمز إلى معانى، روحانية وغيبية، تختص بأحوال الشيخ وما وصل إليه من مراتب وأذواق ومواجيد .

أما مارمز إليه بقوله "رب لاتذرنى فرداً وأنت خير الوارثين، ألم نووا فلووا عما نووا ، ثم لووا عما نووا فعموا وصموا عما نووا ، فوقع عليهم القول بما ظلموا" فقد ورد فى حزب السيد أحمد البدوى، ودعائه[٢].

كذلك وردت مصطلحات غامضة، وردت من قبل فى حزب الشيخ أبى الحسن الشاذلى[٣] وهى: فى معانيها كالآتى:

طهور: على وزن صبور، ومعناها الكامل فى ذاته المنور لصفاته .

بدعق: معناها الذى كل شئ به .

محبيه: معناها مبين الحكم وصاحب المن .

صورة: وفى رواية سورة، أى الذى لهيبته خضع كل جبار .

سقفاطيس: وهو إسم للفتح على القلب من الغيب .

سقاطيم: وهو إسم من الأسماء الموصلة إلى رتب الكمال .

وهذه الأسماء الأخيرة. فى حزب الدسوقى الكبير هى أسماء الدائرة الشاذلية[٤].

---

(١) للمزيد راجع نفس المصدر - ص٨ .

(٢) راجعنا - حزب البدوى - وشرحه - الدكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف - ص١١٢ - ص١١٣ - ص١١٤ .

(٣) راجعنا: عبد الخالق حقى - مجموع وظائف وأحزاب وأوراد السادة الشاذلية" - ص٧ "حزب إبن مشيش" وص١٤، ص٢٣، ص٢٩ أحزاب الشاذلى .

(٤) السيد عبد التواب عبد العزيز - إبراهيم الدسوقى - ص٨٧ .

وهذا مايدل على إتصال الطرق الصوفية، بعضها بالبعض الآخر، كما أن شيوخها يندرجون فى سلك طريق الوصول إلى الله تعاليى وهو طريق واحد، غير مختلفين فى جوهره وإن إختلفوا فى أشكاله ومظاهره .

وللدسوقى حزب "صغير" وهو مختصر من الحزب الكبير، ورد فيه بعض الكلمات والمصطلحات ذات رموز ومعان باطنية، وهى مستمدة من النصوص القرآنية أيضاً، ويجدر بنا شرح وتوضيح هذه المصطلحات ..

يقول الدسوقى "فى الحزب الصغير" .

بسم الإله الخالق الأكبر، وهو حرز مانع مما أخاف وأحذر، لاقدرة لمخلوق مع قدرة الخالق، يلجمه بلجام قدرته، أحمى حميثا [١] أطما طميثا [٢] وكان الله قوياً عزيزاً، حمعسق حميتنا، كهيعص كفيتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم "ثلاثاً"، ياباري عدد ١٠٠ مائة مرة، اللهم يادايم لك الدوام الأزلى والبقاء السرمدى حتى ترث الأرض وما عليها، وأنت خير الوارثين، ياودود مائة مرة، يالطيف بالمدد ثلاثاً، يالطيف عدد (١٢٩مرة) الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز عشر مرات، ياعليم ياخبير عدد ثلاثاً يالله، يالله عدد (٦٦) مرة ثم بعد ذلك مجموعة صلوات ودعوات للنبى ﷺ [٣].

- أما معانى الكلمات التى وردت فى هذا الحزب الصغير كالآتى: "أحمى حميثا" : -

"معناها يامالك الأسرار، يامالك الأنوار يامالك الليل والنهار، يامالك الحساب المردار يامالك الشموس والأقمار، يامالك العطاء والنفع، يامالك العطاء والمنع، يامالك كل حى، يامالك كل شئ، وفى هذا الإسم سر عجيب لايطبق القلم ولاالعبارة تبليغه أبداً" [٤]. "أطما طميثاً" : -

(١) أحمى حميثا: كلمتان بلغة سريانية راجع المصدر السابق ص٨٦ .

(٢) أطمس طميثا: كلمتان بلغة سريانية - نفس المصدر ص٨٧. وسوف يأتى شرحهما وبيان مرادهما ومعانيهما فيما بعد ..

(٣) السيد محمد عطية "خليفة السادة البرهامية" - المجموعة الدسوقية البرهامية" أحزاب وأوراد وصلوات للدسوقى ص٩، ص١٠.

(٤) نظرنا فى ذلك - السيد عبد التواب عبد العزيز - إبراهيم الدسوقى - "وأولياء الله الصالحين" ص٨٦ .

أطمى: فهى بمنزلة من بصفة الله تعالى بالعظمة والكبرياء والقهر والغلبة، والعز والإنفراد - وكأنه يقول "ياعالم كل شئ، ياقادر على كل شئ، يامكون كل سئ، يامدبر كل شئ، ياقاهر كل شئ، ويامن لايتطرق إليه عجز ولايتوهم فى تصرفه نقص .

"أما طميثا" فمعناها: إشارة إلى الأشياء التى يتصرف الله تعالى فيها، وإلى الممكنات التى يفعل فيها مايشاء ويحكم مايريد، سبحانه وتعالى لاإله إلا هو(١).

ومن الجدير بالذكر أن السيد إبراهيم الدسوقى، وضع "صلوات" على النبى ﷺ، على عدد حروف الهجاء، من حرف "الهمزة" حتى حرف "الياء" وهو مايذكرنا بصلوات القطب الصوفى "عبد السلام إبن مشيش/٦٢٥/ هـ وتواصل ذلك عند شيوخ الطريقة الشاذلية(٢).

وعلى سبيل المثال يقول القطب الدسوقى:

"حرف الهمزة"

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد القائل "إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء" .

"حرف الألف"

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد القائل "الحليم يتغافل والكريم إذا قدر عفا" .

وهكذا إلى آخر الصلوات حتى حرف "الياء" مثل قوله "اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد القائل "زينوا مجالسكم بالصلاة على"(٣).

سابعاً: النزعة الفلسفية والرمزية الصوفية عند إبراهيم الدسوقى:

إن مايثير إهتمام الباحث هو مالآحظة من نزعة فلسفية فى تصوف السيد إبراهيم الدسوقى، وقد تبدوا هذه النزعة، فى تصويره الرمزى لأحواله ومواجيده وأذواقه .

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٨٧ .

(٢) عبد الخالق حقى - مجموعة وظائف وأوراد وأحزاب السادة الصوفية - ص٧ ومابعدها .

(٣) لمزيد من الدراسة إنظر - السيد محمد عطية - المجموعة الدسوقية البرهامية ص١٤، ص١٥ حتى ص٢٨ .

إذ نجده قد مزج بين المواجيد والأذواق، وبين بعض العناصر الفلسفية التى وردت عند فلاسفة التصوف فى حالات الإستغراق الباطنى الذاتى أو فى المشاهدات القلبية .

لقد وردت تعبيرات فلسفية فى شعره الصوفى الذوقى والذى أراد أن يعرض من خلاله لحالة من حالات "وحدة الشهود" التى إستغرقها إستغراقاً، باطنياً وروحانياً، أو عرضت له عرضاً كشفياً روحياً ولاشك، أن الدسوقى قد إستغرق فى مقام "المحبة" إستغراقاً كاملاً، نقله من حال المراقبة إلى حال المشاهدة أو الكشف الشهودى، فإذا بالمحبوب يتجلى له فى كل وجهة، فيشاهده فى كل معنى وصورة.

ومن ناحية أخرى، نجد أن هذا الإستغراق الباطنى فى تأمله القلبى لمحبوبه، نقله من حال الصحو إلى حال الغيبة عن نفسه، والوصول به إلى حال الفناء عن ذاته والإتحاد بذات محبوبه الأعلى، كما سترى ذلك فيما بعد فى شعره .

وعلى ذلك، فإن سلم الوصول عن الدسوقى يبدأ من حال إستغراقه فى المحبة وينتهى به إلى حال الفناء عن نفسه والبقاء بالمحبوب أو الإتحاد به .

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الأحوال، سبق أن تعرض لها متصوفة سابقين أو معاصرين له، من أمثال أبو اليزيد البسطامى/٢٦٢هـ/، والحسين بن منصور الحلاج /٣٠٩/ هـ وسلطان العاشقين عمر بن الفارض/ ٦٣٢هـ/ وعبد الحق بن سبعين/ ٦٦٦هـ/ .

فهل يعنى ذلك أن الدسوقى تأثر بمذاهب هؤلاء الصوفية أم أنه لون من التلاقى فى الأذواق والمواجيد والأحوال؟

قد تعتقد أن ماعرضه الدسوقى فى أشعاره من مواجيد وأذواق وأحوال، وكشوف شهودية، ومعانى رمزية، إلتقاء فى الأذواق والمواجيد مع السابقين، خاصة وأن أصحاب الطرق المتأخرين، كانوا متشددين فى الحث على ضرورة اتباع أصول الكتاب والسنة وظواهر الشريعة، الأمر الذى أدى الى انتشار طرقهم بين جمهور المسلمين، وفى معظم البلاد العربيه والإسلامية.

ولتوضيح هذه النزعة الفلسفية، عند الدسوقي، فإننا نستند فى ذلك الى مؤلفاته الوثيقة الصلة به، بالإضافة إلى ماتواتر عنه من أشعار ورموز عند المؤرخين وأصحاب الطبقات المتأخرين.

يقول الدسوقى فى تصوير حاله فى مقام "المحبة" فى كتابه الجوهرة":

سقانى محبوبى بكأس المحبة — فتهت علي العشاق سكرا بخلوتى
وناد منى سرا وحكمـــــة — فما كان أهنى جلوتى ثم خلوتـى
ولاح لنا نور الجلالة لوأضـا — لصم الجبال الراسيات لدكـــت

ويبدو أن استغراق الدسوقى فى هذه المحبة، التي استمدها من رسول الله ﷺ كانت هى طريق الوصول والوصال الى المحبة الإلهية الكاملة، والتى تجلت له، فى هبات، وعطايا نورانية ودرجات عاليه ، تفوق بها علي شيوخ زمانه، فكان أقربهم فى درجة الوصول الى رحاب الحضرة الإلهية فتلقى الأنوار والإشراقات الروحانية وعلوم الحقيقة، التى تمكنه من تلقينها للمريدين والراغبين فى الوصول، بل قد تسلمه مفاتيح المعانى، وتطلعه على مكنونات الأسرار الإلهية، فى الكون والخلق، والتصرف فيها بأمر من الله تعالى .

ويصور الدسوقى هذا الحال، فيقول: (١)

سقانى الحب كاسات الوصـال — فقلت لخمرتى نحوى تعالـــى
سعـت ومشـت فى كـــؤس — فهمت بسكرتى بين الموالـــى
أنا الباز الشهير لكل شيــخ — فمن ذا فى الرجال عطى مثالى
بلاد الله ملكى تحت حكمـــى — صفا وقتى ومحبوبى ملالـــى
فصار السرسرى من حبيبـــى — وسر السر من مولى الموالـــى
فلو لقيت سري فى جبـــال — لدكت واختفـت بيـن الجبـــال
ولو ألقيت سرى فى بحـــار — لصار لكل نـور فى زوالـــى
ولو ألقيت سرى فوق ميــت — لقام بقدرة المولى سعى لـــى
مريدى إننـى أدعى الدسوقـى — وشيخى المصطفى كاس ملالـى

بل يذهب الدسوقى إلى أبعد من ذلك، فى تصويره الرمزى لحالة المحبة ودرجات وصوله فيها: يقـــول: (٢)

وحَكَمْنى فى سائر الأرض كلها — وفى الجن والأشباح والمرديـــة
وأوهبنى منه عصاة لسجنهـــم — فكنت عليهم دعوة ثم نقمـــة

---

(١) ابراهيم الدسوقى - الجوهرة - ص١٠٨- ص١٠٩

(٢) نفس المصدر السابق - ص١٠٩.

وكم عالم قد جاءنى وهو منكـر	فرُد بفضل الله من أهل خرقتى
وذكرى ملا الأقطار شرقا ومغربا	وكل الورى من أمر ربى رعيتى

ويصور الدسوقى حاله فى مقام " المحبة وحاله عندما وصل الى مقام "الرضا" فبالمحبة وصل الدسوقى الى أعلى درجات اليقين المعرفى، وتسلم مفاتيح علوم الحقيقة التى علا بها علي درجات مشايخ الزاهدين المتصوفين، والتى لم تتحقق لغيره من قبل، ويعطينا الدسوقى هذا التصوير الرمزى لما وصل اليه فى مقام الرضا...

يقول الدسوقى: (١)

راق وقتى ولى الحق دعـــــا	وسقانى بالرضا كاس الطـــلا
فرأيت الكون تحتى راقصـــا	مذ شربت الراح بالكأس مـــلا
أنا من قبل وجودى الـــورى	كنت قطبا وإماما واصـــــلا
أنظر العرش وما فوق السمـا	وأرى الحق تجلى فانجلـــــى
قدمى هذا على كل ولـــــى	وعلى ابن الرفاعى قد عـــلا
كل شيخ أخذ عهدى كـــــنا	كل قطب كان قبلـــــى أولا
وماأعطى قبلى وبعدى أحـد	مـن علـوى واتصـــال خردلا

ويبدو أن هذا التصوير الرمزى لحالة الدسوقى الروحانيه، لم تقتصر علي عالم الشهادة، بل يمتد بها الى حال وجوده فى عالم الغيب، قبل ولادته فى عالم الدنيا أو عالم الشهادة وهذا يعنى، أن الله تعالي قد اجتباه للولاية والقطبانيه فيما قبل هذا الزمان، أو أن الله تعالى اجتباه وادخره حتى هذا الزمان، حتى يكون مدده متصلا فى عالم الكون بعد خاتم الأنبياء والرسل.

وعلى ذلك، فإن الدسوقى يذهب الى أبعد من ذلك، فيصور حالته فيما لو بعث بعد النبى ﷺ رسلا أو أراد الله تعالى ذلك أو قدره تعالى فى علمه، لكان الدسوقى ممن يختص بمثل ذلك.

(١) نفس المصدر السابق - ص١٠٩ .

يقول الدسوقى فى ذلك:[1].

لو بعث بعد النبى حقا نبـــى	كنت بعد نبيى مرســـــلا
ليس لى شيخ ولالى قـــدوة	غير طه من أتانـــى أولا
يامريدى طب وهم وشطح اوغب	أنت من بيت به الخير مــلا
أنا أدعى بالدسوقى قدوتـــى	خاتم الأنبياء طه المرســـلا
فـرش الوقـت حقـا نسبتـى	قد أعطانى خالقى رب العـلا

وفى حضرة روحانية كشفية يحدثنا الدسوقى عن لقاء حدث له بالنبى ﷺ وكبار شيوخ الطرق الصوفية. وكان منهم عبد القادر الكيلانى/٥٦١/ هـ وابن الرفاعى ت عام / ٥٧٨/ هـ، ويوضح درجاته فى سلم الوصول إلى الله تعالى، وماوصل إليه من أرفع الدرجات الروحانيـة واستمداده المباشـر من أنوار النبى محمدﷺ .

يقول الدسوقى"أن كل الأولياء الذين حضروا معنا هاموا وتاهوا وتواجدوا حين سمعوا خطاب الرسولﷺ بقوله "ياعبد الله كن من ابراهيم (يقصد الدسوقى) علي حذر فإنه من نورى، ومن نشأتى، فلهذا قلت نعم نشأتي فى الحب من قبل نشأتى، ومن قبل إيجادى ظفرت ببغيتى، فقال عبد الله (يقصد الكيلانى) يارسول الله إن ابراهيم يقول، من زاره فقد زارك، ومن زارك فقد زاره، فقال الرسولﷺ لعبد الله وللأولياء والعلماء بالله تعالى الذين هم فى حضرة الإله، يا أولياء الله أشهدكم بالله أنه من زاره فقد زارنى، فإنه من نورى، وأعلموا ياأولياء الله أن الله قد ولاه درك الثلث فى السموات والأرض ومن زارنى فقد زاره ويكون كمن حج حجة مقبولة:[2] . وعلى ذلك فقد أنشد الدسوقى فى شعره ورمزياته :

فقــال[3]

حجوا الى فذاتى كعبة نصبت	والسر فيها كسر البيت الحرام
فان للكعبة رجال يطوفون بها	ولله رجال يطوفون بالكعبــة

---

(١) المصدر السابق - ص١١٠.

(٢) نفس المصدر السابق - ص١٠٠ - ص١٠١ - ص١٠٢.

(٣) نفس المصدر - ص١٠٢.

وإلى هنا تنتهى سيوحات الدسوقى الروحانية، فى استغراقة الباطنى القلبى.

غير أن هذا التصوير الروحانى، وحالته الروحيه وسبوحاته الوجدانيه، تخالف بظواهرها الشريعة، فضلاً عن خروجه عن نطاق الحقيقة الكامل فى نصوص الشرع الواردة بشأن الفرائض والعبادات فى القرآن الكريم، وما صدقته السنة الشريفة، وماصدر عن النبىﷺ قولاً وفعلا وعملا.

وأعتقد أن تأويل مثل هذه السيوحات والإستغراقات الباطنيه، ينطوى علي غلو شديد من جانب هؤلاء الصوفيه المتأخرين، وهذا ضرب من الغلو لانستطيع قبوله ظاهرا أو باطنا، فهل يمكن أن تعتبر ماصدر عن الدسوقى فى هذا المجال قريب الصلة من قول الحسين بن منصور الحلاج المقتول عام ٣٠٩هـ فى "الحج بالهمة" (١).

وعلى ذلك نستطيع أن نقول، أن هذا الإستغراق الباطنى الكامل فى المحبة الإلهية، والعشق الروحى، سوف يصل بالدسوقى إلى مراحل أخرى أكثر عمقا، واستبطانا، أعنى سوف يصل بالدسوقى إلى، مرحلة الفناء والوحدة الشهودية والإتحاد بالذات الألهية.

ولاشك أن مسالك الدسوقى فى المحبة والعشق الإلهى، يذكرنا بحال ابن الفارض/٦٣٢ هـ/ الملقب بسلطان العاشقين، فى تعبيراته، وتصويره الرمزى الشعرى واستعمال للمحسوسات، فى تعبيره عن حاله الوجد والصبابه والعشق، بل أن ماتردد عند عمر بن الفارض من مصطلحات نجدها عند الدسوقى – من كؤوس، وخمر، وأقداح، وراح، وشراب وسكر وغزل، وهند، وليلى، ودعد، وغير ذلك.

بل نجد أن الدسوقى من فرط شوقه، وعشقه ومحبته يبرر إباحة الأسرار، دون أن يبالى لغيبة فى عشق محبوبه عما سواه.

وفى ذلك يقول : (٢)

ماعلــى العاشــق إذ	باح وأبدى ما أسره
كيف يخفى وهــــواه	قد سقاه الحب خمره

---

(١) تحدثنا عن ذلك فى الباب الأول من هذا البحث – وتناولنا بالتحليل والنقد – ولمزيد رتاجع – الحلاج – طواسين الأزل، كذلك دكتور عبد الرحمن بدوى شخصيات فلسفه فى الأسلام- ص١٤٩ ومابعدها.

(٢) المصدر السابق – ص١٠٨ .

ومناه قــد دعـــــاه	كرة من بعده كــره
أيهـا المنكـر حانـــى	وهو لا يعرف قدره
قم فذق من كاس عشقى	خمرة بل أى خمـره
هى للقلب شفــــاه	هى للسرســـــره
هـــى للأرواح بــــاح	هى لأشباح خضـره
هـــى للمشتــاق نـــور	هى للعشاق خمـره

تصل حالة المحبة عند السيد إبراهيم الدسوقى، إلى مرحلة الإستغراق الباطنى الذاتى الكامل فى محبوبه، إلى درجة المشاهده له فى كل معنى وصورة، ثم تنقله هذه الحالة الوجدانية الذاتيه إلى مراحل الفناء الكامل عن ذاته، وبقاء ذاته بذات محبوبه، فتتحد ذاته بذات محبوبه، إتحادا وجدانيا ذوقيا، ذاتيـا.

وتتضح لنا هذه المواقف والأحوال الوجدانية، الكشفية الشهوديه فيما نظمه الدسوقى من شعر، مشبع بمواجيد وأذواق، تذكرنا بما سبق فى ذلك عند فلاسفة التصوف الأوائل والمتأخرين [١].

لذلك يقول الدسوقى معبرا عن نظريته فى وجده الشهود والفناء الذاتى، الإتحادى:-

تجلى لى المحبوب عن كل وجهـة	فشاهدته فـى كـل معنى وصـورة
وخاطبنى منى بكشف سرائــــر	تعالت عن الأغيار لطفـا وجــلت
فقال أتدرى من أنا قلت أنـــت	تغيبت الأشياء كنت كنسختـــى
فأوصلــت ذاتى باتحـادى بذاتــه	بغير حلول بل بتحقيق نسبتـــى
فصـرت فنـاء فى بقاء مؤيــد	لــذات بديوميــة سرمديـــة
فيأخذنـــى منـــى فأصبح سائـلا	لذاتى عن ذاتى لذاتى بغيبتـى [٢]
وأنظر فى مرآة ذاتي مشاهــدا	لذاتى بذاتى وهى غاية غايتى [٣]

---

(١) لمزيد من التوضيح راجع الفصل الثانى من الباب الأول من هذا البحث، كذلك الباب الثانى عند المتأخرين.

(٢) سبق أن ورد عند البسطامى مثل هذه المعانى فقال "منذ ثلاثين سنة كان الحق مرآتى. فصرت الأن مرآة نفسى، لانى لست الأن من كنته، فالحق تعالى مرآة نفسه وأنظر الآن فان الحق مرآة نفسه لأنه هو الذى يتكلم بلسانى . أما أنا فقد فنيت".

(٣) الدسوقى - الجوهرة - ص١١١ - الشعرانى الطبقات - ص١٥٨ .

لقد وصل الدسوقى الى حالة المحو الكامل، عن نفسه وعن كيانه الوجودى الحسى المشاهد، وصعد بذاته ووجدانه إلى كيان الوجود الذاتى الروحانى، الذى يتجلى كمعانى تصور الأشياء الوجوديه.

ويتجه الدسوقى فى تصويره لهذا الحال، بما يؤكد نظرية فى "الإنسان الكامل"، أو انسان الوجود "أو ماعرف عند المتأخرين من أصحاب الطرق بنظرية "القطب" ودرجة "القطبانية".

ومن الجدير بالذكر، أن نظرية "القطبانية" عند المتأخرين تمثل نظرية الإنسان الكامل عند فلاسفة التصوف، وكما وردت ووضحناها من قبل عند، ابن عربى، ومدرسته وعند عبد الكريم الجبلى، الحقيقة المحمدية وانسان الوجود الذى حوى معانى الموجودات وصورها.

ويتضح لنا هذا من خلال تصوير الدسوقى لحاله فى هذا المقام الصوفى.. يقول الدسوقى: (١)

أنا ذلك القطب المبارك قدره ... وإن مدار الكل من حوله ذروتى

وماصورتى للذات الإجلية ... هى النفس والكون المحس جنتى

أنا شمس إشراق العقول ولم أقل ... وما غبت إلا عن قلوب عمية

يرونى فى المرآة وهى صقيلة ... وليس يرونى فى المرآة وهى صفية

ولو زنادى فى الطبيعة قادح ... لما قامت الأشخاص من تلك طينة

وبى فاحت الإنبا من كل ملة ... بمختلف الآراء والكل أمتى

ولاجامع إلا ولى فيه منبر ... وأخطب فى إعلائه بموتى

ولامشهد إلا وكنت إمامه ... وفى حانة الخمار طفت بحانتى

سقانى بكأس من يدى من أحبه ... فغبت بوجدى عن وجودى بسكرتى

وماشهدت عينى سوى عين ذاتها ... لأن سواها لايلم بفكرتى

بذاتى تقوم الذات فى كل ذروة ... أجدد فيها حلة بعد حلة

أنا موجد الأشياء من غير حاجة ... يكره كان الكون من غير التى

فليلى وهند والرباب زينب ... وعليا وسلما بعدها وبثينة

عبارات أسماء بغير حقيقة ... ومالوحوا بالقصد إلا بصورتى

---

(١) الدسوقى - الجوهرة - ص١١٢ - ص١١٣ .

ويصور الدسوقى نظرية الإنسان الكامل - والحقيقة الكونية الوجودية التى إنطوت عليها معانى القطبانية المتمثلة فى حالة، ودرجات وصوله، بما يفيد ظهور مكنونات الموجودات وأسرار المعانى والحقائق المنطوية فيه قبل خلقه الشهودى يقول الدسوقى: (١)

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم ... وسرى فى الأكوان من قبل نشأتى

أنا كنت فى العلى ونور محمد ... وفى قاب قوسين إجتماع الأحبة

أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداؤه ... بعين عنايات ولطف حقيقتى

أنا كنت مع إدريس لما رقا ... العلا وأسكن فى الفردوس أحسن بقعة

أنا كنت مع عيسى فى المهد ناطقا ... وأعطى داود حلاوة نغمتى

أما كنت مع نوح بماشهد الورى ... بحاراً وطوفاناً على كف قدرتى

أنا الذاكر المذكور ذكرى لذاكرى ... أنا الشاكر المشكور شكرى لنعمتى

* * *

أنا الحامد المحمود حمدى حامد ... كذا العرش والكرسى والكون جلستى

أنا العاشق المعشوق فى كل مظهر ... أنا السامع والمسموع فى كل نغمتى

أنا الواحد الفرد الكبير بذاته ... أنا الواصف الموصوف بالعهدية

* * *

وقالوا أنت القطب قلت مشاهداً ... وتالى كتاب الله فى كل ساعة

وقالوا فأنت الفرد حقاً على العلا ... فقلت وكان السر منى ثابت

أنا القطب شيخ الوقت كل مهذب ... أنا السيد البرهان شيخ الطريقة

* * *

ولاشك أن هذا التصوير الرمزى، والوصف الروحانى للحال الذى إستغرقه الدسوقى، يعنى أنه قطب الوجود، وعقل الكون، ونفس الموجودات، ومصدر إشراقات الأنوار التى إستمدها من نور الرسول ﷺ وكلا النورين مستمد من نور الله تعالى، وتجلياته قبل خلق الموجودات فى عالم الأكوان، والوجود.

---

(١) الدسوقى - الجوهرة - ص١١٢ - ص١١٣ .

ومما سبق يتضح أن السيد إبراهيم الدسوقى. تمثل إتجاهاً فلسفياً صوفياً يؤدى به إلى الإقتراب من فلاسفة التصوف فقد تحدث عن مقامه فى المحبة الإلهية، ومدى إستغراقه الباطنى الذاتى الكامل، فكانت سلم الوصول إلى أعلى درجات الفناء والإتحاد بالذات الإلهية، وأدى ذلك أيضاً إلى نظرية فى الإنسان الكامل، أو القطب الذى يمثل عقل الوجود ونفسه الكلية التى تنطوى على صور الموجودات ومعانيها وأسرارها، وقد أفضى ذلك إلى نظرية أخرى فى وحدة الشهود الكامل، كما رأينا فى شعر إبن الفارض، مما يدل على تأثره وإلتقائه بأذواقه ومواجيد، ورموزه وغزلياته معه .

ومن ناحية أخرى، نجد لدى السيد إبراهيم الدسوقى نظرية فى المعرفة الصوفية. يفرق بينها وبين المعرفة عن طريق العقل(١) ويعنى بذلك أن المعرفة الحقيقية بالله تعالى لاتأتى عن طريق العقل، لأن الله تعالى أعظم شئ أن يحيط به علم أو عقل أو إستدلال حسى أو منطقى كما درج على ذلك المتكلمون وأصحاب البرهان، بل إن المعرفة الحقيقية، والتوحيد المطلق لله تعالى إنما يكون بالسر الكامن، والتأمل القلبى والوجدانى ومعرفة الله تعالى للإنسان والموجودات.

يقول الدسوقى : فى شعره الصوفى :

ياأيها المدعـى لله عـرفـانا	وقد نفـوه بالـتوحيد إعـلاناً
وتطلب الحق بالعقل الضعيف فهل	أدركـت ربحـك تحقـيقاً وتبيـاناً
ظننت جـهلاً بـأن الله نـدركه	يـواقب الفكر أو تحـصيه إتـقـاناً
الله أعـظم شيئاً أن يـحيط به	عـلم وعـقل وراى جـل سـلطاناً
إدراك عـقلك أن عطـلته عـدماً	وخـانك الـعقل أن صـورت دنيـاناً
الخـلق فى العلم تاهوا فى تطـلبه	فالـعلم فى الإسـم لايبقيـك حيراناً
فالـعلم دل يسـر فـى غوامـضه	عـلى المسمى فصـار الإسـم عنواناً
وعين ذاك المسمى ليسى يدركه	شـئ ولـوح ولاإنـس ولاجـاناً(٢)

(١) أشرنا إلى ذلك عند ذى النون المصرى (الباب الأول) .

(٢) الدسوقى - الجوهرة - ص١٠٥ .

ويبدو أن الدسوقى وهو على مذهب الشافعى فى علم أصول الفقه، يرفض مذاهب المعتزلة فى التأويل وتعطيل الصفات ولذلك ينتقد هؤلاء بقول: (١)

إياك ويحك والتعطيل فى صـــفة   واحـذر تكن عـابداً بالـوصـف أثوانـاً
فإن سمعت أحاديث الصفات فقـل   آمـنت باللـه تصـديقاً وإيـماناً
ورد عـلم خـفاياها لـعالمها   وإن تأولـت قـد أولـت بهـتاناً
إن قلت كيف أستوى قل كيف شاء   ولاتصغى إلى كيف تضحى أنت ندمانا
وهـو الذى فـوق كل الفـوق رتبتـه   وحـيث كـنت وجـدت اللـه ديانـاً

وهكذا إلى آخر أقواله فى شعره، مما يؤكد تمسكه بمذهب أهل السنة والسلف فى مسائل الصفات .

---

(١) نفس المصدر – ص١٠٦ .



الباب الخامس

«دراسة ميدانية للطرق الصوفية
من العصور المتأخرة حتى
العصر الحديـــث »



"الفصل الأول"

"الإطار النظرى والتحديد المنهجى"

"فى مجال الدراسة"

تمهيـــد:

تكلمنا فيما سبق عن طرق التصوف الإسلامى ومذاهبه منذ نشأته وتطوره حتى هذه العصور المتأخرة، وناقشنا الأصول الإسلامية التى تشكل الجانب الدينى، والأخلاقى الذى نبع من أصول إسلامية تتمثل فى الكتاب والسنة الشريفة، بالإضافة إلى الاثار المتواترة عن السلف الصالح سواء عند أصحاب الطوائف الأوائل من الزهاد والعباد، أو عند أصحاب الطرق الأصيلة فى القرنين السادس السابع الهجريين، والذى ظلت روافده الأصيلة تتوارد حتى العصر الحديث، كذلك ناقشنا الجانب الفلسفى فى التصوف وفروعه ومذاهبه المختلفة ورواقده المتأخرة .

ونحن فى هذا الفصل، نود الدخول إلى معاقل الدراسات التجريبية ونقتحم حقل البحوث الميدانية، لكى نكون على بينة من أصول الطرق الصوفية .

وعلى ذلك، فإن هذه الدراسة تدخل ضمن الدراسات والبحوث التحليلية التركيبية، والتى قد يعز على كثير من الباحثين المعاصرين إقتحام ميدانها الخصب الوعر، لما فيه من صعوبات شتى قد تواجه الباحث، بالنظر إلى عوامل إجتماعية وسيكلوچية وأيديولوچية، والتى تشكل النسق الفكرى والذوق الباطنى .

ولم نعلم دراسات، خاضت هذا المجال الصعب الوعر الذى يتطلب من الباحث الجهد، والتفرغ فضلاً عن قدرته على تحمل مشاق السفر وإرتياد أزقة البحث المختلفة إلا القليل، ومن هذه المحاولات الجادة والقيمة، ماقام به أستاذنا الدكتور "أبو الوفا التفتازانى" فيما يتعلق بالطرق الصوفية(١) ومظاهرها ومصادرها المتعددة وهو يمثل الآن قمة مشيخة التصوف الإسلامى فى مصر بل وفى العالم العربى بأكمله .

---

(١) الدكتور أبو الوفا التفتازانى - الطرق الصوفية فى مصر - "مجلة الآداب" جامعة القاهرة ١٩٧١ - ١٩٧٢م .

كذلك ماقام به الدكتور حسن الشرقاوى، من دراسة ميدانية لها أهميتها على الطرق الصوفية المنتشرة بوسط الدلتا فى جمهورية مصر العربية، وإستجلاء الحكومة الباطنية وفروعها وعناصرها المختلفة(١) ولانغفل مجهودات الباحثين والمؤرخين العرب أمثال على باشا مبارك/ ١٨٩٢/م فى الخطط التوفيقية، كذلك الدكتور توفيق الطويل فى بحثه عن التصوف فى مصر إبان الحكم العثمانى، بالإضافة إلى ماقام به الدكتور عامر النجار من دراسة حديثة عن أصحاب الطرق الصوفية فى مصر "الجيلانى والرفاعى والبدوى والدسوقى"(٢) ويضاف إلى ذلك المستشرق الإنجليزى "سبنسر ترمنجهام J, spencer Trimmingham, فى بحثه عن شيوخ التصوف فى الإسلام"(٣) وما قام به الدكتور عبد الحليم محمود من بحوث ودراسات نظرية وميدانية عن الطريقة الشاذلية وفروعها فى العصر الحديث(٤) وعبد الحفيظ فرغلى القرنى فى دراساته عن عبد الوهاب الشعرانى(٥) وهكذا وإذا كانت مثل هذه الدراسات، أو غيرها مما لايتسع المجال لذكرها هنا، قد تثير لنا الطريق، وتمهد لنا السبيل لدراستنا الحقلية فى هذا المجال، فإننا سوف نضيف إلى هذه الدراسات بعض الدراسات البحثية الجديدة، والتى تتمثل فى المعايشة الفعلية لأصحاب الطرق والمريدين، وتأمل طريقتهم فى تلاوة الأحزاب والأوراد، وحضور حلقات الذكر التى تقام فى ليالى الموالد سواء فى الريف المصرى، أو فى المدن الكبرى، وتتبع المظاهر الخارجية لكل طريقة والتمييز بينها .

ويمكن أن نضيف لما سبق، أن الإطار النظرى إنما يتمثل فى التعرف على الأوراد التى يلتزم بها أصحاب الطرق وفروعها والشهادات التى تمنح لبعضهم كترخيص يسمح لهم بمزاولة أصول ومظاهر الطريقة الصوفية سواء كانت رفاعية، أو أحمدية، أو بيومية أو برهامية، أو شاذلية أو خليلية. وهكذا .

---

(١) دكتور حسن الشرقاوى - الحكومة الباطنية - ط - عام ١٣٩٥ - ١٩٧٥م .

(٢) دكتور عامر النجار -الطرق الصوفية فى مصر "نشأتها ونظمها وروادها- ط دار المعارف ١٩٩٠م

(٣) The sufi orders in Islam,

(٤) الدكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية الحديثة .

(٥) عبد الحفيظ فرغلى القرنى - عبد الوهاب الشعرانى - (أعلام العرب) ط دار الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥م .

ومعنى ذلك أننا سوف نتعرض لفروع الطرق التى نعايشها فى العصر الحديث أو الوقت الحاضر .

ويحق لنا بهذه المناسبة - أن نتعرف على "حكومة الباطن" وعناصرها، ومراتبها وآثارها. حيث أن حكومة الباطن كمصدر إشعاع روحى وفكرى لاتقل أهمية عن حكومة الظاهر وأصولها الشرعية. عند طوائف الصوفية.

أولاً: حكومة الباطن الصوفية:

يختص "الصوفية" بعلم الباطن، كمفهوم علمى وسلوك أخلاقى عملى وتربوى فى مقابل "علم الظاهر" الذى يختص به العلماء والفقهاء وأهل الفتيا فى الأحكام العامة والعبادات والمعاملات .

وكما أوضحنا فى سياق هذا البحث، أن أهل الباطن هم الصوفية، ويشملهم مايتعلق بهم من مراقبات ومحاسبات ورياضات ومجاهدات،وأحوال ومقامات وما إلى ذلك من الأمور الكثيرة التى نراها منبثة فى تضاعيف أقوالهم ومعارفهم، إذ يكفينا الإطلاع على كتاب من كتبهم لكى نجد ماأودعوا فيها من مواجيدهم التى ذاقوها وحقائقهم التى كشفوها، ومذاهبهم التى أقاموها على أساس من القرآن والحديث أيضاً[1] بالإضافة إلى بعض العناصر الفلسفية التى أودعها فلاسفة التصوف فى تضاعيف آرائهم ومؤلفاتهم وهو ماسبق بيانه .

والصوفية، أرباب أحول، لاأصحاب أقوال، وعلى ذلك فهم أرباب الحقائق والكشوفات القلبية والأذواق الوجدانية و وكما وصفهم "نيكلسون Nicholson" أنهم أهل الحق، أو أنهم وصفوا أنفسهم بذلك "أهل الحق Ahl - Ellhaqq"[2]

ومن خلال ذلك، نجد أن الصوفية، عولوا على الجانب الباطنى، وعملوا على إصلاح الباطن، ومن ثم فقد تركزت تعاليمهم على إصلاح السلوك الداخلى والتربية الأخلاقية،"ومن هنا نجد عنايتهم بتأسيس جماعات وطوائف تنتمى إلى كل شيخ من شيوخهم، إذ يحرص كل

(١) دكتور محمد مصطفى حلمى - الحياة الروحية فى الإسلام - ص١١٦ - ١١٧ .

(٢) Nichohsin, The Mystics of Islam, p, 1,London, 1966

شيخ من شيوخ الطرق المتأخرين على تربية مريديه تربية أخلاقية وسلوكية فى نطاق تمسكه بالظواهر والشعائر الدينية من عبادات وفروض وشرائع .

وقد إتخذت هذه الطوائف والجماعات من الصوفية شكلاً من أشكال التنظيم العلمى والعملى الدقيق، وأطلق عليها مايعنى "حكومة باطنية" إذ أن التنظيم الداخلى لهذا لطوائف والحكومات، يقوم على أسس وقواعد وتعاليم وإشارات يجب التمسك بها والإذعان لمن يريد الإنتساب لأى من الطرق .

وفى ذلك يذكر بعض الباحثين "أن الحياة الصوفية طائفة من الشواهد، تدفعنا إلى القول بوجود نوع من التنظيم السائد والذى تلتزم به الجماعات الصوفية فى حضراتها ومجالسها المغلقة أو المفتوحة أو فى شئونها الروحية أو فى أمور معاشها الدنيوى" (١).

ويذهب بعض الباحثين فى التصوف إلى أن الدولة الباطنية تمتد بجذورها إلى الظاهر وتعتمد أساسً على العمل وأن الفصل بين الدولتين ليس فصلاً تعسفياً، ولافصل بين أصحاب العلم الظاهر، وأصحاب العلم الباطن بل يوجد هناك ربط بينهما إلى تحديد مصادر التشريع بمعنى تطبيق الطريقة على الشريعة والشريعة على الطريقة والحقيقة (٢).

ولاشك أن حكومة الباطن أو الدولة الباطنية الصوفية، هى نتيجة حتمية لنمو وإكتمال مذاهب الصوفية، فقد إجتمع للصوفية من الأسباب والأصول فى صدر الإسلام ثم فى العصور التالية، ماكان خليقاً أن يكون طرازاً خاصاً من الحكومة تلائم تكونها ونموها (٣).

ويذهب المستشرق هرجيب (H.r,Gieb) فى كتابه "Mohammed Anism" أن الصوفية تمتد نظمها الباطنية من عمل منسق التنظيمات التى تنتشر من حد إلى حد آخر لتمثل العالم الإسلامى (٤).

---

(١) دكتور حسن الشرقاوى - الحكومة الباطنية - ص١٣٧ .

(٢) ذهب فى توضيح ذلك السيد محمود أبو الفيصض المنوفى - وحدة الدين والفلسفة والعلم المجلد الأول - ص٢٠٠ ومابعدها .

(٣) دكتور حسن الشرقاوى الحكومة الباطنية ص١٢ .

(٤) نفس المصدر - ص١٣ .

ودولة الباطن، هى دولة الفقراء كماهو شائع عند الصوفية ولذلك يرى نيكلسون "Nicholson" أن للأولياء عند المسلمين حكومة باطنية، تتصرف فى العالم وتحفظ عليه نظامه، وعلى رأسها: القطب، وتحته النقباء، والأوتاد، والأبرار، والأبدال، وهكذا ويزداد عدد كل صنف من هذه الأصناف بحسب درجتهم أو بحسب بعدهم من القطب أو قربهم منه(١).

ودولة الباطن فى عرف الصوفية -هى دولة الأولياء والفقراء فى مقابل دولة الظاهر- وهى دولة العلماء والفقهاء، فالأولياء قائمون على العمل وتربية الأخلاق والإخلاص وتطبيق الحقيقة على الشريعة أو تحقيق الشريعة من خلال الإلتزام بظواهر الشريعة، والعلماء والفقهاء قائمون على البناء العلمى للشريعة، ولكل من الدولتين قوانين وأسس وقواعد يلتزم بها الجانبان..

وربما أشار إلى وجود دولة الأولياء وقيامها وأصولها الإمام أحمد الرفاعى المتوفى عام/ ٥٧٨/ هـ فى قوله المشهور بين أصحاب الطريقة

هذه دولة الأشياح قد ظهرت(٢) فأمـدد يدك كى تحظى بها شفتـى

والإمام الرفاعى يقول ذلك. خلال زيارته لقبر الرسول ﷺ، يريد بذلك أنه أخذ العهد من النبى ﷺ مباشرة(٣) وهو يشير بذلك إلى تأسيس دولة أهل الباطن، وأهل الله من الأولياء والمخلصين، والمشيدة على التأثير الروحى، أو هى دولة "البركة".

وهذه البركة هى التأثير الروحى الذى يحدث بواسطة الشيخ المربى بالنسبة للمريدين، ويصير المريد منتسباً إلى أهل الباطن ليس لمجرد قراءة الأحزاب والأوراد فى الطريقة فقط، بل بالتذوق والتجربة الفعليـة والعملية، ومعيشتهـا ولهذا تأثير فى تربية وتنمية السلوك العملى، وهكذا، حتى يصير المريد مريداً حقيقياً فى طريق الله تعالى وأهم شئ هو تجريد التوحيد، والإخلاص والطاعة له وإسقاط التدبير مع الله تعالى، والتوكل بالكلية على الله تعالى(٤).

---

(١) نظرنا: نيكلسون، فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص٨١ -٨٢ كذلك المصدر السابق- ص١٨.

(٢) يقصد بدولة الأشياح: دولة أهل الظاهر. أى قيام الشرائع وتطبيقها.

(٣) هذا القول مشهور بين رواد الطريقة الرفاعية حتى الآن وحصلنا على ذلك خلال دراستنا الميدانية لرواد الطرق الصوفية، وخلال المعايشة الفعلية لحلقات أذكارهم.

(٤) المصدر السابق - ص١٩.

وأهل الباطن، كما ذكرهم الإمام إبن القيم /٦٩١هـ/ ٧٥١هـ/ يختلفون عن أهل الدنيا، فأكثر آدابهم فى رياضة النفس، وتأديب الجوارح وترك الشهوات، والوفاء بالعهود، وغض البصر، إذ قال بعض العارفين "من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره بإتباع السنة وتعود أكل الحلال لم تخطىء فراسته" (١).

ولاشك أن شيوخ الطرق تتوفر لديهم فراسة فى إختيار المريدين وضمهم إلى حلقات دروسهم، وتلقينهم آدابهم وتربيتهم وإذا كانت هناك بعض الإختلافات بين شيوخ الطرق فإنها إختلافات شكلية أو مظهرية كما أشرنا فيما سبق لأن جوهر الطريق إلى الله تعالى عندهم جميعاً واحد، والهدف واحد والرسالة المحمدية واحدة (٢).

ومما لاشك أن دولة الصوفية - وهى حكومة الباطن "لها تنظيم داخلى، وترتيب دقيق، ومحدد، فلكل فرع من فروعها وظائفه ومهماته الموكلة إليه .

وهذا التنظيم، يتصدر فى أعلاه - القطب الغوث - ويعاونه الإمامان، ثم الأوتاد، والأبدال، والنجباء والنقباء، والرجباء، ... وهكذا .

ولكل من هذه المراتب الوظيفية فى حكومة أهل الباطن الصوفية "درجة" معروفة ومحددة تختلف طبقاً للقرب أو البعد من القطب الغوث رئيس هذه الحكومة.

ثانياً: عناصر الحكومة الباطنية (خصائصها ووظائفها) : -

كما أشرنا أن حكومة أهل الباطن من الفقراء - الصوفية هى مصدر الإشعاع الروحى والمعرفى، يوجد فى قمتها مايعرف عندهم "بالقطب الغوث" ثم تتدرج حسب المراتب لكل منها .

ونظرية "القطب الغوث" "أو القطبانية الغوثية، لها مايرادفها بلا شك عند أرباب المذاهب الشيعية والفلاسفة الصوفية، فمرتبة "القطب" تشبه مرتبة الإمام عند الشيعة الباطنية. غير أن الشيعة غالوا فى ذلك وأصيغوها بصبغة قدسية إلهية، فالإمام هو ظل الله تعالى فى الوجود، وهو المخصوص بعلوم الباطن، وهو مدار الرحى فى الكون، وهو معصوم .. إلخ (٣).

---

(١) الإمام إبن القيم الجوزية الروح -ص٤٠٩- ط دار السلام العالمية للطبع والنشر - القاهرة بدون تاريخ .

(٢) راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى - المقدمة - حـ١ (المقدمة) .

(١) قام الباحث باعداد رسالته للدكتوراه فى مذهب التأويل عند الشيعة الباطنيه - تحليل ==

ويرادفها عند فلاسفة التصوف - مرتبة "الحكيم المتأله" عند السهروردى المقتول عام / ٥٨٧هـ/ يقول السهروردى فى ذلك "أن العالم ماخلا عن الحكمة وعن شخص قائم بها. عنده الحجج والبينات، وهذا يدل على أن القطبانية هى صورة من صور النبوة، ولاشك أن فى ذلك مبالغة عند السهروردى فالحكيم المتأله "هو أعلى درجة من الواصلين، وقد يكون مستولياً ظاهراً أى له مقاليد الأمور السياسيه فيصبح العصر نورانيا أى عصر ازدهار وقد يكون خفيا غير مسئول، حامل الذكر فحسب وليس له أى تأثير فى الشئون الزمانيه، وعلى ذلك تخلوا الأرض من التدبير الإلهى ويغلب عليها الظلمات والتأخر [١].

ويبدو أن أصول "حكومة الباطن الصوفية" وعناصرها، فكرة روحية قديمة الى حد ما، ففضلا عما أشار اليه السهروردى المقتول عام /٥٨٧/هـ بمعنى "الحكيم المتأله". فإن الحكيم الترمذى المتوفى عام / ٣٢٠ هـ = ٩٣٢م /قد أشار اليها، وربما كان هو أحد أركانها [٢] إذ يضع فى أعلى الدرجات "المقربين" وهو مايرادف معنى أو درجة "الأقطاب" فى مصطلحات المتأخرين، ويسميهم "بالأمناء" أو المنفردين، وأحيانا بالنجباء وأحيانا بالبدلاء، وهم كما يرى القائمون بالحجة المفوض اليهم فى الأمر، فهم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم على الأمة، أولئك الأقلون عددا، الأكثرون عند الله قدرا وهم الأمناء فى عباده" [٣] .

== ونقد- حيث نتبع أصول نظرية الإمام عند الشيعة الباطنية وتطورها بالتفصيل وللمزيد يمكن الرجوع إلى . الدكتور كامل الييى- الصله بين التصوف والتشيع- ط دار المعارف ١٩٦٩م.

(١) تحدثنا عن هذا الموضوع فى سياق هذا البحث (راجع الباب الثانى) التصوف الفلسفى. كذلك دكتور محمد على أبوريان - أصول الفلسفة الإشراقية - ١٠٥ - ط دار الطلبه العرب ببيروت - كذلك دكتور حسن الشرقاوى - الحكومة الباطنيه - ص٢٦.

(٢) ذكره ابن عطاء الله السكندرى / ٧٠٩/ هـ فقال "كان الشاذلى/ ٦٥٦/ هـ والمرسى /٦٧٦/ هـ بعظمانه ويقولان هو أحد الأوتاد الأربعة نظرنا - القشيرى- الرسالة القشيريه (حـ١) ص١٣٨ - (الهامش) بقلم المحققين.

(٣) دكتور حسن الشرقاوى - الحكومة الباطنية - ص٢٦- كذلك دكتور عبد الفتاح بركة - الحكيم الترمذى نظريته فى الولايه - ص٢٧٥ -حـ٢ - ط مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة ١٩٧١م.

كذلك نجد أن فكرة القطب (القطبانية) ترادف أيضا ماظهر عند فلاسفة التصوف المتأخرين بمعنى "الإنسان الكامل" وهو مظهر من مظاهر الظهور الروحى النورانى أو الكمال النورانى فى عالم الوجود، وهو روح محمد ﷺ ، أو هو المعبر عنه "بالحقيقة المحمدية" أو هو مرآة الروح الإلهى المنيت فى عالم الوجود ، أو هو الصفحة الإلهية ومدار الرحى النورانى الإشراقى فى الكون[1] .

إذن فالعنصر الأول من عناصر دوله الباطن الصوفية، هو "القطب"[2] وهو ماأصطلح عليه المتأخرين من أصحاب الطرق الصوفية.

وقد ذهب الشعرانى /٩٧٣هـ إلى توضيح دائرة القطبانية والولاية الروحانية ومرايتها فى دولة أهل الباطن ، ودرجاتها واختصاص كل درجة من درجاتها وهذا مانريد بيانه.

يقول الشعرانى: مستمدا آرائه من نظريات شيخه الأكبر محى الدين ابن عربى/٦٣٨/هـ "أن القطب لايمكن أن يقوم فى القطابه الا بعد أن يحصل معانى الحروف التى فى أوائل السور المقطعة مثل، ألم، والمص، ونحوهما، فإذا أوقفه الله تعالى علي حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلا لها"[3] ومن صفات القطب وعلاماته "أن اسم القطب فى كل زمان عبد الله عبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقيق بمعانى جميع الأسماء الإلهية يحكم الخلافة، وهو مرآة الحق تعالى، ومجلس النعوت المقدسة، ومحل المظاهر الإلهية، وصاحب الوقت وعين الزمان، وصاحب علم سر القدر، وله علم دهر الدهور، ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء، لأنه محفوظ فى خزائن الغيرة، ملحف بأردية الصون، لايعتر به شبه فى دينه قط، ولايخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفى الطبيعة حقها على الحد المشروع له، ويوفى الروحانية حقها على الحد الإلهى، يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين، الوقت له، لايحكم عليه وقت وإنما هو لله وحده حاله دائما العبوديه والإفتقار، يقبح القبيح

(١) عبد الكريم الجيلى - الإنسان الكامل - حـ٢ - كذلك الباب الثانيمن هذا البحث ، فقد وضحنا ذلك بالتفصيل .

(٢) القطب : هو الواحد الذى هو موضع نظر الله تعالى من العالم فى كل زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام. نظرنا - عبد الرازق الكاشانى- اصطلاحات الصوفيه - ص١٥٣.

(٣) الشعرانى - اليواقيت والجواهر - حـ٢ - ص٧٨.

ويحسن الحسن، تأنه الأرواح فى أحسن الصور، يذوب عشقا، يغار لله عز وجل ويغضب له تعالى، لاتظهر روحانيته إلا من خلف حجاب الشهادة والغيب لايرى من الأشياء إلامحل نظر الحق فيها ،.... ثم يقول أيضا "من شأن القطب الوقوف دائما خلف الحجاب الذى بينه وبين الحق جل وعلا، فلا يرتفع حجابه حتى يموت، فإذا مات لقى الله عز وجل، فهو كالحاجب الذى ينفذ أوامر الملك، وليس له من الله تعالى إلا صفة الخطاب لا الشهود وهكذا ... ثم يقول أيضا.. أن القطب يبايع فى دولة الباطن كما هى المبايعة فى دولة الظاهر، إذ أن الله تعالى لاينصب عبداً قط مرتبة الولاية أو القطابة إلا وينصب له سريرا فى حضرة المثال يقعد عليه .. فإذا قعد عليه قعد بصورة الخلافة، ويأمر الله تعالي العالم ببيعته على السمع والطاعة، فيدخل فى هذه البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى إلا "العالون - وهم المهيمون"فى جلال الله تعالى العابدون لله تعالى بالذات لايأمر الهى ظاهر على لسان رسول.

وأول من يبايعه: العقل الأول، ثم النفس، ثم المقدمون من عمار السموات والأرض من الملائكة المسخرة، ثم الأرواح المديرة للهياكل التى فارقت أجسامها بالموت، ثم الجن، ثم المولدات ثم سائر ماسبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه إلا "العالون" من الملائكة، وكذلك الأفراد [١] من البشر لايدخلون تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف إذ هم كمل مثله، مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبيه، لكن لما كان الأمر يقتضى أن لايكون فى الزمان الا واحد يقوم بهذا الأمر تعين ذلك الواجد لكن لايأوليه، وأنما هو يسبق العلم فيه بأن يكون هو الولى. وفى الأفراد من يكون من هو أكبر منه فى العلم بالله تعالى وحده. [٢]

ومن خصائص القطب أيضا أنه يختلى بالله تعالى وحده، ولا تكون هذه المرتبة لغيرة من الأولياء أبدا، ثم إذا مات القطب الغوث، انفرد الله تعالى بتلك الخلوة لقطب آخر لاينفرد قطب بالخلوة لشخصين فى زمان واحد أبدا، وهذه الخلوة من علوم الأسرار [٣].

وهذا يشير إلى أن مرتبة القطبانية لاتجوز إلا لشخص واحد فى زمان واحد، فإذا مات القطب الغوث تولى غيره باختيار الله تعالى، لما يتوافر فيه من خصائص القطبانية.. وجدير

---

(١) الأفراد: هم الرجال الخارجون عن نظر القطب - الكاشانى - اصطلاحات الصوفيه - ص٥٣.

(٢) الشعرانى - نفس المصدر - ص٧٩، ص ٨٠

(٣) المصدر السابق - ص٨٠

بالذكر أن القطبانية تجوز فى أئمة الظاهر، كالخلفاء والأئمة الأربعة، كما هى فى دوله الباطن [١].

ويوضح الشعرانى دائرة القطبانيه منذ نشأتها فى عالم الوجود، إذ يقول كما قال شيخه الأكبر محى الدين بن عربى "أن العالم لايخلو زمانا واحدا من قطب يكون فيه كما هو فى الرسل عليه السلام، لذلك أبقى الله تعالى من الرسل الأحياء بأجسادهم فى الدنيا أربعة ثلاثة مشرعون وهم إدريس، والياس، وعيسى، وواحد حامل العلم اللدنى وهو الخضر عليهم السلام .

وعلى ذلك فإن الدين الحنيف له أربعة أركان كأركان البيت وهم "الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنون" والرسالة هى الركن الجامع للبيت، وأركانه، فلايخلو زمان من رسول يكون فيه وذلك هو "القطب" الذى هو محل نظر الحق تعالى من العالم كما يليق بجلاله، ومن هذا القطب تتفرع جميع الإمدادات الإلهية على جميع العالم العلوى والسفلى .

ولما كان من شروط القطب، أن يكون ذا جسم طبيعى وروح ويكون موجودا فى هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته من عهد آدم الى يوم القيامة، ولما كان الأمر هكذا ومات الرسول ﷺ بعد ما قرر الدين الذى لاينسخ والشرع الذى لايتبدل دخلت الرسل كلهم فى شريعته ليقوموا بها، فلا تخلو الأرض من رسول حى بجسمه إذ هو القطب للعالم الإنسانى، فهو واحد، فادريس فى السماء الرابعة، وعيسى فى السماء الثانية، والياس والخضر عليهما السلام فى الأرض والمعلوم أن السموات السبع من عالم الدنيا لأنها تبقى ببقاء الدنيا وتفنى بفنائها، قد أبقى الله تعالي فى الأرض الياس والخضر وعيسى عليهم السلام إذا نزل وهم من المرسلين، فهم القائمون فى الأرض بالدين الحنيف فمازال المرسلون ولايزالون فى هذه الدار، لكن من باطنيه شرع سيدنا محمد ﷺ.

فالقطب هو الواحد من عيسى وإدريس وإلياس والخضر عليه السلام، وهو أحد أركان بيت الدين وهو كركن الحجر الأسود واثنان منهم هم "الإمامان" [٢] وأربعتهم هم "الأوتاد" [٣].

---

(١) لمزيد من التفاصيل – راجع المصدر السابق – ص٨٠.

(٢) الإمامان : هما الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث أى القطب ونظره فى الملكوت . والأخر عن يساره ونظره فى الملك وهو أعلي من صاحب، وهو الذى يخلف القطب .

(٣) الأوتاد الأربعة : هم الرجال الأربعة الذين على منازل الجهات الأربع من العالم، أى الشرق والغرب، والشمال والجنوب بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات لكونهم محل نظر الله تعالى.. الكاشانى، اصطلاحات الصوفية – ص٥٤ ،ص٥٥

فبالواحد يحفظ الله تعالى "الإيمان" والثانى يحفظ الله تعالى "الولاية" وبالثالث يحفظ الله تعالى "النبوه"، وبالرابع يحفظ الله تعالى "الرساله"، بالمجموع يحفظ الله تعالى الدين الحنيف.

فالقطب من هؤلاء واحد لايعينه، ولكل واحد من هؤلاء الأربعة من هذه الأمة[1] فى كل زمان شخص على قلبه نائبا عنه، مع وجودهم، وأكثر الأولياء لايعرفون القطب، والأمامين، والأوتاد لاالنواب ولاهؤلاء المرسلين الذين ذكرناهم، ولهذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات، ثم إذا خصوا بها عرفوا عند ذلك أنهم نواب لذلك القطب، فاعرف ذلك[2].

والواضح أن مرتبة القطبانية، والإمامان والأوتاد، من المراتب الروحانية الباطنيه والسريه لايعلمها أحد إلا المخصوص بها فقط، وليس هذا ميسوراً لأحد.

ثم يوضح الشعرانى، ماصدر عن شيخه الأكبر ابن عربى، فيما يتعلق بخصوصية القطبانيه ومددها الروحانى والشرعى من آدم الى محمد ﷺ، أنها روح محمد ﷺ[3].

ويوضح الشعرانى، تفسير لما يتردد بين مشايخ الطرق الصوفيه فى تحديد قطب الزمان، فيهم، وفى أزمانهم فيقول "أن المراد بقولهم فلان من الأقطاب على مصطلحاتهم، أنهم يسمون القطب فى بلادهم أو بلدهم هو كل من دار عليه مقام ما من المقامات، وأنفرد به فى زمانه على أبناء جنسه، فرجل البلد قطب ذلك البلد، ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا، لكن الأقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لايكون منهم فى الزمان الا واحد وهو "الغوث" فان قلت فهل يكون القطب الغوث أحدا من مشايخ سلسلة القوم، كالشيخ أحمد الزاهد المتوفى عام ٨٢١ هـ/ وسيدى مدين/ ٥٩٤ هـ/ فالجواب كما قال السيد على الخواص /٩٤٥هـ/ لايلزم أن يكون أحدهم قطبا، فإن مقام القطبانية عزيز جل أن يلمح سناه كل أحد، ولكن المسلكون المذكورون كالحجاب على باب الملك، يعلمون كل من أراد دخول حضرة الملك الآداب اللائقة به، وماظهر على

---

(١) الأمة : يقصد بها أمة الإسلام، لأنها أمة سيدنا محمد ﷺ وهى بشريعته عليه السلام نسخت جميع الشرائع، وجمعت ماسبقها من أصول الإيمان والإعتقاد وزادت عليها، وعلى ذلك تصير القطبانية منحصرة فيه وكذلك عناصرها الأخرى

(٢) الشعرانى - اليواقيت والجواهر - ص٨١.

(٣) المصدر السابق - ص٨٢ .

أيديهم من الكرامات والخوارق، أنما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالى، وكثرة إخلاصهم ومجاهداتهم (١).

وهذا يشير الى أن مرتبة القطبانيه، مرتبة عزيزة، لايصل اليها إلا من اجتباه الله تعالى أو خصه بها من سائر الأولياء، وهى مستورة لايذاع سرها ولايعرفها إلا المقربون فى دولة أهل الباطن.

وان كان لكل بلد أو قرية، أو اقليم قطبا "غير الغوث" به يحفظ الله تعالي تلك الجهة سواء كان أهلها مؤمنين أو كفار، وكذلك القول فى الزهاد العباد والمتوكلين وغيرهم، لابد لكل صنف منهم من "قطب" يكون مدارهم عليه.

ويعطينا الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى مثالا على ذلك حيث أنه أجتمع بقطب "المتوكلين" وأنه رأى مقام المتوكـل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد الله الأستاذ، ببلاد الأندلس، كذلك اجتمع بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة سنة ٥٩٣/ هـ بمدينة فاس بالمغرب، وكان أشل اليد، وعندما تكلم ابن عربى فى مقام القطبية فى مجلس كان فيه أشار عليه أن يستره عن الحاضرين (٢) .

وقد تتفاوت مدة القطبانيه، بالنسبة للقطب بحسب ماقدر الله تعالي له، فقد يمكث سنه أو أقل أو أكثر، إذ أن به تحفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد، وبالإمامين "يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة وهو ماأدركه الحسى "وبالأوتاد" يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب، "وبالأبدال" (٣) يحفظ الأقاليم السبعة، "وبالقطب" يحفظ الله تعالى جميع هؤلاء لأنه هو الذى يدور عليه أمر عالم الكون كله، فمن علم ذلك علم كيف يحفظ الله تعالى الوجود على عالم الدنيا (٤).

---

(١) المصدر السابق ص٨١.

(٢) المصدر السابق - ص٨٢ - كذلك نظرنا ابن عربى - الفتوحات المكية "الباب الثانى والستين" السفر الأول - وقد أشرنا إلى ذلك فى "الباب الثانى" من هذا البحث .

(٣) الإبدال (البدلاء) هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسدا على صورته فيه بحيث لايعرف أحد أنه فقد، وذلك معنى البدل لاغير، وهم على قلب ابراهيم عليه السلام، الكشانى- اصطلاحات الصوفيه - ص٥٧.

(٤) الشعرانى - اليواقيت والجواهر- ص٨٢.

ويوضح الشعرانى، أن القطب ليس له الحق فى أن يعطى "القطبية "لمن يشاء من أصحاب أو أولاده أو أولاد أولاده، وقد سأل أحد الأقطاب الله تعالى ودعاه أن تكون القطبية فى أولاده، فهتف به هاتف يقول له : أن ذلك لايكون إلا فى الإرث الظاهر أما الإرث الباطن، فذلك إلى الله وحده، الله أعلم حيث يجعل رسالته. (١)

إذن يتضح لنا من خلال ذلك، أن دائرة حكومة أهل الباطن الصوفيه، تسير على نسق دقيق، ونظام مرتب يحفظ لكل عنصر منها وظيفته الروحانية، مرتبته فى الولايه.

وإذا استطعنا مزيدا من الإيضاح ، فإن هذه الحكومة اشبه بالدائرة، مركزها "القطب الغوث" - وقطرها الأمامان "النائيان" ثم يلى هؤلاء الأوتاد الأربعة، ثم يليهم التقياء الأثنى عشر، ثم يليهم الرقباء والنجباء الأربعة عشر.. وهكذا، طبقا للترتيب العددى، والمراتب الروحانية، ودرجات الوصول والأحوال. وان اختلفت هذه المراتب غير أننا أخذنا بهذا الترتيب طبقا للترتيب العددى.

ويمكن لنا توضيح أختصاص كل مرتبة من هذه المراتب ومكانتها الروحيه، على هذا الشكل الدائرى : -

١ - القطب الغوث، وهو مركز الدائرة القطبانيه، وهو رئيس حكومة أهل الباطن،وله مطلق السلطات عليهم، وأمره وطاعته واجبه، ورؤيته صادقه، يتصل بأعضاء حكومة الباطن الهاما أو عن طريق الرؤيا أو بطريق التوجه. وبالقطب تحفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد (٢) والقطب يستمد روحانيته من روحانية سيدنا محمد ﷺ ظاهرا وباطنا، إذ أن القطب الغوث الفرد فى الدنيامن أولها إلى آخرها حتى يوم القيامة هو سيدنا محمد رسول الله ﷺ (٣) ويشرح ابن قصيب البان/ ١٠٤٠هـ/ موقف القطبانية بما يؤيد ذلك (٤)

---

(١) نفس المصدر - ص٨٢.

(٢) الشعرانى - اليواقيت والجواهر - ص٨٢.

(٣) نفس المصدر السابق- ص ٨٢.

(٤) يقول ابن قضيب البان/ وهو من متأخرى الصوفية/ فى موقف القطبيه: أوقفنى الله تعالى على بساط القطبيه وقال لى الإنسان الكامل قطب الشأن الإلهى، وغوث الآن الزمانى، ==

وإذا أردنا أن نمثل لذلك بشكل توضيحى، فإن القطب هو مصدر الإشعاع الروحانى والذوق الوجدانى من باطن الوجود إلى ظاهره، فنستطيع أن تقول هو مركز دائرة الكون، أو الدائرة الروحانية الباطنية الأولى فى دوائر حكومة أهل الباطن.

ولما كانت الحقيقة المحمدية هى قطب الوجود ، والصورة الروحية الحقيقة لمعانى القطبانية فى عالم الوجود والملك والملكوت، من أول الدنيا إلى آخرها فإن لكل زمان "قطب منها "قطبمنها"(١) وهذا يعنى عند الصوفية تتابع سر القطبانيه فى حكومة أهل الباطن فى كل زمان وفى الأماكن أو البلدان.

٢ - الإمامان "النائبان" عن القطب، يقول الشعرانى، بالأمامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة، وهو ماأدركه الحس(٢) ويقول ابن عربى أن الإمامين هما شخصان أحدهما عن يمين الغوث، ونظره فى الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره فى الملك وهو أعلى من صاحبه، وهو الذى يخلف القطب الغوث(٣) .

وعلى ذلك فإن لكل من الإمامين مرتبة روحانية، ونصف الكون والوجود فى حكومه الباطن، وإذا أردنا التمثيل لذلك بشكل توضيحى فهما يمثلان قطر دائرة القطبانية، أو الدائرة الثانية فى باطن دائرة القطبانية أو خارجها .

== أول ماأسلم له التصريف فى قطر نفسه حتى يبلغ الأشد، ثم أسلم له الملك والملكوت، وهذا هو النائب الرحمانى، وقال لى تعالى، القطب يعرف كل شئ حتى أهل الغيب، وعالم المجال، والعوالم وقال لى تعالى القطب خزانة أرواح الأنبياء، والكون كله صورة القطب، وهو غذاء أفئدة المقربين، والواصلين، وصلاح مشاهد العارفين، وقال لى تعالى القطب الفرد الواحد فى كل زمان، الحقيقة المحمديه، ولكل زمان قطب منها، وهو خطيب سر الولاء بكلمة بلى... ألخ نظرنا - "المواقف الإلهيه" -موقف القطبيه - ص ١٥٠ وماعدها.

(١) ابن قضيب البان - المواقف الإلهية- "موقف القطبية" . ص١٥١ وما بعدها (ملحق بكتاب الإنسان الكامل" تحقيق دكتور عبد الرحمن بدوى.

(٢) الشعرانى - اليواقيت والجواهر -جـ٢ - ص٨٢.

(٣) نظرنا : ابن عربى - الفتوحات المكية - السفر الثانى ص ٤٠٠، كذلك الشعرانى- نفس المصدر السابق.

٣ - الأوتاد : ذهب الصوفيه إلى أن عدد الأوتاد أربعة لاخامس لهم، وهم أخص منهم والقطب أخص الجماعة الباطنيه كلهم. (١)

يقول الشعراني، وبالأوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب، وبالواحد يحفظ الله تعالى الأيمان وبالثانى يحفظ الله تعالي الولاية، وبالثالث يحفظ الله تعالى النبوة، وبالرابع يحفظ الله تعالى الرسالة، وبالمجموع يحفظ الله تعالي الدين الحنيف(٢) وهؤلاء الأوتاد الأربعة يمثلون فى الكون، سيدنا عيسى، وإدريس، وموسى، وهارون والخضرى عليه السلام، وهم وزراء الغوث فى حكومة الباطن ومساعدوه(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن الصوفية أشاروا فى مؤلفاتهم الى بعض هؤلاء الأوتاد فذكروا منهم الأمام الشافعى يقول ابن عربى "أجتمعت بالخضر عليه السلام وسألته عن مقام الإمام الشافعى "محمد بن إدريس المتوفى عام/٢٠٤/هـ فقال كان من الأوتاد الأربعة، فسألته عن مقام الإمام أحمد بن حنبل ت عام/٢٤١/هـ فقال هو صديق (٤) .

وهذا يعنى أن القطبانيه أو الأمامية، أو الأوتاد تجوز فى علماء الظواهر والفقهاء كما أجازها الصوفية فى أعضاء الحكومة الباطنية.

وقد أشار الشاذلى /٦٥٦/ هـ وأبو العباس المرسى /٦٨٦/ هـ الى الحكيم الترمذى / ٣٢٠ هـ/ بأنه من الأوتاد. (٥)

ومن الجدير بالذكر أن الأوتاد فى أهل الباطن "من أهل التمكين "فقد بلغوا ووصلوا وثبتت أقدامهم ومقاماتهم، وقد ذكر الصوفية بعض الأسانيد الشرعيه لذلك فى روايات وأحاديث عن كبار الصحابة، غير أن موضوع البحث لايحتمل الخوض فى اختلاف هذه الروايات(٦).

---

(١) دكتور حسن الشرقاوى - الحكومه الباطنيه - ص٥١.

(٢) الشعرانى - اليواقيت والجواهر - جـ٢- ص٨١.

(٣) نفس المصدر السابق -جـ٢ ص٨١، كذلك دكتور حسن الشرقاوى- الحكومه الباطنيه- ص٥١.

(٤) الشعرانى - المصدر السابق- ص٨٠، ص٨٢.

(٥) أشرنا لذلك فيما سبق، كذلك القشيرى- الرساله القشيريه حـ١ ص١٣٨ بالهامش .

(٦) تحدث عن ذلك بالتفصيل- دكتور حسن الشرقاوي - الحكومة الباطنيه - ص٥١، ٥٢ - كذلك دكتور عبد الفتاح بركه الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية - حـ١، حـ٢ - ط مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

وإذا أردنا التمثيل لذلك بشكل توضيحى، فإن الأوتاد الأربعة يقتسم كل منهم جزأ من الكون، فى أهل الباطن الروحانى والذوق الوجدانى، وهذا الجزء الذى يخصص لكل منهم يمثل ربع الكون، شرقا أو غربا، شمالا أو جنوبا. وهم يمثلون الدائرة الثالثة فى دائرة حكومة أهل الباطن.

٤ - الإبدال : وهم فى المرتبة الرابعة من مراتب الوالاية الروحية الخالصة، فى حكومة الباطن، وعددهم سبعة أبدال لايزيدون ولاينقصون، وهم من أهل التلوين، لأنهم ينقلبون من حال الى حال، وهم أهل فضل وكمال وإستقامة وإعتدال، وتخلصوا من الوهم والخيال ولهم مظاهر منها الصمت والجوع والسهر والعزلة، وكل ظاهر باطن، وهم بعد الأوتاد الأربعة ويحفظ الله تعالى بهم الأقاليم السبعة، يقول الشعرانى "ماحفظ من حفظ فى صفاته السبع إلا بالإبدال السبعة، فكل صفة لها بدل يحفظها على صاحبها من حياة، وعلم ، وقدرة، وإرادة، وسمع وبصر، وكلام .

ويقول الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى "أعلم الناس لكل بدل من الأبدال السبعة قدرة تمده من روحانية الأنبياء الكائنين فى السموات، فينزل مدد كل بدل من حقيقة صاحبه الذى فى السماء وقال، وكذلك إمداد الأيام السبعة تتنزل من هؤلاء الأبدال لكل يوم مدد يختص من ذلك البدل، يضاف إلى ذلك، أن من شأنهم العلم بما أودع الله تعالى فى الكواكب السيارة من الأمور والأسرار فى حركاتها ونزولها فى المناذل المقدرة، سموا أبدالاً لأن كل واحد منهم إذا فارق مكان خلفه فيه شخص على صورته، لايشك الرائى أنه ذلك [١].

وينقل عن يحيى بن معاذ الرازى المتوفى عام/ ٢٥٨/ هـ"إذا رأيت الرجل يعمل الطيبات فاعلم أن طريقته التقوى، وإذا رأيته يحدث بآيات الله تعالى فاعلم أنه على طريق الإبدال" [٢].

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى، ذكر ترتيب الأبدال السبعة بحسب ترتيب الإقاليم السبعة على صورة ترتيب السبع سموات بحيث يكون إرتباط الأقليم الأول بالسماء السابعة، والثانى بالسماء السادسة .. وهكذا فكل إقليم مرتبط بالسماء المشاكلة له من الناحية الروحانية يقول إبن عربى "إعلم ياأخى أن الله تعالى جعل هذه الأرض التى نحن

---

(١) الشعرانى - اليواقيت والجواهر- جـ٢ - ص٨٢ - ص٨٣ - كذلك نقل الشعرانى هذا عن إبن عربى - الفتوحات المكية السفر الثانى - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٣٧ - ص٣٧٦ ومابعدها.

(٢) القشيرى - الرسالة القشيرية - حـ١ - ص١٠١ .

عليها سبعة أقاليم، وإصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال، وجعل لكل بدل إقليماً يمسك الله تعالى وجود ذلك الإقليم على النحو التالى:-

أ - الإقليم الأول: ينزل الأمر إليه من السماء الأولى، التى هى السابعة، وروحانية كوكبها والبدل الذى يحفظه هو على قلب الخليل إبراهيم عليه السلام، وكل أمر علمى يوم "السبت".

ب - الإقليم الثانى: ينزل الأمر إليه من السماء الثانية، وينزل إليه روحانية كوكبها الأعظم والبدل الذى يحفظه على قلب موسى عليه السلام، وكل أمر علمى يكون يوم "الخميس".

جـ - الإقليم الثالث: ينزل إليه الأمر الإلهى من السماء الثالثة وينظر إليه روحانية كوكبها، والبدل الذى يحفظه على قلب هارون ويحيى عليهما السلام بتأييد سيدنا محمد ﷺ، وكل أمر علمى يوم "الثلاثاء".

د - الإقليم الرابع: ينزل إليه الأمر والنهى الإلهى من السماء الرابعة، قلب الأفلاك كلها، وينظر إليه روحانية كوكبها الأعظم، والبدل الذى يحفظه على قلب إدريس عليه السلام، وهو القطب الذى لم يمت حتى الآن (والأقطاب فينا نواية كما مر قبل)، وكل أمر علمى يكون يوم (الأحد).

هـ - الإقليم الخامس: ينزل إليه الأمر من السماء الخامسة وينظر إليه روحانية كوكبها، والبدل الذى يحفظه على قلب يوسف عليه السلام، بتأييد سيدنا محمد ﷺ وكل أمر علمى يوم "الجمعة".

و - الإقليم السادس: ينزل إليه الأمر من السماء السادسة، وينظر إليه روحانية كوكبها، والبدل الذى يحفظه الله تعالى به على قلب عيسى عليه السلام، روح الله تعالى، ويحيى عليه السلام، وكل أمر علمى يكون يوم "الأربعاء".

ز - الإقليم السابع: ينزل الأمر إليه من السماء الدنيا وينظر إليه روحانية كوكبها والبدل الذى يحفظه على قلب آدم عليه السلام، وكل أمر علمى يكون يوم "الإثنين"[1].

---

(١) نظرنا فى ذلك: الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى. الفتوحات المكية - السفر الثانى - (الباب الخامس عشر) مراتب الإبدال - ص٣٧٦ - ص٣٨١.
كذلك - الشعرانى - اليواقيت والجواهر - جـ٢ - ص٨٢ - ص٨٣.

وقد أطال الشيخ الأكبر فى الحديث على أصحب الدوائر من الأولياء وصفاتهم، وخصائصهم مما لايحتمله هذا البحث فليرجع إليه من يشاء، وحسبنا تحديد المراتب وإختصاصاتها.

والواضح أن الأبدال بحسب الأقاليم السبعة وترتيب السموات السبع، وأيام الإسبوع السبعة، وهم على قلوب أنبياء السموات السبع، يستمدون منهم بحسب مكانة كل بدل منهم وروحانيته وكل أمر إلهى علوى أو علمى، وقد ذكر مؤرخوا التصوف والصوفية منهم روايات ومشاهد كثيرة لهذه المراتب، بحسب تقلب الأحوال وتبدل الصفات، وحيث أنهم من أهل التلوين، والمثال على ذلك ماذكره الشعرانى عن إبن عربى فى قوله "أنهم سموا أبدالاً لأن كل واحد منهم إذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لايشك الرائى أنه ذلك البدل".

ومن الروايات والمشاهد فى ذلك ماذكره الشيخ "المنوفى" أن رجلاً أقسم أنه رآه يعرفه، فقال له الناس "أن الشيخ مايزال فى مكانه".

فخرج الشيخ المنوفى وأشار إليه بالسكوت"، وكذلك ماذكره الشيخ أحمد حجاب ت عام/ ١٩٧٨م/ عن الشيخ حسن أبو على وهو من الصوفية المتأخرين، أنه كان كثير التطور، تدخل عليه فنجده جندياً، وأحياناً نجده سيفاً أو فيلاً"[(١)].

ويعلل أئمة الصوفية ذلك، بأن إمكان تعدد صور للولى من الإبدال يتركز فى بعض الأمور منها، أن ذلك من باب خرق العادات، كطى المكان، وروى الأرض من غير تعدد فيراه الرائيات كل فى بيته وهى بقعة واحدة، إلا أن الله تعالى طوى الأرض ورفع الحجب المانعة من الإستطراق، فظن أنه مكانين، وإنما هو فى مكان واحد، أو أن الولى كان من العظم بحيث ملاء الكون، فشوهد فى كل مكان، فملك الموت يقبض الأرواح فى الشرق والغرب فى وقت واحد، كذلك سؤال منكر ونكير بالقبر، ... وهكذا[(٢)].

ولاشك أن هذا يمكن أن يساعدنا خلال دراستنا الميدانية لتقصى أحوال ومراتب الأولياء المنتشرين فى منطقة البحث حيث وجد الباحث إنتشار قبورهم وتعدادهم وتشابه أسمائهم.

---

(١) الشيخ أحمد حجاب - العظة والإعتبار - ص٤١.

(٢) دكتور حسن الشرقاوى - الحكومة الباطنية - ص٥٤ - ص٥٥.

فأسماء مشاهير الأولياء من الصوفية منتشرة فى الكثير من القرى والبلدان بجمهورية مصر العربية، فى منطقة البحث، ويوجد لهؤلاء الأولياء القبور ذوى القباب العالية التى تعرف بأسمائهم من أمثال ... سيدى أبى اليزيد البسطامى. إذ يقع فى قرية "سديمة" (١) فى محافظة الغربية، وسيدى عبد السلام الأسمر، أو القليبى - يقع فى قرية قليب إبيار (٢) فى محافظة الغربية أيضاً، وسيدى حسن العراقى ويقع فى قرية (برما) - محافظة الغربية أيضاً، بينما ذكر الشعرانى هؤلاء على سبيل المثال ونشأتهم ووفاتهم وقبورهم فى بلدان أخرى، كذلك مانلاحظه من عدم وجود تواريخ محددة لهؤلاء، وغيرهم .

ممايدل على إمكان تطبيق مرتبة البدلية "الأبدال" عليهم .

ويمكن أن يعطى مثالاً توضيحياً لهذه المراتب "الأبدال" فإن الأبدال يشغلون الدائرة الرابعة فى دوائر الحكومة الباطنية، خارجها أو داخلها .

٥ - ***الرجباء*** :وهى مرتبة من المراتب الروحانية فى حكومة أهل الباطن، وفيما أعتقد أنها تشغل الدائرة الخامسة فى دوائر هذه الحكومة، حسب علمى وترتيبى لهذه المراتب طبقاً للتكوين العددى فيها وإن ظهر إختلاف فى هذا الترتيب، فحسب علمى فقط بذلك وإجتهاد من جانبى، إذ أن هذه المراتب فيها إختلاف بين الصوفية، فهى مراتب روحانية لها خصائصها وإختصاصاتها بما يتوافق مع الخصوصية، ودرجات الغرب والوصال والحال.

ويكاد يجمع أئمة التصوف. أن الرجباء ثمانية فى كل زمان ومكان لايزيدون ولاينقصون، وهم الذين تبدو عليهم علامات القبول وأحواله، وهم وإن كانوا كذلك فليس لهم إختيار فى الحال الذى يكونون عليه ولايعرف حالهم من كان فوقهم،ولامن دونهم وهم أصل الصفات السبع المشهورة والإدراك الثامن وقال بعض الصوفية - أن الصالحين كثيرون، يخالطون العوام لصلاح الناس دينهم ودنياهم، والنجباء فى العدد أقل منهم، والنقباء أقل منهم وهم مخالطون للخواص، والأبدال وفى العدد أقل منهم فى مصر إلا الواحد بعد الواحد، وقال بعض العارفين أن عدد

---

(١) سديمة : قرية تقع بالقرب من مدينة بسيون محافظة الغربية وتقع على بحر كبير، فرع من النيل، محافظة الغربية .

(٢) قليب إبيار: قرية تقع بمحافظة الغربية ذكرها إبن بطوطه. وأشار إليها على مبارك فقال «قليب إبيار فى مقابلة بلدة النحرارية» نظرنا - الخطط التوفيقية - حـ١٧ -ص٢١ .

النجباء ثلاثمائة، والنقباء أربعون، والبدلاء ثلاثون وقيل أربعة عشر وقيل سبعة وأن الأوتاد أربعة(١).

وقد إجتهد بعض الصوفية فى إيجاد أسانيد عن سيدنا على بن أبى طالب فى ذلك إذ - يقول البدلاء بالشام، والنجباء بمصر، والنقباء بخرسان، والأوتاد بسائر الأرض والخضر عليه السلام بسائر الأرض(٢).

ويمكن أن نعطى مثالاً توضيحياً لهذه المرتبة "الرجباء" بالدائرة الخامسة، فى دائرة الحكومة الباطنية - خارجها أو داخلها .

٦ - ***النقباء:*** وهم الذين تحققوا بالإسم الباطن، فأشرفوا على بواطن الناس، وإستخرجوا خفايا الضمائر لإنكشاف الستائر لهم عن وجوه الشرائر، وهم ثلاثمائة(٣) ولكن يبدو أن أعداد النقباء(٤) كما ورد فى مصادر التصوف إثناعشر نقيباً فى كل زمان ولايزيدون ولاينقصون على عدد البروج الإثنى عشر، وكل نقيب عالم بخصوصية كل برج بما أودع الله فيه من الأسرار، ويذهب الشيخ الأكبر إبن عربى، أن النقباء قد إستخرجوا خبايا النفوس(٥) ويمكن توضيح مراتب النقباء بالدوائر الباطنية الصوفية فى الدائرة السادسة خارجها أو داخلها .

٧ - ***النجباء:*** وهم الرقباء: وعددهم أربعة عشر رقيباً، ويحاول أئمة التصوف، أن يجدوا لهم أسانيد من الآثار والأحاديث النبوية، لكن يبدوا على مثل هذه الأسانيد الوضع فى تضاعيف كتب الصوفية، ويرى الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى أن النجباء أربعون نجيباً،

---

(١) نظرنا فى ذلك: دكتور عبد الفتاح بركة - الحكيم الترمذى ص٥٣، كذلك دكتور حسن الشرقاوى الحكومة الباطنية - ص٦٠، ص٦١ .

(٢) المصدر السابق ص٦٠ .

(٣) عبد الرازق الكاشانى - إصطلاحات الصوفية - ص١١١ .

(٤) يعرف النقيب فى اللغة: أنه العريف على القوم المقدم عليهم الذى يتعرف على القوم المقدم عليهم ويتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم، وقبل النقيب الرئيسى الأكبر، والنقباء أقسام الأولياء. وإصطلاحات الصوفية، الهامش ص١١١ .

(٥) دكتور عبد الفتاح بركة - الحكيم الترمذى - ص٥٣ - كذلك دكتور حسن الشرقاوى - الحكومة الباطنية - ص٦٠ .

مشغولون بحمل أثقال الخلق، فلايتصرفون إلا فى حق الغير[1] وفى كتاب الكاشانى "إصطلاحات الصوفية" تعريف النجباء وأعدادهم وإختصاصاتهم الروحانية يقول "هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس، وحمل أثقالهم، المتصرفون فى حقوق الخلق لاغير[2].

وتمثل هذه المرتبة الدائرة السابعة، فى دائرة حكومة الباطن، خارجياً أو داخلياً ولإعطاء صورة توضيحية لهذه الدوائر الروحانية عند أهل الباطن، تمكنا من رسم شكل رقم (أ). ورقم (ب). ورقم (جـ) .

٨ - ***دوائر حكومة الباطن:*** (فى دولة الأولياء) .

إنظر شكل رقم:

(أ) لتوضيح مصادر الإشعاع الروحانى من الباطن إلى الظاهر .

(ب) دائرة القطب الغوث الروحانية المحيطة بالكل ظاهراً أو باطناً .

(ج) لتوضيح دائرة الفردانية والقطبانية وإشعاعها .

ثالثاً : التحديد المنهجى وخطة الباحث فى دراسته الميدانية:

إن التحديد المنهجى لهذه الدراسة الحقلية التركيبية يستلزم وضع بعض القواعد والأسس التى يتتبعها الباحث فى هذه الدراسة، حتى يستطيع الكشف عن الكثير من الجوانب الغامضة والتى قد تغيب عن مجال البحث النظرى فى حياة وسيرة أهل الطرق الصوفية ومشايخها، بالإضافة إلى إمكان التعرف على مدى التطبيق الفعلى للإطار النظرى، والروحى فى حكومة أهل الباطن الصوفية .

ولاشك أن مثل هذه الدراسة الميدانية العملية، فائدة كبيرة، إذ قد نجد إجابة واضحة عن بعض التساؤلات التى تحيرنا عندما نحاول دراسة هذه الطرق ومبادئها وقواعد السلوك العملى فيها، كذلك الإجابة عن كثير من التساؤلات التى كانت تحير الباحث، عن العوامل والأسباب الجوهرية فى الإنتشار الكبير لأصحاب الطرق والمريدين، فى بقاع كثيرة من جمهورية مصر

---

(١) المصدر السابق - ص٥٩ .

(٢) عبد الرازق الكاشانى - إصطلاحات الصوفية - ص١٠٩ .

العربية، كذلك البلاد الإسلامية والعربية، وعن ترادف الأسماء والمسميات لهؤلاء المشايخ فى هذه الأنحاء، أو ظهور القباب والقبور، فى بقاع كثيرة تحتوى نفس الأسماء أو المسميات تقريباً وهكذا .

وعلى ذلك، فإنه يمكن تحديد المنهج والطريقة التى يسلكها الباحث فى هذا المجال كالآتى:-

١ - القيام بالزيارات الميدانية ،والمعايشة الفعلية لأصحاب الطرق الصوفية، ومناقشتهم فى أصول الطريقة الصوفية ونظامها ومشاهدة حلقات أذكارهم وأحزابهم وأورادهم، ووصف ذلك بصورة دقيقة وموضوعية وتكون هذه الزيارات، إما خلال أحياء ليالى الحضرات الأسبوعية، أو خلال الموالد التى يحييها أصحاب الطرق الصوفية.

٢ - وضع صوره وصفية لأشكال ومظاهر الطرق، بأختيار عينات معبره عن كل طريقة من الطرق المنتشرة وكذلك أشاير الطريقة وعلاماتها المميزة عن غيرها، بالإضافة إلى التعرف علي نماذج من صور منح العهد لمريدى الطريق.

٣ - عمل دراسة وصفية وتحليليه لنماذج من أضرحة وقبور أتباع الطرق الصوفيه المنتشرة فى منطقة البحث الميدانى، تتضمن أخذ صور فوتوغرافيه معبره عنها وقد تم إختيار مجموعة من القرى والبلاد التى وجد الباحث أنها تتضمن عينات مختلفة من مشايخ الطرق الصوفية أو مريديها. وهذه البلاد والقرى تقع فى منطقة وسط الدلتا، فى محافظات الغربية، والشرقية والبحيرة والمنوفية، وكفرالشيخ .

٤ - عمل مسح لهذه البلاد، بالإستعانة بكتابات بعض مؤرخى التصوف المتأخرين، كالشعرانى، وعلى مبارك دكتور حسن الشرقاوى والدكتور أبو الوفا التفتازانى، والدكتور عامر النجار وغيرهم. ثم تصنيف هذه الدراسة بحيث يمكن التمييز بين أتباع الطريقة "الرفاعية" والطريقة "البدوية" "والشاذلية" والبرهامية أو غيرهم.

٥ - **بحث كيف يمكن تطبيق الإطار النظرى فى"حكومة أهل الباطن" والترتيب الروحى ومصدر الإشعاع الباطنى الوجدانى فى درجات أصحاب الطرق الصوفية ومشايخه، والكشف عن دوائر هذه الحكومة، بالترتيب الروحاني، والفيض النورانى كما وضحنا ذلك خلال دراستنا لهذا الإطار النظري المتمثل فى دوائر الحكومة الصوفية وسوف يكون ذلك كالأتى:**

أ - تحديد قطب المنطقة. ب - تحديد نواب القطب.

جـ - تحديد أوتاد المنطقة. د - تحديد أبدال المنطقة.

هـ - تحديد رجباء المنطقة. و - تحديد نقباء المنطقة.

ز - تحديد رقباء ونجباء المنطقة.

وهكذا، حيث وجد الباحث أن لكل قطب من الأقطاب دائرة إشعاع روحانى، وفيض نورانى يتمثل فى كثير من الأضرحة والقباب المنتشرة فى مناطق حددها صاحب الطريقة، كالرفاعى، والبدوى، والشاذلى، والدسوقى.



"الفصل الثانى"

دراسة تطبيقية على نماذج

من الطريقة الجيلانية والرفاعية

أولا : منطقة البحث الميدانى:

أتجه الباحث إلى إختيار بعض المناطق الهامة التي تقع بمنطقة وسط الدلتا بمصر، لإجراء بعض الدراسات الميدانية التركيبيه، ومحاولة تطبيق نظام حكومة أهل الباطن عند الصوفية من خلال تتبع أثار الطرق الصوفية وانتشارها، متمثلا ذلك فيما لاحظه من انتشار اعداد كثيره من القبور والأضرحة لكثير من المشايخ ورواد الطريقة الصوفية الشهيرة بمصر والتي ذات تأثير واضح فى رسم خريطة دائرة التصوف فى العصور المتأخرة.

يضاف إلى ذلك كثرة انتشار تلك الأضرحة والقباب لمريدين أو دراويش الطرق الصوفية، وإن كان معظمها مجهولة، أو يتناقل الناس سيرهم، ومايشيع بين الناس منذ فترات بعيدة عن كرامات هؤلاء، ومكانتهم الروحية، وأهميتهم بالإضافة الي معرفة الناس بهويتهم عن طريق تناقل الأخبار عنهم جيلا بعد جيل بصورة غير دقيقة يغلب عليها. الطابع الإسطورى والفلكلورى الشعبى .

وإن كانت طبيعة البحث العلمى، لاتكتفى بمجرد الروايات أو الحكايات التي تتناقل بين الناس، والتى قد تكون مشبعة بكثير من الفولكولوريات والأساطير، فإن الباحث يركز فى المقام الأول على المصادر الأساسية، خلال مايعثر عليه من تراجم أو سير هؤلاء الأولياء أو الدراويش بقدرمايتيسر له من مخطوطات، واسانيد الأنساب المحفوظة بأضرحة الأولياء.

ومن الجدير بالذكر، أن الباحث عثر علي كثير من الإشارات والتراجم لبعض المشايخ والأولياء المنتشرين فى منطقة البحث، واستطاع الباحث أيضا من خلال تتبع طبقات الطرق الصوفية المتأخرين أن يطبق ماورد فى دائرة الحكومة الباطنية الصوفية، وتبين له أن بعض هؤلاء قد يقع فى إحدى هذه الدوائر، فقد يكون من الأوتاد، أو الإبدال، أو الرجباء، أو النجباء والنقباء ويستمدون مددهم من قطب المنطقة.

وربما كان لهذه المقياس الذى وضعه الباحث، فى سبيل هذه الدراسة الحقلية الميدانية، أثر كبير فى إمكان إحراز نتائج ذات دلالة واضحة كبيرة للكشف عن الغموض الذى يدور حول تلك القباب والأضرحة الكثيرة بمنطقة البحث .

ومنطقة وسط الدلتا مقسمة كما تعلم إلى عدد من المحافظات الهامة، والتى يوجد بها قبور أقطاب الطرق الصوفية، أمثال: السيد أحمد البدوى المتوفى عام ٦٧٥هـ فى مدينة طنطا - محافظة الغربية، والسيد ابراهيم الدسوقى القرشى المتوفى عام ٦٧٦ هـ. فى مدينة دسوق - محافظة كفر الشيخ الأن، وأبوالعباس المرسى المتوفى عام ٦٨٦/هـ بمدينة الإسكندرية، بالإضافة إلى أئمة من أقطاب الرفاعية المنتشرين بالمحافظات الأخرى وأقطاب الجيلانية بمصر ودمنهور إذن سيتضح لنا، أن هذه المنطقة مصدر إشعاع روحى وباطنى إذا مااستبعدنا، مالحق بالأولياء وأضرحتهم من تأويل وتهاويل فلكلوريه وماحاكة العامة حولهم من أساطير وخيالات، ونحن نستبعدها من مجال البحث بل ونتجه اليها بين الحين والأخر بالنقد والتحليل فى مصادرها وأصولها.

إذن سوف تتركز الدراسة الميدانية فى هذه المنطقة، وسوف تأخذ بعض النماذج الهامة، وتقوم بتصنيفها بقدر مايحتمل البحث(١)

ثانيا : الطريقة الجيلانية :

تنسب هذه الطريقة كما ذكرنا (٢) إلى مؤسسها الحقيقى القطب الصوفى الكبير الشيخ عبد القادر الجيلانى المتوفى عام ٥٦١هـ الذى أقام طريقته على أصول من الكتاب والسنة إذ قال: "أتباع الشرع موجب لسعادة الدارين، فأحذر الخروج من دائرته، وإياك أن تفارق الإجماع الشرعى".

---

(١) من الجدير بالذكر أن أحد الباحثين قام بمحاولة لدراسة هذه المنطقة من بعض النواحى، ولكن هذه ا لدراسة قد أغفلت كثير من الجوانب الهامة ولم تحظبكثير من الآضرحة والأولياء وهويتهم وتصنيفهم مما يكشف الغموض الذى يحيط بهم ودراستنا هنا تغيير وإضافة جديدة الى هذه الدراسات السابقة دكتور حسن الشرقاوى - الحكومة الباطنيه - ص١٣٥ وما بعدها.

(٢) انظر الباب الثالث "الفصل الأول" من هذا البحث .

والإجتماع على أهل الله، وأقرب الطرق إلى الله تعالى لزوم قانون العبودية والإستمساك بأصول الشريعة وفروعها والإستقامة على الجادة" (١).

وقد ظهرت الطريقة الجيلانية مواكبة للطريقة الرفاعية فى قرن واحد من الزمان، وهى طريقة عراقية الأصل، وانتقلت من فرات ودجلة العراق إلى أرض مصر فى القرن السابع الهجرى، وهو قرن الطرق الصوفية (٢).

وإن هذه الطريقة امتداد حقيقى لإتجاه الإمام الغزالى /٥٠٥/هـ السنى (٣) وأمثاله لذلك فإن أهم فروعها فى مصر: القادرية القاسمية، والقادرية الفارضية وانتشرت أيضا فى بلدان كثيرة أخرى غير مصر فى تركيا (٤).

لكن قد تلاحظ أن هذه الطريقة، قليلة الأنتشار فى منطقة البحث.نظرا للإنتشار الواسع لأصحاب الطرق الصوفية الأخرى الرفاعية، والشاذلية والبدوية والبرهامية ولم يذكر الشعراني، فى طبقاته، سوى بعض الشخصيات التى انتسبت للطريقة الجيلانيه، أو لبست خرقتها وصارت عليها فى العصور المتأخرة .

١ - ذكر الشعرانى بعض الشخصيات فى القرن العاشر الهجرى، ممن صار علي طريقة الجيلانى فذكر منهم "أن الشيخ على الشونوزى المتوفى عام نيف وثلاثين وتسعمائة" ٩٣١ هـ/ كان نظيفا لطيفا، الغالب عليه الإستغراق، وكان أكثر أوقاته ماشيا فى مصر وبولاق والقرافة، وكان يلبس الثياب الحسنة كلبس القاضى، وله الموشحات النفسيه في التوحيد وقد صحبه الشعرانى المتوفى عام /٩٧٣هـ / نحو عشر سنين ، وذكر أنه قال له "أنا "كيلانى زمانى" وكان يري ذلك من باب التحدث بالنعم ، وقد مات ودفن بالقرافة بجوار الشيخ محمد المغربى الشاذلى" (٥) المتوفى عام / ٩١٢/هـ.

٢ - الشيخ شعبان البلقمطرى . القرن العاشر الهجرى) فقد كان من أجل أصحاب الشيخ على الشونوزى، وقد توفى ودفن "بدمنهور" محافظة البحيرة الأن.

---

(١) دكتور عامر النجار - الطرق الصوفية فى مصر -ص٧٥

(٢) نفس المصدر السابق ص٧٤.

(٣) الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى - مدخل الى التصوف - ص ٢٨٦.

(٤) دكتور مقداد يالجن- فلسفة الحياة الروحية ونشأة التصوف والطرق الصوفية .- ص١١٣.

(٥) الشعرانى - الطبقات الكبرى جـ٢ ص١٣١.

٣ - الشيخ أحمد الزواوى المتوفى عام ٩٢٣ هـ ، كان على الطريقة "الجيلانية أو القادرية" إذ كان أخو الشونوزى فى الطريق، وكان على قدم عظيم وكان ورده فى اليوم والليلـه عشريـن ألف تسبيحة، وأربعين ألف صـلاة على النبى ﷺ .

٤ - الشيخ أحمد البهلول. وهو ثالث من قبله فى الطريق علي الشيخ شعبان البلقمطرى وكانت له كرامات وتوفى عام /٩٢٨هـ/ ودفن بباب القرافة بمصر.

٥ - الشيخ مرشد قادرى الخرقة توفى عام /٩٤١/هـ كان يطوى الأيام والليالى ومكث أربعين سنه لايأكل كل يوم الأربيبه واحدة حتى لصق بطنه على ظهره، وكانت له أمور فى الباطن، وإجتمعت عليه طائفة من السودان الفقراء، وأعتقدوا اعتقادا فيه زائدا، وعندما توفي دفن بباب الوزير بالقرب من قلعة الجبل بمصر.[1] وأعتقد أن هؤلاء كانوا من النقباء والرجباء والنجباء للطريقة فى عصرهم، ويبدو لنا أن الشيخ الشونوزى، المتقدم ذكره، هو قطب الطريقة الجيلانية فى القرن العاشر، علما وعملا، ظاهرا وباطنا، مما يدل على ذلك قوله "إن ذلك من باب التحدث بالنعم "وتدل كلمة "النعم" فى الباطن عند هؤلاء الى الفيض الروحانى، النورانى، وأن الله تعالي خصه بهذه النعم النورانية، فكان مصدراً للإشعاع الروحانى والتوجيه القلبى الباطنى لأصحابه وإخوانــه فى الطريـق والواضح أنه تمثل طريقة شيخه الأكبر "عبد القادر الجيلانى" من حيث الإلتزام بالكتاب والسنة، والنظافة فى الملبس والثياب ظاهرا، وكثرة التسبيح والإستغراق باطنا وهذا من مميزات الطريقة القادرية الجيلانية.

ومما يميز هذه الطريقة فى مظاهرها، الزى الأخضر، أو الأبيض فقد ذكر المؤرخون، أن القادريه عرفت بالزى الأخضر وإن قال الأستاذ لين , Liuen أن بيارقهم وعمائمهم بيضاء"[2] .

غير أن الباحث لم يعثر على مايشير الى انتشار هذه الطريقة فى مصر، إذ أن معظم أو اكثر الرايات والبيارق المنتشرة فى منطقة البحث ترجع الى فروع الطريقة الصوفية الكبيرة مثل الرفاعية والأحمدية والبرهامية.

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ٢-ص١٣١- ص١٣٤، ص١٧٦.

(٢) دكتور توفيق الطويل - التصوف فى مصر - ص٧٩.

ثالثا: الطريقة الرفاعية مظاهرها وشخصياتها فى منطقة البحث:

تمهيـــد:

تنسب الطريقة الصوفيه الرفاعيه، كما ذكرنا [١] إلى الإمام أحمد بن الحسين الرفاعى المتوفى عام ٥٧٨/ هـ وربما يرجع انتشار هذه الطريقة وتأسيسها فى مصر ابان القرن السادس الهجرى، إذ تذكر المصادر، أن الإمام أحمد الرفاعى، أرسل أحد مريديه وهر" أبو الفتح الواسطى المتوفى عام ٥٨٠هـ أو عام ٦٣٢هـ/ إلى مصر، مبشرا لهذه الطريقة ومؤسساً لها.

يقول الدكتور عامر النجار "أثر الواسطى فى ظهور وانتشار الصوفية بمصر تأثيرا كبيرا للغاية، فقيل أن يفد الشاذلى إلى مصر أو البدوى، قدم هوالى الأسكندرية ويشر بالطريقة الرفاعية، ومهد لها الطريق فى مصر، وأخذ عنه خلائق لايحصون، منهم الشيخ عبد السلام القليبى، وعبد الله البلتاجى، والشيخ بهرام الدميرى والشيـخ جامع الفضليـن الدنوشـرى، والشيـخ عبد الوهـاب، والشيـخ عبـد العزيز الدرينى، والشيخ على المليجى وغيرهم[٢] ممن سوف نوضح مكانتهم وأمكانهم بمنطقة البحث .

ومن الجدير بالذكر أن أبا الفتح الواسطى، هو جد السيد ابراهيم الدسوقى القرشى المتوفى عام ٦٧٦/هـ لامه، وهذا يشير الى اتصال الطريقتين، بالإضافة الى أن السيد أحمد البدوى صاحب الطريقة البدوية العربيه المتوفى عام٦٧٥ هـ زار العراق، وكانت له مخاطبات روحانيه باطنيه مع كل من القطبين الكبيرين - الجيلانى -والرفاعى- ثم جاء بعد ذلك الى مصر عام ٦٣٥هـ، وأسس طريقته من فوق سطح دار ابن شحيط - بطنتدا بمصر[٣] .

إذن فقد انتشرت الطريقة الرفاعيه بمصر، فى غضون القرنين السادس والسابع الهجريين وأصبح لها أتباع ومريدون فى العصور المتأخرة .

أما عن المظاهر الخاصة بالطريقة الرفاعية، فقد قام الباحث بعدد من الزيارات الميدانية، والمقابلات الشخصية لمشايـخ ومريدى الطريقة الرفاعيـه، سواء بجلسات خاصة، أو فى مناسبات

---

(١) انظر - الباب الثالث - الفصل الثانى "الطريقة الرفاعية وامامها أحمد بن الحسين الرفاعى .

(٢) دكتور عامر النجار - الطرق الصوفية فى مصر- ص٨٦، كذلك دكتور مقداد بالجين- فلسفة الحياة الروحية ص١١٤ كذلك نظرنا - الشعرانى الطبقات الكبرى - جـ١ ص ١٧٦.

(٣) أشرنا إلى ذلك بالتفصيل فى الباب الرابع "الفصل الرابع" .

إحياء ليالى الذكر فى الموالد والإحتفالات فى ذكرى المولد النبوى الشريف والمولد الأحمدى بطنطا ، والمولد الحسينى بالقاهرة، ومولد ابراهيم الدسوقى بدسوق، وكذلك فى مناسبات إحياء موالد بعض مشايخ الطرق بالبلدان والقرى المنتشرة فى منطقة البحث .

وقد استخلصنا من خلال هذه الزيارات الميدانية الأتى : -

(١) مظاهر الطريقة ووصف أشكالها العمليه : -

أ - المولد والإحتفالات:

يوجد فى تاريخ الشعوب مناسبات تدعو للإحتفالات الدينية وقد تتغير هذه المناسبات من وقت لأخر، لكنها تظل من المظاهر التى تعبر عن الإرتباط الوثيق بإقامة وإحياء الشعائر، أو ممارسة الشعائر من خلال إحياء الموالد الخاصة بذكرى ميلاد النبى ﷺ يوم ١٢ من ربيع الأول من كل عام هجرى أو بمناسبة إحياء ليالى ميلاد أو وفاة أقطاب التصوف ومشايخ الطرق الصوفية المنتشرين فى مناطق كثيرة من البلاد والقرى المصرية .

والموالد تعمل على تدعيم الإعتقاد فى الأولياء، وتقوية هذا الإعتقاد وبالتالى تحافظ على استمراره عبر الأجيال المتعاقبة، كما أنها جزء من النسق الدينى الموجود داخل المجتمع ويعمل على الترابط والتماسك، وعلى الرغم من أن مصطلح الموالد يقصد به الإحتفال بيوم الميلاد أو وفاة ولى من الأولياء الصالحين، إلا أنه قد نجد لكل ولى أيام كثيرة يحتفل فيها به، فالسيد أحمد البدوى/٦٧٥هـ/ يحتفل به فى ثلاث مناسبات. يطلق عليها مصطلح "موالد" منها مناسبة الإحتفال بيوم ميلاده، ومناسبة الأحتفال بيوم وفاته، ثم المناسبة الثالثة يطلق عليها إسم "الرجبية"[١].

وقد تلاحظ أن مناسبات الإحتفال بالموالد بصفه عامه تضم جميع أرجاء المجتمعات والشعوب الإسلامية، وبعضها قد تكون خاصة بأجزاء ومحافظات معينه غير أنها تجذب اليها الكثيرين من أبناء الوطن وهى موالد أقطاب كبار الصوفية، كالرفاعى[٢] ت عام/ ٦٧٠/هـ

---

(١) الدكتور فاروق أحمد مصطفى - الموالد "دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر" - ص٣٣، ص٣٤، ط الهيئة العامة للكتاب - فرع الإسكندرية - ١٩٨٠م.

(٢) الرفاعى بمصر : هو السيد أحمد الرفاعى خال على الرفاعى الشهير بأبى شباك وهو ينتسب الى السلسلة الرفاعية الصيادية حتى الأمام أحمد الرفاعى الكبير - توفى سيدى على أبو شباك بالقاهرة عام/ ٧٠١ هـ .

بالقاهرة والإمام الحسين، والسيده زينب، والسيد أحمد البدوى بطنطا، والسيد إبراهيم الدسوقى بدسوق وأبو العباس المرسى بالأسكندرية.. وهكذا.

وقد تكون هذه الموالد قاصرة على المجتمعات المحليه، الخاصة ببعض المدن أو القرى، نظرا لما ينتشر فيها من أولياء ودراويش وهم كثيرون وبعض هؤلاء الأولياء لايعرفهم الناس إلا مجرد توارد أسمائهم عبر الأجيال فقط، ومايصاحبهم من كرامات تتناقلها الأجيال وبعضهم قد يكون معروفا لدى الناس محدد تاريخ ميلاده أو وفاته، بالإضافة إلى سيرهم الذاتية، وحياتهم العملية والعمليه، وأثرهم فى تربية السلوك وتقويم الأخلاق.

وقد لانبالغ إذ قلنا أن معظم أصحاب الطرق الصوفية يجتمعون معا لإحياء ليالى الإحتفال بموالد الأولياء بقرى وبلدان مصر المختلفة، دون أى حرج أو نقيصة، مهما اختلفت هذه الطرق فى اتجاهاتها، إذ تلاحظ فى مناطق البحث، أن فى مناسبة الإحتفال بالمولد الأحمدى بطنطا تتعدد الأعلام والأشاير التى تميز الطرق وفروعها بعضها عن البعض الأخر.

فقد لاحظ الباحث، خلال معايشته الفعلية وجولاته الميدانية لتفقد مظاهر الطرق وأشكالها، ظهور الأعلام السوداء وهى التى تميز أصحاب الطرق الرفاعيه. ومكتوب على أعلامهم اسم الطريقة، والبيت الذى تنتسب إليه وعادة مايرفع على خيمة حيث يجتمع بها رواد هذه الطريقة من كافة البلاد.

على سبيل المثال وجدنا العلم الأسمر مكتوب فى منتصفه باللون الأبيض "بيت السادة الرفاعية قرية النجيلة مركز كوم حمادة وفى خيمة أخرى يرفع عليها علم أسمر مكتوب عليه "السادة الرفاعية قليوب" وعلى خيمة ثالثة علم اسمر مكتوب عليه بخط أبيض السادة الرفاعية - سيدى خليفه بإبيار" (١) وأصحاب الطريقة الرفاعية الصالحية شرقية..وهكذا.

---

(١) إبيار : قرية تقع بمحافظة الغربيية مركز كفر الزيات الآن، وقد ذكرها الرحالة ابن بطوطة، وقال عنها مدينة عظيمة، بها مشايخ وعلماء وأضرحة وقباب للأولياء وأنها ذات آثار ومعاهد .. نظرنا - رحلات ابن بطوطة (التهذيب) - ط وزارة المعارف العمومية - ١٩٤٨م. كذلك ذكرها على مبارك - الخطط التوفيقية جـ٨ -ص٢٨-ص٢٩.

كذلك لاحظ الباحث انتشار أعلام كثيرة للطرق الأخرى مثال ذلك : أعلام الساده البيومية[1] وهى تتميز باللون الأحمر فهى فرع من الطريقة الأحمدية البدوية، ومكتوب عليها أسماء أشخاص بيوت الطريقة البيومية فى العصر الحديث.

وكذلك نجد أعلام السادة "البرهامية" وهى تتميز باللون "الأخضر" ومكتوب عليها "البيت الغباشى - بقويسنا، قرية أبنهس.. وبين قوسين لفظ الجلاله "الله".

ثم أعلام السادة "الأحمدية" الشناوية وهى أعلام حمراء - بالمحلة الكبرى.

ثم اعلام الساده "الخلواتية - الصاوية والبلتاجية، والقصبية حيث تجمع بين اللون الأبيض والأخضر، والبنى الغامق - وهكذا .

ومع إنتشار الخيام فى كل مكان من الأماكن المجاورة لصاحب المولد، فقد وجدنا انتشاراً آخر من جانب الطبقات الشعبيه تفترش الأرض بالحصير وهى تستعد لإستقبال وضيافة كل من رغب فى ذلك من رواد المولد، ويعرضون مالديهم من طعام أو شراب، وهكذا ويخاطب أصحاب هذه "الفرش" الماره من الناس بقولهم تقدم بسم الله" للأكل معهم وهم يعتبرون ذلك من باب خدمة صاحب المولد، التماسا للبركة وزيادة الرزق .

وتقام عادة حلقات الذكر والإصغاء للمديح ودرس الوعظ والتوعية فى فترات المساء أو قد تقام بعد الظهيرة أو بعد صلاة العصر.

ومايحدث من تآلف، وتوحد وإئتلاف بين فروع الطرق الصوفية فى مولد السيد البدوى بطنطا، يحدث كذلك فى مولد السيد ابراهيم الدسوقى بمدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ، كذلك فى مولد الرفاعى بالقاهرة والحسين والسيدة زينب "أم هاشم" "ورئيسة الديوان" كما نسمع ذلك الترديد بين الحين والأخر فى المولد.

ومايجرى ويحدث من مظاهر الطريقة فى مناسبات الأحتفال بالمولد لكبار أقطاب الصوفية يحدث كذلك فى مناسبات الأحتفال بالمولد النبوى إذ تظهر البيارق والأعلام المميزة لكل طريقة صوفيه وتسير أعلام الطريقة الرفاعية السوداء، بجوار أعلام الطريقة الأحمدية والبيومية، والبرهامية الدسوقيه، والشرنوبيه، والشاذليه المتعددة الألوان.

---

(١) البيومية: فرع من الطريقه الأحمدية البدويه أسسها السيد على نور الدين الحجازى البيومى المتوفى بمصر عام ١١٨٣هـ.

وقد لاحظ الباحث فى كثير من هذه المناسبات تميز الطريقة الرفاعيه وأصحابها بما يقومون من أفعال أشبه بالكرامات، كطى الثعابين، وحملها بين أكتافهم وأفواههم، وإدخال أسياخ حديديه فى أجسامهم بمايسمى عندهم "بالتشييش" ثم الجرى فوق السيوف.

وقد لاحظ الباحث، أن أحد خلفاء الطريقة الرفاعية "بقرية برما"(1) كان بين الحين والأخر يأمر مريديه أن يضعوا السيوف فوق رقابهم، ثم يجلسون القرفصاء ثم ينزل من فوق الفرس، ويمشى فوق هذه السيوف وهو يردد حزب الرفاعى. وبعض الأوراد والأدعية.

كذلك لاحظ الباحث، أن من مظاهر الطريقة الرفاعية فى مناسبات الأحتفال بالموالد، ذهاب بعض الناس الى حلقاتهم إما للتبرك، أو الدعاء لهم، أو لقضاء حوائجهم كأن يلتمسون الشفاء بمجرد السلام والتسليم عليهم، أو ليأخذون مايسمى "بالشربه"وهى عبارة عن إناء يملىء بالماء ثم يتمتم شيخ الطريقة فى هذا الإناء بعض التلاوات المأثورة عن حزب الرفاعى ثم يقدمه للمريد فيتناوله . كذلك قد يلجىء الناس إلى مشايخ الطريقة للإستشفاء من بعض الجروح كأن يبصق الشيخ على الجرح وخلافه .. وهكذا.

وهذا يعتبر عند العامة من الناس من قبيل الكرامات وإن كانت عادات متبعة عند هؤلاء وليست من هذا القبيل، ولنا وقفة بسيطة فى هذا الشأن، كثيرا مايدعى دواويش الطرق الصوفية فى العصور المتأخرة حدوث الكرامات ويقرهم الناس ذلك نظرا لتغير الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية، ومن عادات الناس والشعوب أن يلجأوا الى مايشفى صدورهم، ويهدأ من روعهم أو يجدون عنده الملاذ من ظروف الحياة التى تواجههم، أما نتيجة لظلم الحكام للرعية، أو لنقص الحوائج، فيعتقدون فى قدرة الأولياء على تلبية رغباتهم، وقضاء حوائجهم ولتطمئن قلوبهم، وربما لاحظنا الخوارق علي أيديهم منذ القرنين السادس والسابع الهجريين وفى

---

(1) برما: قرية تقع بمحافظة الغربية - مركز طنطا الأن وقد ذكرها الرحالة - وهي قديمة فى نشأتها . وقال عنا ياقوت الحموى "انها ذات أسواق وتجارة وقال "برمه" تنقبسم الى قسمين حصة برمه وأكثر أهلها من النصارى وبها كنيسة وبرمة، بلد يفصل بينهما شارع مازال قائما حتى الأن نظرنا معجم البلدان -حـ٢ . دكر على مبارك . برما: بكسر الباء وسكون الراء - قرية بمديرية الغربيه تقع على تل مرتفع بحرى محلة مرحوم تشتهر بالتجارة ومعامل الدجاج وبها جامع ومأذنة عالية - الخطط التوفيقية - جـ٩ - ص٣٤ - ص٣٥. مطبعة السعادة بمصر ط بولاق ١٣٠٦هـ

مثل هذه "العصور ساد البلاد العربية والإسلامية، اضطرابات سياسية واقتصادية، وماكان من الآثار السيئة التي خلقها حكم المماليك والعثمانيين، على المستوى الثقافى والفكرى عند الجمهور من الناس.

والمعروف أن الكرامات بالنسبة لأولياء الله تعالى الصالحين فعل من الله تعالى، فيه خرق للعادة، لايوازى معجزات الأنبياء. فمعجزة النبى من الله تعالى لرسوله ونبيه لتأييد رسالته وصدق نبوته، ومعجزة الرسول ﷺ الكبرى هى القران الكريم، الباقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها وإن كانت له ﷺ معجزات شهدها أصحابه والمسلمين فى عصره .

ومن أجل كرامات الصوفى أو الولى دوام التوفيق للطاعة، والعصمة عن المعاصى والمخالفات" [١].

وقد أنكر المعتزلة حدوث الكرامات أو وقوع خوارق فى الطبيعة ، بينما نجد الماتردية والأشاعرة وجميع أهل السنة يسلمون بوقوعها [٢].

ونحن قد نقر إمكان حدوث كرامات لأولياء الله الصالحين هبة من الله تعالى وفعل له تعالى لحكمة يعلمها الله تعالى وقدر منه لعباده لفائدة، أو تحقيق أمر إلهى، ويسترها العبد أو الولى عن خلق الله تعالى، ولايباهى بها الناس فالولى يستتر من الكرامة كما تستتر المرأة من الحيض أو كما قال الإمام الجنيد، "إذا رأيتم الرجل يمشى على الماء ويسير فى الهواء ولايعمل بكتاب الله وسنة رسوله فاضربوا بأقواله وأفعاله عرض الحائط" أو فاعلموا ان باطنه خراب. [٣]

وفى مقابلة، وحديث مذاع عبر الإذاعة مع شيخ مشايخ الطرق الصوفية فى مصر الأن - الأستاذ الدكتور أبو الوفا الغيمى التفتازانى - قال سيادته فى شأن كرامة الأولياء "أن الكرامة

---

(١) الدكتور عامر النجار - الطرق الصوفية فى مصر - ص٤٨.

(٢) نور الدين الصابونى - كتاب البداية من الكفاية فى الهداية فى أصول الدين - ص ٩٨- تحقيق الدكتور فتح الله خليف ط دار المعارف ١٩٦٩م "يقول الأمام نور الدين الصابونى فى ذلك :أن ما نقل من كرامات التابعين وصالحى هذه الأمة يبلغ حد لوجمعت آحادها لبلغت حد التواتر فى جواز الكرامة ، وأما العقل يقر أنها فعل الله تعالى على خلاف مجرى العادة ، ليعرف العبد ثمرة الطاعة وتزداد بصيرته بصحة دينه- لمزيد من التفاصيل أنظر نفس المصدر ص٩٨. ص٩٩.

(٣) الإمام القشيرى - الرسالة القشيرية- حـ١.

فعل يصدر عن الصوفى لكون مرجع هـذا الفعـل فى الأصل إلى الله تعالى، فالكرامة على الحقيقة فعل من الله تعالى يجريه على يد عباده الصالحين لكن الصوفى الحقيقى لايدعيها، ولاينسبها الى نفسه ولايباهى بها بين الناس، وفى هذا طمأنه للعبد من الله تعالى، ودفاع عن الذين آمنوا- قال تعالى "إن الله يدافع عن الذين أمنوا" سورة الحج آيه(٣٨).

والكرامة من الصوفى لايعتد بها ولايقف الأنسان عندها، لأنها ليست منه، بل لأنها تصدر من الله تعالى لتأييد الولى، وقال الدكتور التفتازانى بالإضافة الى ذلك أن ماتراه الأن عند الناس، أنهم يهتمون بالكرامات، ويجب أن يكون ذلك سر بين العبد وربه.

وقد استدل الأستاذ الدكتور التفتازانى على ذلك ببعض المأثورات عن كبار الصحابة ، فذكر ماصدر عن سيدنا عمر رضى الله عنه وهو يخطب المسلمين من فوق المنبر بقوله "ياسارية الجبل، الحصن الحصن".

وهذا بمناسبة أن سارية كان أحد قواد المسلمين فى إحدى الفتوحات الإسلامية وهو يقاتل الأعداء وأرشده سيدنا عمر رضى الله عنه الى الجبل ليكون حصنا للمسلمين من اعدائهم ، وقد علم ذلك بالحدس والشفافية القلبية، والصفاء الروحى ... وهذا مايجب أن يتصف به الصوفى الحقيقى المتبع لكتاب الله تعالى ومنهج النبىﷺ وسنته المطهرة،

كذلك فان ابن خلدون /٨٠٨/ هـ أقر بأن الصحابة كانو علي شئ كبير من الكرامات، لكن لم تكن لهم بها عنايه أى لم يتباهوا بها ولم يعلنوها ولم ينسبوه لأنفسهم(١).

وعلى ذلك، فإن الكرامات أو حدوثها تكريم لعباد الله الصالحين الذين يدعونها ولايستغلونها لتحقيق مآرب أو مكاسب وماهو سائد الأن أو قيل ذلك مما تقرأه فى مؤلفات السابقين عن المبالغة فى ظهور الكرامات وحدوثها وما ينسب للصوفية من خوارق وأمور تبلغ حد الأساطير لايصح إقرارها أو الإعتراف بها، وهو ماترفضه، فقد استغل دعاة التصوف ودراويش الطرق فى العصور المتأخرة سذاجة عقول الناس وادعوا احداث الخوارق، ونسبوا لأنفسهم كرامـات، بل نجد أن دعـاة الطـرق الصوفية يبالغون فى حـدوث كرامـات لمشايخهم وأقطابهـم،

---

(١) ابن خلدون - المقدمة - "فصل التصوف" وجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى شيخ مشايخ الطرق الصوفية أدلى بهذا الحديث فى مقابلة مع الباحث . كذلك خلال لقاء ببرنامج (أضواء على الجانب الأخر) بالإذاعة المصرية .

مستغلين ذلك فى ذيادة المكاسب والإسترزاق أو بلوغ المراتب لدى السلطان ويجمع الباحثون فى مذاهب الطرق الصوفية ومظاهرها "أن مجموعة من المنتفعين الذين يعيشون على حساب سمعة الولى أو الشيخ حيا أو ميتا، يهمهم أن يظهروا شيخهم فى صورة القادر على كل شئ فما من كربة إلا هو قادر على تفريجها، وما من غمة إلا ويستطيع كشفها " وهذا مادفع أو يدفع عامة الناس إلى تقديم النذور والصدقات لهؤلاء حتى يرضى عنهم الشيخ ويقضى حوائجهم" (١).

(ب) الذكر وليالى الحضرات:

لاشك أن الجماعات الصوفيه ترى أن الذكر يطلق على العبادات التى يقوم بها المرء بلسانه، والذكر على وجه الخصوص هو القرآن الكريم - استنادا لأيات كثيرة منها قوله"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "سورة الحجرآية (٩). وقوله تعالي "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب" سورة الرعد، آية (٢٨) أما الذكر على وجه العموم هو ترديد اسم من أسماء الله تعالى، ويعتبر من أهم الشعائر التى تؤدى فى "الموالد" أو فى ليالى "الحضرات" الخاصة بالطرق، والذكر إما أن يذكر اسم من أسماء الله تعالى، أوصفة من صفاته أو حكم من أحكامه، أو فعل من أفعاله، أو استدلال علي شئ من ذلك كما يحتوى أيضا علي ذكر رسول الله ﷺ ومن ينتسب اليه من شتى الوجوه" (١).

وللذكر عند الصوفية عدة أنواع منه ماهو ثناء على الله مثل قولهم "سبحان الله والحمد لله والله أكبر"، ومنه ماهو دعاء من القرآن الكريم مثل قوله تعالي"ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا" سورة البقرة آية (٢٨٦). ومنها مناجاة مثل الصلاة، ومنه ماهو للرعاية فى الدنيا، والصلاة على النبى ﷺ وقد يكون الذكر باسماء الله الحسنى أو بقراءة الأوراد، وهذه الأوراد تكون لها أهمية خاصة يصفها الشيخ لمريديهم، أو تكون أجزاء من القرآن تتلى فى أوقات

---

(١) نظرنا فى ذلك : الدكتور عامر النجار - الطرق الصوفية فى مصر - ص٥١، ويشير إلى ذلك الدكتور توفيق الطويل - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى اماكن متفرقة من الباب الأول.

(٢) دكتور فاروق أحمد مصطفى - الموالد - ص١٠٥- ص١٠٦.

معينة، والأوراد نوع من الدعاء يضعه شيخ الطريقة، ولكل طريقة وردها الخاص بها، وقد يكون للطريقه أكثر من ورد ترددء فى الذكر.(١)

وللذكر أهمية كبيرة عند أصحاب الطرق الصوفيه، فكما ذكر القشيرى أن الذكر ركن قوى فى طريق الوصول الى الحق سبحانه وتعالي بل هو العمدة فى طريق القوم، ولايصل أحد الى الله تعالى إلا بدوام الذكر، ومن ثم فإن له آداب يجب مراعاتها والإلتزام بها ومن ذلك، الخشوع والتأدب واستحضار معانى الصيغ، وخفض الصوت ماأمكن مع اليقظة والهمة، وموافقة الجماعة ان كان الذكر مع جماعة، والنظافة فى الملبس والمكان ومراعاة الأوقات المناسبة والإنصراف فى خشوع وأدب، واجتناب اللهو أو العبث .. ألخ.(٢) وقد ذكر الشعرانى فى كتابه "لوافح الأنوار القدسية" هذه الأداب(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن للإنشاد الدينى، وترديد الألحان والتواشيح والغناء أثر كبير فى تهييج الشعور وتحريك المعانى وجذب المريدين الى حلقات الذكر، وقد تستخدم الموسقى بأنواع مختلفة(٤).

وهذا ماظهر للباحث فى مشاهداته أثناد زياراته الميدانيه، والجلوس في كثير من حلقات الذكر التي يقيمها أصحاب الطرق الصوفية، فى المناسبات المختلفة، وكذلك داخل مساجد الأولياء، وبجوار أضرحتهم .

إذ نجد أن أصحاب الطريقة الرفاعية، كثيرا مايقيمون مثل هذه الحضرات أو الأذكار فى حلقات منظمة، يتولى شيخ الطريقة، أو تاتية أو من يخلفه تنظيمها وترتيبها والدعوة اليها، والوقوف وسط الحلقة فيصفق بيديه، وينادى على المريدين بالإنتظام والمساواة فى الصفوف، وقد يستخدم فى ذلك مكبرات الصوت، وأحيانا بدونها، بالإضافة إلى دعوة أحد المنشدين، لكى

---

(١) دكتور فاروق أحمد مصطفى - الموالد - ص١٠٥- ص١٠٦.

(٢) الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى - ابن عطاء الله السكندرى وتصوفه- ط الأنجلو المصريه - ١٩٦٩م .

(٣) دكتور عامر النجار - الطرق الصوفية فى مصر - ص٣٦ ، ص ٣٧.

(٤) لمزيد من التفاصيل - أنظر الشعرانى - لوافح الأنوار القدسية - "هامش كتاب الطبقات الكبرى- حـ١، ج٢.

يتولى النشيد والمديح بقصائد فى مدح النبى ﷺ مع الإشارة والثناء عليه وعلى الإمام الرفاعى الكبير وصاحب المولد الذى تقام عنده حلقات الذكر أو الحضرات .

وعادة مايبدأ الذكر، والحضرة، بتجمع عدددمن مريدى الطريقة بالإضافة الي مريدين أخرين من طرق أخرى. ثم يقول هذه العبارة "البركة فى اللمة ياهوه" ثلاث مرات، ثم يردد قوله "الله حى" ثلاث مرات ثم يقول "لاإله إلاالله"ثلاث مرات، ثم يقول، "محمد رسول الله" ثلاث مرات. ثم يبدأ فى قراءة بعض الأيات القرآنية- نذكر منها آية الكرسى قوله تعالى "الله لاإله إلا هو الحى القيوم، لاتأخذه سنة ولانوم.. إلى آخر الأية الكريمة" سورة البقرة - فى جماعة، كل هذا والمريد،ن جلوس، ثم يبدأ فى قراءة أوراد الطريقة الرفاعية - ثم يبدأ المنشد فى المديح فيقف الحاضرين فى صفوف منتظمة علي شكل دائرى، وتضرب الدفوف، وتهتز التيرات، وينفخ فى السلامية بألحان موسيقية توافق المديح، وتساعد علي الهاب حماس الذاكرين، فيبدأون فى التمايل يمينا وشمالا، وأحيانا للأمام وللخلف، فيما يشبه الرقص الإيقاعى، وهم يرددون "الله" "الله" "الله" ثم "حى "حى" "حى"، ثم يتدخل شيخ الطريقة فيقول "مداد" عدة مرات، مداد يارفاعى" عدة مرات أيضا وبعد مايستوى الذاكرين فى الحلقة ويشعرون بالإشباع النفس، والجذب الروحى، تهدأ الألحان، ويقل السماع ثم يعاودوا الجلوس، ثم يبدأ فى ختام الذكر أو الحضرة بقراءة آيات من القرآن الكريم ثم الصلاة علي النبى وآل بيته، ثم تلاوة بعض الأوراد ثم الدعاء لصاحب الموالد، أو الحضرة أو الولى شيخ الطريقة ثم يقوم بعض الأغنياء بتوزيع بعض الهدايا، أو المأكولات أو المشروبات فيما يعرف عندهم "بالنفحة" أى نفحة الشيخ، أو الهبة.. وهكذا، تم يختمون الحضرة بقراءة الفاتحة وشئ من القرآن الكريم وآيات التنزيه[1] .

هذا بعض ماشاهدناه، خلال زياراتنا الميدانية لهذه الحضرات والطقوس الصوفية. وقد أعطى بعض الباحثين أوصافا أخرى لبعض الطرق الصوفية منها أن تبتدء الحضرة عادة بالجلوس كهيئة الصلاة، ثم يفتتح من بيده الحضرة بقراءة الطريقة، وبعد القراءة يفتتح الذكر بذكر "لاإله إلا الله" من جلوس، ثم يقومون ليذكروا بعض أسماء الله تعالى الحسنى عدة مرات كل حسب

---

(١) عادة مايختم الصوفية طبقات الذكر بقراءة الفاتحة ثم قوله تعالى "سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" سورة الصافات آية (١٨٠-١٨٢).

أوامر شيخه ثم يجلسون كهيئة الصلاة يستريحون متربعين بأمر من بيده الحضرة، ويقرأ بعد ذلك سور من القرآن الكريم أو ينشدون بعض القصائد بأمر من بيده الحضرة، ثم تقرأ الفواتح، وبعد ذلك يقومون للمصافحة والتقبيل[1] .

ومن المعروف أن بعضا من البدع دخلت وأمتزجت بالجوانب الجوهرية والأصلية كأستخدام الطبول والمزامير وغيرها مما يحرك الشهوات فى نفوس بعض المتطفلين على الطريقة الصوفية، وهذا مايستنكره مشايخ الطرق الصوفية، الآن إذا أن السماع لايجب أن يخرج عن حد المديح والإنشاد لتذكير بالآخرة وحب الله تعالى .

هذه بعض مظاهر الطريقة الصوفية الرفاعية أو فروعها فى الاحتفالات بالموالد وإحياء ليالى الذكر والحضرات .

ومن الجدير بالذكر أن الطريقة الرفاعية، انتشرت بمصر منذ عهد الواسطى فى القرن السادس أو السابع حتى الآن، ولها تنظيم خاص بها، وخدمة خاصة بها على رأسها الشخ محمود يس، والذى يعطى من يريد الدخول فى الطريقة العهد أو الخرقة بموجب شهادة أو إجازة تمنح للمريد لمزاولة الطريقة وأصولها، وتلقين العهود، وتربية المريدين، واستفتاح مجالس الأذكار وليس الخرقتين السوداء والبيضاء، وإلباسهما لمن يرى فيه أهلية والروح والرواح بالعلم الأسمر والأبيض فى الموالد والليالى تحت الكتاب والتجاب وقراءة الأحزاب والأوراد وأن يكون خليفة أسوه بأمثاله الخلفاء الرفاعية[2] وهكذا .

وقد استطاع الباحث الحصول على صورة من هذه الإجازة التى يمنحها الشيخ محمود كامل يس لخدام الطريقة الرفاعية بجمهورية مصر العربية، بمحافظة الغربية، والدقهلية راجع - لوحة رقم (د) ، (هـ) .

(٢) نماذج من أولياء الطريقة الرفاعية بمنطقة البحث :

انتشرت الطريقة الرفاعية، وأصبح لها فروع وأتباع كثيرون فى أجزاء كثيرة من البلاد العربية والإسلامية، وقد أشرنا إلى سلسلة من طبقات الرفاعية فى الفصول السابقة[3].

---

(١) دكتور عامر النجار - الطرق الصوفية فى مصر - ص٥٦.

(٢) استطاع الباحث الحصول على صورة أجازة ممارة أصول الطريقة الرفاعية - راجع (د) . (هـ).

(٣) الدكتور التفتازانى - الطرق الصوفية بمصر ٦٢ مجلة كلية الآداب . كذلك راجع الباب الثالث. الفصل الثانى (الطريقة الرفاعية) .

ونتناول فى هذا الجزء من الدراسة الميدانية التركيبية، بعض هذه السلسلة من طبقات الرفاعية وشخصياتها فى البلاد المصرية، وهذا مايتضح لنا بمنطقة البحث بوسط الدلتا المصرية، ونستعين فى ذلك بما ورد فى كتب الطبقات والمؤرخين لسلسة الصوفية الرفاعية، بالإضافة إلى ماقام به الباحث من دراسات وجمع المعلومات عن بعض الشخصيات الهامة .

ومن الجدير بالذكر أن أول شخصية صوفية كبيرة، كان لها أثر فى إنتشار أصول الطريقة الرفاعية بمصر، وصارت لها أتباع ومريدون "الشيخ أبو الفتح الواسطى" المتوفى عام/ ٥٨٠/ هـ أو عام ٦٣٢هـ/" .

ذكر الباحثون، أنه قد وفد إلى مصر من العراق الشيخ أبو الفتح الواسطى، وأقام بالأسكندرية، ونشر أصول الطريقة الرفاعية .

وأشار الشعرانى لأبى الفتح الواسطى ، فذكر أنه شيخ مشايخ بلاد الغربية بأرض مصر المحروسة، وكان من أصحاب سيدى أحمد بن الرفاعى، فأشار إليه بالسفر إلى مدينة الأسكندرية فسافر إليها وأخذ عنه خلائق لايحصونه منهم:

الشيخ عبد السلام القليبى، والشيخ عبد الله البلتاجى وبهرام الدميرى وجامع الفضلين النوشرى والشيخ على المليجى وجمال الدين النحارى وعبد العزيز الدرينى، وكان مبتلى بالإنكار عليه، وكان خطيب جامع العطارين من أشد المنكرين عليه، فكانت له كرامات. ومات ودفن بالأسكندرية وله قبر بها يزار حتى الآن[1].

منذ ذلك الحين بدأت الطريقة الرفاعية تنتشر، بين المريدين المصريين، وإلى ذلك أشار صاحب طبقات الرفاعية فقال "رجال من أكابر مصر وشيوخها - عبد العزيز الدرينى وشيخ الإسلام عبد الله البلتاجى، والشيخ عبد السلام القليبى، والشيخ على المليجى، والدنوشرى وهم - خلفاء أبو الفتح الواسطى، وهو خليفة السيد أحمد الرفاعى، وجميع مشايخ الإسلام بمصر وبلاد الغربية أتباعهم، وأتباع أتباعهم[2].

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٧٦ .

(٢) السيد محمد أبو الهدى الصيادى - تنوير الأبصار فى طبقات السادة الرفاعية الأخيار- ص٢٧ .

وتحدث الشعرانى عن بعض أتباع الطريقة الرفاعية بمنطقة الغربية وهو مايقع بمنطقة البحث أيضاً.

نذكر منهم الشيخ "على المليجى، أحد أصحاب أبو الفتح الواسطى، وكان معاصر للسيد أحمد البدوى، وكان السيد أحمد البدوى إذا أرسل مريده عبد العال إلى بلدة "جمزور"(١) يوصيه بأن يخلع نعله لوجود خيام المليجى هناك، وكانت له كرامات، ومات ودفن بقرية مليج(٢) وله قبر يزار، ومولده كل سنة، قبل مولد البدوى بجمعة وفيه مدد كبير.

ومنهم أيضاً الشيخ عبد العزيز الدرينى "يقول الشعرانى: هو الشيخ الزاهد العابد القدوة، ذو الحالات القاصرة والأحوال الشريفة، والكرامات والمصنفات الكثيرة فى التفسير والفقه والتصوف، وكان مقامه ببلاد الريف من أرض مصر، وكان له رأى فى الكرامات، إذ قال أن أعظم كرامة من الله تعالى أنه يمسك بنا الأرض ولم يخسفها، وقد إستحقينا الخسف، توفى رضى الله عنه سنة ٩٦٧هـ ودفن "بديرين"(٣) وله بها قبر يزار للآن(٤) .

ومن الشخصيات التى لم يخصها الشعرانى بالترجمة، وتقع فى منطقة الدراسة "الشيخ عبد السلام القليبى" فقد ذكره الشعرانى وصاحب الطبقات الرفاعية، بأنه من أصحاب أبى الفتح الواسطى وعاصر أيضاً أبا الحجاج الأقصرى/ ٦٤٢/ هـ، وإجتمع به(٥) ومن خلال زيارات ميدانية للباحث، وبالسؤال والتنقيب عن أصحاب الأضرحة والقباب والمساجد المنتشرين بمنطقة البحث، إستطاع أن يتعرف على هذا الشيخ العارف بالله إذ يقع مسجده بقرية "قليب

---

(١) بلدة جنزور: ذكرها على مبارك فقال (قرية من مديرية المنوفية قسم تلا أبنيتها بالأجر والبن بها أضرحة ومشايخ) .

(٢) قرية مليج: ذكرها على مبارك فقال (بلدة من مديرية المنوفية على بحر شبين بها مساجد وأضرحة. وبها ضريح سيدى على المليجى) .

(٣) قرية ديرين: ذكرها على مبارك قال (بلدة بمديرية الغربية. بها مسجد سيدى عبد العزيز الدرينى/ ٩٦٧/هـ) نظرنا فى ذلك: الخطط التوفيقية - حـ١٠، ص٦٩ حـ١٥، ص٧٢، حـ١١، ص٣٢ .

(٤) الشعرانى الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٧٦ .

(٥) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ١ - ص١٣٧ .

إبيار"[1] بمحافظة الغربية الآن، وهو يعرف عند كبار السن بهذه القرية بإسم سيدى عبد السلام القليبى "الشهير" "بالأسمر" وكانت هذه القرية تعرف قبل ذلك "بجزيرة بنى نصر" ولم يجد الباحث بالضريح إشارات لمولده أو تاريخ وفاته، بل مكتوب على على المقصورة هذا ضريح سيدى عبد السلام الأسمر، وبالسؤال عن اللقب الحقيقى لهذا الولى- قال كبار السن وهو "القليبى" .

وعلى ذلك فإن القرية عرفت منذ حلول الشيخ بها ووفاته بهذا الإسم، قليب إبيار "نسبة للشيخ القليبى" .

وقد لاحظ الباحث من خلال بعض الإشارات بالضريح أنه توفى مايقرب من سبعمائة عام ونيف، وبإجراء بعض الأعمال الحسابية وجدت أنه يكون قد توفى عام/ ٦٤٥ هـ/ وهذا التاريخ يطابق أواسط القرن السابع الهجرى الذى صاحب فيه شيخه الكبير أبو الفتح الواسطى المتوفى عام/ ٦٣٢/ وكذلك مصاحبته وإجتماعه بالشيخ العارف بالله أبى الحجاج الأقصرى المتوفى عام/ ٦٤٢هـ/ أيضاً .

ويروى عن شيخ المسجد وكبار السن بالمنطقة محل البحث أن الشيخ عبد السلام القليبى الأسمر، حل بالبلدة منذ زمن بعيد وقد تسمت بإسمه "قليب" بدلاً من جزيرة بنى نصر أو جزيرة النصر[2] وأن هذا الشيخ كان عالماً مربياً فاضلاً له صلة بالتدريس والتعاليم فى عصره، وله أتباع وأولاد منهم منتشرين بالمنطقة، ومنهم "سيدى عبد الواحد" وله قبر وضريح بمسجده، وسيدى "عبد الله ولده أيضاً" وله ضريح ببلدة النحارية المجاورة له[3] .

---

(١) قليب إبيار: سبق التعريف بها - وذكر إبن بطوطة، وكذلك على مبارك فى الخطط التوفيقية - حـ١٧ - ص٢١ .

(٢) ذكرها ياقوت الحموى فقال: كورة ذات قرى كثيرة فى نواحى مصر - حـ٣ معجم البلدان ص١٤٠ - كذلك ذكرها إبن بطوطة فى التهذيب - حيث أنها تضم عدد مدن وقرى ذكر منها قليب إبيار ومدينة إبيار أيضاً .

(٣) النحارية: ذكرها على مبارك قال النحارية قرية بمديرية الغربية - أنشأها الأمير سنقر أمير الجيوش أيام الملك الناصر إبن قلاوون - الخطط - حـ١٧ .

ويتعـرف الباحث على أنواع البيارق، والإشارات والأعلام بضريح الشيخ عبد السلام القليبى. وجد أنها تتميز باللون الأسمر، ممايدل على طريقته- الرفاعية.

وقد أخذ الباحث صورة فوتوغرافية للضريح والأعلام والبيارق وعثر الباحث على "لوحته" منقوش عليها كتابات منظومة بأسلوب ركيك إلى حد ما، ولكنها تشير إلى الشيخ عبد السلام القليبى وأبنائه وإنتسابهم إلى فروع إنحدرت من بلاد نجد بالجزيرة العربية، ويرجع تاريخ هذه اللوحة إلى سنة. ٦٥٣هـ/ ١٣٥٤م/ وهذه اللوحة مستطيلة من الخشب معلقة على ضريح مقابل لضريح الشيخ القليبى لإحدى بنات الشيخ وتدعى "فاتى" مكتوب عليها:

هذا مــقام كريم حــــلى بأفخر مجــد

ففيــــه حلة فتاة فـــازت بخير ورشد

تــدعى بــفاتى .. وجــدها خير جـد

عبد السلام إمـــام نعمة من مجـــــد

قــد إصــطفاها. إلهاً من كل هزل وجــــد

واذكر أخاها إسمـاعيل ذا عيـــد وقصد

خـــير إمـــام ولى للخير وحاز سعـــد

أنعم بهم من أصول وفروع لنجد .. وهكذا

وقد إستطاع الباحث أخذ صورة فوتوغرافية لهذه اللوحة. لتفسيرها وتوضيح محتوياتها.

ومن الشخصيات الهامة بمنطقة البحث الشيخ خليفة بن على الحطاب المتوفى عام. ٦٣٤هـ/ وهو ينتسب إلى الطريقة الرفاعية وقد نشأ وتربى فى القرن السابع الهجرى، إذ كان معاصراً للشيخ عبد السلام القليبى وكبار مشايخ الطريقة الرفاعية بمصر ولم يذكره الشعرانى فى طبقاته.

ويبدو أنه كان غير ظاهر فى عصره، نظراً لمعايشته لكبار مشايخ الطريقة فى القرن السابع، فلم نستدل على شخصيته فى كتب تراجم الصوفية المتأخرين.

لكن الباحث فى زيارته الميدانية، وبعد البحث والتنقيب إستطاع أن يعثر على نسبته، وسلسلته التى يرجع إنتسابه إلى أئمة آل البيت النبوى الشريف (١).

ومن خلال فحص نسبة هذا الولى الرفاعى، الموجودة بضريحه - بقرية إبيار بولاية الغربية، يتضح صلته القوية بنسب سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه من جهة أبناء عمومته، بالإضافة إلى فروع أخرى تفرعت من نسبه الشريف .

فقد جاء فى نسبة سيدى خليفة الرفاعى، الآتى: -

"أما السيد على الحطاب فهو رضى الله تعالى عنه بالمقام المشهور بتونس ببلاد المغرب وتزوج بنت من بنات سيدى حسين، وهو من نسل سيدى محمد بن على رضى الله عنه ساكن أم مكناس وهو إبن عم سيدى أحمد البدوى، وعقب (أى السيد على الحطاب) خمسة ثلاث ذكور وإثنين إناث .. ومنهم السيد خليفة، فإنه تولى السلطنة والقطبانية، وله كرامات لاتحصى، ولاتعد وتوفى سنة /٦٣٤/هـ بمدينة إبيار بولاية الغربية- بجزيرة نصر، وعمره ٩٢ سنة (٢).وقد ذكره على مبارك فى ترجمته لقرية إبيار بمديرية الغربية (٣).

---

(١) يوجد نقوش على ضريحه رضى الله عنه تستدل من خلالها على نسبه وهو سيدى خليفة بن على الحطاب بن شعيب بن مدين بن أبى الحسين بن نور الدين على بن محمد بن يحيى بن عيسى بن حازم بن ثابت بن يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن الصالح بن حسن العسكرى بن محمد التقى بن على الهادى بن محمد الجواد بن عيسى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ...إلخ .

(٢) نظرنا فى- ذلك نسبة سيدى خليفة الرفاعى- بريبار بمحافظة الغربية، موجودة بضريح هذا الشيخ، وفى عهدة أحد مريديه فى العصر الحديث، وهى عبارة عن مخطوط يبلغ طوله ٦ أمتار (ستة أمتار) فى عرض ٢٤ سم أى مقاس ٦ X ٢٤ سم وتوجد صورة فوتوغرافية لدى الباحث.

(٣) يقول على مبارك فى الخطط التوفيقية (إبيار بلدة قوية من مديرية الغربية بقسم محلة منوف شرقى كفر الزيات، بها قصور للأمير أحمد الشريف وفيها مساجد بمنارات تقام فيها صلاة الجمعة وفيها جامع الشيخ خليفة قديم. وقد جدده أحمد الشريف عام ١٢٧٥ هـ نظرنا الخطط التوفيقية. ص٨ - ص٢٨ - ص٢٩ .

ويبدو أن هذا الولى كان على دراية كبيرة بعلوم الشريعة والحقيقة إذ نجد له نظماً شعرياً يصف أحواله وأذواقه ونسبته إلى البيت النبوى الشريف .. يقول فيه:

تعاظم قدرى عند أهل الولاية ... وفى سائر الأقطار شاعت ولايتى

سقانى ربى من كأس شرابه ... سمعت فى الحضرة العلية

أنا السيد المعروف وإسمى خليفة ... وأدريس والنعمان وأبى حنيفة

أنا صاحب العلم النفيس بمالك ... وجدى رسول الله خير البرية

أنا كنت قبل القبل قطب معظم ... وطاقت بى الأملاك قبل الولاية

تمسك من يدى وكن بى واثقاً ... ولك الفخر فى الدنيا ويوم القيامة

وزر مقامى خاضعاً متذللاً ... وقبل أعتابى ولازم حضرتى

من جاء ناقله الهنا وله الغنى ... ومن خادعنا لاتنله مسرتى

ويوم الزحام أكن له شافعاً ... وأدخل أولادى تحت حمايتى

وأدم صلاتى على النبى محمد ... شفيعاً لأمته فى يوم القيامة(١)

والواضح من خلال تحليلنا لأقوال الشيخ، أن حاله كان غالباً على مقامه وأذواقه على مواجيده، بل أن مواجيده قد غلبت على صحوه، فظهرت فى هذه الأقوال كثير من المبالغات التى لاتقره عليها، شأنه فى ذلك شأن كثير من دراويش الطريقة فى العصور المتأخرة فالشفاعة لاتكون إلا للنبى ﷺ ولأمته، والتذلل لايكون إلا بالخضوع والخضوع لله تعالى والتسليم لإرادته والفخر لايكون إلا بإتباع شرع الله تعالى والإقتداء بسنة رسوله ﷺ .

وفى قرية إبيار بمنطقة البحث - تنتشر مساجد كثيرة للأولياء، إذ تضم أضرحتهم بالإضافة إلى بعض الأضرحة الأخرى والقبور سواء لأبنائهم أو لأتباعهم.

ومن ذلك مالاحظه الباحث، فى زيارته لأحد المساجد، القديمة والذى يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجرى أو قبل ذلك، ويسمى "بسيدى أحمد البجم" وإسمه بالكامل مكتوب على ضريحه "هذا مقام سيدى أحمد أبو رمضان الشهير بالبجم، وقد تأسست المقصورة عام ١٠٣٩م .

(١) المصدر السابق - نسبة سيدى خليفة الرفاعى - انظر صورة منها لوحة رقم (و)، لوحة رقم (ز)، لوحة رقم (ح) .

كذلك يضم المسجد ضريح آخر لأحد مريدى الطريقة الرفاعية يسمى "بضريح سيدى رضوان الرفاعى" ومكتوب على مقصورته -تأسس فى عام ١٠٣١هـ/ لكن وجد الباحث أن بهذا المسجد الكبير آثار كثيرة منها لوحة يرجع تاريخها إلى القرن السابع الهجرى مكتوب عليها بالنقش على حجر بازلت شديد الصلاة عبارات تدل على أن هذا المسجد كان مكاناً لتلقى علوم الشريعة والفرائض، أو هو بمثابة مدرسة أو معهد دينى كان يجتمع فيه أئمة العلماء وكبار فقهاء المنطقة فى العصور المتأخرة، وهذه العبارات هى "بسم الله الرحمن الرحيم - وصلى الله على سيدنا محمد - لاإله إلا الله محمد رسول الله - أمر بإنشاء هذه المدرسة الفقيه الأجل العالم جمال الدين رضوان بن الشيخ السبط محمد حمزة حشما فى حياة على بن أيوب قيما للعلم وجعل العلم فيما بعده من نسل ولده ولولدى ولده إلى إنقضاء عصر الحياة، والسلام عليا ولولدى. وقد توفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرون وستمائة أو سبعمائة.." / سنة ٦٢٩/ أو سنة ٧٢٩. هـ[١] .

كذلك لاحظ الباحث أن بناء المسجد على طراز قديم يرجع إلى الفن المعمارى فى العصور الوسطى، وبه كثير من الحجرات التى يمكن أن تطلق عليها بإصطلاح الصوفية "خلوات" للعبادة، والذكر، بالإضافة إلى "مشربيات" "وأسيلة" مخصوصة لحفظ المياه للشرب، وللجامع صحن فسيح، يقع بوسط المسجد مقابل المدخل وأعمدة من الرخام .

وإذا أردنا تحليل مكانة هؤلاء الصوفية فى منطقة البحث من الناحية الباطنية للتعرف على مكانة كل منهم فى حكومة أهل الباطن، قد نجد كثيراً من الصعوبة أو قد تكون أحكامنا غير دقيقة إلى حد ما، نظراً لتداخل مكانتهم الروحية والباطنية، وخاصة وأن أولياء هذه المنطقة ظهروا فى عصر واحد وزمن متقارب وفى منطقة واحدة وبلاد متجاورة، كذلك فإن كل منهم يدعى لنفسه القطبانية والغوثية، أو ماينسبه إليهم المريدون والأتباع كذلك فإن هذه المراتب الروحانية أو الباطنية، أمور غيبية، وأحوال خاصة بأصحابها ولكننا من خلال دراستنا نستطيع تحليل ذلك وتوضيح مراتب كل من هؤلاء الأولياء فى حكومة الباطن الروحانية وفى ضوء ماسبق لنا التعرف عليه من معان ومراتب هذه الحكومة الباطنية.

---

(١) أشار على مبارك إلى هذا المسجد فى ترجمته لبلدة إبيار فقال: (وفيها جامع الشيخ تاج - وجامع الشيخ قصود قديم جددهما محمد أفندى الشريف عام ١٢٩٠ هـ. الخطط التوفيقية - حـ٨ - ص٢٩ .

فمن الملاحظ أن منطقة البحث تتكون من عدة قرى وبلدان متجاورة قرية قليب إبيار، جزيرة بنى نصر - مدينة أو قرية إبيار، وهذه البلاد تقع بولاية أو محافظة الغربية وهى الولاية التى دخلها شيخ الطريقة الرفاعية أبو الفتح الواسطى ت عام/ ٦٣٢/ هـ، مبعوثاً من الشيخ الأكبر والإمام أحمد الرفاعى/٥٧٨ هـ/ لنشر أصول الطريقة الرفاعية ببلاد الغربية والأسكندرية بمصر.

أ - إذن يعتبر أبو الفتح الواسطى - فى مرتبة "الأوتاد" بالنسبة لشيخه الإمام أحمد الرفاعى الكبير، والذى يستمد منه المدد الروحانى حياً وميتاً ويعتبر قطب المنطقة بمصر بالنسبة لمريديه وأتباعه، الذين صاحبوه وهم يستمدون منه المدد الروحانى، والمعنى الوجدانى، بالإضافة إلى التوجيه والتربية السلوكية والأخلاقية وعلم الباطن فى حال حياته أو وفاته.

وقد صاحبه كل من الشيخ عبد السلام القليبى، وعلى المليجى وعبد العزيز الدرينى، والدنوشرى، وعبد الله البلتاجى فهم أتباعه أو نقباؤه ورجباؤه وهو بالنسبة لهم قطب زمانه وغوث وقته فى هذه المنطقة بمصر .

ب - أما الشيخ عبد السلام القليبى/ ٦٤٥/ هـ فهو يعتبر من نقباء الشيخ الواسطى أو من رجبائه فى حال حياته، وبعد وفاته ترقى فى مراتب الروحانية، حتى وصل إلى مرتبة القطبانية، بالنسبة لأتباعه ومريديه الذين تولى تربيتهم وتوجيه سلوكهم وإمداهم بعلوم الباطن فى عصره أو فى المكان الذى إختص بالهداية ونشر الطريقة به فى "قرية قليب" أو جزيرة بنى نصر .

جـ - أما الشيخ خليفة الرفاعى/ ٦٣٥/ هـ بقرية إبيار، فكذلك يعتبر بالنسبة لشيوخه الذين أخذ عنهم علوم الباطن وتعلم أصول الطريقة عليهم-من النقباء أو الرجباء ثم ترقى فى مراتب الروحانية حتى وصل إلى القطبانية فى عصره ووقته والمكان الذى إختص بالهداية ونشر الطريقة فيه وهى بلدة إبيار بالغربية بمصر- وقد وصف نفسه بذلك كما أشرنا فيما سبق. أما سائر أولياء المنطقة فأتباعه ومريديه - سواء كانوا نقباء أو رجباء أونجباء كما أن مراتب هؤلاء الأولياء بمنطقة البحث فى حكومة الباطن، والولاية الروحانية كل حسب

وقته وحاله ومكانته من شيخه ومدده الروحى وقربه منه، وهذا مايؤكد درجته وقربه من درجات الوصول إلى الله تعالى والإستئناس به تعالى .

فالولى يصبح قطباً لأصحابه وأتباعه، أو تابعاً لشيخه طبقاً لدرجته الروحانية فى حكومة الباطن، وهكذا تتوالى الدرجات والتدرجات فى أتباعه فيمابعد.

وإذا إنتقلنا إلى موطن آخر. فى منطقة البحث الميدانى، لمعرفة أولياء هذا المكان ومكانتهم الروحية فى حكومة أهل الباطن من أتباع الطريقة الرفاعية، فنجد إحدى القرى بمحافظة الغربية أيضاً - تتحقق فيها مراتب أخرى من مراتب الولاية الروحية الباطنية - وهى مرتبة "الأبدال" وهذ القرية هى: قرية "برما" (١).

ففى هذه القرية - ينتشر مايقرب من إثنا عشر ضريحاً لأولياء يعرفهم سكان المنطقة بأسمائهم أو ألقابهم فقط، مع توارد إشارات من كراماتهم ... إلخ بعض هؤلاء الأولياء من هو متقدم وبعضهم من هو متأخر .

وهذ القرية قديمة النشأة - كما ذكر ياقوت الحموى فى معجمه - وخرج كثير من العلماء فى العصور المتأخرة، نذكر منهم فى القرن الثامن والتاسع الهجريين أحد العلماء المشهورين .. وهو الشيخ فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن أحمد الملقب بالشيخ الإمام البرماوى (٢) الشافعى شيخ قراء مدرسة الظاهر برقوق، كان إماماً بارعاً فى معرفة القراءات، عالماً بالفقه والحديث واللغة العربية، تصدر القراءة عدة سنين إلى أن توفى يوم الإثنين تاسع عشر من شهر شعبان عام/ ٨١٦/ هـ(٣).

---

(١) برما: ترجم لهذه القرية ياقوت الحموى ت عام/ ٦٢٦/ هـ فقال بلدة ذات أسواق فى كورة الغربية من أرض مصر - معجم البلدان - حـ٢ - ص١٥٥ ط السعادة بمصر سنة ١٩٠٦م.

- كذلك ترجم لها على باشا مبارك فقال بإختصار «برما بكسر الباء وسكون الراء- بلدة مركز إبيار بمديرية الغربية وتقع على تل مرتفع بالقرب من محلة مرحوم وتشتهر بالتجارة والأسواق وبها مسجد كبير بمأذنة عالية وينسب إليها كثير من العلماء والفقهاء منهم الشيخ شمس الدين عبد الدايم البرماوى سنة ٨٣١ هـ. الخطط حـ٩ ص٣٩.

(١) البرماوى - نسبة إلى (برمة) بلدة بالغربية من أعمال القاهرة بالوجه البحرى، وإليها ينسب جماعة كثيرة من الفقهاء والعلماء والقراء وغيرهم. نظرنا - إبن العماد الحنبلى/ ١٠٨٩/ هـ شذرات الذهب - جـ١ ص١٨٩ .

(٢) المصدر السابق - ص١٨٩ .

وعلى ذلك ففى قرية "برما" يوجد ثلاثة من الأولياء يرجع تاريخهم إلى القرون الثلاثة الأخيرة - من القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر الهجرى .

(د) فقد تحدث الشعرانى فى طبقاته عن "العارف بالله السيد حسن العراقى، وعن سياحته ببلاد الهند والسند والصين وبلاد العجم والروم والمغرب ثم إستقر بمصر فى آخر أيام حياته، ويذكر الشعرانى، أنه صاحبه، وجالسه مرات كثيرة وعرف منه هدايته على المهدى . إلخ ويبدو لنا أن هذا الولى من "الابدال" أى كان له حضور فى أكثر من مكان بأرض مصر، وفى قرية برما" ضريح كبير نظمه من البناء القديم ويعرف هذا الضريح باسم "ضريح سيدى حسن العراقى" ويضاف إلى ذلك أنه كان من أرباب الأنفاس، وأنفاسه كانت تعبر عن أحواله وتوفى عام نيف وتسعمائة أى مايقرب من عام ٩٣١ هـ(١).

(هـ) أما الشخصية الثانية، فهو العارف بالله تعالى"سيدى محمد الصياد" والذى ينتسب إلى السلسلة الصيادية الرفاعية، التى بدأت بشيخها الكبير السيد أحمد الصياد الرفاعى طريقة، المتوفى عام ٦٧٠هـ/ وقد تتابعت هذه السلسلة فى أولاده وأحفاده ومنهم السيد على الرفاعى الصيادى الشهير بأبى شياك المتوفى عام/ ٧٠١هـ/ والمدفون الان بمصر وهو إبن الولى العارف بالله السيد عز الدين أحمد الصياد، ثم تتابعت الولاية فى طبقات السادة الصيادية الرفاعية فيما بعد، فظهر الشيخ شمس الدين الرفاعى /٧٠٤هـ/ ثم الشيخ القطب الجامع الوارث المحمدى عبد الله نجم الدين المبارك الصياد/ ت عام/ ٨٠٠/ هـ ثم الشيخ عبد الرحمن شمس الدين /٨٣٩/ هـ، ثم تتابعت هذه السلسلة بمصر إبتداء من الشيخ نور الدين أحمد بن السيد علم الدين حسين بن عبد المهيمن بن السيد مصلح الدين بن السيد أحمد بن السيد موسى بن السيد الكبير أحمد عز الدين الصياد سبط الرفاعى/٨٩٢/ هـ. ثم إنحدر منه سلسلة أخرى فى القرن العاشر والحادى عشر الهجريين، منهم الشيخ عبد الواحد محمود الأسمر الصياد/٩٣١/ هـ ثم الشيخ عبد الملك بن السيد عبد المنعم الذى ينتهى نسبه إلى السيد عز الدين الصياد الرفاعى - المتوفى بمصر عام /١٠٠٠م/ ثم الشيخ شرف الدين أحمد الرفاعى /١٠٢١هـ/ ثم

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ ص١٢٦ .

القطب الغوث السيد محمد برهان بن محمد الغواص الصيادى الرفاعى ت عام /١٠٠٩هـ/ ودفن بالبصرة بالعراق، ثم السيد جندل بن السيد على الجندى الرفاعى شيخ الرفاعية الصيادية المتوفى بحمص بالشام فى القرن الحادى عشر، ثم السيد نجيب أفندى شيخ المشيخة الأحمدية الرفاعية المتوفى عام ١٣٠٦ هـ .

ثم ظهرت وتتابعت السلسلة الصيادية الرفاعية بمصر والشام أيضا إبتداء من السيد عبد السلام آل خزام الصيادى الرفاعى المتوفى عام /١١٠٣هـ/ الذى دفن بالبصرة ثم بالشام السيد خزام ابن ولى الله السيد على آل خزام بن السيد برهان الدين الصيادى الرفاعي الخالدى المتوفى عام /١٢٠٩هـ/ ، ثم الولى العارف بالله أحمد الراوى الرفاعى الصيادى المتوفى عام ١٢٢٥هـ ثم السيد أبو بكر الصيادى الزيناوى المتوفى عام /١٢٤٠هـ/ ثم السيد هاشم بن السيد محمد الرفاعى الصيادى المتوفى عام /١٢٧٢هـ/ (١).

وفى هذه السلسلة الصيادية ينتسب "سيدى محمد الصياد" القائم ضريحه ومدفنه بقرية برما محافظة الغربيه بمصر الآن .

وهو من الأولياء - العارفين بالله علي الطريقة الرفاعية - الصيادى نسبا ومسلكا وأخذاً، وهو من الأبدال فى درجت الروحانية.

وتستدل على ذلك بما ورد فى تراجم السلسة الصيادية إذ يذكر صاحب كتاب تنوير الأبصار فى طبقات الرفاعية "قال شيخنا القطب الجامع السيد محمد الهدى (الصيادى) حين زيارته لجده (الصيادى)أنه أنعطف الى زيارة مرقد سيدنا يونس فى مقامه الأنوار الذى هو شاهر "خان شيخون بالجهة الغربية من حلب الشهباء بسوريا مانصه :-

"ومشيت من هناك تحملني عجائب السعادة وتتحقق أمامى ألوية الرعاية الى قرية (خان شيخون) أتطلع شهود الرمز المضمر، والسر المكنون، فوصلت ودخلت جامع القرية، وبعد أداء الصلاة فى المسجد قمت أمشى فى طرقات الجامع... وفى تلك القرية رجل مصرى من أهل الغربيه بديار مصر، وأسمه الشيخ "محمد" تصرفه فى الحضرة بسور "يسين" من أهل الشهود

---

(١) نظرنا فى ذلك السيد محمد ابوالهدى أفندى الصيادى - كتاب تنوير الأبصار فى طبقات السادة الرفاعية الأخيار -ص٣٣ الى ص٣٦. كذلك راجعنا السيد عبد القادر قدرى آل القدسى الحلبى الكوكب المنير فى ترجمة السيد محمد ابى الهدى الصيادى - ص٣١- ص -٣٢ . بدون تاريخ.

الجامع، ومرتبته، "البديله" وحاله دون مقامه ومرتبته الخفا فى منزله الظهور وله الى دار أهلنا بنى خزام آل الصياد تردد، مارأت عينى أزهد منه، أنسلخ من كليته، أحمدى الخرقة والطور والمشرب والحال والقدم وهومن المقبولين فى الباب المحمدى (١).

ومن خلال ماسبق يتضح لنا أن "سيدى محمد الصيادى" ببرما من أولياد هذه المنطقة، وتصرفه فى أحواله، ومرتبه مقاماته فى الحكومة الباطنية، "البديلة" فهو من الأبدال فى عصره، ويبدو من خلال هذه الترجمة أنه نشأ فى القرن الثانى عشر الهجرى، أو الثالث عشر الهجرى.

(و) يضاف الى هؤلاء شخصية صوفية أخرى - عثر عليها الباحث ويبدو أنها فى مرتبة "البديله"- إذ وجد إحدى القباب تضم قبر لولى عارف بالله - يدعى "سيدى حسن السقطى" ولم يتحدد تاريخا لمولده أو وفاته، أو حلوله بنفس القرية، إذ لايعرف عنه أصحاب المنطقة سوى إسمه فقط .

وقد عثر الباحث، على مايشير إلى هذا الولى، إذ يبدو أنه كان من دراويش الطريقة "السقطية"، ففى دائرة المعارف مايشير الى صاحب الطريقة "السقطى" المتوفى عام ٨٦٧ هـ - ولها فروع بتركيا وغيرها.(١)

هذه نماذج من دراسة ميدانية قام بها الباحث للتعرف على بعض أولياء المنطقة ودرجاتهم في الحكومة الباطنية ممن ينتسبون الى الطريقة الرفاعية بمنطقة البحث .

---

(١) السيد محمد أبو الهدى الصيادى - تنوير الأبصار فى طبقات الرفاعية- ص٣٦ - ص٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل - راجع دائرة المعارف الإسلامية (مادة طرقة).

الفصل الثالث

"الطريقة الشاذلية"

"دراسة لشخصياتها وتراثها عند المتأخرين "

"وفى العصر الحديث"

أولا : أهم مظاهر الطريقة وشكلها العام :

تنسب هذه الطريقة كما ذكرنا [١] إلى مؤسسها الحقيقى، الإمام على بن عبد الله بن عبد الجبار أبو الحسن الشاذلى، المتوفى عام /٦٥٦هـ/ فقد كان مثالاً للشيخ العالم الصوفى الحق، أستند فى أصول طريقته إلى الكتاب والسنة، ونهل من موارد شيخه عبد السلام ابن مشيش [٢] /٦٢٥هـ/ أخذ الشاذلى من تراث السابقين من العلماء والصوفية، فعلمه وعلمه، ثم أفاض على تلامذته ومريديه مما أفاض الله عليه من علوم ومعارف، فقد أهتم الشاذلى بكتب الإمام الغزالى /٥٠٥/ وبصفة خاصة كتاب إحياء علوم الدين، وكتب القشيرى - الرسالة القشيرية، وأبو طالب المكى "قوت القلوب" وغيرها.

إذن فقد أقام طريقته على أصول قويمة، منبعها الدين وتربية السلوك والأخلاق.

ومن الجدير بالذكر، أن كبار علماء مصر، كانوا يغشون مجالسه ويأخذون عنه، كالعز بن عبد السلام /٦٦١ هـ/ وتقى الدين بن دقيق العبد / ٧٠٢هـ/ وإبن الحاجب وغيرهم.

ولعل أهم مظاهر الطريقة الشاذلية، هو ماأوضحه الشاذلى، فى كتابه "الطريق القصد إلى الله تعالى" [٣] إذ يلخص لنا طريقته، ظاهرا وباطنا، حين قال: طريق القصد إلى الله تعالى تعالى، الذكر: وبساطة العمل الصالح، وثمرته النور، والتفكير: وبساطة الصبر، وثمرته العلم،

---

(١) تحدثنا بالتفصيل عن صاحب هذه الطريقة وأصولها فيما سبق (انظرالباب الرابع) "الفصل الثانى" من هذا البحث.

(٢) راجع ماسبق بالباب الرابع(الفصل الأول).

(٣) مخطوط الطريق القصد الى الله تعالى للإمام الشاذلى - مكتبه المسجد الأحمدى بطنطا .

والفقر: وبساطه الشكر، وثمرته المزيد منه والحب: وبساطه بغض الدنيا وأهلها . وثمرته الوصول للمحبوب.

يقول الشاذلي: خصلتان تسهلان الطريق الى الله تعالى، هما: المعرفة، والحب."[1]

كان الشاذلي: طاهر الملبس، نظيف المظهر، عاملا، عالما، متوكلاً علي الله، كان يكره التواكل، ويكره المريد المتعطل المتوكل. وهكذا نصح أصحابه ومريديه، وفى ذلك يعبر بن عطاء الله السكندرى/٧٠٩/هـ وهو تلميذ خليفة الشاذلى أبو العباس المرسى/٦٨٦/هـ، قال ابن عطاء الله، قال شيخى أبو العباس المرسى... "نحن إذا صحبنا تاجراً ماتقول له أترك صنعتك وتعالى، أو طالب علم ماتقول له أترك طلبك وتعالى، ولكن تقر كل واحد فيما أقامه الله تعالى، وماقسمه له على أيدينا هو واصل اليه "ويقول صاحب "المفاخر العالية" معبراً عن مظهر الطريقة وشكلها العام "والسادة الشاذلية رضى الله عنهم أشد المشايخ حثا على العمل فى الحرفة، حتى كان الشيخ أبو العباس المرسى يقول: عليكم بالسبب، وليجعل أحدكم مكوكه سبحته، أو تحريك أصابعه فى الخياطة سبحته أو الضفر"[2] .

ومما لاشك، أن الطريقة الشاذليه فى العصور المتأخرة، أصبحت تعتنى ببعض المظاهر والدلالات بخلاف ماكان عليه أصحاب الطريقة الأوائل، وهو مالاحظه الباحث، فى بعض الزيارات الميدانية لحلقات الذكر، ومايحدث فيه من أطراب وسماع باستخدام الموسيقى وبعض الرقص والنشيد .

إذ تجمع المصادر على أن الإمام الشاذلى لم يكن يفضل السماع أو الإطراب لأهل الطريق، يقول فى ذلك ابن عطاء الله السكندرى، قيل لسيدى أبى الحسن لم ياسيدى لاتحب السماع؟ فقال: السماع من الخلق جفاء".

وقال الشاذلى: سألت أستاذى (يقصد عبد السلام بن مشيش) رحمه الله عن السماع، فأجابنى بقوله تعالى "انهم ألفوا أباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون" سورة الصافات آيه (٦٩-٧٠).

---

(١) دكتور عامر النجار - الطرق الصوفيه بمصر - ص١٤٠.

(٢) نفس المصدر السابق - ص ١٤٢ ، الضفر) هنا يعنى صناعة السلال من سعف النخيل. وهى من الحرف والصناعات التى كان كثير من الصوفيه يزاولها للعيش.

وتذكر المصادر رواية أخرى، عن الإمام الشاذلى فى تحريم الغناد والموسيقى والإطراب والتمايل، مفادها أن الإمام الشاذلى رأى فى منامه - أستاذه عبد السلام بن مشيش وهو يستهزئ بكلمات الشعر والغناء ويرمى بها فى الأرض ويقول له "من أكثر من هذا فهو عبد مرقوق لهواه، وأسير لشهوته ومناه، ولافائدة فى ذلك يعمل الخير وإكتساب العرفان، الذين يتمايلون عند سماعها، يتمايلون تمايل اليهود، ولا يحظ أحد منهم بما حظى أهل الشهود... (١)

ويؤكد جلال الدين السيوطى/ ٩١١ هـ/ ذلك فيقول "وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ليس فى طريقه السماع".

وعلى ذلك فإن الشاذلى لم يأذن لأتباعه بالسماع، ولكن تجد ذلك شائعاً بين أصحاب الطريقة فى العصور المتأخرة وفى العصر الحديث .

إذ أن بعض أتباع الطريقة يستخدمون فى إحتفالاتهم وموالدهم الموسيقى والإنشاد (٢).

وهذا يتضح للباحث فقد حضر مجالس الذكر التى تقيمها طوائف الشاذلية بالمساجد، أو فى إحتفالات المشايخ وموالدهم، وإن كانت مجالس أذكارهم بالمساجد تقتصر على الإنشاد فقط، بالإضافة إلى تنظيم حلقات الذكر بحيث تكون مستقيمة، ففى مشاهدات للباحث لاحظ، أن جماعات الشاذلية يتميزون عن أصحاب الطرق الأخرى، بالملابس البيضاء النظيفة(٣) ويداومون على تلاوة الأوراد والأحزاب وقراءة القرآن بالمصاحف، إذ يجلسون فى حلقة، أو فى صفوف مستقيمة، ثم يتولى شيخ الطريقة تلاوة إفتتاحية الحزب، ثم قراءة شئ من القرآن الكريم، ثم الصلاة على النبى ﷺ وهكذا ثم بعد أن يصل الجميع إلى درجة الإشباع يقومون فى صفوف منتظمة، ويتولى أحد منهم النشيد وينشد ويتمايل الذاكرون بعض التمايلات، ثم يختتم الذكر، كما بدأ ثم يتصافحون ..

---

(١) ذكر ذلك الدكتور عامر النجار - الطرق الصوفية بمصر - ص١٤٤، وقد أوردنا ذلك بإختصار، بقدر مايفى بالغرض هنا. نقلا عن كتاب الحقيقة العلية. للإمام جلال الدين السيوطى ص٩١. كذلك ابن عياد المفاخر العليه فى المآثر الشاذليه - ص٣٨ - المطبعة الوهبية بمصر -١٣٠٦ هـ.

(٢) المصدر السابق - ص١٤٤ - ص١٤٥ .

(٣) جاء فى الوصية الكبرى لسيدى عبد السلام الأسمر الفيتورى الشاذلى العروسى طريقة أن أفضل اللباس الأبيض. ص٢٧ - ط ١٩٧٦م .

ومن الجدير بالذكر، أن للشاذلية أعلام متعددة الألوان وأعتقد أن الغالب عليها اللونين الأبيض والأخضر، وهكذا وهذا تابع أيضاً للخرقة. التى تميزهم عن غيرهم. ولهم بيارق وخصل مدلاة متعددة الألوان، وقد لاحظ الباحث أن أعلام الطريقة "العزمية" خضراء. وهى تنتسب للشيخ أبو العزايم ماضى. ولعل من أهم مظلهر الطريقة الشاذلية، هو ماأشار إليه شيخ الطريقة الشاذلية ووليها فى عصره - أحمد زروق المتوفى عام/ ٨٩٩ هـ/ . وهو فى كيفية الإنتساب للطريقة ويكون ذلك عن طريق "أخذ العهد، بالأخذ والمصافحة ثم التلقى والمتابعة (١).

ويوضح الشيخ إبراهيم المواهبى /المتأخر/ ذلك أيضاً فيقول "إعلم إن الإنتساب للطريقة على أربعة أقسام:

أحدهما: أخذ المصافحة، والتلقين للذكر، ولبس الخرقة، والعدية للتبرك أو النسبة فقط .

ثانيها: أخذ رواية، وهى قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها - ذلك للتبرك والنسبة فقط .

ثالثها: أخذ دراية، وهو حمل كتبهم لإدراك معانيها .

رابعها: أخذ تدريب وتهذيب وترق فى الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة .

ويقول صاحب المفاخر العلية "أن لمن ينتسب إلى ولى من أولياء الله يتشبه به فى أصول طريقته، وفروعها المهمة ثم لاعليه من دقائقها" (٢).

ويعبر صاحب كتاب "الروضة الشاذلية" عن تلك المظاهر التى تميز أصحاب الطريقة الشاذلية وتعريفها. فيتحدث عن بيان أحوال الطريقة المكية القاسية المدنية، ويقول أنها فرع من الطريقة الشاذلية العلية، ثم يوضح أن بالذكر تحقيق الأنس بالله تعالى، والخلوص من الخلق ،الوحشة منهم، ثم يصف مظاهرها، وهو بالإنغماس الكلى، ورفع الأصوات بالذكر صباحاً. أو مساءً. سواء بالمساجد أو فى غيرها وذلك لإشباع الهاء من "الله" عند قول الذاكر "لاإله إلا الله" مسموع لغة وشرعاً .

---

(١) الدكتور أبو الوفا التفتازانى - أحمد زروق - (بحث منشور ضمن كتاب زعلام الفكر الإنسانى) - ص٤٤٩ .

(٢) الدكتور عمر النجار - الطرق الصوفية - ص١٤٦ .

ثم يبين بأن الذاكر بالرسم المفرد لايجب مدة وتجريده وتثقيله إلى إسم الصور وهو "آه" على حسب قاعدة الشاذلية رضى الله عنهم، ويتحدث أيضاً عن ضرورة التسليم ظاهراً وباطناً لأهل الطريقة الصوفية فيما يذكرونه من العلوم اللدنية" (١).

ثانياً: فروع الشاذلية - تراثها وشخصياتها:

تمهيـــد:

إنتشرت الطريقة الشاذلية، وتفرعت فى أرجاء كثيرة من البلاد العربية، سواء فى بلاد المغرب العربى، أو فى مصر وأصبحت من الطرق الصوفية ذات الشأن الكبير فى العصور المتأخرة وظلت قائمة بفروعها حتى العصر الحديث .

ومن أهم هذه الفروع فى مصر: البكرية والسلامية والوفائية والحامدية والجوهرية والعزمية، الفيضية والهاشمية والسمانية والعفيفية والقاسمية والعروسية والخواطرية، والقاوقجية والهندوشية" كذلك الطريقة الحصافية، التى تنتسب للشيخ حسنين الحصافى /١٩١٠م/ بالبحيرة. وفى بلاد المغرب العربى الجازولية، وتنسب إلى الإمام الغازولى المتوفى عام /٨٧٠ هـ/ ولها فرع أيضاً بالمغرب مثل الدروقاوية والتى تنسب للشيخ العربى الدرقاوى المتوفى عام/ ١٢٣٩ هـ/. والطريقة، الحمارشية، والعيسوية والطيبة، كذلك إنتشرت فروع شاذلية أخرى ببلاد المغرب، فى العصور الحديثة، مثل: السهيلية فى القرن التاسع عشر الميلادى، بالجزائر، والناصرية فى القرن السابع عشر الميلادى، فى مراكش والكرازية فى القرن التاسع عشر الميلادى بالجزائر، والحبيبية، فى عام ١٨٥٢م، والسنوسية والتى أسسها الشيخ محمد بن على السنوسى الكبير فى ليبيا عام/ ١٢٥٠ هـ/ (٢).

---

(١) محمود بن عفيفى الدين على الوفائى - الروضة الشاذلية فى المقامات الإسلامية ص٥٤، ٥٩٨، ص٦٥، ص٧٠، ٨١، ص٩٩ - ط المطبعة المصرية عام ١٣١٦ هـ .

(٢) لمزيد من التفاصيل: دكتور أبو الوفا التفتازانى - مدخل إلى التصوف ص٢٩٢، الطرق الصوفية فى مصر - ص٧٣ - كذلك دائرة المعارف الإسلامية - مادة طريقة، عامر النجار الطرق الصوفية ص١٤٦ .

ولاشك أن معظم هذه الفروع، كانت حركات إصلاحية، وتطور لأصول الطريقة الشاذلية، وتعديل لمظاهرها وشكلها العام، وهذا ماقام به الشيخ محمد بن على السنوسى المتوفى عام ١٨٥٩م، والذى أنشأ أول زاوية فى البيضاء بليبيا ثم نقل مركز دعوته إلى جغبوب. ولعل أهم ماقام به السنوسى فى مجال الإصلاح الفكرى والصوفى، قوله "إن الزهد والخمول والإستجداء التى كانت صبغة أغلب الطرق الصوفية ليست من الإسلام فى شىء[١] كذلك دعوته إلى العودة إلى يسر الدين والإعتماد على الكتاب والسنة، والإستفادة من المذاهب المختلفة، وتنقية الإسلام من البدع والضلالات وقوله أن الإسلام، دين ودولة، وعبادة وعمل[٢] هذه أهم فروع الطريقة الشاذلية أما عن شخصياتها الهامة فكثيرة جداً .

فلقد أصبح للشاذلية أثر فعال بين دوائر التصوف الإسلامى قديمه وحديثه، ذلك، منذ أن وضع مؤسس الطريقة أصولها وإختار من يعده أئمة فضلاء لقيادة الطريقة وتربية المريدين، ومن أهم هؤلاء الأئمة :

(١) الإمام أبو العباس المرسى/ ٦٨٦/ هـ: -

"وهو أجل من أخذ عنه الطريق رضى الله عنه، ولم يرث علم الشيخ عنه غيره، وإن كان لم يترك كتاباً فقد سار على منهج استاذه بقوله "علوم هذه الطائفة، علوم تحقيق، وعلوم التحقيق لايتحملها عموم الخلق"[٣] وتجمع المصادر على أن إمام الطريق أبو الحسن الشاذلى، وجد غيره من المريدين، فخصه بالفضل إذ قال "عليكم بالشيخ أبى العباس، فوالله مامن ولى كان أو هو كائن إلا وقد أظهره الله عليه، وعلى إسمه ونسبه وحسبه وحظه من الله عز وجل"

---

(١) دكتور أحمد شلبى - التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية جـ٤ (السنوسية مبادئها وتاريخها) ط مكتبة النهضة المصرية - ١٩٨٣م .

(٢) كان الشيخ محمد على السنوسى يعتمد فى تصوفه على المفاهيم السلفية المتحررة فكانت دعوته تقوم على مبادئ هامة منها عودة الإسلام إلى منابعه الأولى، وتطهرالعقيدة من البدع والخرافات وتوحيد المذاهب والإجتهاد - أنور الجندى الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا ص٢٢ ط الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥م .

(٣) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص١٢ .

وقال أبو الحسن الشاذلى أيضاً "لن تهلك طائفة فيها أربعة، إمام وولى وصديق وشيخ، فالإمام هو أبو العباس، وكان الإمام أبو الحسن يقول: ياأبا العباس ماصحبتك إلا لتكون أنت أنا، وأنا أنت" (١).

إذن فقد تولى أبو العباس المرسى - خلافة الطريقة الشاذلية، وتربية المريدين بعد وفاة شيخها الأكبر وكان يجتمع فى حلقات علمه، وعلوم درسه خير المريدين بالأسكندرية، ولعل من أكبر مريديه: الشيخ ياقوت العرش المتوفى عام ٧٠٧هـ ذكر عنه إبن العماد الحنبلى أنه كان يقول "أنا أعلم خلق الله تعالى بلا إله إلا الله" (٢).

٢- الإمام تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندرى/ ٧٠٩ هـ :

يعتبر الشيخ إبن عطاء الله السكندرى من خيرة المريدين للطريقة الشاذلية، فقد تعلم أصولها ومعانيها على استاذه الشيخ أبى العباس المرسى، فكان يجمع بين علمى الحقيقة والشريعة، أو الظاهر والباطن، يقول عنه إبن العماد "تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى - المالكى الشاذلى، صحب الشيخ أبا العباس المرسى صاحب الشاذلى، وصنف مناقبه، ومناقب شيخه، وكان هو المتكلم على لسان الصوفية فى زمانه، وهو قام بالرد على الشيخ تقى الدين إبن تيمية/ ٧٢٧/ هـ فبالغ فى ذلك، وكان يتكلم على الناس، وله فى ذلك تصانيف عديدة، قال عنه الذهبى.. كان من جلالة عظيم، ووقع فى النفوس، ومشاركة فى الفضائل، وكان يتكلم فى الجامع الأزهر فوق كرسى بكلام يروح الناس، وكان يمزج كلام القوم، بآثار السلف وفنون العلم، فكثر أتباعه، وكانت عليه سيما الخير وتقول المصادر أيضاً، أن إبن عطاء الله، كان فقيهاً عالماً، ينكر على الصوفية "أول مرة" ولكن جذبته العناية فصحب شيخ الشيوخ فى عصره الإمام أبى العباس المرسى، وتوفى بمصر ودفن بالقرافة (٣).

---

(١) نفس المصدر - ص١٣ .

(٢) إبن العماد الحنبلى - شذرات الذهب حـ١ ر ص١٠٣.

(٣) نظرنا: إبن العماد الحنبلى - شذرات الذهب، حـ٦ - ص١٩. كذلك الشعرانى الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص١٩ .

وجدير بالذكر، أن إبن عطاء الله، كان كثير التصانيف فى علوم الشريعة والحقيقة نذكر منها كتاب "التنوير فى إسقاط التدير" و "كتاب الحكم" و "كتاب لطائف المنن"، ولعل كتاب الحكم العطائية من أهم الكتب التى أولاها المؤرخون والباحثون بالعناية والبحث ونذكر أن أستاذنا الكبير الدكتور أبو الوفا التفتازانى تناول الحكم بالتحليل والشرح، موضحاً جوانبها ومعانيها الروحية والأخلاقية، فى كتابه عن إبن عطاء الله السكندرى وتصوفه" [١] وقد قام بشرح الحكم العطائية، شيخ الطريقة ومجددها فى عصره "أحمد بن زروق/ ٨٩٩/هـ[٢] كذلك إهتم الشيخ العارف بالله أحمد بن عجيبة الحسنى/ ١٢٢٤/ هـ بدراسة حكم إبن عطاء الله السكندرى، وأشار إلى ذلك خلال كتابه "الفهرست" الذى يتضمن سيرته الذاتية[٣] كذلك ألحق هذه الحكم بكتابه، إيقاظ الهمم فى شرح الحكم كاملة[٤].

٣ - *الإمام أحمد زروق/ ٨٩٩ هـ/:*

من أهم الشخصيات التى كان لها دور كبير، وإصلاحات ظاهرة فى أصول الطريقة الشاذلية فى القرن التاسع الهجرى .

وتعرفه المصادر بإنتسابه للطريقة الشاذلية "وهو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الفاس الشهير :"بزروق" أحد كبار المحدثين والفقهاء بالمغرب، ويعد أحد كبار الصوفية على الطريقة الشاذلية، ممن وصفوا بكونهم أولياء .

---

(١) الأستاذ أبو الوفا التفتازانى - إبن عطاء الله السكندرى وتصوفه. "رسالة ماجستير" ط - الأنجلو المصرية ١٩٦٩م .

(٢) نظرنا: أحمد بن زروق - شرح حكم بن عطاء الله السكندرى - تحقيق الإمام عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، ط ١٩٦٩م .

(٣) إبن عجيبة - الفهرست ص٣٨ تحقيق دكتور عبد الحميد صالح حمدان - ط دار الغد العربى القاهرة ١٩٩٠م .

(٤) إبن عجيبة - فن الحكم العطائية (ضمن كتاب إيقاظ الهمم) ص٤٦٢ .

وترجع أهميته فى التصوف، إلى عنايته بتحديد الصلة بين التصوف والفقه، ومحاولته ضبط مسائل التصوف بقواعد من أصول الفقه، وهذا يتضح فى كتابه المعروف بقواعد التصوف، على وجه يجمع بين الحقيقة والشريعة (١).

وربما يرجع إبن زروق فى هذا إلى عصر الإمام الغزالى، إذ أن الغزالى يرجع إليه الفضل فى محاولة التوفيق بين الظاهر والباطن، أو الشريعة والحقيقة، أو المصالحة بين الفقهاء والصوفية، وهذه محاولة أصيلة من جانب الإمام الغزالى/ ٥٠٥هـ لم نشهدها من قبل (٢) بل حاول أصحاب الطرق المتأخرين تقليدها بشتى الطرق سواء بالتأكيد على إلتزامهم فى تصوفهم بأصول الكتاب والسنة، وتحقيق الصلة بين الشريعة والحقيقة، أو بالإلتزام بعدم تجاوز حدود الشرع والتنبيه على ذلك لمريديهم وأتباعهم .

وقد إهتم الباحثون والمؤرخون للتصوف، بمفاهيم وآراء الشيخ أحمد بن زروق فى التصوف على الطريقة الشاذلية .

فلم يخلو كتاب من كتب المتأخرين فى التصوف دون ذكر أحمد زروق، وآراؤه ومذهبه فى التصوف والفقه أو الشريعة والحقيقة، وهذا مايدل على أهميته كشخصية صوفية لها دررها الفعال فى إصلاح أصول الطريقة الشاذلية وتظهيرها ، بالإضافة إلى مؤلفاته الكثيرة التى توضح حقيقة مذهبه وتصوفه .

وقد كان الشيخ أحمد بن عجيبة الحسنى المتوفى عام/ ١٢٢٤ هـ من أكثر الصوفية المتأخرين تأثراً بطريقة الشيخ أحمد زروق، الشاذلية، إذ ذكره فى أكثر من موضع بكتابه "الفهرست" (٣) فقد ذكر أنه قلد طريقة أحمد بن زروق فى سبيل وصوله إلى المقصد الحق على طريقة الشاذلية فى التصوف، كذلك إهتم أحمد بن عجيبة بمؤلفات أحمد زروق الصوفية وبصفة

---

(١) الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى - أحمد زروق بحث منشور ضمن كتاب أعلام الفكر الإنسانى) ص٤٤٩ .

(٢) أوضحنا ذلك بالتفصيل فى الباب الأول "الفصل الأول من هذا البحث" - كذلك راجع كتاب إحياء علوم الدين - ط الشعب بدون تاريخ ودار أخبار الكتب العربية بدون تاريخ .

(٣) نظرنا أحمد بن عجيبة كتاب الفهرست، ص١٥، ص٣٢، ص٤١ .

خاصة كتابه "عن قواعد التصوف وأصوله" والنصيحة الكافية وتثبيته ذوى الهمم، أو غير ذلك[(١)].

كذلك إستشهد إبن عجيبة بآراء ومفاهيم أحمد زروق الصوفية فى كتابه "إيقاظ الهمم فى شرح الحكم[(٢)] كذلك إستفاد بكثير من شروح وتعليقات أحمد بن زروق فى شرحه "للمباحث الأصلية" والتى أشار عليه بشرحها شيخه الشيخ محمد بن أحمد البوزيدى الحسنى[(٣)] إذ أشار إبن عجيبة إلى ذلك فى مواضعه[(٤)].

أما عن آثار الشيخ أحمد زروق، فى التصوف على الطريقة الشاذلية، فهى كثيرة نذكر منها:

كتاب "قواعد التصوف" وهو كتاب هام كما أشرنا يحاول من خلاله التوفيق بين أصول التصوف وأصول الفقه، متأثراً بحكم إبن عطاء الله السكندرى/ ٧٠٩/ هـ كذلك له شروح كثيرة على الحكم العطائية، وكتاب "تنبيه ذوى الهمم" وله شروح على قصائد الإمام الصوفى أبو الحسن الششترى/ ٦٦٩/ هـ[(٥)] يضاف إلى ذلك "كتاب النصيحة" ذكره إبن عجيبة فى الفهرست[(٦)].

وقد عثرنا على مجموعة من الأوراد، منسوبة لأحمد زروق وهى "الوظيفة" المسماه بسفينة النجا لمن إلى الله نجا" وهى مكونة من مجموعة أدعية وصلوات، وآيات قرآنية كريمة مشبعة بالمعانى والإشراقات الصوفية الشاذلية[(٧)].

---

(١) المصدر السابق - ص٤١ .

(٢) أحمد بن عجيبة - إيقاظ الهمم فى شرح الحكم - ص٣٥ ص٥٨ .. إلخ .

(٣) الشيخ محمد إبن أحمد البوزيدى الحسنى - من صوفية القرن الثانى عشر والثالث عشر الهجرين، وهو شيخ إبن عجيبة، راجع - الفهرست - ص٧٠ "على الطريقة الشاذلية" .

(٤) نظرنا - إبن عجيبة - شرح المباحث الأصلية - ص٤ .

(٥) الأستاذ أبو الوفا التفتازانى - أحمد زروق - ص٤٥١ .

(٦) إبن عجيبة الحسنى - الفهرست - ص٤١ .

(٧) هذه الوظيفة المسماه بسفينة النجا لمن إلى الله نجا لأحمد زروق "منشورة بكتاب مجموعة وظائف وأحزاب وأوراد لمشايخ الصوفية بقلم عبد الخالق حقى، ط المطبعة الشرقية بشارع الخرنفشى بمصر. ١٣١٣ هـ .

أما عن مذهب أحمد زروق وطريقته، فإنه مفكر نفاد يميز بين الإتجاهات الصوفية المختلفة، وفرق بين التصوف الفلسفى، عند إبن عربى/ ٦٣٨هـ/ ومدرسته وبين التصوف السنى الخالص، ورأى التوقف عن الحكم على هؤلاء المتصوفة، وقال إن تصوف المحاسبى ت عام/ ٢٤٣ هـ/ يناسب العامة، أما تصوف الغزالى ٥٠٥/ والقشيرى/ ٤٦٥ هـ/ فهو تصوف النساك ورأى أن تصوف إبن عربى تصوف الحكيم أو الفيلسوف وأما تصوف عبد الحق بن سبعين/ ٦٦٧ هـ/ فهو تصوف المنطقى، وفيما يتعلق بتصوف الشاذلى "الإمام أبو الحسن"/ ٦٥٦/ هـ فهو تصوف الأصولى .

ويرى الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى، أن تصوف أحمد زروق، تربوياً عملياً، مماثلاً لإتجاه كل من الإمام الغزالى، والإمام الشاذلى من بعده، وقد كان من دعاة الإصلاح فى التصوف ببلاد المغرب فى القرن التاسع الهجرى، ذلك العصر الذى كثر فيه أدعياء التصوف والذين إتخذوا علوم الرقائق والحقائق وسيلة لجذب قلوب العامة، وأخذ أموال الظلمة وإحتقار المساكين مماقد يؤدى إلى الخروج عن الإسلام .

كذلك رأى أحمد زروق ضرورة نبذ التقليد فى الفقه والتصوف، ولابد من الإجتهاد، وهو بذلك يدعو إلى إستخراج الأحكام من أدلتها دون مبالاة بقائلها" (١).

وجدير بالذكر أن لأحمد زروق كلام علي طريقة القوم، فى معنى الولى، والولاية والصديقة والمحبه، والعلم، والعلوم والعارف ذكرها ابن عجيبه فى شرح "المباحث الأصليه" وكذلك فى "ايقاظ الهمم" يقول ابن زروق فى:-

(الصديقية العظمى، والولية الكبرى)، الحظوظ والحقوق كلها سواد عند ذوى البصائر، لأنه بالله فيما يأخذ أو فيما يترك. إذ تصرفات المعارف كلها بالله، وتصرفاتغيره كلها بالنفس، والعمل بالله يوجب القربة، والعمل لله يوجب المثوبة، والعمل بالله صاحبه داخل الحجاب فى مشاهدة الأحباب، والعمل لله يوجب الثواب من وراء الباب والعمل بالله من أهل التحقيق والعمل لله من أهل التشريع والعمل لله من أهل قوله تعالى "إياك نعبد"، والعمل بالله من أهل قوله تعالى "وإياك نستعين" سورة فاتحة الكتاب آية (٤ ، ٥).

---

(١) الدكتور أبو الوفا التفتازانى - أحمد زروق - ص٤٥ .

وفى قول آخر يقول أحمد زروق "حقيقة التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة".

ويقول "المقام يعبر عنه المستشرق عليه والواصل اليه وقد يعبر عن ذلك من وصل وذاق.." (١).

وكما ذكرنا، أن لأحمد زروق مجموعة أوراد وأدعية على نمط الطريقة الشاذلية، ففى الوظيفة "المساه بسفينة النجا" يبدأ بالأيات القرآنية بقوله تعالى "بسم الله الرحمن الرحيم" وإلهكم إله واحد لاإله إلاهو الرحمن الرحيم. الله لاإله إلا هو الحي القيوم. الم. الله لاإله إلا هو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم ... وهكذا يقرأ كل أية من هذه الآيات ثلاثا. ثم يبدأ فى الجزء التالى بالدعوات: بقوله اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفر لما لاأعلم (ثلاثا) اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الفجر والكسل وأعوذ بك من البخل والجبن وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال...ثلاثا ... وهكذا.

ثم يعقب ذلك مجموعة من الصلوات على النبى ﷺ بقوله" اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى آله وصحبه وسلم، (ثلاثا)... وهكذا ثم يعقب ذلك مجموعة من توسلات بهذه الأدعية والصلوت، يقوله: "ثبتنا يارب يقولها (ثلاثا)، وأنفعنا يارب بفضلها (ثلاثا)، وأجعلنا من خيار أهلها (ثلاثا) آمين، آمين، آمين، آمين يارب العالمين ثلاثا... وهكذا (٢).

ثم يختم هذه الأوراد والصلوات والأدعية بقوله:-

ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فنعم المولى ونعم النصير (مرة) سبحان ربك.

ومما سبق يتضح مدى اتساق منهج أحمد زروق وطريقته وفى هذا دليل على استقامته وحسن طريقته .

---

(١) لمزيد من التفاصيل - ابن عجيبة - ايقاظ الهمم فى شرح الحكم - ص٥٨، ص٥٩، ص٣٥، ص٣١.

(٢) أحمد زروق - الوظيفة المسماه بسفينة النجا لمن إلى الله نجا - (ضمن مجموعة الأوراد..)ص٢، ص٣، ص٤، ص٥، ص٦

(٤) عبد السلام الأسمر الفيتورى /٩٧٣هـ / .

ظهر إمام آخر من أئمة التصوف الشاذلى، فى أواسط القرن العاشر الهجرى، استطاع أن يحمل لواء الطريقة الشاذلية ويربى المريدين، على الطاعة والتقوى والعمل الصالح والتمسك بأصول الكتاب والسنة، والجمع بين الشريعة وعلوم الطريقة، وهو الشيخ "عبد السلام الأسمر الفيتورى" المتوفى بعد عام/٩٧٣هـ/.

يقول عنه تلميذه ومريده خديم الفقراء "محمد بن عطيه ابن ابراهيم"(١) "هو الفقيه الإمام العالم، المربى الكامل.. سيدى عبد السلام بن سليم بن محمد بن سالم بن محمد بن حميد بن عمران بن محيا بن سليمان بن سالم بن خليفة بن نبيل السعيدى المغربى المخزومى القريشى المشهور بالأسمر الفيتورى، البوراوى(٢) منهجا وشرعة، المالكى مذهبا، الأشعرى اعتقادا، العروس طريقة(٣) وهو صاحب كتاب الوصية الكبرى". التى تتضمن مذهبه وطريقته الصوفية وأصولها، مع مجموعة من الأحزاب والأوراد، وأحاديث عن الأمور الغيبية(٤) .

كذلك وضع صاحب هذه الوصية، مجموعة من التراجم لسلسة مشايخ الطريقة "العروسية" ونسبها وهو يوضح إنتسابها إلى الطريقة الشاذلية(٥).

لقد أوضح الشيخ عبد السلام الأسمر أصول طريقته، إذ يبين أنه على مذهب الإمام مالك فى الفقه، وعلى مذهب الأشعرى فى علم أصول الدين، ثم أخذ عن كبار مشايخ الطريقة الصوفية الشاذلية فى عصره وهم :

---

(١) هو أحد شيوخ الطريقة الشاذلية ومريدى الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتورى- قام بكتابة الوصية الكبرى التى أملاها عليه شيخه عبد السلام الأسمر، حيث فرغ من املائها فى أواسط شهر رمضان عام ٩٧٢هـ ولذلك فهو من رجال الشاذلية فى القرن العاشر .

(٢) البوراوى - من كبار مشايخ الطريقة، تتلمذ عليه الشيخ عبد السلام الأسمر فى نفس عصره .

(٣) العروسى : صاحب الطريقة العروسية الشاذليه المشهورة ببلاد المغرب العربى فى القرن التاسع والعاشر .

(٤) الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتورى - الوصية الكبرى ط مكتبة النجاح- طرابلس- ليبيا ١٩٧٦ .

(٥) لمزيد من التفاصيل - راجع نفس المصدر السابق - ص٦٣ ص٦٤ وما بعدها .

الشيخ عبد الواحد الدكالى المغربى القرشى، ثم عن الشيخ فتح الله بن الرابط سعيد الملقب بأبى راسى القيروانى، والذى إنتقل إلى بلاد السودان ومات فيها، ثم عن الشيخ الإمام أحمد أبو العباس أبو تليس القيروانى، ثم عن الشيخ أبى راوى بن على عرف بالفحل القلعى المدفون بمدينة سوسة ثم عن الشيخ العالم أبى العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر العروسى الهروى التميمى التونسى.. وهكذا حتى يصل إلى مشايخ الطريقة الشاذلية، وأبو العباس المرسى(١).

والواضح أن هؤلاء المشايخ، فى سلسلة الطريقة العروسية الشاذلية قد نشأوا فى غضون القرنين التاسع والعاشر الهجريين .

مما يدل على ذلك صاحب الوصية الكبرى. حيث ذكر لقاءات، ومنها مذكرات لعلوم القوم بين الشيخ عبد الواحد الدكالى، والشيخ أحمد زروق المتوفى عام/ ٨٩٩ هـ/ فيقول "وان أستاذى وشيخى وقدوتى عبد الواحد الدكالى يحب الشيخ زروق، وكان مراعياً له ويتذاكر معه فى العلوم ومن أجل أحبابه" (٢).

وأعتقد أن الشيخ عبد السلام الأسمر عاصر شيخ الطريقة الشاذلية أحمد زروق، إذ ذكر فى الوصية "ولم أعرف بمدينة طرابلس وسواحلها وقراها شيخاً شاذلياً إلا زروق وتلامذته، يضاف إلى ذلك أن الشيخ عبد السلام الأسمر أخذ قيادة الطريق، ومشيختها بعد وفاة أستاذه عبد الواحد الدكالى، وهذا مايشير إليه فى رواية عن أستاذه الدكالى فقال "قال أستاذنا الدكالى رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وسألته عن الطريقة العروسية، فقال أنا أولها فى الورد وأنت آخرها ومن بعدك يوم القيامة، إلى أن قال ياعبد الواحد إرفق بفقيرك عبد السلام فلما أفقت من نومى قصصت هذه الرؤيا على أخى زروق فقال لى مثل ذلك قد وقع لى المرة بعد المرة(٣). ومن خلال ذلك نستطيع أن نقول، أن الشيخ عبد السلام الأسمر يعتبر قطب الطريقة فى القرن العاشر، ببلاد المغرب العربى، إذ ذكر عن نفسه أوصاف القطبانية والغوثية فقال: أنا القطب الغوث للسلطان، ولى مشهور ظاهر، أنا أولانى الفرد الرحمن عن كل بارى

---

(١) عبد السلام الأسمر - الوصية الكبرى - ص٦٢، ص٦٣، ص٦٤ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق - ص٧١ .

(٣) المصدر السابق - ص٦٨ .

وحاضر [١] وقال فى موضع آخر "إعلم هداك الله أنه من حضر قرنى هذا الذى أنا فيه وهو العاشر ورآنى ورأى من رآنى لم تمسسه النار" [٢].

يتناول شيخ الطريقة عبد السلام الأسمر فى القرن العاشر، شرح وتوضيح أصول الطريقة "العروسية الشاذلية" وآدابها فى "الوصية الكبرى" فيذكر فى أول هذه الوصية "ضرورة معرفة الله وفرائض الدين، وذلك بالتوحيد وحفظ العلوم وإتباع القرآن الكريم والسنة، وعقائد الإيمان فإن من لم يعرف العقائد فليس بعارف.. ثم يتكلم عن مقامات الطريق وهى التوبة وشروطها، باجتناب جميع المعاصى والجرائم .. وعدم النظر إلى النساء بغض النظر عنهن .. إلخ .

ثم حضور القلب مع النية السليمة.. ثم محبة النبى صلى الله عليه وآله، وكثرة الصلاة عليه، وتقدير الله تعالى حق قدره، وكثرة محاسبة النفس ومعرفة عيوبها والبكاء عليها، ثم يتكلم عن آداب العشرة، ومنها عدم مجالسة أهل الأفكار وأهل الجهالة ويوصى بالمحبة، والتواضع، ويوصى بمحبة أهل الفقه وتعظيم حملة الشريعة، ثم ينكر على الناس محبة الدنيا، لأن محبة الدنيا رأس كل خطيئة، فالدنيا دنية جيفة كالكلاب، والدنيا متاع للكلاب، والذئاب عمارها، وأسواقها بلاء، وأتباعها شقاء، وليست بدار بقاء.. إلخ ثم يتكلم عن محاسبة الأخلاق وفيها العقو والإحسان، ويوصى إخوانه ومريديه، بالعفو وعدم تحقير الآخرين، وعدم التحاسد، ويوصى على الأخوة، وعدم الإستكبار... إلخ، ثم يوصى بتعليم الأولاد والزوجات، ومعاملة الجيران بالإحسان إليهم، وقضاء حوائجهم، وبر الوالدين وعدم التجسس أو الدخول إلى البيوت قبل إستئذان أصحابها والتسليم عليهم، وينهى عن إقتراف الزنا أر شرب الخمر. لأن فيهما إثم كبير، وفساد وفسق ... إلخ .

وهكذا نجد أن وصاياه كلها آداب وتربية وسلوك [٣] وللشيخ عبد السلام الأسمر عدة أحزاب، منها: الحزب الأول: "الحزب الكبير" يقول فى أوله "الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم إن الذين كفروا بربهم يعدلون" سورة الأنعام آية (١) ياجبار يامتكبر، ياقهار، يامصور.. إلخ ثم يختتم الحزب بمجموعة من الأدعية والصلوات على النبى ﷺ [٤].

---

(١) عبد السلام الأسمر – البحر الأول (أبيات ٣٠) ملحق بكتاب الوصية الكبرى ص١٣١ .

(٢) عبد السلام – الوصية الكبرى – ص١٠٩ .

(٣) المصدر السابق – أماكن متفرقة .

(٤) راجع الحزب الكبير – ملحق بالوصية الكبرى – ص٨٨ ص٣٢ .

الحزب الثانى "حزب الطمس" : يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم خمساً، ياقدوس خمساً، ياودود خمساً، ياشكور خمساً[١].

الحرب الثالث "حزب الخوف" يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم ياالله خمساً، ياحفيظ، ياعلى، ياعليم، ياقوى، ياحليم، يارب الأرباب، يامسبباً الأسباب إلخ[٢].

الحزب الرابع "حزب الفلاح" يقول فيه "بسم الله الرحمن الرحيم" اللهم إنى أعوذ بك من الشيطان الرجيم، ياالله، ياالله، يارب الأرباب، يامن خلق آدم من التراب، اللهم إصرف عنا بلاءك، وتب علينا .... إلخ[٣].

٥ - عبد الرؤف المناوى/ ١٠٣١ هـ/ :

هو من الشخصيات التى لها أثرها فى تجديد وإصلاح الطريق الصوفى فى القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين وهو الشيخ "عبد الرؤف المناوى ولد عام ٩٥٢ هـ/ وتوفى عام ١٠٣١ هـ/ جاء فى تاريخ خلاصة الأثر "عبد الرؤف بن تاج بن على زين العابدين الملقب زين الدين الحدادى المناوى القاهرى الشافعى"[٤].

أخذ عن علماء عصره شتى العلوم والمعارف فى الفقه والأصول واللغة العربية والتفسير والحديث والتصوف وأخذ التصوف عن بعض مشايخه منهم قطب زمانه وإمام عصره عبد الوهاب الشعرانى/ ٩٧٣ هـ/ وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ محمد المناخلى وطريقته الشاذلية عن الشيخ منصور الغيطى وطريق النقشبندية عن السيد الحسيب النسيب محمود الطاشكندى .

كان كثير التآليف والتصانيف. فى شتى العلوم والمعارف[٥] وهو صاحب كتاب "الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية" إذ بدأها بمقدمة فى التصوف رداً على آراء المعتزلة،

---

(١) راجع حزب الطمس ملحق بالوصية الكبرى ص٩٢ - ص٩٥ .

(٢) راجع حزب الخوف ملحق بالوصية الكبرى ص٩٥ .

(٣) المصدر السابق - حزب الفلاح - ص٩٦ - ص٩٧ .

(٤) محمد المحبى - تاريخ خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، حـ٢ - ص٤١٣ - ط المطبعة الوهيبية بمصر ١٣٠٠ هـ .

(٥) نظرنا عبد الرؤف المناوى - الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية (المقدمة) ص٣ - ص٦ .

وتكلم على كرامات الأولياء ثم إتبع ذلك بذكر أبواب عن سيرة الرسول ﷺ وكبار الصحابة والصوفية .. وهكذا (١).

ويبدو من سيرة المناوى،أنه كان يجمع بين العلم والعمل، أو بين الشريعة والحقيقة، فقد أكمل دائرته العلمية وهذبها بإخلاصه وتقواه، وهذا هو الطريق الصحيح، لذلك صدرت عنه مؤلفات وشروح كثيرة، بل كان بالإضافة إلى ذلك محدثاً كبيراً، ومحيطاً بعلم الحديث - حفظاً وجرحاً وتعديلاً لذلك وضع كتاباً فى علم الحديث يعتبر مرجعاً للمحدثين (٢).

والمناوى بذلك صار على طريقة إمامه أبى الحسن الشاذلى فى ضرورة الجمع بين العلم والعمل، أى أن المريد للطريق لايدخله وهو جاهل، بل لابد أن يتحض بعلوم الشرع .

(٦) أحمد بن عجيبة الحسنى/ ١٢٢٤/ هـ :

ظهرت شخصية صوفية من أتباع الطريقة "الدرقاوية" الشاذلية فى أواسط القرن الثانى وبداية القرن الثالث عشر الهجرى، وهو الإمام الشيخ أحمد بن عجيبة الحسنى ولد عام/ ١٦٦٠ هـ/ إذ ترك آثاراً واضحة وتراثاً صوفياً كبيراً. يتضح لنا ذلك من خلال كتابه "الفهرست" (٣).

فقد تلقى علوم الدين وحفظ القرآن الكريم، وتوجه إلى "فاس" بالمغرب العربى طلباً للعلوم والدراسة، ثم عاد إلى بلدته "نطوان" حيث قام بتدريس علوم الشريعة وإنجذب إلى سلوك طريق القوم، بعد أن قرأ حكم إبن عطاء الله السكندرى، فقرر أن يكرس نفسه وحياته لخدمة الطريقة والحقيقة، تتلمذ على الشيخ محمد البوزيدى - أشهر تلامذة الإمام الدرقاوى (٤) مؤسس الطريقة الدرقاوية (٥).

---

(١) المصدر السابق - ص٦ .

(٢) عبد الرؤف المناوى - الإتحاف السنية بالأحاديث القدسية - تحقيق الشيخ محمد المنير الدمشقى - ط حديثه بدون تاريخ .

(٣) إبن عجيبة - الفهرست - تحقيق وتقديم الدكتور عبد الحميد صالح حمدان - ط دار الغد العربى ١٩٩٠م .

(٤) الإمام الدرقاوى - ذكره إبن عجيبة بالفهرست - ص١٥، وهو الشيخ العربى الدرقاوى المتوفى عام ١٢٣٩هـ .

(٥) الطريقة الدرقاوية. فرع من الطريقة الجازولية التى أسسها الشغ الغزولى "الجازولى" المتوفى عام /٨٧٠هـ/ . وهذه وتلك من فروع الطريقة الشاذلية فى العصور المتأخرة .

ويتحدث ابن عجيبه عن سيرته الروحية الباطنية، فى طريق القوم ومكانته وصلته بشيوخه فيقول: "لما قدمت على مولاى العربى (الدرقاوى) وسيدى محمد اليوزيدى فرحاً فرحاً شديدا، ونظراً الىَّ نظرة تغنى، فلقيت أولا سيدى محمد رضى الله عنه، فقال لى بمجرد لقيته: جعلك الله الجنيد (شيخ الطائفة ببغداد/٢٩٧/هـ) يتبعك أربع عشرة مرقعة أو قال لى :تكون كالجنيد، لاأدرى أيهما قال، ثم ذهب بى إلى مولاى العربى، فلما زرته قال لى "جعلك الله كالجيلانى /٥٦١/ هـ فقال لى سيدى محمد، أنا قلت له كالجنيد، فقال، يجمع بينهما إن شاء الله، فوجدت لدعائهما بركة عظيمة، فبقيت ثلاثة أيام نتذاكر فى العلوم والأسرار فى التوحيد، فأعطانى ابن البنا النجيبى نطالعه[١] وشرح الرائية ننسخه[٢] فلما أرادت الإنصراف قلت للشيخ مولاى العربى، أنا من أصحابك فقال لى مرحبا بك، وعندما عدت الى بلدتى "نطوان" شعرت بقوه عظيمة تسرى فى نفسى، وكاتبنى شيخى محمد اليوزيدى يحضنى على الصحبة والوصول فكان مما كتبه الى "ان أردت مفاتيح العلوم ومخازن الفهوم فعليك بالقدوم"[٣] وفى موضع آخر - يتحدث عن "سياحته" وفائدتها وأهميتها لسالك الطريق الى الله تعالى .

فيقول "ولابد للفقير من السياحة فى بداية أمره، لأن السفر يسفر عن العيوب ويطهر النفوس والقلوب ويوسع الأخلاق، وبه تتسع معرفة الملك الخلاق، كما أن المسافر يشاهد كل يوم تجليا جديداً، ويلقى وجوها لايعرفها ولايأنس بها فتتركز معرفته بذلك وتتسع معناه، وقالوا: الفقير كالماء إذا طال مكثه فى موضع واحد تغير وأنتن، قال شيخ شيوخنا سيدى على الجمل رضى الله عنه المتوفى عام /١١٩٤ هـ/.

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف النجيبى الشهير بابن البنا، المتوفى عام /٨٤١ هـ/ صاحب كتاب "المباحث الأصلية" قام ابن عجيبة بشرحه وسماه الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية" ط القاهرة ١٩٣٦م .

(٢) الرائية : للشيخ يوسف الفاس المتوفى عام ١٠٢١ هـ ، على رائية الشيخ الشرشى المتوفى عام ٦٤١ هـ .

(٣) أحمد ابن عجيبة الحسنى - الفهرست - ص٤٥ .

وأقل السياحة أربع عشرة سنه،[١] والظاهر أن ثمانية التمكين من شهود الحق، وهو متفاوت على قدر الإجتهاد، ولما فتح الله علينا فى علم الحقيقة أذن لى الشيخ فى الخروج الى تذكير عباد الله، وتلقين الأوراد.[٢]

ومن الجدير بالذكر. أن ابن عجيبة، يؤكد على أن طريقة الصوفى نابع من طريقتين كبيرتين : الطريقة الشاذلية، ثم الطريقة الجيلانية، مما يؤكد على أن طوائف الشاذلية ببلاد المغرب العربى أخذوا من كلا الطريقتين، وهما من الطرق الصوفية التى شهد لها الباحثون بالإعتدال. بل إن طوائف الشاذلية فى العصور المتأخرة، وفي العصر الحديث، على هذا الجمع بين الطريقتين .

يقول ابن عجيبة فى ذلك "أخذنا طريقنا عن الشيخ العارف الواصل محمد بن أحمد البوزيدى[٣] عن شيخه الكامل القطب الواصل سيدى العربى بن أحمد الدرقاوى الحسنى/ ١٢٣٩هـ / عن شيخه العارف بحر العرفان ومعدن الشهود والعيان سيدى علي بن عبد الرحمن العمرانى الحسنى المكنى بالجمل /١١٩٤هـ/ ثم أخذ الشيخ على الجمل عن الجيلانيه والشاذليه معا عن طريق السيد أحمد بن عبد الله، اذ التقى فيه البحران بحر الشاذلى، وبحر الجيلانى، فأخذ الجيلانية عن الشيخ أحمد اليمنى، وأخذ الشاذليه عن السيد أحمد بن عبد الله.. والشيخ أحمد بن عبد الله أخذها عن مشايخ الشاذليه حتى الشيخ أحمد زروق، وأحمد بن زروق عن شيوخه حتى القطب الكبير شيخ الطريقة الشاذلية أبو الحسن الشاذلى[٤].

ويبدو أن الشيخ أحمد بن عجيبة أخذ خلافه الطريقة عن شيخه بعد وفاته،وأصبح هو قطب الشاذلية ببلاد المغرب العربى حيث يذكر "ومن ذلك شهادة الشيخ لى بالخلافة فى حياته وبعد مماته، وذلك أتى لما شرحت قصيدته الرائيه[٥] وأرسلت له الشرح فرح به فرحا شديدا

---

(١) ابن عجيبة - الفهرست ص٤٥.

(٢) المصدر السابق - ص٤٨ ، ص٤٩.

(٣) من أعلام وشيوخ الطريقة الصوفية الشاذلية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجرى .

(٤) نظرنا ابن عجيبة - الفهرست - ص٦٢.

(٥) قصيدة فى التصوف كتبها الشيخ البوزيدى وهى تتكون من ٢٩بيتا، شرحها ابن عجيبه وعرضها على شيخه، كما ذكر.الفهرست - ص٦٢ - ص٧٠.

وأخبرنى بعض الحاضرين معه، أنه قال لو سألنا الله تعالى يوم القيامة عن سيدى أحمد لقلنا له أنه يحبنا، ثم قال لمن حضر: سيدى أحمد (يعنى ابن عجيبة) هو خليفتى حيا وميتا) [١] .

أما آثار الشيخ أحمد بن عجيبة الحسينى الشاذلى. وتراثه الصوفى والعلمى ومكانته بين شيوخ عصره، فقد أتضح أنه ترك تراثا ضخما من المصنفات والشروح والتعليقات فى علوم الظاهر "الشريعة" وعلوم الباطن "التصوف"، وقد أشار ابن عجيبة الى ذلك فى كتابه الفهرست[٢] كذلك وجد له الكثير من المؤلفات والشروح مابين مخطوط ومطبوع فى العصر الحديث، نذكر من ذلك، كتاب فى التفسير فى أربع مجلدات كبيرة جمع فيها بين عبارة أهل الظاهر وأشارة أهل الباطن سما وهو كتاب "البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد" [٣] ثم شرح الأجروميه حيث جمع فيه بين النحو والتصوف عبارة وإشارة كصناعة التفسير[٤] ثم حاشية على الجامع الصغير للإمام جلال الدين السيوطى/ ٩١١ هـ/ ثم قصائد وتوشيحات فى فن الخمريه الأزلية فى ديوان مستقل بعضها فى تفسير الملك والملكوت، وبعضها فى شأن النفس والعقل والقلب والروح والسر[٥].

ثم وضع شرحا على خمرية ابن الفارض/ ٦٣٢هـ/ التى قال فى أولها "شربنا على ذكر الحبيب مدامه "ثم وضع شرحا آخر على قصيدة الأمام أحمد الرفاعى الكبير / ٥٧٨ هـ/ وبعض

---

(١) أحمد بن عجيبة - الفهرست - ص٧٠ .

(٢) المصدر السابق - ص٣٨ - ص٤٠

(٣) هذا التفسير لم يظهر منه فى مصر غير الجزء الأول، والجزء الثانى فقط.

(٤) ظهر هذا الشرح علي متن الأجروميه فى مصر، وطبع تحت عنوان "هذا تجريد شرح الشيخ الكامل الأجل الواصل المربى والمقال الراسخ القدم فى مقامات السادات الرجال الشريف أبى العباس سيدى أحمد بن عجيبة للعالم العلامه عبد القادر ابن أحمد الكوهنى على متن الأجروميه لعبد الله محمد بن داوود الضهاجى- بالمطبعة المحمودية بمصر عام ١٣١٩ هـ.
وهذا الكتاب أو الشرح بحاجة الى دراسات دقيقة حيث أنه فن جديد من فنون التصوف مزج فيه بين النحو والتصوف عبارة وإشارة.

(٥) ذكر ابن عجيبة مجموعات كثيرة من النظم الشعرى الصوفى فى الفهرست - نظرنا - ص١٠٢، حتى ص١٢٤. وهذه المنظومات تشهد له بذوق عال، وحال رفيع فى طريق القوم.

مقطوعات للإمام الصوفى الششترى ت عام /٦٦٨هـ/ وشرح قصيدة الرائية فى طريق السلوك لشيخه محمد اليوزيدى الحسينى الشاذلى[١] .

ولعل أهم ما وصل الينا وما هو بين أيدينا الآن كتابه العظيم : الفتوحات الإلهيــة فى شرح المباحث الأصلية، وهو شرح وتعليق لما ورد فى كتاب المباحث الأصليه للإمام أحمد بن محمد بن يوسف النجيبى الشهير بالبنا المتوفى عام /٨٤١ هـ/ حيث صار فيه على طريقة الشاذلية مستشهدا بمعانى وألفاظ مشايخها [٢] ثم كتاب "إيقاظ الهمم فى شرح الحكم" وصلاة القطب عبد السلام ابن مشيش، وشرح الحزب الكبير للإمام أبى الحسن الشاذلى .. وهكذا[٣] .

ومما يدل على مكانة الشيخ أحمد بن عجيبة العلمية وبراعته فى علوم الظاهر والباطن، شهادة علماء ومشايخ عصره بذلك، فقد أخذ عن أكثر من شيخ من هؤلاء أجازات، ذكرها "بالفهرست" منها اجازة شيخه وشيخ الجماعة بالمغرب التاودى ابن سوده حيث أجازة فى علوم وشروح التصانيف فى عصره، كذلك اجازة فى علوم وشروح التصانيف في عصره، كذلك اجازة الشيخ محمد بنيس القاسى فى الفقه والفرائض.. وذلك فى عام /١٢٠٣هـ/ وأجازة أخرى من الفقيه الشيخ محمد الورزازى فى عام /١٢١٤ هـ/ أجازه فيها هو جائزة عنه من مقروء ومسموع ومجاز ومفرق والتثبت والتنقيب عن أحوال الرجال.. الخ [٤].

أما عن طريقته، ومذاهبه فى التصوف، فإنه يجمع بين الظاهر والباطن، العلم والعمل، الشريعة والحقيقة، وهو بذلك يأخذ من بحرين، بحر الجيلانى، وبحر الشاذلى، وكما ذكرنا، فقد أخذ علومه فى الحقيقة، ومارس تجربته الروحية على شيوخ الشاذليه فى عصره، وهذا هو منهجه فى تجربته: يقول ابن عجيبة: "أعلم أن ثمرة العلم والعمل، وثمرة العمل الحال، وثمرة

---

(١) نظرنا ابن عجيبة – الفهرست – ص٣٩.

(٢) نظرنا ابن عجيبة – الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية – ط القاهرة عام ١٣٨١ هـ

(٣) ابن عجيبة – إيقاظ الهمم فى شرح الحكم " حكم ابن عطاء الله السكندرى" ط القاهرة ١٣٨١ هـ

(٤) ابن عجيبة – الفهرست – ص ٣٥ ص ٣٨.

الحال الذوق، وثمرة الذوق الشرب [١] وبعد الشرب السكر [٢] وبعد السكر الصحو[٣] وبعد الصحو تمام الوصال[٤] وهو التمكين والرسوخ فى المشهود. فعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية، وعمل بلاحال سير بلانهاية، وحال بلاشرب حرمان، وشارب بلا سكر عطشان وسكر بلا صحو نقصان، وصحو بلا وصول سكره مدخول. وهذه الأحوال لايفهمها إلا أهل الذواق بصحبة أهل الأذواق [٥] ويبين إبن عجيبة أنه لم يدخل الطريق قبل أن يكمل نفسه من علوم الشريعة "ولما حصلنا بفضل الله ماقسم لنا من العلم الظاهر انتقلنا الى التهيؤ للعلم الباطن، وهو العمل بالشريعة الظاهرة، اذ لاينتقل العمل للبواطن حتى تستقيم الظواهر، اذ الشريعة باب، والحقيقة باب "ثم يذكر أثر الحكم العطائيه فى تهيئ استعداده الباطنى للدخول فى الطريقة الصوفية[٦] وفى تعريفه يعلم الباطن يقول "أعلم أن علم الباطن مداره على تصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، فإذا تطهرت من الرذائل وتجلت بالفضائل أشرقت عليها الأنوار ولاحت لها الأسرار، فتكاشفت بالحقائق العرفانية والأسرار الربانية فيعثر صاحبه على معرفة العيان وينال مرتبة مقام الأحسان، فهذا محل علم الباطن[٧].

هذا، ولإبن عجيبة أقوال وشروح كثيرة تختص بالكشف عن أصول الطريقة، ورموز القوم ومذاهبهم وعلومهم[٨].

---

(١) الشرب: والشراب : هو النور الساطع عن جمال المحبوب، فمن كشف له عن ذلك الجمال فهو الذائق المشتاق ومن دام له ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا.

(٢) السكر: هو من توالي عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلاء من أنوار الله المخزونة فيرتوى ربما تاب عن المحسوس والمعقول فلارى مايقول ولا مايقول فذلك هو السكر .

(٣) الصحو: بعد السكر ، يرده الى الذكر والطاعات .

(٤) الوصال: التحقق بصفات الشرب من الله تعالى

(٥) ابن عجيبة - الفهرست ص٤٠.

(٦) نفس المصدر - ص٤٠.

(٧) نفس المصدر ص ٤٤ ، ص٤٥.

(٨) لمزيد من الدراسة: إنظر: إبن عجيبة: إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، وبهامشه كتابه الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية - ط القاهرة/ ١٣٨١ هـ/ .

وبما سبق يتضح أن تيار التصوف الشاذلى ظل قائماً متدفقاً جيلاً بعد جيل منذ القرنين السابع والثامن الهجريين حتى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجريين، وقد توالت شخصيات وطوائف متعددة ببلاد المشرق والمغرب الغربى، كان لها أثر كبير فى تأصيل الطريقة وتدعيمها وتطويرها .

وفى العصر الحديث، ظهرت بعض الشخصيات التى دخلت فى الطريقة الصوفية الشاذلية، حيث دعمت أصولها وسارت على منوالها كما عرفت عند الأوائل ويحق لنا أن نشير إلى هؤلاء المشايخ فى هذا العصر أو من كان لهم أثر واضح فى الطريقة .

(٧) محمد القاوقجى الحسنى :

ففى غضون القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ظهرت شخصيتان كبيرتان فى الطريقة الشاذلية بمصر .

وهما :

"السيد محمد القاوقجى الحسنى البشيشى الشاذلى، صاحب الطريقة القاوقجية الشاذلية، والسيد حسنين الحصافى الشاذلى، المتوفى عام ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٠م/ صاحب الطريقة الحصافية الشاذلية، والتى لها فرع بالبحيرة بوسط الدلتا بجمهورية مصر العربية .

وفيما يتعلق بالشخصية الأولى: السيد محمد القاوقجى الحسنى الشاذلى، فقد ظهر فى القرن الثالث عشر الهجرى، وأخذ علومه الصوفية على مشايخ الطريقة فى عصره، والعصور السابقة عليه، ويتضح لنا من خلال "منظومته التى ذكر فيها سند طريقته، والتى تمتد حتى إمام الطريقة أبى الحسن الشاذلى - نذكر من ذلك قوله:

وصل وسلم سيدى كل لمحة	على المصطفى من منه فاض نورنا
كذا الأنبياء والآل والصحب كلهم	إليك بهم أدعو تقبل دعائنا
وبالأولياء الواصلين وسرهم	وبالشاذلى قطب الوجود إمامنا
وبالعارف المرسى ثم بصحبه	وبابن الوفا ثم الجزولى وشمسنا
كذلك الدمرداش أعنى محمداً	وبالجامع الزروق أحمد فى السنا [1]

---

(١) نظرنا محمد القاوقجى - الروضة الزاهر والمجموع الفاخر "مجموعة أحزاب وأوراد وصلوات، ص٧٣، ص٧٥ . القاهرة ١٢٩١ هـ .

وإن كنا نلاحظ أن السيد محمد القاوقجى الحسنى يذكر مشايخ الطرق الأخرى(١) كالبدوى، والرفاعى، والجيلانى، والدسوقى، والبهى(٢) فإن ذلك يدل على أن أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين وفى العصر الحديث، يحاولون الجمع بين أكثر من طريقة، مع إحتفاظهم بإختصاصهم بطريقة تميزهم عن البعض الآخر وسبق أن أوضحنا أن الشيخ عبد الوهاب الشعرانى/ ٩٧٣ هـ ذكر أنه أخذ عن مجموعة كثيرة من المشايخ، وهو بذلك يريد الجمع بين أكثر من طريقة، كدليل على عدم إفتراق الطرق فى الأصول، وإن تمايزت كل منها فى الجوانب الظاهرية والشكلية، والفرعية .

لقد أشار الدكتور عبد الحليم محمود إلى شرح للسيد محمد القاوقجى على صيغة الصلاة المشهورة وحزب البدوى مؤكداً إتصالهما بالسيد محمد الشناوى فيقول القاوقجى "وبالجملة فهذا الحزب (وهو الحزب البدوى وكذا صيغة الصلاة المشهورة، إتصالهما إلى سيدى محمد الشناوى صحيح، ومنه إلى السيد البدوى".

ويقول أيضاً "قال شيخنا البهى(٣) وليس لنا البحث عن ذلك، فإن سيدى محمد الشناوى حجة عدل وولى كامل"(٤) .

وقد أصبح للسيد محمد القاوقجى، أهمية كبيرة بين أتباع الطريقة الشاذلية فى العصر الحديث، وذلك أنه أسس الطريقة "القاوقجية" الشاذلية، وأصبحت من الطرق المعترف بها بين دوائر الطرق الشاذلية .

وهذا ماوجدناه لدى أستاذنا الدكتور أبو الوفا التفتازانى(٥) أما عن آثاره وتراثه الصوفى، فشأنه فى ذلك شأن صوفية الطريقة الشاذلية فى وضع مجموعة من الأوراد والأحزاب

---

(١) راجع المصدر السابق - ص٧٣ وما بعدها .

(٢) البهى: هو السيد مجمد البهى الأحمدى طريقة الشافعى مذهباً - المتوفى عام/ ١٢٦٠ هـ/ .

(٣) البهى: هو السيد محمد البهى. المتوفى عام ١٢٦٠ هـ وهذا مما يدل على أن السيد محمد القاوقجى كان معاصراً له. فى القرن الثالث عشر الهجرى .

(٤) السيد محمد الشناوى: من خلفاء ومشايخ السادة الأحمدية البدوية توفى عام ٩٣٢ هـ/ ودفن فى محلة روح بمحافظة الغربية .

نظرنا: الدكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف "السيد أحمد البدوى" - ص١١٠ .

(٥) نظرنا: كتاب مدخل إلى التصوف الإسلامى، كذلك الطرق الصوفية فى مصر ص٧٣ .

والصلوات، مرتبة على حروف الأبجدية العربية، ومن ذلك كتاب "الصلوات على النبى" ﷺ سماه "مفتاح الكنز الأفخر لمن أراد أن يصل إلى الغنا الأكبر" وهو يبدأ بذكر آيات قرآنية، يبدأ بقوله "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فاتحة الكتاب متصلة بالبسملة بنفس واحد .. وإلهكم إله واحد لاإله إلا هو الرحمن الرحيم، الله لا إله إلا هو الحى القيوم، .... إلخ .

ثم الصلاة على النبى ﷺ بقوله: اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم ... إلخ(١).

وفيما أعتقد من خلال دراسة مقارنة أن القاوقجى يسير على منوال الشيخ أحمد زروق الشاذلى/ ٨٩٩/ هـ فى منظوماته وأوراده .

ثم يضع القاوقجى منظومة فى نسب الإمام وشيخ الطريقة وقطبها أبو الحسن الشاذلى، ثم منظومة أخرى فى نسب الشيخ عبد السلام بن مشيش، ثم وضع مجموعة أخرى من الأحزاب والأوراد، معظم تعبيراتها مأخوذ عن شيوخ الطريقة السابقين عليه(٢).

يضاف إلى ذلك أن السيد محمد القاوقجى، وضع شروحاً كثيرة على بعض أحزاب الأحمدية البدوية، بل ويذكر أن السيد محمد البهى/ ١٢٦٠ هـ/ من شيوخه فقد كان يكن له الإحترام والتبجيل(٣).

---

(١) لمزيد من الدراسة إنظر: السيد محمد القاوقجى. مفتاح الكنز الأفخر لمن أراد أن يصل إلى الغنا الأكبر - ص١ - ص٦٤ - ضمن (كتاب الروض الزاهر والمجموع الفاخر) - ط القاهرة عام ١٢٩١ هـ .

(٢) نظرنا: القاوقجى - التجليات الإلهية "ورد السحر" فى طريقة الشاذلية، ص٨٨ حزب منير ومصباح التنوير - ص١١٧، الوظيفة المسماه بالوسيلة فى كشف الكروب، ص١٤٦ ثم مجموعة الإستغاثات ص١٧٨ .

(٣) نظرنا: المصدر السابق - ص٧٣، الدكتور عبد الحليم محمود أقطاب التصوف ص١٠٩- ١١٠.

(٨) السيد حسنين حسين الحصافى: (الطريقة الحصافية) :

وهو السيد حسنين حسين الحصافى المتوفى عام ١٣٣٠ هـ - ١٩١٠م، كان من كبار الصوفية على الطريقة الشاذلية، جمع بين علوم الشريعة والحقيقة، وكان يتفقد مجالس العلم والتدريس، وتخرج على يديه كثير من العلماء والمريدين .

طوف ببلاد كثيرة، حتى إستقر به المقام فى دمنهور محافظة البحيرة بوسط الدلتا المصرية، وله مقام ظاهر يزار بمنطقة "الجبانة" كذلك وضع أصول الطريقة "الحصافية" التى تعتبر فرعاً من فروع الطريقة الشاذلية إذ إزدهرت على يديه هذه الطريقة، وتقلد خلافة الطريق من بعده إبنه الشيخ محمد عبد الوهاب الحصافى الشاذلى المتوفى عام ١٩٤٩م[١].

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ محمد عبد الوهاب الحصافى إهتم بتراث والده حسنين الحصافى، فقام بنشره فى بعض المجلدات لتوضيح مدى إلمامه بعلوم الشريعة، والحقيقة والطريقة.

كان السيد حسنين الحصافى صاحب طريقة صوفية شاذلية هى "الحصافية"، كان له أثر كبير فى علماء عصره، بالإضافة إلى أنه يعتبر قطب وقته وغوث عصره، وهذا ماوضحه أحد علماء الشريعة بالأزهر الشريف فى العصر الحديث .

إذ وضع العلامة الأديب الشيخ أحمد الزرقانى نسبة للشيخ العارف بالله حسنين الحصافى الشافعى الشاذلى، حيث تتبع هذا النسب إلى مولانا الإمام الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، متضماً فى ذلك ذكر مكانته ودرجته فى القطبانية وحكومة الباطن نذكر من ذلك قوله: [٢]

---

(١) قام أحد الباحثين بدراسة ميدانية لهذه الطريقة بمنطقة دمنهور بالبحيرة، غير أن دراسته ينقصها كثير من التحقيق العلمى إذ إعتمد على روايات وقصص يتناقلها العامة من الناس بشأن الكرامات وغيرها، ولم يعتمد على كتاب واحد من مؤلفات الحصافى راجع دكتور/ حسن الشرقاوى الحكومة الباطنية ص١٨٥ .

(٢) الشيخ أحمد الزرقانى - توسل يتضمن نسب الشيخ حسنين الحصافى "الشافعى مذهباً، الشاذلى طريقة، الحصافى بلدة" ط الإصلاح بمصر - ١٣٢٩ هـ ١٩١١م .

الحمد لله الرشيد الهـــادى، رب الخلائق ملجأ القصـــاد
يـارب الحسنين قطب زمانـه، ذاك الحصـافى كعبة الإرشـــاد
فـرد الزمان وغـــوثه وإمامة، بحر الشريعة منها الـــوراد
علم الطريق الشاذلى وسـره، غـــوث العـباد وزينة العبــاد
بأبيـه مولانـا الحسين وجـده، حسنين ذى الشرف الأثيل البادى

وكما ذكرنا، فالشيخ حسنين الحصافى، ترك تراثاً علمياً، وصوفياً، مما يدل على تمكنه من طريقته، وتمسكه بأصول الكتاب والسنة .

فله كتاب "تنوير البصائر والأبصار" فى التوحيد وكتاب "السبيل الواضح لمن رغب التعوذ من الوقوع فى الفضائح" بالإضافة إلى مجموعة من الأوراد والأحزاب، وضعها الشيخ فى طريقته وأما عن عقيدته، فهو على عقيدة الأشعرى فى علم الأصول أو التوحيد، وعلى مذهب الشافعى فى الفقه .

ويتضح لنا ذلك من خلال كتابه "تنوير البصائر والأبصار" .

فيوضح عقيدته فى التوحيد، وهى إثبات وجود الله تعالى، ووحدانيته وصفاته، ومايجب فى حقه تعالى وهى عشرين صفة منها الوجود، والقدم، والبقاء، ومخالفته سبحانه وتعالى للحوادث، والقدرة، والإرادة والحياة والعلم والسمع والبصر والكلام إلى آخر ماأثبته علماء السنة من صفات الوجود .

ثم صفات السلوب، أو الإستحالة فى حقه تعالى إجمالاً وهو مايستحيل فى حقه تعالى إجمالاً كإتصافه بنقص، وهى عشرين صفة، أى أضاد صفات الوجود العشرين، .. وهكذا أى أن الله تعالى يستحيل أن يتصف بأضاد صفات الكمال، التى أثبتها تعالى لنفسه(١).

ومن الجدير بالذكر هنا، أن الشيخ حسنين الحصافى دافع عن عقيدة السلف وأهل السنة والجماعة بإثبات الصفات الذاتية وهى قديمة لاهى الذات ولاهى غيرها، كذلك صفات الأفعال والأسماء الإلهية، والصفات الخبرية ويفسرها تفسيراً يليق بالذات الإلهية، ثم تناول آراء ومذاهب

---

(١) لمزيد من التفاصيل - ينظر: الشيخ حسنين الحصافى - تنوير الأبصار فيما يجب معرفته فى التوحيد - ص٤ ومابعدها - مطبعة الإصلاح بمصر ١٩١١م

المعتزلة فى قولهم بوجوب الصلاح والإصلح على الله تعالى بالنسبة لعبادة، ونفيهم للرؤية الإلهية فى الآخرة، بالتحليل والنقد مثبتاً عقائد السلف، ثم أثبت أن الفعل من الله تعالى خيراً كان أم شراً أما الإختيار فمن العبد لأفعاله وفسر معنى "القضاء" يتعلق إرادة الله تعالى الأزلى بالممكنات"، "معنى القدر" تعلق قدرة الله تعالى بالأشياء على وفق الإرادة مثال على ذلك قوله "تعلق الإرادة الله تعالى أزلاً بأنك تكون عاملاً مثلاً "قضاء" وتعلق قدرة الله تعالى بإيجاد العلم فيك مثلاً على وفق الإرادة "قدر" .

فالقضاء "قديم" لأنه من تعلق الإرادة التنجيزى القديم. والقدر (حادث) لأنه من تعلق القدرة التنجيزى الحادث[1] .

أما عن قوله فى الشريعة، والطريقه -والحقيقة- يقول: "الشريعة" هى الأحكام الشرعية "والطريقة" هى العمل بتلك الأحكام مع قصد وجه الله تعالى "والحقيقة" : هى ذكر القلب وحده لله تعالى ذاتا وصفاتا وأفعالا.

فالشريعة بلا حقيقة عاطله، والطريقة والحقيقة بلا شريعة باطلتان.

ومن علم الأحكام الشرعية ولم يصل بها فهو فاسق وكل عمل غير موافق للشريعة فهو باطل .

ومن لم يستغرق فى الله تعالي بكمال فنائه عن الأشياء حتى شعوره بنفسه،واستباح محرما من المحرمات أو أعتقد سقوط فرض من الفرائض مع التكليف فهو كافر[2].

وبعد أن ينتهى الشيخ الحصافى من نقد وتحليل مذاهب المعتزلة والرد عليهم واثبات عقائد اهل السنة والسلف فى الأصول، يتجه الى تحليل ونقد مذاهب ملاحدة التصوف ودعاته الذين جاءوا بنظريات ومذاهب تخالف عقائد الدين ومذاهب السلف، وهو فى ذلك يركز علي أولئك الذين ادعوا سقوط التكاليف، وقالوا بنظريةالوحدة المطلقه، ووحدة الوجود ، وغيرهم من الحلوليين ولا تحاديين فيقول فى ذلك :

---

(١) المصدر السابق - ص١٦، ص١٧.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣١، ص ٣٢.

"إن من لم يستغرق فى الله تعالى بكمال فنائه عن الأشياء، ومن إستباح محرما من المحرمات أو أعتقد سقوط فرض من الفرائض مع التكليف فهو كافر، كذلك نعلم بهذا بطلان ماادعاه بعض الهالكين كقولهم "ان الله هو هذا العالم" .

أو قولهم "إن هذا الزمن زمن فترة "ثم قولهم "ان الطريقة غير العمل بالشريعة مع استباحة المحرمات التى حرمها الله ورسوله وأجماع الأمة علي تحريمها وتركهم للفرائض، فهم الهالكين، كذلك فإن من يقول للناس بأنه بلغ درجة مقام "الوحدة" ويدعى بقوله إن الله هو هذا العالم، يفيد نفى المخلوقات مع أن الله تعالى أثبتها، ويفيد أيضا أن الله تعالى جسم وروح وجرم بلا روح أو أنه متعدد ويأكل ويشرب .. ألخ فهذا باطل وكفر.(١)

لقد وضع السيد حسنين الحصانى، كتابا فى التصوف علي طريقة الشاذلية هو السبيل الواضح" وله في هذا الكتاب. منهج جديد في الدراسات والعلوم الصوفية إذ يوضح أصول الطريقة، ودواعيها وثمراتها، وشروط الطريق والدخول فيه، وصلة الشيخ بالمريد، ثم ينتقد المظاهر التى يتقلدها بعض أصحاب الطرق الصوفيه الأخرى ويفند مزاعمهم. ويوصى بضرورة كفهم عن ذلك إذ أن مايأتونه من حركات ورقصات وصرخات بدعة فى الطريق لايجب الإلتفات إليها. وفى ذلك يقول فى أصول الطريق.

أنه على خمسة أصول :

الأصل الأول :تقوى الله فى السر والعلانية لأنها عليهامدار الأعمال الظاهرة والباطنة، فجميع الأعمال فروع ناشئة عن التقوى .

الأصل الثانى : اتباع السنة في الأقوال والأفعال، لأن إتباع السنة أصل من أصول الطريقة، فمن لاإتباع له لاطريقة له .

الأصل الثالث :الإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار. لأن به يصح الإقبال علي الحق سبحانه، إذ ليس للقلب إلاوجهة، فإذا أقبل بها علي جهة أعرض عن الأخرى .

الأصل الرابع : الرضا عن الله تعالى فى القليل والكثير لأن ذلك من علامة التحقق في مقام الرضا، لأن الرضا فى حالة القليل كحالة الكثير، وفى حالة المنع كحالة العطاء دليل

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٣٢ - ص٣٣.

على أن الرضا عن الله وقع عن غير علة، بل بمجرد العبودية وهذا هو مطلوب الحق، من عبيده، والرضا إحدى علامات الصديقين يرتقى إليه من مقام التفويض الذى هو أعلى من مقام التسليم وهذا الأصل عليه مدار العبوديه وهو أساسها.

الأصل الخامس : الرجوع الى الله فى السراء والضراء، وفى ذلك تحقيق العبودية بسكونها تحت تصاريف القضاء نبعت الرضا، فالرجوع الى الله تعالى يكون فى السراء بوصف الشكر، والرجوع اليه تعالى فى الضراء بوصف الصبر، وإلى هذا المعنى الإشاره بقوله تعالى "ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون" سورة الأنبياء آية ٣٥ (١) .

ويتحدث الشيخ حسنين الحصافى عن دواعى هذه الأصول فى الطريقة وثمراتها، فيقر دواعى التقوى بإرادة القرب، ودواعي الإتباع بشدة الحب، ودواعى الإعراض عن الخلق بتعلق القلب بالحق ودواعى الرضا عن الله تعالى بحسن الظن به، ودواعى الرجوع إلى الله بالمعرفة.

وثمرة التقوى بالوصول، وثمرة الإتباع بالقبول، وثمرة الإعراض عن الخلق بحلاوة المعاملة، وثمرة الرضا عن الله تعالى بدوام المواصلة وثمرة الرجوع الى الله تعالى بالعبودية (٢).

ويوجه الشيخ حسنين الحصافى إنتقادات شديدة، لما هو شائع بين فقراء الطريقة فى عصره بل ومن العصور السالفة مستندا فى ذلك إلى أقطاب وشيوخ الطريقة الشاذلية وموقفهم مما كان شائعا بين أصحاب الطريقة من إيثارهم للجهل على العلم، وماغلب عليه من غرور وتهاون فى أمور الشريعة (٣).

يقول فى ذلك "لقد رأيت فقراء هذا العصر ابتلوا بخمسة أشياء، إيثار الجهل على العلم والإغترار بكل ناعق، والتهاون فى الأمور والتعزز بالطريق واستعجال الفتح دون شرطه، فأبتلوا

---

(١) الشيخ حسنين الحصافى - السبيل الواضح لمن رغب التعوذ من الوقوع فى الفضائح ص٣١ (ضمن مجموعة وظائف وأحزاب للسادة الصوفية) تحقيق عبد الخالق حقى. ط المطبعة الشرقية بمصر ١٣١٣هـ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٣٦ ، ص٣٧.

(٣) استند فى ذلك إلى آراء الشيخ أحمد زروق / ٨٩٩/ هـ ونقده لفقراء الطريقة، وماظهر بينهم من بدع ومظاهر تخالف جوهر الطريقة الشاذلية .

بخمسة، إيثار البدعة على السنة وإتباع أهل الباطل دون الحق، والعمل بالهوى فى كل أمر أو أكثر الأمور، وطلب التنزهات دون الحقائق، وظهور الدعاوى بدون الصدق، فظهروا بذلك بخمسة أشياء:

الوسوسة فى العبادات، والإسترسال فى العادات والسماع والإجتماع فى عموم الأوقات، وإستمالة الوجوه بحسب الأمكان، وصحبة أبناء الدنيا حتى النساء والصبيان. وإغتروا بوقائع القوم فى ذلك .

يقول الشيخ أبو مدين /٥٩٤ هـ/ إجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس: القراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين، والجبابرة الظالمين(١).

ويوضح الحصافى الصفات اللآزمة للشيخ المربى للمريدين فيقول :

"أن يكون ذا ذوق صحيح، وعلم صريح، وهمة عالية، وحالة مرضية، وبصيرة نافذة، وأن يكون متصل السند إلى رسول الله ﷺ.

وأن يكون كل واحد من رجال سنده موصوفاً بصفات ا لكمالات الشرعيه، مبرأ من الدناءات والرذائل والأفعال الخسيسة والبدعة، وأن يكون مأذوناً له فى الإرشاد ، وأن يتقدم جذبه على صحوه وفناؤه على بقائه .

ومن شروط اختيار المريد لشيخه كما يوضحه الشيخ الحصافى هى أن يكون الإختيار بناء على مايتوافر فى الشيخ من خصائص مثل :

اتباع منهجه، وخدمته، والتسليم لأمره، واجتناب مانهى عنه من غير استفهام، وأن لايساويه فى مشيته وعدم التقدم عليه، وعدم التجسس علي أحوالّ، لايعتقد المريد عصمة الشيخ بل يعتقد حفظه عن كل مايشينه، وعدم التحدث فى حضرته وأن يقصد المريد بصحبة شيخه وجه الله تعالى وأن يعتقد أنه أكمل أهل زمانه فى الإرشاد والتربيه وأن يحافظ على وده، وأن يحفظ حرمته غائباً كان أو حاظراً... وهكذا(٢) .

---

(١) نفس المصدر السابق - ص٣٩ - ص٤٠.

(٢) المصدر السابق - ص٤١، ص٤٢.

وفى الذكر وآدابه وشروطه، يعطى الشيخ حسنين الحصافى وصفاً دقيقاً لذلك مع ذكر طريقة نطق لفظ الجلالة "الله" نطقاً صحيحاً مجرداً معرباً وذلك بأن يرقق الحرف المرقق، ويفخم المفخم، وأن يمد المدد، ويقصر المقصر، مع إخراج كل حرف من مخرجه وقد إشتملت كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" على هذه المذكورات(١).

ويرفض أذكار بعض طوائف الصوفية الذين لايفهمون هذه المعانى ولايدفعون فى مخارج الألفاظ، أو الذين لايراعون سلامة النطق مع حضور القلب والتوجه إلى الله تعالى، وقد يزعمون أنهم من طوائف الشاذلية، وليسوا منهم(٢).

أما عن موقف الشيخ الحصافى مما هو شائع بين طوائف الصوفية من بدع فى الأذكار وإصطناعهم لحركات وسماع مخالف للشريعة فإنه يؤكد على ضرورة تنقية التصوف مما لاحق به من قبل هؤلاء الأدعياء الذين يأخذون الطريق بمظهره وشكله دون التركيز على مخبره وجوهره .

لذلك يقول الشيخ الحصافى "إن أكثر الطرق بل جميعها صارت ضائعة مفقودة ومعدومة، وإشتغل من يدعيها بما يخالف الشريعة الغراء من ذكر وأكل نار وقزاز "زجاج" وحيات "الثعابين" وغنج وتفخيم الصوت كالبيومية(٣) وغيرهم فذكرهم "اللوة" وكمن ينطق "باح، أح" ويقولون ذكر حقنى، أو ليثى(٤) وطبل، ومزمار ورقص، وايقاد الشموع، محض بدع محرمه، ودعاوى كاذبة، وأشياء ربما أدت إلى الكفر والرده، فبطلانها لايحتاج إلى ذكر أفرادها وتحريمها غير مجهول لذى عقل وعلم وفهم، ويضيف الى ذلك أن طوائف الخلويته والبيوميه والليثيه الأن المخالفون للشريعة فى الأذكار والأعمال، وليس لهم نسبة لأحد من المشايخ مطلقا لاظاهرا ولاباطنا لمخالفتهم الشريعة فى جميع أحوالهم، بل كل من أنتمى الى أحد من أصحاب الطرق

---

(١) الشيخ حسنين الحصافى - السبيل الواضح - ص٤٣ .

(٢) المصدر السابق ص٤٥ .

(٣) البيومية فرع من الطوائف الصوفية تنسب للطريقة الأحمدية البدوية فى العصور المتأخرة وصاحبها الشيخ على البيومى المتوفى عام/ ١١٨٣هـ/ .

(٤) هما الشيخان شمس الدين محمد الحنفى، والشيخ محمد الليثى، ممن ينتسبون للطريقة الشاذلية فى العصور المتأخرة.

كالبراهمه[1] والقادرية والرفاعية والأحمدية لاتصح نسبته ولو كان لصلبهم ولا ينتفع بشفاعتهم الا من كان متبعا لرسول الله ﷺ ويدلل الشيخ الحصافى على مايذهب اليه نقده لدعاة التصوف وسالكى الطريق، من أمثال هؤلاء المدعين يخالفون الشريعة المطهرة، إذ جعلوا طريق القوم حرفة للتحصيل على حطام الدنيا من الحرف التى توجب غضب الله تعالى عليهم، ومن علامات ذلك اشتغالهم بما لايعنى، ووقوعهم فى البدع وأستخفافهم بالشريعة الغراء، ورضاهم بالجهل وحرمانهم من العمل بالسنه"[2] .

ويوضح الشيخ حسنين الحصافى شروط وآداب الذكر وهو يوافق ماورد فى كتب الشيخ ابن عطاء الله السكندرى (مفتاح الفلاح) والشعرانى والسيد على البيومى ممن أجمعوا على تحريم الأذكار المحرفة .

إذ يذكر من ذلك عشرين شرطاً لصحة الذكر وشرعيته منه: خمسة شروط قبل الشروع فيه، مثل التوبه، يترك مالايعنيه قولا وفعلا، والغسل أو الوضوء عند تيسره، والسكوت والسكون بلسانه وبدنه وقلبه بأن ينشغل قلبه بالله تعالى دون اللسان حتى لايبقى فيه خاطر غير الله تعالى. ثم يذكر بلسانه مع قلبه وأن يستمد بقلبه عند الذكر من شيخه، وأن يلاحظ أن استمداده من شيخه هو الإستمداد من النبى ﷺ لأن الشيخ نائب عنه[3] .

ويضاف إلى ذلك اثنا عشر شرطا فى حالة الذكر منها: الجلوس على مكان طاهر خالي من الروائح الكريهة لحضور الملائكة، كجلوس الصلاة، ووضع راحتيه على فخذه وتغميض العينين، وتطيب المجلس والثياب والبدن بالرائحه الطيبة، وحل المطعم والمشرب والثياب، واستقبال القبلة وإختيار الموضع المظلم إن أمكن، وجعل خيال شيخه بين عينيه، والصدق فى الذكر، بأن يقع عنده استواء السر والعلانيه والإخلاص الذى هو تصفية الأعمال من كل شوب، وأن يظهر كل مايخطر بقلبه من حسن وقبح لشيخه، وأن يذكر بالذكر الذى لقنه له شيخه بقوة تامه وحضور قلبه المعنوى مع معناه بحيث لايكون فيه متسع لغيره، وإن يلاحظ تنزيه الحق

---

(١) يقصد بالبراهمه كما ورد فى المتن - اتباع الطريقة البرهاميه الدسوقيه التى وضعها السيد ابراهيم الدسوقى القرشى المتوفى عام ٦٧٦ هـ .

(٢) الشيخ الحصافى - السبيل الواضح - ص٥٠ .

(٣) المصدر السابق ص٥٢ .

عما لايليق به مستحضرا لعظمته ولسائر كمالاته، وأن يعرض ما ترقى اليه من الأذواق على شيخه ليعلمه الأداب فيه، وينفى كل موجود من القلب سوى الله تعالى وأن يعرض عن جميع الأكوان، وأن لايختم الذكر حتى يغيب فيه.. وهكذا[(١)] .

ومما سبق يتضح أن كبار مشايخ الطريقة الشاذلية المتأخرين كانوا علي بينة واضحة، وإيمان شديد بأصولها وجوهرها، إذ حاولوا تنقيه الطريقة مما لحق بها من بدع وخيالات من قبل بعض المدعين والأدعياء.

ومما لاشك أن للطريقة الشاذلية فروع أخرى، حيث ظهرت شخصيات لها أثرها وأهميتها فى تدعيم أصول الطريق الصوفى وإصلاح ماأفسده أدعياء التصوف والمنتسبين اليه زورا وبهتانا وسوف نعطى فكرة مختصرة بقدر مايحتمل هذا البحث، عن ثلاثة من الشخصيات الهامة الذين ينتسبون الى الطريقة الشاذلية فى العصر الحديث وهم: الشيخ سلامه الراضى وأصول طريقته، والشيخ عبد الواحد يحى (رنيه جينو) والشيخ عبد الفتاح القاضى. وذلك فى ضوء مايتوفر لنا من مصادر قيمه ووثيقة الصلة باتجاهاتهم الصوفيه.

(٩) السيد سلامة الراضى :

العارف بالله سلامه بن حسن الراضى، فهو أحد أعلام الطريقة الشاذلية فى العصر الحديث، وقد إتجه فى تصوفه أتجاها اصلاحيا متمثلا طريقة شيخ الطريقة الأكبر أبو الحسن الشاذلى، فأسس طريقة عرفت بإسمه وهى الطريقة الحامدية الشاذلية وهى مشهورة فى المحيط الصوفى الإسلامى والعربى بمصر الآن. وقد وضع أصول طريقته، وحدد اتجاهاتها فى سبيل الوصول والمعرفة الكاملة بالله تعالى، بإتباع أصول الكتاب والسنة ومقاومة جوانب الإنحراف والبدع المنتشرة عند الأخرين. وعلي ذلك فإن قانون هذه الطريقة "يؤكد أن مقصد أهل الطريق الوصول الى معرفة الله تعالى، ونيل رضاه، والقيام بحقوق العبودية، وتحقيق الربوبية، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والتبرى من كل بدعة مذمومة شرعا، وذكر الله تعالى، وقراءة القرآن والتعليم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر".

---

(١) المصدر السابق - ص٥٢- ص٥٣.

وفى مجال مقاومة الإنحراف، والبدعة يقول الشيخ سلامة الراضى رحمه الله فى قانون الطريقة :

"ولايجوز لأحد أن يكون من أهل الإباحة بأن يدعى سقوط التكاليف، وإباحة المحرمات فإن هذا من الزندقة التى وقع فيها كثير من الناس، وادعوا الولاية، ولايجوز بل لاينبغى علي كل من انتسب إلى الطريق أن يجعل منه مهنة يرتزق منها، بل عليه أن يلتزم صنعة أوحرفة للإرتزاق غير الطريق"(١) .

وهذا بلاشك يتفق مع جوهر الطريقة الصوفية التى تدعو الى عدم احتراف التصوف لأغراض معينة غير طريق الإخلاص والوصول الى معرفة الله تعالى.

(١٠) العارف بالله عبد الواحد يحيى "رينيه جينو" :

أما الشخصية الثانية، التى ذهبت فى طريق التصوف الشاذلى الى أقصى مداه فهو الشيخ عبد الواحد يحيى أو "رينو جينوا" المتوفى بالقاهرة عام ١٩٥١م وقد أهتم الدكتور عبد الحليم محمود بحياته العلمية وسيرته الصوفية، وصلته بالإسلام منذ أن أعتنق الإسلام واتصل بشيوخ الطريقة الشاذلية بمصر وأخذ عنهم أصولها وأدابها وتعاليمها، إذ أن الشيخ عبد الواحد يحيى أو "رينيه جينو" فرنسى الأصل والجنسية، أتصل بممثلى الأديان الشرقية عن طريق مباشر، واعتنق الإسلام عن يقين ومعرفة كاملة عام ١٩١٢م(٢) .

اعتنق "رينو جينو" التى تسمى فيما بعد "عبد الواحد يحيى" الإسلام بواسطة الشيخ عبد الرحمن عليش، أحد مشايخ الأزهر الشريف، وقد كتب "جينو" فى أحد رسائله "كان الشيخ

---

(١) دكتور عامر النجار - الطرق الصوفية فى مصر - ص٥٥، ص٥٦ نقلا عن قانون طريقة السادة الحامدية الشاذلية لمؤسسها سيدى سلامة بن حسن الراضى، ص٣٠ وما بعدها.

(٢) كتب الأستاذ قلش الذى اعتنق الإسلام هو الأخر وأتقن لغة القرآن الكريم شيئا من الضوء فى بحث نشر فى عدد يناير ١٩٥٣ فى هذا المجال، وقد نشر هذا البحث (فى مجلة اتيدتراد سيوتل) الفرنسية، وقد ترجمه الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود الى اللغة العربية نظرنا كتابه المدرسة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلى - حـ٢ -ص٢٤٨ وما بعدها - ط دار الكتب الحديثة عام ١٣٨٧هـ . ١٩٦٧م

عليش فرعا من فروع الطريقة الشاذلية، وكان فى الوقت نفسه شيخ المذهب المالكى بالأزهر الشريف"(١) .

ومن الجدير بالذكر ونحن بصدد هذا اللمحة البسيطة عن حياته العلميه والروحية بمصر، أن هذا الشيخ عندما استقر به المقام بالقاهرة، كان حركة دائمة، حركة فكرية وروحانية، إذ أخذ يؤلف ويكتب المقالات ويرسل الخطابات الى جميع أنحاد العالم يشيد بالإسلام عقيدة وشريعة، وعكف على استنباط المعانى والأذواق الروحانية من خلال دراسته وتعمقه فى أصول الطريقة الشاذلية وغيرها من الطرق الأخرى، وقد كتبت عنه الصحف والمجلات العالمية عند وفاته "وفاة أكبر الوحانيين فى العصر الحديث، كذلك تخصصت كبرى المجلات العالمية فى الكتابة والنشر عن حياة رينيه جينو" تصفه، بالفيلسوف والعلم والصوفى والحكيم "رينيه جينو" الذى عرف باسم الشيخ عبد الواحد يحيى. بل تضعه بعض هذه الصحف من بين كبار الصوفية والفلاسفة من أمثال الغزالى /٥٠٥هـ / وأفلوطين /٢٠٥م / وأمثالهما.

وفيما يخص الجانب الإيجابى. لدى أصحاب الطرق نجده، متمثلا فى الدفاع عن الإسلام ضد دعاوى الملاحدة والمتشككين من المستشرقين وغيرهم، وهذا مانجده عند علماء الطرق الصوفية المثقفين فى العصر الحديث ومنهم هذا المستشرق الفرنسى "رينيه جينو" أو الشيخ (عبد الواحد يحيى).

أما عن دفاع "رينيه جينو" عن الإسلام فيتمثل ذلك فى نواحى كثيرة نذكر منها تناوله لآراء المستشرقين فى وصفهم للإسلام بأنه دين السيف، وأنه دين انتشر بحد السيف، فقد حلل هذه الأراء ورد عليها بالأدلة العقلية والنقلية، فذكر أن المستشرقين الغربيين تعودوا أن ينظروا الى الإسلام على أنه دين يتميز بطابعه الحربى، وإذا ذكر السيف فى النصوص الإسلامية فهمه الغربيون فهما حرفيا، والغربيون بذلك لم يفهموا حقيقة الإسلام فهما حقيقيا.

فالسيف لم يقتصر على الإسلام فقط، بل يوجد فى أكثر الأديان كدليل على الطابع الحربى، كذلك فهذا الطابع رمز لتحقيق العدالة، إذ هو موجه الى الذين يعبثون بالنظام الإجتماعى، فهو وسيلة لتحقيق النظام، فلا بد فى كل دين من طابع حربى لتحقيق العدالة واشاعة الأمن ونشر النظام والطمئنينة بين الناس.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٩.

وعلى ذلك فالسيف كطابع حربي فى الإسلام رمز موجه ضد المتمردين وضد العناصر التى تعمل فى داخله ضد النظام والوحدة سواء فى المجتمع أو لتحقيق التوازن والتناسق. أما الجانب الحقيقى للإسلام فهو السلام، والسلام لايأتى حقيقيا إلا بالإستسلام التام للمشيئة الإلهية .

ويفرق "رينيه جينو" بين جانبين من جوانب الجهاد أو الطابع الحربى فى الإسلام، مستدلاً فى ذلك بحديث عن النبى ﷺ قوله عند رجوعه من إحدى الغزوات "رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر" (١) .

فالحرب المقدسة الخارجية هى الجهاد الأصغر، بينما الحرب الداخلية هى حرب النفس، وهى الجهاد الأكبر وأهمية الحرب الداخلية تعتبر ثانوية بالنسبة لأهمية الجهاد الأكبر - جهاد النفس" (٢)

يضاف الى ذلك أن رينيه جينو" الشيخ عبد الواحد يحيى "أظهر بصدق أثر الثقافة والحضارة الإسلامية على ثقافة الغرب وحضارته الحديث، وأظهر المعانى الروحية الصوفية الحقيقية وتأثيرهاعلي الشعراء والروحانيين الأوربيين (٣)

كذلك بين ضلال المعارف الروحانية المنتشرة فى أوربا فى العصر الحديث، ورأى أن دعاوى هؤلاء لاتستند الى حقائق ثابته، وليست على ايمان كامل بالله تعالي والإستسلام لمشيئته العليه ورأى أن مايبتدعه الغربيون من أمور يسمونها روحانيه أو غيبيات من قبل ايحاءات الشياطين والجن، وهذا مالايكن مقارنته بمسائل الهية عظيمة مثل وحى الأنبياء والرسل، وما يحدث للعارفين بالله تعالى من أذواق روحانية والتى تنبعث فى مبادئها من العالم الروحى (٤) .

وبعد أن تحدث "رينيه جينو - عبد الواحد يحيى" عن هذه الجوانب الهامة المتصلة بالإسلام ورده على افتراءات المستشرقين الأوربيين، تحدث فى مقالات نشرت باللغة الفرنسية

---

(١) الحديث قوله ﷺ "رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر قيل وما الجهاد الأكبر يارسول الله قال جهاد النفس " قال الحافظ العراقى - رواه البيهقى - بسند ضعيف عن جابر رضى الله عنه.

(٢) دكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية الحديثة - ص٢٧٠.

(٣) نفس المصدر السابق - ص٢٧٣ - ص ٢٨٤.

(٤) المصدر السابق - ص٢٨٥ - ص٢٩٢ ومابعدها.

عن التصوف، معانية وأثاره وأهميته وإتجاهاته، وفى ذلك يعرف التصوف ومكانته بين العلوم الأخرى يقول :

"إن التصوف فى جوهره معرفة فى محيط ماوراء الطبيعة، علي أن التصوف وإن كان "معرفة" عليا فإن بعض العلوم تتصل به اتصالا وثيقا، بل إنها ليست إلا تطبيقا لبعض جوانبه [(١)]

ثم يوضح جوهر التصوف الحقيقى كوسيلة صادقة للمعرفة الحقه، فيتناول ماورد بشأن ذلك فى العقيدة الإسلامية، من كلمتى "الظاهر" و"الباطن" يقول: إن الظاهر يعنى الشريعة وهى الباب الذى يدخل منه الجميع، والباطن هو الحقيقة، ولايصل إليها إلا المصطفون الأخيار، وهذا مايتفق مع طبائع الناس من حيث إختلافهم وإستعداداتهم.. والباطن لايعنى فقط الحقيقة، بل يعنى كذلك السبيل الموصل اليها، أعنى الطريق الذى يقود الإنسان من الشريعة الى الحقيقة، وهو طريق يختلف تبعا لإختلاف الطبائع البشرية .

ومهما أختلفت فالهدف واحد، لأنه لايوجد إلا مركز واحد، وإلا حقيقة واحدة. على أن هذه الإختلافات تزول شيئا فشيئا حينما يصل السالك الي درجات عليا نزول فيها صفات "العبد" فلاتبقى إلا الصفات الربانيه وقد تحققت الذات بها بالبقاء .

والطريقة والحقيقة مجتمعتان يطلق عليهما. التصوف، وهو سبيل موصل إلى الحقيقة المطلقة "التوحيد واحد" ويطلق على الصوفى هذا الإسم، بعدما يصل إلى الدرجات العليا، فيكون الصوفى الحقيقى هو الرجل الذى وصل إلى الحكمة الإلهية. إنه العارف بالله تعالى، إذ أن الله تعالى لايعرف إلا به [(٢)].

ثم يوضح "رينيه جينو – عبد الواحد يحيى" شروط للتصوف منها: التأثير الروحى – أو البركة، وهى لاتأتى إلا بوساطة شيخ، ومن هنا كانت الطرق، وكانت السلسلة التى تنتقل البركة والتأثير الروحى بها من شيخ إلى مريد يوشك أن يصبح شيخاً يؤثر بدوره فى مريد أو مريدين آخرين، والتصوف عنده ليس عملاً علمياً أو بحثــاً نظرياً ولايؤخذ عن طريق الكتب بل ممارسـة

---

(١) المصدر السابق – ص٠٣٤.

(٢) نفس المصدر – ص٢٢٥ – ص٢٢٦ .

عملية، وإستعداد فطرى خاص الإنتساب إلى سلسلة صحيحة ، وهو التأمل الروحى وبالذكر إستحضار لله تعالى وتركيز ذهنى حتى يصل إلى الملاء الأعلى(١).

وفى مقامات الوصول يقول "أن الإنسان عندما يقطع الطريق يصل إلى الولاية، والولى قد يمكث ولياً فقط، فتكون معرفته خاصة به أو يختاره الله تعالى لتأدية رسالته إلى الآخرين فيكون نبياً أو رسولاً .

والرسول والنبى أسمى من الولى، فالرسالة والنبوة أسمى من الولاية، والنبوة والرسالة تتضمن الولايات والقرب من الله تعالى، وأما الولى فإنه يتضمن القرب من الله تعالى، وأما الولى فإنه يتضمن القرب فقط، وحالة الولى ناقصة بالنسبة لحالة النبى أو الرسول.

ودرجة الرسول العالمية أسمى من درجة النبى المحدودة ودرجة النبى المحدودة أعلى من درجة الولى الخاصة ومقام الجميع القرب(٢).

وقد إنتقد "رينيه جينو - عبد الواحد يحيى "أقوال غلاة التصوف وأدعيائه، ورفض أقوالهم ومذاهبهم فى التحلل من تكاليف الشرع، بدعوى الوصول إلى اليقين أو المعرفة" وهذا خروج عن العقيدة بل ويرفضه المتصوف الحقيقى(٣).

(١١) العارف بالله عبد الفتاح القاضى :

ويضاف إلى كبار مشايخ الطريقة الشاذلية فى العصر الحديث علماً آخر، هو العارف بالله تعالى الشيخ عبد الفتاح سيد أحمد محمد القاضى، الحسنى أباً، الحسينى أماً، الشافعى مذهباً، المحمدى تربية، الشاذلى طريقة الشيلنجى داراً ومزاراً، المتوفى عام ١٣٨٢هـ. ١٩٦٤م - ودفن بعزبة شبلنجة(٤) بالقليوبية، وقبره يزار بمسجده الذى أسسه قبل وفاته(٥).

---

(١) نفس المصدر - ص٢٣٩ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق - ص٣٤١ .

(٣) المصدر السابق - ص٣٣٢ .

(٤) قرية شيلنجة - تابعة لمحافظة القليوبية - بالقرب من بنها، وتقع على الطريق الزراعى الذى يصل محافظة الشرقية ومحافظة القليوبية. طريق بنها منيا القمح والزقازيق .

(٥) لمزيد من التفاصيل - إنظر الشيخ عبد الجليل قاسم - المنار الهادى - القسم الأول - ص٢٦ ومابعدها، ط المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٧٣م .

ويبدو أن هذا الشيخ، كان ذا أثر كبير. وأهمية فائقة فى إصلاح وتوضيح مفاهيم ومعانى الطريق الصوفى عند الشاذلية، فقد أحاطه الباحثون، وأعلام التصوفى فى العصر الحديث بهالة من التبجيل والدراسة .

إذ كتب عنه الدكتور عبد الحليم محمود، جزء كبير من كتابه المدرسة الشاذلية الحديثة، وأفاض عنه ووصفه بصفات العلماء والعاملين العارفين والأولياء المخلصين الصالحين، وجعله ركناً أساسياً من أركان التصوف الشاذلى، كذلك كتب عنه الدكتور حسن عباس زكى وزير الإقتصاد السابق كتاباً فى "كنوز الأسرار" (١).

وقال عنه فى مقدمة كتاب المنارالهادى "جاهد فى الله حق جهاده، فأنار به الطريق، وأحيا بفيضه موات القوب، وجمع بهديه شتيت العباد، وكون بحكمته عصابة الحق فى عصره، وربط بهمته جماعة برباط الحقيقة المتين، الذى لاتنفصم عراه، وغايته الله تعالى فبقى الرباط ودامت العلاقة" (٢).

وكتب العالم الأزهرى عبد الجليل قاسم، كتاباً ضخماً، وهو "المنار الهادى" من سبعة أقسام، حدد فيه حياة الشيخ ودخوله الطريق الصوفى ومآثره ومذاهبه وآدابه، وتفسيره، ووجدانه وأذواقه وخلواته ومشايخه ومريديه .. ألخ(٣).

وعلى ذلك، فإن الشيخ القاضى/ ١٩٦٤م/ يعتبر من كبار الصوفية فى العصر الحديث.

كانت نشأة الشيخ عبد الفتاح القاضى، نشأة صالحة، حيث حفظ القرآن الكريم بالمكتب، وكان يتولى قراءته وتفسير آياته وتعليم الناس معانيه، مع توجيههم وإرشادهم إلى طريق الصلاح والتقوى، ويبدوا أن بداية هدايته إلى طريق الله تعالى بدأت عندما عكف على كتابة القرآن الكريم بخط يده، ولما أتمه دعا الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهة الله تعالى (٤).

---

(١) أشار إلى ذلك الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه المدرسة الشاذلية الحديثة - ص٣٨٠ .

(٢) نظرنا: الشيخ عبد الجليل قاسم - المنار الهادى - المقدمة - ص١٩ .

(٣) المصدر السابق من القسم الأول حتى السابع من الكتاب .

(٤) الشيخ عبد الجليل قاسم - المنار الهادى - ص٥٦ .

وكانت هذه الحادثة من أهم المقدمات فى سبيل الدخول إلى الطريق، فهى عزلة من أجل عمل الخيرو فاستجاب الله لدعائه، فبدأ أول خلة ومدتها تسعة الأيام الأولى من ذى الحجة، إذ لها فضل عظيم، ثم خاض بعد ذلك خلوة أربعين يوماً، وكان فى هذه الخلوات ناسياً نفسه مسلماً أمره لله تعالى، ولم يكن الشيخ يخرج من خلوته إلا لحاجة ضرورية كزيارة أمه وإطعامها، وحضور صلاة الجماعة بالمسجد ثم إختتم خلواته بالخلوة "الصمدانية" وهى التى أمر بها فى شهر رجب الفرد، وسميت بالصمدانية، لمحاولة التخلق فيها بأخلاق الله تعالى وماإستطاع إلى ذلك سبيلاً"(١).

ويذكر الشيخ عبد الجليل قاسم، وهو تلميذ الشيخ ومريده، بعض ماحدثهم الشيخ بما كان يحدث له فى خلوته، ومنها أنه كان يزور أضرحة الأولياء وهو بخلوته(٢) وكان يتلقى منهم إرشادات وتوجيهات وتحذيرات من مزالق وعقبات سوف تقابله فى أثناء خلواته، ويعلق الشيخ عبد الجليل على هذه الأمور بأن الشيخ كان من "الأبدال" (٣).

وتذكر المصادر أن الشيخ عبد الفتاح القاضى، بعد إنتهاء فترات العزلة والخلوات، وكانت نحو ثلاث سنوات، أمره الرسول ﷺ بالتوجه إلى العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب / ١٩٤٩م/ وهو إبن فضيلة الشيخ الكبير حسنين الحصافى الشاذلى/ المتوفى عام ١٩١٠م.

فأخذ "الخلافة الشاذلية" كسلاح له فى المجتمعات وحجة على من يعترض طريقته فى الإرشاد والدعوة إلى الله تعالى، وقد تتلمذ عليه، وأخذ عهد الخلافة منه الشيخ عبد الجليل قاسم، صاحب كتاب المنار الهادى، فى سيرة الشيخ الجليل كما أشرنا (٤).

---

(١) المصدر السابق - ص٧٤ ص٧٧ ومابعدها، كذلك الدكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية الحديثة ص٣٧٤ - ص٣٧٥ .. عبد الجليل قاسم المنار الهادى - ص٥٦ ومابعدها.

(٢) يقول الشيخ عبد الجليل قاسم فى ذلك: إن هذه الزيارات لم تكن بالصورة الجسمانية، بل بالصورة الروحانية لأن الولى إذا وصل إلى مقام "البدلية" كانت لروحانيته القدرة على التشكل فى عدة صور روحانية على هيئة الصور الجسمانية راجع المنار الهادى - ص٩١ (الهامش).

(٣) تحدثنا بالتفصيل عن مقام "الأبدال" فى دائرة الحكومة الباطنية عند الصوفية فيما سبق.

(٤) نظرنا: عبد الجليل قاسم - المنار الهادى ص١٠٩ - كذلك دكتور عبد الحليم محمود - المدرسة الشاذلية الحديثة - ص٣٧٥.

وأصول طريقته وأساسها "الطريقة الشاذلية" وله أوراد يقرؤها يومياً نذكر منها مايلي:

قوله "أستغفر الله "مائة مرة" اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً بقدر عظمة ذاتك فى كل وقت وحين "مائة مرة" .

وقوله رضى الله عنه "لاإله إلا الله" مائة مرة، سيدنا محمد رسول الله ص "مائة مرة" [١].

كذلك كان الشيخ عبد الفتاح القاضى - يتلو أوراد أخرى لمشايخ الطريق الشاذلى، مثل "سفينة النجاة" للشيخ أحمد بن زروق الشاذلى المتوفى ٨٩٩ هـ، والمسبعات وأحزاب الإمام الشاذلى الكثيرة، ويحدد الأسماء التى يجب على المريد ترديدها وسلوكها فى بدايته مثل:

"لاإله إلا الله - الله - هو - حى - واحد - عزيز - ودود"

وهذه هى الأصول :

أما الفـروع :

"حق - قهار - قيوم - وهاب - مهيمن - باسط"

إذ يقرأ المريد إسم كل مائة مرة، على مدى الأيام حسب قدرته وفراغه، ولاينتقل من إسم إلى آخر قبل تمام العدد، إلا إذا رأى رؤيا وعرضها على شيخه، ووجد منها الإنتقال نقله، وإلا فليتم العدد [٢].

وجدير بالذكر أن الشيخ وأحزابه، وإستغاثاته، وصلواته متضمنة فى كتاب "كنوز الأسرار" [٣].

هذه نبذة مختصرة عن هذا الشيخ الجليل بالإضافة إلى ماسبق من مشايخ الشاذلية إذ يتضح لنامدى إنتشار هذه الطريقة منذ الإمام أبى الحسن الشاذلى حتى العصر الحديث، وماكان للشاذلى من تأثير روحانى وفيض صمدانى حتى الآن [٤].

---

(١) المصدر السابق - ص١٤٥، دكتور عبد الحليم محمود نفس المصدر - ص٣٧٩ .

(٢) راجع المنار الهادى - ص١٢٩، ص١٤٣ .

(٣) قام الشيخ عبد الجليل قاسم بتفسير معانى كنوز الأسرار وتوضيحها - راجع ص٦٩٤ وما بعدها.

(٤) لمزيد من الدراسة: أحمد حامد عبد الكريم الشاذلى - أبو الحسن الشاذلى "الفيض الصمدى والمشرب المحمدى" ط مكتبة الجمهورية بمصر ١٩٧٧م .



الفصل الرابع

الطريقة الأحمدية - والطريقة البرهامية

دراسة تطبيقية مع إبراز أهم الفروع

فى العصر الحديث

تمهيد : -

سبق أن تناولنا السيد أحمد البدوى وطريقته الصوفية بالدراسة والتحليل، وتعرضنا لدراسة جوانب كثيرة من هذه الشخصية الصوفية الكبيرة التى ملئت أسماعها أرجاء العالم الإسلامى إنتشاراً قوياً بجميع البلدان والقرى منذ القرن السادس الهجرى حتى العصر الحديث، ولانريد هنا أن نسهب فى ذلك، غير أنه قد إتضح لنا من خلال البحث الميدانى، والدراسة التركيبية للطرق الصوفية المنتشرة الآن، كثير من الأمور التى ربما لم يتعرض لها باحث من قبل بالتحليل والتركيب العلمى، ومن هذه الأمور التى نريد أن نتعرض لها إكتمالاً لمجال البحث، بعض فروع الطريقة الصوفية البدوية، بالإضافة إلى نماذج من كبار شخصياتها فى العصور المتأخرة من كرامات وخوارق، ربما لم يدعيها السيد أحمد البدوى/ ٦٧٥/ هـ فى حياته، بل لجأ أصحاب الطريقة وأدعيائها إلى نسبتها إليه لأغراض فى نفوسهم أو خدمة لمصالحهم الخاصة .

ونحاول هنا أن نعطى مزيداً من التحليل لهذه الأحوال والمسائل، بالإضافة إلى إبراز الجوانب الأصلية عند أهم فروع الطريقة فى العصور المتأخرة أو العصر الحديث.

أولاً: - إفترات فى الكرامات: -

للأنبياء والرسل معجزات، وخوارق وكرامات يجريها الله تعالى على أيديهم ويؤيدهم بها، لكى تكون حجة ودليل على صدق رسائلهم ونبواتهم، فقد إختص الله تعلى أنبيائه ورسله بهذه المعجزات والخوارق دون غيرهم من سائر البشر إذ جعل لكل نبى ورسول معجزة تتناسب مع عصره وطبيعة رسالته إلى قومه فاختص موسى عليه السلام بمعجزة "العصا" (١) وعيسى عليه

---

(١) كما جاء فى قوله مخاطباً فرعون: بقوله تعالى "قال أولو جئتك بشئ مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين" سورة الشعراء آيات ٣٠، ٣١، ٣٢ .

السلام بمعجزة إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى[1] وإختص يوسف عليه السلام بتأويل الأحاديث[2] أما سيدنا محمد ﷺ، فقد أجرى الله تعالى على يديه معجزات كثيرة شاهدها معاصروه من الصحابة، وصدقوه درن إنكاره أما معجزة الرسول الكبرى هى القرآن الكريم[3] ووردت أخبار ذلك فى كتب الصحاح وكما اصطفى الله تعالى من عباده رسلاً وأنبياء وإختصهم بعنايته، وكلفهم برسالاته فالله تعالى لم يمنع عباده الصالحين المخلصين المؤمنين من فيضه، وأنواره ومعارفه حيث أن المدد الإلهى سارى فى أرجاء الكون كله تتلقاه كل نفس صافية أو روح خالصة أو قلب مؤمن خالص .

والله تعالى وصف هؤلاء العباد ، بأوليائه، لقوله تعالى "ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون" سورة يونس آية (٦٢) .

وفى الحديث القدسى الشريف "من عاد لى ولياً فقد آذنته بالحرب ولايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت مسعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها" إلى آخر الحديث[4].

وعلى ذلك فإن ولى الله تعالى، هو من حسن إيمانه، وصدقت نيته مع الله تعالى، وخلت سريرته. وقد تحدث السيد أحمد البدوى عن صفات الولى وهى أن يكون عارفاً بالله تعالى

---

(١) كما جاء فى قوله تعالى "وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموت بإذن الله" سورة آل عمران آية (٤٩) .

(٢) كما جاء فى قوله تعالى "وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون" سورة يوسف آية (٢١) .

(٣) نذكر من ذلك معجزات الرسول ﷺ مثل: إنشقاق القمر وتسبيح الحصا فى كفه، وإتيان الشجرة إليه وجنين الجزع إليه وإخباره بماكان ومايكون، وإتيانه بالكتاب العزيز، وتكثير الطعام والشراب - إلخ هذا بعض ماورد فى كتاب صحاح الأحاديث عن البخارى ومسلم والترمذى، ورويت بأسانيد صحيحة عن كبار الصحابة والتابعين - إبن تيمية - الفرقان ص١٢٩. ص١٣٠.

(٤) هذا الحديث روى بأسانيد كثيرة، وهو صحيح الإسناد رواه البخارى عن أبى هريرة، نظرنا - فى ذلك : عبد الرؤف المناوى - الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية - ص٣٦ .

مراعياً لأوامره لايترك مما أمره الله به، ولايؤخره عن وقته ولايؤديه ناقصاً، وأن يكون متمسكاً بسنة النبى عليه الصلاة والسلام ولايترك سنة من سننه ولاصلاة مفروضة، وأن يكون دائم الصلاة وراضياً عن الله فى كل حال موقناً بما وعده وأن يتحمل أذى الناس فى سبيل الله تعالى، شغوفاً على عباده، غير ملتفت إلى مافى أيدى الناس، زاهداً عابداً متعبداً وهكذا، فإن هذه علامات الإخلاص والولاية، وبه يتجلى الله تعالى على عباده وأوليائه بفيضه ومعارفه، وقد يجرى على أيديهم كرامات، لكن لايدعيها الولى لنفسه، ولايعتد بها ولايقف الإنسان عندها لأنها تصدر من الله تعالى لتأييد الولى وهى سر بين العبد وربه .. ولاشك أن أئمة السنة إعترفوا بوقوع الكرامات من الأولياء وأنها فعل الله تعالى على خلاف مجرى العادة ليعرف اللعبد ثمرة الطاعة وتزداد بصيرته بصحة دينه" .

ولاتقارن الكرامة بالمعجزة التى يجريها الله تعالى على النبى والرسول، وإذا كان الولى فإنه يكون مدع النبوة، هذا كفر(١).

ونذكر ذلك بمناسبة ماشاع عن مشايخ الطرق الصوفية، وأوليائهم أحياء وأموات وعن كراماتهم التى تضاهى أو تفوق المعجزات والخوارق .

ومن المؤسف حقاً أن مثل هذه الإفتراءات شائعة ومتداولة فى كتب أصحاب الطبقات الصوفية ومشايخهم حتى الآن .

وقد نتعجب مما ذكره الشعرانى/ ٩٧٣ هـ فى طبقاته الكبرى عن كرامات الأولياء ودراويش الطرق الصوفية بما لايصدقه عقل، ولايعقله القلب، وقد حكاها الشعرانى وغيره من الصوفية الساذجين(٢) ونحن لانقر الصوفية وأدعيائهم على مايذهبون إليه بإدعاء الكرامات وإحداث الخوارق والمعجزات على أيدى شيوخهم أحياءً وأمواتاً(٣).

---

(١) الإمام نورالدين الصابونى - كتاب البادية من الكفاية فى الهداية ص٩٨ .

(٢) راجع الشعرانى - الطبقات الكبرى جـ١، جـ٢ - كذلك نورالدين الحلبى - النصيحة العلوية أماكن متفرقة .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع دكتور- توفيق الطويل التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ص١٠٥ -ص١٩٩ .

وكتب الطبقات، والرواه من الصوفية المتأخرين مليئة بحشود هائلة من الأساطير والفلكلوريات التى تنسب إلى أولياء الطريقة وقد إنتقدنا ذلك فيما سبق[1] إذ بين الشيخ أحمد حجاب المتوفى عام ١٩٧٨م - أحد الصوفية المخلصين فى الطريقة الأحمدية البدوية، إفتراءات الكثيرين من الناس وأدعياء التصوف والدروشة قديماً وفى العصر الحديث وإنتحالهم لصفات الولاية، وإحداث الكرامات على أيديهم من قبل مشايخهم أو إدعائهم بإنتساب كرامات وخوارق لأوليائهم، كذباً وإفتراء على كبار مشايخ التصوف .

يقول فى تبرئة السيد أحمد البدوى ممانسبه إليه الوضاعون من خرافات وخيالات وأساطير "أخذ الوضاعون يجمعون فى كتبهم من الخرافات كل ساقطة ويحشون فيها من كلمات العجائز كل شائنة، ويروونها للناس كأنها مقاطع اليقين، ومالسيد البدوى ولعجوز شمطاء فهمت بجهلها أو قالت على حسب ظنها، أن زيارة سيدى أحمد البدوى سبع مرات تعدل حجة مقبولة، أو تعدل سبع حجات متقبلات" .

"وماله رضى الله عنه ولكذاب وضاع إفترى على الله قوله، الملك ملكى وصرفت فيه أحمد البدوى" ،وقال عنه أنه حديث قدسى. "فهل يليق برجل عاقل أن يتصيد هذا الكلام وأمثاله من أفواه العجائز، وأقوال الوضاعين" .

ويرى الشيخ أحمد حجاب رضى الله عنه، إنه لايجب الإعتقاد فى مثل مايروى أو ينسب خطأ إلى السيد أحمد البدوى من خرافات وأقاويل غير صحيحة، ومن يعتقد فيما ينسب إليه فإنه يكون جاهلاً أو معتوها؟[2].

لقد إمتلئت كتب المناقب بكرامات لاتحصى ولاتعد حول شخصية هذا الصوفى الكبير، وهو شخصية واقعية وليست أسطورية كما صورها الأتباع والمنتفعين، الذين أضافوا كرامات غريبة، بل أن بعض الأدعياء نسب إليه القدرة على الخوارق كإحياء الموتى وهكذا [3].

ومن ذلك مانجده مبثوثاً فى بطون الكتب والطبقات إذ ينقل كل منهما عن الآخر، فصاحب النصيحة العلوية ينقل عن الشعرانى، والشعرانى ينقل ويصور ماكان سائداً فى عصره

---

(١) إنظر الباب الأول (الفصل الثانى) من هذا البحث .

(٢) الشيخ أحمد حجاب - العظة والإعتبار - ص٣١ .

(٣) الدكتور عامر النجار - الطرق الصورفية فى مصر - ص١٠٩ .

من خيالات وأساطير الرواة والقصاصين عن خوارق وكرامات السيد البدوى ومن ذلك ماذهب إليه صاحب النصيحة العلوية "أن سيدى عبد المجيد أخا سيدى عبد العال إشتاق يوماً لرؤية وجه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه، فإنه كان لايرى إلا عيناه لوجود اللثامين، فقال له سيد أحمد، ياعبد المجيد كل نظرة منا برجل، فقال ياسيدى رضيت، فكشف سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه اللثمين، فخر عبد المجيد ميتاً، قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى كذا أخبرنى به الشيخ محمد الشناوى (١).

وقصة أخرى، شائعة بين عوام الناس حتى الآن، بل قد نسمعها بين الحين والآخر، أثناء زيارتنا لمولده وهى قصة إعتراض علماء عصره عليه، ومنهم شيخ الإسلام وقاضى القضاه بالديار المصرية تقى الدين بن دقيق العبد ت عام ٧٠٢/ هـ فقال له السيد أحمد البدوى تأدب وإلا أطير دقيقك، ودفعه دفعة لطيفة فلم يشعر بنفسه إلا وهو فى جزيرة واسعة فى الفضاء "يقال أنها "جبل قاف"، ثم تروى القصة أن أحد الرجال وهو الخضر عليه السلام تشفع له عند البدوى فرجع إليه علمه ورجع إلى داره بمصر" (٢) هذه قصة من الأقاصيص التى تروى بإختصار.

ومثل هذه الإفتراءات وغيرها مماوجد فى كتب السابقين منها الكثير، ولم تجد رواجاً بين العلماء والمفكرين فى العصور الحديثة ويعلق على ذلك بعض المفكرين المحدثين، إذ يذهب الدكتور سعيد عاشور، فى تحليل هذه الظاهرة وبيان الأسباب الكامنة فى رواجها بين العامة والأدعياء من الدراويش فيقول "إن الكتابات التى دونت عن السيد البدوى وحياته، يرجع معظمها إلى العصر العثمانى، وهو عصر يوصف بالجمود والتأخر وإنتشار الجهل وهذا ماظهر فى دوائر التصوف فى ذلك العصر، فأضح التصوف عندئذ أداة لكسب العيش من أهون الطرق، إذ إحترفه أدعياء الجهل المطبق المحيط بهم فى التلاعب بعقول الناس ومشاعرهم، وكان من المستحيل على كتاب سيرة السيد أحمد البدوى أو غيره أن يدونوا سيرته خالية من تلك الروح التى سادت عصورهم، فقد كانوا يكتبون لأناس يعيشون حولهم ويقومون الأولياء بمقدار

---

(١) نور الدين الحلبى - النصيحة العلوية - ص٥٤، كذلك الشعرانى الطبقات الكبرى - حـ٢ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص٥١، ص٥٢.

مايتهيأ لهم من كرامات، ومايتحقق على أيديهم من معجزات فى حياتهم أو بعد مماتهم[1] هكذا جاءت كتب السابقين محشوة بالقصص والأساطير التى تصورها عامة الناس وأدعياء الطرق الصوفية، كرامات ومعجزات .

ثانياً: نماذج تطبيقية لفروع الطريقة الأحمدية: -

تفرعت الطريقة إلى مايقرب من عشرين فرعاً[2] لكن ظهر من خلال البحث الميدانى التركيبى بعض الفروع التى لها تأثير واضح وشائع فى العصور المتأخرة وحتى العصر الحديث وسوف نختار ثلاثة فروع، مماهو متاح لنا الآن حتى نتعرف على المدد المتصل لهذه الطريقة فى العصر الحديث.

١ - الشناويـة :

وهى فرع من فروع الطريقة الأحمدية البدوية فى القرن العاشر الهجرى، وتنسب للشيخ محمد الشناوى المتوفى عام/ ٩٣٢/ هـ. وقد خصه كتاب الطبقات ومؤرخوا التصوف بالترجمة، فذكر عنه الشعرانى فى طبقاته الكبرى، فقال عنه "كان رضى الله عنه من الأولياء الراسخين فى العلم، ومن أهل الإنصاف والأدب فى أولاد الفقراء، وفقد ذلك كله بعد الشناوى، ومن أقواله "مادخلت على فقير إلا وأنظر لنفسه دونه، وما إمتحنت قط فقيراً" كان رضى الله عنه قائماً على قضاء حوائج الناس ليلاً ونهاراً. وكان رضى الله عنه يرتب مجالس الذكر ببلاد الغربية، ويلقن الذكر للرجال والنساء والأطفال، ويقول، لقد أشعلنا نار التوحيد فى هذه الأقطار فلا تنطفئ إلى يوم القيامة" [3] .

---

(١) الدكتور سعيد عاشور السيد البدوى شيخ وطريقة - ص٦ ومابعدها، ط دار الكتاب العربى، ١٩٦٧م . عامر النجار - الطريقة الصوفية - ص١٠٩ .

(٢) ذكرنا فى الفصل الخاص بالسيد أحمد البدوى وطريقته هذه الفروع وهى: المرازقة، والكناسية، والأنيابية، والمنايفة، والسلامية، والحمودية، والحلبية، والزاهدية، والشعيبية، والنسقانية، والفرغانية، والسطوحية، والشناوية والبيومية، والإمبابية، يضاف إلى ذلك الطريقة الخليلية، وهى طريقة جديدة فى العصر الحديث .

(٣) الشعرانى - الطبقات الكبرى - جـ٢ - ص١٢٠ .

والشيخ محمد الشناوى، من أكبر المخلصين فى الطريق الصوفى" وهذا مايبدوا من خلال تمسكه بمراسم الطريقة ومظاهرها وقراءة أحزابها وصلواتها، بل وينسب إلى الشيخ محمد الشناوى وضع بعض الصلوات، أو صياغتها مماهو وارد عن السيد أحمد البدوى شيخ الطريقة، هذا ما أشار إليه الشيخ محمد القاوقجى الشاذلى المتأخر بقوله "وبالجملة، فإن صيغة الصلاة المشهورة، إتصالها إلى سيدى محمد الشناوى صحيح ومنه إلى السيد البدوى لم تعلم الكيفية، وقال الشيخ محمد البهى الأحمدى المتوفى عام ١٢٦٠ هـ معلقاً على ذلك، وليس لنا البحث عن ذلك، فإن سيدى محمد الشناوى حجة عدل وولى كامل" (١).

ويصف الشعرانى طريقته فى تربية المريدين فيقول "كان سيدى محمد الشناوى ت عام/ ٩٣٢ هـ أكثر تربية بالنظر، ينظر إلى قاطع الطريق وهو مار عليه فيتبعه فى الحال" .

وكان رضى الله عنه إذا إفتتح المجلس بعد العشاء لايختمه فى الغالب إلا الفجر، فإذا صلى الفجر إفتتح إلى صحوة النهار ويقول الشيخ محمد السنجيدى (٢).

"كان إذا زارنا الشيخ الشناوى بناحية الحصتو لانرجع إلا ضعافاً من كثرة السهر فى الذكر وتلاوة القرآن" .

ويضاف إلى ذلك، أن للشيخ فضل كبير فى إصلاح الطرق الصوفية حيث أبطل كثير من البدع التى كانت الناس تطلع بها فى مولد السيد البدوى، مثل إستعمال الدف والمزمار أو النقر على الطبول، ثم جعل الذكر عوضاً عن هذا كله، كذلك كان يفتتح الذكر من نواحى قحافة (٣) ويجتمع عليه خلائق كثيرة ويسير بهم حتى يدخل مسجد السيد البدوى" (٤).

---

(١) الدكتور عبد الحليم محمود - أقطاب التصوف "السيد أحمد البدوى" - ص ١١٠ .

(٢) هى أحد أتباع مريدى الشيخ محمد الشناوى والطريقة الأحمدية البدوية فى القرن العاشر الهجرى، فى ناحية "حصة شبشير" من أعمال محافظة الغربية تقع على طريق المحلة الكبرى - طنطا . ذكرها على مبارك - الخطط التوفيقية - ج١٧ .

(٣) قحافة : قرية تقع بجوار مدينة طنطا يفصل بينها وبين مسجد السيد البدوى مسافة قليلة أما الآن فقد أصبحت إحدى ضواحى مدينة طنطا .

(٤) الشعرانى - الطبقات - ص١٢١ .

وقد إستطاع الشيخ الشناوى تربية المريدين وإصلاح السلوك فكان منهم الشيخ شهاب الدين السبكى، والشيخ عبد الرحمن المناوى، والشيخ أبو العباس الحريثى، والشعرانى، وهم من صوفية القرن العاشر الهجرى .

ومن الجدير بالذكر أن للشيخ محمد الشناوى ضريح يزار حتى الآن. ويقع بعزبة محلة روح بمحافظة الغربية[1].

وللطريقة الشناوية أتباع كثيرون منتشرون بالغربية، وتظهر بيارقهم وأعلامهم المميزة باللون الأحمر فى مولد السيد أحمد البدوى[2] .

٢ - البيومية :

طريقة دينية (صوفية)، صاحبها الشيخ علي بن حجازى بن محمد البيومى الشافعى المتوفى عام ١١٨٣ هـ /١٧٦٩ م مصرى أصيل، ظهرت ميوله الصوفية مبكرة وأصيلة، أنخرط فى سلك الطريقة "الخلوتية" ثم تحول عنها إلى الطريقة "الأحمدية"، وظل يترقى فى مدارج التصوف حتى كثر أتباعه ومريدوه، وإنتشروا فى كافة قرى مصر، وصعيدها ، وقد ذاعت شهرته حتى بلغت أسماع وجوه القوم فأتصلوا به وأقروا له بالفضل[3].

وتذكر مصادر أخرى، أن السيد على البيومى كان من أتباع الطريقة القادرية، ثم أنخرط فى الطريقة الأحمدية البدوية، وقد جدد شعائر البدوية، وبعث فيها الحياه، وجعلها أكثر صرامة، وذلك بفرض طقوس مشددة . كماأن زوايا البيومية منتشرة فى بلاد العرب منها فى وادى الفرات (بالعراق) وبلاد السند وغيرها.[4]

---

(١) الشعرانى - المصدر السابق - ص٢١، وذكرها على مبارك - الخطط التوفيقية ص١٧ .

(٢) ظهر للباحث خلال زيارته الميدانية، أن للشناوية خيام وبيارق حمراء ، حيث توجد حول مسجد السيد البدوى فى مناسبات المولد فى شهر أكتوبر من كل عام ومنها ماهو مكتوب عليه : الطريقة الأحمدية الشناويه - سعيد الشناوى الشافعى بالمحلة الكبرى" ... ألخ.

(٣) دكتور محمد كمال جعفر - سيدى على البيومى"مقال منشور بكتاب اعلام الفكر الإنسانى" ص١٢٠٧.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية - جـ٩ - ص٧٥، ص٧٦

ومن الجدير بالذكر. أن صاحب هذه الطريقة، وضع أصولاً جديدة وطقوساً مشددة، يلتزم بها ويزاولها كل من دخل فيها بدقة شديدة، ومن ذلك مايحدث فى الذكر، ويتلخص ذلك فى قول أصحاب الطريقة "ياالله" بصيحات مرتفعة وتوكيد، مع إحناء رؤسهم، وضم أيديهم على صدورهم، وهم يتبعون ذلك برفع رؤسهم والتصفيق بأيديهم. (١) .

ومن سمات الطريقة البيومية ،هى مخاطبتها لأفقر الطبقات، وقطاع الطرق خاصة وقد تطهر كثير من هؤلاء على أيدى السيد على البيومى، وصاروا من أتباعه، وكانوا يظهرون حوله ومعه بالطرقات وقد كان البيومى يتميز بالجمود الشديد أثناء مزاولة الذكر، بالإضافة إلى هياجه وتصفيقه، ولذلك فقد حاول بعض علماء الأزهر فى عصره أن يمنعوه من مزاولة الذكر بالمشهد الحسينى كل ثلاثاء من كل أسبوع، ولكن الشيخ الشيرازى ت عام /١١٧٢هـ/ حال دون ذلك(٢) ومن آثار الشيخ على البيومى، رسالتين عن "الدمرداشيه والبيوميه"، وشرح للإنسان الكامل الجيلى، وشرح الجامع الصغير للإمام السيوطى، وشرح على الأربعين النوويه، وهذا يدل على أن الشيخ على البيومى، كان على دراية قوية بعلوم الحديث، والعلوم الدينية الأخرى(٣) .

وللبيومية أحزاب وأوراد، من وضع شيخها السيد على البيومى تشمل على قراءة الفاتحة، مرة، وسورة الإخلاص ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات، ربنا لاتؤخذنا إلى آخر السورة الكريمة ثلاث، ثم آية الكرسى .. إلى آخر الحزب، ثم يختم بدعوات وصلوات على النبى ﷺ مثل قوله "اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين(٤).

---

(١) المصدر السابق - ص٧٦ - ظهر للباحث ذلك خلال زياراته ومشاهداته لحلقات الذكر البيبومى.

(٢) نفس المصدر السابق - ص٧٦، كذلك راجع الجبرتى - حـ١ ص٣٣٧ - ص٣٣٨ - ط لجنة البيان - القاهرة ١٩٦٤م .

(٣) نفس المصدر - ص٧٦ .

(٤) هذه الأحزاب والأوراد والصلوات - منشورة ضمن كتاب مجموعة الأوراد ص١٠٤ - ١٠٩ - ط مكتبة إبراهيم تاج بطنطا .

وللبيومية أعلام وبيارق وإشارات باللون الأحمر كدليل على أنها فرع من الطريقة الأحمدية البدوية، وهذا مالاحظه الباحث فى زيارته الميدانية بمناسبة المولد الأحمدى بطنطا وللسادة البيومية خيام مضروبة حول المسجد الأحمدى مكتوب عليها "السادة البيومية أولاد الشيخ محمد أبو قنديل الصغير" وهكذا .

كذلك فى جلسة مع مشايخ الطريقة ومريديها وجد الباحث أنهم يرتدون إشارات حمراء اللون، وعمائم بين اللون الأبيض والأحمر .

٣ - الخليليــــة :

تمهيــد: ظهرت طريقة جديدة من فروع الطرق الصوفية كإمتداد حقيقى للطريقة البيومية، والتى تستمد جذورها الروحية الحقيقية من الطريقة الأحمدية البدوية وهى نوع أصيل من فروع الطرق الصوفية فى العصر الحديث، إذ يغلب على مراسمها، وشعائرها الطابع السنى المعتدل، وهى بحق بعيدة كل البعد عما يسمى بنواحى الدروشة والإدعاء التصوفى .

وهذه الطريقة، التى نحن بصدد دراستها، وتحليل أصولها هى "الطريقة الخليلية"، فقد عايشها الباحث عن قرب، وإختـلط بشيوخهـا ومريديها، وإستمع لأحاديث كثيرة من أقطابها المعاصرين، وهى أحاديث، تفيض بالمعانى والأذواق الروحية والأحوال القلبية، قوامها إصلاح النفوس، وتزكية القلوب، فضلاً عن إمتحان السلوك تمهيداً لتصفية النفوس، وتحلية القلوب بالمعانى للوصول بالأشواق الجميلة، إلى رحاب الحضرة الإلهية، بمعراج الصلاة الدائمة على خير البرية سيدنا محمد ﷺ ، وإلتزام شريعته وسنته الشريفة .

والطريقة الخليلية فى جوهرها لاتختلف كثيراً عن سائر الطرق الصوفية الأصلية، فهى فرع من الطريقة الأحمدية البدوية، إحدى الطرق الصوفية الكبيرة فى العصور المتأخرة، وتقوم على أصول من الكتاب والسنة، والإقتداء بالسلف الصالح فضلاً عن ترديد مجموعة من الأحزاب والأوراد والدعوات، التى وضعها الشيخ العارف بالله تعالى محمد أبو خليل المتوفى عام/ ١٩٢٠م بما فتح الله عليه، وأفاض إليه من معانى وإشراقات نورانية، .

ولقد وجد الباحث أن البحث فى الطريقة مايثرى جوانب البحث العلمى، فضلاً عن توافر، المصادر الأصلية .

أ - شيخ الطريقة ومكانته فى عصره: -

وفى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى، ظهر شيخ الطريقة الخليلية وهو العارف بالله تعالى السيد محمد أبو الخليل، المتوفى عام/ ١٣٣٨ هـ/ ١٩٢٠م/ ظهر رضى الله عنه فى فترة كاد الحق فيها يطمس بين أمة منصرفة عن الطاعة إلى اللهو واللعب والفسوق، والعصيان، وتقليد أهل الزيغ والبهتان .

يقول المترجمون لتاريخ حياته وسيرته "أنه رضى الله عنه من أسرة عربية شريفة تمتد إلى سلسلة النسب النبوى الشريف، إذ ينتهى نسبه إلى مولانا الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وأنه رضى الله عنه ولد بقرية "القضابة" (١) من أعمـال مديرية الغربية، ثم إنتقل مع أسرته إلى "كفر النحـال"(٢) وفيها نشأ رضى الله عنه، فشب على الطاعة، والعبادة والتقوى حتى إنتقل والديه إلى رحمة الله تعالى، فاشتغل بالتجارة، مع إشتغاله بالعبادة(٣) وقد كان الناس والتجار يتعلمون منه الصدق والأمانة، فضلاً عما كان يبدو وعليه من سمات الصلاح والتقوى، والتزام بالشريعة وأداء الفرائض (٤).

وقد أخذ الشيخ محمد أبو خليل، طريق سيدى على البيومى/ ١١٨٣ هـ/، شيخ الطريقة البيومية الأحمدية عن الشيخ شناوى يوسف، إذ كان من أكبر السالكين والمسلكين، وكان الشيخ أبو خليل يداوم على مجالس الذكر، والحضرات بين يديه، فكان يرى فيه نجابة الأولياء، وصفاء الأتقياء، وعمل النجباء، إذ ظهرت له أحوالٌ خارقة، فكان يجليه ويحترمه من بين إخوانه .

---

(١) قرية القضابة : تقع فى محافظة الغربية مركز بسيون - على مبارك الخطط حـ١٦ .

(٢) كفر النحال : من ضواحى مدينة الزقازيق محافظة الشرقية، وفيها قبر الشيخ محمد أبو خليل وأولاده، حيث دفن بمسجده وهو ظاهر يزار حتى الآن ويقام له مولد كإحتفال بذكرى مولده كل عام

(٣) إن لذلك مغزى، وهو أن مشايخ الطرق الصوفية المخلصين لايعيشون عالة على غيرهم، بل كانوا يتكسبون عيشهم بعرقهم من طريق حلال دون سؤال الناس .

(٤) الشيخ عبد السلام الحلوانى - السيرة الخليلية "وأصول طريق السادة الصوفية وآدابهم وأخلاقهم" - ص٤٣ - ص٤٩ المطبعة الوطنية بالمنصورة - ١٣٣٩ هـ كذلك وردت ترجمة كاملة لسيرة الشيخ أبو خليل وحياته بكتاب - المناقب الخليلية للزستاذ محمد لطفى خشبة. وهو كتاب مطبوع أخذ عنه الكثيرون من الدارسين والصوفية المهتمين بالسيرة الخليلية فى العصر الحديث .

ويضيف المترجمون لسيرته، أن الشيخ أبو خليل رضى الله عنه، كان حاله الذكر الدائم، فى الليل والنهار حتى وهو يشتغل بالتجارة، إذ كان يقوم الليل فى المسجد يذكر الله تعالى، وحينما يجد النوم قد غلبه يقوم فيتوضأ ويصلى فيتهجد، كان يتعبد فى الليل بعيداً عن الناس، ثم يرجع فى النهار إلى تجارته ومباشرة أعماله (١).

أما عن أحواله وأخلاقه، وخلواته، فقد كانت أخلاقه كلها أخلاقاً محمدية فطرية فيه لايتكلفها، لقد بلغ المائة عام من العمر، ولم تفتر عزيمته وقوته، وليس له هم سوى الطريق، وجمع شتات القلوب إلى الله تعالى والسهر والذكر، والتهجد .

كان الشيخ رضى الله عنه، شديد الحياء من الله تعالى، فإذا جلس يجلس مستوياً متأدباً، وكان أشد الناس تواضعاً، وأمسكنهم من غير كبر، وأحسنهم بشراً لايهوله شئ من أمر الدنيا، وكان غاية فى الزهد، والورع، والكرم، وكان أعدل الناس، وأعفهم، يكره أن يمس يد إمرأة لايملك عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم عنه .

كان رضى الله عنه يلبس المرقوع، وكان يلبس ماوجد فمرة يلبس قفطاناً وجيه، أو جلباباً، وقفطاناً من صوف، أو يلبس عقالاً وعباءة بيضاء، ويتعمم على طربوش أبيض أو طاقية صوف بيضاء، ومرة على طربوش أحمر. وقد كان الغالب عليه أن يتعمم بالعمامة الحمراء، ويلبس جلباباً من صوف الغنم أحمر، وكذلك عباءة حمراء ... وهكذا (٢).

وهذه الأزياء - تعبر عن إشارات السادة البيومية، وهى مستمدة من إشارات وعلامات الطريقة الأحمدية البدوية .

ولذلك كان الشيخ أبو خليل يقول، عندما سئل ذات مرة عن مداومته إرتداء الملابس والعمامة الحمراء "كان سيدى على البيومى يلبس كذا، وكذا، وكان يلبس العمامة الحمراء، وها قد ألبسونى كما كان يلبس" .

ومن أخلاقه رضى الله عنه: أنه يخدم أهله، وكان يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة، وكان لايحقر مسكيناً لفقره ورثاثه ولايهاب عظيماً لسطوته، ويدعو هذا وهذا إلى الله تعالى دعوة واحدة، فكان لايقوم ولايجلس إلا على ذكر الله عز وجل .

---

(١) لمزيد من التفاصيل - المصدر السابق - ص٤٨ ومابعدها، ولاشك أن هذه الأمور من أحوال الصالحين والأتقياء المتوكلين على الله تعالى فى طلب الرزق بالعمل .

(٢) نفس المصدر - ص٥٩ - ص٦٠ .

يضاف إلى ذلك، ماإتصف به من آداب مع أتباعه ومريديه، فقد كان يصل رحمه، ولايجفو أحداً ولو فعل معه مايوجب الجفاء، كان إذا جلس بين أصحابه يجلس كأنه أحدهم، وكان إذا وعظ أو تكلم لايواجه أحداً بمكروه، ولايتعرض لأحد معين، كان من آدابه المباسطة مع أصحابه، ويقابلهم بالرفق، ويدلهم على طريق الخير ... وهكذا [(١)].

ومن خلال إستقراء سيرة الشيخ وحياته، يتضح أنه كان عـالى الهمة، كبير القدر، يتخلق بأخلاق الصالحين، ولاتفتر همته عن مراقبة الله تعالى، ولذلك كانت دعوته إلى الله تعالى مقبولة عند علماء العاملين، وكانت هذه الدعوة مباركة إنتفع بها المتعلمين والعمال والمزارعين على حد سواء [(٢)].

إن طريقة الشيخ محمد أبو خليل، وجدت قبولاً لدى العامة والمثقفين والعلماء، ممايدل على إنتشارها فى أرجاء كثيرة من المدن والقرى المصرية فى العصر الحاضر، وكذلك، فقد إمتدحه علماء عصره، وأشادوا به، ومن ذلك ماذكره الشيخ العلامة عبد الله دراز، وكيل مشيخة علماء الأسكندرية فى عصره فى حق شيخ الطريقة الخليلية إذ قال "أسعدنى الحظ بإطلاعى على نبذة من السيرة الخليلية تأليف الشيخ الكامل عبد السلام الحلوانى، فرع دوحة المعارف الباسقة، وثمرة روضة الفضل الموفقة، فوجدت شذرة من شذرات آداب الطريقة (الخليلية)، ودرجة من سلم الحقيقة، التى دعا إليها صاحب الشرع الشريف" [(٣)].

كذلك ماذكره الشيخ محمد خلف الحسينى الشهير بالحداد، أن السيرة الخليلية حوت أصول السادة الصوفية، بما جمعت من آيات الكتاب والأحاديث الشريفة، وكرامات قدوتنا وشيخنا الحاج محمد أبو خليل، نفعنا الله ببركاته، وأحللنا معه فسيح جناته" .

كما ذكر الشيخ عبد الرحمن الخضرى عن شيخ الطريقة أنه "علم الهداية، وجبل العلم والولاية، مربى المريدين، وناشر سنة المرسلين، وهو الغـوث الأكبر، والكنز الأفخم سيدنا ومولانا محمد أبو خليل، الداعى إلى الله تعالى، المتقلد لأصول طريق السادة الصوفية" .

---

(١) لمزيد من التفاصيل – المصدر السابق – ص٦١ وما بعدها .

(٢) الشيخ محمد أبو خليل (الصغير) – كتاب المربى – "سيرة ومناقب العارف الربانى الشيخ محمد أبو خليل وسموه الروحى" ص٢١٥ ومابعدها – ط القاهرة – ١٩٧٦م .

(٣) الشيخ عبد السلام الحلوانى – السيرة الخليلية – ص٢٩٤ – ص٢٩٥ – ص٢٩٦ – ٣٠١ .

وقال بعض المتقدمين فى عصره:

إمام له فى النصح خير طريقة | وأفضل إرشاد له مأمول
محمد يهدينا سنا نفحاته | خليل لكل السالكين زميل[1]

وقال آخر:

هو القطب مولانا وقائد جمعنا | أبو النور مولانا الخليل يدوم
محمد المملوء علماً وحكمة | وضئ المحبة والبهاء بسيم
أفاض علينا من هداه معارفاً | ونصحاً به نفس المريد تقوم[2]

ب - سلسلة الطريقة الخليلية وأصولها :

كان الشيخ محمد أبو خليل رضى الله عنه شيخ الطريقة على مذهب الإمام الشافعى فى الفقه وأصول الدين، وقد سلك طريق السادة الصوفية على طريق سيدى على البيومى فأخذ العهد والتلقين عن الشيخ شناوى يوسف، وهو أخذ عن الشيخ السنباوى وهو أخذ عن الشيخ على أبو كيلة، وهو عن الشيخ عبه الصغير، ثم عن الشيخ محمد الصغير ثم عن الشيخ يوسف الوقاد، ثم عن الشيخ بدوى المنجد، ثم عن صاحب المدد العالى العالم المربى، مرشد السالكين، وشيخ الطريقة والشريعة السيد على نور الدين البيومى الشافعى مذهباً، الأحمدى طريقة الحلبى الخلبى الشناوى، الدمرداش الخلوتى النقشبندى الشاذلى طريقة المتوفى سنة ١١٨٣هـ. وهو أخذ العهد الموصل لسيدى أحمد البدوى، عن طريق سلسلة كبار مشايخ الطريقة الأحمدية البدوية منهم الشيخ عبد الله السنجيدى[3] عن الشيخ عبد الله الشناوى عمر المناوى[4] عن الشيخ عبد الوهاب الجوهرى[5] عن الشيخ الكبير سيدى أحمد البدوى[6].

---

(١) لمزيد من الدراسة - المصدر السابق - ص٧، ص٨٥ .

(٢) نفس المصدر - ص٨٢ .

(٣) ذكره الشعرانى فى الطبقات الكبرى - حـ٢ ضمن مريدى الشيخ محمد الشناوى فى القرن العاشر الهجرى - ص١٢١ .

(٤) كذلك ذكرهما الشعرانى بالطبقات الكبرى - ص١٢١ .

(٥) ذكره نور الدين الحلبى - فى كتاب النصيحة العلوية - ص٣١٤ قال "ومنهم الشيخ عبد الوهاب الجوهرى - مدفنه بالجوهرية قرية بالقرب من محلة مرحوم" وهى تقع بمحافظة الغربية .

(٦) نظرنا فى ذلك: عبد السلام الحلوانى - السيرة الخليلية ص١٥١، ص١٥٢ .
كذلك الشيخ محمد أبور خليل الصغير - المربى - ص٢١٩ - ٢٢٠ .

ثم تمتد سلسلة الطريق حتى تصل إلى سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ . لقد درج شيخ الطريقة على منهج السالفين من مشايخ الطرق الصوفية وبصفة خاصة، الطريقة التى إستمدد مدده منها وهى الطريقة الأحمدية، لذلك نجده أقام طريقته على أسس من التقوى والإخلاص فى الله تعالى .

وعلى هذا أوضح المؤرخون لهذه الطريقة أصولها ومنهجها التى قامت عليه ومن ذلك ماأكده نجله العارف بالله تعالى الشيخ محمد محمد أبو خليل الصغير عليه رحمه الله تعالى فيذكر "أن الطريقة الخليلية تأسست على تقوى من لله تعالى ورضوانه، وإتباع الكتاب الكريم وسنة الرسول ﷺ، والإلتزام بالشرع الحنيف والتمسك به وذكر الله تعالى بكثرة العبادة، والتنسك، وهى طريقة تقوم أيضاً على صدق الإقتداء، وإتباع الشرع إذ أن الشرع "حجاب" يعنى أن الشرع عاصم من الوقوع فيما يغضب الله تعالى[1].

وقد أوضح شيخ الطريقة مفهوم التصوف، ومنهجه الصوفى فقال :

التصوف فى حسن إستقامتنا	على طريق الهدى والشرع ترعاه
التصوف فى ترك لمعصية	وطاعة الله أقوى ماورثناه
التصوف فى تطهير باطننا	من بعد ظاهر تطهير فعلناه

أما عن منهجه الصوفى - فيقول:

كان التصوف معروفاً منهاجه	تشدداً ثم تفريطاً وجدناه
التصوف لاجوع ولاسهر	لاخلوة لالباس رث نهواه
بل التصوف لاإفراط بجهدنا	ولايكون بتفريط رأيناه
بل إعتدال به إصلاح آخره	كذا وإصلاح دنيانا وعقباه[2]

هذه هى أبرز علامات الصوفى الكامل والمربى الفاضل،والسالك طريق الهدى إلى الله تعالى، بلاغلو أو إبتداع، فكم عرفنا فى ساحات التصوف وحلقاته من أمور الدروشة والإدعاء والمغالاة والإبتداع الذى قلل من فائدته وأهميته، بل أن أمثال هؤلاء الذين يبتدعون فى الطريق

---

(١) محمد أبو خليل الصغير - المربى - ص٢١٧ .

(٢) نفس المصدر السابق - ص١٠٠، ص١٠١ .

الصوفى كانوا وبالاً عليه، وكانت غايتهم الإرتزاق وتحقيق الأغراض وهذه الأمور الشائنة هى مانية إليها الرجال المخلصون من أئمة التصوف السنى المعتدل فى العصر الحديث.

وتعتبر الطريقة الخليلية، من الطرق المعتدلة، لما يظهر لنا بالأدلة والوثائق الأساسية. مدى الأخذ المباشر من معين القرآن الكريم والسنة الشريفة والإقتداء بأهل السنة والسلف الصالحين. والتذوق الباطنى لمعانى الإيمان الجميلة التى تمس شغاف القلوب، وتبث فيها جلال التقوى والعمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى. وقد عبر عن ذلك بعض مشايخ الطريقة الخليلية المعاصرين – فيذكرون "أن علامة داعى الحق أن يدعو الى الله تعالى على ماجاء به النبى ﷺ ، كما ورد فى كتاب الله تعالى والعمل به، فتنجذب له القلوب "ويصفون الشيخ الذى يجب الأخذ عنه ومصاحبته "بأن الذى فتح لعين قلبه أنوار المعارف الإلهية، يسبب تخلقه بالأخلاق المحمدية، وأن يكون كاملا عاملا سائرا علي الكتاب والسنة، فيزنه من يريد معاهدته بميزان الشرع قبل الأخذ عنه، ويشترط فى المربى، التقوى والكمال، ويكفيه من علوم الدنيا ماتمس اليه الحاجة فى طريق سيرة الى الله تعالى، فإن الله تعالي رزقه العلم والتمييز والفهم الدقيق"(١) .

ومن أصول الطريقة الخليلية أيضا، بالإضافة الى ماسبق، أخذ العهد، التزام الذكر والقيادة والفرائض وتلاوة الأوراد والأحزاب وإصلاح السلوك وتربية النفس. وعلى ذلك فقد وضع شيخ الطريقة صيغة العهد، أو المعاهدة التى كان يعاهد عليهاالناس. وهذا كما يأتى: (٢)

إذ يجلس الشيخ ويضع يده فى يد المريدين ويـقول لهم "الكل منا يقول لاإله إلا الله، فيقولها الجميع ويكررها ثلاث مرات، ثم يقول وهم يتابعونه، تبت الى الله ورجعت الى الله وندمت على مافعلت، وعزمت على أن لاأعود الى المعاصى أبدا وبرئت من كل دين يخالف دين الإسلام. أشهد أن لاإله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، أشهد بالله أنى تائب إلى الله تعالى من جميع الخطايا راغباً فى إمتثال أوامر رسوله مجتنبا محارمه مجتهدا فى طاعته منيباً إليه، مواظباً على خدمة الفقراء والمساكين، على قدر الطاقة، وأن سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى

---

(١) عبد السلام الحلوانى – السيرة الخليلية – ص٤٠ – ص٤١.

(٢) نظرنا : المصدر السابق – ص٥٦ ، ص٥٧ وللمزيد من الدراسة – انظر – الشيخ محمد أبوخليل الصغير – المربى ص٢٢٣ – ص٢٢٦ – "نظما"

سيدى على البيومى، شيخنا فى الدنيا والأخرة، العهد عهد الله تعالى، واليد يد الله تعالى ويد شيخنا إلى الله تعالى على البيومى، والله على مانقول وكيل".

وقد كان المأذون من قبل الشيخ ابوخليل باعطاء العهد يقول اليد يد سيدى وأستاذى الحاج محمد أبوخليل شيخنا فى الدنيا والأخرة(١)

ويذكر صاحب كتاب المربى، أن شيخ الطريق قد تخطى سلسلة السند، وأخذ العهد على النبى ﷺ، شأنه فى ذلك شأن الواصلين، الملتزمين الأدب مع الله تعالى(٢) .

ومن الجدير بالذكر، أن الشيخ رضى الله عنه وضع مجموعة من أوراد الطريق وأدعية وصلوات على النبى ﷺ، وأوصى مريديه بتلاوتها والتزامها، يقول الشيخ "الحلوانى" أمرنا رضى الله تعالى عنه بالذكر دائما، ومنع من أتخاذ الأحزاب الأخرى أورادا للسالك بل حث على الذكر وعدم الغفلة، وعلى جهاد النفس، وخلو القلب من مشاغل الدنيا على الطاعة. وخصص رضى الله عنه الذكر بالأسماء الأتية :

وأن تكون هي الورد الدائم بالليل والنهار عملا بعموم قوله تعالى "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وأبتغوا من فضل الله وأذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون".سورة الجمعة آية(١٠)(٣) .

وقد استطاع الباحث أن يحصل على صيغة الورد والصلوات الخليلية، من خلال نشرة توزع علي الأحباب الخليلية بعنوان "من الروح الخليلية"(٤). وبها مجموعة أسماء الذكر : كالأتى:

- لاإله إلا الله : لامعبود بحق إلا الله.
- الله : علم على الذات العليه.
- هو : حاضر لا يغيب.

---

(١) المصدر السابق - ص٥٧.

(٢) محمد أبوخليل - المربى - ص٢٢١ .

(٣) الحلوانى - السيرة الخليلية - ص١٥٣ - ص١٥٤- ص١٥٥.

(٤) انظر صورة طبق الأصل من الروح الخليلية وبها ورد الطريقة وصلواتها لواجه (ط) . - كذلك راجع كتاب ا لمربى - للشيخ محمد أبو خليل الصغير - ص٢٢١ ومابعدها.

- حـــى: دائـــــم الحيـــاه .
- واحـــد: لاثانـــــى لـــــه .
- عزيـــز : لانظـــير لـــــه .
- ودود : كثـير الـود لعبـاده .
- حـــق : ثابـــت لايتغيـــر .
- قهـــار : يقـــهر ولايقهــــر .
- قيـــوم : قائم بأسباب مخلوقاتـــه .
- وهـــاب : كثـــير العطـــــاء.
- مهيمـــن : مطلع على أفعال مخلوقاته.
- باســـط : يبسط الرزق لمن يشـــاء

جـ - مظاهر الطريقة الخليلية فى الذكر والسماع :

سئل شيخ الطريقة عن الذكر فقال (الذكر وصال) (أنا أبنى الذاكر) (أكره الذى لايذكر ولوكان أبى) (من ذكر الله للدرجات فهو محجوب عن الذات)، (أنا نذكر: الله - الله).

ثم أفاض فى شرح ذلك فقال: أذكروا الله ذكرا خالصا لوجه الله الكريم، لاتقصدوا منه ولاية، ولادرجة من الدرجات، ولاعطية من العطايا، بل اذكروه عبادة خالصة.

وسئل رضى الله عنه عن حكمة ذكر الثلاثة عشر أسما[1] فقال الشيخ مأمور بما يأمر به. وهذا يعنى اختصاص الطريقة بتلاوة هذه الأسماء فى أورادها، دون غيرها من الطرق الصوفية الأخرى.

---

(١) الأسماء الثلاثة عشر هى : لاإله إلا الله - الله - هو- حى - واحد -عزيز- ودود - حق - قهار - قيوم - وهاب - مهيمن - باسط - ولهذه الأسماء معان وتجليات نورانية، وأذواق وجدانية . عند السادة الخليلية - وضحها شيخ الطريقة فيما ورد عنه، ونقله أصحابه - نظرنا - الحلوانى- السيـرة الخليلية ص١٥٣ - ص١٥٥ - كذلك نشـرة الأحباب الخليليـة لوحة رقم (ط).

وسئل عن الإلهام فقال: معان ترد على القلب يترجمها اللسان وقال: لايأتى من الذكر غير الحق، لأن القلب الصافى المشغول بذكر الحق لايقول إلا الحق.

وسئل الشيخ عن القدر الذى يحقق قوله تعالى "اذكروا الله ذكرا كثيرا "سورة الأحزاب آية (٤١) - فقال : يوازى ترديد الأسم عشرين ألف مرة، وحكمه العدد هنا للتنشيط، والذكر ليلا فيه حكمة، لفراغ القلب، وعندما سئل الشيخ عن الإسغفار هل هو ذكر، فقال نعم هو ذكر، وكذلك الصلاة على النبى ﷺ ذكر، ولم يمانع الشيخ من الإستغاثة والتوسل باعتبارها ذكر إذن فكل مايذكرك بالله تعالي، فهو ذكر (١).

والذكر الدائم لله تعالى، من أهم الظواهر المتبعة فى الطريقة الخليلية فقد كان يفضلها الشيخ أبو خليل دون سائر الأوراد التى تنسب إلى الأولياء ومشايخ الطرق الصوفية الأخرى ولذلك عندما سئل عن الأوراد قال: ان الذكر أفضل من كل الأوراد المنسوبة لكثير من الأولياء، فقال: إن الأولياء لم يصلوا إلا بالذكر، وبعد وصولهم عملوا هذه الأوراد، فعلينا أن نسلك السبيل الذى وصلوا به وهو الذكر المحض، لاأن نأخذ من فضلاتهم، ويستند فى ذلك لحديث قدسى عن النبى ﷺ قال "من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين" (٢).

ومن أسانيد الذكر عند شيخ الطريقة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة نذكر من ذلك، ماورد فى أصول الطريقة قوله تعالى "وأذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار". سورة آل عمران آية (٤١).

وفى قوله تعالى تعالى "فاذكرونى أذكركم وأشكروا لى ولاتكفرون" سورة البقرة (١٥٢).

وقوله تعالى "وإذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولاتكن من الغافلين، ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون" سورة الأعراف آيات (٢٠٥ -٢٠٦) وللذكر أسانيد فى الحديث الشريف كقول أنس إبن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال يقول الله عز وجل "أخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافنى فى مقام "أخرجه الترمذى.(حديث صحيح)" .

---

(١) الشيخ محمد أبوخليل الصغير - المربى - ص٢٢٦ - ص٢٦٧.

(٢) نفس المصدر - ص ٢٦٧ .

وفى حديث صحيح شريف عن أبى مسلم الأعز، قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال "لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده" أخرجه مسلم والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ "لاصلاة لمن لاوضوء له، ولاوضوء لمن لم يذكر إسم الله عليه" .

أخرجه أبو داود [1].

وللذكر آداب وتجليات ومعانى، سواء بين العبد ونفسه، سراً أو جهراً، أو كان الذكر فى مجموعة، وقد أوضح ذلك شيخ الطريقة ونبه إليه، وشدد عليه .

فقد كان رضى الله عنه، يمنع من الإستعجال أو اللهو بذكر الأسماء الإلهية كالشهيق، واللجلجة، والصفير، والقلقلة، الغفلة، وغير ذلك من الممارسات التى لاتستقيم وأصول الذكر فى الطريقة .

ومن ذلك، أنه عندما سمع رضى الله عنه ذاكراً بمجلس الذكر يشهق آخر الإسم، فقال إمنعوه عن هذه الشهقة الملحقة بالإسم فهذا تحريف وحرام وعندما سمع شخصاً آخر له صفير يخرج من حلقه، أمر بمنعه، وآخر قلقلة أمر بمنعه أيضاً، وآخر له إرتفاع صوت بآخر الإسم، نهره ومنعه. وعندما سمع آخر ينطق إسم الله تعالى (عزيز) بلفظ (زيز، زيز)، أو (ودود) بلفظ (دود) (دود). هذه الأمور كلها غير سوية ولاتستقيم مع الأصول الصحيحة فى الذكر، ثم أعطى المنهج السليم فى ترديد الأسماء بالذكر (لاإله إلا الله)، ولابد من الخشية لله تعالى حين الذكر، فلا تتمايل فتخرج عن الأدب، ولاترقص، ولاضجعة للخلف (وهو ميل الذاكر إلى الوراء عند نهاية اللفظ بالإسم). فإن ذلك ينافى الذل لله تعالى، ولابد من هدوء التصفيق من القائم بقيادة المجلس، إذ أن إرتفاع التصفيق يؤذى الملائكة، فينصرفون وينصرف نورهم معهم .

---

(١) لمزيد من التفاصيل - راجع المصدر السابق - ص٢٥٠ - ص٢٦٥ كذلك عبد السلام الحلوانى السيرة الخليلية ص١٥٩ - ١٦١ .

نظرنا كذلك : إبن قيم الجوزية - الوابل الصيب من الكلم الطيب - ص٩٥ وما بعدها - مكتبة القاهرة - ميدان الأزهر بمصر ١٩٧٢م .

ولا يصفق فى المجلس إثنان، بل شخص واحد، حيث الذكر يطريقنا بالتقوى، لأن المذكور هو الله تعالى سميع بصير [١].

وحدد شيخ الطريقة رضى الله عنه، طريقة الذكر، وشكل الذكر ونظامه ومظهره، وما فيه من صلوات وآيات قرآنية فقال :

"يفتح مجلس الذكر بقراءة الفاتحة جهراً، ثم بقوله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً" سورة الأحزاب - آية (٥٦) .

ثم تقرأ الصلاة على النبى ﷺ "اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الأولين والاخرين، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الآخرين، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى كل وقت وحين، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد فى الملاء الأعلى إلى يوم الدين، وصل وسلم وبارك على جميع الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين واحشرنا وارحمنا معهم ياأرحم الراحمين" .

ثم يقول من يفتح المجلس: "أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لاإله إلا الله" وبهذا يبدأ الذكر .

وعند نهايته والجلوس تقرأ الفواتح ويختم المجلس بهذا الدعاء: "ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا وإرحمنا إنك أنت الغفور الرحيم، ونجنا من الهم والغم والكرب العظيم ثلاثاً، وشفع فينا سيد المرسلين، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، وإجعلنا من الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم ودعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين" [٢].

لقد أوضحت المصادر أن للشيخ سياحة، شأنه فى ذلك شأن السالكين الطريق إلى الله تعالى من الصالحين والسابقين المعاصرين له، فلكل ولى وشيخ سياحة خاصة به، وتظهر من خلالها أحواله، وأخلاقه وكراماته عند أصحابه ومريديه، وفيها أيضاً صفاء للقلب، وتحلية النفس، ومجاهدة لها، وترويضها على تحمل مشاق الطريق بالصبر والتوكل والإنابة وإسقاط الإرادة .

---

(١) المصدر السابق - ص٢٦٨ - ص٢٦٩ .

(٢) الشيخ محمد أبو خليل الصغير - المربى - ص٢٦٩ - ص٢٧٠ .

وتذكر المصادر أن الشيخ أبو خليل/ ١٩٢٠م/ عندما إنتشرت طريقته فى البلاد إشتد الإلحاح عليه للقيام ببعض البلاد بدعوة من أهلها، وكانت تقام الحفلات وتعمل الولائم وتقام الحضرات للذكر بين يديه مع الإنشاد (١).

وهذا يدعونا إلى وصف لكيفية الذكر، ومايستتبع، ذلك من مظاهر وأحوال، قد تألفها فى مجالس الذاكرين وحلقاتهم فى مناسبات إحياء ليالى الموالد والإحتفالات الدينية وإقامة الحضرات .

ومن خلال مخالطة الباحث لمجالس السادة الخليلية، وتعرفه على كيفيتها، ومطابقة ذلك بما ورد فى المصادر المكتوبة تتضح بعض الجوانب الهامة .

أن مجالس الذكر التى تقام بين يدى الشيخ وفى الحضرات، تفتح بالصلاة على النبى ﷺ، وقراءة دلائل الخيرات، وبردة البوصيرى، ويكون مجلس الذكر على شكل صفوف معتدلة فى جماعة، ويقوم أحد الإخوان بإمامة هذه الجماعة، ويلاحظ الذاكرين حركاته فيكون الكل على حركة واحدة، والكل مسبل العينين، ليكون أدعى إلى إستحضار معنى الذكر بقلبه، فتصبح الجماعة مجتمعة قلوبهم على قلب رجل واحدو خاشعين لله تعالى، ملاحظين المذكور، ولايزالون على ذلك إلى ماشاء الله تعالى .

وقد نلاحظ بعض التمايل، يميناً وشمالاً، إذ أن شيخ الطريقة كان يبيح ذلك لحكمة وهى إيقاظ قلوب الذاكرين، ويبعد الكسل ويزيد النشاط، ولكن هذا التمايل فى حدود معينة بحيث لايخرج الذاكر بهذا التمايل إلى التكسر والرقص واللحن فى الأسماء، لأن ذلك حرام وباطل (٢).

والتمايل مع حركة الركوع، لأن فى ذلك إظهار للخشوع، كالركوع فى الصلاة والإعتدال منه متكرراً، فإذا كان على القدم كان مع الإهتزاز، وإيماء الرأس تذللاً (٣).

---

(١) الحلوانى - مصدر السابق - ص٦٦ - ص٦٩ .

(٢) أبطل شيخ الطريقة الخليلية ماكان عليه أصحاب الطرق الأخرى من شدة التمايل والإنحراف إلى التكسر وكره ذلك لأصحابه وقال إن أمثال هؤلاء لايذكرون ذكراً يوافق الشرع - الحلوانى - السيرة الخليلية ص١٨١ - ص١٨٢ .

(٣) هذه المظاهر المتبعة فى طريقة الذكر - لاحظها وشاهدها الباحث عندما شاهد بعض ليالى إقامة الحضرات بقرية برما على طريقة البيومية بالتمايل مع حركة الركوع والإعتدال منه متكرراً مع إهتزاز الأقدام .

وعادة مايبتدئ الذكر جلوساً برهة، ثم يقوم الذاكرون فيذكرون الله قياماً .

ويبتدئ الذكر، بذكر لاإله إلا الله من جهة اليمين، لأن النفس الأمارة فيها، والقلب فى جهة اليسار وهومحل الأنوار والأسرار، فيحل إسم الذات عليه ليتلقى أنواره وأسراره. وهذا كما علمهم شيخ الطريقة .

وكذلك فإن الذاكر وهو إمام الجماعة يجد ألف (لا) متوسطاً أقله حركتان، ويحقق الهمزة من (إله) فلا يجعلها ياء، ويفتح الهاء منه فتحة خفيفة بلامد، ويبدأ ألف (الله) التى تقبل الهاء مداً طبيعياً ولايحذفها ،وذلك حتى تتبعه الجماعة فى صوت واحد، ونفس واحدة، وحركة واحدة "لاإله إلا الله" .

كل هذا - وصفوف الجماعة منظمة - مستقيمة كصفوف الصلاة، بلا إعوجاج أو إستدارة.

أما عن السماع، والإنشاد فى الذكر، فقد كان شيخ الطريقة يبيح الإنشاد على مجالس الذكر، بشرط أن لايكون للتغنى ولايكون للطرب، وإنما يكون على حركة الذاكرين وقلب المنشد معلق بالذكر، وكلامه لايخرج عن التوحيد ومدح النبى عليه السلام .

وقد يكون النشيد إلهاماً فى الحضرة، أو كلاماً من كلام أهل التصوف بما يناسب مقام الذكر .

وفى حضرات الإخوان الخليلية بالأسكندرية، ويحرص بعضهم على تقديم الإخوان للدعاء للمؤمنين عامة وتفريج الكروب وغفر الذنوب وقبول التوبة من الله تعالى والرجوع إليه وصلاح أحوال المسلمين[1].

وتذكر المصادر، كثيرمن الكرامات التى فتح الله بها على شيخ الطريقة فى حياته، لإخلاصه، وصدق اليقين عنده، وهى ثمرات العبادة والتوجه بالمراقبة إلى الله عز وجل، ولعل أعظم هذه الكرامات هو هدايةَ المريدين والسالكين على يديه، وتربية نفوسهم على التقوى والعمل الصالح، وترويضها على الصبر والتوكل على اللـه تعالى وإسقاط الإرادة الإنسانيـة فى

---

(١) لمزيد من الدراسة فى هذا المجال. راجع كتاب المربى - ص٢٧٠ ومابعدها - كذلك الحلوانى - السيرة الخليلية - ص١٨١ ومابعدها .

إرادة الله تعالى وتمثلت هذه الهداية فيما يذكره الإخوان الخليلية المعاصرين له "أنه كان لايوجد لص فى المجتمع الذى يحل فيه. الشيخ خلال سياحته بالبلاد، وإذا وجد لص من اللصوص، فى الحفل وليالى الحضرات، فإن الله سبحانه وتعالى يظهر أمره للناس فى الحال، ويقع فى قلبه الرعب، وينزلف إلى الشيخ بالتوبة حتى يخرج، وربما صدقت توبته وأخذ العهد وإستقام فى سلك الطريق .

ومن سره رضى الله عنه أن أصحابه كانوا لايصبرون على بعده عنهم، ويذهبون إليه من كل مكان إلتماساً للأنس، والهداية وتفريج الكروب، وقضاء الحوائج بإذن الله تعالى [١].

ومن الجدير بالذكر، أن هذه الأحوال والأسرار والكرامات فى هداية اللصوص والخارجين عن حد الإعتدال والإلتزام بالأوامر الشرعية، مدد متصل من شيخ الطريقة البدوية سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وصارت هذه الكرامة متصلة عبر مريديه حتى سيدى على البيومى حتى شيخ الطريق الخليلية السيد محمد أبو خليل رضى الله عنه .

بل وتعتبر من أجل كرامات الأولياء، إصلاح النفوس وتربية السلوك وهذا من علامات أصول التربية فى الطريق .

د - مقام السالكين فى الطريقة :

للسادة الخليلية مقامات وأحوال، تتدرج بالسالك بها إلى مقام الهداية والقرب من الله تعالى، ولعل أول مقام من مقامات السالكين فى الطريقة الخليلية (جهاد النفس) وهذا من أسرار الذكر، لأن الذاكرين يتدرجون فى مقامات السلوك والأدب، فتراهم يجاهدون نفوسهم ويستندون فى ذلك إلى حديث الرسول ﷺ "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس" [٢] ومتى صار العبد فى فى طريق العمل لله تعالى وأخلص نيته يجاهد نفسه الأمارة بالسوء، فإذا إهتدت أصبحت لوامة، تلوم نفسها على مامضى وتثوب إلى رشدها وتطلب الغفران من الذنوب ، فيندم العبد ويتوب ويتذلل إلى الله تعالى ويطلب العفو منه ومتى

---

(١) الحلوانى - السيرة الخليلية - ص٧٠ ومابعدها .

(٢) سبق تخريج هذا الحديث (حديث الرسول ﷺ : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قيل وما الجهاد الأكبر يارسول الله قال: "جهاد النفس"

صدق العزم أصبحت النفس روحاً طيبة ألهمها الله تعالى طريق الخير وطريق الشر فتعرف التقوى من الفجور، فتقوى على العبادة، وتبتعد عن المعصية، وتستثير بالمعرفة الإلهية. ومن هذه المقامات:

١ - *مقام (الحب)* : وهو مقام عظيم وهو المحور الذى يدور عليه القلب فى المقامات الأخرى، والحب لاينبغى أن يكون لأحد سوى الله تعالى، والحب تعلق القلب بالمحبوب حتى لايراه غيره، ومتى أخلص العبد فى الحب عرف الأغيار فيبتعد عنها ويلازم ربه ويزعد فى الدنيا ومافيها ومن فيها .

٢ - *مقام (الإخلاص)* : وهو من بركات الذاكرين أيضاً فالإخلاص هو الأساس فى معاملة الله تعالى، فمن عامل الله تعالى وأخلص نيته لله تعالى فاز بخير الدنيا والآخرة.

٣ - *مقام (المراقبة)* : وهو من هدايات الذكر، إذ يورث الذكر المراقبة، وهى مراقبة التعظيم والجلال لذى العزة والكمال فيصير القلب مستغرقاً بملاحظاته، منكسراً تحت هيبته تعالى فلا يجعل فيه متسعاً للإلتفات إلى الغير .. إلخ.

٤ - *مقام (الخشوع)* : وهو من أسرارالذكر، والخشوع ثمرة الإيمان، ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل فى القلب .

٥ - *مقام (الحياء)* : وهو من فضل الذكر - فبالذكر يورث الحياء من الله تعالى، فيذوق الذاكر منه لذة الإيمان، ويخلق به .

٦ - *مقام (الخوف والرجاء)* : والخوف سبب الوصول إلى الله تعالى وإلى سعادة لقاء الله فى الآخرة، ولايحصل إلا بالمحبة والأنس به فى الدنيا، ولاتحصل المحبة إلا بالمعرفة، ولاتحصل المعرفة إلى بدوام الفكر، ولايحص الأنس بالمحبة ودوام الذكر ولايتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بالإنقطاع لله تعالى عن حب الدنيا، ولاينقطع ذلك إلا بترك اللذات والشهوات ولايحصل ذلك إلا بنار الخوف من الله تعالى ... وهكذا إلى آخر المقامات، وهى: التقوى، والصبر، والزهد، والتوكل، والشكر. وهذه المقامات تورث سالكيها أحوالاً، ومكاشفات وخواطر، ومعانى وأذواق ووجدانات ... منها :

"حال الحب، والعشق ، الأنس، والقبض، والبسط، والوجد والتواجد، والجذب، ومن ثمرات الأحوال أيضاً - الإلهام، والفراسة، والكشف، والسمع ، والبصر"(١).

هذه الدراسة تحليلية لأهم الجوانب الأصلية فى الطريقة الخليلية فى العصر الحديث، إذ يتضح لنا أنها تعتبر إمتداداً لطرق الأوائل من الصوفية .

وقد توفى الشيخ محمد أبو خليل رضى الله عنه عام ١٩٢٠، ودفن بمقبرته ومسجده بكفر النحال بضواحى مدينة الزقازيق، وخلفه من بعده على قيادة الطريق إبنه لصلبه، الشيخ إبراهيم أبو خليل، وهو أكبر أنجاله ووارث حاله، وقد كان معتكفاً على ذكر الله تعالى وعبادته، وصار فى أصحابه كسيرة والده العابد علماً وعملاً .

ومن أهم أعلام هذه الطريقة، فضيلة الشيخ العالم العابد "على عقل" المتوفى عام ١٩٤٨م، وهو أحد فحول التصوف والعلوم الشرعية، وحفاظ السنة المحمدية، دخل وإمتزج فى الطريقة الخليلية، فأخلص فى سلوكه، وجاهد نفسه، وكان عالى الهمة قوى العزيمة، متخلقاً بأخلاق أهل الحق والتقوى، ومن آثاره الصوفية "ديوان الإلهام" الذى قال عنه الدكتورعبد الوهاب عزام، لقد تخلل هذا الديوان مأثورات من كلام الصوفية وآدابهم، "ويبين عن النفس الإنسانية فى أسمى نزعاتها، وأصغر حالاتها، وفى هذا إشاعة ووصل ماإنقطع من أحوال السلف فيه... وفى هذا الديوان مايعرب عن الشعور الروحانى، والنفحات الإلهية التى لاتحيط بها الألفاظ ولاتقوى عليها العبارات"(٢).

ومن خلال تأملنا لظاهر هذه الطريقة، وتحليلنا لأصولها، وجوهرها نجد أنها تسير فى الطريق المستقيم، الذى لالغو فيه ولابهتان، وطريق الخليلية، يهتم أكثر مايهتم، بتعميق الإيمان، وتربية السلوك والأخلاق، وتصفية النفوس وتطبيب القلوب، ورعاية حقوق الله عز وجل، وقد خالط الباحث كبار مشايخ ومريدى الطريق الآن، وشاهد مايبدوا عليهم من علامات الإيمان،

---

(١) لمزيد من الدراسة والتفاصيل ينظر :
أ - الحلوانى - السيرة الخليلية - ص١٨٦ - ص٢٥٨ .
ب - محمد أبو خليل - المربى - ص١٠٧ ومابعدها .

(٢) الشيخ عبد المنعم عبد السلام الحلوانى - كتاب السمو الروحى فى الأدب الصوفى - ص١٩، ص٢٠ - ط الحلبى ١٩٤٨.

وسلامة النية ونقاء السريرة، فضلاً عما يعلو وجوههم من سمات الصلاح والمحبة والتقوى، وأنوار الهداية،وقد إستمتع الباحث بحديث فى جلسة مع الشيخ المربى محمد أبو خليل رضى الله عنه، قبل وفاته عام ١٩٧٨م - حيث طوف فى رحاب المعرفة وآفاق اليقين بحديث سهل بسيط، يمس شغاف القلب بحديثه الهادئ، ونفحاته الروحية الطيبة، (والحمد لله رب العالمين) .

ثالثاً: نماذج من الطريقة البرهامية:

للطريقة البرهامية، نماذج وشخصيات، وفروع كثيرة منذ تأسيسها على يد شيخها الأكبر السيد إبراهيم الدسوقى القرشى المتوفى عام/ ٦٨٦ هـ/ منها - الدسوقية، الشهاوية، - الشرنوبية، وقد أوضحنا ذلك فيما سبق(١).

وهذه الطريقة، كما ذكرنا من قبل، طريقة سنية عملية، تستند فى جوهرها وأصولها إلى الكتاب والسنة وسلف الصوفية من الزهاد والعباد فى القرون الأولى، وقد لحق بهذه الطريقة الكثير من العناصر الأسطورية، والأقاصيص الشعبية الفلكلورية، حيث مزج مريدوها المتأخرون بين جوانبها العملية، وبعض الخزعبلات والخيالات التى لاتليق بمكانة شيخها الأول، حيث وضعوه فى قوالب تكاد تصعد به إلى مراتب أعلى من مراتب الأنبياء والملائكة .

وهذه الأمور، من وضع أدعياء الطرق المتواكلين وأدعياء التصوف المدروشين، وقد نجد ذلك فى الطرق الصوفية الأخرى، فما من طريقة تخلو من مثل إدعاءات خيالية وروايات إسطورية تلصق بصاحب الطريقة من قبيل الكرامات والخوارق(٢).

ومثل هذه الشوائب يجب تخلية الطرق من آثارها. لقد ذكر مؤرخوا الطبقات الصوفية كثير من الشخصيات التى تنسب إلى الطريقة البرهامية، وترجموا لها من نواحى مختلفة، ونود أن نشير إلى إمتداد هذه الطريقة بإيجاز حتى العصر الحديث.

١ - فقد ذكر الشعرانى/٩٧٣/هـ بعض الشخصيات الصوفية فى سلك الطريقة البرهامية.. منهم : الشيخ على شهاب الدين فى القرن العاشر الهجرى ويبدو أنه كان من المخلصين

---

(١) راجع الفصل الخامس من الباب الرابع فى هذا البحث .

(٢) إنتقد الباحث مثل هذه الأمور، خلال دراسته طريقة الدسوقى وفلسفته الصوفية - (الباب الرابع) الفصل الخامس .

فى طريق السيد إبراهيم الدسوقى، إذ أنه كان يحارب البدع ويمنع إدعاءات البرهامية، ومايدعونه من كرامات وحيل وأساطير وخزعبلات، كالدخول فى النار وجر السيف على طرف اللسان والكف والأيدى وغير ذلك، فقال لهم أنا رجل برهامى ولو كنت أعلم رضا سيدى إبراهيم الدسوقى بذلك لكنت أول فاعل له" (١).

٢ - ومن دراويش البرهامية الشيخ خليل المجذوب المتوفى عام/ ٩٤١هـ كان دائم المجاهدة، والصبر على المكاره - وكان عرياناً ذهب إلى شبين بالمنوفية وظل بها إلى أن مات، وكان دائم الترديد لمعانى الطريقة البرهامية بقوله "يادائم، يادائم" قال الشعرانى وهذا القول يشير إلى أنه براهمى (٢).

ويبدو أن الغالب على مريدى الطريقة البرهامية - أساليب الدروشة، دون التعمق فى جوهر الطريقة ومعرفة أصولها أو قد يغلب عليهم طابع الجذب، وقلة تحصيل العلوم الفقهية والشرعية، فالطرق عندهم دروشة وإدعاءات وكرامات فلم يشر الشعرانى لأحد من علماء الطريقة، أو فقهائها، إذ يصفهم بالجذب والدروشة والإتيان بخوارق العادات ومثل هذه الأمور تقلل من قيمة الطريقة، وتحد من إنتشارها وإعتقاد الناس فيها وفى ذلك ظلم وإجحاف لشيخ الطريقة .

٣ - لقد عثر الباحث على بعض مؤلفات لشخصيات برهامية فى العصر الحديث منهم السيد محمد عطية - خليفة السجادة البرهامية بشلقان الجديدة بالقناطر الخيرية .

٤ - ومنهم السيد عثمان على أحمد والسيد شرف محمد عاشور شيخ السجادة البرهامية (٣).

يضاف إلى ذلك أن معظم هؤلاء الدراويش، مجهولون ففى دراسة ميدانية للباحث فى بعض القرى بمحافظة الغربية قرية (برما) لاحظ إنتشار عدد كبير من القباب والقبور يعتقد الناس فى أوليائها ومشايخها ويتبركون بها ولايعرفون من أصحابها سوى الأسماء فقط وأحياناً الطريق .

---

(١) الشعرانى - الطبقات الكبرى - حـ٢ - ص١٠٣ .

(٢) نفس المصدر - حـ٢ - ص١٦٩ .

(٣) نظرنا فى ذلك : المجموعة الدسوقية البرهامية - ط - مكتبة الكليات الأزهرية - كذلك كتاب تاج الطرق الصوفية على سلك الطريقة البرهامية - سنة ١٣٨٢هـ .

٥ - مثال ذلك ماوجده الباحث، فى أحد القباب التى تضم قبر لولى من الأولياء، وبسؤال كبار السن بالمنطقة قالوا "سيدى محمد أبو النور، برهامى الطريقة، وله كرامات، لكن لم يترك آثاراً تدل عليه [١].

وللبرهامية كما نعلم، رايات، وإشارات تميزهم عن غيرهم إذ يتميزون باللون الأخضر، وهذا مالاحظ الباحث فى زيارة ميدانية بمناسبة الإحتفال بموالد الأولياء بالمنطقة كالسيد أحمد البدوى، والسيد إبراهيم الدسوقى إذ وجد علماً يتميز باللون الأخضر مكتوب فى المنتصف "الشهاوية" وهى فرع من البرهامية فى العصر الحديث .

---

(١) لقد أشار على مبارك إلى ضريح لسيدى أبى النور فى ترجمته لقرية جنزور إحدى قرى محافظة المنوفية - مما يدل على أنه من "الأبدال" البرهامية - حيث يظهر فى أكثر من مكان واحد - كما أشرنا من قبل فى دائرة الحكومة الباطنية ودولة الأولياء الصوفية - نظرنا - الخطط التوفيقية جـ١٠ - ص٦٩ .



"خاتمـــــة"

"نتائـج البحـث"

إن البحث فى مجال التصوف، من العلامات الصادقة على ثراء التراث الفلسفى والدينى فى الإسلام، فهو مجال خصب وثرى بما يحتويه من معان وأذواق ومواجيد، فضلاً عن إمتزاج الأنظار الفلسفية بالمعانى الوجدانية، الأمر الذى دفع الباحثين إلى تناول هذا التراث بالبحث والتحليل، فى جوانبه العقلية والذوقية على السواء .

ونظراً لأهمية هذا المجال، فقد عكف الباحث على دراسة هذا التراث، منقباً عن كل غال ونفيس عند الأوائل والمتأخرين، مستخدماً الوسائل المناسبة فى مجال البحث وقد خرجنا بعدد من النتائج الهامة التى تخدم هذا المجال : -

أولاً: إن البحث فى التراث الصوفى، مازال يشكل مجالاً خصباً فى البحوث والدراسات الفلسفية والإسلامية، والذى يعبر عن أصالة الثقافة الإسلامية والعربية وتتابعها عبر العصور المختلفة، وتعبيراً عن الذوق الجمالى والحسى الوجدانى الذى يتمثل فى تجربته الذوقية الباطنية ومكانته فى مجال الإبداع الفكرى الفلسفى .

ثانياً: نشأ التصوف فى عصوره الأولى على أصول من الكتاب والسنة، ثم تتابع ذلك بعد عصر الزهاد والعباد الأوائل لدى أئمة الصوفية وجماعتهم، التى تكونت منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين، كتعبير أصيل عن تيار الحياة الروحيـة فى الإسـلام، وظهـرت جماعة من كبار الصوفيـة عبروا عن أصول التصوف السنى الخالص، وتكونت مدارس عديدة فى أرجاء العالم الإسلامى، ظلت تعبر عن هذا التيار السنى حتى عصر الإمام الغزالى، ثم تتابع هذا التيار السنى عند المتأخرين فى القرنين السادس والسابع الهجريين، متمثلاً ذلك فى شيوخ الطرق الصوفية - كالجيلانى، والرفاعى، وإبن الصباغ القوصى، وأبو النحيب السهروردى ومدرسته، والشاذلى والبدوى والدسوقى، وقد ذاعت شهرة هؤلاء الشيوخ فى أرجاء العالم الإسلامى حتى الآن .

ثالثاً: ظهر تيار التصوف الفلسفى، فى عصر إزدهار الثقافة والحضارة العربية والإسلامية منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين وذلك لظهور شخصيات كبيرة كان لها أثرها وخطرها فى تتابع حركات التصوف الفلسفى ومدراسة فى العصور المتأخرة، من أمثال ذى النون المصرى/ ٢٤٥/ هـ، والبسطامى/ ٢٦١/ هـ، والحلاج/ ٣٠٩/ هـ، والشبلى/ ٣٣٤/هـ، والترمذى/ ٣٢٠/ هـ والنفرى/ ٣٥٤/ هـ إذ وضعت هذه الشخصيات أصول التصوف الفلسفى وإتجاهاته المختلفة، مستلهمة المعانى والأذواق فى ضوء التجربة الذاتية، والمزج بينها وبين المصطلحات والأنظار الفلسفية - اليونانية والغنوصية الشرقية، فوضعت نظريات مخالفة لأصول الشريعة الإسلامية، وظهرت معانى ومصطلحات وأنظار لم يعرفها الإسلام من قبل، مثل فكرة الفناء، والحلول والإتحاد، والولاية، وخاتم الأولياء، ومعانى الفيض والصدور، وقد كان لذلك أثره الكبير فى ظهور مدارس فلسفية فى العصور التالية، فرأينا مدرسة صوفية إشراقية يتزعمهاا ويضع أصولها السهروردى المقتول عام/ ٥٨٧/هـ ومدارس وحدة الشهود المطلق يتزعمها إبن سبعين/ ٦٦٧/ هـ ثم ترددت معانى الوحدة والحلول والإتحاد مرة أخرى فى مدارس إشراقية يتزعمها فريد العطار/ ٥٨٦/ هـ ثم مدرسة وحدة الوجود عند الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى/ ٦٣٨/ هـ، إذ ظلت هذه المعانى والمصطلحات تتردد فيما بعد فى نصوص وشروح وتعليقات المتأخرين مثل عبد الكريم الجيلى/ ٨٠٥/ هـ، والكاشانى/ ٧٣٠/ هـ وعبد الوهاب الشعرانى/ ٩٧٣/ هـ وإبن قضيب البان/ ١٠٤٠/ هـ وغيرهم.

رابعاً: ظهرت حركات التصوف الفلسفى متمثلة فى كبار شخصياتها جنباً إلى جنب مع طرق التصوف السنى المعتدل فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، وحتى القرن الساعب الهجرى، إذ ظهرت مدارسه التصوف الفلسفى عن البسطامى والحلاج، والترمذى، والنفرى، والعطار، فى مقابل مدارس صوفية أهل السنة، كالمحاسبى/ ٢٤٣/هـ والسرى السقطى/ ٢٥٧/هـ والجنيد / ٢٩٧ هـ والتسترى / ٣٨٣/ هـ والقشيرى / ٤٦٥/ هـ والغزالى / ٥٠٥/ هـ وفى القرنين السادس والسابع ظهرت مدارس الإشراقيين وأصحاب وحدة الوجود عند السهروردى المقتول / ٥٨٧/ هـ وفريد الدين العطار المتوفى عام ٥٨٦/هـ، وإبن سبعين / ٦٦٧/ هـ، والششترى/ ٦٦٨/ هـ وإبن عربى ٦٣٨/ هـ فى

مقابل مدارس الطرق الصوفية وشيوخها الكبار كالجيلانى - الرفاعى وإبن الصباغ وأبو النجيب السهروردى، وأبو حفص السهروردى، والشاذلى والبدوى والدسوقى، وخلال ذلك كله ظلت شعبة التصوف السنى تقاوم شعبة التصوف الفلسفى عبر العصور حتى تغلبت عليها .

خامساً: ظهرت تيارات معارضة للتصوف عبر العصور الإسلامية المختلفة من جانب الفقهاء وعلماء السنة وأئمة المحدثين لكن ذلك لم يقلل من شأن التصوف كفرق ومذاهب وجماعات، إذ سرعان ماكان ينضم كثير من أئمة أهل السنة لإتجاهات التصوف المعتدل كتجربة ذاتية، وإتجاه إلى الله تعالى، وطريق الإخلاص فى العبادة وتربية للسلوك والأخلاق ومجاهدة النفس وكفها عن الشهوات وإرتكاب المعاصى، غير أن ماورد من مصطلحات وآثار فلسفية وغنوصية عند متفلسفة الصوفية أدى بهم إلى إزدراء هذا الجانب، لما أحدثه من أمور وشطحات تخالف أركان الشريعة وماداخله من عناصر غريبة ومزجها بالتعاليم والنصوص الدينية.

وكان للإمام الغزالى الأثر الكبير فى إصلاح أحوال التصوف والتنبيه على جوانبه المخالفة لأركان الشرع الأمر الذى أدى إلى التقريب بين التصوف والفقه والمصالحة بين الفقهاء والصوفية، وقد أثرت تعاليم القشيرى والغزالى فى طوائف الصوفية فى القرون التالية كالشاذلية وغيرها .

سادساً: التصوف هو الإتجاه إلى الله تعالى - هكذا كان يعرف عند صوفية أهل السنة الأوائل، وكذلك عند أصحاب الطرق المتأخرين، فالطرق الصوفية فى جوهرها تستمد أصولها من الكتاب والسنة وهذا ماوضحناه خلال هذا البحث، يضاف إلى ذلك أن التصوف طريق لتهذيب السلوك، وتربية للأخلاق على منهج من الكتاب والسنة، وترويض للنفس، ومجاهداتها . وهذا ماوجدناه أيضاً عند أصحاب الطرق الصوفية المتأخرين، والتصوف بصفة عامة جهاد فى سبيل الوصول إلى الحق، وتحقيق الشريعة، وتدعيم أركانها، وهو فى أخص خصائصه جمع بين الحقيقة والشريعة، وقديماً قال الصوفية "من لم يتحقق ولم يتشرع فقد تزندق، ومن تشرع ولم يتحقق فقد تفسق" .

سابعاً: وإذا كان التصوف فى جوهره إتجاه بالكلية إلى الله تعالى وإبتغاء مرضاته، ومنهج للتربية الأخلاقية ومجاهد النفس، فإن بعض أدعياء التصوف المتأخرين شوهوا معالمه، ونظروا إلى الطريق على أنه كرامات، وخوارق للعادات، فكثرت البدع، وإنتشرت الضلالات، ومارس دراويش الطرق أعمالاً منافية للآداب وللسلوك الإسلامى الصحيح، وخالط الطرق الجهلة من العامة، ونسبوا لأوليائهم أو مشايخهم جملة من الخرافات والأساطير بدعوى الكرامات وخوارق العادات، ونظروا إلى الطرق الصوفية على أنها مجالاً للإرتزاق، وكسب المال، وبلوغ الحظوة لدى السلطان، وتحقيق للمراتب والوظائف، والتلاعب بعقول الناس ومشاعرهم،ولذلك وجدنا كتابات المتأخرين فى التصوف، ومعظمها دون فى عصور الإضمحلال والخمول الفكرى فى العصر العثمانى، وهى تحتشد بالروايات والقصص فتصف شيوخ الطرق، وتصورهم فى صور القديسين والأولياء الذين بلغوا بكراماتهم حداً كبيراً يفوق الملائكة والأنبياء والصديقين .

فقد وصف الشعرانى - والشطنوفى وغيرهما مشايخ الطرق، ودراويش الطرق وصفاً لأحد له، مما يثير العجب من أمر هؤلاء، وهذا يستدعى إعادة النظر فى التراث الصوفى وتنقيته من تلك الشوائب التى شوهت معالمه .

ثامناً: من أهم نتائج هذا البحث أيضاً - أنه كشف لأول مرة عن مجموعة من مشايخ الطرق الصوفية وفروعها فى العصر الحديث، والوصول إلى جوهر مذاهبهم من خلال مصادرهم الرئيسية، كذلك إستطعنا الكشف عن حقيقة وجذور الحكومة الباطنية عند الصوفية وتطورها فى مقابل حكومة أهل الظاهر، وتصنيف بعض مشايخ وأولياء الطرق فى مراتب هذه الحكومة .

تاسعاً: يتضح من خلال الدراسة الميدانية للطرق الصوفية أن لكل طريقة خصائص ومميزات، تميزها عن غيرها من الطرق الأخرى، سواء فى ممارسة شعائر الطريقة من أذكار وتلاوة وأوراد وأحزاب وأدعية، أو فى المظاهر والأشكال الخارجية كالإشارات والبيارق والأعلام فكل طريقة إشارة تميزها عن غيرهاولكل طريقة آداب وسلوك، وأوقات لكن جوهر الطريق الصوفى وأهدافه ومنهجه، لايكاد يختلف بين أصحب الطرق الصوفية الصحيحة .

عاشراً: قام الباحث بإستخدام المنهج التحليلى التركيبى لأول مرة فى مجال الدراسات والبحوث الفلسفية والصوفية وذلك بإختيار نماذج من أصحاب الطرق الصوفية بمناطق مختلفة فى مجال البحث، وتحليل أصولها وأهدافها ومناهجها، ثم تصنيف هذه النماذج والفروع فى سياق منهجى متكامل - بما يوضح أسانيد الطرق وسلسلتها، ومراتب شيوخها ودرجات وصولهم فى الطريق إلى الله تعالى، وولايتهم الباطنية من حيث مراتب، القطبانية، والغوثية، أوالأوتاد والأبدال والنجباء والنقباء، والرجباء، ورسم دوائر لحكومة الباطن، ومراتب كل فرد فيها ظاهراً، وباطناً - خارجياً أو داخلياً، والإستعانة بالمخطوطات التى توضح نسب الأولياء ومشايخ الطرق، يضاف إلى ذلك تحديد مكانة بعض أولياء الطرق من الرفاعية أو الأحمدية، أو البرهامية، أو الجيلانية، المنتشرين بمنطقة وسط الدلتا بجمهورية مصر العربية، والذين لم يكشف عنهم فى بحوث صوفية من قبل، ممايعد إضافة جديدة، ومنهج جديد يمكن إستخدامه وتطويره فى مجال دراسة التصوف الإسلامى فيما بعد .

وقد إستعان الباحث فى توضيح ذلك بالمخطوطات اللازمة بالإضافة إلى رسوم وأشكال توضح دائرة الحكومة الباطنية ومراتب أوليائهاوأفرادها وأبدالها وضمن ذلك فى جزء خاص وهو ملاحق البحث .



ملاحـــق البحـــث

يحتوى على الآتى:

١ - مخطوط القصد إلى الله تعالى - لأبى الحسن الشاذلى رقم (١) .

٢ - مخطوط القصد إلى الله تعالى - لأبى الحسن الشاذلى رقم (٢) .

٣ - دائرة الحكومة الباطنية لوحة رقم (أ) .

٤ - دائرة الحكومة الباطنية لوحة رقم (ب) .

٥ - دائرة الحكومة الباطنية "الفردانية" لوحة رقم (جـ) .

٦ - صورة من مشيخة السادة الرفاعية رقم (د) .

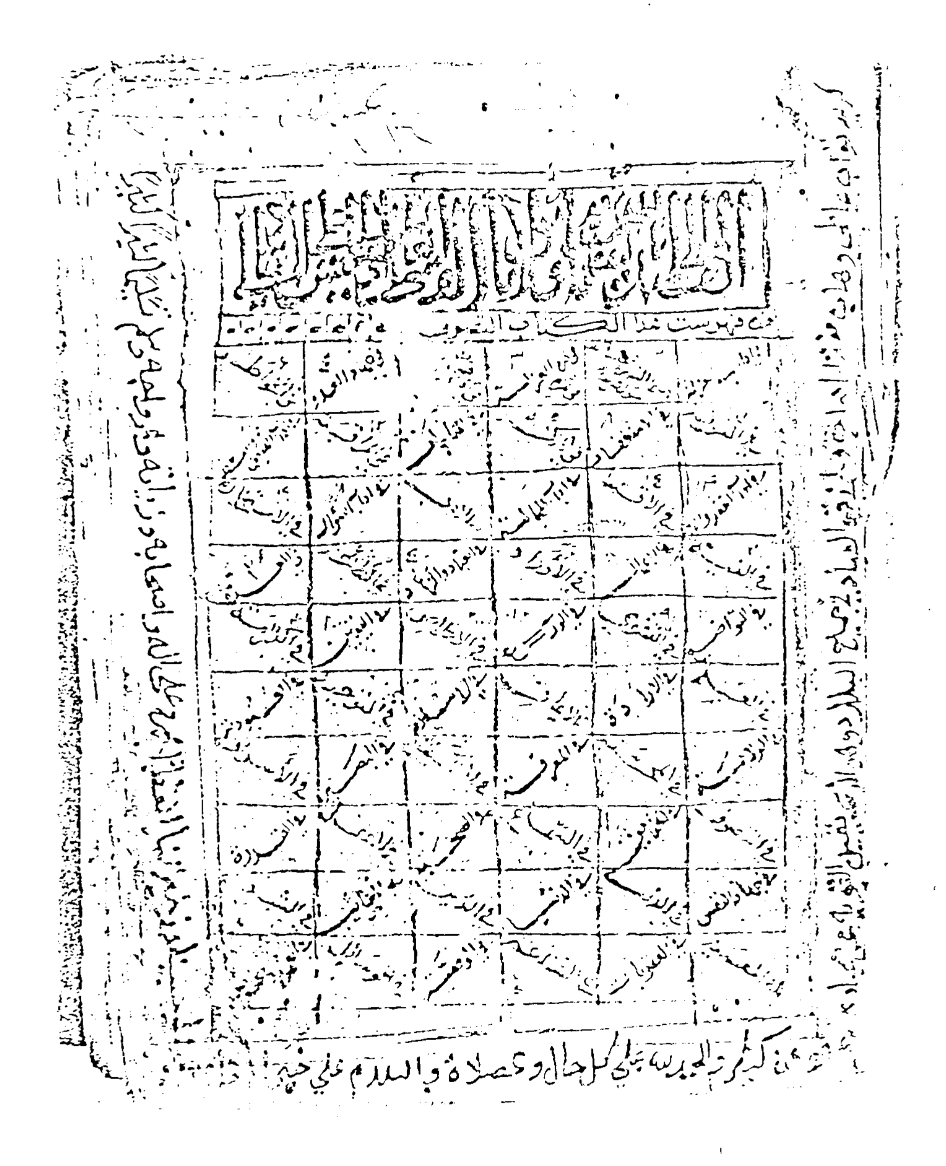
٧ - صورة من مشيخة السادة الرفاعية رقم (هـ) .

٨ - صورة من نسبة سيدى خليفة الرفاعى بإبيار غربية رقم (و) .

٩ - صورة من نسبة سيدى خليفة الرفاعى بإبيار غربية رقم (ز) .

١٠- صورة من نسبة سيدى خليفة الرفاعى بإبيار غربية وبها تاريخ وفاته وضريحه ومسجده رقم (حـ) .

١١- صورة من صيغة الذكر للسادة الأحباب الخليلية الصوفية فى العصرالحديث وبها ثلاثة عشر إسماً لوحة رقم (ط) .



مخطوط القصر إلى الله تعالى

- تأليف مولانا القطب العارف

"أبي الحسن على الشاذلى"

رقم ١٠٩ مكتبة المسجد

الأحمدى بطنطا.

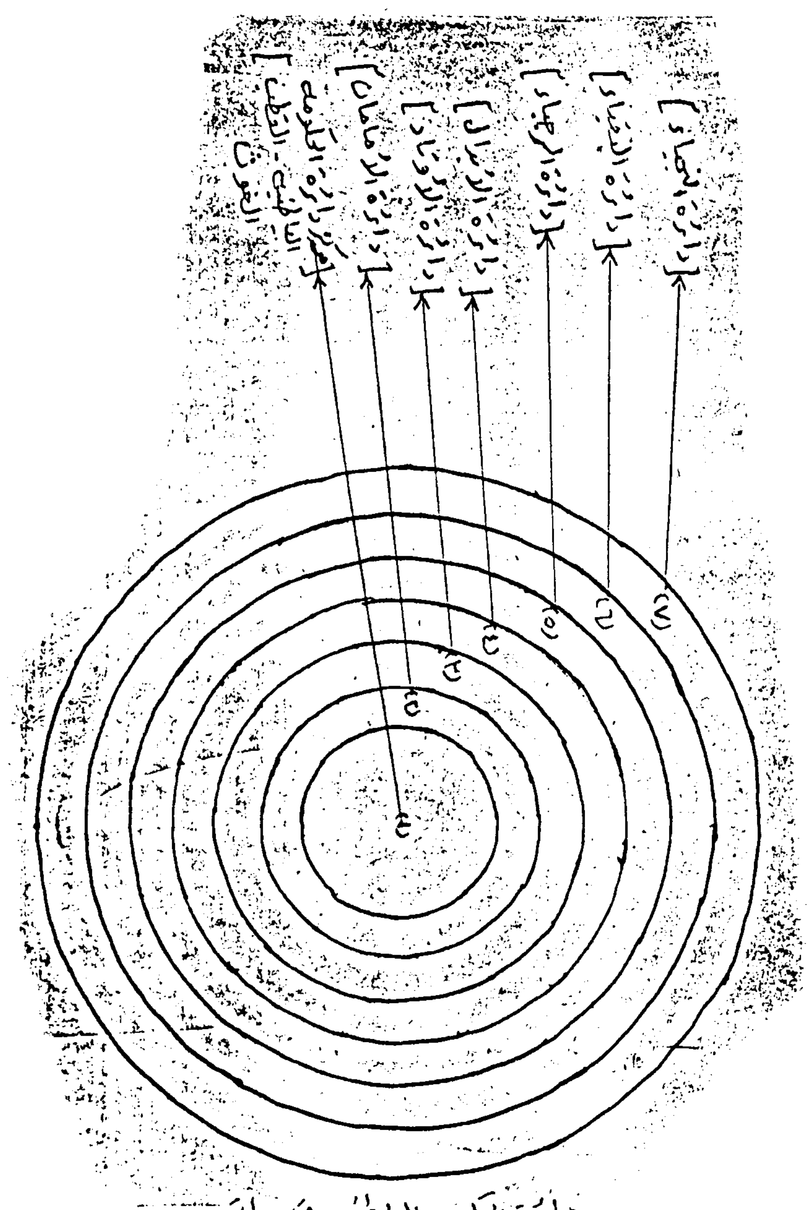
نسخة أخرى مكتبة مسجد

القصبى بطنطا رقم ١٠٩/١٢٧.

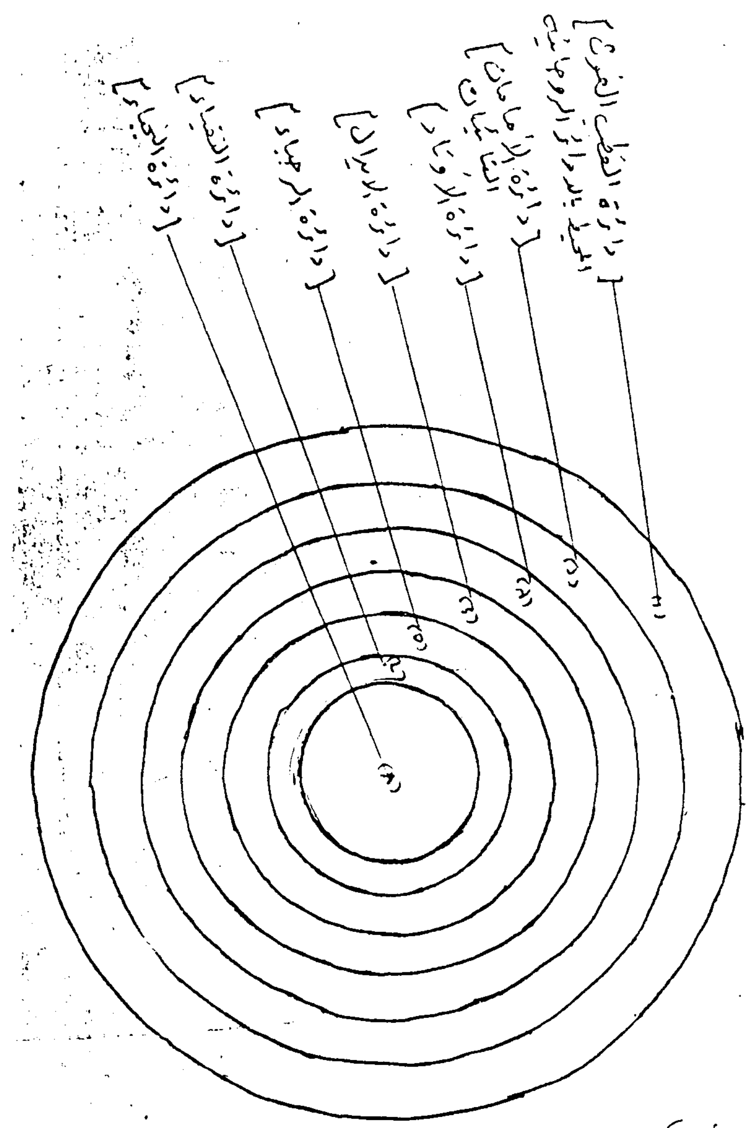
لوحه رقم (١)

تابع مخطوط القصد: لوحة رقم (٢)

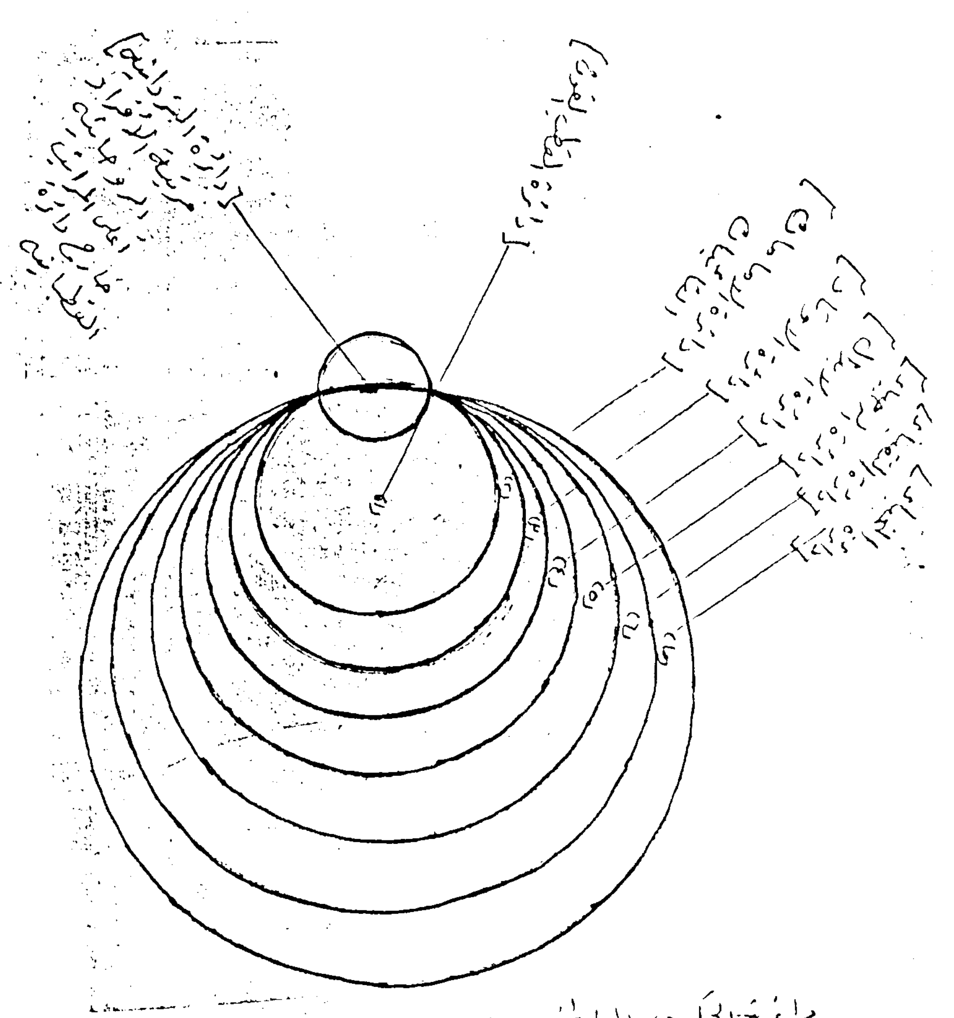
إلى الله تعالى



دائرة الحكومة الباطنية في دولة
الأولياء الصوفية
درجات أفرادها الروحانية
شكل رقم (٩) لتوضيح مصادر
الإشعاع الروحاني من الباطن
إلى الظاهر



دوائر الحكومة الباطنية من دولة الأولياء الصوفية
المنطوية تحت ظلال دائرة القطب الغوث الروحانية
المحيطة بالمراتب الأدنى والممدة لها والمحيطة بالكل
ظاهراً وباطناً . والذي يتولى المريدين بالتربية
في الظاهر والباطن .
شكل رقم (٢)



دائرة الحكومة الباطنية في دولة الأولياء الصوفية
وفيها نوضح تفرد دائرة (الفردانية) عن دائرة
القطبانية والغوثية - لانفراد الأفراد بمراتب
أعلى من مراتب القطبانية - فهي دائرة خارجة
عن دائرة القطب - وهي مصدر اشعاع روحاني
العلم والحكمة - كما اشار لذلك ابن عربي - ومتأخري
الطرق الصوفية - شكل رقم (جـ).

وتعالى وسلم على نعمته التي هي ... [illegible] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد بربوبية مولاه [illegible]
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي ببعثته شمس الإسلام أشرقت صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأصهاره وأنصاره
الذين كل فرد منهم بجميع المحاسن اتصف صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم ينادى فيه بالزلف ، وبعد فإن لبس الخرقة الشريفة
الرفاعية علامة الأسرار وشعار المقربين الاخيار والطرق إلى الله تعالى كثيرة وفضائلها شهيرة ولكن أشرفها وأعزها وأعذبها وأعلاها
طريقة الشيخ الأكبر وعلم الولاية الأزهر وبدر القطبانية الأنور من كان لله داعي سيدنا وأستاذنا السيد أحمد الرفاعي عمت بركاته
الوجود ونفعنا به آمين وهذه الخرقة الشريفة عم نفعها على المسلمين ، وهي من شعار سيد المرسلين ويكفي ما ورد فيها من الأحاديث
الصحيحة والأقوال الصريحة والأسانيد المرضية الدالة على أنها من شعار خير البرية ولبس أصحابه ذوي المراتب السنية (حديث) حدثنا
محمد بن بشار وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سلمة وحدثنا محمود بن غيلان وحدثنا وكيع عن حماد بن سلمة عن الزبير عن جابر قال
• دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وفي رواية عن نافع بن عمر قال • عمم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن عوف بعمامة سوداء وأرخاها من خلفه قدر أربعة أصابع وقال هكذا فاعتم • وفي حديث الحسن بن علي عن أبي داود (رأى النبي صلى الله
عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء وقد أرخى طرفها بين كتفيه) وفي الترمذي عن عمر رضي الله عنه • كان النبي صلى الله عليه وسلم
إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه • والأحاديث في ذلك كثيرة واضحة مستنيرة وكان خرقة السادة الرفاعية أشرف الخرق كذا أعلامهم
أشرف الأعلام لأنها رفعت بين يدي سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ، عن ابن سعد في الطبقات عن الإمام الحسن رضي الله عنه كانت
[illegible]
السادة الرفاعية كل راغب وطلبها كل محب ، ومن جملة من تعشق بهذا الطريق واندرج في سلكه بأحسن ما يليق واتصل بالعهد
بحبل الله الوثيق الوافي بعهده الملازم على ورده الخادم لشيخه وإخوانه ولدنا الصالح الناجح الشيخ حافظ

طه حافظ الرفاعي من أهالي برما مركز
طنطا محافظة الغربية الظافر بالعهد الشريف
الرفاعي من شيخه ووالده عصبا المرحوم الشيخ
طه حافظ الرفاعي من أهالي الجهة المذكورة وهو
من شيخه ووالده عصبة المرحوم الشيخ حافظ الرفاعي
عباس الرفاعي من أهالي الجهة المذكورة وهو من
شيخه ووالده عصبا المرحوم الشيخ عباس الرفاعي
صبيح من أهالي الجهة المذكورة ————

تحريراً في يوم الخميس ... سنة ١٣٨٠ ... ألف وثلاثمائة وثمانين ... وتقبل جلالات الشريفة ... [illegible]

خادم عموم السادة الرفاعية
السيد محمود ... الرفاعي

لوحة رقم (د)

[illegible] الرحمن الرحيم [illegible]

الله	الرحمن	الرحيم	الم[illegible]	القدو[illegible]	ال[illegible]	المؤمن	المهيمن	العزيز	الجبار
المتكبر	الخالق	البارىء	المصو[illegible]	الغفا[illegible]	[illegible]	[illegible]	الرزاق	الفتاح	العليم
القابض	الباسط	الخافض	[illegible]رافع	المعز	المذل	السميع	البصير	الحكم	العدل
اللطيف	الخبير	الحليم	العظيم	الغفور	الشكور	العلي	[illegible]بير	[illegible]حفيظ	المقيت
الحسيب	الجليل	الكريم	الر[illegible]	المجيب	الواسع	الحكيم	[illegible]ودود	المجيد	للباعث
الشهيد	الحق	الوكيل	القوي	المتين	الولي	[illegible]	المحصي	المبدىء	المعيد
المحيي	المميت	الحي	القيوم	الواجد	الماجد	الواحد	الصمد	القادر	المقتدر
المقدم	المؤخر	الاول	الآخر	الظاهر	الباطن	الوالي	المتعالي	البر	التواب
المنتقم	العفو	الرؤف	مالك الملك	ذو الجلال والاكرام	المقسط	الجامع	الغني	المغني	المانع
الضار	النافع	النور	الهادي	البديع	الباقي	الوارث	الرشيد	الصبور	

الحمد لله الذي كسا الذاكرين ملابس الشرف ووفق من اختاره لاتباع طريق من سلف فكان باتباعهم نعم الخلف احمده سبحانه وتعالى واشكره على نعمه التي هي كالغيث إذا وكف وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد بربوبية مولاه اعترف أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي ببعثته شمل الإسلام إئتلف صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأصهاره وأنصاره الذين كل فرد منهم بجميع المحاسن أنصف صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم ينادي فيه بالزلف ، وبعد فان لبس الخرقة الشريفة الرفاعية علامة الأبرار وشعار المقربين الأخيار والطرق إلى الله تعالى كثيرة وفضائلها شهيرة ولكن أشرفها وأعزها وأعذبها وأعلاها طريقة الشيخ الأكبر وعلم الولاية الازهر وبدر القطبانية الانور من كان لله داعي سيدنا وأستاذنا السيد احمد الرفاعي عمت بركاته الوجود ونفعنا به آمين وهذه الخرقة الشريفة عم نفعها على المسلمين ، وهي من شعار سيد المرسلين ويكفي ما ورد فيها من الأحاديث الصحيحة والأقوال الصريحة والاسانيد المرضية الدالة على أنها من شعار خير البرية ولبس أصحابه ذوي المراتب السنية (حديث) حدثنا محمد بن بشار وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سلمه وحدثنا محمود بن غيلان وحدثنا وكيع عن حماد بن سلمه عن أبي الزبير عن جابر قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وفي رواية عن نافع عن ابن عمر قال : عمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عوف بعمامة سوداء وأرخاها من خلفه قدر أربعة أصابع وقال هكذا فاعتم وفي حديث الحسن بن علي عن أبي داود رأى النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء وقد أرخى طرفها بين كتفيه وفي الترمذي عن عمر رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أعتم سدل عمامته بين كتفيه والاحاديث في ذلك كثيرة واضحة مستنيرة وكما أن خرقة السادة الرفاعيه أشرف الخرق كذا أعلامهم أشرف الاعلام لأنها رفعت بين يدي سيد الانام صلى الله عليه وسلم . عن ابن سعد في الطبقات عن الإمام الحسن رضي الله عنه كانت راية النبي صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب وعمامته سوداء وهذا هو الشرف الجزيل والفضل الأثيل هنالك رغب في طريقة السادة الرفاعية كل راغب وطلبها كل محب ومن جملة من تعشق بهذا الطريق وأندرج في سلكه بأحسن ما يليق وأتصل بالعهد بحبل الله الوثيق الوافي بعهده الملازم على ورده الخادم لشيخه وإخوانه ولدنا الصالح الناجح الشيخ

الشيخ علي محمد ابو [illegible] الرفاعي [illegible]

[illegible] محافظ [illegible]

[illegible] الرفاعي [illegible]

لوحة رقم (هـ)

والسيد حجازي وسيدي على الأصغر والسيد محمد بن
والسيد عبد الحق الكائن ضريحه بقحافه والسيد
مصطفى والسيد نصر الدين والسيد أحمد الاصغر
والسيد صباح والسيد حامد/فأما السيد على الحطاب
فهو رضى الله تعالى عنه بالمقام المشهور بتونس
ببلاد المغرب وتزوج بنت من بنات سيدي حسين
وهو من نسل سيدي محمد بن على رضى الله عنه
ساكن أم مكناس وهو ابن عم سيدي أحمد البدوي
وعقب خمسه ثلاثه ذكور واثنين إناث فأما السيد
عروس المغربي المدفون بالهيايتم والسيد محمد الديب
المدفون بأبوصير والسيد خليفة رضى الله عنه والسيد
فاطمه والسيده عائشه/فأما السيد خليفه فإنه تولى
السلطنه والقطبانيه وله كرامات لا تحصى ولا تعد
ومن بعض أقواله إنه قال.
تعاظم قدري عند أهل الولايه
[الوجهة رقم و] وفي سائر الأقطار شاعت كرامتي

سمعت بي الحضرة العليه

انا السيد المعروف واسمي خليفه

من أمي أبي ساكن تونس الخضرة

انا جدي الغوث مدين في الورى

وأدريس والنعمان وأبي حنيفه

أنا صاحب العلم النفيس بمالك

وجدي رسول الله خير البريه

انا كنت قبل القبل قطب معظم

وطافت بي الاملاك قبل الولايه

تمسك من يدي وكن بي واثقا

لك الفخر في الدنيا ويوم القيامة

وذر مقامي خاضعا متذللا

وقبل أعتابي ولازم حضرتي

من جاء أنا فله الهنا وله الغنى

لوحه رقم [ز] ومن حاد عنا لاتشمله مسرتي

ويوم الزحام اكن له شافعا [لوحة رقم ز]

... الله الرحمن الرحيم

- فالله سبحانه وتعالى أمر بالذكر وأمر به في جميع الكتب السماوية وكل نبي ولا تقرب ولي الا به. قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكره وأصيلا) (سورة الاحزاب آيه ٤١) وقال سبحانه وتعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (سوره الجمعه آيه ١٠) وقال سبحانه وتعالى (فاذكروني أذكركم) (سوره البقره ١٥٢) وقال الحبيب صلى الله عليه وسلم "الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم. قالوا بلى. قال ذكر الله" (رواه أحمد بأسناد حسن بن أبي الدنيا والترمذي وأبن ماجه والحاكم.

ولهذا أمرنا شيخنا وقدوتنا الى الله سبحانه وتعالى سيدنا الشيخ الحاج محمد أبو خليل وخليفته من بعده بذكر الله سبحانه وتعالى بالاسماء الاتيه بحيث لا يحصر العدد الا ليلا لانه وقت التجليات وخلوه الاحباب فيذكر أسم الله مائه الف مره بمعنى أن يتلو الاسم كل ليله على قدر الطاقه فاذا أتم هذا العدد يتلو الاسم الثاني وهكذا حتى تتم جميعها فتعاد من اولها ويشترط عند الذكر ان يلاحظ الذاكر معنى الاسم الذي يذكره ليكتسب سر الذكر وتظهر عليه انواره وان يقرأ عند البدء الفاتحه لحضره النبي صلى الله عليه وسلم ثم لسيدي احمد البدوي ثم لسيدي على البيومي ثم لشيخنا الحاج محمد أبي خليل وخليفته ثم للاخوان وها هي الاسماء:

لا الـه الا اللـه
لا معبود بحق الا اللـه

اللـه	هـو	حـي	واحـد
علم على الذات العليه	حاضر لا يغيب	دائم الحياه	لا ثاني له
عزيز	ودود	حق	قهار
لا نظير له	كثير الود لعباده	ثابت لا يتغير	يقهر ولا يقهر
قيوم	وهاب	مهيمن	باسط
قائم بأسباب مخلوقاته	كثير العطاء	مطلع على افعال مخلوقاته	يبسط الرزق لمن يشاء من عباده

ويطلب الاستغفار نهارا وكذا الصلاه على حضره المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغه ((اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما في علم الله صلاه دائمه بدوام ملك الله)) ويتأكد الصلاه عليه صلى الله عليه وسلم عقب كل صلاه مكتوبه ثلاث مرات بهذه الصيغه ((اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا وعدد كل حرف الفا الفا وعدد صفوف الملائكه صفا صفا وعدد كل صف الفا الفا وعدد الرمال ذره ذره وعدد كل ذره الف الف مره عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك في برك وبحرك وسائر خلقك عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه مثل ذلك)).

[لوحة رقم ط]

ويوم الزحام اكن له شافعًا

وأدخل أولادى تحت حمايتى

وأدم صلاتى على النبى محمد [لوحه رقم [٢]

شفيعًا لامته فى يوم القيامة

ذكر أولاد فرع الشجرة الزكيه وطراز العصابه

الهاشميه سيدى خليفه فهو عقب ثلاثه وهم

السيد محى الدين والسيد خليفه الأصغر

والسيد محمد المشهور بالبركاوى وله زرية من

السلطان الظاهر بيبرس وتولى السلطنه

والقطبانيه وتوفى سنة ٦٣٤ ودفن بمدينة إبيار

بولاية الغربية بجزيرة نصر وعمره ٩٢ سنه

وله كرامات لا تحصى ولا تعد فأما السيد محمد

عقب السيد جعفر ودفن السيد محمد بالجزيره

فأما السيد جعفر فهو عقب السيد على النشار

فهو عقب السيد خليفه والسيد محمد والسيد

محى الدين ولهم زريه فأما السيد محى الدين

ولهم زريه فأما السيد محى الدين الأكبر دفن

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- المخطوطات والدوريات:

١ - أبو الحسن الشاذلي- الطريق القصد إلى الله عز وجل - مخطوط - مكتبة المسجد الأحمدى بطنطا رقم/ ١٥٩/ ٦٧٦ .

٢ - التفتازنى (دكتور أبو الوفا): الطرق الصوفية فى مصر - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م .

٣ - البدوى (العارف بالله تعالى السيد أحمد): نسبته الشريفة - مخطوط - مكتبة المسجد الإحمدى بطنطا - رقم/ ٦٨١/ تقييم .

٤ - خليفة : نسبة سيدى خليفة الرفاعى بإبيار مخطوط بضريحه .

٥ - الجيلانى: مناقب سيدى عبد القادرالجيلانى مخطوط - مكتبة المسجد الأحمدى بطنطا رقم/ ٢٨٣/ تصوف .

٦ - الجيلانى: فضائل سيدى عبد القادر الجيلانى مخطوط - مكتبة المسجد الأحمدى بطنطا رقم/ ٢٨٤/ تصوف .

٧ - عبد الغنى النابلسى: دفع الإبهام ورفع الإبهام - مخطوط مكتبة المسجد الأحمدى بطنطا رقم/ ٥٨٣/ تصوف .

٨ - محمد بن عمر العمرى: قواعد الصوفية فيما يتعلق بالذكر وشروطه وآدابه، وسلوكه مخطوط بالمسجد الأحمدى بطنطا، رقم/ ٥٥٧/ تصوف.

٩ - مجموعة نشرات مهداه للسادة الأحباب الخليلية والرفاعية فى مراد الطريقة،وأورادها، وصلواتها - بمكتبة الباحث، وبالبحث صور من أصولها الأساسية.

١٠ - دائرة المعارف الإسلامية - جـ٣، حـ٩ إعداد زكى خورشيد - الشنتناوى وغيرهم - ط الشعب بدون تاريخ.

١١ - مجموعة الأوراد الكبير والأحزاب والأدعية، طبعة مكتبة تاج بطنطا بدون تاريخ .

١٢- كتاب بسط مدد التوفيق فيما يتعلق بأحكام الطريق - لبعض مشايخ الصوفية - مكتبة الجمهورية بالقاهرة بدون تاريخ .

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

١٣- إبن بطوطة/ ٧٧٠/ هـ تهذيب رحلة إبن بطوطة - ط وزارة المعارف العمومية - ١٩٣٦م .

١٤- إبن تيمية (الإمام تقى الدين) : تفسير سورة الإخلاص - مكتبة أنصار السنة المحمدية بدون تاريخ .

١٥- إبن تيمية (الإمام تقى الدين) : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - تحقيق محمود عبد الوهاب فايد - ط صبيح القاهرة ١٩٥٥م .

١٦- إبن تيمية (الإمام تقى الدين) : رسالة العبودية فى الإسلام - ط المكتبة السلفية بمصر/ ١٤٠٠ هـ/ .

١٧- إبن تيمية (الإمام تقى الدين) : الرسالة التدميرية (ضمن مجموعة نفائس) تحقيق محمد حامد الفقى - ط مكتبة أنصار السنة المحمدية بمصر بدون تاريخ.

١٨- إبن تيمية : الرسالة الحموية الكبرى (ضمن مجموعة نفائس) تحقيق حامد الفقى ط مكتبة إنصار السنة المحمدية بمصر بدون تاريخ.

١٩- إبن تيمية : الصوفية والفقراء - ط دار الفتح بمصر ١٩٨٤م .

٢٠- إبن تيمية : رسالة عقيدة الفرق الناجية - تحقيق زهير الشاويش - ط المكتب الإسلامى ببيروت ١٩٨٤م .

٢١- إبن الجوزى (جمال الدين): تلبيس إبليس - ط مكتبة المتنبى بالقاهرة بدون تاريخ.

٢٢- إبن خلدون (عبد الرحمن) : المقدمة - ط دار القلم ببيروت ١٩٨٤م .

٢٣- إبن خلكان : وفيات الأعيان - ط مصر ١٣١٠ .

٢٤- إبن سبعين (عبد الحق) : رسائل إبن سبعين - تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى - ط الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥م .

٢٥- إبن عياد " المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية ط المطبعة العامرية الشرقية ١٣١٤ هـ .

٢٦- إبن عجيبة (الشيخ أحمد الحسنى) : إيقاظ الهمم فى شرح الحكم - مطبعة عبد الحميد حفنى بمصر ١٣٨١ هـ .

٢٧- إبن عجيبة (الشيخ أحمد الحسنى) : تجريد شرح الأجرومية لعبد الله بن داود الصنهاجى فى مقامات السادات الرجال - تحقيق ونشر الشيخ عبد القادر أحمد الكوهنى - ط المطبعة المحمودية بمصر - ١٣١٩ هـ .

٢٨- إبن عجيبة (الشيخ أحمد الحسنى) : الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية - مؤسسة عبد الحميد حفنى بمصر - ١٣٨١هـ.

٢٩- إبن عجيبة (الشيخ أحمد الحسنى) : الفهرست - تحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان - ط دار الغد العربى - القاهرة ١٩٩٠م .

٣٠- إبن عربى (الشيخ الأكبر محى الدين) : الفتوحات المكية (السفر الأول والثانى) تحقيق دكتور عثمان يحيى - إبراهيم مدكور - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٢م .

٣١- إبن عربى : فصوص الحكم - تحقيق دكتور أبو العلا عفيفى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة عام ١٩٦٤م .

٣٢- إبن عربى : رسالة عنقاء مغرب فى ختم الأولياء وشمس المغرب - ط مكتبة أولاد صبيح بالأزهر - عام ١٩٥٤م .

٣٣- إبن عربى : رسالة شجرة الكون - ط صبيح ١٩٦٧م .

٣٤- إبن عربى : رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من أسرار - تحقيق عبد الرحمن حسن محمود ط عالم الفكر - القاهرة ١٩٨٦م.

٣٥- إبن عربى : رسالة الخلوة المطلقة - تحقيق عبد الرحمن محمود - ط عالم الفكر بالقاهرة ١٩٨٧م .

٣٦- إبن عربى : الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من شروط (ضمن مجموعة رسائل التحفة البهية ط - قديمة) .

٣٧- إبن عربى : رسالة الأخلاق - تحقيق عبد الرحمن حسن محمود ط عالم الفكر بالقاهر ١٩٨٦م .

٣٨- إبن عربى : رسالة الموعظة الحسنة - تحقيق عبد الرحمن حسن محمود - ط عالم الفكر بالقاهرة ١٩٨٦م .

٣٩- إبن عطاء الله السكندرى : لطائف المنن - ط القاهرة ١٣٢٢ هـ - كذلك الحكم العطائية ملحق بكتاب إيقاظ الهمم لإبن عجيبة ط مؤسسة عبد الحميد حفنى ١٣٨١ هـ .

٤٠- إبن العماد الحنبلى : شذرات الذهب - حـ٦ - ط مصر ١٣٥٠ هـ .

٤١- إبن الفارض (سلطان العاشقين عمر) : ديوان إبن الفارض - ط المكتبة الحسينية بمصر - عام ١٩٥٢م .

٤٢- إبن قضيب اللبان (عبد القادر بن محمد بن أبى الفيض) : المواقف الإلهية - مخطوط منشور بكتاب الإنسان الكامل - دكتور عبد الرحمن بدوى ط - الوكالة الكويتية - الكويت - ١٩٧٦م .

٤٣- إبن القيم الجوزية : الروح - ط دار السلام العالمية للطبع والنشر - القاهرة بدون تاريخ .

٤٤- إبن القم الجوزية : الوابل الصيب من الكلم الطيب مكتب القاهرة ١٩٧٢ م .

٤٥- إبن النديم : الفهرست - ط لبيزج بدرن تاريخ .

٤٦- أبو بكر الكلاباذى : كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف - تحقيق محمود أمين النواوى ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٨٠م .

٤٧- أبو ريان (دكتور محمد على) : إصول الفلسفة الإشراقية عند السهروردى (شهاب الدين) ط - الأنجلوالمصرية القاهرة ١٩٥٩م .

٤٨- أبو طالب المكى : قوت القلوب - ط القاهرة ١٣١٠هـ .

٤٩- أبو العلا عفيفى (دكتور) : مقدمة تحليلية لكتاب مشكاة الأنوار للغزالى - ط الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤م .

٥٠- أبو العلا عفيفى : إبن عربى فى دراساتى - بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى فى الذكرى المئوية لمحى الدين بن عربى ط - الهيئة العامة للكتاب ١٩٦٩م .

٥١- أبو الفضل العراقى (الحافظ) : المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار وتخريج مافى الأحياء من أخبار (هامش كتاب إحياء علوم الدين) ط دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ، ط الشعب .

٥٢- أبو المظفر الأسفراينى : التبصير فى الدين - تحقيق محمد بن زاهد الكوثرى - مطبعة الأنوار - ١٩٤٠م .

٥٣- أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء حـ١ ط السعادة - القاهرة ١٩٣٨م .

٥٤- إبراهيم بيومى مدكور (دكتور) : فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه - حـ١ ط - دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٤٧م .

٥٥- إبراهيم بيومى مدكور (دكتور) : فى الفلسفة الإسلامية - منهج وتطبيقه جـ٢ ط دار المعارف ١٩٨٣م .

٥٦- إبراهيم بيومى مدكور (دكتور) : دروس فى تاريخ الفلسفة ط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٣م .

٥٧- إبراهيم بيومى مدكور (دكتور) : مقدمة عن إبن عربى - ملحق بالكتاب التذكارى فى الذكرى المئوية الثامنة لإبن عربى - ط الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٦٩م .

٥٨- ابراهيم بسيونى (دكتور) : البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة - ط الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣م.

٥٩- ابراهيم الدسوقى (العارف بالله سيدى ابراهيم) :كتاب جوهرة الدسوقى - تحقيق ونشر طه عبد الرؤف سعد - ط كتاب الكليات الأزهرية - ١٩٧٢م

٦٠-أحمد أمين : ظهر الإسلام - حـ٤ - ط مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٣م

٦١- أحمد حامد عبد الكريم (الشاذلى) : أبوالحسن الشاذلي (الفيض الصمدى والمشرب المحمدى) ط - الجمهورية - بمصر - ١٩٧٧.

٦٢- أحمد زروق : الوظيفة المسماه بسفينة النجا لمن إلى الله نجا - ملحق بكتاب مجموعة وظائف وأحزاب وصلوات بنشر عبد الخالق حقى - المطبعة الشرقية بمصر ١٣١٣ ه .

٦٣- أحمد زروق : شرح الحكم العطائية - تحقيق دكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، ط دار المعارف ١٩٦٩ م.

٦٤- احمد شلبى (دكتور) : التاريخ الإسلامى والحضاره الإسلامية - حـ٤ ط النهضة المصرية ١٩٨٣م .

٦٥- أحمد محمود صبحى (دكتور) : نظرية الأمامه عند الشيعة الأثنى عشريه - ط دار المعارف ١٩٦٩م .

٦٦- أحمد محمود صبحى (دكتور) : الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى - ط دار المعارف ١٩٨٣م .

٦٧- أحمد الرفاعى (العارف بالله شيخ الطريقة الرفاعية) : كتاب الوصايا - تحقيق ونشر صلاح عزام ط - دار التراث العربي القاهرة ١٩٨٤م.

٦٨- أحمد حجاب : العظة والإعتبار (آراء فى حياة السيد البدوى) - ط - الشعراوى بطنطا - ١٩٥٩م .

٦٩- إخوان الصفاء : رسائل إخوان الصفاء - تحقيق خيرى الدين - الزركلى- ط القاهرة ١٩٢٧م . ، وتحقيق البستانى ط بيروت ١٩٥٨م .

٧٠- أنور الجندى : الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا - ط الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥م .

٧١- البخارى : صحيح البخارى - عدة أجزاء ط الشعب بدون تاريخ .

٧٢- بروكلمان : تاريخ الأدب العربى - ط دار المعارف ١٩٧٧م، ط - ١٩٨٣م.

٧٣- بطرس البستانى: دائرة المعارف - المجلد الأول ط بيروت ١٨٧٦م.

٧٤- البغدادى (الحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ت عام٤٦٣هـ/: تاريخ بغداد حـ١٤ - القاهرة ١٣٤٩هـ .

٧٥- البغدادى (عبد القاهر ت عام ٤٢٩ هـ /): الفرق بين الفرق - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط مكتبة التراث القاهرة بدون تاريخ .

٧٦- البيهقى : تاريخ البيهقى -ط الأنجلو المصرية .

٧٧- الترمذى (أبوعبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى)- الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد - تحقيق دكتور نيقولا هير - ط مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة بدون تاريخ .

٧٨- التفتازانى (دكتور أبو الوفا) : إبن سبعين وفلسفته الصوفية - ط بيروت ١٩٧٣م .

٧٩- التفتازانى (دكتور أبو الوفا) : مدخل إلي التصوف الإسلامى - ط دار الثقافة للطبع والنشر - القاهرة -١٩٧٤م .

٨٠- التفتازانى (دكتور أبو الوفا) : مبحث الحد من كتاب بد العارف لإبن سبعين - بحث منشور بكتاب دراسات فى الفن والفلسفة والفكر القومى فى ذكرى عبد العزيز الأهوانى ط دار القاهرة للنشر والتوزيع - ١٩٨٣م .

٨١- التفتازانى (دكتور أبو الوفا) : الطريقة الأكبرية - بحث منشور بالكتاب التذكارى - فى الذكرى المئوية الثامنة لمحى الدين بن عربى - ط الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٦٩م .

٨٢- التفتازانى (دكتور أبو الوفا): إبن عطاء الله السكندرى وتصوفه ط الانجلو المصرية - ١٩٦٩م .

٨٣- التفتازانى (دكتور أبو الوفا) : أحمد زروق - بحث منشور ضمن كتاب أعلام الفكر الإنسانى - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤ م .

٨٤- توفيق الطويل (دكتور) : التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى حـ١ ط- الهيئة العامة للكتاب - القاهر ١٩٨٨م .

٨٥- توفيق الطويل (دكتور) : التصوف فى مصر (عبد الوهاب الشعرانى إمام التصوف فى القرن العاشر) ط الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٨م .

٨٦- الجبرتى (عبد الرحمن) : تاريخ الجبرتى (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) - ط الشعب ١٩٥٨م .

٨٧- جولد تسهير (أجناتس) : مواقف أهل السنة بإزاء علوم الأوائل - بحث منشور بكتاب التراث اليونانى في الحضارة الإسلامية ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى - ط دار النهضة المصرية ١٩٤٧م ، ط دار القلم بيروت ١٩٨٠م .

٨٨- جولد تسهير (أجناتس) : العناصر الأفلاطونية المحدثة فى الحديث - (بحث منشور بكتاب التراث اليونانى فى الحضارة الأسلامية ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ط دار النهضة ١٩٤٧م، ط دار القلم بيروت ١٩٨٠م.

٨٩- جولد تسهير (أجناتس) : مذاهب التفسير الإسلامى ترجمة الدكتورعبد الحليم النجار- ط الخانجى بمصر ١٩٥٥م.

٩٠- الجيلى (عبد الكريم) : الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل حـ٢، حـ١ ط الحلبى - ١٩٧٠م .

٩١- الجيلى (عبد الكريم) : الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم (ملحق بكتاب البسملة بين أهل العبارة وأهل البشارة - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣م.

٩٢- الحصافى (الشيخ حسين حسنين): تنوير الأبصار فيما يجب معرفته فى التوحيد. مطبعة الإصلاح بمصر - ١٣٢٩هـ / ١٩١١م .

٩٣- الحصافى : السبيل الواضح لمن رغب التعوذ من الوقوع في الفضائح (ضمن كتاب مجموعة الوظائف والصلوات) نشر عبد الخالق حفنى - المطبعة الشرقية بمصر - ١٣١٣هـ .

٩٤ - حسن الشرقاوى (دكتور) : الحكومة الباطنية ط - ١٩٧٥م .

٩٥- الحلاج (الحسين بن منصور) : طاسين الأزل ط دار النديم بالقاهرة - ١٩٨٨م .

٩٦- الزرقانى (الشيخ أحمد): توسل في نسب الشيخ حسين حسنين الحصافى الشاذلى - ط دار الإصلاح للطباعة بمصر ١٩١١م .

٩٧- زكى نجيب محمود (دكتور): قصة الفلسفة اليونانية - ط القاهرة ١٩٤٩م .

٩٨- السبكى (تاج الدين عبد الوهاب) : طبقات الشافعية الكبرى - حـ٤ - المطبعة الحسينية بالقاهرة - ١٩٥٧م .

٩٩- السراج الطوسى : كتاب اللمع - ط القاهرة ١٩٥٧م .

١٠٠- سعد زغلول عبد الحميد (دكتور): تاريخ المغرب العربى - ط دار المعارف ١٩٦٣م .

١٠١- سعيد عاشور (دكتور) السيد البدوى شيخ وطريقة - ط دار الكتاب العربى ١٩٦٧م.

١٠٢- سليمان الجمل : الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالية للرقائق الخفية - حـ٢ المطبعة العامرية الشرقية بمصر ١٣٠٣هـ - .

١٠٣- سليمان دنيا (دكتور): الحقيقة عند الغزالى ط دار المعارف ١٩٧٢م .

١٠٤- السلمى (عبد الرحمن) : طبقات الصوفية. تحقيق نورالدين شريبية - ط الخانجى بمصر ١٩٥٣م .

١٠٥- السنهوتى (الشيخ ياسين) : الأنوار القدسية مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٤هـ .

١٠٦- (أبو حفص عمر): عوارف المعارف (بهامش كتاب إحياء علوم الدين للغزالى) ط دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ.

١٠٧- السهروردى (أبو النجيب ضياء الدين) : آداب المريدين - تحقيق فهيم شلتوت - وتقديم دكتور حسن عباس زكى - ط مكتبة دار الوطن بالقاهرة بدون تاريخ .

١٠٨- السهروردى (شهاب الدين المقتول/ ٥٨٧/ هـ) : هياكل النور - تحقيق الدكتور محمد على أبو ريان - ط المكتبة التجارية بمصر ١٩٥٧م .

١٠٩- سيد محمد عطيه (خليفة السادة البرهامية) : صلوات وأحزاب (المجموعة الدسوقية البرهامية) ط المكتبة الأزهرية - القاهرة بدون تاريخ.

١١٠- السيوطى (جلال الدين) : حسن المحاضرة - جـ١، ط ١٢٩٩هـ .

١١١- الشرنوبى : طبقات الشرنوبى - ط البلقينى القاهرة ١٢٨٠هـ

١١٢- الشعرانى (عبد الوهاب) : الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية (هامش كتاب الطبقات الكبرى). ط دار الفكر العربى القاهرة بدون تاريخ .

١١٣- الشعرانى : الطبقات الكبرى - جـ١، جـ٢ ط دار الفكر العربى القاهرة بدون تاريخ .

١١٤- الشعرانى : الطبقات الصغرى - ط الحلبى بمصر بدون تاريخ .

١١٥- الشعرانى : الكبريت الأحمر فى بيان علوم الشيخ الأكبر (هامش كتاب اليواقيت والجواهر) - ط عبد السلام مشقرون القاهرة - ١٣٥١هـ .

١١٦- الشعرانى : تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر فيما خالفوا فيه سلفهم الطاهر - ط الحلبى - القاهرة ١٩٨٧م .

١١٧- الشعرانى : اليواقيت والجواهر فى بيان علوم الأكابر - ط عبد السلام شقرون القاهرة ١٣٥١هـ .

١١٨- الشهرستانى : الملل والنحل - جـ١، جـ٢ نشرة عبد العزيز الوكيل - مكتبة المتنبى - القاهرة - بدون تاريخ .

١١٩- صابر طعيمة (دكتور) : دراسات فى الفرق - ط - مكتبة المعارف بالرياض ١٩٨٧م .

١٢٠- صدر الدين القونوى : كتاب مراتب الوجود - (ملحق بكتاب الإنسان الكامل) تحقيق دكتور عبد الرحمن بدوى - ط الوكالة الكويتية - الكويت ١٩٧٦م .

١٢١- الصيادى (السيد محمد أبو الهدى) : تنوير الأبصار فى طبقات الرفاعية الأخيار - ط المطبعة العامرية الشرقية بمصر ١٣٠٦هـ .

١٢٢- الصيادى (السيد محمد أبو الهدى) : قلادة الجواهر فى ذكر الغوث الرفاعى وأتباعه الأكابر - ط بيروت المطبعة الأدبية - ١٣٠١ هـ .

١٢٣- الصيادى (السيد محمد أبو الهدى) : التاريخ الأوحد للغوث الرفاعى الأمجد - ط المحروسة بمصر بدون تاريخ .

١٢٤- عبد الحفيظ فرغلى : عبد الوهاب الشعرانى - (إمام القرن العاشر) - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٥م .

١٢٥- عبد الجليل: قاسم المنار الهادى - المكتبة العصرية ببيروت ١٩٧٣م .

١٢٦- عبد الحليم محمود (دكتور) : أقطاب التصوف (سفيان الثورى) - ط دار المعارف ١٩٨١م .

١٢٧- عبد الحليم محمود (دكتور) : أقطاب التصوف (السيد أحمد البدوى) : ط دار المعارف ١٩٨٩م .

١٢٨- عبد الحليم محمود (دكتور) : القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش - ط مؤسسة دار الشعب بالقاهرة ١٩٧٦م .

١٢٩- عبد الحليم محمود (دكتور) : قضية التصوف (المدرسة الشاذلية الحديثة) حـ١ط دار المعارف ١٩٨٣م .

١٣٠- عبد الحليم محمود (دكتور) : المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلى - ط دار المعارف حـ٢ - ١٩٨٣م .

١٣١- عبد الحليم محمود (دكتور) : أستاذ السائرين الحارس إبن أسد المحاسبى- ط دار الكتب الحديثة ١٩٧٢م .

١٣٢- عبد الحليم محمود (دكتور) : أبو بكر الشبلى - ط الدار المصرية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٨م .

١٣٣- عبد الخالق حقى : مجموعة وظائف وأحزاب وأوراد ورسائل للسادة الصوفية - ط - المطبعة الشرقية بمصر ١٣١٣هـ .

١٣٤- عبد الخالق محمود (دكتور) : إصطلاحات الصوفية - عبد الرازق الكاشانى) ط دار المعارف ١٩٨٤م .

١٣٥- عبد الرحمن بدوى (دكتور) : شهيدة العشق الإلهى - رابعة العدوية ط دار الفكر العربى ١٩٤٩م .

١٣٦- عبد الرحمن بدوى (دكتور) : خريف الفكر اليونانى ط دار القلم بيروت ١٩٧٦م .

١٣٧- عبد الرحمن بدوى (دكتور) : شخصيات قلقة فى الإسلام ط مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٦م .

١٣٨- عبد الرؤف المناوى: الإتحاف السنية بالأحاديث القدسية - تحقيق ونشر الشيخ محمد المنير الدمشقى - بدون تاريخ .

١٣٩- عبد الرؤف المناوى: الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية - ط المكتبة الأزهرية ١٩٣٨م .

١٤٠- عبد السلام الأسمر (الفيتورى الشاذلى): الوصية الكبرى - ط مكتبة النجاح بليبيا عام ١٩٧٦م .

١٤١- عبد السلام الحلوانى : السيرة الخليلية المطبعة الوطنية بالمنصورة ١٣٣٩هـ.

١٤٢- عبد العزيز عبد التواب : سيدى إبراهيم الدسوقى وأولياء الله الصالحين - ط دارالحرية القاهرة ١٩٧٢م .

١٤٣- عبد الفتاح بركة : الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية - ط مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة ١٩٧١م .

١٤٤- عبد القادر قدرى (آل قدس الحلبى): الكوكب المنير فى ترجمة السيد محمد أبو الهدى الصيادى ط المطبعة الوهبية بمصر بدون تاريخ .

١٤٥- عبد القادر محمود (دكتور) : الفلسفة الصوفية فى الإسلام - (مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة) دار الفكر العربى ١٩٦٧م.

١٤٦- عبد الله مصطفى المراغى: الفتح المبين فى طبقات الأصوليين - حـ٣ ط القاهرة بدون تاريخ .

١٤٧- عبد المنعم الحلوانى : السمو الروحى فى الأدب الصوفى (مع ترجمة للشيخ على عقل من مشايخ الطريقة الخليلية) ط الحلبى ١٩٤٨م.

١٤٨- عثمان على أحمد : كتاب تاج الطرق الصوفية على سلك الطريقة البرهامية - ط دار منفيس بالقاهرة ١٩٦٢م .

١٤٩- عثمان يحيى (دكتور) : نصوص تاريخية خاصة بنظرية التوحيد فى التفكير الإسلامى بحث منشور بالكتاب التذكارى فى الذكرى المئوية الثامنة لمحى

الدين بن عربى - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٦٩م .
١٥٠- عباس العزاوى: محى الدين بن عربى وغلاة التصوف بحث منشور بالكتاب التذكارى - لإبن عربى - ط الهيئة العامة للكتاب - ١٩٦٩م.
١٥١- عضد الدين الأيحى: المواقف فى علم الكلام ط - عالم الكتب - بيروت طبعة حديثة بدون تاريخ .
١٥٢- العز بن عبد السلام: بيان الحقيقة والشريعة (حل الرموز ومفاتيح الكنوز) ط المكتب الفنى للنشر - القاهرة ١٩٦١م.
١٥٣- عاطف العراقى (دكتور) : الميتافيزيقا فى فلسفة إبن طفيل - ط دار المعارف ١٩٨٣م.
١٥٤- على حسن عبد القادر (دكتور): عمر بن الفارض بحث منشور بكتاب أعلام الفكر الإنسانى - ط - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٤ م.
١٥٥- على زيغو (دكتور) : التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق - ط دار الأندلس- ١٩٧٩م .
١٥٦- على صافى حسن (دكتور): الأدب الصوفي فى مصر (ابن الصباغ القوصى) ط دار المعارف بمصر ١٩٧١م .
١٥٧- علي مبارك : الخطط التوفيقية - ط بولاق ١٣٠٥ هـ - ١٣٠٦ هـ.
١٥٨- عامر النجار (دكتور): الطرق الصوفية فى مصر نشأتها ونظمها وروادها - ط دار المعارف ١٩٩٠ م .
١٥٩- الغزالى (الإمام أبوحامد حجة الإسلام) : رسالة الأدب فى الدين - (ضمن مجموعة القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى) تحقيق محمد مصطفى أبو العلا- ط الجندى ١٩٧٣ م .
١٦٠- الغزالى (الإمام أبوحامد حجة الإسلام) : مشكاة الأنوار (ضمن مجموعة القصور العوالى ..) ط - الجندى ١٩٧٠م .
١٦١- الغزالى (الإمام أبوحامد حجة الإسلام) : الرسالة اللدنية (ضمن مجموعة القصور العوالى ..) ط الجندى ١٩٧٣م .
١٦٢- الغزابى (الإمام أبوحامد حجة الإسلام) : المضنون به علي غير أهله - (ضمن مجموعة القصور العوالى) ط الجندى ١٩٧٠م.

١٦٣- الغزالى (الإمام أبوحامد حجة الإسلام) : القسطاس المستقيم (ضمن مجموعة القصور العوالى ..)ط الجندى ١٩٧٣م.

١٦٤- الغزالى (الإمام أبوحامد حجة الإسلام) : التبر المسبوك فى نصيحة الملوك - مطبعة الآداب ١٣١٧ هـ .

١٦٥- الغزالى (الإمام أبوحامد حجة الإسلام) : الأربعين فى أصول الدين - ط الجندى ١٩٧٠م.

١٦٦- الغزالى (الإمام أبو حامد حجة الإسلام) : معارج القدس - ط الجندى - ١٩٦٤م.

١٦٧- الغزالى (الإمام أبوحامد حجة الإسلام) : معراج السالكين - ط الجندى ١٩٦٤م .

١٦٨- الغزالى (الإمام أبوحامد حجة الإسلام) : إحياء علوم الدين- ط دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ .

١٦٩ - الغزالى : المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى - ط الجندى ١٩٦٨م.

١٧٠ - الغزالى : تهافت الفلاسفة- تحقيق الدكتور سليمان دنيا - ط دار المعارف ١٩٨١م.

١٧١ - الغزالى : فضائح الباطنية - تحقيق الدكتو عبد الرحمن بدوى - المكتبة العربية ١٩٦٩م .

١٧٢ - الغزالى : الكشف المبين فى غرور الخلق أجمعين (ملحق بكتاب تنبيه المغترين للشعرانى) ط الحلبى ١٩٨٧م .

١٧٣ - الغزالى : كتاب الإملاء فى إشكالات الأحياد (هامش كتاب إحياء علوم الدين حـ١ ط دار إحياء الكتب العربية بدون تاريخ.

١٧٤ - الغزالى : جواهر القرآن - ط الجندى ١٩٧٢م .

١٧٥ - الغزالى : المنقذ من الضلال - ط الجندى ١٩٧٣م .

١٧٦ - فتح الله خليف (دكتور) : فلاسفة الإسلام - (إبن سينا - الفارابى - الغزالى) ط دار الجامعات المصرية ١٩٧٦م .

١٧٧ - فتح الله خليف (دكتور) : فخر الدين الرازى - ط - دار المعارف - ١٩٦٩م .

١٧٨ - فاروق أحمد مصطفى (دكتور) : الموالد - دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر - ط الهيئة العامة للكتاب فرع الأسكندرية - ١٩٨٠م .

١٧٩ - القشيرى (أبو القاسم) : الرسالة القشيرية - تحقيق دكتور عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف ط دار الكتب الحديثة - بدون تاريخ .

١٨٠ - القاوقجى (الشيخ محمد) : الروض الزاهر والمجموع الفاخر (أحرزاب وأوراد) ط القاهرة ١٢٩١ هـ .

١٨١ - القاوقجى (الشيخ محمد) : مفتاح الكنز الأفخر لمن أراد أن يصل إلى الغنى الأكبر (ضمن كتاب الروض الزاهر) ط القاهرة ١٢٠١م .

١٨٢ - كارلو الفونس نللينو (دكتور) : محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية (بحث منشوربكتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى) - ط دار القلم بيروت ١٩٨٠م.

١٨٣ - كمال جعفر (دكتور) : إبن إسرائيل (نجم الدين بن سوار) بحث منشور بكتاب إعلام الفكر الإنسانى - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤م .

١٨٤ - كمال جعفر (دكتور) : سيدى على البيومى - بحث منشور ضمن كتاب أعلام الفكر الإنسانى - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤م .

١٨٥ - لويس ماسيتون : الإنسان الكامل فى الإسلام وأصالته النشورية (بحث منشور بكتاب الإنسان الكامل - نرجمة الدكتور بدوى - ط الكويت ١٩٧٦م .

١٨٦ - مجاهد عبد المنعم مجاهد: الفلسفة والحنين إلى الوجود - ط دار الثقافة للطبع والنشر بالقاهرة ١٩٩٠م .

١٨٧ - المحبى (محمد) : تاريخ خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر - حـ٢ المطبعة الوهبية بمصر المحمية ١٣٠٠هـ .

١٨٨ - المحاسبى (الحارث بن أسد) : الرعاية لحقوق الله عز وجل - تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ط دار المعارف - ١٩٨٤م .

١٨٩ - محمد محمد أبو خليل : المربى (سيرة ومناقب العارف الربانى محمد أبو خليل) ط - القاهرة عام ١٩٧٦م .

١٩٠ - محمد مصطفى حلمى (دكتور) : الحياة الروحية فى الإسلام - ط الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٤م .

١٩١ - محمد مصطفى حلمى (دكتور) : كنوز فى رموز (بحث منشور بالكتاب التذكارى فى الذكرى المئوية الثامنة لمحى الدين بن عربى، ط الهيئة المصرية للتأليف والنشر - ١٩٦٩م .

١٩٢ - محمد مصطفى حلمى (دكتور) : إبن الفارض والحب الإلهى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة (أعلام العرب) - ١٩٥٦م .

١٩٣ - محمد أبو الفيض المنوفى : وحدة الدين والفلسفة والعلم - ط دار العالم الإسلامى ط القاهرة - ١٩٤٧م .

١٩٤ - محمود بن عفيفى الدين الوفائى : الروضة الشاذلية فى المقامات الإسلامية ط المطبعة العامرية الشرقية - ١٣١٦ هـ .

١٩٥ - مصطفى حلمى (دكتور) : الإمام إبن تيمية والتصوف ط دار الدعوة بالأسكندرية ١٩٨٢م .

١٩٦ - مصطفى حلمى (دكتور) : الزهاد الأوائل (دراسة فى الحياة الروحية الخالصة فى القرون الأولى) - ط دار الدعوة ١٩٧٩م .

١٩٧ - مصطفى حلمى (دكتور) : التصوف والإتجاه السلفى فى العصر الحديث - ط دار الدعوة ١٩٨٣م .

١٩٨ - مصطفى الشيبى (دكتور) : الصلة بين التصوف والتشيع - ط دار المعارف ١٩٦٩م .

١٩٩ - مقداد بالجن (دكتور) : فلسفة الحياة الروحية - ونشأة التصوف والطرق الصوفية - ط دار الشروق ١٩٨٥م .

٢٠٠ - المقرى (أحمد بن محمد بن على الفيومى) : المصباح المنير - حـ٢ المطبعة الوهبية بمصر ١٣٠٠ هـ .

٢٠١ - المقرى : نفح الطيب - حـ٧ - ط القاهرة ١٩٢٦م .

٢٠٢ - النشار (دكتور على سامى) : أبو الحسن الششترى فلسفته وشعره - جامعة كمبردج ١٩٤٨م - ديوان الششترى ط القاهرة ١٩٦٠م .

٢٠٣ - النشار (دكتور على سامى) : نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ٣ (التصوف) - ط دار المعارف ١٩٦٥م .

٢٠٤ - النفرى (محمد بن عبد الجبار) : المواقف والمخاطبات تحقيق الدكتور آرثر أربرى - ترجمة وتعليق دكتور عبد القادر محمود ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥م .

٢٠٥ - نور الدين الحلبى : النصيحة العلوية فى بيان حسن طريقة السادة الأحمدية تحقيق أحمد عز الدين خلف الله - مكتبة تاج بطنطا - ١٩٦٤م .

٢٠٦ - نور الدين الشطنوفى : بهجة الأسرار ومعدن الأنوار - ط الحلبى بمصر - ١٣٠٤ هـ .

٢٠٧ - نور الدين الصابونى : كتاب البداية من الكفاية فى الهداية فى أصول الدين - تحقيق الدكتور فتح الله خليف ط دار المعارف ١٩٦٩م .

٢٠٨ - نيكلسون : التصوف الإسلامى وتاريخه - ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفى - ط القاهرة - ١٩٥٩م .

٢٠٩ - هانز هنرش شيدر : نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين ومصدرها وتصديرها الشعورى (بحث منشور ضمن كتاب الإنسان الكامل) ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى - ط وكالة المطبوعات الكويتية - الكويت ١٩٧٦م .

٢١٠ - الواسطى (الإمام على بن أبى الحسين الشافعى) : خلاصة الأكسير فى نسب الغوث الرفاعى الكبير المطبعة الخيرية بمصر المحمية - ١٣٠٦ هـ .

٢١١ - ديورانت : قصة الحضارة (عصر الإيمان) مجلد (٤) حـ١٣ ترجمة محمد بدران - ط لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٧٤م .

٢١٢ - ياقوت الحموى : معجم البلدان - ط مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م .

٢١٣ - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية - ط دار القم ببيروت بدون تاريخ .

ثالثاً: المصادر الأجنبية : -

214 - Ali Issa othman, the concept of Man in Islam (in writting of Al-Gahz ali Dar Elmaaref - Cairo, 1960 .

215 - Encyclopeadia of Islam, V,11 , London; 1927.

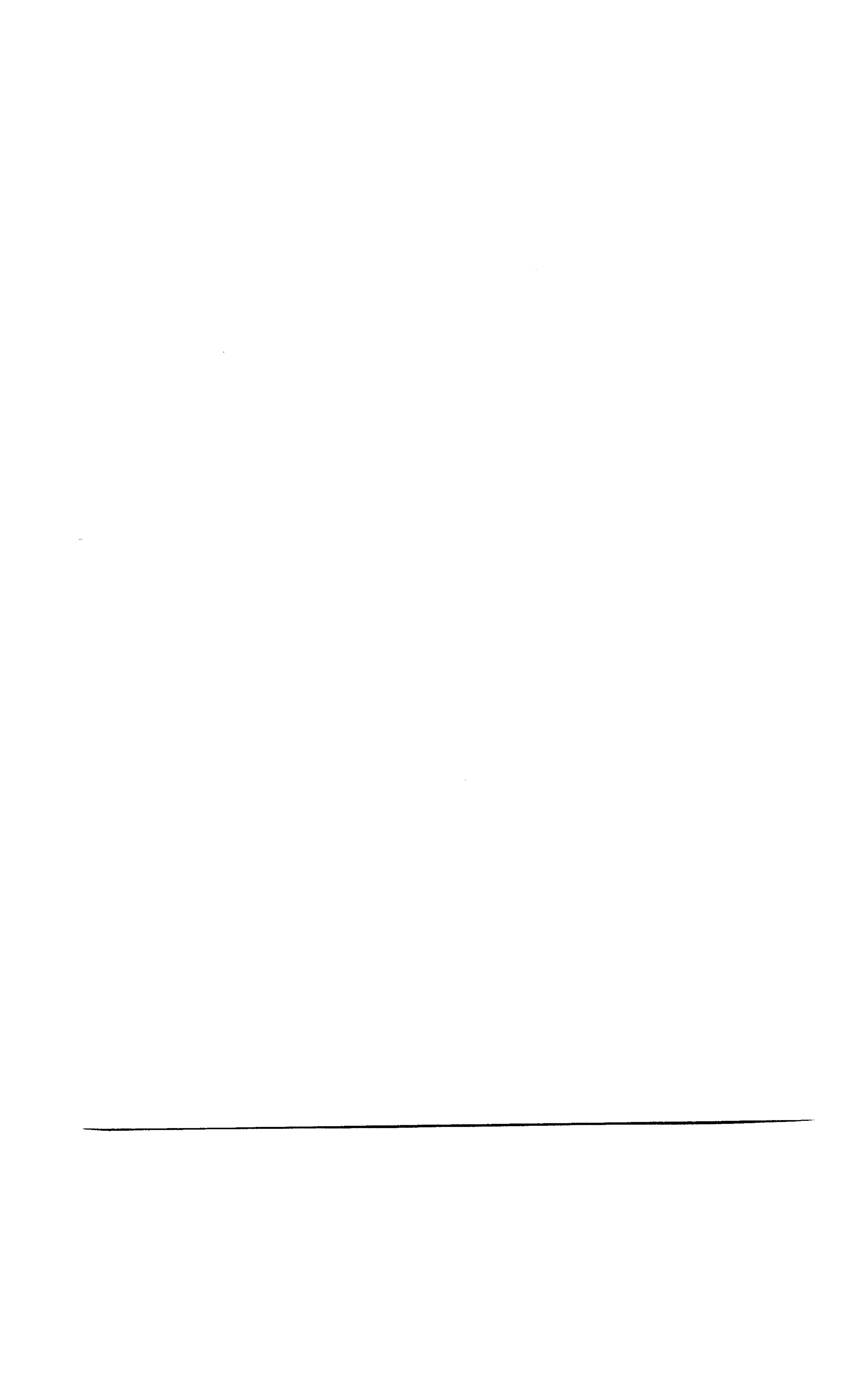
216 - Macdanald, The development of Muslim The -ology, London 1903.

217 - Nicholson, the Mystics of Islam, London, 1966.

218 - Oleary , Arabic Thought and its place in history, Londen 1963.

219 - Sayyed Hossein Naser, Ibn Arabi in the persian speaking world,
بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى فى الذكرى المئوية لمحى الدين بن عربى ط - الهيئة العامة للكتاب ١٩٦٩م.

220 - J, Spencer triming - ham, the Sufi orders in Islam , Oxford university press, London , Oxford, New- york . 1971



الفهـرس



رقم الإيــداع

١٩٩٢/٢٦١٩

I. S. B. N.
977 - 5276 - 00 - 4

مكتب مشرف لطباعة الأوفيست
طنطا ت / ٣٤٩٦٨٥